الأفكار الواردة في هذه المجلة تعبِّر عن آراء أصحابها

ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر هيئة التحرير

مجلة

جامعة طيبــة

للآداب والعلوم الإنسانية

العدد ٨

السَّنَةُ الخَامِسَةُ

١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

مجلة جامعة طيبة
للآداب والعلوم الإنسانية

- مجلة فصلية محكمة تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة.
- تنشر المجلة البحوث والدراسات الأصيلة، ومستخلصات الرسائل العلمية، وعرض الكتب، وتوصيات المؤتمرات والندوات العلمية، وباللغتين العربية والإنجليزية.
- البحوث المقدمة للنشر يجب ألا يكون قد سبق نشرها، أو مقدمة للنشر في جهة أخرى. وإذا قبلت للنشر فلا يسمح بنشرها، وبأية لغة أخرى إلا بموافقة كتابية من رئيس التحرير.
- يقدم الباحث طلبا بنشر بحثه متضمناً العناوين التي تمكن من الاتصال به ومراسلته عليها، ومشفوعاً بسيرته العلمية، والتزامًا بعدم نشر بحثه في أي جهة نشر أخرى.
- تخضع البحوث المقدمة للمجلة للتحكيم والتقييم من طرف محكمين متخصصين ومعتمدين لدى المجلة.
- تقدم المواد والبحوث من ثلاث نسخ ورقية، ونسخة إلكترونية على قرص (CD) باستخدام منسق الكلمات M.S.Word وعلى وجه واحد فقط، وبخط (Lotus Linotype) ويكون مقاس الخط للمتن (١٤) وللهامش (١١)، وتكتب الآيات القرآنية وفق مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي.
- يشترط أن يكون عدد كلمات البحث ٨٠٠٠ كلمة بما فيها المراجع والمستخلص العربي والمستخلص الانجليزي والكلمات المفتاحية.
- يكون لكل بحث ملخصان: أحدهما باللغة العربية، والآخر باللغة الإنجليزية، على ألا يتجاوز عدد كلمات أي منهما عن (٣٠٠) كلمة، وكلمات مفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.
- يكون توثيق النصوص والاقتباسات باستخدام إحدى الطرق العلمية المعتبرة.
- تكتب المراجع في قائمة منفصلة في نهاية البحث مرتبة هجائياً وفق إحدى الطرق العلمية المعتبرة، مع إيراد كامل معلومات النشر المتعلقة بالمصادر والمراجع.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر صاحبه، ولا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.
- لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- يحصل الباحث على نسخة واحدة من المجلة، مع عشرين مستلة من بحثه.
- ترسل البحوث والمواد إلى العنوان البريدي التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية
ص.ب (٣٤٤) المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية
أو البريد الالكتروني: ff99ff9@hotmail.com

هيئة التحرير

أ. د. علي بن عبدالله القرني	رئيسًا للتحرير
أ. د. سامي بن علي القليطي	عضواً
أ. د. أحمد بن محمد القرشي	عضواً
أ. د. حسين بن عبد الرؤوف الأعظمي	عضواً
أ. د. سائد بن محمد يحي بكداش	عضواً
أ. د. عبد الحفيظ محمد سعيد السقا	عضواً
أ. د. أسماء بنت أبو بكر أحمد	عضواً
د. مشعان بن سهو العتيبي	عضواً
د. هند بنت مصطفى شريفي	عضواً

المحتويات

عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
أولاً: الدراسات الشرعية		
تحرير التيسير	د. سامي محمد سعيد عبد الشكور	٣-٦٣
استدراك الساقط من كتاب المفاريد المطبوع لأبي يعلى الموصلي	د. محمد بن عبد العزيز بن صالح الجمعان	٦٥-١٢٠
أثر الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وموطئه في الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي	د. عبد الرحمن بن عمري بن عبد الله الصاعدي	١٢١-٢٤١
النساء المسلمات في المجتمعات الغربية: التغيرات المعاصرة في السمات الدعوية	د. شيماء خير الدين بلوط	٢٤٣-٢٧٣
اتّجاه طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية نحو ممارسة العمل الدعوي: دراسة مسحية وصفية على عيّنة عشوائية من طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة	د. هند مصطفى محمد الطيب شريفي	٢٧٥-٣٤٣
دلالاتُ الأرقامِ أنموذجاً رمزياً في المصطلح الصوفي	د. خالد علي عباس القط	٣٤٥-٣٩٩

عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
ثانياً: الدراسات اللغوية والأدبية		
التحليل الدلالي للبنية الصرفية في سورة الفتح	د. حمدي صلاح الدين السيد الهدهد	٤٠٣-٤٧٥
قراءة يزيد بن قُطَيْب دراسة صوتية ودلالية	د. محمد موسى السعيد جباره	٤٧٧-٥٤٠
ظاهرة التأويل في إعراب الشواهد الشعرية النحوية في باب (إنَّ وأخواتها)	د. محمد بن عبد القادر هنادي	٥٤١-٥٩٦
ابن حذام بين الوهم والحقيقة	د. عبد الحق حمادي الهواس	٥٩٧-٦١٧
تشكيل الحدث والشخصيات دراسة فنية في رواية(سلمى) لـ: (غازي القصيبي)	د. أمل عبد الله زين العابدين أحمد برزنجي	٦١٩-٦٩٦
تحقيق نسبة «كتاب التاج» إلى الجاحظ - مقاربة مورفولوجيّة	د. عماد محمود أبو رحمة	٦٩٧-٧٤٩
ثالثاً: الدراسات الاجتماعية		
نقط الاستقرار العمرانية في حوض وادي الرمة الأدنى دراسة تصنيفية لدرجة خطورة الفيضان المائي	أ. د. مساعد بن عبد الرحمن الجخيدب	٧٥٣-٧٩٢
التأثير الاقتصادي لنشاط السياحة في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٤م - ٢٠١٠م	د. عنبره بنت خميس بلال	٧٩٣-٨٥٠

عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
رابعاً: دراسات علم المعلومات		
برمجيات الكلمات المفتاحية المتاحة على الانترنت ودورها في تحسين ترتيب مواقع الويب في صفحات نتائج محركات البحث: دراسة وصفية تحليلية	د. بدوية محمد البسيوني	٨٥٣-٩١٢
خامساً: دراسات في الإعلام		
اعتماد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الفضائية الإخبارية الناطقة بالعربية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية.. دراسة مسحية على عينة من طلبة كليات الجامعة في مدينة مكة المكرمة	د. وديع محمد سعيد العزعزي	٩١٥-٩٦٥

أولاً:

الدراسات الشرعية

تحرير التيسير

د. سامي محمد سعيد عبد الشكور

الأستاذ المشارك بجامعة طيبة بالمدينة المنوَّرة

dr.samiabdshkur@gmail.com

تاريخ التحكيم: ٢١/ ٤/ ١٤٣٥ تاريخ الإجازة: ١٩/ ٧/ ١٤٣٥

المستخلص:

هذا البحث في علم القراءات القرآنية، وهو يبحث في الروايات والطرق التي ذكرها الإمام أبو عمرو الداني في كتابه «التيسير في القراءات السبع» من حيث إعادة النظر في عزو طرق هذا الكتاب، إذ تبين للباحث عدم التزام الإمام الداني بطرق الكتاب، بل أودع فيه روايات خارجة عنه تارة، وترك روايات مثلها لم يودعها فيه تارة أخرى، وهي من طرق الكتاب أيضًا، فأحببت أن أكشف عن مصادر هذه الروايات، وأعزوها لطرقها حتى يتبين القارئ، بعد ذلك من إثبات الروايات من كتاب التيسير، ولا يأخذ بظاهر نصوص الإمام الداني، وينسب كل رواية لهذا الكتاب.

الكلمات المفتاحية:

القراءات – علم تحرير القراءات – الإمام الداني – القراءات السبع – تحرير كتاب التيسير.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الواحد الأحد الفرد الصمد، العالم بالسر والنجوى وما يدور في الخلد، وأصلي وأسلم على خير خلقه، وخير رسول أرسل في خير الأمم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإنه مما لا يخفى أن كتاب التيسير للإمام الكبير أبي عمرو الداني من الكتب المهمة في بحر علوم القراءات، وأحد الكتب التي شقت طريقها برسو وثبات، ونالت من الشهرة، والقوة على غيرها من المصنفات على مر العصور، ما لا يجهله أحد إذ اختصر فيه مؤلفه قراءات الأئمة السبعة المشهورين، وضمنه من الروايات، والطرق ما اشتهر عند التالين، وصح، وثبت عند المتصدرين، فغدا على خير مثال ومنوال للمقرئين المسندين، إلا أنه من خلال مناقشاتي لبعض طلبة العلم في المراحل المتقدمة من الماجستير، والدكتوراه، تبين لي ضعف الطلاب في عزو نصوص التيسير في الروايات المذكورة فيه، إذ يظن الكثير من طلبة العلم أن كل الروايات التي ذكرها الإمام الداني في كتابه التيسير هي من طرق هذا الكتاب لمجرد وجودها بين دفتي التيسير دون نظر، أو تمحيص، فكان هذا هو السبب الموجب لخوض غمار هذا البحث، ولا شك أن أهمية مثل هذه البحوث في علم الدراية من علم القراءات ما لا يخفى على طلبة العلم، وتأتي تلك الأهمية في سياق تفنيد ما ذكره الإمام الداني في كتابه التيسير من روايات، أودعها فيه، مع عزو كل رواية لطريقها، حتى يتبين الطالب بعد ذلك كيف يوثق نصوص وروايات التيسير بعزو الطرق فيه بما يتلاءم مع أسانيد الإمام الداني في كتبه، ومما يوافقه من كتاب النشر للإمام ابن الجزري.

ومنهجي في البحث كالتالي:

١- السير في البحث وفق كتاب الإمام الداني في التيسير باباً باباً.

٢- أذكر قول الإمام الداني ومحل الشاهد بين علامتي التنصيص مع توثيق النص من كتاب التيسير.

٣- أبين تحرير المسألة بعد ذلك مع ذكر الدلائل والشواهد، من كتب العلماء.

٤- أعتني بعزو طرق التيسير في كل مسألة من المسائل الواردة تحت كل باب من أبواب التيسير.

٥- إذا تكررت المسائل في الباب الواحد أكتب كلمة «حرف» للدلالة على ذلك.

٦- كتابة البحث وفق المناهج العلمية المتعارف عليها في كتابة الأبحاث.

٧- الترجمة للأعلام في أول موضع.

٨- توثيق النصوص والشواهد.

٩- رسم الآيات القرآنية على الرسم العثماني.

١٠-وضع اسم السورة ورقمها في الحاشية.

١١-تركت من روايات التيسير ماجاء على وجه الاستحباب أو الاختيار واكتفيت بأصل الرواية.

وقد جعلت خطة البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين.

فأما المقدمة بينت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومنهجي في البحث، وخطة البحث.

وأما التمهيد: فأذكر فيه التعريف بالإمام الداني، وكتابه التيسير، وعلاقته بكتابي النشر للإمام ابن الجزري، والشاطبية للإمام الشاطبي، وكذا التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الأول: وفيه بيان طرق التيسير، وأقسام الروايات فيه.

المبحث الثاني: وفيه بيان عزو طرق التيسير للروايات الواردة فيه.

التمهيد

[نبذة مختصرة للإمام الداني]

هو: الإمام العلامة الحافظ أستاذ الأساتذة، وشيخ مشايخ المقرئين أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمر الداني الأموي مولاهم القرطبي المعروف في زمانه بابن الصيرفي المالكي من أهل قرطبة، وعرف بالداني لسكناه بدانية، ولد سنة ٣٧٠هـ. رحل للمشرق سنة ٣٩٧هـ وأقام بالقيروان، ودخل مصر ومكث بها، وحج سنة ٣٩٨هـ ورجع إلى الأندلس سنة ٣٩٩هـ، ووصل قرطبة، وسكن سرقسطة سبعة أعوام، ثم عاد إلى قرطبة، وقدم دانية سنة ٤١٧هـ، فاستوطنها حتى مات يوم الإثنين سنة ٤٤٤هـ.

شيوخه وأهم مصنفاته:

ومن أهم الذين أخذ عنهم الإمام الداني: أخذ القراءة عرضاً عن أبي القاسم خلف بن إبراهيم بن خاقان المصري المتوفى سنة ٤٠٢هـ، وكذا روى عن أبي القاسم عبد العزيز بن جعفر خواستي المتوفى سنة ٤١٢هـ، وروى أيضاً عن أبي الفتح فارس بن أحمد الحمصي المتوفى سنة ٤٠١هـ وكذا روى عن أبي الحسن طاهر عبد المنعم بن غلبون المتوفى سنة ٣٩٩هـ، وستأتي تراجمهم قريباً إن شاء الله.

وأما مصنّفاته فمنها:

- كتاب التيسير في قراءة السبع.
- كتاب الجامع في القراءات السبع.
- إيجاز البيان في قراءة ورش.
- كتاب المقنع في معرفة رسم المصاحف.
- كتاب المحكم في النقط.

- كتاب المحتوى في القراءات الشواذ.
- كتاب طبقات القراء.
- كتاب الوقف والابتداء.
- كتاب المفردات.
- كتاب التهذيب، وغير ذلك كثير.

كتاب التيسير وعلاقته بكتابي النشر في القراءات العشر والشاطبية:

يعتبر كتاب التيسير من أجل كتب علم القراءات في القراءات السبع، وهو من أشهر كتب الإمام الداني، جمع فيه روايات الأئمة القراء السبع، وضمنه من الروايات والطرق ما اشتهر عنه، وهو الذي عليه العمل اليوم عند القراء، وصدره باب ذكر أسماء القراء، وأنسابهم، وكناهم، وموتهم، ثم ذكر الأسانيد التي أدت إلى القراءة عنهم، ثم قسّم كتابه إلى قسمين: قسم ذكر فيه أصول قراءات الأئمة السبعة، وقسم آخر ذكر فيه فرش الحروف عنهم من سورة البقرة إلى آخر الكتاب المجيد، وأما علاقة هذا الكتاب بالنشر والشاطبية، فتأتي على جهتين:

الأولى: كون الشاطبية قد حوت كتاب التيسير بكل ما فيه وزادت عليه، فكل من أراد أن يقرأ اليوم بالقراءات السبع فلا بد من أن يحفظ هذا المتن للإمام الشاطبي.

الثانية: كون النشر قد حوى كتابي التيسير والشاطبية، وزاد عليهما من الطرق والروايات ماهو معلوم عند أهل الفن، فكل من أراد أن يقرأ بالقراءات العشر الكبرى لابد له من حفظ متن طيبة النشر للإمام ابن الجزري التي هي أصل كتاب النشر.

ووجه العلاقة: أن كل أسانيد الإمام الداني وأسانيد الإمام الشاطبي في التيسير قد أوصلها الإمام ابن الجزري بهذين الكتابين في كتابه النشر في القراءات العشر، فهو

المهيمن عليهما.

مصطلحات البحث:

التحرير لغة: هو جعل الشيء حراً... وحررت القوم أطلقتهم، وأعتقتهم عن أسر الحبس[١].

واصطلاحًا: هو التدقيق في القراءات، وتمييز كل رواية على حدة، بعزوها لطرقها الصحيحة، وعدم خلط رواية بأخرى.

التيسير: وهو كتاب الإمام الداني في القراءات السبع، وسبق التعريف به.

(١) مفردات الراغب الأصفهاني، ١١١.

المبحث الأول
طرق التيسير وأقسام الروايات فيه

أولاً: الإمام نافع[١]:

أما رواية قالون[٢]: فمن طريق أبي نشيط[٣]، من قراءته على شيخه أبي الفتح فارس[٤] على أبي الحسن عبد الباقي[٥] عن ابن عمر المقرئ[٦] عن ابن بويان[٧].

أما رواية ورش[٨]: فمن طريق الأزرق[٩]، من قراءته على شيخه خلف بن إبراهيم خاقان[١٠] عن أبي جعفر[١١] عن النحاس[١٢].

ثانيًا: الإمام ابن كثير[١٣]:

أما رواية قنبل[١٤]: فمن طريق ابن مجاهد[١٥] عنه، من قراءة الداني على

---

(١) ابن عبد الرحمن المدني، ت ١٦٩، الغاية ٢/ ٢٣٠.

(٢) عيسى بن مينا، ت ٢٢٠هـ، الغاية ١/ ٦١٥.

(٣) محمد بن هارون الربعي، ت ٢٥٨، الغاية ٢/ ٢٧٢.

(٤) فارس بن أحمد بن موسى، ت ٤٠١هـ، الغاية ٢/ ٥.

(٥) عبد الباقي بن الحسن الخرساني، ت بعد ٣٨٠هـ، الغاية ١/ ٣٥٧.

(٦) إبراهيم بن عمر المقرئ، الغاية ١/ ٢١.

(٧) أحمد بن عثمان بن محمد، ت ٣٤٤هـ، الغاية ١/ ٧٩.

(٨) عثمان بن سعيد المصري، ت ١٩٧هت، الغاية ١/ ٥٠٢.

(٩) يوسف بن عمر المصري، ت ٢٤٠هـ، الغاية ٢/ ٤٠٢.

(١٠) خلف بن إبراهيم بن خاقان، ت ٤٠٢هـ، الغاية ١/ ٢٧١.

(١١) أحمد بن أسامة التجيبي، ت ٣٥٦، الغاية ١/ ٣٨.

(١٢) إسماعيل بن عبد الله بن عمر التجيبي، ت بعد ٢٨٠هـ، الغاية ١/ ١٦٥

(١٣) عبد الله بن كثير بن عمر، ت ١٢٠هـ، الغاية ١/ ٤٤٣.

(١٤) محمد بن عبد الرحمن المكي، ت ٢٩١هـ، الغاية ٢/ ١٦٥.

(١٥) أحمد بن موسى بن العباس، ت ٣٢٤هـ، الغاية ١/ ١٤٠.

فارس بن أحمد، طريق السامري[١]:

وأما رواية البزي[٢]: فمن طريق أبي ربيعة[٣]، من قراءة الداني على شيخه الفارسي[٤] عن النقاش[٥] عنه.

ثالثًا: الإمام أبو عمرو البصري[٦]:

أما رواية الدوري[٧]: فمن طريق أبي الزعراء[٨] عنه، من قراءة الداني على شيخه عبد العزيز بن جعفر البغدادي، عن أبي طاهر[٩] طريق ابن مجاهد.

أما رواية السوسي[١٠]: فمن طريق أبي عمران موسى بن جرير عنه[١١]، من قراءة الداني على أبي الفتح فارس، من طريق السامري.

رابعًا: الإمام ابن عامر[١٢]:

أما رواية ابن ذكوان[١٣]: فمن طريق الأخفش[١٤] عنه، من قراءة الداني على

---

(١) عبد الله بن الحسين السامري، ت ٣٨٦هـ، الغاية ١/ ٤١٥.

(٢) أحمد بن محمد القاسم، ت ٢٥٠هـ، الغاية ١/ ١١٩.

(٣) محمد بن إسحق الربعي، ت ٢٩٤هـ، الغاية ٢/ ٩٩.

(٤) أبو القاسم عبد العزيز المقري، ت ٤١٢هـ، الغاية ١/ ٣٩٢.

(٥) محمد بن الحسن الموصلي، ت ٣٥١ه، الغاية ٢/ ١١٩.

(٦) أبو عمرو، زبان بن العلاء التميمي، ت ١٥٤هـ، معرفة اقراء ١/ ١٠٠.

(٧) حفص بن عمر الدوري، ت ٢٤٦هـ، الغاية ١/ ٢٥٥.

(٨) عبد الرحمن بن عبدوس البغدادي، ت بضع وثمانين ومئتين، الغاية ١/ ٣٧٣.

(٩) عبد الوحد بن عمر بن أبي هاشم، ت ٣٤٩هـ، الغاية ١/ ٤٧٧.

(١٠) صالح بن زياد بن عبدا لله، ت ٢٦١هـ، الغاية ١/ ٣٣٢.

(١١) موسى بن جرير الرقي، ت ٣١٦هـ، الغاية ١/ ٣٣٢.

(١٢) عبد الله بن عامر اليحصبي، ت ١١٨هـ الغاية ١/ ٤٢٣.

(١٣) عبد الله بن أحمد القرشي، ت ٢٤٢هـ، الغاية ١/ ٤٠٥.

(١٤) هارون بن موسى بن شريك، ت ٢٩٢هـ، الغاية ٢/ ٢٤٧.

الفارسي من طريق النقاش.

وأما هشام[١]: فمن طريق ابن عبدان[٢] عن الحلواني[٣]، من قراءة الداني على شيخه أبي الفتح فارس، طريق السامري.

خامسًا: الإمام عاصم[٤]:

أما أبوبكر[٥]: فمن طريقين الأولى: طريق الأصم[٦] عن الصريفيني[٧] من قراءة الداني على أبي الفتح فارس علي عبد الباقي بن الحسن على البغدادي[٨].

الثانية: من طريق القافلائي[٩] عن الصريفيني من قراءة الداني على أبي الفتح فارس من طريق السامري.

كلاهما من طريق يحي بن آدم[١٠] عن شعبة.

أما حفص: فمن طريق عبيد بن الصباح[١١] عنه، من قراءة الداني على ابن غلبون[١٢] على الهاشمي[١٣] على الأشنائي[١٤].

---

(١) هشام بن عمار بن نصر، ت ٢٤٥هـ، الغاية ٢/ ٣٥٤.

(٢) محمد بن أحمد الجزري، ت بعد ٣٠٠ هـ، الغاية ١/ ٦٤.

(٣) أحمد بن يزيد الصفار، ت ٢٥٠هـ، الغاية ١/ ١٤٩.

(٤) عاصم بن أبي النجود، ت ١٢٧هـ، الغاية ١/ ٣٤٦.

(٥) شعبة بن عياش الحناط، ت ١٩٤هـ، الغاية ١/ ٣٢٥.

(٦) يوسف بن يعقوب الواسطي، ت ٣٢٠هـ، الغاية ٢/ ٤٠٤.

(٧) شعيب بن أيوب، ت ٢٦١هـ، الغاية ١/ ٣٢٧.

(٨) ت بعد ٣٨٠ هـ، الغاية ١/ ٣٥٦.

(٩) أحمد بن يوسف أبوبكر، الغاية ١/ ١٥٣.

(١٠) يحيى بن آدم بن سليمان، ت ٢٣٠هـ، الغاية ٢/ ٣٦٢.

(١١) عبيد بن الصباح النهشلي، ت ٢١٩هـ، الغاية ١/ ٤٩٥.

(١٢) أبو الحسن طاهر بن غلبون، ت ٣٩٩هـ، الغاية ١/ ٣٣٩.

(١٣) أبو الحسن عي بن محمد الضرير، الغاية ١/ ٢٢٠.

(١٤) أحمد بن سهل بن الفيروزان، ت ٣٠٧هـ، الغاي ١/ ٥٩.

سادسًا: الإمام حمزة الزيات[١]:

أما خلف[٢]: فمن طريق إدريس[٣] عنه، من قراءة الداني على شيخه ابن غلبون عن الحرتكي[٤] عن ابن بويان.

وأما خلاد[٥]: فمن طريق ابن شاذان[٦] عنه، من قراءة الداني على أبي الفتح على السامري، طريق ابن شنبوذ[٧].

سابعًا: الإمام الكسائي[٨]:

أما رواية الدوري: فمن طريق النصيبي[٩] عنه، من قراءة الداني على أبي الفتح فارس عن قراءته على عبد الباقي بن الحسن عن قراءته على ابن الجلندى[١٠].

وأما رواية أبي الحارث[١١]: فمن طريق محمد بن يحيى[١٢] عنه، من قراءة الداني على عبد الباقي عن زيد بن علي[١٣]، طريق البطي[١٤].

---

(١) حمزة بن حبيب بن عمارة، الفرضي، ت ١٥٦هـ. الغاية ١/ ٢٦١.

(٢) خلف بن هشام البزار، ت ٢٢٩هـ، الغاية ١/ ٢٧٢

(٣) ابن عبد الكريم الحداد، ت ٢٩٢هـ، الغاية ١/ ١٥٤.

(٤) محمد بن يوسف بن نهار، ت بعد ٣٧٠هـ، الغاية ٢/ ٢٨٩.

(٥) خالد بن خالد الشيباني، ت ٢٢٠هـ، الغاية ١/ ٢٧٤.

(٦) محمد بن شاذان الجوهري، ت ٢٨٦هـ، الغاية ٢/ ٢٥٢.

(٧) محمد بن أحمد بن أيوب، ت ٣٢٨هـ، الغاية ٢/ ٢٥٢.

(٨) علي بن حمزة، ت ١٨٩هـ، الغاية ١/ ٥٣٥.

(٩) جعفر بن محمد الضرير، ت ٣٠٧هـ، الغاية ١/ ١٩٥.

(١٠) سعيد بن عبد الرحيم الضرير، ت ٣١٠هـ، العاية ١/ ٣٠٦.

(١١) الليث بن خالد البغدادي، ت ٢٤٠هـ، الغاية ٢/ ٣٤.

(١٢) محمد بن يحيى البغدادي، ت ٢٨٨هـ، الغاية ٢/ ٢٧٩.

(١٣) زيد بن علي بن أحمد، ت ٣٥٨هـ، الغاية ١/ ٢٩٨.

(١٤) أبو الحسن حمد بن الحسن، ت بعد ٣٠٠ هـ، الغاية ١/ ١٥٢.

وسأبين بإذن الله الروايات التي في التيسير، وهي ليست من طريقه، وكذا الروايات التي ليست في التيسير، وهي من طريق التيسير، وأترك باقي الروايات؛ لأنها أصل التيسير، على أن يكون الترتيب موافقاً كتاب التيسير باباً باباً، للتسهيل على طالبه، وبالله اعتمادي وتوكلي، وهو حسبي.

إلا أنه من خلال الوقوف على كتاب التيسير كانت الروايات التي ضمنها الإمام أبو عمرو الداني كتاب التيسير كالآتي: أولاً: روايات هي أصل التيسير من الطرق المذكورة فيه، الثاني: روايات في كتاب التيسير ذكرها الإمام الداني فيه، وهي ليست من طرقه التي أسندها فيه. الثالث: روايات لم يذكرها في كتاب التيسير وهي من طرق التيسير، فهذه أقسام ما حواه كتاب التيسير، فأحببت أن أخدم طلبة العلم، وأن أُحَـرِر لهم كتاب التيسير، وأن يكون لهم تذكرة في عزو طرق التيسير من الروايات الواردة فيه، وقد جد العزم مني عندما وقع ذلك الخلط لكبار العلماء، كالإمام ابن الجندي[١]، في كتابه الجوهر النضيد في شرح القصيد عندما قال: «وأشار الشاطبي[٢] بالخلاف المذكور في البقرة لابن ذكوان (أي في حرف ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ إلى قول الداني في التيسير بالوجهين: «قرأت لابن ذكوان في البقرة خاصة»[٣].

قلت فهذا الخلف ليس كما أشار الإمام ابن الجندي، بل هو ظاهر التيسير، إذ إن رواية الألف زائدة على التيسير وليس من طرقه، وسيأتي الحديث عنها في موضعه من التيسير إن شاء الله. وكذا قال في موضع آخر: «ثم أخبر أن مدلول باء (بجلا) قالون فعل ذلك مع الهمزة المكسورة بخلاف عنه نحو ﴿إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[٤]

---

(١) هو أبوبكر بن آيد دغدي بن عبد الله، ت ٧٦٩هـ، الغاية ١/ ١٨٠.

(٢) القاسم بن فيره بن خلف الشاطبي الرعيني، ت ٥٩٠هـ، الغاية ٢/ ٢٠.

(٣) الجوهر النضيد، مخطوط عند قول الناظم: «وفيها وفي نص النساء»، والتيسير ص ٦٦.

(٤) الأعراف، آية: ١٨٨.

والحذف من زيادات القصيد على التيسير»[١].

قلت: فما ذكره الإمام ابن الجندي بأن وجه الحذف زائد على التيسير ليس كذلك، بل هو من طريق التيسير، والسبب في حكم ابن الجندي على قدر جلالة علمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأن الداني لم يذكر هذا الوجه في التيسير، فحكم بالزيادة، وسيأتي بإذن الله أدلة ذلك في بابه إن شاء الله، والتي تثبت أن هذا الوجه هو طريق التيسير، وليس كما ذهب الإمام ابن الجندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ومنه ما أخذ به أصحاب التحريرات[٢] كذلك في حرف ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾[٣] بالخلف للبزي وهو ليس من التيسير، إلى غير ذلك مما سنكشفه في هذا التحرير على كتاب التيسير، والله المستعان وعليه التكلان.

والأمثلة على ذلك كثيرة، وقد ذكرناها في مبحث مستقل، وكان منهجي في عمل هذه الورقات التقديم لهذا البحث بمقدمة أذكر فيها نبذة مختصرة عن الإمام الداني، وطرقه في التيسير للأئمة السبعة المشهورين، ثم أختم بخاتمة أبين فيها أهم نتائج البحث ثم فهارس لأهم المصادر والمراجع، وبالله التوفيق

المبحث الثاني
بيان روايات التيسير وعزوها لطرقها

سورة أم القرآن:

قال صاحب التيسير: «ابن كثير وقالون بخلاف عنه يضمان الميم التي

---

(١) الجوهر النضيد، مخطوط عند قول الناظم: «ومد أنا في الوصل...».

(٢) كالشيخ الجمزوري في فتحه ص ٧٦، والصفاقسي في غيثه، ص ٥٧، والخليجي في حل المشكلات، ص ٥١.

(٣) البقرة، آية: ٢٢٠.

للجمع، ويصلانها بواو مع الهمزة، وغيرها...»[١].

أطلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ الخلف لقالون في التيسير، والتحرير فيه: أن الإسكان ليس من طريق التيسير، بل من طريق الجامع له، حيث بين فيه أن قراءته بالإسكان في جميع القرآن في رواية الحلواني عن قالون من طريق ابن عبد الرزاق...[٢][٣].

ومن قراءته على أبي الفتح عن قراءته على عبد الله بن الحسين، ومن قراءته على أبي الحسن غلبون من رواية أبي نشيط، فهذه ثلاثة طرق كلها خارجة عن التيسير؛ لذا فإن قول ابن الجزري في النشر: «ونص على الخلاف صاحب التيسير من طريق أبي نشيط»[٤].

فهو مقيد بما تقدم من نصوص الداني فالخلاف عن أبي نشيط من طريقين الأولى: بالإسكان عنه وهذه من قراءته على أبي الحسن غلبون، وهذه ليست من التيسير، والثانية: من طريق ابن بويان عن أبي نشيط، وليس فيها القراءة بالإسكان بل بل الضم، قلت: وهذا هو المطابق للتحبير، إذ قال فيه: «وبالإسكان قرأ المؤلف لقالون على أبي الحسن، وبالصلة على أبي الفتح»[٥].

قال المالقي[٦]: «فعبارة التخيير يراعى فيها أصل الرواية عن قالون، وعبارة الخلاف يراعى فيها اختيار القراء من حيث خصوا الإسكان بطريق أبي نشيط، وخصوا الضم بطريق الحلواني – فكأنهما روايتان مختلفتان عن قالون، والله

---

(١) ص ٢٧.

(٢) إبراهيم بن عبد الرازق العجلي، ت ٣٣٩هـ، الغاية ١/ ١٦.

(٣) الجامع ١/ ٤١٥.

(٤) النشر ١/ ٢٧٣.

(٥) تحبير التيسير، ص ٤١.

(٦) عبد الواحد بن محمد الاندلسي، ت ٧٠٥هـ، الغاية ١/ ٤٧٧.

أعلم»[١].

باب ذكر المد والقصر:

قال صاحب التيسير: «وقالون من طريق أبي نشيط بخلاف عنه»[٢].

أطلق الخلف عن أبي نشيط، والتحرير في الخلف..: أن قراءة الداني من طريق أبي نشيط على شيخيه أبي الحسن غلبون، وأبي الفتح فارس، إذ كشف في الجامع أن قراءته بالقصر طريق أبي الفتح، وأن المد طريق أبي الحسن فقال: «... وقالون... من قرائتي على أبي الفتح في جميع طرقه يقصرون المد في ذلك»[٣]، وقال: «ودونهما.. ونافع من رواية أبي نشيط عن قالون عنه من قراءتي على أبي الحسن»[٤]، قلت: فعلى هذا يكون مد المنفصل لقالون، ليس من طريق التيسير بل من الجامع له، فالتيسير فيه طريق أبي الفتح فقط.

قال في النشر: «المرتبة الأولى: قصر المنفصل... وهو أحد الوجهين في التيسير... وبه قرأ الداني على أبي الفتح فارس بن أحمد»[٥]، ثم قال: «والمرتبة الثانية: فوق القصر... لقالون بخلاف عنه فيه، وبهذه المرتبة قرأ له على أبي الحسن من طريق أبي نشيط»[٦] قلت: ومن يتأمل نص ابن الجزري يدرك حقيقة تأمل النصوص وأخذ العلماء لها لذا قال شارح التيسير[٧]: «... فذكر الحافظ في المفردات أنه قرأ لقالون من طريق أبي نشيط على أبي الفتح بترك الزيادة، وعلى أبي

---

(١) الدر النثير ص ١٧٠.

(٢) ص ٣٥.

(٣) جامع البيان ١/ ٤٦٥.

(٤) المصدر السابق ١/ ٤٦٧.

(٥) النشر ١/ ٣٢١.

(٦) المصدر السابق، ١/ ٣٢٢.

(٧) ص، ٣١٢.

الحسن بالزيادة، ولعله إلى هذا أشار بقوله في التيسير.

باب ذكر الهمزتين المتلاصقتين في كلمة:

[حرف] قال في التيسير: «وهشام من قراءتي على أبي الحسن يدخلها في سبعة مواضع.. وفي فصلت ﴿أَئِنَّكُمْ﴾[١] ويسهل الثانية هنا خاصة»[٢].

بين الإمام الداني في هذا النص أن الخلف في حرف فصلت إنما كان من طريق أبي الحسن، وعليه فوجه التسهيل مع الإدخال في حرف فصلت ليس من التيسير بل من الجامع له، قال ابن الجزري: «واختلف عن هشام فروى عنه الفصل في الجميع الحلواني من طريق ابن عبدان، من طريق صاحب التيسير وقراءته على أبي الفتح..... وهو الوجه الثاني في الشاطبية[٣]، وبه قرأ الداني على أبي الحسن».

وكذلك وجه: التحقيق بدون إدخال في الباب كله خارج عن طريق التيسير؛ لأنه من طريق أبي الحسن غلبون، قال في الجامع: «قرأت على أبي الحسن بن غلبون عن قراءته في رواية الحلواني عن هشام بتحقيق الهمزتين معًا من غير فاصل بينهما في جميع القرآن إلا في سبعة مواضع فإنه فصل بين الهمزتين فيها بالألف»[٤].

[حرف] قال في التيسير: «وإذا اختلفا بالفتح والضم، وذلك في ثلاثة مواضع في آل عمران ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم﴾[٥]، وفي (ص) ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ﴾[٦]، وفي القمر ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ﴾[٧]....، وهشام من قراءتي على أبي الحسن يحقق الهمزتين من غير ألفٍ

---

(١) فصلت، آية ٩

(٢) ص ٣٦.

(٣) ١/ ٣١٧. بتصرف.

(٤) جامع البيان ٢/ ٥١٦.

(٥) آل عمران، آية: ١٥

(٦) ص، آية ٨.

(٧) القمر، آية ٢٥.

بينهما، في آل عمران ويسهل الثانية، ويدخل قبلها ألفـًا في الباقيتين كقالون، والباقون: يحققون الهمزتين في ذلك، وهشام من قراءتي على أبي الفتح كذلك، ويدخل بينهما ألفـًا، وبالله التوفيق»(١).

قلت: وهناك وجه آخر لهشام هو من طريق التيسير كشفته من جامع البيان، وهو تسهيل الهمزة الثانية مع الإدخال في المواضع الثلاثة.

قال في الجامع: «... وقرأت له على أبي الفتح من طريق الحلواني في الثلاثة المواضع بالتخيير بين تحقيق الهمزتين معـًا، وبين تسهيل الثانية مع المد في الوجهين»(٢).

قلت: وهو ما نص عليه الإمام ابن الجزري في المذهب التفصيلي، فقال: «.... وانفرد الداني من قراءته على أبي الفتح من طريق الحلواني أيضـًا بوجهٍ رابعٍ وهو: تسهيل الهمزة الثانية مع المد في الثلاثة... فيصير له الخلاف في الثلاثة على خمسة أوجهٍ، والله أعلم»(٣).

باب ذكر مذهب حمزة وهشام في الوقف على الهمز:

قال الداني: «... فإذا تحركت الهمزة وهي متوسطة، فما قبلها يكون ساكنـًا، أو متحركـًا فإن كان ساكنـًا وكان أصليـًا، وسهلتها ألقيت حركتها على ذلك الساكن، وحركتها بها..... نحو (شيئـًا)..... وإن كان زائداً أبدلت، وأدغمت إذا كان ياءً أو واواً نحو قوله ﴿هَنِيٓـًٔا﴾(٤)»(٥).

---

(١) ص ٣٦.

(٢) ٢/ ٥٢٣.

(٣) ١/ ٣٧٦.

(٤) النساء، آية ٤.

(٥) التيسير، ص ٤١.

أطلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التيسير لحمزة بتمامه في هذا الضرب من الهمزة، والتحرير أن وجه الإدغام في الأصلي ليس من طريق التيسير، فقد كشفته من الجامع إذ نص في الأصلي فقط أنه من قراءته على شيخه أبي الفتح، فقال: «وقد كان بعض أهل الأداء يأخذ في هذا الضرب بإبدال الهمزة بياءٍ مع الياء وواو مع الواو، وإدغامهما فيهما، وبذلك قرأت على أبي الفتح شيخنا».

قلت: فقوله: «على أبي الفتح شيخنا» هي رواية التيسير لخلاد فقط ولو شاء لذكر طريق خلف[١].

باب ذكر الإظهار والإدغام للحروف السواكن:

[حرف] قال في التيسير: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾[٢]، واختلف عن قالون»[٣].

سكت الإمام الداني في التيسير عن طريق الخلف، والتحرير فيه: أن الإدغام ليس من طريق التيسير، إذ بين في الجامع أن قراءته من طريق التيسير كانت بالإظهار فقط، فيكون رواية الإدغام خارجة عن طريق التيسير فهي من قراءته على شيخه أبي الحسن، فقال فيه: «فأظهر الباء عند الميم فيه في رواية.... قالون من طريق.. أبي نشيط من قراءتي على أبي الفتح...»[٤]. وكذا نص في المفردات فقال: «وكذلك أقرأنيه أبو الفتح في رواية أبي نشيط بالإظهار..»[٥]. وهو ما نص عليه ابن الجزري بقوله: «وأما قالون فقطع له بالإدغام... وبه قرأ الداني على أبي الحسن، وقطع بالإظهار.. وبه قرأ الداني على أبي الفتح، والأكثرون على تخصيص الإدغام بطريق

---

(١) ٢/ ٥٨٨.

(٢) هود ٤٢.

(٣) ص ٤٤.

(٤) جامع البيان ١/ ٦٥٤.

(٥) المفردات ص ٤١.

أبي نشيط، والإظهار للحلواني[١].

[حرف] قال في التيسير: ﴿يَلْهَثْ ذَّٰلِكَ﴾[٢] اختلف عن قالون، وأدغم الباقون»[٣]. بين الداني في الجامع أن قراءته من طريق التيسير بالإظهار فقط، فقال: «وقالون بخلاف عنه، وأقرأني أبو الفتح من طريق عبد الباقي عن أصحابه عنهما بالإظهار، ومن طريق عبد الله بن الحسين في رواية قالون»[٤].

قلت: فهذه طريق الحلواني، وليست في التيسير، وكلاهما في النشر[٥]، وكذا في المفردات[٦].

[حرف] قال في التيسر: ﴿يَلْهَثْ ذَّٰلِكَ﴾، واختلف عن قالون، وأدغم ذلك الباقون»[٧].

أفاد ظاهر التيسير أن عاصماً له الإدغام في ﴿يَلْهَثْ ذَّٰلِكَ﴾ مع الباقين، والتحرير في هذا الحرف لعاصم على وجه الخصوص: أن له الخلاف من رواية أبي بكر وهذا الخلف من طريق التيسير، وإن لم يذكره فيه، فكشفته من الجامع للداني إذ يقول: «وأقرأني فارس بن أحمد لعاصم من جميع طرقه: من طريق عبد الله: بالإظهار، ومن طريق عبد الباقي: بالإدغام»[٨].

قلت: فطريق عبد الله، وطريق عبد الباقي هما طريقا التيسير عن أبي بكر،

---

(١) النشر ٢/ ١٢.

(٢) الأعراف، ١٧٦.

(٣) ص ٤٢.

(٤) جامع البيان ١/ ٦٥٨.

(٥) المفردات، ص ٤١.

(٦) النشر ٢/ ١٢.

(٧) ص ٤٤.

(٨) جامع البيان ١/ ٦٥٨.

وهما كذلك، طريقا ابن الجزري في نشره.

قال في الطيبة «...يلهث أظهر * حرم لهم نال خلافهم وري»[١]

قال في النشر: «وأما عاصم فاختلفوا عنه أيضـًا فقال الداني في جامع البيان، أقرأني فارس بن أحمد لعاصم في جميع طرقه، من طريق عبد الله يعني: أبا أحمد السامري بالإظهار، ومن طريق عبد الباقي بالإدغام»[٢].

قلت: ولم يقرئني شيخي[٣] بهذا الخلف أخذاً بظاهر التيسير، وكذا كل من قرأ من طريق الشاطبية، والحق: أن الخلف ثابت من التيسير، وطيبة النشر ويجب العمل به في أسانيد التيسير، وإن لم يذكره فيه.

[حرف] قال الداني: ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[٤]، واختلف عن قنبل وعن البزي، وأدغم الباقون»[٥]. ظاهر التيسير إطلاق الخلف عن ابن كثير بتمامه، والتحرير: أن الإدغام ليس من طريق التيسير قال ابن الجزري: «وأطلق الخلاف عن ابن كثير بكماله صاحب التيسير، وتبعه على ذلك الشاطبي، والذي تقتضيه طرقهما هو الإظهار، وذلك أن الداني نص على الإظهار في جامع البيان[٦]، لابن كثير من رواية ابن مجاهد عن قنبل، ومن رواية النقاش عن أبي ربيعة، هذا لفظه، وهاتان الطريقان هما اللتان في التيسير»[٧].

---

(١) طيبة النشر ص ٥٠.

(٢) النشر ٢/ ١٤.

(٣) الشيخ رشاد بن عبد التواب السيسي، عضو مشيخة مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم.

(٤) البقرة، آية ٢٨٤.

(٥) ص ٤٤.

(٦) ٢/ ٦٥٣.

(٧) النشر ٢/ ١٠.

[حرف] قال في التيسير: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا﴾[١]، وأدغم ابن ذكوان في الزاي... وروى النقاش عن الأخفش الإظهار عند الزاي»[٢].

ظاهر التيسير الخلف لابن ذكوان، والتحرير: أن وجه الإدغام خارج عن طريق التيسير؛ لأنه صرح في الجامع بالإظهار من طريق التيسير قال فيه: «وأظهر الدال عند الزاي.. وكذلك روى النقاش... عن الأخفش عن ابن ذكوان، وبذلك أقرأني الفارسي»[٣].

قال ابن الجزري: وروى عنه الصوري، وبعض المغاربة عن الأخفش الإدغام... وقرأ الداني على أبي الحسن بن غلبون، وأبي الفتح فارس»[٤].

باب ذكر الفتح والإمالة وبين اللفظين:

[حرف] قال صاحب التيسير: «روى لي الفارسي عن أبي الطاهر عن أبي عثمان سعيد بن عبد الرحيم الضرير عن ابن عمر عن الكسائي أنه أمال ﴿يُوَٰرِى﴾ و﴿فَأُوَٰرِىَ﴾ في الحرفين في المائدة[٥].. وبذلك آخذ من هذه الطريق، وقرأت»[٦].

قلت: فهذه الطريق ليست من التيسير، وإنما هي اختيار من الداني في التيسير، وهي من طرقه في الجامع.

[حرف] قال الداني: «وتفرد حمزة أيضاً بإمالة فتحة الهمزة إشماماً في قوله تعالى: ﴿أَنَآْ ءَاتِيكَ﴾[٧] في الحرفين في النمل الآيتان: [٣٩ و٤٠]، وبإمالة فتحة العين

---

(١) الملك آية: ٥.

(٢) ص ٤٢.

(٣) جامع البيان ٢/ ٦٢٧.

(٤) النشر ٢/ ٤.

(٥) المائدة: آية ٣١.

(٦) ص ٤٨.

(٧) ص ٤٨.

في قوله ﴿ضِعَٰفًا﴾[١] في النساء الآية ٩، وعن خلاد في هذه الثلاثة المواضع خلاف، وبالفتح آخذ له[٢].

التحرير وجه الإمالة لخلاد في الحرفين ليس من طريق التيسير؛ لأنها من غير طريق أبي الفتح الذي هو طريق التيسير، لذا قال ابن الجزري عن الداني: «وقال: إنه يأخذ بالفتح وقال في جامع البيان: إنه هو الصحيح عنه، وبه قرأ على أبي الفتح، وبالإمالة على أبي الحسن»[٣].

[حرف] قال الداني..... وتابعه ابن ذكوان على إمالة ﴿جَآءَ﴾[٤] و﴿شَآءَ﴾[٥] حيث وقعا، و﴿فَزَادَهُمُ﴾[٦] في أول البقرة، هذه رواية ابن الأخرم عن الأخفش عنه، وروى أبوبكر النقاش عن الأخفش..... أنه أمال ذلك[٧].

أفاد ظاهر التيسير أن للنقاش الفتح في أول البقرة؛ لأن الداني قال: .... في أول البقرة وهذه رواية ابن الأخرم»، فرواية ابن الأخرم هذه خارجة عن طريق التيسير، ثم لما سكت الداني عن طريق النقاش، وذكر طريق ابن الأخرم فُهم ذلك أن الفتح للنقاش من طريق التيسير، والتحرير في هذه المسألة: أن ما ذكره الداني لابن الأخرم هنا خارج عن طريق التيسير فلابن عامر مذهبان في نقل الرواة عنه: مذهب عام حيث وقع لفظ (زاد)، ومذهب خاص وهو في أول البقرة، فهذان المذهبان خارجان عن طريق التيسير، وعليه فإن للنقاش الإمالة في جميع القرآن؛ لأنه صاحب المذهب

(١) النساء: آية ٩.
(٢) النساء: آية ٩.
(٣) ٢/ ٦٤.
(٤) النساء: ٤٣.
(٥) البقرة: ٢٠
(٦) البقرة: ١٠
(٧) ص ٤٨.

العام، وهو ما نص عليه في الجامع، فقال: «..... وروى..... أبوبكر النقاش عن الأخفش..... أنه أمال ذلك في جميع القرآن، وبذلك أقرأني الفارسي عن النقاش[١].

[حرف] قال الداني: «.... فيما تكررت فيه الراء من ذلك نحو ﴿قَرَارٍ﴾[٢]، و﴿ٱلْأَشْرَارِ﴾[٣] و﴿ٱلْأَبْرَارِ﴾[٤]... وقرأ ورش جميع ذلك بين اللفظين، وتابعه حمزة على ما كان من ذلك الراء فيه مكررة وعلى قوله ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾[٥]، حيث وقع، و﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾[٦] لا غير، وأخلص الفتح فيما بقى»[٧].

أفاد ظاهر التيسير أن لحمزة بتمامه التقليل في هذه الألفاظ الخمسة.

والتحرير: أن لخلاد وجهـًا آخر وهو الإمالة فيها من طريق التيسير وهو الذي لم يذكره الداني فيه، وذكره في الجامع[٨]، وهو ما كشفه الامام ابن الجزري في نشره فقال: «فأما حمزة فروى جماعة من أهل الأداء الإمالة عنه من روايتيه.. وبه قرأ الحافظ أبو عمرو على شيخه أبي الفتح فارس بن أحمد في الروايتين جميعـًا، ولم يذكره في التيسير، وهو مما خرج خلف فيه عن طرقه، وذكره في جامع البيان[٩].

قلت: أما قول ابن الجزري: «وهو مما خرج خلف فيه عن طرقه»، أي عن طريق التيسير أي أن الإمالة ليست له من التيسير؛ لأنها من قراءة الداني على غير ابن غلبون.

---

(١) الجامع ٢/ ٧١٤.

(٢) إبراهيم: ٢٦.

(٣) ص: ٦٢.

(٤) آل عمران، ١٩٣.

(٥) يوسف، ٣٩.

(٦) إبراهيم، ٢٨.

(٧) ص ٤٩.

(٨)٢/ ٧٢٠.

(٩) النشر ٢/ ٥٨.

[حرف] قال الداني: «وأمال ابن ذكوان من قراءتي على فارس بن أحمد، وعلى أبي القاسم الفارسي ﴿ٱلْحِمَارِ﴾[١] و﴿إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾[٢]، لاغير، وقرأ الباقون بإخلاص الفتح[٣].

التحرير: طريق الداني من قراءته على فارس بن أحمد ليس من طريق التيسير، ومن العجيب أخذ قراء الشاطبية بالخلف لابن ذكوان في هذين الحرفين على تلاميذهم بالفتح والإمالة، تبعاً للشاطبي، فوجه الفتح لابن ذكوان لا أصل له من طريق التيسير بل هو من طرق الداني في جامع البيان[٤]؛ لإنه من طريق ابن الأخرم من قراءة الداني على شيخه ابن غلبون، وهو طريق النشر لابن الجزري، لذا قال عن طريق التيسير: «وبالإمالة قطع لابن ذكوان بكماله.. وصاحب التيسير»[٥].

قلت: وعليه فلا يصح خلف ابن ذكوان في هذه المسألة من طريق التيسير.

[حرف] قال الداني: «وتفرد ابن ذكوان في قراءتي على أبي الفتح بالإمالة في قوله ﴿عِمْرَٰنَ﴾[٦] و﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾[٧] حيث وقعا، و﴿مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ﴾[٨]، و﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٩] في الحرفين.....، وقرأت على الفارسي عن النقاش بإمالة الراء من ﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾ حيث وقع فقط، وقرأت على أبي الحسن بإمالة الراء من ﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾

---

(١) الجمعة: ٥.
(٢) البقرة: ٢٥٩.
(٣) ص ٤٩.
(٤) ٢/ ٧٣٠.
(٥) ٢/ ٥٦.
(٦) آل عمران، ٣٣.
(٧) آل عمران، ٣٧.
(٨) النور: ٣٣.
(٩) الرحمن: ٢٧.

في موضع الخفض، وهما موضعان في آل عمران، ومريم، وقرأ الباقون بإخلاص الفتح.

والتحرير على ما سبق: أن طريق أبي الحسن ليس من التيسير، وعليه فليس للأخفش من طريق التيسير في ما سبق من الألفاظ الأربعة إلا إمالة ﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾ كيف وقع، وبأي إعراب كان وبقية الألفاظ ليس له فيها إلا الفتح فقط: وأما ما أخذ به قراء الشاطبية على تلاميذهم من الخلف لابن ذكوان في موضع النصب من لفظ ﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾ في آل عمران، و(ص) هو خروج منهم عن طريق التيسير؛ لأنه من قراءة الداني على الفارسي، ومن غير طريق النقاش أصلاً، وحرره صاحب النشر كذلك(١).

وقد كشفته من الجامع إذ قال فيه: «وأقرأني عبد العزيز بن جعفر عن قراءته على أبي بكر النقاش عن الأخفش عنه بإمالة ﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾ وحده حيث وقع، وبأي إعراب كان، وبإخلاص الفتح فيما عداه من ذلك(٢).

[حرف] قال الداني في التيسير: وتفرد الكسائي.. بالإمالة في قوله: ﴿هُدَاىَ﴾(٣) و﴿مَثْوَاىَ﴾(٤) و﴿وَمَحْيَاىَ﴾(٥)، وفتح الباقون ذلك كله»(٦).

أفاد ظاهر التيسير أن لورش الفتح فقط في هذه الألفاظ، والتحرير: ما كشفه ابن الجزري بأن له: الفتح، وبين بين فقال: «ظاهر عبارة التيسير في ﴿هُدَاىَ﴾ في البقرة، وطه و﴿وَمَحْيَاىَ﴾ في الأنعام، و﴿مَثْوَاىَ﴾ في يوسف: الفتح لورش من

(١) ٢/ ٦٤.

(٢) ٢/ ٧٣٩، النشر ٢/ ٦٤.

(٣) البقرة آية ٣٨.

(٤) يوسف: ٢٣.

(٥) الأنعام: ١٦٢.

(٦) ص ٤٧.

طريق الأزرق، وذلك أنه لما نص على إمالتها للكسائي من رواية الدوري عنه في الفصل المختص به وأضاف إليه ﴿رُءۡيَاكَ﴾[١]، نص بعد ذلك على إمالة ﴿رُءۡيَاكَ﴾ بين بين لورش، وأبي عمرو دون الباقي، وقد نص في باقي كتبه على خلاف ذلك، وصرح به نصاً في كتاب «الإمالة» وهو الصواب خلافاً لمن تعلق بظاهر عبارته في التيسير والصواب إدخال ذلك في الضابط المتقدم في باب الإمالة فيؤخذ له بين بين بلا نظر، والله أعلم»[٢].

[حرف] قال في التيسير: «وتفرد ابن ذكوان في قراءتي على أبي الفتح بالإمالة في.. و﴿مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ﴾[٣] كشف الإمام ابن الجزري عن هذه الرواية بأنها منقطعة عن التيسير، وليست منه فقال: «وذكره في التيسير من قراءته على أبي الفتح، ولكنه منقطع بالنسبة إلى التيسير، فإنه لم يقرأ على أبي الفتح بطريق النقاش عن الأخفش التي ذكرها في التيسير»[٤].

قلت: وهو مصداق قول الداني في الجامع: «وأقرأني عبد العزيز بن جعفر عن قراءته على أبي بكر النقاش عن الأخفش عنه... بإخلاص الفتح فيما عداه من ذلك»[٥].

باب ذكر مذهب ورش في الراءات مجملاً:

قال في التيسير: «اعلم أن ورشاً كان يميل فتحة الراء قليلاً بين اللفظين إذا وليها من قبلها كسرة لازمة، أو ساكن قبله كسرة، أو ياء ساكنة نحو...»[٦].

---

(١) يوسف: ٥

(٢) النشر ٢/ ٥٠.

(٣) النور، آية: ٣٣.

(٤) النشر ٢/ ٦٥

(٥) جامع البيان ٢/ ٧٣٩.

(٦) ص٥١.

أفاد ظاهر التيسير أن الإمالة لورش فيما سبقه ياء ساكنة نحو ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾[١] وقبله كسر والتحرير: أن وجه التقليل خارج عن طريق التيسير، قال ابن الجزري»: وقطع به في التيسير فخرج عن طريقه فيه، والوجهان جميعـًا في جامع البيان»[٢].

باب الوقف على مرسوم الخط:

قال في التيسير: «وتفرد البزي بزيادة هاء السكت عند الوقف على (ما) إذا كانت استفهامـًا، ووليها حرف جر نحو: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾[٣].... وشبهه، فيقف ﴿فلِمَهْ﴾.. ووقف الباقون على الميم ساكنة»[٤].

قلت: فهذه الرواية ليست من طريق التيسير؛ لأنها قراءة الداني على أبي الحسن من طريق الخزاعي، وقد كشفته من كتاب المفردات[٥]، ومن الجامع له، ومن التحبير، فقال في الجامع: «وبهذا قرأت على أبي الحسن من قراءته في رواية البزي.. وقرأت على... الفارسي عن قراءته في رواية البزي بغير هاء كسائر القراء»[٦].

وبعد أن ذكر في التحبير أنه قرأ بها على أبي الحسن قال الداني فيه: «وسألت عن ذلك فارس بن أحمد عند قراءتي فلم يعرفه في مذهب ابن كثير[٧].

قلت: فتبين من خلال النصوص السابقة أن طريق التيسير، وهي طريق النقاش، إنما كانت بغير (ها)، كما أشار الداني في سنده السابق، وبالله التوفيق، ثم إني

---

(١) التوبة، آية ٢٤.

(٢) النشر ٢/ ٩٧.

(٣) البقرة، آية ٩١.

(٤) ص ٥٥.

(٥) ص ١٨٧.

(٦) ١/ ٨٢٤.

(٧) الدر النثير ص٦٠٢.

بعد تحرير هذه المسألة وقفت على ما تطمئن إليه النفس من تأكيد ابن الجزري لهذه المسألة فلله الحمد والمنة أن وافق تحريرها إمامنا الأكبر حينما قال: «وأطلق للبزي الخلاف في الخمسة أبو القاسم الشاطبي، والداني في غير التيسير، وبالهاء قرأ على أبي الحسن بن غلبون، وبغير هاء قرأ على أبي الفتح فارس بن أحمد، وعبد العزيز بن جعفر الفارسي، وهو من المواضع التي خرج صاحب التيسير فيها عن طرقه، فإنه أسند رواية البزي عن الفارسي هذا، وقطع فيه بالهاء عن البزي، ولم يقرأ بالهاء إلا على ابن غلبون كما نص في جامع البيان[١].

باب ذكر مذهب حمزة في السكوت على الساكن قبل الهمزة:

قال في التيسير: «اعلم أن حمزة من رواية خلف كان يسكت على الساكن... نحو: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾[٢]، و﴿ٱلْأَرْضِ﴾[٣]...﴿شَيْءٍ﴾[٤]، و﴿شَيْـًٔا﴾[٥]... وقرأت على أبي الحسن في الروايتين بالسكوت على لام المعرفة، وعلى ﴿شَيْءٍ﴾[٦]، و﴿شَيْـًٔا﴾. حيث وقعا لا غير، وقرأ الباقون بوصل الساكن مع الهمز من غير سكت[٧].

ومن قوله في الجامع: «وقرأت على أبي الفتح في رواية خلاد عن سليم بغير سكت على ما كان مع الهمزة من كلمتين، وعلى لام المعرفة»[٨].

---

(١) ٢/ ١٣٤.

(٢) جامع البيان ٢/ ٦٢٠.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٦٢٠.

(٤) البقرة، آية: ٢٠.

(٥) البقرة، آية: ٤٨.

(٦) البقرة، آية: ٤٨.

(٧) ص ٥٦.

(٨) ص ٥٦.

وقوله: «وقرأت على أبي الحسن عن قراءته في روايتيه بالسكت على لام المعرفة خاصة»[١]

تبين لنا مما سبق أن وجه الخلف لخلف على المفصول، وخلف خلاد على (أل) والذي قرأنا به على مشايخنا ليس من طريق التيسير؛ لأنه من طريق أبي الحسن، وهي طريقه في الجامع.

باب ذكر فرش الحروف:

سورة البقرة:

[حرف] قال في التيسير: «البزي يشدد التاء... وزادني أبو الفرج النجاد المقرئ[٢] عن قراءته على أبي الفتح.. موضعين في آل عمران ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ﴾[٣]، وفي الواقعة ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ﴾[٤].

قلت: فهذه الرواية ليست من طرق التيسير، وهي من اختيارات الداني في التيسير مما قرأ به وروى؛ لأن طريق التيسير عن البزي هي من طريق النقاش عن أبي ربيعة، وهذه الرواية طريق الزينبي[٥] عن أبي ربيعة.

[حرف] قال في التيسير: «وروى أبو نشيط عن قالون إثباتها مع الهمزة المكسورة في قوله ﴿إِنْ أَنَا﴾[٦].. والباقون يحذفون الألف في الوصل خاصة، وكلهم يثبتها في الوقف»[٧].

---

(١) ص ٥٦.

(٢) محمد بن عبد الله النجاد، مات بعد ٤٠٠ هـ، الغاية ٢/ ١٨٨.

(٣) البقرة، آية ١٤٣.

(٤) البقرة، آية ٦٥.

(٥) محمد بن موسى الهاشمي، ت ٣١٨هـ، الغاية ٢/ ٢٦٧.

(٦) البقرة، آية: ١٨٨.

(٧) ص ٧٠.

اقتصر في التيسير على إثبات الألف لأبي نشيط، والتحرير: أن له الخلف من طريق التيسير: الحذف والإثبات؛ لذا قال ابن الجزري في التحبير: «قلت: من قراءته على أبي الحسن، وقرأ على أبي الفتح بالوجهين»(١).

قال أبو شامة: «وفيما بعده همزة مكسورة خلاف عن قالون، والمشهور عنه الحذف»(٢).

وأما من جهة الأداء، قال الداني في الجامع: «وقرأت أنا ذلك في رواية أبي نشيط على أبي الفتح بالوجهين بالإثبات والحذف»(٣).

وعليه فالخلف ثابت من طريق التيسير، وإن لم يذكره فيه.

[حرف] قال في التيسير: «﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾(٤)، وقرأت لابن ذكوان في البقرة خاصة بالوجهين»(٥).

أفاد ظاهر التيسير الخلف لابن ذكوان، والتحرير فيه: أن وجه إثبات الألف في حرف ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ من غير طريق التيسر؛ لأنها طريق ابن الأخرم، وهي طريقه في جامع البيان، إذ قال فيه: «وذكر النقاش في كتابه أنه قرأ على الأخفش جميع ما في القرآن بالياء، وبذلك أقرأني أبو القاسم الفارسي عنه عن الأخفش، وبه قرأت على أبي الفتح عن قراءته في جميع الطرق عن الأخفش، وقرأت على أبي الحسن بن غلبون من طريق ابن الأخرم عن الأخفش جميع مافي البقرة بالوجهين: بالألف، وبالياء»(٦).

---

(١) ص ٩٤.

(٢) إبراز المعاني ٢/ ٣٦٦.

(٣) جامع البيان ٢/ ٩٢٥.

(٤) البقرة، آية: ١٢٤.

(٥) ص ١٦.

(٦) جامع البيان ٢/ ٨٨٧.

سورة آل عمران:

[حرف] قال في التيسير: ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾[١] نافع، وحمزة: بين اللفظين، والباقون بالفتح، وقد قرأت لقالون كذلك»[٢].

أفاد ظاهر التيسير الخلف لقالون، والتحرير: أن وجه الإمالة بين بين خارج عن طريق التيسير؛ لأنه طريق الحلواني، وهو طريقه في الجامع من قراءته على شيخيه ابن غلبون، وأبي الفتح، وقد نص في الجامع على أن وجه الفتح هو الموافق لطريق التيسير فقال: «وقرأت على أبي الفتح عن قراءته على عبد الباقي بن الحسن المقرئ عن أصحابه.. بإخلاص الفتح»[٣].

لذا قال ابن الجزري عن ذكر الخلف في التيسير: «وذكره غيره فيه خروج عن طريقه»[٤].

[حرف] قال في التيسير: «هشام من قراءتي على أبي الفتح ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾[٥] بالياء، والباقون بالتاء»[٦].

قلت: قراءة هشام بالياء، التي ذكرها في التيسير ليست من التيسير في شيء، والتحرير فيها: أن قراءة التاء هي طريق التيسير، واغتر البعض بظاهر التيسير عندما قال الداني: «من قراءتي على أبي الفتح.. بالياء»، فأطلق قراءته على أبي الفتح ولم يبين من أي طريق، وقد كشفته من الجامع قال فيه: «وأقرأني ذلك من قراءته على

---

(١) آل عمران، آية ٣.

(٢) ص ٧٢.

(٣) جامع البيان ٣/ ٩٥٦.

(٤) النشر ٢/ ٦١.

(٥) آل عمران، آية ١٦٩.

(٦) ص ٧٦.

عبد الله بن الحسين عن أصحابه عن الحلواني عن هشام بالتاء»[١].

قلت: فهذه طريق التيسير، وهو ما أكده ابن الجزري في نشره إذ قال: «ورواه ابن عبدان عن الحلواني بالتاء على الخطاب، وهي قراءة الداني على أبي الفتح عن قراءته على عبد الله الحسين عن ابن عبدان»[٢].

وأما ما ذكره الداني في التيسير فليس من طريق التيسير؛ لأنه من قراءته على أبي الفتح لكن من طريق أبي طاهر، وعبد الباقي، وكذا طريق الأزرق الجمال عن الحلواني وكذا طريق الحسن بن العباس[٣] عن الحلواني، وكلها خارجة عن طريق التيسير وعليه فإنه يتعين على من يتمسك بالتحريرات على الشاطبية، من مشايخ الإقراء أن يتحول من الياء إلى التاء، وأن يَطَّرِحَ خلف الشاطبي وإلا خالف مذهب شيوخه في تحرير الشاطبية، والذي لا يصح تقعيده أصلاً؛ لأنه بني على الأخذ بظاهر نصوص الإمام ابن الجزري.

سورة الأنعام:

[حرف] قال في التيسير: «﴿ رَءَا كَوۡكَبٗا ﴾[٤] وأبو عمرو بإمالة الهمزة فقط، وقد روي عن أبي شعيب مثل حمزة، والباقون بفتحهما، ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ ﴾[٥] وقد روى خلف عن يحيى عن أبي بكر، وغير واحد عن أبي شعيب بإمالة فتحة الراء، والهمزة في ذلك كالأول، قال أبو عمرو، وقد قرأت بذلك في روايتهما»[٦].

قلت: فعلى ظاهر التيسير فإن كلاً من:

---

(١) جامع البيان ٣/ ٩٩٤.

(٢) النشر ٢/ ٢٤٤.

(٣) جامع البيان ٣/ ٩٩٤.

(٤) الأنعام، آية ٧٦.

(٥) الأنعام، آية ٧٧.

(٦) ص٨٦.

(أ) إمالة الراء قبل متحرك وصلاً للسوسي.

(ب) إمالة الراء والهمزة قبل ساكن وصلاً للسوسي.

(ج) إمالة الهمزة قبل ساكن وصلا لشعبة.

هي من طرق التيسير لوجودها بين دفتيه، والتحرير: أن هذه الأوجه الثلاثة ليست كما دل ظاهر التيسير من طريق التيسير للداني بل هي طرقه في الجامع؛ لأنه نبه في الجامع فيما يتعلق بالسوسي أنهما من غير طريق أبي عمران النحوي(١).

قال الداني في التنبيه، والموضح: «وقرأت على أبي الفتح عن قراءته في رواية أبي شعيب السوسي بإمالة فتحة الراء والهمزة جميعًا، قال لي أبو الفتح: «وإنما اختار فتح الراء أبو عمران موسى بن جرير خالف في ذلك أبا شعيب»(٢).

وأما رواية شعبة، فهي ليست من طريق التيسير كذلك؛ لأنها رواية الداني في غيره من طريق إدريس بن عبد الكريم الحداد عن خلف(٣).

[حرف] قال في التيسير: «ابن عامر بخلاف عن هشام ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾(٤) بتخفيف النون، والباقون بتشديدها»(٥).

أفاد ظاهر التيسير الخلف لهشام، والتحرير: أن وجه التثقيل خارج عن طرق التيسير؛ لأنه من قراءة الداني على غير عبد الله بن الحسين، وهي طريق الداني في الجامع قال فيه: «وقرأت ذلك على أبي الفتح أيضًا في رواية هشام بتخفيف النون كابن ذكوان وحكى لي عن قراءته على عبد الله بن الحسين عن أصحابه عن

---

(١) جامع البيان ٣/ ١٠٥٢.

(٢) ذكر ذلك السخاوي في فتحه ١/ ٢٢٥.

(٣) جامع البيان ٣/ ١٠٥٢.

(٤) الأنعام، ٨٠.

(٥) ص ٩٦.

الحلواني»[١].

لذا قال ابن الجزري عن طريق التيسير: «واختلف عن هشام، فروى ابن عبدان على الحلواني..... بالتخفيف، كذلك وبذلك قرأ الداني على أبي الفتح من قراءته على أبي أحمد»[٢].

[حرف] قال في التيسير: «﴿وَمَحْيَايَ﴾[٣] سكّنها نافع بخلاف عن ورش، والذي أقرأني به ابن خاقان عن أصحابه عنه بالإسكان، وبه آخذ»[٤]

التحرير: قيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الخلف، وأوضح أن الإسكان هي طريق التيسير، وعليه تكون قراءة الفتح خارجة عن طريق التيسير، وهو الموافق لعزو الطرق.

سورة الأعراف:

[حرف] قال الداني: .....، وابن عامر ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[٥]، وفي الزخرف ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[٦] بفتح التاء، وضم الراء فيهما»[٧]

قال ابن الجزري في الموضع الوحيد من النشر: «واختلف عنه في حرف الروم فروى.... أبو القاسم عبد العزيز الفارسي.. عن النقاش عن الأخفش عنه: فتح التاء، وضم الراء... وبذلك قرأ الداني على شيخه عبد العزيز الفارسي عن النقاش كما ذكره في المفردات ولم يصرح به في التيسير هكذا، ولا ينبغي أن يؤخذ من التيسير

(١) جامع البيان ٣/ ١٠٥٣.
(٢) النشر ٢/ ٣٥٩.
(٣) الأنعام، ١٦٢.
(٤) ص ٩٠.
(٥) الأعراف، آية ١٩.
(٦) الأعراف، آية ١١.
(٧) ص ٩٠.

بسواه، والله أعلم»[١]

قلت: من خلال نص الإمام ابن الجزري السابق يتبين أن فتح التاء، وضم الراء في حرف الروم هو طريق التيسير؛ لأن الداني صرح في المفردات بذلك من قراته على الفارسي ولم يصرح بذلك في التيسير، وعليه لا ينبغي أن يؤخذ من التيسير بسواه إلا أنه ومن خلال تدبر النصوص، والرجوع لطرق الإمام ابن عامر في كتب المتقدمين وجدت خلاف ما ذكره الإمام ابن الجزري، وبيان ذلك من خلال الوقفات التالية:

الأولى: أن اعتماد الإمام ابن الجزري بأن (فتح التاء، وضم الراء)، كان منصباً على كتاب المفردات للداني فقط، بمعنى أن الإمام ابن الجزري لم يذكر الجامع للداني لا في النشر، ولا التقريب، ولا التحبير، وهو بيت القصيد إذ أثبت الإمام الداني في جامعه الخلف في الروم لابن ذكوان من طريق النقاش الذي هو طريق التيسير أيضاً فقال في سياق واحد عن طريق النقاش ما يلي: «وروى الشاميون، والنقاش عن الأخفش.... عن ابن ذكوان هاهنا، وفي الزخرف: بفتح التاء وضم الراء، وفي الروم، والجاثية بضم التاء.... وزاد النقاش عن الأخفش عن ابن ذكوان الموضع الذي في الروم فرواه بفتح التاء وضم الراء»[٢]

الثانية: أن الإمام ابن الجزري بعد أن اعتمد كتاب المفردات للداني فقط، والذي فيه ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ بفتح التاء وضم الراء... وزادني الفارسي عن النقاش عن الأخفش الحرف الذي في الروم»[٣] استوقفه تنصيص الداني بأن حرف الروم في قراءته على الفارسي عن النقاش فسبق إلى ذهنه أن هذه طريق التيسير، فحكم بعدم

---

(١) ٢/ ٢٦٨.

(٢) ٣/ ١٠٨٣.

(٣) ص ٣١٩.

الأخذ بسواها، فهذا مما يؤيد عدم اطلاع الإمام ابن الجزري على نص الداني في الجامع:

الثالث: أن الإمام ابن الجزري أكّدَ نفس عبارته أقصد: عدم الأخذ بغير الفتح، في الروم، في كتابه تحبير التيسير[١]، مما يدل أن كتاب الجامع: إما أن تكون عبارة الداني ساقطة عنده، أو لم يطلع على جامع الداني في هذه المسألة، والعلم عند الله.

الرابعة: أن لفظ الداني «وزادني» فيه دلالة كبيرة على أن الزيادة تكون على شيء موجود، فيزاد عليه آخر، وإلا لما كان للفظ الزياده وجه، وهذا هو الموافق لنصه السابق في الجامع، فبعد أن قدم الضم للنقاش، قال الداني: وزاد النقاش الفتح في الروم ولأن الإمام ابن الجزري لم يطلع على نص الجامع الذي أثبت فيه الضم للنقاش جعل ابن الجزري كلام الداني «وزادني في الفارسي» من باب التخصيص في حرف الروم فقط.

الخامسة: أن الطرق عن ابن ذكوان هي الفصل، فقد استقصيت طرق ابن ذكوان في كتب المتقدمين مما يوافق النشر، والتيسير، وجامع الداني، وتبين لي والحمد لله ثبوت الخلف لابن ذكوان من طريق النقاش الذي هو طريق التيسير، والشاطبية، وطيبة النشر، وليس كما ذهب الإمام ابن الجزري بأن الفتح هو طريق التيسير فقط، وإليك الشواهد:

١- فهذا أبو معشر الطبري في تلخيصه يثبت للنقاش عن الأخفش: الضم في حرف الروم[٢].

---

(١) ص ١٦٠.

(٢) من طريق الأخفش ومحمد بن موسى، فأما الأخفش من طريق النقاش وهو الموافق للتيسير والجامعن والنشر، ص ٢٦٥

٢- وهذا صاحب التجريد، يثبت للنقاش عن الأخفش من ثلاثة طرق ضم التاء[١].

٣- وهذا الإمام الماكي في روضته يثبت للنقاش عن الأخفش من ثلاثة طرق ضم التاء قولاً واحداً[٢].

٤- وهذا الإمام القلانسي في كفايته، يثبت من طريق النقاش عن الأخفش الضم في حرف الروم[٣].

٥- وهذا الإمام ابن بليمه في تلخيصه يثبت الضم للنقاش كذلك[٤].

٦- وكذا الإمام الواسطي صاحب الكنز في القراءات العشر، يثبت عن طريق المصريين، وهو طريق الداني، بل ومن طريق قراءة الداني على شيخه الفارسي التي هي أصل التيسير بالضم في الروم[٥].

٧- وكذا ابن فارس في جامعه يأخذ بالضم قولاً واحداً[٦].

لذا قال المالقي في شرح التيسير عن نص الداني: «وكذلك قال النقاش عن الأخفش هنا خاصة» هذا التقييد يقتضي أنه يقرؤه أيضـاً بضم التاء، وفتح الراء، كما

---

(١) سلامة بن هارون، وأبو عمران موسى، والنقاش، كلهم عن الاخفش عن ابن ذكوان، والأخيرة موافقة للتيسير، والجامع، والنشر، ص ٢٢٤..

(٢) طريق هبة الله، ومحمد بن موسى، والنقاش، كلهم عن الأخفش، والأخيرة هي طريق التيسير، والجامع، والنشر، ٢/ ٦٦٦.

(٣) من طريقي الحمامي والنهرواني، وهما طريقا النشر لابن الجزري. ص ٢٥٤

(٤) من طريق الزيدي عن النقاش كما في أسانيد النشر، ص ٧٣.

(٥) ص ١٥٩.

(٦) من طريق هبة الله، والنقاش، عن الأخفش، والثانية طريق التيسير، والجامع، والنشر، ورقة ٧٨.

نقل الشيخ والإمام»[١].

وقال السخاوي في شرحه على القصيدة في خلف ابن ذكوان في الروم: «بخلف مضى»: روى أبو عمرو عن الفارسي عن النقاش عن الأخفش ﴿ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴾ في الروم تلاوة، ولم يُرْو ذلك من غير هذا الطريق»[٢].

وقال الجعبري في خلف ابن ذكوان في الروم: «بخلف مضى»: وهو معنى قول التيسير في الروم، وكذلك النقاش هنا»[٣].

ولقد سررت كثيراً بعد فراغي من تحرير هذه المسألة عندما وقع نظري على نص الإمام المتولي، قال فيه: وروى النقاش عن الأخفش... بفتح التاء وضم الراء... من طريق القاسم عبد العزيز الفارسي عنه، وهو أحد الوجهين من التيسير، والشاطبية، .... وله أيضـًا ضم التاء وفتح الراء، وهو ايضـًا من التيسير، والشاطبية[٤]، فلله الحمد والمنة.

قلت: وقد أشكل كلام الإمام ابن الجزري في نشره على بعض المقرئين، كالشيخ عبد الفتاح القاضي حينما منع من القراءة بالخلف في الروم تبعـًا لابن الجزري قال: «.... لكن الذي حققه صاحب النشر أن طريق الأخفش، وهي طريق الشاطبية بفتح التاء، وضم الراء...»[٥].

[حرف] قال في التيسير: «﴿ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾[٦]، أثبتها في الحالين هشام

---

(١) ص ٦٧٩

(٢) ٢/ ٢٢٧.

(٣) ٣/ ١٥٨٥

(٤) الروض النضيد، ص ٥٠٣.

(٥) ص ٢٤٨.

(٦) الأعراف، ١٩٥.

بخلاف عنه»[١].

ظاهر التيسير الخلف لهشام والتحرير: أنه وجه الحذف في الحالين ليس من طريق التيسير؛ لأنه من طريق ابن عباد في رواية هشام، فيكون وجه الإثبات في الحالين هو طريق التيسير فقط، لذا فقال في الجامع: «بإثبات الياء في الحالين وبذلك قرأت عليه»[٢].

قلت: أي: من قراءته على شيخه أبي الفتح عن قراءته على عبد الله بن الحسين عن أصحابه عن الحلواني وهشام، وهي طريق التيسير.

سورة الأنفال:

قال الداني: «﴿أَرَىٰكَهُمْ﴾[٣]،.... أقرأني ابن خاقان، وأبو الفتح من قراءتهما في روايته عن ورش الباب كله بين اللفظين، وهو الصحيح عن ورش نصاً وأداءً، وبه آخذ»[٤].

التحرير: بين هذا النص أن فتح ﴿أَرَىٰكَهُمْ﴾ ليس طريق التيسير؛ لأنها قراءته على أبي الفتح فارس، قال ابن الجزري: «فقطع له بالفتح... وبه قرأ الداني على أبي الفتح فارس، وقطع، بين بين... التيسير»[٥].

سورة التوبة:

قال في التيسير: «قرأ... ابن عامر ﴿أَئِمَّةَ﴾[٦] بهمزتين حيث وقع، وأدخل

---

(١) ص ٩٥.

(٢) جامع البيان ٣/ ١١٣٢.

(٣) الأنفال، ٤٣.

(٤) جامع البيان ٢/ ٦٩٩.

(٥) النشر ١/ ٤١.

(٦) التوبة، آية ١٢.

هشام من قراءتي على أبي الفتح بينهما ألفـًا»[١].

ظاهر التيسير أن هذه الرواية من طريق الكتاب، والتحرير: أن رواية الإدخال عن هشام ليست من طريق التيسير، فقراءة الداني هذه على أبي الفتح من طريقي: أبي الحسن المقري، وأبي طاهر، وقد كشفته من الجامع له فقال فيه: «وأدخل هشام عن ابن عامر من قراءتي على فارس بن أحمد عن قراءته على أبي الحسن المقري في رواية الحلواني عنه، وعن قراءته على أبي طاهر في رواية ابن عباد عنه: بين الهمزتين ألفـًا»[٢]. ثم بين الداني طريق التيسير فقال: «وقرأت عليه من قراءته على ابن حسنون المقرئ عن ابن عبدان عن الحلواني عنه: بغير ألف بينهما»[٣].

قال ابن الجزري: «وفي التيسير من قراءته على أبي الفتح يعني: من طريق ابن عبدان، وأما من طريق ابن عبدان، فلم يقرأ عليه إلا بالقصر، كما صرح بذلك في جامع البيان، وهذا من جملة ما وقع له فيه خلط طريق بطريق»[٤].

سورة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال الداني: «قنبل ﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم﴾[٥] بغير ألف بعد اللام، وكذلك روى النقاش عن أبي ربيعة عن البزي، وبذلك أقرأني أبو القاسم عنه، والباقون بالألف»[٦].

أفاد ظاهر النص أن الخلف للبزي، والتحرير في هذا الحرف: أن أبا عمرو

---

(١) ص ٩٦.

(٢) جامع البيان ٣/ ١١٤٦.

(٣) المصدر السابق ٣/ ١١٤٧.

(٤) النشر ١/ ٣٨٠.

(٥) يونس، آية ١٦.

(٦) ص ٩٩.

الداني لم يذكر خلفاً عن البزي من طريق التيسير لا في الجامع[١]، ولا التيسير ولا في المفردات[٢]، بل ولم يقرأ بالخلف للبزي من طريق التيسير والمتمعن في نص التيسير يدرك أنه مقيد. قال في الجامع: «وكذلك روى... النقاش عن أبي ربيعة وبذلك أقرأني الفارسي عنه في رواية البزي»[٣].

وعليه: فما أخذ به قراء الشاطبية، وتحريراتها على تلاميذهم من القراءة بالخلف للبزي خروج منهم عن طرق التيسير، فليس للبزي من طريق التيسير إلا الحذف، وأما الإثبات له فهو من قراءة الداني على غير الفارسي من طريق ابن الحباب[٤]، من قراءته على شيخه أبي الفتح فارس، وأبي الحسن بن غلبون، قال ابن الجزري بعد أن بين رواية التيسير: «وروى ابن الحباب عن البزي إثبات الألف... وبذلك قرأ الداني على شيخيه أبي الحسن بن غلبون، وأبي الفتح فارس»[٥].

وقال شارح كتاب التيسير: «وكذلك روى النقاش عن أبي ربيعة عن البزي يعني حذف الألف، وهذا التقيد يقتضى أنه قرأ أيضاً من غير هذا الطريق بإثبات الألف[٦].

قلت: وعلى ضوء هذا وما سبق من اضطراب للمحرين على الشاطبية ينبغي من وقفة جادة لأهل الفن من منهج تبعوا فيه تعليقات الإمام ابن الجزري في أشياء مخصوصة ثم عمموا الحكم بعد ذلك دون أن يكون الإمام ابن الجزري أراده، مما جعل بعض الشيوخ يجيز وآخر يمنع.

(١) جامع البيان ٣/ ١١٧١.

(٢) ص ١٢٥.

(٣) جامع البيان ٢/ ١١٧١.

(٤) الحسن بن الحباب بن مخلد، ت ٣٠١هـ، الغاية ١/ ٢٠٩.

(٥) النشر ٢/ ٢٨٢.

(٦) الدر النثير، ص ٦٤٧.

سورة هود:

قال الداني في التيسير: «﴿أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ﴾[١] فتحها.. ابن ذكوان»[٢].

أفاد ظاهر التيسير: «أن الفتح لابن ذكوان بتمامه، والتحرير: أن وجهاً آخر لهشام هو من طرق التيسير، إلا أنه لم يذكره فيه، وقد كشفته من الجامع له قال فيه: ﴿أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ﴾، وفتحها.. وابن ذكوان في رواية ابن ذكوان، ... وقد روى لي أبو الفتح عن قراءته عن هشام عن ابن عامر فتحها، وعلى الإسكان العمل في روايته»[٣].

قلت: فرواية أبي الفتح عن هشام عن ابن عامر هي طريق التيسير إذ روى عنه الإسكان، والفتح بدليل قوله: «وعلى الإسكان العمل في روايته» يعني أبا الفتح.

وهذا ما أكده ابن الجزري من أن الفتح والإسكان كلاهما طريق التيسير قال: «واختلف عن هشام فقطع الجمهور له، بالفتح... وبه قرأ الداني على شيخه أبي الفتح... وقطع بالإسكان له صاحب... التيسير، وهو اختيار الداني»[٤].

سورة يوسف:

[حرف] قال في التيسير: «ابن ذكوان ﴿هَيۡتَ لَكَ﴾[٥] بكسر الهاء من غير همز وفتح التاء وهشام كذلك إلا أنه يهمز، وقد روي عنه ضم التاء»[٦].

أثبت ظاهر التيسير الخلف لهشام وهما: ضم التاء، وفتحها مع الهمز، والتحرير: أن كلا الوجهين ليس من طريق التيسير، وبيان ذلك كالتالي:

---

(١) هود: آية ٩٢.

(٢) ص ١٠٣.

(٣) جامع البيان ٣/ ١٢١٢.

(٤) النشر ٢/ ١٦٦.

(٥) يوسف، آية: ١٢.

(٦) ص ١٠٤.

فأما وجه: كسر الهاء، وبالهمز وضم التاء، فهي رواية ابن عباد[١]، وهو ما صرح به في جامع البيان فقال: «بكسر الهاء، وبالهمز، وضم التاء، وكذلك روى إبراهيم بن عباد عن هشام»[٢]، وذكر في المفردات: «أنه قرأ به في رواية إبراهيم بن عباد عنه»[٣].

وأما وجه: فتح التاء مع الهمز، والذي هو طريق التيسير، والمفترض أن يكون طريقه فيه. فإن الإمام الداني اطّرح هذه الرواية، ونسب الوهم فيها للحلواني، وهو طريقه في التيسير، فقال: «وما رواه الحلواني من فتح التاء مع الهمز وَهْم، ثم أخذ برواية ابن عباد الخارجة عن طريق التيسير، وهي طريقه في الجامع، وقال عنها: «وهذا هو الصواب»[٤].

وعليه فتكون قراءة هشام كابن ذكوان: بكسر الهاء من غير همز وفتح التاء عند الإمام الداني من طريق التيسير.

[حرف] قال الداني: «وروى أبو ربيعة، وابن الصباح عن قنبل ﴿يَرْتَعْ﴾[٥] بإثبات ياء بعد العين في الحالين، وروى غيرهما عنه حذفها في الحالين»[٦].

التحرير: قيد الإمام الداني هنا طريق الإثبات من طريق أبي ربيعة، وابن الصباح، وكلا الطريقين ليس من التيسير، بل طريقه في الجامع، لذا قال ابن الجزري: «وهذا من المواضع التي خرج فيها التيسير عن طرقه، والوجهان صحيحان عن

---

(١) إبراهيم بن عباد التميمي، الغاية ١/ ١٦.

(٢) جامع البيان ٣/ ١٢٢٧.

(٣) ذكره المالقي ص ٦٥٥، والنشر ٢/ ٢٩٤.

(٤) جامع البيان ٣/ ١٢٢٧.

(٥) يوسف، آية ١٢

(٦) ص ١٠٧.

قنبل، وهما في التيسير، والشاطبية وإن كان الإثبات ليس من طريقيهما»[١].

سورة النحل:

قال في التيسير: «البزي بخلاف عنه ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ﴾[٢] بغير همز»[٣].

أفاد ظاهر التيسير الخلف للبزي، والتحرير: أن وجه الحذف ليس من طريق التيسير، بل هي رواية مضر[٤]، عن البزي، من قراءة الداني على ابن غلبون، وأما طريق التيسير فهو الهمز كالجماعة، لذا قال ابن الجزري: «وانفرد الداني عن النقاش عن أصحابه عن البزي بحكاية ترك الهمز فيه، وهو وجه ذكره حكاية لا رواية»[٥].

لذا قال الداني في المفردات: «والعمل على الهمز، وبه آخذ»[٦].

وهو ما ذكره في الجامع عن طريق التيسيرف قال: «وقرأ الباقون ذلك بالهمز... وبذلك قرأت في رواية البزي على الفارسي»[٧].

سورة الكهف:

قال في التيسير: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى﴾[٨] حذفها في الحالين ابن ذكوان بخلاف عن الأخفش عنه[٩].

---

(١) النشر ١/ ١٨٧.

(٢) النحل: آية ٢٧.

(٣) ص ١١١.

(٤) مضر بن محمد بن خالد الضبي، الغاية ٢/ ٢٩٩.

(٥) النشر ٢/ ٣٠٣.

(٦) ذكره ابن الجزري في النشر ٢/ ٣٠٣.

(٧) جامع البيان ٣/ ١٢٧٣.

(٨) الكهف: ٧٠.

(٩) ص ١٢٠.

أفاد ظاهر التيسير الخلف للأخفش، والتحرير: أن هذا الخلف ليس من طريق التيسير، فطريق التيسير هو الإثبات في الحالين فقط، فيكون وجه الحذف خارج عن طريق التيسير؛ لأنه من طريق ابن غلبون».

قال في الجامع: «واختلف عن الأخفش عنه.. فذكر في كتابه الخاص عنه إثباتها في الحالين، وبذلك قرأت على الفارسي عن النقاش عنه»... وقرأت على أبي الحسن عن قراءته بالحذف والإثبات جميعاً[١].

سورة مريم:

[حرف] قال في التيسير: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[٢].... ونافع الهاء والياء بين بين»[٣].

ظاهر التيسير الخلف لنافع بكماله، والتحرير: أن وجه التقليل لقالون خارج عن طريق التيسير، فيكون له إخلاص الفتح فقط، وهو ما نص عليه في الجامع من طريق التيسير، فقال: «وحكى لي أبو الفتح عن قراءته على عبد الباقي بن الحسن عن أصحابه في رواية نافع بإخلاص الفتح للهاء والياء»[٤].

[حرف] قال في التيسير: «بإمالة فتحة الهاء والياء من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، وكذا قرأت في رواية أبي شعيب على فارس بن أحمد»[٥].

أطلق صاحب التيسير عن أبي شعيب، قرأءته بهذا الوجه من قراءته على فارس بن أحمد، ولم يبين من أي طريق عنه، والتحرير: أن هذا الوجه خارج عن

---

(١) جامع البيان ٣/ ١٣٣٢.

(٢) مريم، ١.

(٣) ص ١٢٠.

(٤) جامع البيان ٣/ ١٣٣٤.

(٥) ص ١٢٠.

طريق التيسير؛ لأنه من غير طريق التيسير من قراءته على أبي الفتح فارس بن أحمد، وهو ما نص عليه في الجامع فقال: «بإمالة فتحة الهاء والياء وقرأت في رواية السوسي من غير طريق أبي عمران النحوي عنه على أبي الفتح عن قراءته»(١).

سورة طه:

قال في التيسير: قالون بخلاف عنه ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا ﴾(٢) باختلاس كسرة الهاء في الوصل.. والباقون: بإشباعها»(٣).

أفاد ظاهر التيسير الخلف لقالون، والتحرير: أن وجه اختلاس كسرة الهاء في الوصل خارج عن طريق التيسير عن قالون؛ لأنه من طريق ابن غلبون من قراءة الداني عليه، وليس من طريق أبي الفتح فارس، وهو ما نص عليه في الجامع(٤).

قال ابن الجزري: «وبه قرأ الداني على أبي الحسن»(٥).

وقد ضمن الإمام الشاطبي هذا الوجه، وزاده على التيسير من قراءته على شيخه النفزي فليس هذا الوجه من التيسير، ولا الجامع، فلله الحمد والمنة.

[سورة النور]:

قال الداني: «... وخلاد بخلاف عنه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾(٦) بإسكان الهاء...، والباقون: بصلتها... وحفص... بإسكان القاف... والباقون بكسر القاف»(٧).

---

(١) جامع البيان ٣/ ١٣٣٦.

(٢) طه آية ٧٥.

(٣) ص ١٢٤.

(٤) جامع البيان ٣/ ١٣٥٩.

(٥) النشر ١/ ٣١٠.

(٦) النور: ٥٢.

(٧) ص ١٣٢.

أطلق الإمام الداني الخلف لخلاد، ولم يبين من أي طريق.

والتحرير: أن وجه الإشباع لخلاد ليس من طريق التيسير، لأنه من طريق الحلواني، قال في الجامع: «وروى الحلواني عن خلاد.. عن سليم عنه بكسر الهاء وصلتها»[١].

وأما رواية التيسير بالنص، والأداء فهي إسكان الهاء لذا قال فيه: «بإسكان الهاء وكذلك أقرأني أبو الفتح في رواية خلاد»[٢].

وهو ما نص عليه المالقي في عزوه لطريق الخُلف فقال: ..... وخلاد بخلاف عنه: ..... بإسكان الهاء، يعني: وبكسرها أيضـًا، وصلتها، والإسكان هي روايته عن أبي الفتح، والثانية: روايته عن أبي الحسن»[٣].

سورة الزمر:

[حرف] قال في التيسير: «أبو شعيب ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[٤]، بياء مفتوحة في الوصل ساكنة في الوقف»[٥].

هذا الوجه ليس كما أفاد ظاهر التيسير أنه من طرق الكتاب، والتحرير.

١- أنه نص في المفردات[٦] أن هذا الوجه من طريق القرشي[٧]، وعليه فيكون خارجـًا عن طرق التيسير.

---

(١) ٣/ ١٤٠٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ص٦٧٤.

(٤) الزمر، ١٧.

(٥) ص ١٥٣.

(٦) ذكره صاحب النشر ٢/ ١٨٩.

(٧) محمد بن إسماعيل القرشي، الغاية ٢/ ١٠٢.

٢- ذكر الإمام الداني في غير التيسير وجهًا آخر للسوسي وهو: الحذف في الحالين، وتبين لي أنه من طريق التيسير، وإن لم يذكره فيه، وهو من المواضع التي خرج فيها عن طرقه، فقد أورد الإمام السخاوي نصًا عن الإمام الداني في غير التيسير يفيد ثبوت هذا الوجه من التيسير إذ قال عن الداني: «كذلك قال أبو عمرو رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبالحذف في الحالين قرأت عن اليزيدي، عن أبي عمر على فارس، وعلى الفارسي، وعلى أبي الحسن وغيرهم[١]، وهو ما أكده أبو شامة[٢]، والإمام الجعبري[٣]، لذا قال ابن الجزري عن هذا الوجه: «وهو الذي ينبغي أن يكون في التيسير»[٤].

قلت: «وهذا الموافق لأسانيد صاحب الكافي[٥] من طرق أبي عمران النحوي عن السوسي، وهي المطابقة لأسانيد التيسير[٦].

٣- وكشفت عن وجه آخر للسوسي وهو طريق التيسير وهو: الإثبات في الحالين، إذا أثبت الإمام ابن الباذش[٧]، في إقناعه أنه قرأ بهذا الوجه من طريق أبي موسى بن جرير من طريق السامري[٨]، وهي طريق التيسير وإن لم يذكره فيه، والله أعلم.

٤- وهناك وجه ثالث، وهو نص التيسير السابق: بياء مفتوحة في الوصل ساكنة

---

(١) ١/ ٦٢٤

(٢) إبراز المعاني ٢/ ٢٧٢.

(٣) جامع البيان ٣/ ١٣٣٢.

(٤) جامع البيان ٣/ ١٣٣٢.

(٥) الإمام ابن شريح، ص ٣١.

(٦) ص ١٩٤.

(٧) أحمد بن علي بن أحمد الأنصاري، ت ٥٤٠هـ، الغاية ١/ ٨٣.

(٨) ص ٤٥٣.

في الوقف، والذي ذكرنا في بداية الكلام أنه من طريق القرشي، فقد أثبت الإمام ابن الوجيه[١] في كتابه الكنز أنه قرأ بهذا الوجه من طريق المصريين، وساق سنده إلى أبي عمرو الداني من طريق ابن جرير الطبري وهو المطابق لطريق التيسير[٢]، فيكون هذا الوجه أيضـًا من طريق التيسير، ولعل الإمام الداني نص في المفردات أنه من طريق القرشي واكتفى بهذا الطريق عن ذكر الطرق الأخرى، أو أن يكون ثمة سقط في كتاب المفردات، سقط فيه بيان الطريق الآخر بدليل أنه لا يوجد في المفردات المطبوع بين أيدينا هذا النص، وما نقله الإمام ابن الجزري عن المفردات في نسخته غير التي بين أيدينا، وإلا كيف أثبت الإمام ابن الوجيه هذه الرواية من طريق الداني، والله أعلم.

[**حرف**] قال في التيسير: «وهشام بخلاف عنه﴿يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾[٣] باختلاس ضمة الهاء، وهشام من قراءتي على أبي الفتح[٤].

أفاد ظاهر التيسير أن الخلف لهشام ثابت من التيسير لقول الداني: «وهشام من قراءتي على أبي الفتح»، وهو طريقه في التيسير، والتحرير: أن وجه الإسكان لهشام ليس من طريق التيسير؛ لأنها من طريق عبد الباقي، من قراءة أبي الفتح عليه، قال في الجامع: «وقرأت على أبي الفتح في رواية الحلواني عنه عن قراءته على عبد الباقي بن الحسن عن أصحابه بإسكان الهاء»[٥].

وهو ما كشفه الإمام ابن الجزري إذ قال : «وأما هشام فروى عنه الإسكان صاحب التيسير من قراءته على أبي الفتح، وظاهره أن يكون من طريق ابن عبدان،

---

(١) عبد الله بن المؤمن الواسطي، ت ٧٤٠هـ، الغاية ١/ ٢٢٠.

(٢) ص ٢٣٠.

(٣) الزمر، آية ٧.

(٤) ص ١٥٣.

(٥) ٤/ ١٥٣٧.

وتبعه في ذلك الشاطبي، وقد كشفته من جامع البيان فوجدته قد نص على أنه من قراءته على أبي الفتح عن عبد الباقي بن الحسن الخراساني عن أبي الحسن بن خليع، عن مسلم بن عبيد الله بن محمد عن أبيه عن الحلواني، وليس عبيد الله بن محمد في طرق التيسير، ولا الشاطبية[١].

سورة الزخرف:

[حرف] قال في التيسير: ﴿ أَشَهِدُواْ ﴾[٢] بهمزتين، الثانية مضمومة مسهلة بين الهمز والواو، وقالون من رواية أبي نشيط بخلاف عنه يدخل قبلها ألفًا، والشين ساكنة»[٣].

أطلق الخلف لأبي نشيط، ولم يبين من أي طريق، والتحرير: أن الإدخال من قراءته على أبي الفتح طريق التيسير، وأما ترك الألف من قراءته على أبي الحسن»[٤]، فتكون خارجة عن طريق التيسير.

[حرف] قال في التيسير: «هشام بخلاف عنه هنا ﴿لَمَّا مَتَعُ ﴾[٥] بتشديد الميم»[٦].

قلت: أطلق في التيسير، ولم يبين من أي طريق، والتحرير: أن قراءة التشديد خارجة عن طريق التيسير، فهي من قراءته على أبي الحسن.

قال في الجامع: ﴿لَمَّا مَتَعُ ﴾ خفيفة ... وكذلك قرأت على أبي الفتح في

---

(١) النشر ١/ ٣٠٨.

(٢) آية ١٩

(٣) ص ١٥٩.

(٤) الدر النثير ٦٨٥.

(٥) آية ٣٥.

(٦) ص ١٥٩.

رواية الحلواني.. وقرأت على أبي الحسن في رواية الحلواني بالتشديد»[١].

وهو ما أكده صاحب النشر[٢].

سورة الأحقاف:

قال في التيسير: «قرأ.. البزي بخلاف عنه... ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ﴾[٣] بالتاء، والباقون بالياء[٤].

أفاد ظاهر التيسير أن الخلف للبزي من هذا الكتاب والتحرير: أن وجه الخطاب ليس من طريق التيسير؛ لأنه من قراءة الداني على غير النقاش عن أبي ربيعة، قال الداني: «واختلف عن ابن كثير فروى... بالتاء، وبذلك قرأت في رواية البزي من غير طريق النقاش عن أبي ربيعة[٥].

وقال في المفردات: «وأقرأني الفارسي عن النقاش عن أبي ربيعة عنه بالياء»[٦].

وعليه فقراءة الداني بالياء هي طريق التيسير، لكنه أخذ بقراءة هذا الحرف على غير طريق التيسر، لأنه قال: «وبالأول آخذ»[٧] أي قراءة التاء.

[سورة الجاثية]:

قال الداني: «...أبو عمرو، وحمزة، والكسائي ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾[٨] بالنون،

---

(١) جامع البيان ٤/ ١٥٧٥.

(٢) النشر ٢/ ٢٩١.

(٣) الأحقاف، آية ١٢.

(٤) ص ١٦١.

(٥) جامع البيان ٤/ ١٥٨٦.

(٦) الدر النثير ٦٨٦.

(٧) فتح الوصيد ٢/ ٤٣٢، الدر النثير ٦٨٦، اللآلي الفريدة ٣/ ٣١٨.

(٨) الجاثية ١٤.

والباقون: بالياء»[١].

ملاحظة:

اطلعت على نسختين مختلفتين للتيسير، وفيهما تصحيف من النساخ فاسم [أبو عمرو] في النص السابق خطأ، والصواب [ابن عامر] وهو المواقف للأسانيد والطرق فليعدله القارئ الكريم في نسخته.

سورة الطور:

قال في التيسير: «وحفص بخلاف عنه...﴿ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾[٢] بالسين»[٣].

قلت: أطلق في التيسير الخلف لحفص، ولم يبين من أي طريق، والتحرير: أن وجه السين ليس من طريق التيسير؛ لأنها من قراءته على أبي الفتح.

قال الداني في الجامع: «وقرأت على أبي الفتح عن قراءته على أصحاب الأشنائي عن أصحابه عن حفص ﴿ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ وبالسين...، وقرأتها أنا على أبي الحسن عن قراءته على الهاشمي عن الأشنائي بالصاد»[٤].

قلت: وهو ما أكده صاحب النشر[٥]، وصاحب الدر النثير[٦].

سورة الرحمن:

قال في التيسير: «أبوعمر عن الكسائي﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾[٧] في الأول بضم الميم،

---

(١) ص ١٦٨.

(٢) الطور آية ٣٧.

(٣) ص ١٦٥.

(٤) جامع البيان ٤/ ١٦٠٩.

(٥) ٢/ ٢٧٨.

(٦) ص ٦٨٨.

(٧) الرحمن، آية ٥٦.

وأبو الحارث عنه في الثاني، كذلك هذه قراءتي، والذي نص عليه أبو الحارث كرواية الدوري، والباقون بكسر الميم فيها»[١].

أفاد ظاهر التيسير ضم الأول وكسره لأبي الحارث، والتحرير: أن وجه الكسر في الأول لأبي الحارث ليس من طرق التيسير، بل له من الجامع لأبي عمرو الداني؛ لأنه من قراءته على أبي الحسن غلبون، لذا قال ابن الجزري» فهذا من المواضع التي خرج فيها عما أسنده في التيسير»[٢].

قال الداني في الجامع: «قرأت أنا في رواية أبي الحارث عن الكسائي على أبي الفتح مثل أبي عمر بضم الأول، وكسر الثانية، وقرأت في روايته على أبي الحسن بكسر الأولى وضم الثانية»[٣].

سورة المجادلة:

قال في التيسير: «...وعاصم بخلاف عن أبي بكر ﴿ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾[٤] بضم الشين.. والباقون بكسر الشين.. وقد قرأت لأبي بكر من طريق الصريفيني عن يحيى عنه بهذا الوجه فيهما»[٥].

قلت: قيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الرواية الخلف لأبي بكر، بأن الكسر هو طريق التيسير وعليه يكون التحرير: أن وجه الضم ليس من طريق التيسير، وكذا ذكره في الجامع[٦]،

---

(١) ص ١٦٨.

(٢) ٢/ ٣٨٢.

(٣) ٤/ ١٦٢٣.

(٤) المجادلة، آية ١١.

(٥) ص ١٧٠.

(٦) ٤/ ١٦٣٢.

وذكره شارح التيسير[١]، وأوضح ابن الجزري ذلك أتم بيان، وكشف أن قراءة الداني في رواية الضم إنما كانت من طريق شيخه أبي الحسن، فقال: «واختلف عن أبي بكر، فروى الجمهور عنه الضم.... وبه قرأ الداني على أبي الحسن.. وروى كثير منهم الكسر... وبه قرأ الداني من طريق الصريفيني على أبي الفتح»[٢].

سورة الحشر:

قال في التيسير: «هشام ﴿كَيْ لَا يَكُونَ﴾[٣] بالتاء، وروي عنه بالياء ﴿دُولَةٌ﴾ بالرفع»[٤].

أطلق الخلف هنا والتحرير: أن رواية الياء والرفع لهشام ليست من طريق التيسير بل في الجامع إذ أسند قراءته كطريق التيسير أداءً، وأخبر عن الرواية الثانية رواية فيها فقط، قال فيه: ﴿لَا يَكُونَ﴾ بالتاء ﴿دُولَةٌ﴾ بالرفع وكذا قرأت على أبي الفتح عن قراءته على عبد الله بن الحسين عن محمد بن عبدان.. وقد روى الحلواني عن هشام.. بالياء، رواه لنا الفارسي عن أبي طاهر»[٥].

وأوضح ابن الجزري أن قراءة التذكير والرفع هي رواية الأزرق الجمال عن الحلواني، قال في النشر: «واختلف عن هشام فروى الحلواني عنه من أكثر طرقه كذلك (أي بالتأنيث) ﴿دُولَةٌ﴾ بالرفع، وهي طريق ابن عبدان عن الحلواني، وبذلك قرأ الداني على شيخيه فارس بن أحمد، وأبي الحسن، وروى الأزرق الجمال،

---

(١) الدر النثير ٦٩٦.

(٢) النشر ٢/ ٣٨٥.

(٣) الحشر، آية ٧.

(٤) ص ١٧٠.

(٥) جامع البيان ٤/ ١٦٢٥.

وغيره عن الحلواني التذكير مع الرفع» وبذلك قرأ الداني على شيخه الفارسي»[١].

سورة الإنسان:

[**حرف**] قال في التيسير: «﴿سَلَٰسِلَاْ﴾[٢]..... ووقف حفص من قراءتي على أبي الفتح بغير ألف.. ووقف الباقون بالألف[٣].

ظاهر التيسير إطلاق الوجهين لحفص والتحرير: أن وجه الحذف خارج عن طرق التيسير، فهي من قراءته على أبي الفتح وهو طريقه في الجامع لا التيسير.

قال الداني: «فأما حفص فقال لي أبو الفتح عن قراءته في روايته من غير طريق هبيرة الوقف بغير ألف.... وحكى لي أبو الحسن عن قراءته على أصحاب الأشنائي بالألف في الوقف»[٤].

[**حرف**] قال في التيسير: «﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ بغير ألف، وكذا قال النقاش عن أبي ربيعة عن البزي، ... وكذا قرأت... على الفارسي ووقف الباقون بالألف»[٥].

ظاهر التيسير الإطلاق للبزي وقفًا، والتحرير: أن وجه الوقف بالألف له خارج عن طريق التيسير فهو له من الجامع؛ لأنه طريق الحمامي[٦] عن النقاش قال في الجامع: «ووقفت أنا في رواية أبي ربيعة عن البزي من قراءتي على الفارسي عن النقاش عنه بغير ألف»[٧].

---

(١) النشر ٢/ ٣٨٦.

(٢) الإنسان، آية ٤.

(٣) ص ١٧٦.

(٤) جامع البيان ٤/ ١٦٧٦.

(٥) ص ١٧٦.

(٦) علي بن أحمد بن عمر الحمامي، ت ٤١٧هـ، الغاية ٢/ ٥٢١.

(٧) ٤/ ١٦٧٥.

[حرف] قال في التيسير: ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾[١] بغير ألف، وكذا قال النقاش.. عن الأخفش عن ابن ذكوان وكذلك قرأت في مذهبهما على الفارسي، ووقف الباقون بالألف»[٢].

أطلق في التيسير، والتحرير: أن وجه الوقف بالألف خارج عن طريق التيسير وهو طريقه من الجامع من طريق الشاميين.

قال في الجامع: «فأما ابن ذكوان فروى النقاش عن الأخفش عنه أنه يقف بغير ألف وبذلك وقفت على ابن خواستي الفارسي عنه، ووقفت من طريق الشاميين عنه بالألف»[٣].

قال ابن الجزري: «واختلف عن... ابن ذكوان... فروى... وابني غلبون... عن ابن ذكوان.. الوقف بالألف... ووقف بغير ألف عنهم كل أصحاب النقاش عن.. الأخفش عن ابن ذكوان»[٤].

سورة الفجر:

قال في التيسير: ﴿بِٱلْوَادِ﴾[٥] أثبتها في الحالين البزي، وأثبتها في الوصل.. وقنبل، وقد روي عن قنبل إثابتها في الحالين[٦].

أجمل هنا، ولم يبين الطرق، والتحرير: أن قراءة الإثبات في الحالين هي طريق التيسير فقط، وقد سرني قول ابن الجزري: «ولكن طريق التيسير هو

---

(١) الإنسان، آية ٤.

(٢) ص ١٧٦.

(٣) جامع البيان ٤/ ١٦٧٦.

(٤) النشر ٢/ ٣٩٤.

(٥) آية: ٩.

(٦) ص ١٨١.

الإثبات»[١] فللّه الحمد أن وافق تحرير المسألة إمام الفن.

قال في الجامع: «وبذلك قرأت على أبي الفتح عن قراءته في رواية قنبل»[٢].

وأما رواية الإثبات في الوصل دون الوقف وهو ظاهر التيسير فهي خارجة عن طريقه؛ لأنها من قراءة الداني على أبي الحسن غلبون، قال في الجامع: «وبذلك قرأت على أبي الحسن، وغيره في روايته»[٣].

من سورة البلد إلى آخر القرآن:

[حرف] قال في التيسير: «والبزي بخلاف عنه ﴿وَلِيَ دِينِ﴾[٤]، بفتح الياء، والباقون بإسكانها، وهو المشهور عن البزي وبه آخذ»[٥].

التحرير: لا خلف عن البزي من طريق التيسير، بل هو الإسكان فقط، وهو الذي أخذ به الداني فيكون وجه الفتح خارج عن طريق التيسير؛ لأنه من طريق ابن الصباح، كما أوضح في الجامع[٦].

[حرف] قال في التيسير: ﴿نَلَهَا﴾[٧] ﴿طَحَهَا﴾[٨] فإن حمزة فتحهما، وأبو عمر وجميع ذلك بين بين.. والباقون بإخلاص الفتح[٩].

أفاد ظاهر التيسير أنه ليس لورش في رؤوس الآي في السور الإحدى عشر فيما

---

(١) ٢/ ١٩١.

(٢) ٤/ ١٧٠١.

(٣) ٤/ ١٧٠٢.

(٤) الكافرون، آية ٦.

(٥) ص ١٨٣.

(٦) الجامع ٤/ ١٧٢٨.

(٧) القمر، آية ٢.

(٨) القمر، آية ٦.

(٩) النشر ٢/ ٤٨.

كان الآي على لفظ (ها) إلا الفتح.

والتحرير: أن الداني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ترك طريق التيسير وهو بين بين لورش من قراءته على ابن خاقان، وأخذ وعول على رواية غير التيسير، وهو: الفتح، فهو خروج من الداني عن طرقه على القراءتين.

لذا قال ابن الجزري: «والذي عول عليه الداني في التيسير هو الفتح، كما صرح به أول السور، مع أن اعتماده في التيسير على قراءته على أبي القاسم الخاقاني في رواية ورش، وأسندها في التيسير من طريقه، ولكنه اعتمد في هذا الفصل على قراءته على أبي الحسن».

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة

تبين للباحث بعد الوقوف على كتاب التيسير في القراءات السبع للإمام الداني أن الروايات التي بين دفتيه، ليست كلها من طريق التيسير التي أسندها الإمام الداني فيه، بل تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- روايات وضعها الإمام الداني في التيسير، وهي ليست منه، بل خارجة عن طرقه.

٢- روايات لم يضعها الإمام الداني في التيسير، وهي من طرق التيسير، فهي من أصل الكتاب.

٣- روايات هي أصل التيسير وطرقه، وهي ما تبقى من الروايات.

وقد تبين للباحث كذلك ظن كثير من طلبة العلم، والباحثين أن كل ما حواه التيسير هو منه، فيسندون للتيسير كل رواية فيه، وهو خطأ في العزو، وقد بينت ذلك بالأدلة القاطعة في بداية البحث، والتي لم يسلم منها كبار القراء، وما أردت إلا الإصلاح، وما توفيقي إلا بالله.

التوصيات:

١- إعادة النظر من قبل الباحثين، وطلبة العلم في توثيق نصوص وروايات الإمام الداني في كتاب التيسير؛ كونه أحد الكتب التي نعتمد عليها اليوم في قراءة كتاب ربنا، هذا وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه أجمعين.

والله أعلم.

المراجع

١. القرآن الكريم، رواية حفص، مطبعة المدينة النبوية.
٢. إبراز المعاني، لأبي شامة، تحقيق الشيخ جادو، الجامعة الإسلامية ١٤١٣هـ.
٣. إتحاف فضلاء البشر، للشيخ البنا، تحقيق د. شعبان إسماعيل، عالم الكتب.
٤. الإقناع، لابن خلف الأنصاري، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب.
٥. بدائع البرهان للشيخ الأزميري، مخطوط.
٦. البدور الزاهرة للشيخ عبد الفتاح القاضي، دار الكتب.
٧. التجريد لابن الفحام، تحقيق د. ضاري، دار عمار.
٨. تحبير التيسير لابن الجزري، دار الكتب العلمية.
٩. تحرير النشر، للأزميري، تحقيق أبو الجود، أضواء السلف.
١٠. تقريب النشر، للإمام ابن الجزري، تحقيق إبراهيم عوض، دار الحديث.
١١. التلخيص، لأبي معشر الطبري، تحقيق محمد موسى، الجمعية الخيرية بجدة.
١٢. تلخيص العبارات، لابن بليمه: بعناية جمال شرف، دار الصحابة.
١٣. التيسير لأبي عمرو الداني، تصحيح أوتوبرتزل، دار الكتب.
١٤. جامع ابن فارس الخياس، مخطوط تحت رقم ٢٤ القاهرة.
١٥. جامع البيان للإمام الداني، رسائل علمية، جامعة الشارقة.
١٦. حرز الأماني، للإمام الشاطبي، ضبط الزعبي، ١٤١٧هـ.
١٧. الدر النثير، للمالقي، تحقيق جمع من المشايخ، دار الكتب.
١٨. الروض النضير، للشيخ المتولي، تحقيق خالد أبو الجود.
١٩. الروضة، لابي علي المالكي، تحقيق مصطفى سلمان، دار العلوم والحكم.
٢٠. شرح طيبة النشر، لأبي القاسم النويري، تحقيق عبد الفتاح أبو سنة، لجنة إحياء التراث.

٢١. غاية النهاية، لابن الجزري، عني به: ج. برجستراسر، دار الكتب.
٢٢. فتح الوصيد للإمام السخاوي، تحقيق د. أحمد الزعبي، دار البيان.
٢٣. قرة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين، لابن القاصح، تحقيق دكتور الجرمي، دار عمار.
٢٤. الكافي لابن شريح، تحقيق أحمد الشافعي دار الكتب.
٢٥. الكفاية الكبرى، للقلانسي، مراجعة جمال شرف دار الصحابة.
٢٦. كنز المعاني للإمام الجعبري، تحقيق فرغلي عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ.
٢٧. الكنز، لابن الوجيه الواسطي، تحقيق هناء الحمصي، دار الكتب.
٢٨. معرفة القراء للإمام الذهبي، تحقيق نخبة من الباحثين، مؤسسة الرسالة.
٢٩. المفردات السبع، للإمام الداني، تحقيق الشيخ علي النحاس، دار الصحابة.
٣٠. مفردة الإمام نافع، لأبي عمرو الداني، تحقيق: د. هاشم الضامن، دار البشائر.
٣١. النشر في القراءات العشر لابن الجزري، دار الكتب العلمية.

Abstract

This research in the science of Qura'n readings, which is looking at the novels and the ways mentioned by Imam Abu Amr Al-Dani in his book "The easing in seven readings" in terms of the re-consideration of the attribution methods of this book, as it turns out the researchers found that Imam Al-Dani failed to follow the ways of the book but was filed an external novels some times, and left some novels not deposited it at an other times, and it is from one of the ways the book, I loved to uncover the sources of these novels, and refereed it to its roads until it is clear for the reader, then to prove the stories from the book facilitation, and does not take the apparent meaning of the texts of Imam Al-Dani credited each novel for this book.

Key words:

Readings - Science of Readings editing - Imam Aldani - the seventh Readings - editing Altayseer book

استدراك الساقط من كتاب «المفاريد» المطبوع لأبي يعلى الموصلي

د. محمد بن عبد العزيز بن صالح الجمعان
أَسْتَاذُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَعُلُومِهَا الْمُشَارِكُ فِي جَامِعَةِ طَيْبَة
dr.aljmaan@gmail.com

تاريخ التحكيم: ١٦/ ٦/ ١٤٣٦ تاريخ الإجازة: ٢٤/ ٧/ ١٤٣٦

المستخلص:

ينتاول هذا البحث كتاب «المفاريد» المطبوع للحافظ أبي يعلى الموصلي، باستدراك الساقط من النسخة المطبوعة من الكتاب، نظرًا لاعتماد محقق النسخة المطبوعة على نسخة خطية ناقصة، مما أدى لوجود نقص في الكتاب، ولم يتم تدارك هذا النقص منذ طباعة الكتاب قبل ٣٠ عامًا، فقام الباحث باستدراك هذا النقص من خلال هذا البحث، والذي قسمه إلى مبحثين:

المبحث الأول: الدراسة، وفيه ترجمة موجزة للإمام أبي يعلى الموصلي، والتعريف بكتاب المفاريد، وإثبات نسبته للمؤلف.

المبحث الثاني: النصوص الساقطة من المطبوع من كتاب المفاريد عن رسول الله ﷺ.

ثم الخاتمة التي تضمنت أهم نتائج البحث وتوصياته، حيث بين الباحث أن عدد التراجم للصحابة الساقطة من المطبوع أربع تراجم، والأحاديث الساقطة من المطبوع بلغت سبعة أحاديث، منها أربعة أحاديث صحيحة.

كما أوصى الباحث بأن يحرص محققو الكتب المخطوطة على الاعتماد على أكثر من نسخة خطية، والاهتمام بالمقابلة الدقيقة بين النسخ الخطية.

الكلمات المفتاحية:

كتاب المفاريد، السنة النبوية، أحاديث رسول الله ﷺ، الحافظ أبو يعلى الموصلي، استدراك، النصوص الساقطة، النسخة الخطية، عتبة بن غزوان، فلان، سهيل بن بيضاء، عائذ بن عمرو.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾(٣).

أَمَّا بَعْدُ؛

فإن من فضل الله البالغ على المسلم أن ييسر له الاشتغال بالعلوم الشرعية، والتفقه في الدين، كما في حديث معاوية رضي الله عنه، قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(٤).

ومن أَجَلِّ العلوم الشرعية علوم الحديث رواية ودراية، فالاشتغال بها خدمة للسنة النبوية، وتوثيق لها، فهي المصدر الثاني للتشريع في الإسلام.

ومن أهم ما ينبغي أن يَعتني به المشتغل بالسنة النبوية ضبط كتابتها، وتدقيق نصوصها، وقد اهتم العلماء بذلك في زمن مبكر، ولذا جعل ابن الصلاح النوع الخامس والعشرين من أنواع علوم الحديث: «كتابة الحديث، وكيفية ضبط

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠-٧١.

(٤) أخرجه البخاري: (٧١)، ومسلم: (١٠٣٧).

الكتاب، وتقييده»[١]، وبَيَّن فيه ضوابط وقواعد كتابةِ الحديث، وتحقيقِ نصوصه، ومقابلتِها، وذكر بعض العلامات التي تُوضع عند النسخ لضبط ذلك، وأشار إلى أهمية المعارضة والمقابلة بين النسخ، ونقل عن الأخفش قوله: «إذا نُسخ الكتاب ولم يُعارض، ثم نُسخ ولم يُعارض خرج أعجميًا»[٢]، وهذا يُبيّن لك مدى اهتمام المحدثين بضبط كتبهم، وتدقيق نصوصها، كما أنه يوضح أهمية المقابلة بين النسخ للوصول إلى النص الصحيح، وهذا أمر سبق به المحدثون علم تحقيق النصوص الحديث الذي أَخذ من منهج المحدثين في ذلك كثيرًا من الأصول والضوابط.

ولعل من أهم الضوابط التي ينبغي مراعاتها عند تحقيق النصوص اعتماد أصح النسخ الخطية، ومقابلة النص على أكثر من نسخة خطية حتى يخرج النص أكثر ضبطًا، وأقل خطأً، قال ابن الصلاح: «على الطالب مقابلة كتابه بأصل سماعه، وكتاب شيخه الذي يرويه عنه، وإن كان إجازة»[٣].

ولكن قد لا يتمكن الباحث من الحصول على نسخة أخرى ليقابل بها النسخة التي معه، فيكتفي بنسخة واحدة، وهنا قد يقع الخلل الذي لا يمكنه تداركه، وخاصة في كتب الأصول للسنة النبوية حيث لا يمكن استدراك النقص أو تصحيح الخطأ من غير ذلك الكتاب غالبًا؛ لاختلاف المرويات بحسب سماع المصنف للحديث من شيوخه، واختلاف المصنفين في مناهجهم، وترتيب مروياتهم.

وهذا ما حدث مع كتاب المفاريد لأبي يعلى الموصلي، فقد طبع الكتاب سنة ١٤٠٥هـ بتحقيق عبد الله بن يوسف الجديع، وقد ذكر[٤] أن للكتاب نسختين خطيتين في دار الكتب الظاهرية، ولم يُقدّر له الحصول عليهما جميعًا، وإنما وقف

---

(١) معرفة علوم الحديث: ص٢٩٢.

(٢) المصدر السابق: ٣٠١.

(٣) المصدر السابق: ٣٠٠.

(٤) ينظر: مقدمة تحقيق كتاب المفاريد، ص١٦.

على إحداهما، وهي المحفوظة بالمكتبة الظاهرية برقم (مجموع: ٩٧)، وقد اعتمدها لطباعة الكتاب، وإخراجه، وفيها سقط في آخرها، على أمل أن ييسر الله له الآخرى فيستدرك ذلك، لكنه لم يفعل، وظل الكتاب ناقصًا منذ ذلك الحين، ولم يُطبع مرة أخرى ليُستدرك ذلك القدر الساقط.

وأما النسخة الأخرى فهي كاملة، لا سقط فيها، وهي محفوظة بدار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم (حديث: ٢٧٩)[١]، وقد يسر الله لي الوقوف على صورتها في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٢٥٧٥)، فاجتهدت في إخراج القدر الساقط من المطبوع محققًا وفق الأصول العلمية لتحقيق المخطوطات؛ لاستدراك ما لم يتيسر لمحقق الكتاب المطبوع.

منهج البحث، وإجراءاته:

١- قمت بنسخ القدر الساقط من الكتاب، ثم مقابلته على النسخة المخطوطة، وبيان موضع نهاية أوراقها، وضبط النص كاملاً بالشكل، وقد ضُبطت بعض الكلمات اليسيرة في المخطوط بالشكل، فإذا كان هناك اختلاف بين ضبطي وما في المخطوط بينت ذلك وسببه.

٢- ترجمت للصحابة بشكل موجز من خلال كتب الصحابة.

٣- ترجمت لكل رجال الإسناد بشكل مختصر اقتصرت فيه على اسم الراوي ونسبه، وسنة وفاته أو طبقته، وخلاصة الحكم عليه من خلال كلام الذهبي وابن حجر، واكتفيت بكتابي الكاشف وتقريب التهذيب، وربما أنقل عن غيرهما إذا دعت الحاجة لذلك.

٤- حكمت على أسانيد المصنف وفق ما تقتضيه الصناعة الحديثية، ودراسة الإسناد.

---

(١) ينظر: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية المنتخب من مخطوطات الحديث، ص٢٩٦.

٥- خرجت الأحاديث من كتب السنة، ورتبت الطرق بناء على قربها من إسناد المصنف، فابتدأت بمن خرَّج الحديث من طريقه، ثم من طريق شيخه، وهكذا، واقتصرت في التخريج على المتابعات دون الشواهد حرصًا على عدم تضخيم البحث.

٦- إذا كان الكتاب المخرج منه مرقمًا اكتفيت بذكر الرقم بين قوسين ()، وإذا لم يكن مرقمًا ذكرت الجزء والصفحة، وإذا كان جزءًا واحد سبقت رقم الصفحة بحرف «ص»؛ لتمييزه عن رقم الحديث.

٧- إذا أورد المصنف الحديث مطولًا، وجاء في مصادر التخريج مطولًا ومختصرًا ميزت الروايات المختصرة بنجمة *.

تقسيمات البحث:

وقد قسمت هذا العمل إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة:

المقدمة: وفيها التعريف بالموضوع، وسبب اختياره، وأهميته، ومنهجي فيه، وتقسيمات البحث.

المبحث الأول: الدراسة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجمة موجزة للإمام أبي يعلى الموصلي.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب المفاريد، وإثبات نسبته للمؤلف.

المبحث الثاني: النصوص الساقطة من المطبوع من كتاب المفاريد عن رسول الله ﷺ.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

والله أسأل أن يجعله عملًا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وما كان فيه من صواب فمن الله ﷻ، وماكان فيه من خطأ فاستغفر الله منه، ورحم الله من نظر فيه فاغتفر قليل الخطأ في كثير الصواب، والله الموفق للصواب.

المطلب الأول

ترجمة موجزة للإمام أبي يعلى الموصلي[١]

اسمه ونسبه:

هو أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، أبو يعلى الموصلي.

مولده ونشأته

ولد في الثالث من شوال، سنة عشر ومائتين للهجرة، في بيت علم فقد كان لوالده وخاله محمد بن أحمد بن أبي المثنى - وهو من شيوخه[٢]- اهتمامٌ بالعلم والحديث، فاعتنيا به، وحرصا على إسماعه من أهل بلده، ثم ارتحل في سن صغيرة لم تتجاوز الخامسة عشرة، قال الذهبي: «وارتحل في حداثته إلى الأمصار باعتناء أبيه وخاله محمد بن أحمد بن أبي المثنى، ثم بهمته العالية»[٣]، فرحل إلى بغداد، وسمع من شيوخها، ودخل البصرة، وسمع فيها مع أبي زرعة، ورحل إلى الكوفة، وواسط، وغيرها.

شيوخه:

عاصر أبو يعلى كبار أئمة الحديث في القرن الثالث الهجري، وقد رحل في سن مبكرة فسمع كبار المحدثين، في بغداد والبصرة وغيرهما، ولقي أ ئمة الحديث في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، فمن شيوخه:

---

(١) مصادر ترجمته: الثقات: ٨/ ٥٥، الإرشاد في معرفة علماء الحديث: ٢/ ٦١٩، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد: ص١٥٠، سير أعلام النبلاء: ١٤/ ١٧٤، تاريخ الإسلام: ٧/ ١١٢، تذكرة الحفاظ: ٢/ ١٩٩، طبقات الحفاظ: ١/ ٣٠٩.

(٢) روى عنه في معجمه رقم (٥٧).

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٤/ ١٧٤.

أحمد بن حاتم الطويل، وهو من أقدم شيوخه ببغداد، قال الذهبي: «وقد قرأت سماعه في سنة خمس وعشرين ومائتين ببغداد من أحمد بن حاتم الطويل صاحب مالك»(١).

وسمع من أحمد بن منيع، والحارث بن مسكين، وخليفة بن خياط، وأبي خيثمة زهير بن حرب، وشيبان بن فروخ، وعبد الله بن عون الخراز، وأبي بكر عبد الله بن أبي شيبة، وعثمان بن أبي شيبة، وعلي بن المديني، ومحمد بن بشار، ومحمد بن عبد الله بن نمير، ومحمد بن يحيى بن سعيد القطان، وهدبة بن خالد، ويحيى بن معين، ويحيى الحماني، وخلق كثير سواهم، وقد ذكر في معجمه ٢٧٥ شيخًا ممن سمع منهم(٢).

وقد ذكر عبد الله الجديع محقق الكتاب من ضمن شيوخ المصنف الإمام أحمد بن حنبل(٣)، ولم أجد في مصادر ترجمته إشارة إلى أنه من شيوخه، أو أنه روى عنه، ولم أجد له رواية عن الإمام أحمد في شيء من كتبه بعد البحث بواسطة الحاسب الآلي فيها، إلا أن ابن كثير قال: «سمع الإمام أحمد بن حنبل وطبقته»(٤)، قال إرشاد الحق الأثري بعد نقله كلام ابن كثير: «لكن لم أجد اسم الامام أحمد في شيوخه الذين ذكرهم هو في المعجم، وكذلك لم يذكره الحافظ الذهبي ولا غيره في شيوخه، وغالب ظني أن أحمد بن حنبل مصحف من أحمد بن جميل المروزي

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٤/ ١٨٠، وقد روى الخطيب في تاريخ بغداد: ٥/ ١٨١ بسنده عن أبي يعلى قال: «حدثنا أحمد بن حاتم الطويل، ببغداد سنة خمس وعشرين ومائتين، قال: حدثنا مالك بن أنس».

(٢) ينظر: مقدمة محقق معجمه: ١/ ٩.

(٣) ينظر: مقدمة تحقيق كتاب المفاريد: ص٩.

(٤) البداية والنهاية: ١٤/ ٨١٢.

الذي هو أحد شيوخه المعروفين... لكن هذا عندي عجيب من العجائب أن الإمام الموصلي روى عن شيوخه البغداديين... ولم يسمع من سيد المحدثين وزعيمهم الإمام أحمد بن حنبل»[١].

ويظهر لي ـ والله أعلم ـ أنه لم يسمع من الإمام أحمد، ولو سمع من إمام المحدثين لروى عنه، فهذه كتبه ليس فيه حديثٌ واحدٌ عنه، ولم يذكر مترجموه كما سبق سماعه منه.

وأما ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية فلعله سبق قلم منه، وليس بتصحيف، فقد قال: «الإمام أحمد»، وراجعت أكثر من طبعة بما فيها طبعة دار هجر بتحقيق أ.د. عبد الله التركي، والمثبت فيه «أحمد بن حنبل». ولو أراد ذكر أحمد بن جميل لما قال الإمام، ولكان ذِكْرُه ابن المديني أو يحيى بن معين وغيرهما من الأئمة أولى فيما يظهر لي. والله أعلم.

وأما سبب عدم سماعهم من الإمام أحمد فلعله يرجع إلا أن أبا يعلى دخل بغداد بعد المحنة، وقد امتنع الإمام أحمد عن التحديث وقتها، فقد نقل ابن كثير عن الإمام أحمد أنه أطلق من سجن المعتصم في الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين[٢]، وقال ابن كثير: «حين أُخرج من دار الخلافة بعد الضرب صار إلى منزله، فدُووي حتى برئ، ولله الحمد والمنة. ولزم منزله، فلا يخرج منه إلى جماعة ولا جمعة، وامتنع من التحديث»[٣]، وامتدت الفتنة أربعة عشر عامًا حتى رُفعت في خلافة المتوكل بالله سنة ٢٣٤هـ، قال الذهبي: «ودام ذلك

---

(١) مقدمة تحقيق المعجم لأبي يعلى: ١/ ١١.

(٢) ينظر: البداية والنهاية: ١٤/ ٤٠٣.

(٣) البداية والنهاية: ١٤/ ٤١١-٤١٢.

حتى أزاله المتوكل بعد أربعة عشر عاما»[١]. فلعل أبا يعلى لم يتيسر له السماع من الإمام أحمد أثناء مكوثه في بغداد أيام المحنة حتى خرج منها في رحلته في الطلب إلى البصرة وغيرها.

تلاميذه:

حرص كثير من المحدثين على السماع من أبي يعلى، ورحلوا إليه في بلده الموصل، وكثر طلابه، فقد أمد الله بعمره فعلا سنده، وكثر الآخذون عنه، قال الذهبي: «انتهى إليه علو الإسناد، وازدحم عليه أصحاب الحديث، وعاش سبعا وتسعين سنة»[٢]، ومن أشهر تلاميذه:

الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، والإمام أحمد بن شعيب النسائي صاحب السنن[٣]، والحافظ أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بابن السُّني، وأبو علي الحسين بن محمد النيسابوري، وحمزة بن محمد الكناني، والإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، والحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، وأبو بكر محمد بن إبراهيم المقرئ، والإمام أبو حاتم محمد بن حبان البستي، وأبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي، والحافظ أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي، والقاضي أبو بكر يوسف بن القاسم الميانجي، وخلق كثير سواهم.

ثناء العلماء عليه:

اتفق المحدثون على توثيقه، وضبطه للرواية، فقد رحل إليه والد أبي عبد الله

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٢٩١، وينظر: تاريخ الإسلام: ٥/ ٧٤٥

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٤/ ١٨٠.

(٣) ذكر الذهبي سير أعلام النبلاء: ١٤/ ١٧٧ أن النسائي روى عنه في الكنى، ونسبه إلى جده، فقال: «حدثنا أحمد بن المثنى».

ابن منده، وقال له: «إنما رحلت إليك لإجماع أهل العصر على ثقتك وإتقانك»[١]، وقال الخليلي: «ثقة متفق عليه»[٢]، وقال الحاكم: «ثقة مأمون»[٣]، وقال الدارقطني: «ثقة، مأمون، موثوق به»[٤].

وكما أثنى العلماء على روايته أثنوا أيضًا على دينه وخلقه، قال ابن حبان: «من المتقنين في الروايات، والمواظبين على رعاية الدين وأسباب الطاعات»[٥]، وقال أبو زكريا الأزدي: «كان من أهل الصدق والأمانة والدين والحلم... وكان عاقلاً حليمًا صبورًا حسن الأدب»[٦].

قال الذهبي: «وقد بلغنا عن أبي عمرو بن حمدان: أنه كان يفضل أبا يعلى الموصلي على الحسن بن سفيان، فقيل له: كيف تفضله ومسند الحسن أكبر، وشيوخه أعلى؟

قال: لأن أبا يعلى كان يحدث احتسابًا، والحسن بن سفيان كان يحدث اكتسابًا»[٧].

كما أثنى العلماء على حسن مصنفاته، وسعتها كما سيأتي.

مؤلفاته:

يُعد الإمام أبو يعلى من المكثرين في رواية الحديث، وصنف العديد من

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٤/ ١٧٧.

(٢) الإرشاد في معرفة علماء الحديث: ٢/ ٦١٩.

(٣) سؤالات مسعود بن علي السجزي للحاكم: ص٨٦.

(٤) سؤالات السلمي للدارقطني: ص٨٦.

(٥) الثقات: ٨/ ٥٥.

(٦) سير أعلام النبلاء: ١٤/ ١٨٠.

(٧) المرجع السابق: ١٤/ ١٨٠.

الكتب، قال أبو زكريا الأزدي ـ وهو من تلاميذه ـ: «وهو كثير الحديث، صنف المسند وكتبًا في الزهد والرقائق، وخرج الفوائد»[١]، ونقل الذهبي عن إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الحافظ قوله: «قرأت المسانيد كمسند العدني، ومسند أحمد بن منيع، وهي كالأنهار، ومسند أبي يعلى كالبحر يكون مجتمع الأنهار».

قال الذهبي: «قلت: صدق، ولا سيما مسنده الذي عند أهل أصبهان من طريق ابن المقرئ عنه، فإنه كبير جدًا، بخلاف المسند الذي رُويناه من طريق أبي عمرو بن حمدان عنه، فإنه مختصر»[٢]، ولما ذكره الذهبي في المقنى في سرد الكنى، قال: صاحب المسندين»[٣]. ومن هنا يتضح أن لأبي يعلى مسندين، أو هما روايتان للمسند:

١- «المسند» من رواية أبي بكر محمد بن إبراهيم المقرئ، وهو المسند الكبير الذي أشار إليه الذهبي، ولم يصلنا.

٢- «المسند» من رواية أبي عمرو محمد بن أحمد بن حمدان الحِيْرِيُّ[٤]، وهي مختصرة مقارنة بالسابقة، وهي المطبوعة[٥]، وفيها (٧٥٥٥) حديثًا.

٣- ومن مصنفاته كتاب «المعجم»، وقد رتبه على شيوخه، وذكر فيه ٢٧٥

---

(١) المرجع السابق: ١٤/ ١٧٨.

(٢) المرجع السابق: ١٤/ ١٨٠.

(٣) المقنى في سرد الكنى: ٢/ ١٦١.

(٤) ينظر مقدمة تحقيق مسند أبي يعلى: ١/ ٩.

(٥) طبع عدة طبعات، منها: طبعة دار المأمون للتراث في دمشق، سنة ١٤٠٤هـ، بتحقيق حسين سليم أسد، وطبعة دار القبلة في مكة، سنة ١٤٠٨هـ، بتحقيق إرشاد الحق الأثري، وطبع حديثًا أيضًا في دار المعرفة في بيروت، سنة ١٤٢٨هـ، بتحقيق خليل مأمون شيحا، وفي دار الكتب العلمية بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ولم أقف على هذه الأخيرة.

شيخًا ممن سمع منهم[١]، وهو من رواية القاضي أبي بكر يوسف بن القاسم الميانجي[٢].

٤- «المفاريد». وسيأتي الحديث عنه في المطلب الثاني.

٥- «الفوائد»، ذكره أبو زكريا الأزدي، ولعل أبا يعلى عناه بقوله في مسنده: «وذُكر الحديث في الفوائد»[٣].

٦- «حديث محمد بن بشار عن شيوخه»، وهو جزء صغير مطبوع[٤]، وفيه (٥٦) حديثًا.

وله كتب أخرى في الزهد والرقائق كما سبق، ولم يصلنا منها شيء.

وفاته:

توفي ليلة الخميس الرابع عشر من جمادى الأولى سنة سبع وثلاث مائة، ودفن يوم الجمعة، و«غلقت أكثر الأسواق يوم موته، وحضر جنازته من الخلق أمر عظيم»[٥].

---

(١) ينظر: مقدمة محقق معجمه: ١/ ٩، وقد طبع الكتاب في إدارة العلوم الأثرية في فيصل أباد بباكستان، سنة ١٤٠٧هـ، بتحقيق إرشاد الحق الأثري، وطبع في دار المأمون ببيروت، سنة ١٤١٠هـ، بتحقيق حسين سليم أسد وعبدة علي كوجك.

(٢) ينظر: معجم أبي يعلى: ١/ ٣٨.

(٣) مسند أبي يعلى: ١١/ ١٨٥، وذكر الحديث الهيثمي في مجمع الزوائد: ٤/ ٢٥٦، ونقل عن أبي يعلى قوله: «وذُكر الحديث في النوادر»، ولعلها تصحيف.

(٤) طبع بتحقيق د. عبد الرحيم بن يحيى الحمود، في مجلة الأحمدية، العدد (١٨)، سنة ٢٠٠٤م.

(٥) نقله الذهبي في تاريخ الإسلام: ٧/ ١١٣ عن تلميذه أبي زكريا يزيد الأزدي.

المطلب الثاني
التعريف بكتاب المفاريد، وإثبات نسبته للمؤلف

اسم الكتاب والتعريف به:

اسم الكتاب «المفاريد عن رسول الله»، هكذا جاء مثبتًا على غلاف نسختيه الخطيتين، وفي السماعات المثبتة في المخطوط كما سيأتي في وصفها، ولم يصرح أبو يعلى بتسمية هذ الجزء في بدايته كعادة غالب المصنفين في ذلك العصر.

وهو جزء حديثي مكون من ثلاثة أجزاء أو مجالس، رتبه المصنف على أسماء الصحابة، فذكر فيه (٥٩) صحابيًا من المقلين في الرواية، وذكر لكل صحابي حديثًا أو حديثين غالبًا، وربما زاد، وعدد الأحاديث في هذا الجزء (١٢٠) حديثًا.

ولم يزد المؤلف على رواية الأحايث المسندة شيئًا، فلم يتكلم على الأسانيد أو الرجال، أو غير ذلك، بل اكتفى بذكر اسم الصحابي، ثم ذكر ما أراد إيراده من أحاديثه.

إثبات نسبة الكتاب للمصنف

قال محقق الكتاب: «إن مما يوثق نسبة كتاب المفاريد للحافظ أبي يعلى أمرين:

الأول: تخريج أبي يعلى لأحاديث المفاريد في سنده بأسانيد المفاريد نفسها، كما تراه في التعليق.

الثاني: إسناد الكتاب المثبت في مقدمته، وعلى الوجه الأول منه إلى أبي يعلى». ثم ساق تراجم رجال الإسناد[1].

قلت: وهذا الإسناد أيضًا مثبت على طرة النسخة الأخرى كما سيأتي في

---

(١) مقدمة تحقيق كتاب المفاريد، ص١٧.

صورتها، **وأزيد أمرين آخرين على ما ذكر المحقق**، وهما:

الثالث: رواية تلاميذ أبي يعلى لبعض أحاديث الكتاب عن أبي يعلى بأسانيد المفاريد، وقد اعتنيت بتخريج تلك الأحاديث التي رووها عن أبي يعلى، فقد روى عنه ابن حبان وأبو الشيخ الأصبهاني ومحمد بن إبراهيم المقرئ بعض الأحاديث في هذا المستدرك كما سيأتي في تخريجها.

الرابع: السماعات المثبتة لعدد من الأئمة لهذا الجزء، فالنسخة التي اعتمدتها هنا في استدراك الأحاديث في آخرها نقلٌ لسماعات قيمة لهذا الجزء كما هو مثبت في صورتها، مما يؤكد نسبته لأبي يعلى، وفيها ذكر لاسم الكتاب أيضًا، ومنها سماع لأبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة، وابنه عمر، والحافظ عبد الغني المقدسي، وجماعة بعدهم ومنهم الحافظ يوسف المزي، وغيرهم، كما سيأتي في وصف النسخة.

كما أن بعض الأئمة ذكروا في مروياتهم سماعهم لهذا الجزء، ومنهم الإمام السبكي فقد ذكره[1] في مسموعاته عن شيخه شهاب الدين أبي العباس بن أبي الحسن، فقال: «وجزءًا فيه ثلاثة مجالس من أمالي أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، بحضوره على الإمام تقي الدين عبد الرحمن البلداني، بسماعه من أبي طاهر أحمد بن عبد الله بن أحمد الطوسي، وأبي منصور مسلم بن علي بن محمد السيحي، بسماعهما من أبي البركات محمد بن محمد بن خميس الجهني، بسماعه من أبي نصر أحمد بن عبد الباقي بن طوق، بسماعه من نصر بن أحمد المرجي، عنه»، وهذا هو إسناد كتاب المفاريد هذا. والله أعلم.

---

(١) في معجم شيوخه: ص٨٩.

وصف النسخة الخطية

النسخة التي اعتمدت عليها في استدراك الأحاديث الناقصة من الكتاب هي من محفوظات بدار الكتب الظاهرية ضمن مجموع برقم (حديث: ٢٧٩)[١]، ومنها صورة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٢٥٧٥)، وعن طريقها حصلت على نسخة منها، وتقع في ٢٣ ورقة، في آخرها ثلاث أوراق بها سماعات كثيرة وضعت صورتها ضمن المصورات.

وكل ورقة بها صفحتان في كل صفحة ٢٠ سطرًا، وكتبت بخط جميل، وواضح، واعتنى ناسخها بضبط كثير من الكلمات بالشكل، واسم ناسخها عبد الرحيم بن عبد الخالق بن محمد بن أبي هشام القرشي الشافعي.

وهي نسخة نفيسة، نسخت سنة اثنتين وعشرين وست مائة، ولعلها ملك للمحدث كمال الدين أحمد بن أبي الفضائل الدُّخيمسي[٢]، فالجزء من مروياته،

---

(١) ينظر: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية المنتخب من مخطوطات الحديث، ص٢٩٦.

(٢) الدُّخيمسي بضم أوله، نسبة إلى دُخيمس، وهي من قرى مصر في ناحية الغربية، والكمال أحمد ابن الدخيمسي محدث معروف في زمنه، كان بدمشق، ثم رحل للهند، توفي سنة٦٧١هـ، وكتب بخطه كثيرًا، ونقل من خطه العلماء، ومنهم الذهبي كما في تاريخ الإسلام ١٣/ ٧٦٧، قال: «نقلت ذلك كله من خط ابن الدخميسي»، وترجم له الذهبي في تاريخ الإسلام، وقال: «صدر محتشم، متمول، سمع الكثير وعني بالحديث، وكتب بخطه الكثير، ورحل في الحديث، وحصل، وفهم... وخطه طريقة معروفة بين المحدثين». وقال الصفدي: «وخطه مشهور، وملكت بخطه كتاب البديع لابن منقذ، وكتاب الوشي المرقوم لابن الأثير، وقد كتب عليه: رواية مالكه أحمد بن أبي الفضائل الدخميسي إجازة عنه مع جميع مصنفاته ومقولاته ومنقولاته، واجتمعت به في الموصل في رحلتي الأولى إلى مدينة السلام عجلًا مجتازًا، فلم يقدر لي أن أكتب عنه إلا أربع مكاتبات من كلامه، وقرأتها عليه، وكتب لي خطه بالإجازة، وذلك في شهور سنة ست وعشرين وست مائة». تنظر ترجمته في: تاريخ الإسلام: ١٥/ ٢٢٤، =

وقد اعتنى بهذه النسخة، وقابلها على أصلها، ونقل بخطه بعض السماعات التي على أصلها، وقرأها مرات عدة على عدد من شيوخه، وسمعها بقراءته جمعٌ من العلماء، سنة اثنتين وعشرين، وسنة ثلاث وعشرين وست مائة، كما هو مثبت في السماعات.

كما أُثبت في السماعات قراءة هذا الجزء من جماعة من العلماء، على تلاميذ الكمال الدُّخيمسي، وعدد آخر من المحدثين بعدُ، وقد ظل هذ الجزء متداولًا بين المحدثين ما يزيد على ستين عامًا وفي آخره[1] سماعٌ قيم للحافظ جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي، صاحب تهذيب الكمال، وآخر سماع مثبت على آخر صفحة من المخطوط[2] سنة ثمان وثمانين وست مائة من الهجرة.

وهذا يدل على قيمة هذا الجزء، وأهميته، وعناية العلماء به، ولذا جاء هذا الجزء مصححًا، مضبوطًا بالشكل، نادر الخطأ. والله أعلم.

=

تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٦٩، المعين في طبقات المحدثين: ص٢١٣، الوافي بالوفيات: ٧/ ١٨٩، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: ١/ ٦١٤، معجم البلدان: ٢/ ٤٤٥.

(١) ينظر: ص٨٦.

(٢) ينظر: ص٨٧.

صورة الورقة الأولى من النسخة الخطية

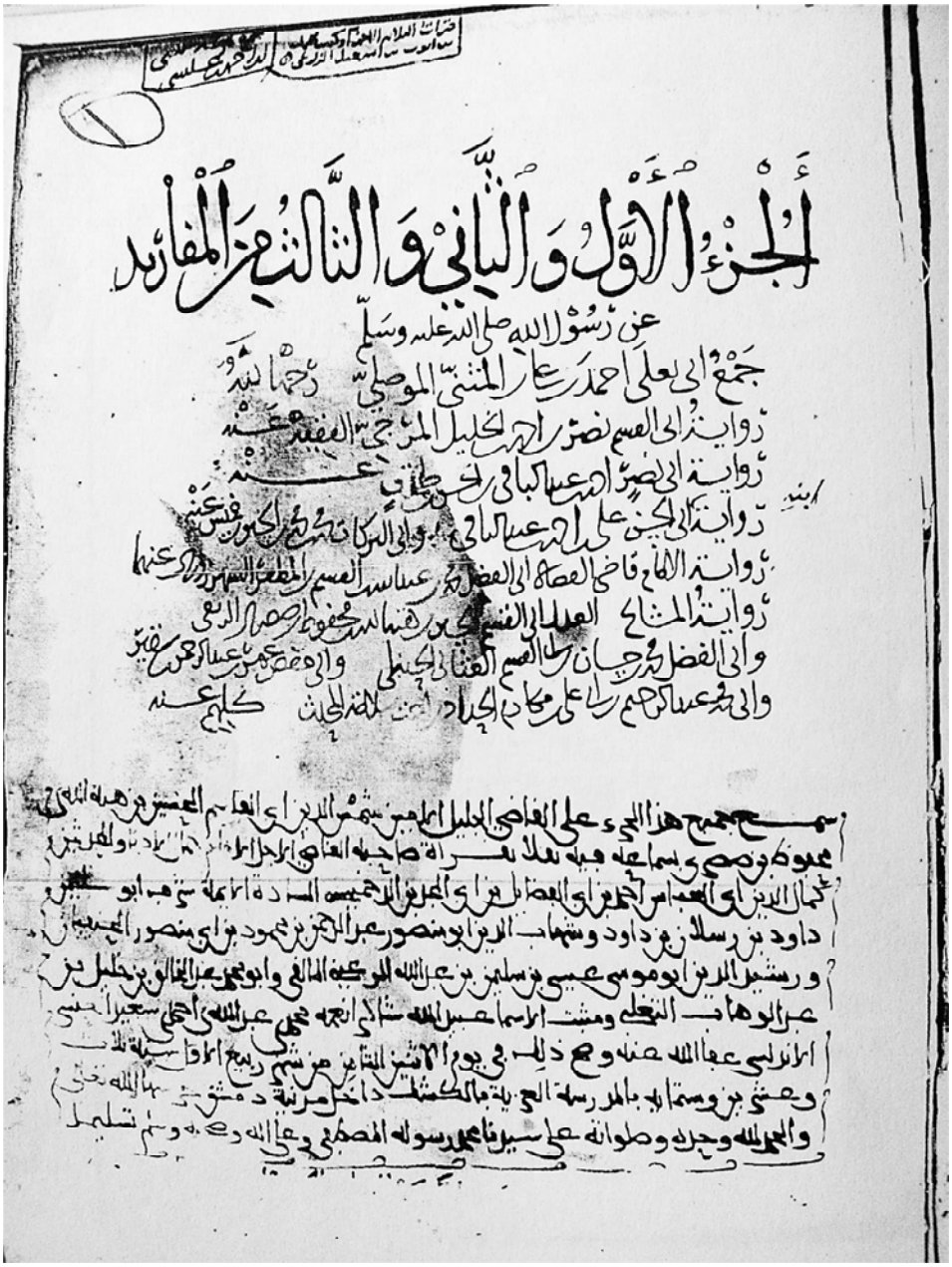

الجزء الأول والثاني والثالث من المفاريد

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

جمع أبي يعلى أحمد بن علي المثنى الموصلي رحمه الله

رواية أبي القسم نصر بن أحمد بن الخليل المرجي عنه

رواية أبي نصر أحمد بن عبد الباقي بن الحسن الطاقي عنه

رواية أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الباقي وأبي البركات محمد بن الحسن بن هبة الله عنه

رواية القاضي أبي الفضل عبد الله بن عبد الله بن القسم المطهر الشهرزوري عنهما

رواية الشيخ العدل أبي القسم بن رقيمة الله بن محفوظ بن صصرى الدقي

وأبي الفضل محمد بن حسان بن القسم العقاري الحنبلي وأبي حفص عمر بن عبد الرحمن بن قتيبة

وأبي محمد عبد الرحيم بن علي بن مكي الحداد [illegible] كلهم عنه

سمع جميع هذا الجزء على القاضي الجليل أمير بن شمس الدين أبي القاسم الحسين بن هبة الله بن

عبد الرحيم بن صصرى وسماعه فيه نقلا من خط [illegible] صاحبه القاضي الجليل [illegible]

كمال الدين أبي العباس أحمد بن أبي الفضائل بن أبي الحسن بن الحسين السدادة الأئمة [illegible] أبو [illegible]

داود بن رسلان بن داود وشهاب الدين أبو منصور عبد الرحمن بن محمود بن أبي منصور الحسين

ورشيد الدين أبو موسى عيسى بن سليمان بن عبد الله الموكبة المالقي وأبو محمد عبد الغالب بن خليل بن

عبد الوهاب التغلبي ومثبت الأسماء عبد الله شاكي [illegible] محمد بن عبد الله بن أحمد بن سعيد [illegible]

الأندلسي عفا الله عنه وصح ذلك في يوم الاثنين الثامن من شهر ربيع الأول سنة ثلاث [illegible]

وستين وستمائة بالمدرسة العزيزية بالكشك داخل مدينة دمشق [illegible] الله تعالى

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد رسوله المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

صورة الورقة الأخيرة من الكتاب من النسخة الخطية

صور السماعات في آخر الكتاب

سمع جميع الجزء الثاني من المباريد حديث على الشيخ الفقيه العالم الثقة جمال الدين أبي
محمد المعافا بن إسماعيل بن الحسين بن الحسن بن أبي الفتح بن أبي البشائر إسماعيل من أبي الربيع سليمان بن محمد بن
حيي الفقيه العالم كمال الدين أبو العباس أحمد بن أبي الفضائل بن أبي المجد بن أبي الحسن
وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن طالب الصقار وأبو المعالي محمد بن جامع بن أبي التميمي وأبو حفص
عمر بن [illegible] الأميري وأبو بكر بن عبد الخالق بن أبي بكر المؤدن وأبو الوفا عبد الملك وأبو
عبد الله [illegible] وتاج الدين أبو الحسن عبد الوهاب بن عز بن الأمناء البركات الحسن ومحمد
[illegible] الجوزي الأفقيسي الفرائي وهذا خطه وابنه يوسف في الرابعة وفي الذي بعدها
[illegible] سنة ثلاث وعشرين وستمائة بمدرسة ابن المقدم داخل باب الفراديس
[illegible] والله وحده وصلاته على محمد نبيه وعلى آله وصحبه وحسبنا الله ونعم الوكيل

سمع جميع الجزء الثاني من المباريد حديث على الشيخ الإمام العالم جمال الدين أبي محمد المعافا بن إسماعيل
بن الحسين بن الحسن بن أبي الربيع سليمان عن أبيه الشيخ الإمام الحافظ شرف الدين صالح بن أبي الفضل بن يدر
بن حسن الذولعي وفخر الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن خليل الخمري التاجي والمدرس محيي الدين يحيى بن خليل العطاري
وعبد المعز بن مطهر بن أبي الفضل المصري وعبد الله بن عمر بن يونس بن بدر الموسي وابن بدر العبدري ويونس بن
يونس الأنصاري والحاج ملك بن عبد الله الصالحي والعماد عمر بن دبيس بن سنان الحلبي المقدسي وآل
بعراه منيفة محمد بن عبد الملك بن عبد الله بن عثمان المعولي الحنبلي وصح ذلك وسمع النصف الثاني داود
بن أبي عمر بن داود الفارقي وسمعه داود العز أبو محمد عبد العزيز بن عبد الصمد المصري وصح ذلك
في العاشر من ربيع الأول سنة [illegible] بمدرسة ابن المقدم بالمقدس [illegible] المحمد [illegible] على محمد

صح ذلك وكتبه المعافا بن إسماعيل
بن الحسين بن الحسن بن أبي الفتح بن
أبي البشائر وصلى الله على سيدنا محمد

سمع جميع هذا على السيد أبي الفضل محمد بن حسان بن الصيرفي العدل بقراءة منه وعلى الدراجي
بقراءة أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد العزيز العيسى محمد بن محمود الصابوني وخطه السماع في
يوم الجمعة حادي عشر [illegible] سنة [illegible] وستمائة وصح لفوق عليه خطه علي بن محمد [illegible]
وسمعه من الفضل المذكور وعبد الرحمن بن علي بن مكارم الحلبي الحداد الحنبلي بقراءة منه أبو بكر
عبد الله بن محمد بن حسان العامري بقراءة ابنه وخطه السماع في يوم الثلاثاء [illegible] بمدرسة ابن المقدم [illegible]

صورة الصفحة قبل الآخيرة

وفي آخرها سماع قيم للحافظ المزي لهذا الجزء.

آخر ورقة من المخطوط

المبحث الثاني

النص الساقط[١] من المطبوع من كتاب المفاريد عن رسول الله

٥٦- عُتْبَة بْنَ غَزْوَانَ[٢]

١١٤- حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى، نَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ[٣] وشَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ[٤]، قَالا: نَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ[٥]، عَنْ حُمَيْدِ بْنُ هِلَالٍ الْعَدَوِيِّ[٦]، عَنْ خَالِدِ بْنِ

---

(١) البداية هنا من السطر (١٧) من الورقة (١٩ب)، ويبدأ القدر الساقط من قوله: (قَرِحَتْ) في السطر (٧) من الورقة (٢٠أ) كما سأبينه عندها.

(٢) هو عُتْبَة بن غَزْوان بن جابر بن وهب المازني، أبو عبد الله، وقيل: أبو غزوان، من السابقين الأولين، وهو سابع سبعة فِي الْإِسْلَام مَعَ رسول الله ﷺ كما قال في الحديث الآتي، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وما بعدها، وهو من اختط البصرة، وأول من خطب بها من الأمراء بهذا الحديث، روى عنه خالد بْن عُمَير العدوي، وشويس بن حياش العدوي، وابن ابنه عُتبة بْن إِبْرَاهِيم بْن عُتبة، وخرج له مسلم، وأصحاب السنن إلا أبو داود، توفي بالرَّبَذَة، في طريق عودته للبصرة، سنة خمس عشرة، وقيل: سنة سبع عشرة، وقيل سنة عشرين، وهو ابْنُ سبع وخمسين سنة. [أسد الغابة: ٣/ ٤٦١، تهذيب الكمال: ١٩/ ٣١٧، الإصابة: ٤/ ٣٦٣].

(٣) هو هُدْبة بن خالد بن الأسود القيسي، أبو خالد البصري، ويقال له أيضًا: هَدَّاب، توفي سنة ٢٣٥هـ، قال الذهبي: «صدوق، قال ابن عدي: لا أعرف له حديثا منكرًا»، وقال ابن حجر: «ثقة عابد، تفرد النسائي بتليينه». [الكاشف ٢/ ٣٣٤، تقريب التهذيب ص ٥٧١].

(٤) هو شيبان بن فروخ أبي شيبة الحَبَطي، أبو محمد الأُبُلّي، توفي سنة ٢٣٥هـ، وله بضع وتسعون سنة، قال الذهبي: «قال أبو زرعة: صدوق»، وقال ابن حجر: «صدوق يهم ورمي بالقدر، قال أبو حاتم: اضطر الناس إليه أخيرًا». [الكاشف ١/ ٤٩١، تقريب التهذيب ص٢٦٩].

(٥) هو سليمان بن المغيرة القيسي مولاهم، أبو سعيد البصري، توفي سنة ١٦٥هـ، قال الذهبي: «جليل. قال شعبة: هو سيد أهل البصرة، وقال أحمد: ثبت ثبت»، وقال ابن حجر: «ثقة ثقة. قاله يحيى ابن معين». [الكاشف ١/ ٤٦٤، تقريب التهذيب ص ٢٥٤].

(٦) هو حُميد بن هلال العدوي، أبو نصر البصري، من الثالثة، قال الذهبي: «قال قتادة: ما كانوا =

عُمَيْرٍ[١]، قَالَ: خَطَبَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ[٢] بِصُرْمٍ[٣]، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ[٤]، وإِنَّمَا بَقِي مِنْهَا صُبَابَة[٥] كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ اصْطَابَهَا أَحَدُكُمْ، وأنتم مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَلقَد بَلَغَنِي أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ[٦] فَمِا يَبْلُغُ قَعْرَهَا سَبْعِينَ عَامًا، وَايْمُ اللهِ لتُمْلَأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ! وَلَقَدْ ذُكِرَ لِي أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظُ[٧] الزِّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ

=

يفضلون أحدا عليه في العلم»، وقال ابن حجر: «ثقة عالم، توقف فيه ابن سيرين لدخوله في عمل السلطان». [الكاشف ١/ ٣٥٥، تقريب التهذيب ص ١٨٢].

(١) هو خالد بن عُمير العدوي البصري، من الثانية، قال الذهبي: «مخضرم»، وقال ابن حجر: «مقبول، يقال: إنه مخضرم، ووهم من ذكره في الصحابة»، وقد روى له مسلم هذا الحديث كما سيأتي في تخريجه. [الكاشف ١/ ٣٦٧، تقريب التهذيب ص ١٩٠].

(٢) نهاية الورقة (١٩ب).

(٣) آذَنَتْ بِصُرْمٍ: آذنت أى أشعرت، والصُّرم –بالضم– القطع. ويقال: بفتح الصاد وكسرها. والمعنى أشعرت وأعلمت بانقطاع أمرها وإنتهائه. [ينظر: غريب الحديث للحربي: ٣/ ١١٨٨، مشارق الأنوار: ٢/ ٤٢، كشف المشكل من حديث الصحيحين: ٤/ ٢٢٨].

(٤) وَلَّتْ حَذَّاءَ أي مسرعة، والحذاء: السريعة الخفيفة التي انقطع آخرها، ومنه قيل للقطاة: «حذاء»؛ لقصر ذنبها مع خفتها، والمعنى: أنه مدبرة ماضية منقطعة. [ينظر: غريب الحديث للحربي: ٣/ ١١٨٨، غريب الحديث للقاسم بن سلام: ٤/ ١٦٧، شرح السنة: ١٤/ ٢٨٢].

(٥) الصُبابة –بضم الصاد– هي البقية اليسيرة من الماء في الإناء، قال القاسم بن سلام: «فَشبه مَا بَقِي من الْعَيْش بِبَقِيَّة الشَّرَاب يَتَمَرَّزُه ويَتَصَابُّهُ». [ينظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام: ٤/ ١٦٧، مشارق الأنوار: ٢/ ٣٧، شرح السنة: ١٤/ ٢٨٢].

(٦) شفير جهنم: «أَيْ جانِبها وحَرْفها. وشَفِيرُ كُل شَيْءٍ: حرفُه». [النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٤٨٥، وينظر: مشارق الأنوار: ٢/ ٢٥٦].

(٧) كَظِيظ أي: مُمتلئ، يَضَيق بكثرة الداخلين، ومنه اكتظ السَّيل بِسيله إذا ضَاق به، والكَظِيظ: =

سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ(١) أَشْدَاقُنَا(٢)، وَلَقَدْ لَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدٍ(٣)، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا،

=

الزَّحام، يقال: رأيت على بابها كَظَيظًا أي زحامًا. [ينظر: غريب الحديث للحربي: ٣/ ١٢١٠، شرح السنة: ١٤/ ٢٨٢].

(١) قَرِحَتْ: أي تجرحت، والقرح -بفتح القاف وضمها-: هو ألم الجرْح، ثمَّ اسْتعْمل فِي الجِراح الخَارِجَة فِي الْجَسَد. [ينظر: مشارق الأنوار: ٢/ ١٧٧، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٣٦].

وهذه الكلمة آخر ما في النسخة التي اعتمدها محقق كتاب المفاريد المطبوع، وبعدها يبدأ القدر الساقط من المطبوع من الكتاب، وقد آثرت ذكر أول الحديث لإتمام الفائدة، وإيراد الحديث بسنده، وقد أضاف المحقق كلمة (أَشْدَاقُنَا) إتمامًا للسياق وهي غير موجودة في النسخة التي اعتمدها، وهي أول كلمة من القدر الساقط في النسخة التي اعتمدتُ عليها في إيراد القدر الساقط من مطبوعته.

(٢) الْأَشْدَاقُ جوانبُ الفَم، واحدها شدق. [ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٤٥٣].

(٣) هو سعد بن مالك كما جاء مصرحًا في رواية مسلم للحديث، وهو سعد بن أبي وقاص واسم أَبِي وقاص: مالك بن وهيب أو أهيب بن عبد مناف القرشي الزُّهْرِيّ، يكنى أبا إِسْحَاق، من أوائل من أسلم، فقد قال: «لقد مكثت سبعة أيام وإني لثالث الإسلام»، وكان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة، شهد بدرًا، والمشاهد كلها مع رَسُول اللهِ ﷺ، وهو أحد العشرة الَّذِينَ شهد لهم رَسُول اللهِ ﷺ بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، الذين أخبر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض، واستعمله عمر بن الخطاب عَلَى قتال الفرس، فقد كان أميرًا لجيش معركة بالقادسية، وهو الذي فتح المدائن مدائن كسرى بالعراق، وهو الذي بنى الكوفة، وولى العراق، ثم عزله، فلما حضرت عمر الوفاة جعله أحد أصحاب الشورى، وقال: «إن ولي سعد الإمارة فذاك، وَإِلا فأوصي الخليفة بعدي أن يستعمله، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ مِنْ عَجْزٍ وَلا خِيَانَةٍ»، فولاه عثمان الكوفة ثم عزله، ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة، ولم يكن مع أحد من الطوائف المتحاربة، بل لزم بيته، وأراده ابنه عمر وابن أخيه هاشم بن عتبة بن أَبِي وقاص أن يدعو إِلَى نفسه، بعد قتل عثمان، فلم يفعل، وطلب السلامة، توفي بالعقيق عَلَى

=

فَمَا مِنَّا أَحَدٌ الْيَوْمَ حَيٌّ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ، فَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ عَظِيمًا فِي نَفْسِي، صَغِيرًا عِنْدَ اللهِ، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ إِلَّا تَنَاسَخَتْ حَتَّى تكون عَاقِبَتُهَا مُلْكًا، وسَتَبْلُونَ الْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا».

هذا لفظ هدبة(١).

=

سبعة أميال من المدينة، سنة ست وخمسين. في أشهر الأقوال. [أسد الغابة: ٢/ ٢١٤، الإصابة: ٣/ ٦١].

(١) إسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٧١٢١) عن أبي يعلى، عن هدبة به.

❍ وأخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد (٣٠٠)*، عن هدبة وشيبان معًا به.

❍ وأخرجه عبد الله في زوائده على الزهد لأبيه (٩٤٦) عن هدبة فقط به.

❍ وأخرجه مسلم (٢٩٦٧)، والطبراني في الكبير (٢٨٠)، وأبو نعيم في صفة الجنة (١٧٦)- ومن طريقه المزي في تهذيب الكمال: ٨/ ١٤٥-، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٨٤٤) عن شيبان فقط به.

❍ وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٥٣٤)، والطيالسي (١٣٧٢)*، عن سليمان به، وأخرجه أحمد (١٧٥٧٥)، ومسلم (٢٩٦٧)، والنسائي في الكبرى (١١٧٩٠)، والطبراني في الكبير (٢٨٠)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٣٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٨٤٤)، وفي البعث والنشور (٤٨٦)، والبغوي في شرح السنة (٤٠٨٦) من طرق أخرى عن سليمان بن المغيرة به.

❍ وأخرجه وكيع في الزهد (١٢٠)*، وعبد الرزاق (٢٠٨٩١)، ونعيم بن حماد في الفتن (٢٥٢)، وابن أبي شيبة (٣٤٠٣٨)* و(٣٤٧٩٥)، وأحمد في المسند (١٧٥٧٤)* و(٢٠٦٠٩)* و(٢٠٦١٠)*، وفي الزهد (١٦٩)*، ومسلم (٢٩٦٧)*، وحماد بن إسحاق في تركة النبي: ص٦٠، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢١٨)*، وابن أبي عاصم في الآحاد (٣٠١)، والمحاملي في أماليه (٥١٥)*، والطبراني في الكبير (٢٨١) و(٢٨٢)، والحاكم (٥١٣٩)، وأبو نعيم في الحلية: ١/ ١٧١، وفي معرفة الصحابة (٥٣٣٧)، وفي صفة الجنة

=

١١٥- حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى، نَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي سَمِينَةَ البَصْرِيُّ(١)، ثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عِيسَى(٢)، ثَنَا أَبُو نَعَامَةَ الْعَدَوِيُّ(٣)، عَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَدَوِيِّ(٤) وشُوَيْس الْعَدَوِيِّ(٥)، قَالا: «قَدِمْنَا مَعَ عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا المِرْبَد(٦)، رَأَى

=

(١٧٦)*، وابن بشران في أمالية (٤١٠)، من طرق أخرى عن حميد بن هلال به.

(١) هو محمد بن إسماعيل بن أبي سَمِينة البصري، توفي سنة ٢٣٠هـ، قال الذهبي: «ثقة»، وقال ابن حجر: «ثقة». [الكاشف ٢/ ١٥٨، تقريب التهذيب ص٤٦٨].

(٢) هو صفوان بن عيسى الزهري، أبو محمد البصري القسام، توفي سنة ٢٠٠هـ، قال الذهبي: «وثق»، وقال ابن حجر: «ثقة». [الكاشف ١/ ٥٠٤، تقريب التهذيب ص ٢٧٧].

(٣) هو عمرو بن عيسى بن سويد بن هبيرة البصري، أبو نعامة العدوي، من السابعة، قال الذهبي: «ثقة قيل: تغير بأخرة»، وقال في تاريخ الإسلام (٩/ ٦٨٩): «صدوق»، قال ابن حجر: «صدوق اختلط». قلت: لم يضعفه أحد غير ابن سعد في الطبقات، وقال أحمد: ثقة إلا أنه اختلط قبل موته، ووثقه ابن معين والنسائي، وقال أبو حاتم: «لا بأس به»، وذكره ابن حبان في الثقات. [الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٥٦، الثقات: ٧/ ٢٢٦، تهذيب الكمال: ٢٢/ ١٨١، الكاشف ٢/ ٨٥، تقريب التهذيب ص ٤٢٥].

(٤) سبقت ترجمته في الحديث رقم (١١٤).

(٥) في الأصل: «شريس»، والتصويب من مصادر التخريج والترجمة، وهو شُوَيْس بن حَيَّاش أو جَيَّاش البصري، أبو الرُّقَاد العدوي، لم يرو له أحد من أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي في الشمائل هذا الحديث، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: «مقبول من الثالثة». [الثقات: ٤/ ٣٧٠، تهذيب الكمال: ١٢/ ٥٨٩، تقريب التهذيب ص ٢٦٩].

(٦) المِرْبَدُ ضاحية من ضواحي البصرة، تقع غربي البصرة، وفيها شارع يسمى به، وكان سوقًا للإبل في طرف البصرة من جهة البادية، وأصل المربد مكان حبس الإبل والغنم، وبه سمي مربد البصرة، فإذا أطلق انصرف إليه، ويظهر من خلال روايات الحديث أن المربد إنما نشأ بعد نشأة البصرة، ولم يكن موجودًا أثناء هذه القصة، إنما أشار الراوي إلى موضعه، فقد ورد في بعض ألفاظ الحديث: (انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْمِرْبَدَ، وَلَا مِرْبَدَ يَوْمَئِذٍ)، وفي رواية: (مَرَّ عُتبَة بْن غَزوَان بِموَضِع المِرْبَد) [ينظر: معجم البلدان: ٥/ ٩٧-٩٩، سير السلف الصالحين:

=

ذَلِكَ الْكِذَّانَ(١)، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الأَرْضَ بَصْرَةٌ(٢)، فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى الْكِذَّانَ نَحْوَ الْجِسْرِ، قَالَ: هَاهُنَا أَمَرَنا(٣) نَنْزِل، وَبَلَغَ صَاحِبَ الْأُبُلَّةِ(٤)، فَسَارَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: لَا تُحَدِّثُوا شَيْئًا حَتَّى تَكُونَ السَّاعَةُ الَّتِي كُنْتُ أَلْقَى مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ(٥)، فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ قَالَ: سِيرُوا إِلَيْهِمْ، فَهَزَمَهُمْ، وَوَضَعَ المِنْبرُ، فَخَطَبَ فَقَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلا صُبَابَةٌ الإِنَاءِ، وإِنَّكُمْ تَنْصَرِفُونَ إِلَى غَيْرِ هَذِهِ(٦) الدَّارِ، فَانْتَقِلُوا

=

ص٥٧٨، تاريخ الإسلام: ٣/ ١٢٩].

(١) الكذَّان: هي الحجارة الرخوة التي ليست بصلبة، وكانت أرض البصرة مليئة بها. [العين: ٥/ ٢٧٦، الصحاح: ٢/ ٥٦٩، معجم البلدان: ١/ ٤٣٠].

(٢) نقل الحموي عن ابن القطامي قوله: «إن المسلمين حين وافوا مكان البصرة للنزول بها نظروا إليها من بعيد، وأبصروا الحصى عليها، فقالوا: إن هذه أرض بصرة، يعنون حصبة، فسميت بذلك». [معجم البلدان: ١/ ٤٣٠].

(٣) كذا ضُبطت بالمخطوط (أمَرَنا) بالبناء للمعلوم، والآمر هو عمر بن الخطاب ﷺ، فقد روى الطبري في تاريخه: ٣/ ٥٩١ بإسناده عن عقبة قوله: «إن أمير المؤمنين أمرني أن أنزل أقصى البر من أرض العرب، وأدنى أرض الريف من أرض العجم، فهذا حيث واجب علينا فيه طاعة إمامنا»، وذكر ابن الجوزي في المنتظم: ٤/ ١٨٢ أن عمر طلب منه أن ينزل في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم، فكتب إلى عمر: «إنا نزلنا في أرض فيها حجارة خشن بيض»، فقال عمر: «الزموها فإنها أرض بصرة»، فسميت بذلك».

(٤) قال الحموي: «الْأُبُلَّةِ – بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها – بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة؛ لأن البصرة مصّرت في أيام عمر بن الخطّاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالحُ من قبل كسرى، وقائدٌ». [معجم البلدان: ١/ ٧٧].

(٥) يعني بعد زوال الشمس كما جاء مفسرًا في رواية الطبراني في المعجم الكبير (٢٨١)، وفيها قال عتبة: «كُنَّا نَشْهَدُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْقِتَالَ، فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ قَالَ لَنَا: (احْمِلُوا)».

(٦) نهاية الورقة (٢٠أ).

بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَلَقَد رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَابعَ سَبْعَةٍ، وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَة[1]، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، وَمَا مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ حَيٌّ إِلَّا وَهُو أَمِيرٌ عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ، وَلقَد بَلَغَنِي أَنَّ الْحَجَرَ يُرْمَى بِهِ فِي جَهَنَّمَ فَمِا يَبْلُغُ قَعْرَهَا سَبْعِينَ عَامًا، وَلتُمْلَأَنَّ، وَلقَد بَلَغَنِي أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَينِ مِنْ مَصَارِيْعِ الْجَنَّةِ ثَمَانِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظُ الزِّحَامِ»[2].

(١) ضبطها الناسخ بالفتح: (الحَبلة)، وهي قضبان شجرة الكرم، وهو غير مراد هنا، ولعل الصواب بالضم كما أثبته: (الحُبْلَةُ)، وهي شجر العِضَاه، وقيل: شجرة السَّمُر، وهما نوعان من شجر البادية. [ينظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام: ٤/ ٢٣، الصحاح: ٤/ ١٦٦٤، تفسير غريب ما في الصحيحين: ١/ ٦١، النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٣٣٤].

(٢) إسناده صحيح، أخرجه الترمذي في الشمائل (٣٧٥)*، إبراهيم الحربي في غريب الحديث: ٣/ ١١٨٥* و١١٩١* و١٢٠٩*، والطبري في تاريخه: ٣/ ٥٩١، والدولابي في الكنى (٩٩٠)* عن صفوان بن عيسى به.

❍ وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٨٣) (ولم يذكر متنه) -ومن طريقه كل من: أبي نعيم في الحلية: ٢/ ٢٥٦*، والمزي في تهذيب الكمال: ٨/ ١٤٦ (ولم يذكر متنه)- من طريق يزيد بن هارون عن أبي نعامة عنهما به.

❍ وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٨٨٩)* و(٣٤٠٣٨)* و(٣٤٧٩٥) و(٣٦٦٠١)*، وفي المسند (٥٦٤)*، -ومن طريقه ابن ماجة (٤١٥٦)*-، والطبراني في الكبير (٢٨١) و(٢٨٧)*، من طرق عن أبي نعامة عن خالد بن عمير فحسب عن عتبة بن غزوان.

❍ وقد اقتصر أبو يعلى الموصلي على رواية الحديث من طريق خالد بن عمير وأبي نعامة العدوي عن عتبة، وقد جاء من رواية غيرهما عنه مختصرًا ومطولاً، وممن رواه عن عتبة غيرهما:

٣- إبراهيم بن العلاء: أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٦١٣)، وهو أبو هارون الغنوي البصري، روايته مرسلة توفي بعد سنة ١٣٠هـ، وهو من قرناء الحسن البصري، روى عن بعض التابعين كعكرمة، وحطان بن عبد الله، ولم يذكر في ترجمته أنه روى عن أحد من الصحابة.
=

=

[طبقات خليفة: ١/ ٣٧٢، التاريخ الكبير: ١/ ٣٠٧، الجرح والتعديل: ٢/ ١٢٠، تاريخ الإسلام: ٣/ ٨٠٩].

٤- الحسن البصري: أخرجه هناد السري في الزهد: ٢/ ٣٩٦، والترمذي (٢٥٧٥)*، وابن أبي الدنيا في الزهد (١٨٩)، وفي ذم الدنيا (١٠٥)، وفي الجوع (١٦٢)*، والطبراني في الكبير (٢٨٤)، وفي الأوسط (٢٦١٣)، وأبو نعيم في الحلية: ١/ ٩٣*، وقال الترمذي: «ولا نعرف للحسن سماعًا من عتبة بن غزوان، وإنما قدم عتبة بن غزوان البصرة في زمن عمر، وولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر». وسبق أن ذكرت أن عتبة توفي في أقصى ما قيل سنة ٢٠هـ.

٥- قيس بن أبي حازم: أخرجه أبو نعيم في الحلية: ١/ ١٧١*، وفي معرفة الصحابة (٣٣٩)*، وقيس أسلم في زمن النبي ﷺ، وقدم ليبايعه فقبض النبي ﷺ وهو في الطريق إليه، قال الذهبي في ميزان الاعتدال: ٣/ ٣٩٢ «ثقة حجة، كاد أن يكون صحابيًا... أجمعوا على الاحتجاج به، ومن تكلم فيه فقد آذى نفسه»، وقال العلائي في جامع التحصيل: ص٢٥٧ «لم يكن مدلسًا، وقد ورد المدينة عقب وفاة النبي ﷺ والصحابة بها مجتمعون، فإذا روى عن أحد الظاهر سماعه منه»، وقال ابن حجر في تقريب التهذيب ص ٤٥٦: «ثقة من الثانية مخضرم، ويقال: له رؤية، وهو الذي يقال: إنه اجتمع له أن يروي عن العشرة مات بعد التسعين أو قبلها وقد جاز المائة، وتغير».

٦- مجاهد بن جبر: أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة: ٢/ ٢٤*، وهو مرسل، فمجاهد لم يدرك عتبة، فقد ذكر ابن حبان في الثقات: ٥/ ٤١٩ أنه ولد سنة ٢١هـ، وقد رواه مجاهد بقوله: «خطبنا»، يريد خطب أهل البصرة، كقول الحسن البصري في مراسيله عمن لم يلقه: «حدثنا» يريد حدث أهل البصرة، ثم وقفت علي الواسطة بينهما وهو:

٧- مطرف بن عبد الله بن الشخير، أبو عبد الله البصري: أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٠٩٢)، من طريق يونس بن خباب قال: سمعت أبا الخليل يُحدث مجاهدًا قال: نا مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: «أول أمير خطب علينا بالبصرة عتبة بن غزوان السلمي»، ثم ساق الحديث، ولم يذكر مترجموه رواية له عن عتبة، وسماعه منه ممكن، فهو تابعي مخضرم ولد في حياة النبي ﷺ، ولم يُعرف بتدليس، قال ابن حبان: «ولد في حياة رسول الله ﷺ... ومات عمر بن الخطاب ومطرف ابن عشرين سنة»، وذكر الذهبي في السير ما يقتضي

=

٥٧- سُهَيْل ابْنِ بَيْضَاء(١)

١١٦- حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى، ثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحِمَّانِيُّ(٢)، ثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ(٣)، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ(٤)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ(٥)، عَنْ سَعِيدِ بْنِ

=

أن مولده كان عام بدر، أو عام أحد، وقال: «ويمكن أن يكون سمع من عمر، وأُبَيّ»، [الثقات: ٥/ ٤٣٠، سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٨٧].

٨- يزيد بن نعامة: أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٣٤٢)، ترجم له المزي في تهذيب الكمال: ٣٢/ ٢٥٥، وذكره ممن روى عن عتبة، وقال: «يقال: مرسل».

٩- أبو نصر البصري: أخرجه أخرجه الحربي في غريب الحديث: ٣/ ١١٨٥* [وفيه: أبو نضرة، وهو تصحيف]، والطبراني في الكبير (٢٧٨) و(٢٧٩)*، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٣٣٨)، وأبو نصر هو حميد بن هلال كما سبق في ترجمته، وقد ذكره المزي في تهذيب الكمال: ٧/ ٤٠٤ فيمن روى عن عتبة بن غزوان، وقال: «فيما قيل، والصحيح أن بينهما خالد بن عُمَير».

(١) هو سهيل بن وهب بن ربيعة القرشيّ، وبيضاء أمه، واسمها دعد، أسلم قديمًا، وجمع بين الهجرتين، روى عنه سعيد بن الْمسيب مُرْسلًا، وعبد الله بن أنيس، وسعيد بن الصلت ولم يدركه، فقد مات سهيل بالمدينة في حياة النبيّ ﷺ سنة سبع، وصلّى النبي ﷺ عليه وعلى أخيه سهل في المسجد. [أسد الغابة: ٢/ ٣٢٥، الإصابة: ٣/ ١٧٤، تعجيل المنفعة: ١/ ٦٢٥].

(٢) هو يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن بَشْمين الحِمَّاني الكوفي من صغار التاسعة مات سنة ثمان وعشرين، توفي سنة ٢٣٨هـ، قال ابن حجر: «حافظ إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث». [تقريب التهذيب ص٥٩٣].

(٣) هو عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي، أبو محمد الجهني مولاهم، توفي سنة ١٨٧هـ، قال الذهبي: «قال ابن معين: هو أحب إلي من فليح، وقال أبو زرعة: سئ الحفظ»، وقال ابن حجر: «صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطىء، قال النسائي: حديثه عن عبيد الله العمري منكر». [الكاشف ١/ ٦٥٨، تقريب التهذيب ص٣٥٨].

(٤) هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثي، أبو عبد الله المدني، توفي سنة ١٣٩هـ، قال الذهبي وابن حجر: «ثقة مكثر». [الكاشف ٢/ ٣٨٥، تقريب التهذيب ص٦٠٢].

(٥) هو محمد بن إبراهيم بن الحارث بن خالد التيمي، أبو عبد الله المدني الفقيه، توفي سنة

=

الصَّلْتِ[١]، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ[٢]، عَنْ سُهَيْلِ ابْنِ بَيْضَاءَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ)**[٣].

=

١٢٠هـ، قال الذهبي: «وثقوه، وقال: أحمد روى مناكير»، وقال ابن حجر: «ثقة له أفراد». [الكاشف ٢/ ١٥٣، تقريب التهذيب ص ٤٦٥].

(١) هو سعيد بن الصلت بن عبد الله بن مخرمة القرشي المطلبي، أبو يعقوب المصري، روى عن سهيل ابن بيضاء، ولم يدركه، وسمع ابن عباس كما قال البخاري وأبو حاتم، روى عنه محمد بن إبراهيم التيمي وبكر بن سوادة، ترجم له البخاري وابن ابي حاتم ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات. [التاريخ الكبير: ٣/ ٤٨٣، الجرح: ٤/ ٣٤، الثقات ٤/ ٢٨٥، تعجيل المنفعة: ١/ ٥٨٥].

(٢) هو عبد الله بن أنيس الجهني، أبو يحيى الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، شهد العقبة وبدرًا وما بعدها، ورحل إليه جابر بن عبد الله الأنصاري مسيرة شهر؛ ليسمع منه حديثًا في القصاص، روى عنه أولاده: عطية، وعبد الله، وعمرو، وضمرة، توفي سنة ٥٤هـ.. [أسد الغابة: ٣/ ٧٥، الإصابة: ٤/ ١٣].

(٣) أخرجه ابن أبي خيثمة في تاريخه: ٢/ ١/ ٢٦٧ عن يحيى به. وأخرجه ابن قانع في معجم الصحابة: ١/ ٢٧٠ والخطيب في تاريخ بغداد (٩١١) و(١٠٢٩)، من طرق عن يحيى به.

❍ وأخرجه ابن قانع في معجم الصحابة: ١/ ٢٧٠ من طريق ابن أبي السَّري عن عبد العزيز الدراوردي به.

⊙ وقد اختلف فيه على عبد العزيز الدراوردي:

❶ فرواه يحي الحِماني وابن أبي السَّري عنه، عن يزيد، عن محمد التيمي، عن سعيد، عن عبد الله بن أنيس، عن سهيل كما سبق.

❷ ورواه ضرار بن صرد [ابن أبي خيثمة في تاريخه: ٢/ ١/ ٢٦٧، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٣٣٠)]، ومحمد بن عثمان أبو مروان النعماني [ابن قانع في معجم الصحابة: ١/ ٢٧٠]، ومصعب بن عبد الله الزبيري [ابن أبي خيثمة في تاريخه: ٢/ ١/ ٢٦٧، والمصنف هنا في المفاريد (١١٧)، والخطيب في تالي تلخيص المتشابه (١٩١)]، ويعقوب بن حميد [ابن ابي عاصم في الآحاد (٨٥٤)]، عنه (عبد العزيز الدراوردي) عن يزيد، عن محمد التيمي، عن

=

=

سعيد، عن سهيل. ليس فيه ذكر لعبد الله بن أنيس.

❸ ورواه إبراهيم الزهري [أحمد (١٥٨٣٩) وعبد بن حميد (٤٧٢)] عنه (عبد العزيز الدراوردي) عن يزيد، عن محمد التيمي، عن سهيل. ليس فيه ذكر لسعيد، ولا عبد الله بن أنيس.

⊙ ويظهر والله أعلم رجحان الوجه الثاني، فقد رواه كذلك أغلب الرواة عن يزيد، ومنهم:

١- بكر بن مضر: أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (٦٩٩)، وأحمد (١٥٧٣٨).

٢- حيوة بن شريح: أخرجه أحمد (١٥٧٣٩) و(١٥٨٤٠)، والطبراني (٦٠٣٤)، وابن حبان (١٩٩).

٣- عبد العزيز بن أبي حازم: أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد (٨٥٤)، وذكر الخطيب في تالي تلخيص المتشابه أنه رواه أيضًا بإسقاط محمد التيمي.

٤- عبد الله بن لهيعة: أخرجه الطبراني (٦٠٣٣).

٥- سعيد بن سلمة: ذكره أبو نعيم في معرفة الصحابة: ٣/ ١٣٢٢.

٦- الليث بن سعد: أخرجه الطبراني (٦٠٣٣)، والحاكم (٦٦٤٦)، أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٣٢٩).

٧- يحيى بن أيوب: أخرجه الطبراني (٦٠٣٣)، وابن منده في معرفة الصحابة: ١/ ٦٧١.

٨- نافع بن زيد: ذكره ابن منده في معرفة الصحابة: ١/ ٦٧٢.

❍ وتابع يزيدَ على هذا الوجه يحيى بنُ سعيد الأنصاري، فرواه عن محمد التيمي، عن سعيد بن الصلت، عن سهيل بن بيضاء، ذكره ابن منده في معرفة الصحابة: ١/ ٦٧٢، والذهبي في تاريخ الإسلام: ١/ ٤٤٣.

❍ وأشار الحافظ ابن حجر إلى شيء من هذا الاختلاف في الإصابة: ٣/ ١٧٤-١٧٥، فقال: «أكثر من رواه لم يذكروا ابن أنيس، وهو عند أحمد من ثلاث طرق: عن يزيد بن الهاد ليس فيه عبد الله بن أنيس، ومنهم من لم يذكر سعيد بن الصّلت، ورواه بعضهم فأسقط محمد بن إبراهيم»، وذكر الذهبي في تاريخ الإسلام: ١/ ٤٤٣-٤٤٤ طريق ابن أنيس، وقال: «وهذا متصل عن سهيل. إذ سعيد ابن الصلت تابعي كبير لا يمكنه أن يسمع من سهيل. ولو سمع منه لسمع من النبي ﷺ، ولكان صحابيًا. لكن المرسل أشهر».

١١٧- حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى، ثَنَا مُصْعَبٌ الزُّبَيْرِيُّ(١)، ثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْهَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الصَّلْتِ، عَنْ سُهَيْلِ ابْنِ الْبَيْضَاءِ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، وَسُهَيْلُ ابْنِ الْبَيْضَاءِ رَدِيفُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَعَهُ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(يَا سُهَيْلَ ابْنِ الْبَيْضَاءِ)**، وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ يُرِيدُهُمْ، فَجَلَسَ مَنْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَحِقَهُ مَنْ كَانَ خَلْفَهُ، حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(إِنَّهُ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارِ، وَأَوْجَبَ لَهُ الْجَنَّةَ)**(٢).

٥٨- فُلان:

١١٨- حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَوْنٍ الْخَرَّازُ(٣)، ثَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ(٤)، ثَنَا عُمَرُ(٥)،

---

(١) هو مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو عبد الله الزبيري المدني، توفي سنة ٢٣٦هـ، قال الذهبي: «ثقة غمز للوقف»، أي الوقف في القرآن كما بينه في تاريخ الإسلام ٥/ ٩٤١، وقال ابن حجر: «صدوق عالم بالنسب». [الكاشف ٢/ ٢٦٧، تقريب التهذيب ص ٥٣٣].

وباقي رجال الإسناد سبقت ترجمتهم في الحديث السابق رقم (١١٦).

(٢) سبق تخرجه في الحديث السابق.

(٣) هو عبد الله بن عون ابن أبي عون عبد الملك بن يزيد الهلالي الخرَّاز، أبو محمد البغدادي، توفي سنة ٢٣٢هـ، قال الذهبي: «ثقة من الأبدال»، وقال ابن حجر: «ثقة عابد». [الكاشف ١/ ٥٨٢، تقريب التهذيب ص ٣١٧].

(٤) هو عبد الواحد بن واصل السدوسي مولاهم، أبو عبيدة الحداد البصري، توفي سنة ١٩٠هـ، قال الذهبي: «ثقة»، وقال ابن حجر: «ثقة تكلم فيه الأزدي بغير حجة». [الكاشف ١/ ٦٧٣، تقريب التهذيب ص٣٦٧].

(٥) هكذا مهمل، وذكر المزي في تهذيب الكمال: ١٨/ ٤٧٤، اثنين من شيوخ أبي عبيدة اسمهما «عمر»:

❍ الأول: عُمر بن أبي زائدة الهمْداني الوادعي الكوفي، توفي بعد سنة ١٥٠هـ، قال الذهبي: =

قال: سَمِعْتُ الْفَضْلَ بْنَ ثَوْرٍ[١] يَقُولُ: حَدَّثَنِي فُلَانٌ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: **(لَمْ أَقُلْ**[٢] **وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي كَلِمَةً هِيَ أَفْضَلُ مِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلا سَأَلَ**[٣] **السَّائِلُونَ رَبَّهُمْ شَيْئًا أَفْضَلَ**[٤] **مِنَ الْمَغْفِرَةِ)**[٥].

=

«صدوق»، وقال ابن حجر: «صدوق رمي بالقدر». [الكاشف ٢/ ٦١، تقريب التهذيب ص٤١٢].

❍ الثاني: عُمر بن سَلِيْط البصري، أبو حفص الهذلي، قال أبو داود: «ليس به بأس»، وذكره ابن حبان في الثقات. [التاريخ الكبير: ٦/ ١٦٣، سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني: ص٢٩٥، الثقات: ٧/ ١٦٩، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة: ٧/ ٢٩٠].

❍ ثم وقفت على شيخ ثالث له اسمه «عمر»، وهو: عُمر بن مزِيد، ويقال: ابن منبه السَّعْدِيّ، أبو منبه البصري، قال ابن الجنيد في سؤالاته ص٤٢١: سئل يحيى وأنا أسمع عن عمر بن مزيد، فقال: «ثقة شيخ بصري»، وذكره ابن حبان في الثقات: ٨/ ٤٤٤، وقال: «يروي المقاطيع روى عن أبي عبيدة الحداد». فلعله هذا. [في مطبوعة الثقات: عمر بن يزيد، والصواب: ابن مزيد. ينظر: التاريخ الكبير: ٦/ ١٩٧، الجرح والتعديل: ٦/ ١٣٥، المؤتلف والمختلف للدارقطني: ٤/ ٢١١٨، الإكمال في رفع الارتياب: ٧/ ١٨١].

(١) هو الفضل بن ثور بن شقيق بن ثور، روى عن الحسن، وعنه الأسود بن شيبان، لم أقف له على ترجمة، ولم يذكر في ترجمة الرواة الثلاثة السابقين، وقد وقفت على رواية له عن الحسن ذكر فيها اسمه كاملاً أخرجها ابن المبارك في كتاب الزهد (٥٦٤)، -ومن طريقه ابن أبي الدنيا في الزهد (٢١٣)- ، وابن الأعرابي في الزهد (٩٠)، ومن طريقه البيهقي في الزهد الكبير (٤٢٦).

(٢) في إتحاف المهرة: ٦/ ٤٦٩ (ما قيل)، وقال المحقق في الحاشية: «بالأصل: (لم أقبل) وهو تصحيف، والتصويب من المختصر والطالب». قلت: الصواب ما أثبته هنا، وهو ما في أصل الإتحاف فإنها (لم أقل)، وليس (لم أقبل) كما قرأها. والله أعلم.

(٣) كذا في الأصل والمطالب العالية، وفي إتحاف المهرة: ٦/ ٤٦٩ (ولا يسأل)، ولعله تصحيف. والله أعلم.

(٤) نهاية الورقة (٢٠ب).

(٥) انفرد به أبو يعلى فخرجه في المفاريد هنا، وفي المسند كما في إتحاف الخيرة، رقم (٦٢١٥)، =

٥٩- عَائِذ بْنِ عَمْرٍو[١]

١١٩- حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى، ثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ[٢]، ثَنَا أَبُو الْأَشْهَبِ[٣]، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْأَحْوَلِ[٤]، عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو الْمُزَنِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَنْ عَرَضَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، وَلَا إِشْرَافٍ فَلْيَتَوَسَّعْ فِي رِزْقِهِ، وَمَنْ**

=

والمطالب العالية (٣٣٧٢)، وإسناده ضعيف جدًا، لجهالة الفضل بن ثور، وإبهام شيخه، فقد يكون تابعيًا، وهو الأقرب، فيكون مرسلاً أيضًا، كما أن الراوي عن الفضل وهو شيخ أبي عبيد في الإسناد مهمل، فلم يعين حتى نعرف من هو، وذكرت ثلاثة من شيوخه اسمهم «عمر»، وقد يكون غيرهم.

❍ **فائدة:** هذا الإسناد مما اجتمع فيه مجهول ومبهم ومهمل. فالله أعلم.

(١) هو عائذ بن عمرو بن هلال بن عبيد بن يزيد المزني، أبو هبيرة، كان ممّن بايع تحت الشجرة، سكن البصرة، ومات سنة ٦١هـ في إمارة ابن زياد أيام يزيد بن معاوية، وأوصى أن يصلي عَلَيْهِ أَبُو برزة الأسلمي، لئلا يصلي عليه ابن زياد. روى عنه الحسن، وابنه حشرج، ومعاوية بْن قرة، وعامر الأحول، وغيرهم، روى له الْبُخَارِي، ومسلم، والنَّسَائي. [أسد الغابة: ٣/ ٤٣، الإصابة: ٣/ ٤٩٤، تهذيب الكمال: ١٤/ ٩٨، إكمال تهذيب الكمال: ٧/ ١٦٢، تهذيب التهذيب: ٥/ ٨٩].

(٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (١١٤).

(٣) هو جعفر بن حيان السعدي، أبو الأشهب العطاردي البصري، مشهور بكنيته، توفي سنة ١٦٥هـ، قال الذهبي وابن حجر: «ثقة». [الكاشف ١/ ٢٩٤، تقريب التهذيب ص ١٤٠].

(٤) هو عامر بن عبد الواحد الأحول البصري، وذكر ابن عدي أنه توفي سنة ١٣٠هـ، قال الذهبي: «لينه أحمد، ووثقه أبو حاتم»، وقال ابن حجر: «صدوق يخطىء، من السادسة، وهو عامر الأحول الذي يروي عن عائذ بن عمرو المزني الصحابي، ولم يدركه»، ولعل ابن حجر اعتمد في هذا على البغوي فقد نقل عنه في تعجيل المنفعه قوله: «ولا أحسبه أدركه». [الكامل: ٦/ ١٥٤، الكاشف ١/ ٥٢٥، تقريب التهذيب ص٢٨٨، تعجيل المنفعه ١/ ٧٠٦].

كَانَ غَنِيًّا فَلْيُوَجِّهْهُ إِلَى مَنْ كَانَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْهُ)(١).

١٢٠- حَدَّثَنَا أبو يعلى، نَا شَيْبَانُ(٢)، ثَنَا جَرِيرُ(٣)، نَا الْحَسَنُ(٤) أَنَّ عَائِذَ بْنَ عَمْرٍو، -وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ- دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ: «أَيْ بُنَيَّ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (**إِنَّ شرار الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ**)، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ، فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: «هَلْ كَانَتْ لَهُمْ

---

(١) إسناده منقطع فعامر لم يدرك عائذ بن عمرو كما سبق.

- وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في طبقات المحدثين بأصبهان: ١/ ٢٧١ عن أبي يعلى به، والضياء في المختارة: ٨/ ٢٤١ من طريق محمد بن إبراهيم المقرئ عن أبي يعلى به.
- وأخرجه الطبراني في الكبير (٣٠) -ومن طريقه الضياء في المختارة: ٨/ ٢٤١- من طرق عن شيبان به.
- وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (٩٢٣)، وأحمد (٢٠٦٤٢)، وابن أبي خيثمة في تاريخه: ٢/ ١/ ٤٢١، والحارث في مسنده (٣١١ بغية) والروياني في مسنده (٧٨٠) وابن قانع في معجم الصحابة: ٢/ ٣٠٢، والطبراني في الكبير (٣٠) -ومن طريقه الضياء في المختارة: ٨/ ٢٤١- والبيهقي في شعب الإيمان (٣٢٧٦) من طرق عن أبي الأشهب به.

(٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (١١٤).

(٣) هو جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله الأزدي، أبو النضر البصري، توفي سنة ١٧٠هـ، قال الذهبي: «ثقة لما اختلط حجبه ولده»، وقال ابن حجر: «ثقة؛ لكن في حديثه عن قتادة ضعف، وله أوهام إذا حدث من حفظه... مات سنة سبعين بعد ما اختلط لكن لم يحدث في حال اختلاطه». [الكاشف ١/ ٢٩١، تقريب التهذيب ص ١٣٨].

(٤) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، الامام، أبو سعيد، توفي سنة ١١٠هـ، قال الذهبي: «كان كبير الشأن رفيع الذكر رأسًا في العلم والعمل»، وقال ابن حجر: «ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرًا، ويدلس. قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم، فيتجوز، ويقول: حدثنا، وخطبنا، يعني قومه الذين حُدِّثوا، وخُطبوا بالبصرة». [الكاشف ١/ ٣٢٣، تقريب التهذيب ص ١٦٠].

نُخَالَةٌ؟! إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ، وَفِي غَيْرِهِمْ»(١).

آخِرُ الجُزءِ، وَالحَمْدُ لله رَّبِ العَالَمِينَ، وَصَلَوَاتُهُ تَتْرَى عَلَى سَيدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَتِهِ الطَّاهِرِيْنَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

كَتَبَهُ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ عَبْدِ الْخَالِقِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي هِشَامٍ الْقُرَشِيُّ الشَّافِعِيُّ عَفَا اللهُ عَنْهُ(٢).

---

(١) إسناد صحيح على شرط مسلم، وقد رواه في الصحيح كما سيأتي.

- وأخرجه ابن حبان (٤٥١١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في طبقات المحدثين بأصبهان: ١/ ٢٧١ عن أبي يعلى به.
- وأخرجه مسلم (١٨٣٠) وابن أبي عاصم في الآحاد (١٠٩٣)، عن شيبان به، والطبراني في الكبير (٢٦) والبهقي في السنن الكبرى (١٦٦٤٠) من طرق عن شيبان به.
- وأخرجه ابن أبي شيبة في مسند (٩٢٤)، وأحمد (٢٠٦٣٧)، وابن زنجوية في الأموال (٦)، والروياني في مسنده (٧٧٩)، والدولابي في الكنى (٤٩٩) وأبو عوانة في مستخرجه (٧٠٤٩) و(٧٠٥٠) و(٧٠٥١)، والطبراني في الكبير (٢٦)، من طرق أخرى عن جرير به.
- وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في طبقات المحدثين بأصبهان: ١/ ٢٧١ من طريق قرة بن خالد، عن الحسن به.
- وأخرجه ابن الجعد (١٣٤٩) وأبو عوانة في مستخرجه (٧٠٥١)، والطبراني في الكبير (٢٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ١٩/ ٢٠١ من طرق عن يونس بن عبيد، عن الحسن به.

(٢) تم بحمد الله وفضله الانتهاء من التعليق على القدر الساقط من هذا الجزء الفريد في ضحى يوم السبت الموافق ٦/٦/١٤٣٦هـ، في طيبة الطيبة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير الأنبياء، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فإني أحمد الله على أن يسر لي إتمام هذا البحث، وفي هذه الخاتمة سأذكر أهم ما توصلت إليه من النتائج، وأعقبها بالتوصيات.

أولاً: نتائج البحث:

فأما النتائج، فمما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث:

١- أهمية تحقيق النصوص وفق الأصول العلمية لذلك، ومقابلة النص مقابلة دقيقة ما بين النسخ المعتمدة للتحقيق، والرجوع للمصادر المعتمدة لحل الإشكالات التي تظهر عند مقابلة النص.

٢- أهمية وجود أكثر من نسخة للنص المحقق لتدارك الخلل الذي قد يحصل في أحدها، واستدراك السقط الذي قد يوجد في بعضها.

٣- توصلت إلى أن عدد الصحابة الذين أوردهم أبو يعلى في هذا الجزء (٥٩) صحابيًا، وليس (٥٦) كما في المطبوع.

٤- كما توصلت إلى أن عدد الأحاديث التي أسندها أبو يعلى في هذا الجزء (١٢٠) حديثًا، وليس (١١٤) حديثًا كما في المطبوع.

٥- تبين لي أن عدد أسماء الصحابة[١] الساقطين من النسخة المطبوعة ثلاثة، وقد سقطت كل أحاديثهم التي أوردها المصنف، وهم: (سهيل ابن البيضاء، وفلان، وعائذ بن عمرو).

وثم صحابي رابع وهو (عتبة بن غزوان) ذُكر في آخر المطبوع، وذُكر له بعضٌ

---

(١) بحسب ما ذكر المصنف وإن لم نجزم بكون (فلان) من الصحابة.

من حديثه الأول، وقد أورد المصنف له حديثين ذكرتهما كاملين.

٦- عدد الأحاديث الساقطة من المطبوع سبعة أحاديث، لكل صحابي من الثلاثة حديثان، سوى (فلان) فله حديث واحد.

٧- أربعة من الأحاديث السبعة أسانيدها صحيحة.

٨- انفرد أبو يعلى في هذا الجزء بحديث واحد من الأحاديث السبعة، فلم أجده عند غيره، وهو الحديث رقم (١١٨)، وأما البقية فهي مخرجة في كتب السنة الأخرى، كما بينته في تخريجها.

٩- أربعة من الأحاديث الواردة في هذا القدر المستدرك من الزوائد على الكتب الستة، وهي الأحاديث رقم (١١٦)، و(١١٧)، و(١١٨)، و(١١٩).

ثانيًا: توصيات البحث:

وأما توصيات البحث فهي:

١- التوصية بإعادة تحقيق كتاب المفاريد بطريقة علمية، وبالاعتماد على النسختين الخطيتين، حيث أن محقق الكتاب اعتمد على واحدة منهما فقط.

٢- العناية بالأحاديث الزوائد على الكتب الستة التي ذكرها أبو يعلى، وقد ميزها محقق الكتاب، وأشرت في آخر النتائج لبقيتها في القدر المستدرك.

وختامًا أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجه، وأن ينفعني به يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم، وأن يفع به المسلمين جميعًا.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

قائمة المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم**.

٢. **إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة**: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة، بإشراف د زهير بن ناصر الناصر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٣. **الآحاد والمثاني**: لأبي بكر أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم الشيباني، تحقيق د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٤. **الأحاديث المختارة**: ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

٥. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**: لعلاء الدين علي بن لبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٦. **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**: أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي، دراسة وتحقيق وتخريج الدكتور محمد سعيد بن عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.

٧. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: لأبي الحسن علي محمد بن الأثير، دار الفكر، بيروت.

٨. **الإصابة في تمييز الصحابة**: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٩. **الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى**

والأنساب: أبو النصر علي بن هبة الله ابن ماكولا، تصحيح عبد الرحمن المعلمي، مجلس دائرة المعارف، الهند، الطبعة الثانية.

١٠. **الأمالي**: أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران البغدادي، ضبط نصه: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

١١. **الأمالي**: : أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، تحقيق: الدكتور إبراهيم إبراهيم القيسي، المكتبة الإسلامية، عمان، ودار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

١٢. **الأموال**: أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه تحقيق د.شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

١٣. **البداية والنهاية**: عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

١٤. **البعث والنشور**: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

١٥. **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**: لعلي ابن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

- **تاريخ ابن أبي خيثمة**: هو التاريخ الكبير التالي:

١٦. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى،

١٤٢٣هـ.

١٧. **تاريخ الرسل والملوك**: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ.

- **تاريخ الطبري**: هو تاريخ الرسل والملوك التالي:

١٨. **التاريخ الكبير - السفر الثاني**: أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة، تحقيق: صلاح بن فتحي هلال، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٩. **التاريخ الكبير**: : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: الشيخ عبد الرحمن المعلمي، (طبعة مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية) دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠. **تاريخ بغداد**: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: د.بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢١. **تاريخ دمشق**: علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥ هـ.

٢٢. **تالي تلخيص المتشابه**: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، أحمد الشقيرات، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٣. **تذكرة الحفاظ**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٤. **تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها**: أبو إسماعيل حماد بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدي البغدادي المالكي، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.

٢٥. **تعجيل المنفعة بزوائد الأئمة الأربعة**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،

د. إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٢٦. **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**: أبو عبد الله محمد بن فتوح الحَمِيدي، تحقيق د.زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٧. **تقريب التهذيب**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٨. **التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد**: أبو بكر محمد بن عبد الغني ابن نقطة الحنبلي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٢٩. **تهذيب التهذيب**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

٣٠. **تهذيب الكمال في أ سماء الرجال**: أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي، تحقيق د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

٣١. **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**: محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد القيسي الشافعي، الشهير بابن ناصر الدين، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.

٣٢. **الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة**: أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوْبَغَا الجمالي الحنفي، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ.

٣٣. **الثقات**: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، وزارة

المعارف للحكومة العالية الهندية، تحقيق: الدكتور محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ هـ.

٣٤. **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**: أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي العلائي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٣٥. **الجامع الصحيح المختصر**: : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، مع فتح الباري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٦. **الجامع الصحيح**: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، وآخرون، دار الحديث، القاهرة.

٣٧. **الجرح والتعديل**: أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: الشيخ عبد الرحمن المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن في الهند، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ.

٣٨. **الجوع**: أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٩. **حديث محمد بن بشار**: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق د. عبد الرحيم بن يحيى الحمود، مجلة الأحمدية، العدد (١٨)، سنة ٢٠٠٤م.

٤٠. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار السعادة، القاهرة، ١٣٩٤هـ.

٤١. **ذم الدنيا**: أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى،

١٤١٤هـ.

٤٢. **الزهد الكبير**: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية ودار الجنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٤٣. **الزهد والرقائق**: عبد الله بن المبارك، تحقيق: حبيب الله الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٤. **الزهد وصفة الزاهدين**: أبو سعيد أحمد بن محمد البصري الصوفي المعروف بابن الأعرابي، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة، طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤٥. **الزهد**: أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٦. **الزهد**: أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.

٤٧. **الزهد**: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٤٨. **الزهد**: هنَّاد بن السري، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

٤٩. **سنن ابن ماجه**: لمحمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.

- **سنن الترمذي**: انظر الجامع الصحيح.

٥٠. **السنن الكبرى**: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

٥١. **السنن الكبرى**: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

٥٢. **سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين**: إبراهيم بن عبد الله الختَّلي، تحقيق: الدكتور أحمد بن محمد نور سيف، مكتبة الدار، المدينة، عام ١٤٠٨ هـ.

٥٣. **سؤالات أبي عبد الرحمن السلمي للدارقطني**: أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: فريق من الباحثين، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٥٤. **سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني**: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، تحقيق: محمد علي قاسم العمري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٥٥. **سؤالات السهمي للدارقطني**: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٤هـ.

٥٦. **سؤالات مسعود بن علي السجزي للحاكم**: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، المعروف بابن البيع، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٥٧. **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ.

٥٨. **سير السلف الصالحين**: أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الأصبهاني، ، الملقب بقوام السنة، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، دار الراية، الرياض.

٥٩. **شرح السنة**: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء تحقيق شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

٦٠. **شعب الإيمان**: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني،

البيهقي، تحقيق د.عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٦١. **الشمائل المحمدية**: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

٦٢. **الصحاح**: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

- **صحيح ابن حبان**: انظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان.
- **صحيح البخاري**: انظر الجامع الصحيح المختصر.

٦٣. **صحيح مسلم**: : مسلم بن الحجاج النيسابوري، مع شرح النووي، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٦٤. **صفة الجنة**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: علي رضا عبد الله، دار المأمون للتراث، دمشق.

٦٥. **الطبقات الكبرى**: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

٦٦. **طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها**: أبو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، تحقيق عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.

٦٧. **الطبقات**: خليفة بن خياط العصفري، تحقيق: د سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٦٨. **العين**: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٦٩. **غريب الحديث**: أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي، تحقيق: د.

سليمان بن إبرهيم العايد، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

٧٠. **غريب الحديث**: : أبو عبيد القاسم بن سلام، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٧١. **الفتن**: نعيم بن حماد المروزي، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة التوحيد- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

٧٢. **فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية المنتخب من مخطوطات الحديث**: محمد بن ناصر الدين الألباني، اعتنى به وعلق عليه: مشهور حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة = (الطبعة الثانية)، ١٤٢٢هـ.

٧٣. **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة، ١٤١٣هـ.

٧٤. **الكامل في ضعفاء الرجال**: أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٧٥. **كشف المشكل من حديث الصحيحين**: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.

٧٦. **الكنى والأسماء**: أبو بِشْر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

٧٧. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: : علي ابن أبي بكر الهيثمي، المتوفى دار

الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.

٧٨. **مستخرج أبي عوانة**: أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧٩. **المستدرك على الصحيحين**: : أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله **التلخيص للذهبي**، دار المعرفة، بيروت.

- **مسند الحارث**: انظر بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث.
- **مسند عبد بن حميد**: انظر المنتخب من مسند عبد بن حميد.

٨٠. **المسند**: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي تحقيق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٨١. **المسند**: أبو بكر محمد بن هارون الرُّوياني، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٨٢. **المسند**: أبو داود سليمان بن داود الطيالسي، د.محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٨٣. **المسند**: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٨٤. **المسند**: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ. (وهي المعتمدة في العزو).

٨٥. **المسند**: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، دار القبلة، مكة المكرمة، سنة ١٤٠٨هـ.

٨٦. **المسند**: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٤٢٨هـ.

٨٧. **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، المكتبة العتيقة ودار التراث.

٨٨. **المصنف**: أبو بكر بن محمد بن أبي شيبة، تقديم كمال الحوت، دار التاج، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٨٩. **المصنف**: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ.

٩٠. **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة، دار الغيث، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٩١. **المعجم الأوسط**: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

٩٢. **معجم البلدان**: أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ.

٩٣. **معجم الشيوخ**: لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي، تحقيق: بشار عواد آخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٩٤. **معجم الصحابة**: أبو الحسين عبد الباقي بن قانع البغدادي، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٩٥. **المعجم الكبير**: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الموصل، ١٤٠٤هـ.

٩٦. **المعجم**: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل أباد بباكستان، الطبعة الأولى، سنة

١٤٠٧هـ. (وهي المعتمدة في العزو).

٩٧. **المعجم**: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد وعبدة علي كوجك، دار المأمون، بيروت، سنة ١٤١٠هـ.

٩٨. **معرفة الصحابة**: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي، تحقيق: د. عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٩٩. **معرفة الصحابة**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٠٠. **معرفة علوم الحديث**: عثمان بن عبد الرحمن، المعروف بابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٠٦هـ.

١٠١. **المعين في طبقات المحدثين**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان، عَمَّان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٠٢. **المفاريد عن رسول الله ﷺ**: أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، مكتبة دار الأقصى- الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٠٣. **المقتنى في سرد الكنى**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمَّد صالح مراد، نشره المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٨ هـ.

١٠٤. **المنتخب من مسند عبد بن حميد**: : عبد بن حميد بن نصر، تحقيق صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤٠٨هـ.

١٠٥. **المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك**: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي،

تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

١٠٦. **المؤتلف والمختلف**: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: الدكتور موفق عبد الله عبد القادر، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٠٧. **ميزان الاعتدال**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

١٠٨. **النهاية في غريب الحديث والأثر**: أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطباخي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

١٠٩. **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ.

Abstract

Antaul this research book Mufarad printed Hafez Abu mounted Musli, falling Bastdrack of the printed version of the book, due to the adoption of the investigator printout on a written copy incomplete, leading to a shortage in the book, were not rectify this since printing the book 30 years ago, so the researcher Bastdrack This shortfall through this research, which divided it into two sections: First topic: the study, in which a brief translation of Imam Abu Musli second to none, and the definition of a book Mufarad, proof rate of the author.

The second topic: the falling of printed texts from the book for Mufarad The Messenger of Allah peace be upon him.

Then the conclusion which included the most important results and recommendations, where between researcher that the number of translations of the Companions of the fallen four printed translations, fallen conversations printed totaled seven conversations, including four conversations incorrect.

The researcher also recommended that investigators are keen books manuscript to rely on acres of written copy, and meticulous attention to the interview between the written copies.

Key words:

Book Mufarad, Sunnah, Sayings of the Messenger of Allah, Hafiz Abu Ali Musli, Correction, Fallen texts, Linear version, Ben Ghazwan threshold, So and so, Suhail bin white, Aa'idh bin Amr.

أثر الإمام مالك رحمه الله وموطئه في الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي

د.عبد الرحمن بن عمري بن عبد الله الصاعدي

الأستاذ المساعد بجامعة طيبة

dralsaedi@hotmail.com

تاريخ التحكيم: ٢/ ٨/ ١٤٣٥ تاريخ الإجازة: ١٥/ ١١/ ١٤٣٥

المستخلص:

لقد كان للإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ صيت ذائع وكبير في عصره وبعد عصره، فلقد أثنى على تقدمه في العلم وعلو شأنه فيه علماء المسلمين في كل العصور من مختلف أصحاب المذاهب الإسلامية الأربعة المتبعة، ومن غيرها.

وكان من جملة ثنائهم: ثناؤهم عليه في مكانة كتابه العظيم «الموطأ»، فقد اعتبره جمع من أهل العلم في أعلى درجات الصحة، وقدموه في هذا على كتب أهل عصره، بل قدموه حتى على صحيح البخاري ومسلم.

ومن جملة بيناهم لمكانة الموطأ أنهم ذكروا أنَّ له أثراً كبيرا في كتب الحديث حتى قال بعضهم: «إنَّ أصحاب الكتب الستة والحاكم في المستدرك بذلوا وسعهم في وصل مراسيل مالك ورفع موقوفاته، فكانت هذه الكتب شروحا للموطأ ومتممات له، ولا يوجد فيه موقوف صحابي أو أثر تابعي إلا وله مأخذ من الكتاب والسنة».

وهذا قال معناه غير واحد من أهل العلم.

ولقد قام هذا البحث عن تمحيص هذه العبارة، وبيان هل تأثر بها البخاري ومسلم في صحيحهما، وأبو دواد والترمذي في سننهما، وسميتُ هذا البحث «أثر الأمام مالك وموطئه في صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي دواد والترمذي».

وقسمتُ البحث إلى: التمهيد، وفيه: تعريف موجز بالإمام مالك ويشتمل على: اسمه ونسبه، طلبه للعلم، أشهر شيوخه وتلامذته، مكانته ومكانة كتابه «الموطأ» بإيجاز، وفصلين:

الفصل الأول: أثر «الموطأ» العام في أصحاب الكتب الستة،

والفصل الثاني: أثر «الموطأ» الخاص في الصناعة الإسنادية والفقهية.

ولقد تبيَّن للباحث أن موطأ الإمام مالك بحر ضخم أودع فيه الإمام مالك كثيرا من العلوم والمعارف والفوائد، وكل من جاء بعده من أهل العلم اغترف منه بحسب ما ظهر له.

وتبين للباحث عظم تأثر من تقدمت الإشارة إليهم من أهل العلم بالإمام مالك وبموطئه، ولم يسعف الوقت الباحث لتتبع هؤلاء في كل شيء، ولا تتبع غيرهم ممن ذُكر عنهم تأثرهم بالإمام مالك؛لأن هذه البحوث تقوم على الإيجاز والاختصار، ولكن كما قيل: حسبك من القلادة ما أحاط بالجيد.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد.

فإن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ دينه في كتابه الكريم فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(١).

ومن حفظ الله لكتابه حفظه لسنة نبيه محمد ﷺ، لأن السنة وحي من الله القرآن، من حيث كونها مصدرا من مصادر التشريع، قال ﷻ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾(٢).

ولما كانت سنة رسول الله ﷺ بهذه المثابة والمكانة قيَّض الله لها رجالاً بذلوا جهدهم ولم يدخروا شيئا لحفظ السنة ونشرها، وقد دعا رسول الله ﷺ لمن حفظ سنته فقال: «نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»(٣).

كما أنه في أحيان كثيرة يتوقف فهم القرآن الكريم على السنة، فالقرآن مثلا أمر بالصلاة والزكاة والصوم والحج، ولكنه لم يفصل الحديث عن مواقيت الصلاة وغيرها من العبادات ومباني الإسلام، ولا كيفية أدائها تفصيلا دقيقا يرفع اللبس ويزيله؛ ولهذا أنكر الصحابة ﷺ على من اعتقد إمكانية الاكتفاء بالقرآن عن السنة، فعن حبيب بن أبي نضلة المالكي قال: « لما بُني هذا المسجد مسجد الجامع قال:

---

(١) سورة الحجر: ٩.

(٢) سورة النجم: ٣ – ٤.

(٣) حديث مشهور صحيح، له طرق كثيرة رواها جمع من الصحابة ﷺ وألفاظه كثيرة هذا منها، وقد ذكرته بهذا اللفظ قصدا لتضمنه الحديث عن الفقه أخرجه من حديث ابن مسعود الترمذي (٥/ ٣٣، رقم ٢٦٥٦) وقال: حسن. وأخرجه أيضا: أبو داود (٣/ ٣٢٢، رقم ٣٦٦٠)، والنسائي (٣/ ٤٣١، رقم ٥٨٤٧).

وعمران بن حصين جالس، فذكروا عنده الساعة، فقال رجل من القوم: يا أبا نجيد إنكم لتحدثوننا أحاديث ما نجد لها أصلا في القرآن قال: فغضب عمران بن حصين، وقال للرجل: « قرأت القرآن؟» قال: نعم، قال: « فهل وجدت فيه صلاة المغرب ثلاثا، وصلاة العشاء أربعا، والغداة ركعتين، والأولى أربعا، والعصر أربعا؟ قال: فممن أخذتم هذا الشأن؟ ألستم عنا أخذتموه؟ وأخذناه عن نبي الله ﷺ، وعنا أخذتموه؟ أو عن من أخذتم في كل أربعين درهما درهم؟ وفي كذا وكذا شاة كذا وكذا ومن كذا وكذا بعير كذا وكذا، أوجدتم هذا في القرآن؟ قال لا، قال: فعمن أخذتم هذا؟ ألستم عنا أخذتموه؟ وأخذناه عن نبي الله ﷺ، وأخذتموه عنا؟ قال: فهل وجدتم في القرآن ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[1]، وجدتم طوفوا سبعا، واركعوا خلف المقام ركعتين؟ هل وجدتم هذا في القرآن عمن أخذتموه ألستم أخذتموه عنا؟ وأخذناه عن رسول الله ﷺ وأخذتموه عنا؟ قالوا: بلى»[2].

ولهذا أيضًا: قال جمع من أهل العلم منهم مكحول[3] والبربهاري[4]: «القرآن إلى السنة أحوج من السنة إلى القرآن».

قال الأوزاعي: «الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب. قال أبو عمر: يريد أن تقضي عليه وتبين المراد منه»[5].

بل ترجم الدارمي في سننه بباب قال فيه: «باب السنة قاضية على كتاب الله»[6].

---

(١) سورة الحج: ٢٩.

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٣٤).

(٣) ذم الكلام وأهله (٢/ ٦٠).

(٤) شرح السنة (ص: ٨٩).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٣٦٨).

(٦) سنن الدارمي (١/ ١٥٣)، قال الفضل بن زياد: سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن الحديث الذي روى إن السنة قاضية على الكتاب فقال: أحمد ما أجسر على هذا أن أقوله، ولكن السنة =

وقصد هؤلاء الأجلاء تعظيم السنة وبيان عظيم مكانتها.

فقام أئمة وعلماء من أهل السنة بجمع حديث رسول الله ﷺ في كتب مخصصة، وكان من أشهرهم الإمام مالك في كتابه العظيم «الموطأ».

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

١-فقد استوقفني ابتداء تواتر ثناء أئمة المسلمين وعلماء الجرح والتعديل وأساطين المحدثين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ على الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فثناؤهم عليه كثير جدا، ومتنوع، والذي يهمنا في هذا البحث خاصة ثناؤهم عليه في الحديث، فهذا الإمام الشافعي يقول: « إذا جاء الحديث عن مالك فشد به يدك»[١].

وقال أيضا: «إذا جاء الأثر فمالك النجم»[٢].

وقال ابن الجوزي: «مسانيد مالك أشهر من أن تذكر، وهو النجم الثاقب في أهل النقل»[٣].

٢-كما استوقفني الحديث المشهور في عالم المدينة الذي تضرب إليه أكباد الإبل، قال رسول الله ﷺ: « يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا

=

تفسر الكتاب وتبينه. طبقات الحنابلة (١/ ٢٥١) جامع بيان العلم وفضله - مؤسسة الريان (٢/ ٣٦٩).

(١) الجرح والتعديل (١/ ١٤).

(٢) مسند «الموطأ» (١/ ١٠١، رقم٤٣) الجرح والتعديل (١/ ١٤) (٨/ ٢٠٥)، الحلية (٦/ ٣١٨) الكامل في الضعفاء (١/ ٩٢) التمهيد (١/ ٦٣) الانتقاء (ص: ٢٣) مناقب الشافعي (١/ ٥٠٣) كشف المغطا (ص: ٣٦) طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٧٤) وسير أعلام النبلاء (٨/ ٥٧) وعلق على هذه العبارة بقوله: وصدق وبر.

(٣) صفة الصفوة (٢/ ١٧٩).

يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة»[١].

على أن الحديث وإن كان ضعيف الإسناد؛ فقد استقر الحال والإجماع على أن المراد بعالم المدينة هو الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؛لأنه لم تُعرف الرحلة إلى أحد من أهل العلم إلى زماننا هذا -ونحن على مقربة من قيام الساعة- مثلما عُرفت للإمام مالك، ولم تدعِ لغيره، مما يقرر ويؤكد أن الحديث لا ينزل على غيره.

٣- كما استوقفني عناية العلماء بكتاب «الموطأ»، فقد صنف هذا الإمام مصنفات عدة، كان من أشهرها كتابه المبارك «الموطأ»، وقد اعتنى العلماء به عناية فائقة، وعنايتهم به لها صور كثيرة، وأشكال متعددة، إلا أنَّ أهم ما ينبغي التنبيه عليه والتذكير به في هذا المقام:

أ- أنَّ العناية بكتاب «الموطأ» كانت من جميع علماء المذاهب المتبعة.

ب- وأنَّ الثناء على «الموطأ» كان أيضا من جميع علماء المذاهب المتبعة:

قال المولى عبد العزيز الدهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنه روى نحو ألف رجل في زمان الإمام مالك موطأه عنه، وحصل طبقات الناس من المحدثين والصوفية والفقهاء والأمراء والملوك والخلفاء سنده عن الإمام تبركا به»[٢].

وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما زال العلماء قديما وحديثا لهم أتم اعتناء برواية «الموطأ» ومعرفته، وتحصيله»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٧، رقم ٢٦٨٠) وقال: حسن. والنسائي في السنن (٤/ ٢٦٣ رقم٤٢٧٧) والحاكم (١/ ١٦٨، رقم ٣٠٧) وقال: صحيح على شرط مسلم. وابن حبان (٩/ ٥٢ رقم٣٧٣٦) وأخرجه أيضا: البيهقي (١/ ٣٨٥، رقم ١٦٨١) وقال: رواه الشافعي في القديم عن سفيان بن عيينة. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٤٤٨) وهو الراجح.

(٢) الحطة في ذكر الصحاح الستة (ص: ١٥٠).

(٣) سير أعلام النبلاء(٨/ ٨٥).

والسبب في هذا ما أشار إليه الحافظ الذهبي بقوله: «وإن للموطأ لوقعا في النفوس، ومهابة في القلوب لا يوازنها شيء»[١].

٤-كما استوقفني حرص الحافظ ابن عبد البر على بيان شهرة أحاديث «الموطأ» سواء أكانت الأحاديث موصولة أو مرسلة أو منقطعة أو موقوفة...الخ.

فأبو عمر بن عبد البر معروف بسعة اطلاعه على الكتب والمصادر، وأكثر ما يظهر هذا للقارئ في كتبه العظيم «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، فمن قوة علمه في هذا الكتاب ورصانة أسلوبه وسعة اطلاعه على الحديث والفقه جعلت أبا العباس ابن تيمية يثني عليه ثناء عاطرا مبينا شدة إعجابه بهذا الكتاب وبمؤلفه، حيث قال: «قال شارح «الموطأ» الشرح الذي لم يشرح أحد مثله، الإمام أبو عمر بن عبد البر...»[٢]، فهذه التزكية العظيمة والشهادة الكبيرة من مثل هذا الإمام ابن تيمية وهو هو، من له الاطلاع الذي لا ينكره أحد، حتى خصومه شهدوا له بذلك، وهو لم تكن له مداهنة مع أحد أبدا يقول هذا في الإمام ابن عبد البر وفي كتابه.

٥-كما استوقفني كلام لبعض أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين في بيان أثر موطأ الإمام مالك في من جاء بعده، فمن أحسن وأعجب من بين عظيم أثر «الموطأ» الدهلوي، فرأى أن الكتب التي جاءت بعده ما هي إلا لوصل مراسيله، ورفع موقوفاته، وشروحات له، ومستخرجات عليه، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ أصحاب الكتب الستة والحاكم في المستدرك بذلوا وسعهم في وصل مراسيل مالك ورفع موقوفاته، فكانت هذه الكتب شروحا للموطأ ومتممات له، ولا يوجد فيه موقوف

---

(١) سير أعلام النبلاء١٨/ ٢٠٣

(٢) إقامة الدليل على إبطال التحليل (٢/ ١٦٣).

صحابي أو أثر تابعي إلا وله مأخذ من الكتاب والسنة»[١].

وسيأتي من كلام أهل العلم السابقين له ما يؤيد كلامه.

وهؤلاء على اختلاف أعصارهم وتعدد مشاربهم واختلاف مذاهبهم يجعل لكلامهم قيمة علمية كبيرة، كما أنه لا مانع يمنع القارئ لأن يتحقق مما قالوه بالبحث والتحرير.

وما سبق لي ذكره من أسباب بمجموعها كانت وراء القيام بهذا البحث.

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية هذا الموضوع من خلال التأمل في كلام هؤلاء العلماء الذين جعلوا كل من جاء بعد الإمام مالك من أصحاب المصنفات -التي تعد مراجع للمسلمين- ما هي إلا مستخرجات تحوم حومه وتروم رومه ؛إذ هذا الكلام قد يعد مبالغة ومجازفة، فالتحقق مما قالوه أمر في غاية الأهمية.

وإذا ثبت ما قاله هؤلاء الأجلاء فستعد هذه النتيجة إضافة جديدة تكتب للإمام مالك ولموطئه زيادة على مالهما من الحظوة عند علماء المسلمين.

أهداف البحث:

الهدف الرئيس الذي قام عليه البحث تجلية مكانة الإمام مالك وكتابه الموطأ، وبيان عظيم أثرهما في العلماء بوجه عام، وعلى صحيحي البخاري ومسلم وعلى سنن أبي داود والترمذي على وجه الخصوص.

وأنه ينبغي أن تقوم دارسات أخرى مثل هذه الدراسة في بيان أثر الإمام مالك وأثر موطئه؛ لقوله: حين قرأ عمر بن عبد الواحد وجماعة الموطأ على مالك في أربعين يوما: «كتاب ألفته في أربعين سنة أخذتموه في أربعين يوما! قلما تفقهون

---

(١) تسهيل دراية «الموطأ» (ص: ٢١).

فيه»[١].

ولما قرأ أبو خُليد «الموطأ» في أربعة أيام قال له الإمام مالك: «علم جمعه شيخ في ستين سنة أخذتموه في أربعة أيام! لا فقهتم[٢] أبدا»[٣].

أسئلة البحث:

- هل ما قاله هؤلاء العلماء عن مكانة الموطأ صحيح؟
- وهل لكلامهم شواهد تؤيده؟
- وهل هذه الشواهد من الكثرة ما تجعل الموطأ مصدراً لكل من جاء بعده؟
- فما سر هذه المكانة التي تبؤأها الإمام مالك، وما مظاهرها؟

فأحببت الكشف عن هذه الجوانب العظيمة في هذا البحث، وسمَّيت هذا البحث بـ «أثر الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحي البخاري ومسلم وسنن الترمذي وأبي دواد».

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي.

أردت بالمنهج الاستقرائي:

تتبع كلام أهل العلم في كتبهم عن الإمام مالك وعن موطئه، واقتناص ما يتعلق بما يدل على أثرهما في المحدثين.

وإضافة ما ظهر للباحث بعد المقارنة وتتبع ما أخرجه الإمام مالك في الموطأ بكتب الحديث كصحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي.

---

(١) التمهيد (١/ ٧٨) الاستذكار (١/ ٤٩).

(٢) في تهذيب الكمال (١٩/ ٣٠٥) وتهذيب التهذيب (٧/ ٨٨) «فهمتهم» بدل «فقهتم» ولعل الذي عند أبي نعيم أنسب وأقوى في المعنى.

(٣) حلية الأولياء (٦/ ٣٣١) تهذيب الكمال (١٩/ ٣٠٥) تهذيب التهذيب (٧/ ٨٨).

وأما المنهج الوصفي، فأردتُ به: بيان منهج الإمام مالك وطرق إخراجه للأحاديث، ثم مقارنة هذا المنهج بصحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي.

الدراسات السابقة:

لم أقف في حدود علمي وبحثي القاصر على دراسة اعتنت ببيان أثر الموطأ في المحدثين على كثرة ما كُتب عن الإمام مالك وعن موطئه.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة وفهارس فنية.

المقدمة وفيها: أسباب اختياره وأهميته، وخطة البحث ومنهج الباحث.

التمهيد وفيه: تعريف موجز بالإمام مالك ويشتمل على:

- اسمه ونسبه.
- طلبه للعلم.
- أشهر شيوخه وتلامذته.
- مكانته ومكانة كتابه «الموطأ» بإيجاز.

الفصل الأول: أثر «الموطأ» العام في أصحاب الكتب الستة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثره في أسماء الكتب المودعة في مصنفاتهم.

المبحث الثاني: أثره في جمع أحاديث الأحكام.

الفصل الثاني: أثر «الموطأ» الخاص في الصناعة الإسنادية والفقهية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حرص البخاري ومسلم على إخراج المتون التي أخرجها مالك مطلقا، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحرص على إخراج ما أخرجه من الحديث الموصول،

ولهم في ذلك خمسة فروع:

الفرع الأول: العناية بإخراج حديثه العالي الموصول.

الفرع الثاني: العناية بإخراج حديثه الموصول ولو بنزول.

الفرع الثالث: العناية بتقديم حديثه على حديث غيره في الباب.

الفرع الرابع: قبول تفرده وإخراجه.

الفرع الخامس: العناية بإخراج ما أخرجه مما لا مجال للرأي فيه.

المطلب الثاني: الحرص على إخراج ما أخرجه من الحديث غير الموصول، وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: وصل مراسيله.

الفرع الثاني: وصل مقاطيعه.

الفرع الثالث: وصل موقوفاته.

الفرع الرابع: وصل بلاغاته.

الفرع الخامس: إخراج معنى ما أخرجه.

المبحث الثاني: أثره في الصناعة الفقهية على البخاري وأبي داود والترمذي وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثره في الصناعة الفقهية على البخاري.

المطلب الثاني: أثره في الصناعة الفقهية على أبي داود.

المطلب الثالث: أثره في الصناعة الفقهية على الترمذي.

منهج الباحث:

- عزوت الآيات إلى مواطنها من المصحف الشريف.
- خرجت الأحاديث على وجه الإيجاز.
- حكمت على الأحاديث على وفق الاختصار.

- عزوت أقوال أهل العلم إلى مصادرها من الكتب مرتبها حسب النص المنقول، مبينا وجه الفرق بين المصادر، كقولي: وبنحوه أخرجه فلان مختصرا.
- رتبت الأقوال على حسب دلالتها على المقصود المنقول من أجله.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنبيه:

اقتضت طبيعة البحث أن يتكرر الاستشهاد والاستدلال ببعض النصوص من الأحاديث ومن أقوال أهل العلم في أكثر من موطن، نظراً لما احتوته تلك النصوص من فوائد يمكن أن يتكرر الاستدلال بها.

التمهيد

وفيه: تعريف موجز بالإمام مالك. ويشتمل على:

- اسمه ونسبه.
- طلبه للعلم.
- أشهر شيوخه وتلامذته.
- مكانته ومكانة كتابه «الموطأ» بإيجاز.

اسمه ونسبه[١]:

هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غَيمان[٢] بن خُيثل[٣] بن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح[٤] كنيته: أبو عبد الله.

مولده على الأصح: سنة ثلاث وتسعين عام موت أنس بن مالك[٥].

طلبه للعلم:

لقد طلب الإمام مالك العلم وهو حَدَثٌ صغير السن، وبرز فيه وتقدم على كثير من أقرانه، قال الذهبي: «وطلب مالك العلم، وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا، وجلس للإفادة، وله إحدى وعشرون سنة، وحدَّث عنه جماعة وهو حي

---

(١) أشهر مصادر ترجمته: حلية الأولياء (٦/ ٣١٦) الانتقاء(ص: ٣٨) ترتيب المدارك (١/ ١١١) تهذيب الكمال (٢٧/ ٩١) تهذيب التهذيب (١٠/ ١٧).

(٢) بعين معجمة مفتوحة وياء معجمة باثنتين من تحتها.تهذيب مستمر الأوهام (ص: ١٩٨).

(٣) أوله خاء معجمة بعدها ثاء معجمة بثلاث وياء معجمة باثنتين من تحتها الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب (٢/ ٥٦٥).وقال النووي: بالخاء المعجمة المضمومة وفتح الثاء المثلثة. تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٧٥)

(٤) ترتيب المدارك (١/ ١٠٤) الانتقاء(ص: ٣٨) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨ -٤٩).

(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩).

شاب طري، وقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد، وإلى أن مات»[١].

شيوخه وتلامذته:

أما شيوخه فهم أكثر من أن يحصوا، قال الزرقاني: «أخذ عن تسع مئة شيخ وأكثر»[٢].

ومن أشهر شيوخه: الزهري، وزيد بن أسلم، وربيعة ابن أبي عبد الرحمن، وعبد الله بن ذكوان، وعبد الله بن دينار، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، وسُمَّي مولى أبي بكر، ومحمد بن المكندر وغيرهم[٣].

أما تلامذته:

فالناظر في تلامذة الإمام مالك يجد أنهم اتصفوا بصفات عدة:

الأولى: أنهم من الكثرة التي لم يبلغها تلامذة عالم من العلماء، فيظهر أن حصرهم فيه مشقة كبيرة؛ لذا قال السمعاني بعد ذكره لجماعة من تلامذته: « وعالم لا يحصى»[٤].

وقال الحافظ الذهبي: «حدَّث عنه أمم لا يكادون يحصون»[٥].

وقال السيوطي: «الرواة عن مالك فيهم كثرة بحيث لا يعرف لأحد من الأئمة رواة كرواته»[٦].

---

(١) المصدر السابق (٨/ ٥٥).

(٢) أوجز المسالك (١/ ٢٥).

(٣) ينظر في هذا: مصادر ترجمته السابقة.

(٤) الأنساب (١/ ١٧٤).

(٥) تذكرة الحفاظ (١/ ١٥٤).

(٦) تنوير الحوالك (١/ ١٠).

وقال ابن عبد البر: «وأما الذين رووا عنه «الموطأ» والذين رووا عنه مسائل الرأي والذين رووا عنه الحديث فأكثر من أن يحصوا، قد بلغ فيهم أبو الحسن على بن عمر الدار قطني في كتاب جمعه في ذلك نحو ألف رجل»[١] ووافقه العيني[٢].

وقال ابن تيمية: «وقد جمع الحافظ أبو بكر الخطيب أخبار الرواة عن مالك فبلغوا ألفا وسبعمائة أو نحوها، وهؤلاء الذين اتصل إلى الخطيب حديثهم بعد قريب من ثلاثمائة سنة فكيف بمن انقطعت أخبارهم أو لم يتصل إليه خبرهم؛ فإن الخطيب توفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة[٣]، وعصره وعصر ابن عبد البر والبيهقي والقاضي أبى يعلى وأمثال هؤلاء واحد ومالك توفى سنة تسع وسبعين ومائة»[٤].

وصرح الحافظ الذهبي بأنه لا يعرف لأحد من حفاظ الحديث من التلامذة ما عرف لمالك، فقال: «وما علمت أحدا من الحفاظ روى عنه عدد أكثر من مالك، وبلغوا بالمجاهيل وبالكذابين ألفا وأربع مئة»[٥].

وقال أيضا: «وكنت أفردت أسماء الرواة عنه في جزء كبير يقارب عددهم ألفا وأربع مئة»[٦].

قلت: وفي كتاب «مجرد أسماء الرواة عن مالك» المطبوع والمستدرك، بلغوا ألفا وخمس مئة وسبعةً وثمانين راويا.

الثانية: أنهم من بلدان شتى وأمصار مختلفة، فقل صقع من أصقاع الأرض إلا ورحل إليه من أهلها عدد منهم، وهذا مصداق الحديث الوارد المشهور في عالم

---

(١) الانتقاء (ص: ١٥).

(٢) عمدة القاري (١/ ٩٧).

(٣) المعروف أنه توفي سنة ثلاث وستين وأربع مئة.

(٤) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٢٠).

(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٤).

(٦) سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٢).

المدينة، ولا يعرف منذ مات رسول الله ﷺ وحتى ساعتنا هذه عالم رحل إليه طلاب العلم مثل ما رحل لمالك، مما يؤكد أن الحديث وارد فيه لا في غيره.

الثالثة: أن من كبار شيوخه من حمل عنه العلم، سواء أكان رواية للحديث أو رأيا في الفقه، قال الإمام مالك: «قلَّ من كتبتُ عنه العلم، ما مات حتى يجئني ويستفتيني»(١).

الرابعة: أن منهم علماء معرفون ومشهرون في بلدانهم وأوطانهم، قال جعفر الفريابي: «لا أعلم أحدا روى عنه الأئمة والجلة ممن مات قبله بدهر طويل إلا مالك؛ فإن يحيى بن سعيد مات قبله بخمس وثلاثين سنة، وابن جريج بثلاثين، والأوزاعي بعشرين والثوري بثماني عشرة وشعبة بتسع عشرة.

وقال الإمام أبو الفضل عياض: «وأبو حنيفة بثلاثين سنة وهمام بأكثر من ذلك.وأغرب من هذا الزهري توفى قبل مالك بخمس وخمسين سنة»(٢).

وقال أبو الحسن الدار قطني: «لا نعلم أحدا تقدم أو تأخر اجتمع له ما اجتمع لمالك، وذلك أنه روى عنه رجلان حديثا واحدا، بين وفاتيهما نحو من مائة وثلاثين سنة: محمد بن شهاب الزهري شيخه(٣) توفى سنة خمس وعشرين ومائة، وأبو حذافة السهمي، توفى بعد الخمسين ومائتين رويا عنه جميعا حديث الفريعة بنت مالك في سكنى المعتدة»(٤).

قال الحافظ أبو بكر الخطيب: «حدَّث عنه الزهري، وزكريا بن دُويد

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ٢٧٨) جامع الأصول (١/ ١٨١).

(٢) ترتيب المدارك (١/ ١٧٧).

(٣) في المصدر «وشيخه» ويبدو أن الواو زائدة

(٤) ترتيب المدارك (١/ ١٧٧) الديباج المذهب (١/ ١٠٧).

الكندي، وبين وفاتيهما مئة وسبع وثلاثون سنة أو أكثر من ذلك[١].

وقال ابن عبد البر: «ما زال العلماء يروي بعضهم عن بعض، لكن رواية هؤلاء الأئمة الجلة عن مالك وهو حي دليل على جلالة قدره، ورفيع مكانه في علمه ودينه وحفظه وإتقانه»[٢].

وقد أخذ عنه العلم طلاب كثر، فكان من أشهرهم: إسحاق بن عيسى الطباع، وبشر بن عمر الزهراني، وجويرية بن أسماء، وقتيبة بن سعيد، وشعبة بن الحجاج، وعبد الله بن المبارك، وعبد الله بن يوسف التنيسي وعبد الرحمن بن مهدي والشافعي، وغيرهم رحمهم الله أجمعين[٣].

توفي الإمام مالك سنة مئة وتسع وسبعين للهجرة. فرحمه الله رحمة واسعة.

مكانته ومكانة كتابه «الموطأ» بإيجاز:

أولا: ثناء العلماء على الإمام مالك:

الناظر في ثناء العلماء على الإمام مالك يجد أنه يمكن أن يقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ثناء عام:

لقد حظي الإمام مالك بمكانة كبيرة عند علماء المسلمين في كل عصر من العصور وفي كل قطر من أقطار المسلمين، وفي كل مذهب من مذاهب المسلمين المتبعة فقد أثنوا عليه ثناء عاطراً يدل على شموخه وعلو مكانته، فمن أولئك العلماء الجلة:

---

(١) السابق واللاحق (ص: ٣٠٦).

(٢) الانتقاء(ص: ١٥).

(٣) المصادر السابقة وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٣).

حماد بن زيد حيث قال: «إن مالكا من الإسلام بمكان جليل»[١].

وهذا إمام السنة في عصره الإمام أحمد يقول: «يرحم الله مالكا، كان من الإسلام بمكان»[٢].

وقال ابن المبارك: « ما رأيت أحدا ارتفع مثل ما ارتفع مالك، من رجل لم يكن له كثير صلاة إلا أن تكون له سريرة»[٣].

وقال ابن المبارك: «رأيت مالكا فرأيته من الخاشعين، وإنما رفعه الله بسريرة بينه وبينه، وذلك أني كثيرا ما كنت أسمعه يقول: من أحب أن يفتح له فرجة في قلبه وينجو من غمرات الموت وأهوال يوم القيامة فليكن في عمله في السر أكثر منه في العلانية[٤].

وهو القائل حين سئل: «ما تقول في طلب العلم؟ قال: حسن جميل، ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه»[٥].

وقال ابن تيمية عنه: «كان له من المكانة عند أهل الإسلام - الخاص منهم والعام - ما لا يخفى على من له بالعلم أدنى إلمام»[٦].

القسم الثاني: ثناء خاص:

وأقصد بالثناء الخاص ما يتعلق بالحديث، وهذا له عدة صور، منها:

---

(١) تاريخ ابن أبي خيثمة (٤/ ٣٤٤)، ترتيب المدارك (٢/ ١٣٥)، الإرشاد في معرفة علماء الحديث (١/ ٢٨٤)، التعديل والتجريح (٢/ ٧٦٧)، الكامل في ضعفاء الرجال (١/ ١٧٩).

(٢) ترتيب المدارك (١/ ١٥٥).

(٣) الحلية (٦/ ٣٣٠)، تاريخ الإسلام (١١/ ٣٢٤)، سير أعلام النبلاء(٨/ ٩٧).

(٤) ترتيب المدارك (٢/ ٥١).

(٥) صفة الصفوة (٢/ ١٧٩).

(٦) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٢٠).

-ثناؤهم عليه في صحة الحديث وحاجة الناس إليه:

وأما في الحديث فقد كان الإمام مالك متحريا لصحة ما يرويه مطلقا، ولكون حديث الإمام مالك صحيحا كله عند أهل العلم، كان العلماء يقدمونه على غيره ولا يقدمون غيره عليه مطلقا، قال إمام أهل الشام عبد الرحمن بن مهدي: «ما أقدم على مالك في صحة الحديث أحدا»(١).

قال يحيى بن سعيد القطان: « ما في القوم أصح حديثا من مالك يعني بالقوم- الثوري وابن عيينة-»(٢).

بل شهد عبد الرحمن بن مهدي له بأنه آمن الناس على حديث رسول الله ﷺ، فقال: «ما بقي على وجه الأرض أحد آمن على حديث رسول الله ﷺ من مالك بن أنس»(٣).

وحسبك بهذين الإمامين الجبلين مقارنة ومكانة، فالإمام مالك أفضل أهل زمانه في الحديث.

فلهذا فمن أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك، كما قال الشافعي(٤)، فلا بد أن يرجع ويعتمد على ما رواه الإمام مالك، وقد جعل الشافعي الناس عيالا على مالك في الحديث فقال: «من أراد الحديث فهو عيال على مالك»(٥).

والذي يدل عليه كلام الشافعي: «أن المحدثين محتاجون لمالك ومعتمدون عليه فلا يمكن أن يستغنوا بغيره عنه».

---

(١) الجرح والتعديل (١/ ١٤)، سير أعلام النبلاء(٨/ ٧٤).

(٢) الجرح والتعديل (٨/ ٢٠٤) و(١/ ١٥).

(٣) حلية الأولياء (٦/ ٣١٨).

(٤) ترتيب المدارك (١/ ١٤٩).

(٥) البداية والنهاية (١٠/ ١٧٤).

فيلاحظ أنَّ العلماء لمْ يخصوا نوعا من حديث مالك بالمدح، بل مدحهم لحديثه يشمل كل ما رواه من موصول ومرسل وبلاغ، لأن مراسيله وبلاغاته أيضاً تفقدت فوجدت صحاحا، وليس معنى هذا أن إسناد مالك صحيح، لأنه المقصود بالبلاغات قول مالك: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: كذا وكذا، كما سيأتي بيان ذاك بالتفصيل.

ولكونه لا يحمل ولا يروي إلا حديثا صحيحا، حض العلماء على التمسك بحديث مالك، قال الشافعي: «إذا جاء الحديث عن مالك فشد به يدك»(١).

١-عنايته بحديثه:

يرى الإمام مالك أن التمحيص هو سبب زيادة علم الإنسان وسبب رفعته عند الناس، فقال: «من جعل التمييز رأس ماله عدم الخسران وكان على زيادة»(٢).

وقال ابن وهب: «كان علم الناس يزيد، وكان علم مالك ينقص كل سنة من حديثه»(٣).

ويدل على ما قاله ابن وهب صنيعه في «الموطأ».

٢-كثرة حديثه، قال علي بن المديني: «لمالك نحو من ألف حديث». عقب الذهبي على هذا بقوله: «أراد ما اشتهر له في «الموطأ» وغيره، وإلا فعنده شيء كثير، ما كان يفعل أن يرويه»(٤).

والشواهد على كثرة حديثه وعنايته به كثيرة، من ذلك:

-**تركه الحديث الغريب**، قال أبو داود: «قيل لمالك: ليس في كتابك حديث

---

(١) الجرح والتعديل (١/ ١٤).

(٢) إسعاف المبطأ (ص: ١٢).

(٣) إرشاد السالك إلى مناقب مالك لابن عبد الهادي (ص: ٢٢٨).

(٤) تاريخ الإسلام (١١/ ٣١٩) سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٣).

غريب!، قال: سررتني»[١].

قال مالك: «ما بال أهل العراق يسألوني عن حديث« السفر قطعة من العذاب»؟ قيل له: لم يروه أحد غيرك. فقال: لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما حدثتُ به»[٢].

قال أبو عمر: «معلوم أن مالكا كان من أشد الناس تركا لشذوذ العلم، وأشدهم انتقادا للرجال وأقلهم تكلفا وأتقنهم حفظا فلذلك صار إماما»[٣].

وهذا مما يدل على انتقائه، وأنه من سعة مروياته وكثرة محفوظاته لم يرو في «الموطأ» إلا النزر اليسير منها.

وصنيعه في «الموطأ» **شاهد لهذا** فقد «روى مائة ألف حديث، جمع منه في ابتداء تأليفه عشرة آلاف ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة ويختبرها بالآثار والأخبار حتى وصلتْ إلى خمسمائة»[٤].

ثم ما زال ينقص من أحاديث «الموطأ» ويترك، قال عتيق الزبيري: «وضع مالك «الموطأ» على نحو من عشرة آلاف حديث فلم يزل ينظر فيه كل سنة ويسقط منه حتى بقي هذا، ولو بقي قليلا لأسقطه كله»[٥].

ونظره رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موطئه ومراجعته كثيرة جدا، قال سليمان بن بلال: «لقد وضع مالك «الموطأ»، وفيه أربعة آلاف حديث أو قال: أكثر، فمات وهي ألف حديث ونيف، يلخصها عاما عاما بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثل في

---

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٧٦).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٢/ ٣٤).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١/ ٦٥).

(٤) النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي (١/ ١٩٤).

(٥) ترتيب المدارك (٢/ ٧٣).

الدين»[١].

فالجهد والعناية اللذان بذلهما الإمام مالك في موطئه كبير جدا، فأودعه علما جما ؛فلهذا قال عمر بن عبد الواحد صاحب الأوزاعي: «عرضنا على مالك «الموطأ» في أربعين يوما، فقال كتاب ألفته في أربعين سنة أخذتموه في أربعين يوما! قلما تفقهون فيه»[٢].

ولما قرأ أبو خُليد «الموطأ» في أربعة أيام قال له الإمام مالك: «علم جمعه شيخ في ستين سنة أخذتموه في أربعة أيام! لا فقهتم[٣] أبدا[٤].

وهذا كله من شواهد تمحيصه لعلمه وعنايته بموطئه.

لهذا قال الحافظ الذهبي: «وقد اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره، فذكر منها:

أحدها: طول العمر وعلو الرواية.

وثانيتها: الذهن الثاقب، والفهم وسعة العلم.

وثالثتها: اتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية.

ورابعتها: تجمعهم على دينه وعدالته واتباعه السنن.

وخامستها: تقدمه في الفقه والفتوى، وصحة قواعده»[٥].

القسم الثالث: ثناؤهم على «الموطأ»:

---

(١) المصدر السابق(٢/ ٧٣).

(٢) التمهيد (١/ ٧٨) الاستذكار (١/ ٤٩).

(٣) في تهذيب الكمال (١٩/ ٣٠٥) وتهذيب التهذيب (٧/ ٨٨) «فهمتهم» بدل «فقهتم» ولعل الذي عند أبي نعيم أنسب وأقوى في المعنى.

(٤) حلية الأولياء (٦/ ٣٣١) تهذيب الكمال (١٩/ ٣٠٥) تهذيب التهذيب (٧/ ٨٨).

(٥) تذكرة الحفاظ (١/ ٢١٢).

لقد أثنى كثير من العلماء على موطأ الإمام مالك، وتباين ثناؤهم بقدر ما ظهر لكل واحد منهم، إلا أن الثناء في جملته يدل على الحظوة التي تبوأها هذا الكتاب العظيم، وللثناء صور متعددة، منها ما هو بالمقال، ومنها ما هو بالحال، ومنها ما اجتمع فيه الأمران، وسأذكرها كلها مجتمعة.

١- **ثناء العلماء عليه**، قال ابن خلدون: «وطال ثناء العلماء في كل عصر عليه، ولم يختلف في ذلك اثنان...»[١].

٢- **هو أول كتاب صنف في الإسلام**، قال صاحب مسند الفردوس: «هو أول كتاب صنف في الإسلام، وعلق على باب الكعبة بسلسلة الذهب»[٢]، ولعله أراد بالأولية جمعه بطريقة مبتكرة، وإلا فمن المعلوم أن الإمام مالكا قد سبقه غير واحد إلى هذا الجمع.

وقال يحيى بن إبراهيم السلماسي: «أول من صنف كتابا في الإسلام، جمع فيه شرائع الحلال والحرام، ونظم عقود الشرع فيه أحسن نظام، بين فيه عيون الدلائل، وفنون المسائل في الأحكام، فغدا كتابه غُرة في جبين الدين، ودُرة في تاج الفضل واليقين. وسار في البدو والحضر مسير الشمس والقمر، وصار حجة على الأنام وقدوة يأتم بها أولو الأحلام»[٣].

٣-**تلقي الأمة هذا الكتاب بالقبول**، قال ابن خلدون: «وتلقت الأمة هذا الكتاب بالقبول في مشارق الأرض ومغاربها، ومن لدن صُنف إلى هلمَّ»[٤].

---

(١) تاريخ ابن خلدون (٧/ ٣٨٤).

(٢) البدر المنير (١/ ٢٩٥).

(٣) منازل الأئمة الأربعة (ص: ١٨١).

(٤) (٧/ ٣٨٤).

٤-**وبلغت شهرته شهرة الشمس**، قال ابن الدمياطي: «فمالك له «الموطأ» الذي هو أشهر من الشمس»[١].

٥-**اهتمام علماء المسلمين به**، قال الحافظ الذهبي: «وما زال العلماء قديما وحديثا لهم أتم اعتناء برواية «الموطأ» ومعرفته، وتحصيله»[٢]. فالعناية من العلماء به كبيرة لا تكاد توصف.

والمراد بالقبول: العناية به من حيث تعظيمه والثناء عليه، ومن حيث شرحه، ومن حيث العمل به، ومن حيث إخراج ما أخرجه من الحديث سواء أكان موصولا أو مرسلا.

٦-**ولم تقتصر العناية به على طائفة معينة، بل كانت العناية على اختلاف طبقات العلماء واختلاف طبقات الناس**، قال المولى عبد العزيز الدهلوي: «اعلم أنه روى نحو ألف رجل في زمان الإمام مالك موطأه عنه وحصل طبقات الناس من المحدثين والصوفية والفقهاء والأمراء والملوك والخلفاء سنده عن الإمام تبركا به، ونسخه كثيرة»[٣]. فمن ذلك:

أ- **ومن العناية به الحرص على سماع مرويات الإمام مالك**، قال إبراهيم بن طهمان: «أتيت المدينة فكتبت بها، ثم قدمت الكوفة، فأتيت أبا حنيفة فسلمت عليه فقال لي: عمن كتبت؟ أكتبت عن مالك شيئا؟ قلت: نعم. قال: جئني بما كتبت عنه، فأتيته به فدعا بقرطاس ودواة فجعلت أملي عليه وهو يكتب»[٤].

ب- **ترك الناس لأحاديث علماء بلدهم لسماع «الموطأ»**، فمن ذلك: أن

---

(١) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (٢/ ١٠٦).

(٢) سير أعلام النبلاء(٨/ ٨٥).

(٣) الحطة في ذكر الصحاح الستة (ص: ١٥٠).

(٤) تاريخ الإسلام (١/ ١٣٢٨).

محمد بن الحسن كان إذا حدَّث عن مالك ملؤا عليه داره، وإذا حدَّثهم عن أهل الكوفة قل عددهم كثيرا، قال محمد بن الحسن: «أقمتُ على مالك بن أنس ثلاث سنين وكسرا، وكان يقول: إنه سمع منه لفظا أكثر من سبعمائة حديث، قال: وكان إذا حدثهم عن مالك امتلأ منزله وكثر الناس عليه حتى يضيق عليهم الموضع، وإذا حدَّث عن غير مالك لم يجئه إلا اليسير فكان يقول: ما أعلم أحدا أسوأ ثناء على أصحابكم منكم، إذا حدثتكم عن مالك ملأتم علي الموضع، وإذا حدثتكم عن أصحابكم إنما تأتوني متكارهين»(١).

ج- **ولعظم الكتاب أراد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور حمل الأمة عليه**، قال الإمام مالك: «سألني أبو جعفر عن أشياء ثم قال: أنت والله أعقل الناس وأنت أعلم الناس، قلت: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: بلى ولكنك تكتم. ولئن بقيت لأكتبن كتابك بماء الذهب، وفي رواية: كما تكتب المصاحف ثم أعلقها في الكعبة وأحمل الناس عليها»(٢).

د- **كثرة رواة «الموطأ» وكثرت نسخه.**

أما ما جاء في عدد من روى عن مالك، فهم كثر، تقدم التنصيص على كثرتهم في كلام السمعاني وغيره.

وأما رواة «الموطأ» على وجه الخصوص، فهم كثر أيضا، ويكفينا أن الإمام أحمد سمع «الموطأ» من تسعة عشر راويا، فقال: «كنت سمعت «الموطأ» من بضعة عشر نفسا من حفاظ أصحاب مالك، فأعدته على الشافعي؛ لأني وجدته أقومهم به»(٣).

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣٣٠) (٩/ ٧٤) تاريخ بغداد (٢/ ١٧٣) الانتقاء (ص: ٢٥).

(٢) ترتيب المدارك (٢/ ٧١) وينظر: تاريخ الإسلام (١١/ ٣٢٤) تذكرة الحفاظ (١/ ١٥٥).

(٣) الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (١/ ٢٣١).

ولا شك أنهم في الجزيرة العربية، وأما أهل المغرب فلم تكن للإمام أحمد رحلة إليهم.

وقد أفرد القاضي عياض بابا لهم قال فيه: «باب في ذكر من روى «الموطأ» من الجلة والأئمة المشاهير الثقات عن مالك رحمه الله تعالى»(١).

ومراده بعقد هذا الباب ذكر الذين رووا موطأه واعتنوا به على وجه الخصوص، ولم يرد أن هؤلاء فقط الذين سمعوا «الموطأ» من الإمام مالك.

وقال القاضي عياض -بعد أن سرد أسماء هؤلاء من علماء المشرق والمغرب-: «فهؤلاء الذين حققنا أنهم رووا عنه «الموطأ» ونص على ذلك أصحاب الأثر والمتكلمون في الرجال، وقد ذكروا أيضا أن محمد بن عبد الله الأنصاري البصري أخذ «الموطأ» عنه كتابة، وإسماعيل بن صالح أخذه عنه مناولة، وأما أبو يوسف القاضي فرواه عن رجل عنه، وذكروا أن الرشيد وبنيه الأمين والمأمون والمؤتمن أخذوا عنه «الموطأ»، وقد ذكر عن المهدي والهادي أنهما سمعا منه ورويا عنه، وأنه كتب «الموطأ» للمهدي.

ولا مرية أن رواة «الموطأ» من هؤلاء من جلة أصحابه ومشاهير رواته، ولكن إنما ذكرنا من بلغنا نصا سماعه له منه وأخذه له عنه، أو من اتصل إسنادنا له فيه عنه، والذي اشتهر من نسخ «الموطأ» مما رويته أو وقفت عليه أو كان في روايات شيوخنا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أو نقل منه أصحاب اختلاف الموطئات نحو عشرين نسخة وذكر بعضهم أنها ثلاثون نسخة»(٢).

وتقدم قول الدهلوي: «ونسخه كثيرة»(٣).

---

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٨٦).

(٢) المصدر السابق(٢/ ٨٩).

(٣) الحطة في ذكر الصحاح الستة (ص: ١٥٠).

فنسخ «الموطأ» كثيرة جدا، ولكن القاضي عياض خص طائفة معينة منهم كما جاء في عنوان الباب الذي أفرده: الجلة والأئمة المشاهير الثقات.

فالروايات المشهور منها والتي وقف عليها القاضي عشرون أو ثلاثون.

وهذا كله يدل على عناية علماء المسلمين بالموطأ.

٧- **كثرة المصنفات حول «الموطأ»** في رجاله وشروحه وغريبه، وهذا أمر مشهور لا يحتاج للتمثيل له والتدليل عليه، وما هذا إلا لما للموطأ هيبة عظيمة، كما قال الذهبي: «وإن للموطأ لوقعا في النفوس، ومهابة في القلوب لا يوازنها شيء»[١].

٨-**جمعه لما يحتاج إليه المكلف من أحاديث الأحكام**، قال ابن خلدون: «... وكتب مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب «الموطأ» أودعه أصول الأحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه على أبواب الفقه»[٢].

وسيأتي الحديث عن عدد أحاديث الأحكام بالتفصيل في موطنه قريباً.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٠٣).

(٢) مقدمة ابن خلدون (ص: ٤٤٢).

الفصل الأول

أثر «الموطأ» العام في أصحاب الكتب الستة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثره في أسماء الكتب المودعة في مصنفاتهم.

المبحث الثاني: أثره في جمع أحاديث الأحكام.

المبحث الأول

أثره في أسماء الكتب المودعة في مصنفاتهم

تمهيد:

«وقد كان مالك في أعظم مرحلة في جمع الحديث وضبطه، والاحتياط به، والتدقيق في اختيار رجاله، إذ كان جمع الحديث لم ينضج بعدُ، فخطا به الإمام مالك خطوات رائعة مباركة، ذلل فيها لمن بعده طرقا كانت صعبة، وأصولا كانت مبتكرة، بل هو أول من وضعها»(١).

فمن أثر الإمام مالك العام:

-مدح نقاد الحديث حديث أهل الحجاز عامة والمدينة على وجه الخصوص:

قال عبد الله بن أحمد: «سمعت أبي يقول: فاتني مالك فأخلف الله عليَّ سفيان بن عيينة»(٢).

وسفيان بن عيينة هو القائل: «من أراد الإسناد والحديث المعروف الذي

---

(١) الإمام مالك بن أنس لعبد الغني الدقر (ص: ١٢٥).

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٩٧).

تسكن إليه القلوب فعليه بحديث أهل المدينة»[١].

وهذا الإمام الشافعي وهو من أشهر من تأثر بالإمام مالك في الحديث والفقه يقول: «يا أبا موسى ما على الأرض بعد كتاب الله تعالى أصح من كتاب مالك بن أنس، وإذا ذُكر الأثر فمالك النجم، وإذا جاءك الحديث من ناحية الكوفيين فلم تجد له أصلا عند المدنيين فاضرب به عرض الحائط ولا تلتفت إليه»[٢].

ونجومية مالك التي أشار إليها الشافعي هي أن يجعل قدوة وإماما يستضاء به في علومه، من علم الحديث والفقه وغيرهما.

ولا يوجد في طبقة مالك، ولا من جاء بعده من أشاد بأهل المدينة، ورفع من شأنهم، وأبان عن صحة علومهم، وأصالة فهومهم وآرائهم مثل الإمام مالك.

-**ارتضاء أحكامه على الرجال وعلى الحديث**، فالرجال الذين روى عنهم رأى غالب المحدثين أنهم ثقات: فلم يرو إلا عن ثقة عنده ووافقه الناس على توثيق شيوخه إلا في النادر منهم كعبد الكريم بن أبي المخارق وعطاء الخراساني[٣]. والنادر لا حكم له، كما هو معلوم.

- **سلك العلماء مسلك الإمام مالك واقتدوا به في التنقيب عن الرجال**، فهو أول من شهر نقد الرجال والتنقيب عن أحوالهم، وكان هذا قولا منه وعملا، قال بشر بن عمر: وسألته يعني -مالكا- عن رجل أخرَّتَ اسمه فقال: هل رأيته في كتبي؟ قلت: لا، قال: لو كان ثقة رأيته في كتبي»[٤].

---

(١) التمهيد (١/ ٧٩).

(٢) كشف المغطا في فضل الموطأ (ص: ٣٦).

(٣) جامع التحصيل في أحكام المراسيل (ص: ٨٩).

(٤) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٢٤) و(٢/ ٢٢) الانتقاء (ص: ١٧) الضعفاء الكبير للعقيلي (١/ ١٤) الكامل في ضعفاء الرجال (١/ ١٧٧).

فأودع هذا في كتابه «الموطأ» وحث تلامذته عليه، وأوصاهم بعدم الأخذ عن غير الثقات، ووجه تأثيره تطبيق تنقيبه عن الرجال، واشتراط أن لا يخرج إلا عن ثقة في «الموطأ» الذي هو أعظم كتبه وأجلها، بخلاف المؤلفين والمصنفين قبله.

قال القنوجي: «وكانت أحوال نقلة الحديث في عصور السلف من الصحابة والتابعين معروفة عند أهل [كل][1] بلدة، فمنهم بالحجاز، ومنهم بالبصرة والكوفة من العراق، ومنهم بالشام ومصر، والجميع معروفون مشهورون في أعصارهم.

وكانت طريقة أهل الحجاز في أعصارهم في الأسانيد أعلى ممن سواهم، وأمتن في الصحة، لاستبدادهم في شروط النقل من العدالة والضبط، وتجافيهم عن قبول المجهول الحال في ذلك...وحين ألف الإمام مالك موطأه عرضه على علماء المدينة فوافقوه عليه، قال الإمام مالك بن أنس: «عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة، فكلهم واطأني عليه، فسميته «الموطأ»[2]، أي رضوا به»[3].

فمن هذا الطرق: تسمية الكتب الجامعة للأحاديث ككتاب الصلاة، والصوم ونحو هذا، وهذا معلوم لا يحتاج إلى تمثيل.

ويمكن أن يُقسم أثر الإمام مالك في المحدثين إلى قسمين:

القسم الأول: تأثر عامة المحدثين به، وله صور منها:

- مهد لمن جاء بعده سبيل التصنيف والترتيب:

ويدل على هذا أمران:

الأمر الأول: تسمية كتابه بالموطأ.

فهو بمعنى الممهد والمحرر والمنقح والمصفى، وإن اختلفت الروايات في

---

(١) المثبت من السياق.

(٢) تزيين الممالك (ص: ٤٠) شرح الزرقاني على الموطأ (١/ ٦٢).

(٣) أبجد العلوم (٢/ ٢٣١).

سبب تسمية الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتابه بالموطأ، فهذا مرجعها، وفي سبب التسمية قولان:

القول الأول: بمعنى الموافقة، قال الإمام مالك بن أنس: «عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة، فكلهم واطأني عليه، فسميته «الموطأ»»[١]. فهو هنا بمعنى الموافقة، أي وافقوني عليه.

القول الثاني: بمعنى التيسير والتسهيل، قال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الكناني: «قلتُ لابن أبي حاتم الرازي: موطأ مالك بن أنس لم سُمِّي «الموطأ»؟ فقال: شيء قد صنَّفه وطأه للناس؛ حتى قيل: موطأ، كما قيل: جامع سفيان»[٢].

وقال القاضي أبو بكر العربي عن سبق «الموطأ» في منهجه المبتكر وفي اقتصاره على الحديث الصحيح عنده: «الموطأ هو الأصل واللباب، وكتاب البخاري هو الأصل الثاني في هذا الباب، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذي»[٣].

الأمر الثاني: تأمل عمله وصنيعه في «الموطأ».

فللمنهج البديع الذي سلكه الإمام مالك في كتابه «الموطأ» أثر عظيم في من جاء بعده، ولكن قد يقال: «كيف قلتم إن مالكا فتح الباب للمؤلفين، وقد ألف قبله جماعة كعبد الملك بن جريج، وسعيد بن أبي عروبة..؟

قلنا: أولئك لم تكن تآليفهم على مثل «الموطأ» في الجمع بين الحديث والأثر، والفقه وصحيح النظر، وترتيب الكتب، ووضع التراجم وحسن السياق في التأليف، وترتيب التصنيف، وهذا لم يسبق مالكا أحد قبله عليه؛ فلذلك ظهر تأليفه واشتهر، وشاع ذكره وانتشر... وجدَّ في أثره طائفة نجباء وأئمة فضلاء، وأخيار

---

(١) تزيين الممالك (ص: ٤٠).

(٢) المصدر السابق.

(٣) عارضة الأحوذي (١/ ٥).

علماء، فأحسنوا وأجادوا، وبنوا على قواعده وشادوا، وساروا قاعدة في العلم وسادوا»(١).

وقد نص جماعة من أهل العلم من المتقدمين ومن المتأخرين على تأثير مالك وعظيم أثره في من جاء بعده.

فرأى الدهلوي أن الكتب التي جاءت بعده ما هي إلا لوصل مراسيله، ورفع موقوفاته، وشروحات له ومستخرجات عليه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن أصحاب الكتب الستة والحاكم في المستدرك بذلوا وسعهم في وصل مراسيل مالك ورفع موقوفاته، فكانت هذه الكتب شروحا للموطأ ومتممات له، ولا يوجد فيه موقوف صحابي أو أثر تابعي إلا وله مأخذ من الكتاب والسنة»(٢).

وقال يحيى بن إبراهيم السلماسي إنه: «أول من صَنَّف كتابا في الإسلام، جمع فيه شرائع الحلال والحرام، ونظم عقود الشرع فيه أحسن نظام، بين فيه عيون الدلائل، وفنون المسائل في الأحكام، فغدا كتابه غرة في جبين الدين، ودرة في تاج الفضل واليقين. وسار في البدو والحضر مسير الشمس والقمر، **وصار حجة على الأنام وقدوة يأتم بها أولو الأحلام**»(٣).

وقال القاضي أبو بكر العربي عن سبق «الموطأ» في منهجه المبتكر وفي اقتصاره على الحديث الصحيح عنده: «الموطأ هو الأصل واللباب، وكتاب البخاري هو الأصل الثاني في هذا الباب، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذي»(٤)، وقد تقدم قريبـًا.

---

(١) مناقب الإمام مالك للزواوي (ص: ٢٤-٢٨).

(٢) تسهيل دراية الموطأ (ص: ٢١).

(٣) منازل الأئمة الأربعة - (ص: ١٨١).

(٤) عارضة الأحوذي (١/ ٥).

فهذه النصوص من هؤلاء الأجلاء من أهل العلم تدل دلالة صريحة على سبق «الموطأ» ومكانته على أئمة أهل الحديث من البخاري ومسلم اللذين هما المرجع في الصحة

القسم الثاني: تأثر أصحاب الكتب الستة.

وقد تأثر بالإمام مالك على وجه الخصوص الأئمة أصحاب الكتب الستة، ومن ذلك تأثر البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي على وجه الخصوص، فالموطأ مدرسة حديثية ومدرسة فقهية.

ومما يدل على اقتدائهم به واقتداء الشيخين- البخاري ومسلم- على وجه الخصوص به ما قاله العلماء في هذا، فمن ذلك:

١-قول القاضي أبي بكر بن العربي في أول شرحه لكتاب المناقب من «جامع الترمذي»: «هذا كتاب غابت معرفته عن الناس، وغابت عقولهم عنه، وما تفطن له أحد بقرطس الرمية وأنتج الجنبية الخفية إلا عالم الصلحاء أبو عبد الله البخاري الذي فسر منه ما أجمل مالك بن أنس، مبتدع فصوله ومنتزع أصوله، وعلى منوالهما نسج، وفي سبيلهما تدرج[١]»[٢].

٢-وقول ابن الأثير: «ومنهم من يثبت الأحاديث في الأماكن التي هي دليل عليها، فيضعون لكل حديث بابا يختص به، فإن كان في معنى الصلاة، ذكروه في (باب الصلاة) وإن كان في معنى الزكاة، ذكروه في (باب الزكاة)، كما فعله مالك بن أنس في كتاب «الموطأ» إلا أنه - لقلة ما فيه من الأحاديث- قلّت أبوابه. **ثم اقتدى به من بعده.** فلما انتهى الأمر إلى زمن البخاري ومسلم، وكثرت الأحاديث المودعة في

---

(١) في المصدر السابق: «نتدرج» والتصويب من السياق.

(٢) المصدر السابق(١٣/ ٩٣).

كتابيهما، كثرت أبوابهما وأقسامهما، واقتدى بهما من جاء بعدهما»[١].

٣-وقول القنوجي: «واعلم أيضا أن الكتب المصنفة في السنن: كصحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي وما يتعلق بالفقه من صحيح البخاري وجامع الترمذي **مستخرجات على «الموطأ» تحوم حومه، وتروم رومه**، ومطمح نظرهم فيها وصل ما أرسله، ورفع ما أوقفه، واستدراك ما فاته، وذكر المتابعات والشواهد لما أسنده وإحاطة جوانب الكلام بذكر ما روي خلافه، وبالجملة فلا يمكن تحقيق الحق في هذا ولا ذاك إلا بإكباب على هذا الكتاب»[٢]. انتهى

وقال أيضا: «...الباب الرابع: في ذكر الأمهات الست وشروحها وما يليها وفيه فصول: الفصل الأول في ذكر موطأ مالك بن أنس رحمه الله تعالى، ... فإن «الموطأ» كتاب قديم مبارك مجمع عليه بالصحة والشهرة والقبول، وأول مؤلف صنف في الحديث **وكل من جمع صحيحا فقد سلك على نهجه**، وأخذ طريقه، وحذا حذوه، والفضل للمتقدم كما قيل في القول المنظم نظم[٣]:

(ولـو قَبْـلَ مَبْكاهـا بَكَيـتُ صـبابَةً ... بسُعدى شَفيت النّفس قبلَ التندُّمِ)

(ولكنْ بَكَتْ قَبلي فهيَّج لـي البُكـا ... بُكَاهـا فقلـتُ الفَضـلُ للْمُتَقَـدِّمِ)[٤]

٥-وقول المولى ولي الله المحدث الدهلوي: «أول ما صنف أهل الحديث في علم الحديث وجعلوه مدونا في أربعة فنون في السنة -أعني- الذي يقال له الفقه مثل: موطأ مالك وجامع سفيان، وفن التفسير مثل: كتاب ابن جريج، وفن السير

---

(١) جامع الأصول (١/ ٤٤).

(٢) الحطة في ذكر الصحاح الستة (ص: ١٤٩).

(٣) هذا من شعر الحريري معجم الأدباء(٥/ ٣٤٣) مرآة الجنان (٢/ ٤٤٩) شذرات الذهب (٣/ ١٥١، وعبارته غير صريحة في المسألة.

(٤) الحيوان (٣/ ٢٠٦).

مثل: كتاب محمد بن إسحاق، وفن الزهد: مثل كتاب ابن المبارك، فأراد البخاري أن يجمع الفنون الأربعة في كتاب ويجرد ما حكم له العلماء بالصحة قبل البخاري وفي زمانه ويجرده للحديث المرفوع المسند وما فيه من الآثار وغيرها إنما جاء تبعا لا بالأصالة؛ لهذا سمَّى كتابه بالجامع الصحيح المسند، وأراد أن يفرغ جهده في الاستنباط من حديث رسول الله ﷺ ويستنبط من كل حديث مسائل كثيرة جدا، وهذا أمر لم يسبقه إليه غيره، غير أنه استحسن أن يفرق الأحاديث في الأبواب ويودع في تراجم الأبواب سر الاستنباط»[١].

٦- وقول صديق حسن خان: «ولولي الله المحدث الدهلوي إلمام عظيم ووله فخيم بالموطأ وبالعمل عليه وبتقديمه على سائر كتب الحديث حتى الصحيحين فضلا عن غيرهما، والحق معه ﷺوقد قال في بعض إفاداته: ... ولم أتعرض لذكر من أخرج الحديث من أصحاب الأصول إلا في مواضع يسيرة علما مني بأن «مسند الدارمي» إنما صنف لإسناد أحاديث «الموطأ» وفيه الكفاية لمن اكتفى»[٢].

ويلاحظ بعد ما تقدم ذكره: اتفاق كلام الأجلاء من أهل العلم على ذكر أثر الإمام مالك وأثر موطئه في من جاء بعده، وهذا الكلام لا يمكن أن تتفق عليه كلمة هؤلاء العلماء من باب التقليد والمتابعة؛ وذلك لاختلاف مشاربهم وتباين أقطارهم، واختلاف أزمانهم، وتنوع تعبيراتهم وتعداد شواهدهم وطرق تأثر أصحاب الكتب الستة وغيرهم به.

وهذا الذي قالوه لا يكون إلا بعد تتبع واستقراء لموطأ الإمام مالك ولمصادر الحديث.

---

(١) الحطة في ذكر الصحاح الستة (ص: ١٧٢)

(٢) المصدر السابق (ص: ١٦٦-١٦٧).

المبحث الثاني
أثره في جمع أحاديث الأحكام

إن السنة النبوية كما هو معلوم المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، فهي تشتمل على كل ما يحتاج إليه الناس في دينهم وغالب أمور دنياهم، فيما يتعلق بجانب المعاملات وجانب الأخلاق ونحوهما، كما قال سلمان الفارسيﷺ حين «قيل له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة قال: فقال: أجل «لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط، أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم»(١).

وفي رواية عنه ﷺقال: قال لنا المشركون: إني أرى صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة، فقال: أجل «إنه نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه، أو يستقبل القبلة، ونهى عن الروث والعظام» وقال: «لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار»(٢).

فالشريعة تتضمن ذكر الحلال والحرام والسنة والبدعة...وهي المعبر عنها بأحاديث الأحكام؛ لذلك كانت عناية علماء المسلمين متوجهة لها حريصة على تدوينها وجمعها وتصنيفها وترتيبها.

فمن صور عنايتهم واهتمامهم:

- جمعها وعدها وحصرها.
- ترتيبها وتصنيفها.

وقد تأثر كثير من علماء الحديث بمنهج الإمام مالك، ووجه التأثر له صور كثيرة، منها:

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٢٢٣رقم ٢٦٢).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٢٢٤).

- جمعهم لأحاديث الأحكام:

إنه لا يخفى أن أصول أحاديث الأحكام، لا تخرج في غالبها عما أودعه أصحاب الكتب الستة في كتبهم، وقد حمل الحافظ ابن حجر قول النووي: «لم يفت الخمسة إلا القليل»[١]. على أحاديث الأحكام خاصة أما غير الأحكام فليس بقليل»[٢].

والمراد بالخمسة «الصحيحان، وسنن أبي داود والترمذي، والنسائي»[٣].

وأما عدد أحاديث الأحكام فقد اختلف العلماء في هذا:

١- فنقل أبو داود السجستاني عن ابن المبارك أنها: «تسعمائة، ومرادهم بهذه العدة ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله الصريحة في الحلال والحرام، والله أعلم»[٤].

٢- وذكر القاضي أبو بكر ابن العربي: «أن الذي في الصحيحين من أحاديث الأحكام نحو ألفي حديث»[٥].

٣- قال المعلمي[٦]: «وقد ذكر أهل العلم أن أصول أحاديث الأحكام نحو خمسمائة حديث»[٧].

وقال الحافظ ابن حجر: «كل منهم بحسب ما يصل إليه. ولهذا اختلفوا»[٨].

---

(١) التقريب والتيسير للنووي (ص: ٢٦).

(٢) النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (١/ ٢٩٨).

(٣) التقريب والتيسير للنووي (ص: ٢٦).

(٤) النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (١/ ٣٠٠).

(٥) المصدر السابق

(٦) الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة (ص: ٥٤).

(٧) ينظر: أعلام الموقعين (٢/ ٣٤٢)

(٨) النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (١/ ٣٠٠).

وقد كان الإمام مالك مهتما بأحاديث الأحكام في موطئه معتنيا بذلك عناية كبيرة، كما هو الظاهر من صنيعه فيه، حيث إنه:

-رتب موطأه على أبواب الفقه.

-بعد سوقه للحديث يتكلم على فقهه وما جاء فيه من مسائل وأحكام؛ لهذا قال ابن خلدون: «وكتب مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب «الموطأ» أودعه أصول الأحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه على أبواب الفقه...»[١].

وأمَّا عدد أصول أحاديث الأحكام التي رواها مالك في «الموطأ»، فقال الشافعي: «أصول الأحكام نيف وخمسمائة حديث، كلها عن مالك إلا ثلاثين حديثا»[٢].

ولعل الإمام الشافعي يقصد الأحاديث الموصولة والمراسيل والبلاغات التي أخرجها الإمام مالك؛ لإطباق العلماء على صحة حديثه وما رواه مطلقا ولأنهم لم يخصصوه بما أخرجه موصولا، وقال الزرقاني: وهذا آخر الأحاديث الأربعة التي قالوا إنها لم توجد موصولة في غير «الموطأ»، وذلك لا يضر مالكا الذي قال فيه سفيان بن عيينة: كان مالكا لا يبلغ من الحديث إلا ما كان صحيحا، وإذا قال: بلغني فهو إسناد صحيح، فقصور[٣] المتأخرين عن وجود هذه الأربعة موصولة لا يقدح فيها، فلعلها وصلت في الكتب التي لم تصل إليهم[٤].

وقال القنوجي: «وكتب مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب «الموطأ» أودعه أصول الأحكام

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص: ٤٤٢).

(٢) النكت للزركشي (١/ ٩٣، ٩٢).

(٣) في المصدر: «فتصور» تصحيف والتصويب من السياق.

(٤) شرح الزرقاني على الموطأ (٤/ ٣٩٦).

من الصحيح المتفق عليه»[١].

ولما تميز به موطأ الإمام مالك من عناية واهتمام بأحاديث الأحكام وجمعها وحصرها واستقصائها في موطئه: رأى علماء المسلمين أن من اكتفى بالموطأ كفاه عن غيره من كتب الحديث، وهذا بعض كلامهم في هذا:

- فقال ابن وهب: «من كتب موطأ مالك فلا عليه أن لا يكتب من الحلال والحرام شيئا»[٢].
- وقال يحيى بن عثمان: «سمعت سعيد بن أبي مريم يقول -وهو يقرأ عليه موطأ مالك وكان ابنا أخيه قد رحلا إلى العراق في طلب العلم -: لو أن ابني أخي مكثا بالعراق عمرهما يكتبان ليلا ونهارا ما أتيا بعلم يشبه موطأ مالك، وقال: ما أتيا بسنة يجتمع عليها خلاف موطأ مالك بن أنس»[٣].
- وقال الإمام أحمد حين سُئل عن موطأ مالك بن أنس: «ما أحسنه لمن تدين به»[٤].
- ورأى علماء المسلمين «الموطأ» أنفع الكتب بعد كتاب الله، فقال عبد الرحمن بن مهدي: «ما كتاب بعد كتاب الله أنفع للناس من موطأ مالك بن أنس»[٥].
- وقال الشافعي: «ما كتابٌ بعد كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أنفع للمسلمين من موطأ

---

(١) أبجد العلوم (٢/ ٢٣١).

(٢) التمهيد (١/ ٧٨) الاستذكار (١/ ٤٨).

(٣) المصدران السابقان.

(٤) حلية الأولياء (٦/ ٣٢٢).

(٥) التمهيد (١/ ٧٨) الاستذكار (١/ ٤٨).

مالك»[١].

• وقال ابن عبد البر: هذا جميع ما في «الموطأ» من رواية يحيى بن يحيى الأندلسي من حديث النبي ﷺ وما أضيف إليه أنه قاله ﷺ، أو كان موقوفا فيه مرفوعا في غيره، ومثله لا يُدرك بالرأي فذكر لصحته عنه ﷺ حاشا حديثين لأيوب السختياني وحديث لطلحة بن عبد الملك[٢].

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٥٠٧) الحلية (٩/ ٧٠) الاستذكار (١/ ٤٨).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٤/ ٤٤٧).

الفصل الثاني

أثر «الموطأ» الخاص في الصناعة الإسنادية والفقهية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حرص البخاري ومسلم على إخراج المتون التي أخرجها مالك مطلقا، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحرص على إخراج ما أخرجه من الحديث الموصول، ولهم في ذلك خمسة فروع:

الفرع الأول: العناية بإخراج حديثه العالي الموصول.

الفرع الثاني: العناية بإخراج حديثه الموصول ولو بنزول.

الفرع الثالث: العناية بتقديم حديثه على حديث غيره في الباب.

الفرع الرابع: قبول تفرده وإخراجه.

الفرع الخامس: العناية بإخراج ما أخرجه مما لا مجال للرأي فيه.

المطلب الثاني: الحرص على إخراج ما أخرجه من الحديث غير الموصول، وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: وصل مراسيله.

الفرع الثاني: وصل مقاطيعه.

الفرع الثالث: وصل موقوفاته.

الفرع الرابع: وصل بلاغاته.

الفرع الخامس: إخراج معنى ما أخرجه.

المبحث الثاني: أثره في الصناعة الفقهية على البخاري وأبي داود والترمذي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثره في الصناعة الفقهية على البخاري.

المطلب الثاني: أثره في الصناعة الفقهية على أبي داود.

المطلب الثالث: أثره في الصناعة الفقهية على الترمذي.

المبحث الأول

حرص البخاري ومسلم على إخراج المتون التي أخرجها مالك مطلقا

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحرص على إخراج ما أخرجه من الحديث الموصول،

ولهم في ذلك خمسة فروع:

الفرع الأول: العناية بإخراج حديثه العالي الموصول.

قال الدكتور محمد سعيد بخاري: «لقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن الإمام مالك: (٦٤٤) رواية.

وذكر لبعض هذه الروايات متابعات عن شيوخه، وللبعض الأخر عن شيوخ شيوخه.

لذا قد يصبح عدد ما رواه البخاري بهذا الاعتبار أكثر من: (٦٦٨) رواية.

أما الإمام مسلم فقد روى في صحيحه عن الإمام مالك: (٣٤٦) رواية.

وذكر لبعض هذه الروايات متابعات عن شيوخه (مسلم) وللبعض الآخر عن شيوخ شيوخه.

لذا قد يصبح عدد ما رواه مسلم بهذا الاعتبار أكثر من: (٣٨٩) رواية»[1].

---

(١) ينظر في هذا كتاب: موطأ الإمام مالك واعتماد البخاري ومسلم على نسخ منه مكتوبة في =

الفرع الثاني: العناية بإخراج حديثه الموصول ولو بنزول.

ولشدة وله البخاري بما يرويه الإمام مالك وحرصه على جمع حديثه، أنه كان يروي حديثه ولو كان إسناده نازلا، قال السيوطي: «قال بعض العلماء: إن البخاري إذا وجد حديثا يؤثر عن مالك لا يكاد يعدل به إلى غيره، حتى إنه يروي في الصحيح عن عبد الله بن محمد بن أسماء عن عمه جويرية عن مالك»[(١)].

قلت: وليس هذا عند البخاري فقط، بل عند مسلم في صحيحه أيضا.

قال الدكتور محمد سعيد بخاري: «روى البخاري عن (١٥) من شيوخه عن الإمام مالك، وروى نازلا بدرجة عن (٩) من تلامذة مالك، وروى نازلا بدرجتين عن تلميذ (١) من تلامذة مالك، وعلق رواية عن (مالك). ورواية عن تلميذ (١) من تلامذة مالك. وبيان ذلك فيما يأتي: ...إلى أن قال:

وروى البخاري نازلا بدرجة واحدة:

١- من طريق معن بن عيسى عن مالك: (٨) روايات.

٢- ومن طريق جويرية عن مالك: (٧) روايات.

٣- ومن طريق عبد الله بن وهب عن مالك: (٦) روايات.

٤- ومن طريق عبد الرحمن بن مهدي عن مالك: (٥) روايات.

٥- ومن طريق يحي بن سعيد عن مالك: (٣) روايات.

٦- ومن طريق إسماعيل بن جعفر عن مالك: (٢) روايتان.

٧- ومن طريق محمد بن يحي الكناني عن مالك: (١) رواية.

٨- ومن طريق عبد الله بن المبارك عن مالك: (١) رواية.

٩- ومن طريق سفيان عن مالك: (١) رواية.

=

الصحيحين، للدكتور محمد سعيد بخاري.

(١) أوجز المسالك (١/ ٢٢).وكذلك مسلم.

وروى البخاري نازلا بدرجتين:

١- من طريق أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن خارجة[١] عن مالك: (١) رواية»[٢].

ثانيا: روايات مسلم عن مالك في صحيحه:

روى مسلم عن (١١) من شيوخه عن الإمام مالك، وروى نازلا بدرجة عن (١٢) من تلامذة مالك، وروى نازلا بدرجتين عن تلميذ (١) من تلامذة مالك.

١- أكثر مسلم الرواية عن شيخه يحيى بن يحيى بن بكير عن مالك وبلغت: (٢٢٩) رواية.

٢- وروى عن شيخه قتيبة بن سعيد عن مالك: (٤٧) رواية.

٣- وعن شيخه عبد الله بن مسلمة القعنبي عن مالك: (١٨) رواية.

٤- وعن شيخه عبد الأعلى بن حماد عن مالك (٢) روايتان.

٥- وعن شيخه إسماعيل بن أويس عن مالك: (٢) روايتان.

٦- وعن شيخه سعيد بن منصور بن شعبة عن مالك: (٢) روايتان.

٧- وعن شيخه يحيى بن أبي عمر عن مالك: (١) رواية.

٨- وعن شيخه منصور بن أبي مزاحم عن مالك: (١) رواية.

٩- وعن شيخه سويد بن سعيد عن مالك: (١) رواية.

١٠- وعن شيخه خلف بن هشام عن مالك: (١) رواية.

١١- وعن شيخه أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك: (١) رواية.

وروى مسلم نازلا بدرجة واحدة:

١- من طريق عبد الله بن وهب عن مالك. (٣٧) رواية.

٢- ومن طريق معن بن عيسى عن مالك. (١٥) رواية.

٣- ومن طريق إسحاق بن عيسى عن مالك. (٨) روايات.

---

(١) رقم الرواية هي: (٤٢٣٤).

(٢) المصدر السابق (ص: ١٣).

٤- ومن طريق جويرية عن مالك. (٧) روايات.

٥- ومن طريق عبد الرحمن بن مهدي عن مالك. (٦) روايات.

٦- ومن طريق روح[1] عن مالك. (٣) روايات.

٧- ومن طريق عبد الله بن المبارك عن مالك. (٢) روايتان.

٨- ومن طريق عبد الله بن نافع عن مالك. (١) رواية.

٩- ومن طريق أبي علي الحنفي عن مالك. (١) رواية.

١٠- ومن طريق بشر بن عمر عن مالك. (١) رواية.

١١- ومن طريق إسحاق بن سليمان الرازي عن مالك. (١) رواية.

١٢- ومن طريق خالد بن مخلد عن مالك. (١) رواية.

وروى مسلم نازلا بدرجتين :

١٣- من طريق شعبة عن مالك. (١) رواية.

هذه الروايات التي أوردها الإمام مسلم في صحيحه، بأسانيده عن الإمام مالك. بلغت: (٣٨٩) رواية. فهل كانت روايات سمعها مسلم من شيوخه شفاهية أثناء رحلاته في الأمصار الإسلامية؟

ومن حرص الشيخين على إخراج حديث مالك إخراجه من غير أصحاب النسخ المشهورة، أي أن العبرة والمهم عندهما جمع ما صح عنه.

قال الدكتور محمد سعيد بخاري:

هل من بين الرواة عن مالك في صحيح البخاري أصحاب نسخ؟

بمقارنة هؤلاء الرواة عن مالك في صحيح البخاري بأسماء **رواة «الموطأ»، وأصحاب النسخ المشهورة (ص٤) نجد: سبعة من أصحاب النسخ المشهورة من «الموطأ» وهم:**

---

(١) أرقام الروايات هي (٤٠٧/ ٣٩٧، ١٩٧١/ ١٠٤٧، ٢٧٥٦/ ٥٦٨).

عبد الله بن يوسف التنيسي، وإسماعيل بن أبي أويس، ويحيى بن عبد الله بن بكير القرشي المخزومي، ويحيى بن يحيى بن بكير النيسابوري، ومعن بن عيسى القزاز، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، وعبد الله بن وهب.

وعشرة رواة من رواة «الموطأ» ولكن ليست رواياتهم مشهورة:

قتيبة بن سعيد بن جميل البلخي، ويحيى بن قزعة، **وعبد العزيز بن عبد الله الأويسي**، والفضل بن دكين، وروح بن عبادة، **وهشام بن عبد الملك**، وجويرية بن أسماء، وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى بن سعيد القطان، وسعيد بن داود بن أبي زنبر.

وأما الذين رووا أحاديث عن مالك في أغلب ظني ولم يرووا نسخة فهم تسعة:

الضحاك بن مخلد، وإسحاق بن محمد الفروي، وعبد الله بن عبد الوهاب، وسلم بن قتيبة، وإسماعيل بن جعفر، ومحمد بن يحيى الكناني، وعبد الله بن المبارك، وسفيان، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خارجة.

فهل كانت روايات سمعها مسلم من شيوخه شفاهية أثناء رحلاته في الأمصار الإسلامية؟

أم أنه اعتمد على نسخة مكتوبة من موطأ الإمام مالك؟ هذا ما سنقف عليه في الفصل الثاني.

هل من بين الرواة عن مالك في صحيح مسلم أصحاب نسخ؟

بمقارنة الرواة عن مالك في صحيح مسلم بأسماء **رواة «الموطأ»، وأصحاب النسخ المشهورة (ص٤) نجد:**

ستة من أصحاب النسخ المشهورة من «الموطأ» وهم:

يحيى بن يحيى بن بكير الحنظلي النيسابوري، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، وإسماعيل بن أبي أويس، **وسويد بن سعيد**، وعبد الله بن وهب،

ومعن بن عيسى القزاز.

وستة رواة من رواة «الموطأ» ولكن ليست رواياتهم مشهورة:

قتيبة بن سعيد بن جميل البلخي، وروح بن عبادة، وجويرية بن أسماء، وعبد الرحمن بن مهدي، وإسحاق بن عيسى الطباع البغدادي. **وعبد الأعلى بن حماد فلا أستبعد كونه أحد رواة موطأ الإمام مالك وصاحب نسخة غير مشهورة**(١).

وأما الذين رووا أحاديث عن مالك في أغلب ظني ولم يرووا نسخة فهم أحد عشر: عبد الله بن المبارك، وسعيد بن منصور، ويحيى بن أبي عمر، ومنصور بن أبي مزاحم، وخلف بن هشام، وعبد الله بن نافع، وأبو علي الحنفي، وبشر بن عمر، وإسحاق بن سليمان الرازي، وخالد بن مخلد، وشعبة(٢).

وبعد هذا السرد والعرض يتبين لنا عناية الشيخين وحرصهما الشديد على حديث الإمام مالك.

ومما ينبغي التنبه له والتنبيه عليه وله تعلق بهذا المقام وهو حرص الإمام البخاري على إخراج ما أخرجه الإمام مالك غير الروايات المشهورة عنه والتي قد تعتبر بهذا القيد شاذة، مثال هذا: ما رواه مالك عن ابن شهاب، عن محمد بن جبير بن مطعم، أن النبي ﷺ قال: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»(٣).

قال أبو عمر: «مرسل يتصل من وجوه، ثم ذكر سند الحديث... وقال: هكذا روى هذا الحديث يحيى مرسلا لم يقل عن أبيه، وتابعه على ذلك أكثر الرواة

---

(١) حيث إنه قال في الموضعين في صحيح مسلم (قرأت على مالك). أي من نسخة مكتوبة.

(٢) من (ص: ٧ - ٢٠) بتصرف.

(٣) موطأ مالك عبد الباقي (٢/ ١٠٠٤ رقم١)

للموطأ، وممن تابعه على ذلك: القعنبي، وابن بكير، وابن وهب، وابن القاسم، وعبد الله بن يوسف، وابن أبي أويس.

وأسنده عن مالك: معن بن عيسى، ومحمد بن المبارك الصوري، ومحمد بن عبد الرحيم، وابن شروس الصنعاني، وعبد الله بن مسلم، الدمشقي وإبراهيم بن طهمان، وحبيب، ومحمد بن حرب، وأبو حذافة، وعبد الله بن نافع، وأبو المصعب، كل هؤلاء رواه عن مالك مسندا عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه»(١).

ثم ساقه ابن عبد البر بسنده إلى محمد بن المبارك الصوري قال سمعت رجلا يقول لمالك بن أنس أحدثك ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: فذكره.

ثم ساقه بسنده إلى أحمد بن صالح قال: قرأت على ابن نافع قال حدثني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن رسول الله ﷺ، قال فذكره(٢).

قلت: وقد أخرجه البخاري في موطنين:

أحدهما: عن مالك، **أسنده معن** قال البخاري: حدثني إبراهيم بن المنذر، قال: حدثني معن، عن مالك، عن ابن شهاب، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا

---

(١) قلت: والذين رووه عن الإمام مالك مرسلا أوثق وأشهر ممن رواه متصلا- ينظر: العلل للدار قطني (١٣/ ٤١٦).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٩/ ١٥١-١٥٢)

العاقب»[١].

-**مثال ثانٍ**: روى مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «إن بلالا ينادي بليل، فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم»، قال: وكان ابن أم مكتوم رجلا أعمى، لا ينادي حتى يقال له: أصبحت. أصبحت[٢].

وهذا الحديث مرسل عند أكثر الرواة عن مالك، لكن وصله من رواة «الموطأ» القعنبي، وأخرجه عنه البخاري.

قال أبو عمر: مرسل عند يحيى وأكثر الرواة مالك...هكذا رواه يحيى مرسلا وتابعه على ذلك أكثر الرواة عن مالك، **ووصله القعنبي**، وابن مهدي، وعبد الرزاق، وأبو قرة موسى بن طارق، وعبد الله بن نافع، ومطرف بن عبد الله الأصم، وابن أبي أويس، والحنيني، ومحمد بن عمر الواقدي، وأبو قتادة الحراني، ومحمد بن حرب الأحرش، وزهير بن عباد الرواسي، وكامل بن طلحة، كل هؤلاء وصلوه فقالوا فيه عن سالم عن أبيه، **وسائر رواة «الموطأ» أرسلوه** وممن أرسله: ابن قاسم، والشافعي، وابن بكير، وأبو المصعب الزهري، وعبد الله بن يوسف التنيسي نوابن وهب في «الموطأ» ومصعب الزبيري، ومحمد بن الحسن، ومحمد بن المبارك الصورين وسعيد بن عُفير، ومعن بن عيسى، **وجماعة يطول ذكرهم**.

وقد روي عن ابن بكير متصلا ولا يصح عنه إلا مرسلا كما في «الموطأ» له وأما أصحاب ابن شهاب فرووه متصلا مسندا عن ابن شهاب منهم ابن عيينة وابن جريج وشعيب بن أبي حمزة والأوزاعي والليث ومعمر ومحمد بن إسحاق وابن أبي سلمة وعند معمر ومحمد بن إسحاق في هذا حديث آخر[٣].

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٨٥رقم٣٥٣٢).

(٢) موطأ مالك (١/ ٧٤رقم١٥).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٠/ ٥٥- ٥٦).

قلت: **أخرجه البخاري عن مالك من طريق القعنبي**، قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن بلالا يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم»، ثم قال: وكان رجلا أعمى، لا ينادي حتى يقال له: أصبحت أصبحت[١].

الفرع الثالث: العناية بتقديم حديثه على حديث غيره في الباب.

ومن حرص الإمام البخاري على حديث الإمام مالك تقديمه لحديثه على حديث غيره في الباب، الاستفتاح بحديث مالك، وعدم تقديم حديث غيره عليه، وقد نبه على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: «ثم هذه كتب الصحيح التي أجل ما فيها كتاب البخاري أول ما يستفتح الباب بحديث مالك، وإن كان في الباب شيء من حديث مالك لا يقدم على حديثه غيره»[٢].

الفرع الرابع: قبول تفرده وإخراجه.

من حرص علماء المسلمين على حديث رسول الله ﷺ أنهم تتبعوا رواة الحديث الثقات وغير الثقات لمعرفة ما أصابوا فيه من الرواية عن رسول الله ﷺ مما أخطئوا فيه، في كتب مختلفة، ككتب العلل وغيرها، وممن تتبع أحاديث الإمام مالك الإمام مسلم، قال ابن رجب: «وأما مالك فذكر له مسلم في كتاب «التمييز» عن الزهري ثلاثة أوهام.

وذكر أبو بكر الخطيب له وهمين عن الزهري، وأحدهما ذكره مسلم»[٣].

قال الباحث: وهذه الندرة في الأخطاء تدل على مكنة ملكة الحفظ لدى مالك، وشدة ضبطه وإتقانه، وهذه الأخطاء لا تعد شيئا في بحر مروياته وسعة

---

(١) صحيح البخاري (١/ ١٢٧رقم٦١٧).

(٢) مجموع الفتاوى(٢٠/ ٣٢٥).

(٣) شرح علل الترمذي (٢/ ٦٧١).

محفوظاته.

وأما قبول تفرده: سواء أكان لفظة في حديث أو في حديث كامل، فمنها:

١-ما نقله ابن أبي مريم أنه «قيل ليحيى بن معين: حديث مالك: «اللقاح واحد»[١] ليس يرويه أحد غيره، قال: دع مالكا، مالك أمير المؤمنين في الحديث»[٢].

٢-وحديث مالك، عن سُمَّي، مولى أبي بكر، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه، فإذا قضى أحدكم نهمته من وجهه، فليعجل إلى أهله»[٣].

وذكر هذا الحديث الدار قطني وساق خلاف العلماء فيه ثم قال: «والصحيح:

---

(١) هو في موطأ مالك (٢/ ٦٠٣رقم٥) موقوف عن ابن شهاب، عن عمرو بن الشريد، أن عبد الله بن عباس سئل عن رجل كانت له امرأتان فأرضعت إحداهما غلاما، وأرضعت الأخرى جارية، فقيل له هل يتزوج الغلام الجارية فقال: «لا اللقاح واحد».

(٢) مسند الموطأ (ص: ١٠٨، رقم ٧١)، الكامل في ضعفاء الرجال (١/ ٩٠). وفي مسند الموطأ للجوهري قال: حدثنا أبو الحسن النيسابوري، قال: حدثنا علي بن أحمد بن سلمان، قال: حدثنا أحمد بن سعيد، قال: «قيل ليحيى بن معين: أرأيت حديث مالك: اللقاح واحد؟ ليس يرويه أحد غيره؟

قال: دع مالكا، مالك أمير المؤمنين في الحديث.

قال يحيى: وقد رواه ابن جريج.

قال قلت ليحيى بن معين: الليث أرفع عندك أو مالك؟

قال لي: مالك، فقلت له: أليس أعلى أصحاب الزهري؟ قال: نعم.

قيل له: فعبيد الله في نافع أثبت أو مالك؟

قال: مالك أثبت الناس».

(٣) موطأ مالك (٢/ ٩٨٠رقم٣٩)

حديث سُمَّي»[١].

وقال ابن عبد البر: «هذا حديث انفرد به مالك عن سُمَّي لا يصح لغيره عنه وانفرد به سُمَّي أيضا فلا يحفظ عن غيره... والحديث مسند صحيح ثابت احتاج الناس فيه إلى مالك وليس له غير هذا الإسناد من وجه صحيح»[٢].

٣-قال الترمذي: «ورب حديث استغرب لزيادة تكون في الحديث، وإنما يصح إذا كانت الزيادة ممن يعتمد على حفظه، مثل ما روى مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان على كل حر، أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين، صاعا من تمر، أو صاعا من شعير». قال: وزاد مالك في هذا الحديث: «من المسلمين»[٣].

وروى أيوب السختياني، وعبيد الله بن عمر وغير واحد من الأئمة هذا الحديث، عن نافع، عن ابن عمر، ولم يذكروا فيه من المسلمين وقد روى بعضهم، عن نافع مثل رواية مالك ممن لا يعتمد على حفظه، وقد أخذ غير واحد من الأئمة بحديث مالك، واحتجوا به منهم الشافعي وأحمد ابن حنبل ولم يذكر فيه «من المسلمين»»[٤].

قال الحافظ ابن حجر: «وفي الجملة ليس فيمن روى هذه الزيادة أحد مثل مالك؛ لأنه لم يتفق على أيوب وعبيد الله في زيادتها وليس في الباقين مثل يونس لكن

---

(١) علل الدارقطني (١٠/ ١١٩).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٢/ ٣٣).

(٣) لفظ الموطأ «فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعا من تمر، أو صاعا من شعير، على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين» فزاد مالك في هذا الحديث: « من المسلمين» موطأ مالك (١/ ٢٨٤رقم٥٢).

(٤) شرح علل الترمذي (١/ ٢٣٧).

في الراوي عنه وهو يحيى بن أيوب مقال»[١].

٤-قال مالك: «ما بال أهل العراق يسألوني عن حديث« السفر قطعة من العذاب»؟ قيل له: لم يروه أحد غيرك. فقال: لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما حدثتُ به»[٢].

وهذا الحديث متواتر عن مالك، ولم يصح إلا من طريقه، وعليه اعتمد العلماء في إخراجه عن مالك.

فهذه النماذج تدل على ما وراءها من قبول أئمة الجرح والتعديل، وأطباء العلل لتفردات الإمام مالك، ونصحهم تلامذتهم بترك التعرض لما يتفرد به؛ لأن إمام مبرز يقبل تفرده.

الفرع الخامس: العناية بإخراج ما أخرجه مما لا مجال للرأي فيه.

وقد أخرج مالك جملة من الأحاديث الموقوفة على الصحابة، وهي مما يقال عنها: لها حكم الرفع؛ لأنه لا مجال للرأي فيها.

وجملة من هذه الأحاديث أخرجها الشيخان موصولة مرفوعة إلى النبي ﷺ، فمن تلك الأحاديث:

١-مالك، عن مسلم بن أبي مريم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أنه قال: «نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وريحها يوجد من مسيرة خمسمائة سنة»[٣].

قال أبو عمر: «هكذا روى هذا الحديث يحيى موقوفا من قول أبي هريرة وكذلك هو في «الموطأ» عند جميع رواته إلا ابن نافع فإنه رواه عن مالك بإسناده

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٧٠).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٢/ ٣٤).

(٣) موطأ مالك (٢/ ٩١٣رقم٧).

هذا مرفوعا إلى النبي ﷺ ومعلوم أن هذا لا يمكن أن يكون من رأي أبي هريرة لأن مثل هذا لا يدرك بالرأي، ومحال أن يقول أبو هريرة من رأيه لا يدخلن الجنة، ويوجد ريح الجنة من مسيرة كذا، ومثل هذا لا يعلم رأيا، وإنما يكون توقيفا ممن لا يدفع عن علم الغيب.

... وقد روي هذا المعنى مسندا عن أبي هريرة من وجوه»(١).

قلت: وهو الذي أخرجه مسلم عن شيخ مالك أبي صالح، قال الإمام مسلم: حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن سُهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»(٢).

٢-مالك عن عمه أبي سُهيل بن مالك، عن أبيه عن أبي هريرة، أنه قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين»(٣).

قال ابن عبد البر: «ذكرنا هذا الحديث ههنا لأن مثله لا يكون رأيا ولا يدرك مثله إلا توقيفا وقد روي مرفوعا عن النبي ﷺ من حديث أبي سُهيل هذا وغيره من رواية مالك وغيره، ولا أعلم أحدا رفعه عن مالك إلا **معن بن عيسى إن صح عنه**»(٤).

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٣/ ٢٠٢).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٦٨٠رقم (٢١٢٨) وبنفس السند والمتن أخرجه مسلم في موطن آخر (٤/ ٢١٩٢رقم (٢١٢٨).

(٣) موطأ مالك (١/ ٣١٠رقم٥٩).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٦/ ١٤٩).

قلت: أخرجه البخاري ومسلم، لكن في صحيح البخاري من غير طريق معن، قال البخاري: حدثني يحيى بن بكير، قال: حدثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني ابن أبي أنس[١]، مولى التيميين: أن أباه، حدثه أنه، سمع أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»[٢].

وأخرج مسلم متنه من طريق أخرى فقال: حدثنا يحيى بن أيوب، وقتيبة، وابن حجر، قالوا: حدثنا إسماعيل وهو ابن جعفر، عن أبي سُهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»[٣].

٣- مالك، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن صالح بن خوات، أن سهل بن أبي حثمة، حدثه أن: «صلاة الخوف أن يقوم الإمام، ومعه طائفة من أصحابه، وطائفة مواجهة العدو. فيركع الإمام ركعة، ويسجد بالذين معه، ثم يقوم. فإذا استوى قائما، ثبت وأتموا لأنفسهم الركعة الباقية. ثم يسلمون، وينصرفون. والإمام قائم. فيكونون وجاه العدو. ثم يقبل الآخرون الذين لم يصلوا، فيكبرون وراء الإمام، فيركع بهم الركعة ويسجد. ثم يسلم، فيقومون فيركعون لأنفسهم الركعة الباقية. ثم يسلمون»[٤].

قال أبو عمر: هذا الحديث موقوف على سهل في «الموطأ» عند جماعة الرواة

---

(١) هو: ابن أبي أنس شيخ الزهري هو أبو سُهيل نافع ابن مالك ابن أبي عامر تقريب التهذيب (ص: ٦٨٦).

(٢) (٣/ ٢٥رقم ١٨٩٩) وفي موطن آخر بنفس الإسناد (٤/ ١٢٣رقم٣٢٧٧).

(٣) صحيح مسلم (٢/ ٧٥٨رقم (١٠٧٩) وفي موطن آخر بنفس الإسناد، (٢/ ٧٥٨ رقم١٠٧٩).

(٤) موطأ مالك (١/ ١٨٣رقم٢).

عن مالك ومثله لا يقال من جهة الرأي، وقد روي مرفوعا مسندا بهذا الإسناد عن القاسم بن محمد عن صالح بن خوات عن سهل بن أبي حثمة عن النبي ﷺ رواه عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه وعبد الرحمن أسن من يحيى بن سعيد وأجل»[١].

قلت: أخرجه البخاري من طريق شيخ مالك كذلك فقال: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى بن سعيد القطان، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن القاسم بن محمد، عن صالح بن خوات، عن سهل بن أبي حثمة، قال: «يقوم الإمام مستقبل القبلة، وطائفة منهم معه، وطائفة من قبل العدو، وجوههم إلى العدو، فيصلي بالذين معه ركعة، ثم يقومون فيركعون لأنفسهم ركعة، ويسجدون سجدتين في مكانهم، ثم يذهب هؤلاء إلى مقام أولئك، فيركع بهم ركعة، فله ثنتان، ثم يركعون ويسجدون سجدتين» حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن شعبة، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن صالح بن خوات، عن سهل بن أبي حثمة، عن النبي ﷺ: مثله، حدثني محمد بن عبيد الله، قال: حدثني ابن أبي حازم، عن يحيى، سمع القاسم، أخبرني صالح بن خوات، عن سهل: حدثه: قوله، تابعه الليث، عن هشام، عن زيد بن أسلم، أن القاسم بن محمد، حدثه: صلى النبي ﷺ في غزوة بني أنمار[٢].

ويدخل في هذا البلاغات التي أخرجها مالك مما لا مجال للرأي فيها، فمن ذلك:

٥- مالك، أنه بلغه أن عبد الله بن مسعود كان يقول: «لا يزال العبد يكذب، وتنكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه كله، فيكتب عند الله من الكاذبين»[٣].

قلت: وهذا لا يقال من قبل الرأي، وقد أخرجه موصولا البخاري ومسلم من

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٣/ ١٦٥).

(٢) صحيح البخاري (٥/ ١١٤رقم٤١٣١)

(٣) موطأ مالك (٢/ ٩٩٠رقم١٨)

حديث ابن مسعود، قال البخاري: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا»(١).

وأخرجه مسلم فقال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبو معاوية، ووكيع، قالا: حدثنا الأعمش، ح وحدثنا أبو كريب، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»(٢).

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ٢٥)٦٠٩٤

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٠١٣رقم٢٦٠٧)

المطلب الثاني: الحرص على إخراج ما أخرجه من الحديث غير الموصول، وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: وصل مراسيله.

ومراسيل الإمام مالك التي في صحيح البخاري تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وصلها عن مالك.

القسم الثاني: عن شيوخ مالك أو رجاله.

القسم الثالث: إخراج معنى الحديث المرسل أو لفظه من طريق آخر.

القسم الأول: وصلها عن مالك.

مراسيل الإمام مالك ليست كمراسيل غيره عند عامة العلماء:

-قيل لأبي زرعة الرازي: «فمالك مرسلاته أثبت أم الاوزاعي؟ قال: مالك لا يكاد يرسل إلا عن قوم ثقات، مالك متثبت في أهل بلده جدا، فإن تساهل، فإنما يتساهل في قوم غرباء لا يعرفهم»(١).

ولهذا فقد جعل غير واحد من أهل العلم المبرزين مراسيل مالك كلها صحيحة، فمن ذلك:

- قول سفيان: «إذا قال مالك بلغني فهو إسناد»(٢).

-وقول ابن وهب: «مالك والليث إسناد وإن لم يُسند»(٣).

- وقول إبراهيم الحربي: «مالك لا يرسل إلا عن ثقة، وسئل أحمد بن حنبل عن حديث جعفر بن محمد فقال ما أقول فيه وفيه! وقد روى عنه مالك»(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٧٩).

(٢) ترتيب المدارك (١/ ٦٦).

(٣) كذا في المصادر وله وجه بعيد، ولعل الأنسب أن يقال: وإن لم يسندا.

(٤) المصدر السابق.

وقول يحيى القطان: «ومرسلات مالك أحب إليّ من مرسلات الأعمش والتيمي ويحيى بن أبي كثير وأبي إسحاق وابن عيينة والثوري قال يحيى: ليس في القوم أصح حديثًا من مالك»(١).

-وقول أبي داود(٢): «مراسيل مالك أصح من مراسيل سعيد بن المسيب، ومن مراسيل الحسن، ومالك أصح الناس مرسلا»(٣).

-وقول ابن عبد البر والسيوطي والزرقاني: «مراسيل مالك أصولها صحاح كلها»(٤).

فتتابع هؤلاء العلماء على الثناء على مراسيل مالك واعتبارها صحيحة في حكم ما أسنده مع اختلاف عصورهم وعلو مكانتهم وهم من أهل الاستقراء التام.

وأما مراسيل «الموطأ» على وجه الخصوص فقد قال عنها أبو عمر وهو أعلم الناس بها مبينا درجة مراسيل «الموطأ» من الاشتهار والقوة: «... ووصلتُ كل مقطوع جاء متصلا من غير رواية مالك، وكل مرسل جاء مسندا من غير طريقه - رحمة الله عليه- فيما بلغني علمه وصح بروايتي جمعه؛ ليرى الناظر في كتابنا هذا موقع آثار «الموطأ» من الاشتهار والصحة»(٥).

وقال أيضـًا: «وصلنا مراسيل الموطأ في كتاب التمهيد من طرق الثقات، وفي ذلك ما يبين لك صحة مراسيله، ومن تأمل ذلك رآه هنالك ولله الحمد»(٦).

وقال حمزة بن محمد الكناني الحافظ: «كل شيء رواه مالك في «الموطأ»

---

(١) شرح علل الترمذي لابن رجب (١/ ١٦٥).

(٢) في المصدر: «ابن داود» والتصويب من السياق.

(٣) ترتيب المدارك (١/ ٦٦).

(٤) التمهيد لابن عبد البر (٢٤/ ٢٢٠)، تنوير الحوالك (١/ ، ١٤٥) شرح الزرقاني (١/ ٥٠٣).

(٥) التمهيد لابن عبد البر (٢٤/ ٢٢٠)

(٦) تجريد التمهيد (ص: ١٠).

مسندا أو مرسلا فقد روي عن رسول الله ﷺ من غير جهته ؛ إلا حديثين: أحدهما: «إني لأنسى لأسنّ»، والآخر: «إذا أنشأت بحرية»(١).

وقال السيوطي: «وما من مرسل في «الموطأ» إلا وله عاضد أو عواضد، فالصواب إطلاق أن «الموطأ» صحيح لا يُستثنى منه شيء، وقد صنف ابن عبد البر كتابا في وصل ما في «الموطأ» من المرسل والمنقطع والمعضل. قال ابن عبد البر: مذهب مالك أن مرسل الثقة تجب به الحجة ويلزم به العمل كما تجب بالمسند سواء»(٢).

ولعل الإمام مالكا أراد باحتجاجه بالمرسل أن ينبه على مسألة مهمة عنده وهي: أن ما يرويه ويخرجه من الحديث المرسل والمسند سواء عنده في الصحة، فكأنه يقول: أيها الناظر في كتابي هذا أعلم أن ما أسندته أو أرسلته في كتابي هذا فهو صحيح.

وهذا الذي أشرت إليه ونبهت عليه ظاهر من صنيع الإمام البخاري في إخراجه لمراسيل مالك في صحيحه، وجدت الزرقاني استنبطه من صنيع البخاري في إخراجه بعض المراسيل عن مالك أن البخاري يراها صحيحة فقال: «وهذا الحديث رواه البخاري عن قتيبة عن مالك به مرسلا، ففيه أن مراسيل مالك صحيحة عند البخاري»(٣).

وإلا لماذا يخرجها في كتابه الذي اشترط فيما يخرجه فيه الصحة.

وقال ابن عبد البر: «ومالك لا يروي إلا عن ثقة وبلاغاته إذا تفقدت لم توجد

---

(١) وصل بلاغات مالك لابن الصلاح (١/ ٧) ينظر: آخر توجيه النظر (٢/ ٩٢٧).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٤٢).

(٣) شرح الزرقاني (٤/ ٢٢٦).

إلا صحاحا»[١].

فإذا كان هذا في بلاغاته وهي أشد ضعفا من المراسيل، فكيف تكون قوة ما أرسله!.

وهنا مسالة يحسن التنبيه عليها:

أنه من منهج المتقدمين أنهم كانوا: «يؤثرون الموقوفات والمقاطيع والمراسيل على المرفوعات والموصولات، فكم من حديث موصول مرفوع في الصحيحين والسنن تجده في هذه الكتب موقوفا ومرسلا من نفس الطريق التي هو منها موصول ومرفوع في الصحيحين، وجل المقاطيع والمراسيل والموقوفات في موطأ مالك موصولة مرفوعة في الصحيحين، وربما من طريق مالك نفسه، فلا يدل على ضعف ما في الصحيحين والسنن فكذلك في «الموطأ»»[٢].

«فإن الأقدمين ولا سيما ابن المبارك يوردون الأحاديث مرسلة ويختارونها على الموصولة، ومن قرأ كتبهم عرف ذلك، ورأى فيها أكثر الأحاديث المخرجة في الصحيحين مخرجة عندهم مرسلة من نفس الطريق التي هي منها في الصحيح، بل وربما كانت في الصحيح موصولة من جهتهم أيضا، فيكون الحديث عند البخاري من طريق ابن المبارك موصولا، وهو في كتاب «الزهد» له مرسلا، ويكون عنده كذلك عن أبي نعيم موصولا أو عن إبراهيم بن سعد وهو في جزئه وكتب أبي نعيم مرسلا اختيارا منهم للإرسال على الوصل، فلا يرجح قولهم بذلك على من أوصل الحديث»[٣].

وهذه بعض الأمثلة لأحاديث مرسلة في «الموطأ» ولكنها موصولة في

---

(١) التمهيد (١٣/ ١٨٨).

(٢) المداوي (٥/ ٤٠٦).

(٣) المداوي (١/ ٨٤).

الصحيحين.

١ - مالك، عن ابن شهاب، عن محمد بن جبير بن مطعم، أن النبي ﷺ قال: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»(١).

قال ابن عبد البر: «مرسل يتصل من وجوه، مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال: « لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب»(٢).

٢ - مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»(٣).

قال ابن عبد البر: «هكذا رواه جماعة الرواة عن مالك لم يختلفوا فيه، ورواه شعبة عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر أن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: « تحروها ليلة سبع وعشرين» يعني ليلة القدر هكذا حدَّث به عن شعبة وهب بن جرير»(٤).

أخرجه البخاري قال: حدثني محمد، أخبرنا عبدة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الأواخر من رمضان ويقول: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»(٥).

وأخرجه مسلم، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا ابن نمير، ووكيع،

---

(١) موطأ مالك عبد الباقي (٢/ ١٠٠٤رقم١).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٩/ ١٥١-١٥٢).

(٣) موطأ مالك (١/ ٣١٩رقم١٠).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٧/ ٨٥).

(٥) صحيح البخاري (٣/ ٤٧رقم٢٠٢٠).

عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: - قال ابن نمير: التمسوا وقال وكيع - «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»(١).

القسم الثاني: عن شيوخ مالك أو شيوخ شيوخه أو رجاله. هل هو مرسل

١-مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه أنه قال: سئل رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله إن ناسا من أهل البادية يأتوننا بلحمان ولا ندري هل سموا الله عليها أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ: «سموا الله عليها ثم كلوها» قال مالك: وذلك في أول الإسلام(٢).

أخرجه البخاري موصولا عن هشام، فقال: حدثني أحمد بن المقدام العجلي، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن قوما قالوا: يا رسول الله إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا، فقال رسول الله ﷺ: «سموا الله عليه وكلوه»(٣).

٢- مالك عن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن، عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن أنه سمعها تقول: ابتاع رجل ثمر حائط، في زمان رسول الله ﷺ فعالجه، وقام فيه حتى تبين له النقصان، فسأل رب الحائط أن يضع له، أو أن يقيله، فحلف أن لا يفعل، فذهبت أم المشتري إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: «تألى أن لا يفعل خيرا، فسمع بذلك رب الحائط، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هو له»(٤).

القصة من نفس الطريق بلفظ آخر أخرجها البخاري موصولة، فقال: حدثنا

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ٨٢٨رقم (١١٦٩).

(٢) موطأ مالك (٢/ ٤٨٨رقم١).

(٣) صحيح البخاري (٣/ ٥٤رقم٢٠٥٧).

(٤) موطأ مالك (٢/ ٦٢١رقم١٥).

إسماعيل بن أبي أويس، قال: حدثني أخي، عن سليمان، عن يحيى بن سعيد، عن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن، أن أمه عمرة بنت عبد الرحمن، قالت: سمعت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تقول: سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر، ويسترفقه في شيء، وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج عليهما رسول الله ﷺ، فقال: «أين المتألي على الله، لا يفعل المعروف؟»، فقال: أنا يا رسول الله، وله أي ذلك أحب»(١).

٣-مالك عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة أنه كان يقول: «من كان عنده مال لم يؤد زكاته، مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع، له زبيبتان. يطلبه حتى يمكنه يقول: أنا كنزك»(٢).

أخرجه البخاري من طرق مختلفة منها: عن شيخ مالك، قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالا، فلم يؤد زكاته، مثّل له ماله يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الآية(٣)»(٤).

حدثني عبد الله بن منير، سمع أبا النضر، حدثنا عبد الرحمن هو ابن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٨٧رقم٢٧٠٥).

(٢) موطأ مالك (١/ ٢٥٦رقم٢٢) قال ابن عبد البر: هذا حديث موقوف في الموطأ.

(٣) سورة آل عمران: ١٨٠.

(٤) صحيح البخاري (٢/ ١٠٦رقم١٤٠٣) وأخرجه أيضا من طريق عبد الله بن دينار بسند آخر صحيح البخاري (٦/ ٣٩رقم٤٥٦٥).

«من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل له ماله شجاعا أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - يقول: أنا مالك أنا كنزك» ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ إلى آخر الآية[١]».

٤- مالك، عن هشام بن عروة عن أبيه، أن مخنثا كان عند أم سلمة زوج النبي ﷺ. فقال لعبد الله بن أبي أمية ورسول الله ﷺ يسمع: يا عبد الله إن فتح الله عليكم الطائف غدا فأنا أدلك على ابنة غيلان فإنها تقبل بأربع. وتدبر بثمان. فقال رسول الله ﷺ: «لا يدخلن هؤلاء عليكم»[٢].

أخرجه البخاري في ثلاثة مواطن، منها: قال البخاري: حدثنا الحميدي، سمع سفيان، حدثنا هشام، عن أبيه، عن زينب بنت أبي سلمة، عن أمها أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، دخل علي النبي ﷺ، وعندي مخنث، فسمعته يقول لعبد الله بن أبي أمية: يا عبد الله، أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غدا، فعليك بابنة غيلان، فإنها تقبل بأربع، وتدبر بثمان، وقال النبي ﷺ: «لا يدخلن هؤلاء عليكن»[٣].

وأخرجه مسلم قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو كريب، قالا: حدثنا وكيع، (ح) وحدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا جرير، (ح) وحدثنا أبو كريب، حدثنا أبو معاوية، كلهم عن هشام، (ح) وحدثنا أبو كريب، أيضا - واللفظ هذا -، حدثنا ابن نمير، حدثنا هشام، عن أبيه، عن زينب بنت أم سلمة، عن أم سلمة، أن مخنثا كان عندها ورسول الله ﷺ في البيت، فقال لأخي أم سلمة: يا عبد الله بن أبي أمية إن فتح الله عليكم الطائف غدا، فإني أدلك على بنت غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان،

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٠.

(٢) موطأ مالك (٢/ ٧٦٧رقم٥).

(٣) صحيح البخاري (٥/ ١٥٦رقم٤٣٢٤) و(٧/ ٣٧رقم٥٢٣٥) و(٧/ ١٥٩رقم٥٨٨٧)

قال فسمعه رسول الله ﷺ فقال: «لا يدخل هؤلاء عليكم»[١].

٥- مالك عن ابن شهاب، أنه أخبره أن رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله ﷺ. وشهد على نفسه أربع مرات فأمر به رسول الله ﷺ «فرجم» قال ابن شهاب: فمن أجل ذلك يؤخذ الرجل باعترافه على نفسه[٢].

قال ابن عبد البر: «من مراسيل ابن شهاب، مالك عن ابن شهاب أنه أخبره أن رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله ﷺ... هكذا هو في «الموطأ» عند جميع رواته فيما علمت، وقد روى هذا الحديث عن ابن شهاب مسندا عقيل وغيره»[٣].

رواه الشيخان، قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة، وسعيد بن المسيب، عن أبي هريرة ﷺ، قال: أتى رجل رسول الله ﷺ وهو في المسجد، فناداه فقال: يا رسول الله، إني زنيت، فأعرض عنه حتى ردد عليه أربع مرات، فلما شهد على نفسه أربع شهادات، دعاه النبي ﷺ فقال: «أبك جنون» قال: لا، قال: «فهل أحصنت» قال: نعم، فقال النبي ﷺ: «اذهبوا به فارجموه».

قال ابن شهاب: فأخبرني من سمع جابر بن عبد الله، قال: «فكنت فيمن رجمه، فرجمناه بالمصلى، فلما أذلقته الحجارة هرب، فأدركناه بالحرة فرجمناه»[٤].

وقال مسلم: حدثني عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد، حدثني أبي، عن جدي، قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٧١٥) (٢١٨٠)

(٢) موطأ مالك (٢/ ٨٢١)٤

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٢/ ١٠٣)

(٤) صحيح البخاري (٦/ ٢٤٩٩رقم٦٤٣٠).

عوف، وسعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أنه قال: أتى رجل من المسلمين رسول الله ﷺ وهو في المسجد، فناداه، فقال: يا رسول الله، إني زنيت، فأعرض عنه، فتنحى تلقاء وجهه، فقال له: يا رسول الله، إني زنيت، فأعرض عنه، حتى ثنى ذلك عليه أربع مرات، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه رسول الله ﷺ، فقال: «أبك جنون؟» قال: لا، قال: «فهل أحصنت؟» قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «اذهبوا به فارجموه»، قال ابن شهاب: فأخبرني من سمع جابر بن عبد الله، يقول: فكنت فيمن رجمه، فرجمناه بالمصلى، فلما أذلقته الحجارة هرب، فأدركناه بالحرة، فرجمناه»(١).

٦- عن مالك عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، أن رسول الله ﷺ «نهى أن ينبذ البسر والرطب جميعا والتمر والزبيب جميعا»(٢).

قال ابن عبد البر: «مرسل مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ نهى أن ينبذ البسر والرطب جميعا والتمر والزبيب جميعا، هكذا رواه مالك بإسناده هذا مرسلا لا خلاف عنه في ذلك فيما علمت، وقد رواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ مثله ذكره البزار»(٣).

قلت: وهو في الصحيحين، ففي البخاري في أكثر من موطن، منها: من حديث ابن جريج عن عطاء، قال البخاري: حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، أخبرني عطاء: أنه سمع جابرا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: «نهى النبي ﷺ عن الزبيب والتمر والبسر

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٣١٨رقم ١٦٩١)

(٢) موطأ مالك (٢/ ٨٤٤)٧

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٥/ ١٥٤)

والرطب»[١].

وأخرجه مسلم فقال: حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا جرير بن حازم، سمعت عطاء بن أبي رباح، حدثنا جابر بن عبد الله الأنصاري، «أن النبي ﷺ نهى أن يخلط الزبيب والتمر، والبسر والتمر»[٢].

الفرع الخامس: إخراج معنى ما أخرجه وهو:

القسم الثالث: إخراج معنى الحديث المرسل أو لفظه من طريق آخر.

١-: مالك، عن يحيى بن سعيد، وعن غير واحد، عن الحسن بن أبي الحسن البصري، وعن محمد بن سيرين، أن رجلا في زمان رسول الله ﷺ أعتق عبيدا له ستة عند موته فأسهم رسول الله ﷺ بينهم فأعتق ثلث تلك العبيد قال مالك: وبلغني أنه لم يكن لذلك الرجل مال غيرهم[٣].

أخرجه مسلم من حديث عمران بن حصين، «أن رجلا أعتق ستة مملوكين له عند موته، لم يكن له مال غيرهم، فدعا بهم رسول الله ﷺ، فجزأهم أثلاثا، ثم أقرع بينهم، فأعتق اثنين، وأرق أربعة، وقال له قولا شديدا»[٤].

٢- مالك، عن حميد بن قيس وثور بن زيد الديلي أنهما أخبراه عن رسول الله ﷺ وأحدهما يزيد في الحديث على صاحبه - أن رسول الله ﷺ رأى رجلا قائما في الشمس فقال: «ما بال هذا؟» فقالوا: نذر أن لا يتكلم، ولا يستظل من الشمس، ولا يجلس، ويصوم. فقال رسول الله ﷺ: «مروه فليتكلم، وليستظل، وليجلس وليتم صيامه» قال مالك: «ولم أسمع أن رسول الله ﷺ أمره بكفارة. وقد

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ١٠٨رقم٥٦٠١)

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٥٧٤رقم (١٩٨٦)

(٣) موطأ مالك (٢/ ٧٧٤رقم٣).

(٤) صحيح مسلم (٣/ ١٢٨٨رقم (١٦٦٨).

أمره رسول الله ﷺ أن يتم ما كان لله طاعة، ويترك ما كان لله معصية»[١].

أخرجه البخاري من حديث ابن عباس، قال: بينا النبي ﷺ يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم. فقال النبي ﷺ: «مره فليتكلم وليستظل وليقعد، وليتم صومه» قال عبد الوهاب، حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن النبي ﷺ[٢].

٣- مالك عن زيد بن أسلم، أن رسول الله ﷺ قال: «من غير دينه فاضربوا عنقه» ومعنى قول النبي ﷺ فيما نرى - والله أعلم - من غير دينه فاضربوا عنقه[٣].

أخرجه البخاري أن عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حرق قوما، فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي ﷺ قال: «لا تعذبوا بعذاب الله»، ولقتلتهم كما قال النبي ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[٤].

٤-: مالك عن ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، أن رجلا أتى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني كلمات أعيش بهن، ولا تكثر علي فأنسى، فقال رسول الله ﷺ: «لا تغضب»[٥].

أخرجه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «لا تغضب» فردد مرارا، قال: «لا تغضب»[٦].

٥- مالك عن إسماعيل بن أبي حكيم أن عطاء بن يسار أخبره أن رسول الله ﷺ، «كبر في صلاة من الصلوات، ثم أشار إليهم بيده أن امكثوا، فذهب، ثم رجع

(١) موطأ مالك (٢/ ٤٧٥رقم٦).
(٢) صحيح البخاري (٨/ ١٤٣رقم٦٧٠٤).
(٣) موطأ مالك (٢/ ٧٣٦رقم١٥).
(٤) صحيح البخاري (٤/ ٦١رقم٣٠١٧).
(٥) موطأ مالك (٢/ ٩٠٥رقم١١).
(٦) صحيح البخاري (٨/ ٢٨رقم٦١١٦).

وعلى جلده أثر الماء»[١].

قال ابن عبد البر: «مرسل»[٢].

أخرجه البخاري عن أبي هريرة، قال: أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياما، فخرج إلينا رسول الله ﷺ، فلما قام في مصلاه، ذكر أنه جنب، فقال لنا: «مكانكم» ثم رجع فاغتسل، ثم خرج إلينا ورأسه يقطر، فكبر فصلينا معه»[٣].

وأخرجه مسلم عن أبي هريرة، قال: أقيمت الصلاة، فقمنا، فعدلنا الصفوف، قبل أن يخرج إلينا رسول الله ﷺ، «فأتى رسول الله ﷺ حتى إذا قام في مصلاه قبل أن يكبر، ذكر فانصرف، وقال لنا: مكانكم، فلم نزل قياما ننتظره حتى خرج إلينا، وقد اغتسل ينطف رأسه ماء، فكبر فصلى بنا»[٤].

٦- مالك، عن جعفر بن محمد، عن أبيه أن رسول الله ﷺ «خطب خطبتين يوم الجمعة، وجلس بينهما»[٥].

قال ابن عبد البر: «مرسل، فذكره ثم قال: هكذا رواه جماعة رواة «الموطأ» مرسلا وهو يتصل من وجوه ثابتة من غير حديث مالك»[٦].

قلت: أخرجه البخاري من حديث نافع، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كان النبي ﷺ يخطب قائما، ثم يقعد، ثم يقوم كما تفعلون الآن»[٧].

و عن نافع، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كان النبي ﷺ يخطب

---

(١) موطأ مالك (١/ ٤٨رقم٧٩).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١/ ١٧٣).

(٣) صحيح البخاري (١/ ٦٣رقم٢٧٥).

(٤) صحيح مسلم (١/ ٤٢٢رقم (٦٠٥).

(٥) موطأ مالك (١/ ١١٢رقم٢١).

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢/ ١٦٥).

(٧) صحيح البخاري (٢/ ١٠رقم٩٢٠)

خطبتين يقعد بينهما»[١].

وأخرجه مسلم بلفظ قريب منه عن نافع، عن ابن عمر، قال: «كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة قائما، ثم يجلس، ثم يقوم». قال: كما يفعلون اليوم»[٢].

٧- مالك، عن يحيى بن سعيد أن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: إن كان رسول الله ﷺ «ليخفف ركعتي الفجر حتى إني لأقول: أقرأ بأم القرآن أم لا»[٣].

قال ابن عبد البر: «هكذا هذا الحديث عند جماعة الرواة للموطأ، وقد رواه ابن عيينة وغيره عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عبد الرحمن عن عمرة عن عائشة -إلى أن قال-: وهو حديث ثابت صحيح»[٤].

قلت أخرجه البخاري[٥] ومسلم[٦] من طريق محمد بن عبد الرحمن، عن عمرة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: « كان النبي ﷺ يخفف الركعتين اللتين قبل صلاة الصبح حتى إني لأقول: هل قرأ بأم الكتاب؟».

قال مسلم: وحدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الوهاب، قال: سمعت يحيى بن سعيد، قال: أخبرني محمد بن عبد الرحمن، أنه سمع عمرة تحدث عن عائشة، أنها كانت تقول: «كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتي الفجر فيخفف، حتى إني أقول: هل قرأ فيهما بأم القرآن؟».

٨-مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «اجعلوا من

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ١١رقم٩٢٨).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٥٨٩رقم ٨٦١).

(٣) موطأ مالك (١/ ١٢٧رقم٣٠).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٤/ ٣٩- ٤٠).

(٥) صحيح البخاري (٢/ ٥٧رقم١١٧١).

(٦) صحيح مسلم (١/ ٥٠١) (٧٢٤).

صلاتكم في بيوتكم»[١].

قال ابن عبد البر: «وهذا مرسل في «الموطأ» عند جميعهم وقد رواه عبيد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ...وأما ما جاء في «الموطأ» من حديث هشام بن عروة موقوفا وهو مرفوع مسند في غير «الموطأ» عند جماعة من العلماء فمن ذلك حديث مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن رجل من المهاجرين لم ير به بأسا أنه قال: سألت عبد الله بن عمرو بن العاصي أأصلي في أعطان الإبل؟ قال: لا. ولكن صل في مراح الغنم. ومثل هذا من الفرق بين الغنم والإبل لا يدرك بالرأي، والعطن موضع بروك الإبل بين الشربتين لأنها في سقيها ترد الماء مرتين طائفة بعد أخرى».

إلى أن قال: وقد روي عن النبي ﷺ هذا المعنى من حديث أبي هريرة والبراء وجابر بن سمرة وعبد الله بن مغفل وكلها بأسانيد حسان وأكثرها تواترا وأحسنها حديث البراء وحديث عبد الله بن مغفل رواه نحو خمسة عشر رجلا عن الحسن وسماع الحسن من عبد الله بن مغفل صحيح»[٢].

قلتُ: من حديث ابن عمر أخرجه البخاري[٣] ومسلم[٤] مرفوعا قال: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورا».

٩-مالك عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب أنه قال: «ما صلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر، يوم الخندق حتى غابت الشمس» قال مالك: «وحديث القاسم بن محمد عن صالح بن خوات أحب ما سمعت إلي في صلاة

---

(١) موطأ مالك (١/ ١٦٨رقم٧٣).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٢/ ٣٣٢-٣٣٣).

(٣) صحيح البخاري (١/ ٩٤رقم٤٣٢).

(٤) صحيح مسلم (١/ ٥٣٨) (٧٧٧).

الخوف»[١].

قال ابن عبد البر: «وهذا يستند من حديث ابن مسعود وحديث أبي سعيد الخدري وحديث جابر وبعضها أتم معنى من بعض»[٢].

قلتُ: معنى الحديث من طريق أخرى عند البخاري[٣] ومسلم[٤]، قال البخاري عن جابر بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب، جاء يوم الخندق، بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش، قال: يا رسول الله ما كدت أصلي العصر، حتى كادت الشمس تغرب، قال النبي ﷺ: «والله ما صليتها» فقمنا إلى بطحان، فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها، فصلى العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب».

١٠-مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ كان: «يصلي في مسجد ذي الحليفة ركعتين. فإذا استوت به راحلته أهل»[٥].

قال ابن عبد البر: «لم يختلف الرواة عن مالك في إرسال هذا الحديث بهذا الإسناد، وقد روي معناه مسندا من حديث ابن عمر وأنس من وجوه ثابتة»[٦].

قلت: أخرجه البخاري من عدة طرق عن جابر وابن عمر وأكثرها عن ابن عمر، فمنها أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «رأيت رسول الله ﷺ يركب راحلته بذي الحليفة، ثم يهل حتى تستوي به قائمة»[٧].

---

(١) موطأ مالك (١/ ١٨٤رقم٤).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٣/ ١٣٢).

(٣) صحيح البخاري (١/ ١٢٢رقم٥٩٦).

(٤) صحيح مسلم (١/ ٤٣٨رقم (٦٣١).

(٥) موطأ مالك (١/ ٣٣٢رقم٢٩).

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٢/ ٢٨٧).

(٧) صحيح البخاري (٢/ ١٣٢رقم١٥١٤ ورقم١٥١٥) ومسلم من هذه الطريق (٢/ ٨٤٥) =

١١-حدثني يحيى عن مالك، عن يحيى بن سعيد، عن سليمان بن يسار، أن رسول الله ﷺ «احتجم وهو محرم، فوق رأسه، وهو يومئذ بلحيي جمل». مكان بطريق مكة[١].

قال ابن عبد البر: «هذا مرسل في «الموطأ» عند جماعة الرواة وقد رُوي مسندا من وجوه صحاح من حديث ابن عباس وجابر وعبد الله بن بُحينة وأنس»[٢].

أخرجه البخاري[٣] ومسلم[٤] من طريق ابن عباس ومن طريق ابن بُحينة:

أما لفظ ابن عباس، فقال «احتجم رسول الله ﷺ وهو محرم»

وأما لفظ ابن بُحينة، عند البخاري[٥] ومسلم[٦] قال: «احتجم النبي ﷺ، وهو محرم بلحي جمل في وسط رأسه».

١٢- مالك، عن هشام بن عروة عن أبيه، أن عمر بن الخطاب قال وهو يطوف بالبيت للركن الأسود: «إنما أنت حجر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ: قبلك، ما قبلتك. ثم قبله»[٧].

قال ابن عبد البر: «وهو أول المراسيل مالك عن هشام بن عروة عن...هذا الحديث مرسل في «الموطأ» هكذا لم يختلف فيه وهو يستند من وجوه صحاح

=

(١١٨٧)، والبخاري (٢/ ١٣٩رقم١٥٥٢) ومن هذه الطريق أخرجه مسلم (٢/ ٨٤٥ رقم١١٨٧) ورقم١٥٥٣ ورقم١٥٥٤).

(١) موطأ مالك (١/ ٣٤٩رقم٧٤).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٣/ ١٦٢).

(٣) صحيح البخاري (٣/ ١٥رقم١٨٣٥).

(٤) صحيح مسلم (٢/ ٨٦٢رقم١٢٠٢).

(٥) صحيح البخاري (٣/ ١٥رقم١٨٣٦).

(٦) صحيح مسلم (٢/ ٨٦٢رقم١٢٠٣)

(٧) موطأ مالك (١/ ٣٦٧رقم١١٥).

ثابتة...»[١].

قلتُ: أخرجه البخاري[٢] ومسلم[٣] عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: رأيت عمر بن الخطاب ﷺ قبل الحجر، وقال: «لولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك».

١٣- مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ «صلى الصلاة الرباعية بمنى ركعتين» وأن أبا بكر صلاها بمنى ركعتين وأن عمر بن الخطاب صلاها بمنى ركعتين وأن عثمان صلاها بمنى ركعتين شطر إمارته ثم أتمها بعد[٤].

حدثنا مسدد، قال: حدثنا يحيى، عن عبيد الله، قال: أخبرني نافع، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «صليت مع النبي ﷺ بمنى ركعتين، وأبي بكر، وعمر ومع عثمان صدرا من إمارته ثم أتمها»[٥].

١٤-مالك عن يحيى بن سعيد أن رسول الله ﷺ «رغب في الجهاد، وذكر الجنة»، ورجل من الأنصار يأكل تمرات في يده، فقال: إني لحريص على الدنيا إن جلست حتى أفرغ منهن، فرمى ما في يده، فحمل بسيفه، فقاتل حتى قتل[٦].

قال ابن عبد البر: «هذا الحديث محفوظ مسند صحيح من حديث جابر»[٧].

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٢/ ٢٥٥-٢٥٦).

(٢) صحيح البخاري (٢/ ١٥١رقم١٦١٠) ومن طريق أخرى(٢/ ١٤٩رقم١٥٩٧) ومسلم (٢/ ٩٢٥) (١٢٧٠).

(٣) صحيح مسلم (٢/ ٩٢٥) (١٢٧٠).

(٤) موطأ مالك (١/ ٤٠٢رقم٢٠١).

(٥) صحيح البخاري (٢/ ٤٢رقم١٠٨٢) و(٢/ ١٦١رقم١٦٥٥) ومسلم (١/ ٤٨٢رقم٦٩٤) والبخاري من طريق ابن مسعود (٢/ ٤٣رقم١٠٨٤).

(٦) موطأ مالك (٢/ ٤٦٦رقم٤٢).

(٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٤/ ٩٨).

مرسل وصل معناه الشيخان.

أخرجه البخاري[١] ومسلم[٢] عن سفيان عن عمرو، سمع جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: «في الجنة فألقى تمرات في يده، ثم قاتل حتى قتل».

١٥- مالك عن يعقوب بن زيد بن طلحة، عن أبيه زيد بن طلحة، عن عبد الله بن أبي مليكة، أنه أخبره أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته أنها زنت وهي حامل. فقال لها رسول الله ﷺ: «اذهبي حتى تضعي» فلما وضعت جاءته. فقال لها رسول الله ﷺ: «اذهبي حتى ترضعيه» فلما أرضعته جاءته. فقال: «اذهبي فاستودعيه» قال: فاستودعته ثم جاءت فأمر بها فرجمت[٣].

قلتُ: أخرجه مسلم ضمن حديث ماعز والغامدية، من حديث عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أن ماعز بن مالك الأسلمي، أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني قد ظلمت نفسي، وزنيت، وإني أريد أن تطهرني، فرده، فلما كان من الغد أتاه، فقال: يا رسول الله، إني قد زنيت، فرده الثانية، فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه، فقال: «أتعلمون بعقله بأسا، تنكرون منه شيئا؟» فقالوا: ما نعلمه إلا وفي العقل من صالحينا فيما نرى، فأتاه الثالثة، فأرسل إليهم أيضا فسأل عنه، فأخبروه أنه لا بأس به، ولا بعقله، فلما كان الرابعة حفر له حفرة، ثم أمر به فرجم، قال، فجاءت الغامدية، فقالت: يا رسول الله، إني قد زنيت فطهرني، وإنه ردها، فلما كان الغد، قالت: يا رسول الله، لم تردني؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزا، فوالله إني لحبلى، قال: «إما لا فاذهبي حتى تلدي»، فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ٩٥رقم٤٠٤٦).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٥٠٩) (١٨٩٩).

(٣) موطأ مالك (٢/ ٨٢١رقم٥).

ولدته، قال: «اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه»، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فيقبل خالد بن الوليد بحجر، فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها، فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها، فقال: «مهلا يا خالد، فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له»، ثم أمر بها فصلى عليها، ودفنت[١].

١٦-مالك عن ابن شهاب، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب» قال -مالك: قال ابن شهاب: ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب حتى أتاه الثلج واليقين، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»، فأجلى يهود خيبر[٢].

قال ابن عبد البر: «من مراسيل ابن شهاب... الحديث يتصل من وجوه كثيرة وقد ذكرناها في باب إسماعيل بن أبي حكيم من هذا الكتاب فأغنى عن إعادتها وذكرناها في هذا الباب»[٣].

اقتصر مالك على لفظ الرسول ﷺ فقط، بينما أخرج البخاري[٤] ومسلم[٥] القصة كاملة.

من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس؟ ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس،

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٣٢٣) (١٦٩٥).

(٢) موطأ مالك (٢/ ٨٩٢رقم١٨).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٢/ ١٣).

(٤) صحيح البخاري (٤/ ٦٩رقم٣٠٥٣).

(٥) صحيح مسلم (٣/ ١٢٥٧) (١٦٣٧).

فقال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا»، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله ﷺ، قال: «دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»، وأوصى عند موته بثلاث: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم»، ونسيت الثالثة، هذا لفظ البخاري.

١٧- مالك، عن نافع، عن سائبة مولاة لعائشة «أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل الجنان التي في البيوت، إلا ذا الطفيتين، والأبتر فإنهما يخطفان البصر، ويطرحان ما في بطون النساء»(١).

قال ابن عبد البر: «هكذا روى هذا الحديث يحيى عن مالك عن نافع عن سائبة مرسلا لم يذكر عائشة وليس هذا الحديث عند القعنبي ولا عند ابن بكير ولا عند ابن وهب ولا عند ابن القاسم لا مرسلا ولا غير مرسل وهو معروف من حديث مالك مرسلا ومن حديث نافع أيضا وأكثر أصحاب نافع وحفاظهم يروونه عن نافع عن سائبة عن عائشة مسندا متصلا»(٢).

عن جويرية، عن نافع، عن عبد الله أن أبا لبابة أخبره: «أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل الجنان التي في البيوت» أخرجه مسلم(٣).

وعن هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: «أمر رسول الله ﷺ بقتل ذي الطفيتين، فإنه يلتمس البصر ويصيب الحبل» أخرجه مسلم أيضا(٤).

١٨- مالك عن يحيى بن سعيد، عن أبي الحباب سعيد بن يسار، أن رسول الله ﷺ قال: «من تصدق بصدقة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيبا، كان

---

(١) موطأ مالك (٢/ ٩٧٦رقم٣٢).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٦/ ١٣١).

(٣) صحيح مسلم (٤/ ١٧٥٤رقم٢٢٣٣).

(٤) صحيح مسلم (٤/ ١٧٥٢رقم٢٢٣٢).

إنما يضعها في كف الرحمن، يربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثل الجبل»[١].

قال ابن عبد البر: «هكذا روى يحيى هذا الحديث عن مالك في «الموطأ» مرسلا وتابعه أكثر الرواة عن مالك على ذلك، وممن تابعه ابن القاسم وابن وهب [و][٢] مطرف وأبو المصعب وجماعة، ورواه معن بن عيسى، ويحيى بن عبد الله بن بكير عن مالك عن يحيى عن أبي الحباب عن أبي هريرة مسندا»[٣].

قلتُ: أخرجه البخاري في عدة مواطن بألفاظ متقاربة، منها: عن عبد الرحمن هو ابن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه، كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل»[٤].

ومنها: «ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله»[٥].

ومنها: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه، كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل» ورواه ورقاء، عن عبد الله بن دينار، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، عن

---

(١) موطأ مالك (٢/ ٩٩٥).

(٢) المثبت من المصادر.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٣/ ١٧٢).

(٤) صحيح البخاري (٢/ ١٠٨رقم١٤١٠).

(٥) صحيح مسلم (٢/ ٧٠٢رقم١٠١٤).

النبي ﷺ: «ولا يصعد إلى الله إلا الطيب»(١).

ومنها: «لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب، إلا أخذها الله بيمينه، فيربيها كما يربي أحدكم فلوه، أو قلوصه، حتى تكون مثل الجبل، أو أعظم»(٢).

١٩-مالك عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، أن رسول الله ﷺ أرسل إلى عمر بن الخطاب بعطاء، فرده عمر، فقال له رسول الله ﷺ لم رددته؟ فقال: يا رسول الله أليس أخبرتنا أن خيرا لأحدنا أن لا يأخذ من أحد شيئا؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك عن المسألة، فأما ما كان من غير مسألة، فإنما هو رزق يرزقكه الله» فقال عمر بن الخطاب: «أما والذي نفسي بيده، لا أسأل أحدا شيئا، ولا يأتيني شيء من غير مسألة إلا أخذته»(٣).

قال ابن عبد البر: «مرسل... لا خلاف علمته بن رواة «الموطأ» عن مالك في إرسال هذا الحديث هكذا، وهو حديث يتصل من وجوه ثابتة عن النبي ﷺ من حديث زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر ومن غير ما وجه عن عمر»(٤).

قلت: أخرجه البخاري من حديث حويطب بن عبد العزى، أن عبد الله بن السعدي، أخبره أنه قدم على عمر في خلافته، فقال له عمر: ألم أحدث أنك تلي من أعمال الناس أعمالا، فإذا أعطيت العمالة كرهتها، فقلت: بلى، فقال عمر: فما تريد إلى ذلك، قلت: إن لي أفراسا وأعبدا وأنا بخير، وأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين، قال عمر: لا تفعل، فإني كنت أردت الذي أردت، فكان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء، فأقول: أعطه أفقر إليه مني، حتى أعطاني مرة مالا، فقلت: أعطه أفقر

---

(١) صحيح البخاري (٩/ ١٢٦رقم٧٤٣٠).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٧٠٢رقم١٠١٤).

(٣) موطأ مالك (٢/ ٩٩٨رقم٩).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٥/ ٨٢-٨٣).

إليه مني، فقال النبي ﷺ: «خذه، فتموله، وتصدق به، فما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وإلا فلا تتبعه نفسك»(١).

٢٠- مالك أنه بلغه، أن سعيد بن المسيب كان يقول: «يكره النوم قبل العشاء، والحديث بعدها»(٢).

وأخرج معنى هذا الحديث البخاري أما القطعة الأولى من الحديث وهو كراهة الحديث بعد العشاء، فقد أخرجه البخاري منفصلا، عن أبي برزة، «أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها»(٣).

وبلفظ آخر عن سيار بن سلامة، قال: دخلت أنا وأبي على أبي برزة الأسلمي، فقال له أبي: كيف كان رسول الله ﷺ يصلي المكتوبة؟ فقال: «كان يصلي الهجير، التي تدعونها الأولى، حين تدحض الشمس، ويصلي العصر، ثم يرجع أحدنا إلى رحله في أقصى المدينة والشمس حية - ونسيت ما قال في المغرب وكان يستحب أن يؤخر العشاء، التي تدعونها العتمة، وكان يكره النوم قبلها، والحديث بعدها، وكان ينفتل من صلاة الغداة حين يعرف الرجل جليسه، ويقرأ بالستين إلى المائة»(٤).

ومما يدخل في هذا فعل الصحابي الذي ثبت معناه عن النبي ﷺ

١-مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه أنه كان «يأكل يوم عيد الفطر قبل أن يغدو»(٥).

---

(١) صحيح البخاري (٩/ ٦٧)٧١٦٣ ومسلم (٢/ ٧٢٣) (١٠٤٥) وبنحوه أيضاً أخرجه البخاري من طريق آخر برقم (٩/ ٦٧ رقم ٧١٦٤).

(٢) موطأ مالك (١/ ١١٩رقم٦).

(٣) صحيح البخاري (١/ ١١٨رقم٥٦٨).

(٤) صحيح البخاري (١/ ١١٤رقم٥٤٧) و(١/ ١٢٣رقم٥٩٩).

(٥) موطأ مالك (١/ ١٧٩رقم٦).

أخرجه البخاري، عن أنس بن مالك، قال: «كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات» وقال مرجأ بن رجاء، حدثني عبيد الله، قال: حدثني أنس، عن النبي ﷺ، «ويأكلهن وترا»(١).

٢- مالك أنه بلغه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، أنه قال: كان رجلان أخوان. فهلك أحدهما قبل صاحبه بأربعين ليلة. فذكرت فضيلة الأول عند رسول الله ﷺ. فقال: «ألم يكن الآخر مسلما؟» قالوا: بلى. يا رسول الله، وكان لا بأس به. فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريكم ما بلغت به صلاته؟» إنما مثل الصلاة كمثل نهر غمر عذب بباب أحدكم. يقتحم فيه كل يوم خمس مرات. فما ترون ذلك يبقي من درنه؟ فإنكم لا تدرون ما بلغت به صلاته؟»(٢).

ورد معنى الشطر الأخير عن أبي هريرة مرفوعا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا، ما تقول ذلك يبقي من درنه؟» قالوا: لا يبقي من درنه شيئا، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله به الخطايا»(٣).

و عن جابر وهو ابن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار، غمر على باب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات». قال: قال الحسن: «وما يبقي ذلك من الدرن؟»(٤).

٣-مالك عن زيد بن أسلم، عن عمرو بن سعد بن معاذ، عن جدته، أن رسول الله ﷺ قال: «يا نساء المؤمنات، لا تحقرن إحداكن لجارتها، ولو كراع شاة

---

(١) صحيح البخاري (٢/ ١٧رقم٩٥٣).

(٢) موطأ مالك (١/ ١٧٤رقم٩١).

(٣) صحيح البخاري (١/ ١١٢رقم٥٢٨) ومسلم (١/ ٤٦٢رقم٦٦٧).

(٤) صحيح مسلم (١/ ٤٦٣رقم٦٦٨).

محرقا»[١].

أخرجه البخاري[٢] ومسلم عن المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها، ولو فرسن شاة».

ويلاحظ بعد هذا السرد والعرض أن ما قاله أهل العلم من حرص الشيخين على إخراج ما أخرجه مالك بأي صورة منه صحيح وأن الصحيحين وغيرهما مستخرجات -أي بالمعنى لا بالاصطلاح- صحيح.

الفرع الثاني: وصل مقاطيعه.

١- مالك، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أن عائشة، زوج النبي ﷺ، كانت مضطجعة مع رسول الله ﷺ في ثوب واحد. وأنها قد وثبت وثبة شديدة، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما لك؟ لعلك نفست»، يعني الحيضة. فقالت: نعم، قال: «شدي على نفسك إزارك ثم عودي إلى مضجعك»[٣].

قال ابن عبد البر: «مرسل منقطع»[٤].

ومعناه موصول من طريق أخرى، ولكن عن أم سلمة

قال البخاري: حدثنا المكي بن إبراهيم، قال: حدثنا هشام، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، أن زينب بنت أم سلمة، حدثته أن أم سلمة حدثتها قالت: بينا أنا مع النبي ﷺ، مضطجعة في خميصة، إذ حضت، فانسللت، فأخذت ثياب حيضتي، قال: «أنفست» قلت: نعم، فدعاني، فاضطجعت معه في الخميلة[٥].

---

(١) موطأ مالك (٢/ ٩٣١رقم٢٥).

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١٥٣رقم٢٥٦٦) مسلم (٢/ ٧١٤) (١٠٣٠).

(٣) موطأ مالك (١/ ٥٨رقم٩٤).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣/ ١٦١).

(٥) صحيح البخاري (١/ ٦٧رقم٢٩٨).

وقال البخاري: حدثنا سعد بن حفص، قال: حدثنا شيبان، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن زينب بنت أبي سلمة، حدثته أن أم سلمة، قالت: حضت وأنا مع النبي ﷺ في الخميلة، فانسللت فخرجت منها، فأخذت ثياب حيضتي فلبستها، فقال لي رسول الله ﷺ: «أنفست» قلت: نعم، فدعاني، فأدخلني معه في الخميلة.

قالت: وحدثتني أن النبي ﷺ: «كان يقبلها وهو صائم»«وكنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد من الجنابة»(١).

وأخرجه مسلم قال: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن يحيى بن أبي كثير، حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن، أن زينب بنت أم سلمة حدثته أن أم سلمة، حدثتها قالت: بينما أنا مضطجعة مع رسول الله ﷺ في الخميلة، إذ حضت، فانسللت، فأخذت ثياب حيضتي فقال لي رسول الله ﷺ: «أنفست؟» قلت: نعم، فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة. قالت: «وكانت هي ورسول الله ﷺ يغتسلان في الإناء الواحد، من الجنابة»(٢).

٢- مالك، عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أن عبد الله بن أنيس الجهني قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله. إني رجل شاسع الدار فمرني ليلة أنزل لها. فقال له رسول الله ﷺ: «**انزل ليلة ثلاث وعشرين من رمضان**»(٣).

قال ابن عبد البر: «هذا حديث منقطع ولم يلق أبو النضر عبد الله بن أنيس ولا رآه ولكنه يتصل من وجوه شتى صحاح ثابتة(٤).

قلت: وصله مسلم في صحيحه، قال: وحدثنا سعيد بن عمرو بن سهل بن

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٧١رقم٣٢٢).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٢٤٣رقم (٢٩٦).

(٣) موطأ مالك (١/ ٣٢٠رقم١٢).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢١/ ٢١٠).

إسحاق بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، وعلي بن خشرم، قالا: حدثنا أبو ضمرة، حدثني الضحاك بن عثمان - وقال ابن خشرم: عن الضحاك بن عثمان - عن أبي النضر، مولى عمر بن عبيد الله، عن بسر بن سعيد[١]، عن عبد الله بن أنيس، أن رسول الله ﷺ، قال: «أريت ليلة القدر، ثم أنسيتها، وأراني صبحها أسجد في ماء وطين» قال: فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين، فصلى بنا رسول الله ﷺ، فانصرف وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه قال: **وكان عبد الله بن أنيس يقول: ثلاث وعشرين**[٢].

٣- مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال: قدم على أبي بكر الصديق مال من البحرين، فقال: «من كان له عند رسول الله ﷺ وأي أو عدة فليأتني». فجاءه جابر بن عبد الله فحفن له ثلاث حفنات[٣].

قال ابن عبد البر: «منقطع يتصل من وجوه صحاح»[٤].

قلت: ومتن الحديث أحرجه البخاري في صحيحه، قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو، سمع محمد بن علي، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال: قال النبي ﷺ: «لو قد جاء مال البحرين قد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا»، فلم يجئ مال البحرين حتى قبض النبي ﷺ، فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر فنادى: من كان له عند النبي ﷺ عدة أو دين، فليأتنا، فأتيته فقلت: إن النبي ﷺ قال لي: كذا وكذا، فحثى لي حثية، فعددتها، فإذا هي خمس مائة، وقال:

---

(١) الواسطة.

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٨٢٧رقم١١٦٨).

(٣) موطأ مالك (٢/ ٤٧١رقم٥٠).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣/ ٢٠٦).

خذ مثليها»[١].

وأخرجه مسلم، قال: حدثنا عمرو الناقد، حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن المنكدر، أنه سمع جابر بن عبد الله، ح وحدثنا إسحاق، أخبرنا سفيان، عن ابن المنكدر، عن جابر، وعن عمرو، عن محمد بن علي، عن جابر، أحدهما يزيد على الآخر، ح وحدثنا ابن أبي عمر - واللفظ له - قال: قال سفيان: سمعت محمد بن المنكدر يقول: سمعت جابر بن عبد الله، قال سفيان: وسمعت أيضا عمرو بن دينار يحدث، عن محمد بن علي، قال: سمعت جابر بن عبد الله، - وزاد أحدهما على الآخر - قال: قال رسول الله ﷺ: «لو قد جاءنا مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا» وقال بيديه جميعا، فقبض النبي ﷺ قبل أن يجيء مال البحرين فقدم على أبي بكر بعده، فأمر مناديا فنادى: من كانت له على النبي ﷺ عدة أو دين فليأت، فقمت فقلت: إن النبي ﷺ قال: «لو قد جاءنا مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا» فحثى أبو بكر مرة، ثم قال لي: عدها، فعددتها فإذا هي خمسمائة، فقال: خذ مثليها»[٢].

الفرع الثالث: وصل موقوفاته.

١- مالك عن أيوب بن أبي تميمة، عن ابن سيرين، قال: قال عمر بن الخطاب: «إذا أوسع الله عليكم، فأوسعوا على أنفسكم جمع رجل عليه ثيابه»[٣].

أخرجه البخاري مرفوعا، فقال: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمد، عن أبي هريرة، قال: قام رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الصلاة في الثوب الواحد، فقال: «أوكلكم يجد ثوبين» ثم سأل رجل عمر،

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ٩٦رقم٢٢٩٦ -٢٢٩٧).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٨٠٦رقم (٢٣١٤).

(٣) موطأ مالك (٢/ ٩١١رقم٣).

فقال: «إذا وسع الله فأوسعوا»، جمع رجل عليه ثيابه، صلى رجل في إزار ورداء، في إزار، وقميص في إزار وقباء، في سراويل ورداء، في سراويل وقميص، في سراويل وقباء، في تبان وقباء، في تبان وقميص، قال: وأحسبه قال: في تبان ورداء[١].

٢-حدثني، يحيى، عن مالك، عن نافع، عن سالم، وعبيد الله ابني عبد الله بن عمر، أن أباهما عبد الله بن عمر كان «يقدم أهله وصبيانه من المزدلفة إلى منى. حتى يصلوا الصبح بمنى ويرموا قبل أن يأتي الناس»[٢].

رواه البخاري[٣] ومسلم[٤] عن يونس، عن ابن شهاب، قال سالم: وكان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقدم ضعفة أهله، فيقفون عند المشعر الحرام بالمزدلفة بليل، فيذكرون الله ما بدا لهم، ثم يرجعون قبل أن يقف الإمام وقبل أن يدفع، فمنهم من يقدم منى لصلاة الفجر، ومنهم من يقدم بعد ذلك، فإذا قدموا رموا الجمرة وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «أرخص في أولئك رسول الله ﷺ».

الفرع الرابع: وصل بلاغاته.

وكما كان للأحاديث الموصولة مكانة واهتمام من قبل البخاري ومسلم، وكان لمراسيل مالك كذلك كانت بلاغاته كذلك، «وقد ألف ابن عبد البر كتابا وصل في وصل ما في «الموطأ» من المراسيل قال السيوطي: «وجميع ما فيه من قوله: بلغني ومن قوله: عن الثقة عنده ممالم يسنده، أحد وستون -٦١-حديثا، كلها مسندة من غير طريق مالك، إلا أربعة لا تعرف»[٥].

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٨٢رقم٣٦٥).

(٢) موطأ مالك (١/ ٣٩١رقم١٧١).

(٣) (٢/ ١٦٥رقم١٦٧٦).

(٤) (٢/ ٩٤١رقم١٢٩٥).

(٥) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١/ ٢٤٢).

وقال الشيخ صالح الفلاني: «وما ذكره العراقي من أن من بلاغاته ما لا يعرف، مردود بأن ابن عبد البر ذكر أن جميع بلاغاته ومراسيله ومنقطعاته كلها موصولة بطرق صحاح، إلا أربعة أحاديث، وقد وصلها ابن الصلاح في تأليف مستقل[١]، وهو عندي وعليه خطه، فظهر بهذا أنه لا فرق بين «الموطأ» والبخاري، وصح أن مالكا أول من صنف في الصحيح، كما ذكره ابن عبد البر، وابن العربي القاضي، والسيوطي، ومغلطاي، وابن ليون، وغيرهم، فافهم»[٢].

وقال الشيخ صالح الفلاني في بعض «طرره على ألفيه السيوطي» في المصطلح بعد نقله لكلام ابن حجر الذي تقدم بعضه ملخصا ما نصه: «قلت: وفيما قاله الحافظ من الفرق بين بلاغات الموطأ ومعلقات البخاري نظر فلو **أمعن النظر في الموطأ كما أمعن النظر في البخاري** لعلم أنه لا فرق بينهما، وما ذكره من أن مالكا سمعها كذلك غير مسلم لأنه يذكر بلاغا في رواية يحيى مثلا أو مرسلا فيرويه غيره عن مالك موصولا مسندا»[٣].

وهذه أمثلة توضح ذلك وتؤكده:

١-مالك أنه بلغه أن أبا بكر الصديق قال: «لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه»[٤].

وصله البخاري فقال: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن عقيل، عن الزهري، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن أبي هريرة، قال: لما توفي

---

(١) ينظر في هذا: الحديث والمحدثون (ص: ٢٤٨).

(٢) ينظر: مقدمة الموطأ بقلم محمد فؤاد عبد الباقي ص -٥- نقلا عن (دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك.

(٣) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة (ص: ٥).

(٤) موطأ مالك (١/ ٢٦٩رقم٣٠).

رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه وحسابه على الله»، فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر: «فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق»، قال ابن بكير، وعبد الله عن الليث عناقا وهو أصح(١).

٢-مالك أنه بلغه، أن عائشة زوج النبي ﷺ، كانت إذا ذكرت أن رسول الله ﷺ «يقبل وهو صائم»، تقول: «وأيكم أملك لنفسه من رسول الله ﷺ»(٢).

وروى الزهري، وصالح بن أبي حسان، عن أبي سلمة، عن عائشة «كان النبي ﷺ يقبل وهو صائم».

فقال يحيى بن أبي كثير في هذا الخبر في القبلة: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، أن عمر بن عبد العزيز، أخبره أن عروة، أخبره أن عائشة أخبرته «أن النبي ﷺ كان يقبلها وهو صائم»(٣).

قلت: وصله مسلم فقال: حدثنا يحيى بن يحيى، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو كريب - قال يحيى: أخبرنا، وقال الآخران: - حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، وعلقمة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ح وحدثنا شجاع بن مخلد، حدثنا يحيى بن أبي زائدة، حدثنا الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان رسول الله ﷺ «يقبل وهو صائم، ويباشر وهو صائم، ولكنه

---

(١) صحيح البخاري (٩/ ٩٣) رقم٧٢٨٤) صحيح مسلم (١/ ٥١رقم٣٢).

(٢) موطأ مالك (١/ ٢٩٣رقم١٨).

(٣) صحيح مسلم (١/ ٣٢).

أملككم لإربه»[١].

حدثني علي بن حجر، وزهير بن حرب، قالا: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أن رسول الله ﷺ كان يقبل وهو صائم وكان أملككم لإربه»[٢].

وقال أيضا: حدثني علي بن حجر، وزهير بن حرب، قالا: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أن رسول الله ﷺ كان يقبل وهو صائم وكان أملككم لإربه»[٣].

٣- مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا ومقلب القلوب»[٤].

وهذا وصله البخاري فقال: حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن، أخبرنا عبد الله، أخبرنا موسى بن عقبة، عن سالم، عن عبد الله، قال: كثيرا مما كان النبي ﷺ يحلف: «لا ومقلب القلوب»[٥].

وقال أيضا: حدثنا محمد بن يوسف، عن سفيان، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر، قال: كانت يمين النبي ﷺ: «لا ومقلب القلوب»[٦].

وقال أيضا: حدثني سعيد بن سليمان، عن ابن المبارك، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن عبد الله، قال: أكثر ما كان النبي ﷺ يحلف: «لا ومقلب القلوب»[٧].

٤-مالك، أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي إلا قد رعى غنما»، قيل:

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ٧٧٧رقم (١١٠٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) موطأ مالك (٢/ ٤٨٠رقم١٥).

(٥) صحيح البخاري (٨/ ١٢٦رقم٦٦١٧).

(٦) صحيح البخاري (٨/ ١٢٨رقم٦٦٢٨).

(٧) صحيح البخاري (٩/ ١١٨رقم٧٣٩١).

وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا»[١].

وهذا البلاغ وصله البخاري، فقال: حدثنا أحمد بن محمد المكي، حدثنا عمرو بن يحيى، عن جده، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم»، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»[٢].

٥-مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان إذا وضع رجله في الغرز، وهو يريد السفر يقول: «باسم الله، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم ازو لنا الأرض، وهون علينا السفر، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، ومن كآبة المنقلب، ومن سوء المنظر في المال والأهل»[٣].

وهذا البلاغ أحد البلاغات الأربعة التي لم توجد موصولة، ولكن بعض ما اشتمل عليه البلاغ وجد محفوظا، فقد أخرج مسلم بعضه، فقال: حدثني هارون بن عبد الله، حدثنا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أن عليا الأزدي، أخبره أن ابن عمر علمهم؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر، كبر ثلاثا، ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، **اللهم أنت الصاحب** في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل»، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا

---

(١) موطأ مالك (٢/ ٩٧١رقم١٨).

(٢) صحيح البخاري (٣/ ٨٨رقم٢٢٦٢).

(٣) موطأ مالك (٢/ ٩٧٧رقم٣٤).

حامدون»[١].

٦- مالك أنه «سمع غير واحد من علمائهم يقول: لم يكن في عيد الفطر ولا في الأضحى، نداء، ولا إقامة، منذ زمان رسول الله ﷺ إلى اليوم، قال مالك: وتلك السنة التي لا اختلاف فيها عندنا»[٢].

قال أبو عمر: «روي من وجوه شتى صحاح عن النبي ﷺ أنه لم يكن يؤذن له ولا يقام في العيدين من حديث جابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وعبد الله بن عباس وابن عمر وسعد وهي كلها ثابتة عن النبي ﷺ أنه صلى العيد بغير أذان ولا إقامة وهو أمر لا خلاف فيه بين علماء المسلمين وفقهاء الأمصار وجماعة أهل الفقه والحديث لأنها نافلة وسنة غير فريضة»[٣].

قلت: من حديث ابن عباس وجابر بن عبد الله أخرجه البخاري، قال: قال: وأخبرني عطاء، أن ابن عباس، أرسل إلى ابن الزبير في أول ما بُويع له «إنه لم يكن يؤذن بالصلاة يوم الفطر، إنما الخطبة بعد الصلاة»[٤].

وقال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى، قال: أخبرنا هشام، أن ابن جريج أخبرهم، قال: أخبرني عطاء، عن جابر بن عبد الله، قال: سمعته يقول: «إن النبي ﷺ خرج يوم الفطر، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة»[٥].

قال البخاري: وحدثنا يحيى بن يحيى، وحسن بن الربيع، وقتيبة بن سعيد، وأبو بكر بن أبي شيبة، قال يحيى: أخبرنا، وقال الآخرون: حدثنا أبو الأحوص، عن

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ٩٧٨رقم١٣٤٢).

(٢) موطأ مالك (١/ ١٧٧رقم١).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٠/ ٢٤٣).

(٤) صحيح البخاري (٢/ ١٨رقم٩٥٩).

(٥) صحيح البخاري (٢/ ١٨رقم٩٥٨).

سماك، عن جابر بن سمرة، قال: «صليت مع رسول الله ﷺ العيدين، غير مرة ولا مرتين، بغير أذان ولا إقامة»(١).

المبحث الثاني
أثره في الصناعة الفقهية على البخاري وأبي داود والترمذي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثره في الصناعة الفقهية على البخاري.

وحين التأمل في صحيح البخاري والمقارنة بينه وبين «موطأ» الإمام مالك نجد:

١- أن الإمام البخاري كان معتنيا عناية فائقة بحديث مالك، وله في هذا طريقان:

الطريق الأولى: الحرص على إخراج ما أخرجه من الحديث، سواء أكان موصولا عاليا كان أو نازلا، وسواء أكان موصولا أم مرسلا أو بلاغا، والخلاصة أنه حرص على إخراج ما أخرجه الإمام مالك من متون الحديث بأي طريقة كانت عند الإمام مالك.

الطريقة الثانية: روايته لحديثه ولو بنزول كما تقدم.

٢- استعمل نهج مالك في الجمع بين الأحاديث الصحيحة وبين آثار الصحابة والتابعين، فكان الإمام مالك يأتي بها عقب سوقه للأحاديث في الباب، بينما كان الإمام البخاري يأتي بها عقب ترجمة الباب.

٣- الإمام مالك جمع في كتابه «الموطأ» بين الحديث والفقه، والإمام

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ٦٠٤رقم ٨٨٧).

البخاري كذلك سلك هذا النهج، قال الحافظ ابن حجر: «قال جمع من الأئمة فقه البخاري في تراجمه»(١).

٤- أنه رد على غيره من علماء المسلمين، ولم يرد عليه.

وموطأ الإمام مالك مدرسة حديثية فقهية، فهو مع صحة أحاديثه وعلو سنده ذكر جملة من الأحاديث صحيحة، بل بعضها في أعلى درجات الصحة عنده وعند غيره من أئمة الإسلام الذين يرجع إليهم، قال عنها: ليس عليها العمل، ونحو هذه العبارة، وقد يقال: كيف يخرج الحديث في موطئه ومع صحة سنده يقول: ليس عليه العمل؟!أو نحو هذا من العبارة.

فالجواب والله أعلم: أنه أراد بهذا الصنيع أن ينبه أهل العلم إلى قاعدة مهمة في قبول الحديث وهي إنه ليس كل حديث صح سنده صح متنه، أي لا يلزم من صحة سند الحديث صحة متنه، وبناء عليه فلا يعمل به، وأراد مالك بهذا الصنيع تأصيل مسالة مهمة وهي: أن على طالب العلم أن لا يغتر بظاهر الإسناد ويقف عليه أو عنده، بل لا بد من التأمل والبحث في متن الحديث، ومما يدل على هذا: عبارته الشهيرة عن دقة ما أودعه في «الموطأ»، فعن عمر بن عبد الواحد صاحب الأوزاعي قال: «عرضنا على مالك «الموطأ» في أربعين يوما فقال: كتاب ألفته في أربعين سنة أخذتموه في أربعين يوما! قلما تفقهون فيه»(٢).

وواضح من عبارته أنه أراد أن يبين الجهد الكبير والعناية العظيمة التي بذلها لهذا الكتاب، فأربعون عاما يفنيها عالم مثله في كتاب واحد لهي دلالة كبرى على العلم الغزير الذي أودعه، وأنه يستحيل عادة أن يفقهه الناس في أربعين يوماً.

---

(١) فتح الباري - ابن حجر (١/ ٢٤٣)

(٢) التمهيد (١/ ٧٨).

وقد أشار ابن وهب لهذا فقال: «لولا أنَّ الله أنقذني بمالك والليث لضللت، فقيل له: كيف ذلك؟ قال: أكثرت من الحديث فحيَّرني؛ فكنتُ أعرض ذلك على مالك والليث فيقولان لي: خذ هذا، ودع هذا!»(١).

قال هارون بن سعيد الأيلي: «سمعت ابن وهب وذكر اختلاف الأحاديث والروايات فقال لولا أني لقيت مالكا لضللت»(٢).

ولا شك أنه يعني باختلاف الأحاديث والروايات الصحيحة لا الضعيفة؛ لأن الضعيف لا يعارض به الصحيح، بل يطرح ويرمى به.

فمقصود ابن وهب تعارض الأحاديث الصحيحة وطرق الترجيح بينها ومن ذلك: النظر فيما يعمل به مما لا يعمل به. والله أعلم.

ووافق الإمام مالكًا في هذا وتابعه واقتدى به كل من أبي داود والترمذي فصرحا بما صرح به مالك ولم يكنيا، فقالا: عن بعض ما أخرجاه: ليس عليه العمل في مواطن تعد على رؤوس الأصابع.

وأما البخاري فكنى ولم يصرح، والبخاري قد تأثر بمالك في هذا وإن لم يفصح به، على ما عرف من عادته كما قالوا: فقه البخاري في تراجمه(٣)، فقد أخرج

---

(١) ترتيب المدارك (١/ ١٥٣).

(٢) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص: ٢٨).

(٣) قال الحافظ ابن حجر: ولهذا اشتهر من قول جمع من الفضلاء فقه البخاري في تراجمه مقدمة الفتح (ص: ١١). فتح الباري (١/ ١٣).

قال جمع من الأئمة: فقه البخاري في تراجمه فتح الباري، ابن حجر (١/ ٢٤٣). وقريب من هذه ما قاله ناصر الدين أحمد بن محمد الإسكندري المعروف بابن المُنيِّر الكبير في كتابه (المتوارى ص: ٥) سمعت جدِّي يقول: «كتابان فقههما في تراجمهما: كتاب البخاري في الحديث، وكتاب سيبويه في النحو».

حديث« تزوج رسول الله ﷺ بميمونة وهو محرم»(١).

قال ابن عبد الهادي: «قد عُدَّ هذا من الغلطات التي وقعت في الصحيح، وميمونة أخبرت أن هذا ما وقع، والإنسان أعرف بحال نفسه، قالت: «تزوجني رسول الله ﷺ وأنا حلال، بعدما رجعنا من مكة».

رواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن حماد بنحوه: «تزوجني النبي ﷺ ونحن حلالان بسرف» اهـ(٢).

ولا يشك طالب علم صغير في مخالفة هذه الرواية للواقع وفي خطئها، ولا يجهل أيضا أدنى طالب علم بأن من محظورات الإحرام عقد النكاح، بل عوام المسلمين يعلمون هذا.

ويزاد على هذا: أن الإمام البخاري له الاطلاع الواسع على طرق الأحاديث وألفاظها، لا يشق له غبار في هذا، وقد حُفظ عنه أنه قال: البخاري قال: «أخرجت هذا «الصحيح» من زهاء ست مئة ألف حديث»(٣). فلا يُستبعد اطلاعه على الخبر الصحيح الثابت في هذا الباب.

وإذا علمنا هذا: فالظاهر والله أعلم أن الإمام البخاري سلك في كتابه مسلك الإمام مالك، وأراد أن يبين لطلاب العلم أنه ليس كل ما صح سنده صحة متنه.

وللبخاري طريقان في بيان ضعف الحديث أو الزيادة التي يخرجها في صحيحه، منها ما تقدم وهو: أن يخرج خلاف المشهور والمعلوم عند عامة أهل

---

(١) من حديث ابن عباس أخرجه البخاري (٢/ ٦٥٢رقم ١٧٤٠) ومسلم (٢/ ١٠٣١رقم ١٤١٠).

(٢) إرواء الغليل (٤/ ٢٢٧-٢٢٨)، نقل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عبد الهادي بأنه قال: قد عُد هذا من الغلطات التي وقعت في الصحيح. لم أجده في المصدر الذي أحال إليه بلفظ الذي ذكره. ينظر: تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي (٣/ ٤٧٤).

(٣) المتواري على أبواب البخاري (ص: ٨).

العلم، كما في حديث ميمونة المتقدم[١].

ومنها ما نبَّه عليه ابن تيمية، حيث قال: «ما وقع في بعض طرق البخاري: «أن النار لا تمتلئ حتى ينشئ الله لها خلقا آخر»[٢] مما وقع فيه الغلط وهذا كثير»[٣].

وبين في موطن آخر ذلك وفصَّله فقال: «وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «لا يزال يُلقى في النار وتقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه» وفي رواية «فيضع قدمه عليها فتقول: قط قط وينزوي بعضها إلى بعض أي تقول: حسبي حسبي، وأما الجنة فيبقى فيها فضل فينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة»[٤].

هكذا روي في الصحاح من غير وجه، ووقع في بعض طرق البخاري غلط قال

---

(١) كنتُ قد تتبعت ما قاله أهل العلم من توجيه ما وقع في البخاري، لكني رأيت حذفه لأمرين:
الأول: أن البحث ليس معقودا للنظر في هذا الحديث.
الأمر الثاني: أن غالبها تأويلات بعيدة. والله أعلم.

(٢) صحيح البخاري (٦/ ٢٧١١و ٧٠١١) قال: حدثنا عبيد الله بن سعد بن إبراهيم حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح بن كيسان عن الأعرج عن أبي هريرة : عن النبي ﷺ قال « اختصمت الجنة والنار إلى ربهما فقالت الجنة يا رب ما لها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم وقالت النار – يعني– أوثرت بالمتكبرين، فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي، وقال للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها، قال: فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدا، وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها فتقول: هل من مزيد ثلاثا حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ ويرد بعضها إلى بعض وتقول: قط قط قط».

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥٣).

(٤) أقرب ما وجدته ولكن من حديث أنس بلفظ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا آخر فيسكنهم في فضول الجنة» هذا اللفظ البخاري (٦/ ٢٦٨٩، رقم ٦٩٤٩)، ومسلم (٤/ ٢١٨٨، رقم ٢٨٤٨)،

فيه: «وأما النار فيبقى فيها فضل»، **والبخاري رواه في سائر المواضع على الصواب ليبين غلط هذا الراوي كما جرت عادته بمثل ذلك إذا وقع من بعض الرواة غلط في لفظ ذكر ألفاظ سائر الرواة التي يعلم بها الصواب، وما علمت وقع فيه غلط إلا وقد بين فيه الصواب** بخلاف مسلم فإنه وقع في صحيحه عدة أحاديث غلط أنكرها جماعة من الحفاظ على مسلم»[1].

فهذا النص من هذا الإمام صاحب الاستقراء التام يكشف لنا عن منهج الإمام البخاري ما غاب عنا.

ولظهور خطأ حديث ميمونة المتقدم سكت عنه البخاري ولم يخرج خلافه، وهذه الطريقة لبيان الخطأ تضاف لما ذكره ابن تيمية.

وقد نبه ابن تيمية على مسألة مهمة جدا يجدر ذكرها هنا لمناسبتها، فقال: «والناس في هذا الباب طرفان:

طرف من أهل الكلام ونحوهم، ممن هو بعيد عن معرفة الحديث وأهله لا

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٦١- ٦٢).

قال أبو الحسن القابسي: المعروف في هذا الموضع أن الله ينشئ للجنة خلقا وأما النار فيضع فيها قدمه قال ولا اعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقا الا هذا انتهى... وكذا أنكر الرواية شيخنا البلقيني فتح الباري - ابن حجر (١٣/ ٤٣٦-٤٣٧)

وقال ابن القيم: «وأما اللفظ الذي وقع في «صحيح البخاري» في حديث أبي هريرة: «وأنه ينشئ للنار من يشاء، فيلقى فيها، فتقول: هل من مزيد» فغلط من بعض الرواة، انقلب عليه لفظه، والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده، فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه، فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه الحجة، وكذب رسله، قال تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ [الملك:٨-٩]، ولا يظلم الله أحداً من خلقه». حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (١/ ٢٧٨).

يميز بين الصحيح والضعيف، فيشك في صحة أحاديث أو في القطع بها مع كونها معلومة مقطوعا بها عند أهل العلم به.

وطرف ممن يدعي اتباع الحديث والعمل به، كلما وجد لفظا في حديث قد رواه ثقة أو رأى حديثا بإسناد ظاهره الصحة يريد أن يجعل ذلك من جنس ما جزم أهل العلم بصحته، حتى إذا عارض الصحيح المعروف أخذ يتكلف له التأويلات الباردة، أو يجعله دليلا له في مسائل العلم مع أن أهل العلم بالحديث يعرفون أن مثل هذا غلط.

وكما أن على الحديث أدلة يُعلم بها أنه صدق وقد يقطع بذلك فعليه أدلة يعلم بها أنه كذب ويقطع بذلك»[1].

وهذا التنبيه- أعني أن صحة السند لا تستلزم صحة المتن- لم أجد أحدا نبه عليه أو تفطن له **أنه من مقاصد الإمام مالك**، وأنه كان من أبرز اهتماماته بالحديث، وإن حاول بعض أهل العلم الاستدراك على مالك في هذه الأحاديث فتعقبه بكون فلان من أهل المدينة وعمل بهذا الحديث، فإن عمل الواحد غير المشتهر كلا شيء، فليس هذا موضع النظر فيه.

وكما ينبغي أنه ينبه أنه لا يفهم من هذا: أنَّ كل ما قال عنه مالك ليس عليه العمل مسلم له كله، لكني أردت بيان مغزاه من قوله: ليس عليه العمل، وسبقه إلى ذلك وتأصيله لهذه المسألة المهمة في قبول الحديث والعمل بما تضمنه من أحكام.

المطلب الثاني: أثره في الصناعة الفقهية على أبي داود.

وأما أبو داود والترمذي فقد صرحا بذلك، فأخرج أبو داود جملة من الأحاديث وقال: ليس عليها العمل، منها:

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥٣-٣٥٤).

- حديث الطلاق قال ابن عباس: «بقيت لك واحدة قضى به رسول الله ﷺ».

قال أبو داود: «سمعت أحمد بن حنبل قال: قال عبد الرزاق: قال ابن المبارك لمعمر: «من أبو الحسن هذا؟ لقد تحمل صخرة عظيمة!»».

قال أبو داود: «أبو الحسن هذا روى عنه الزهري قال الزهري: وكان من الفقهاء، روى الزهري عن أبي الحسن أحاديث. قال أبو داود: أبو الحسن معروف، وليس العمل على هذا الحديث»[(١)].

- وحديث وجوب الغسل من غسل الميت، قال أبو داود: «هذا منسوخ وسمعت أحمد بن حنبل وسئل عن الغسل من غسل الميت فقال: يجزيه الوضوء، قال أبو داود: أدخل أبو صالح بينه وبين أبي هريرة في هذا الحديث يعني إسحاق مولى زائدة قال: وحديث مصعب ضعيف فيه خصال ليس العمل عليه»[(٢)].

- وحديث نهى عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير زاد حيوة: وكل ذي ناب من السباع.

قال أبو داود: «وهو قول مالك. قال أبو داود: لا بأس بلحوم الخيل وليس العمل عليه. قال أبو داود: هذا منسوخ قد أكل لحوم الخيل جماعة من أصحاب النبي ﷺ منهم: ابن الزبير وفضالة بن عبيد وأنس بن مالك وأسماء بنت أبي بكر وسويد بن غفلة وعلقمة وكانت قريش في عهد رسول الله ﷺ تذبحها»[(٣)].

---

(١) السنن – أبو داود (١/ ٦٦٤رقم٢١٨٨).

(٢) السنن – أبو داود (٢/ ٢١٨رقم ٣١٦٢) وقد قال الخطابي: «لا أعلم أحداً من العلماء قال بوجوب ذلك». ولكن القائل باستجابة يحمله على الندب، وذلك عمل به. معالم السنن للخطابي (١/ ٣٠٧).

(٣) السنن – أبو داود (٢/ ٣٧٩رقم٣٧٩).

المطلب الثالث: أثره في الصناعة الفقهية على الترمذي.

وقد عُرف عن الإمام مالك الإكثار من قوله: وعليه العمل، ومن قوله: ليس عليه العمل.

وقد تأثر به الترمذي في هاتين العبارتين.

أما العبارة الأولى: وعليه العمل، فقد سمَّى الترمذي جامعه بهذا فقال: «الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل»، وهو ما حققه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في كتابه «تحقيق اسم الصحيحين وجامع الترمذي»[(١)]، وذكر أنه وجده على مخطوطتين قديمتين. وسبقه إليه ابن خير الأشبيلي[(٢)]

وأما عبارة: عليه العمل، وما في معناها مثل: قال به أهل العلم، أو بعض أهل العلم، فقد قال بعد ذكره لحديث الرسول ﷺ: «فيما سقت السماء والعيون العشر وفيما سقي بالنضح نصف العشر» قال أبو عيسى: «وقد روي هذا الحديث عن بكير بن عبد الله بن الأشج وعن سليمان بن يسار وبسر بن سعيد عن النبي ﷺ مرسلا، وكأن هذا أصح وقد صح حديث ابن عمر عن النبي ﷺ في هذا الباب وعليه العمل عند عامة الفقهاء»[(٣)].

فقد أكثر منها الترمذي في جامعه كما يلاحظ هذا المطلع على جامعه.

وأما العبارة الثانية: ليس عليه العمل، فقد قال الترمذي: «جميع ما في هذا

---

(١) (ص: ٧٨-٨٤).

(٢) في «فهرسته» (ص: ١١٧) كما ذكر ذلك الشيخ.

(٣) (٣/ ٣١رقم ٦٣٩)، ويُنظر: (١/ ٣٠رقم١٩)، (١/ ٢٧٣رقم١٤٦) (١/ ٣٤٥ رقم ١٨٤)، (٢/ ٩٠ رقم ٢٩٦)، (١/ ٣٦٦ رقم ١٩١)، (١/ ٣٧٥ رقم ١٩٧)، (٢/ ٦١ رقم ٢٧٢)، (٢/ ٩٨ رقم ٣٠١)، (٢/ ١٨١ رقم ٣٤٩)، (٢/ ١٨٤ رقم ٣٥٣)، (٢/ ٢٥٩ رقم ٤٠٧).

الكتاب من الحديث فهو معمول به، وقد أخذ به بعض أهل العلم ما خلا حديثين:

حديث ابن عباس: « أن النبي ﷺ جمع بين الظهر والعصر بالمدينة والمغرب والعشاء من غير خوف ولا سفر ولا مطر»، وحديث النبي ﷺ إنه قال: « إذا شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد في الرابعة فاقتلوه» وقد بينا علة الحديثين جميعا في الكتاب»[1].

فقد اعترف الترمذي بعدم عمل أحد من أهل العلم بهذا عنده، إذن فلماذا يخرجه؟ فليس من جواب والله أعلم إلا ما تقدم التنبيه عليه.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) العلل الصغير – الترمذي (ص: ٧٣٦)، قال الحافظ ابن رجب: وقد روى الترمذي في كتاب الحج حديث جابر في التلبية عن النساء، ثم ذكر الإجماع أنه لا يلبى عن النساء، فهذا ينبغي أن يكون حديثًا ثالثًا مما لا يؤخذ به عند الترمذي.وينظر: شرح العلل لابن رجب (١/ ١١٢).

الخاتمة

بعد أن منَّ المولى سبحانه وتعالى بإنجاز هذا البحث ظهر للباحث ما يلي:

- مكانة الإمام مالك الكبيرة عند أهل العلم.
- أن هذه المكانة ما جاءت إلا بعد جهد كبير وتفرغ للعلم وأهله، وهكذا ينبغي على طالب العلم أن يحذو حذوه.
- صحة ما قاله أهل العلم من أثر مالك في المحدثين وعلى صحيحي البخاري ومسلم وسنن الترمذي وأبي دواد.
- أنه على طالب العلم إذا رأى جماعة من أهل العلم وبخاصة إذا اختلفت أعصارهم وتعددت مذاهبهم قالوا قولا، ورأى فيه غرابة أن لا يسارع برد هذا القول بحجة أنه غريب، بل لا بد من البحث العلمي؛ لأن العلماء الأصل فيهم أن يقولوا ما ظهر لهم من العلم والحق، ولا يداهنوا أحداً كائنا من كان، وهذا من حسن الظن المطلوب بهم.
- أن قول الإمام مالك: «كتاب ألفته في أربعين سنة أخذتموه في أربعين يوما! قلما تفقهون فيه»، وقوله لما قرأ أبو خُليد «الموطأ» في أربعة أيام قال له الإمام مالك: «علم جمعه شيخ في ستين سنة أخذتموه في أربعة أيام! لا فقهتم أبدا». يدلّ على عمق علمه وإدامة النظر في كتابه، حيث إن هذا البحث المتواضع قد ألمح إلى جانب من جوانب الجهد والفقه الذي بذله الإمام مالك في موطئه.
- أن موطأ الإمام مالك مدرسة تحتاج إلى دراسات أخرى معمقة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- **الإبانة الكبرى** لابن بطة، المؤلف: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، حققه: رضا بن نعسان معطي - الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، جـ ٣، ٤: حققه: د. عثمان عبد الله آدم الأثيوبي - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ جـ ٥: حققه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل - الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ، جـ ٦: حققه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، جـ ٧: حققه: الوليد بن محمد نبيه بن سيف النصر - الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ، جـ ٨، ٩: حققه: د حمد بن عبد المحسن التويجري - الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- **أبجد العلوم**، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م.
- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
- **أحكام القرآن**، المؤلف: أبو بكر بن العربي المعافري (ت٥٤٣هـ)، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

- **أدب الإملاء والاستملاء**، المؤلف: أبو سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني، شرح ومراجعة: سعيد محمد اللحام، مكتبه الهلال، ط١/ ١٤٠٩ هـ.
- **إرشاد السالك إلى مناقب مالك**، المؤلف: يوسف بن عبد الهادي الصالحي، ت ٩٠٨هـ، تحقيق: الأستاذ الدكتور: رضوان مختار بن غربية، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ.
- **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**، المؤلف: الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني أبو يعلى/ تحقيق د. محمد سعيد عمر إدريس/ مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٠٩هـ.
- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
- **الاستذكار**، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: لأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠
- **إسعاف المبطأ برجال الموطأ**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر،
- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- **الإمام مالك بن أنس إما دار الهجرة**، المؤلف: عبد الغني الدقر، الناشر: دار القلم- دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.

- **الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، المؤلف: الإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الوفاة: ربيع الآخر / ٤٦٣هـ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
- **الأنساب**، المؤلف: أبو سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني الوفاة: ٥٦٢هـ، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الله عمر البارودي.
- **الأنوار الكاشفة لما في كتاب «أضواء على السنة» من الزلل والتضليل والمجازفة**، المؤلف: عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني (المتوفى: ١٣٨٦هـ)، الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها / عالم الكتب – بيروت، سنة النشر: ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- **أوجز المسالك في موطأ مالك**، المؤلف: محمد زكريا الكاندهلوي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- **الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) / دار الفكر.
- **البداية والنهاية**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)/ تحقيق علي شيري/ دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، المؤلف: سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن الوفاة: ٨٠٤، دار النشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض- السعودية - ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال.

• **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار النشر: دار العربي، مكان النشر: لبنان/ ، بيروت، سنة النشر: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.

• **التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة** - السفر الثالث، المؤلف: أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: صلاح بن فتحي هلال، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

• **تاريخ بغداد**، المؤلف: أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/ ١٤٢٢هـ.

• **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف.

• **تذكرة الحفاظ**، المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي/ دراسة وتحقيق زكريا عميرات/دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

• **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، المؤلف: أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي الوفاة: ٥٤٤هـ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد سالم هاشم.

• **تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك**، المؤلف: السيوطي، تحقيق: أبي يعلى البيضاوي.

- التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، المؤلف: سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي الوفاة: ٤٧٤، دار النشر: دار اللواء للنشر والتوزيع - الرياض - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. أبو لبابة حسين.
- **تقريب التهذيب**، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الوفاة: ٨٥٢، دار النشر: دار الرشيد - سوريا - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة.
- **التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث**، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري الوفاة: ٤٦٣، دار النشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - ١٣٨٧، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري.
- **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي الوفاة: ٩١١ هـ، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٨٩ - ١٩٦٩.
- **تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين** المؤلف: مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي تحقيق: عبد الله الكندري دار النشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى.
- **تهذيب الأسماء واللغات**، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين بن شرف

النووي (ت٦٧٦هـ)/ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

- **تهذيب التهذيب**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حيدر آباد، نشر: دار صادر – بيروت، ١٣٢٥هـ.
- **تهذيب الكمال**، المؤلف: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي [٦٥٤ – ٧٤٢]، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠
- **تهذيب مستمر الأوهام على ذوي المعرفة وأولي الأفهام**، المؤلف: سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (المتوفى: ٤٧٥هـ)، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.
- **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، المؤلف: طاهر الجزائري الدمشقي الوفاة: ١٣٣٨هـ، دار النشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب – ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.
- **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى.
- **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**، المؤلف: أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي أبو سعيد العلائي الوفاة: ٧٦١، دار النشر: عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.
- **الجامع الصحيح المختصر**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري/ تحقيق د. مصطفى ديب البغا/ دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة

الثالثة، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.

- **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، المؤلف: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي/ تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **جامع بيان العلم وفضله**، المؤلف: يوسف بن عبد البر النمري، سنة الولادة ٣٦٨/ سنة الوفاة ٤٦٣هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٣٩٨، مكان النشر: بيروت.
- **الجرح والتعديل**، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازي، دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن –الهند، ط١/ ١٢٧١ هـ.
- **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة.
- **الحديث والمحدثون**، المؤلف: محمد محمد أبو زهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الناشر: دار الفكر العربي الطبعة: القاهرة في ٢ من جمادى الثانية ١٣٧٨هـ.
- **الحطة فى ذكر الصحاح الستة**، المؤلف: أبو الطيب السيد صديق حسن القنوجي، دار النشر: دار الكتب التعليمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)/ دار العربي – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
- **الحيوان**، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ
- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، المؤلف: إبراهيم بن

علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي الوفاة: ٧٩٩، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

- **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- **ذم الكلام وأهله**، تأليف: شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، سنة الولادة ٣٩٦هـ/ سنة الوفاة ٤٨١هـ، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، سنة النشر: ١٤١٨هـ -١٩٩٨م، مكان النشر: المدينة المنورة
- **ذيل تاريخ بغداد**، المؤلف: محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود ابن الحسن بن هبة الله بن محاسن المعروف بابن النجار البغدادي (ت٦٤٣هـ)/ دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
- **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المُصنَّفة**، المؤلف: محمَّد بن جعفر الكتاني (ت١٣٤٥هـ)، الناشر: دار البشائر الإسلامية- بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- **السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة روايين عن شيخ واحد**، المؤلف: الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي تحقيق د٠ محمد بن مطر الزهراني دار النشر دار الصميعي ط **السلسلة الصحيحة** المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى: مكتبة المعارف ١٤٢٥هـ.
- **السلسلة الضعيفة**، المؤلف: محمَّد ناصر الدِّين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف -الرياض الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.

- **السنن = المجتبى من السنن**، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، نشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢/ ١٤٠٦هـ.
- **سنن ابن ماجه**، المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني/ دار الفكر – بيروت.
- **سنن أبي داود**، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت٢٧٥هـ)/ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد/ دار الفكر.
- **سنن الدارمي**، المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- **السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي**، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني المحقق: الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الطبعة: الأولى ـ ١٣٤٤ هـ
- **السنن الكبرى**، المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي/ تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري– سيد كسروي حسن/ دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ– ١٩٩١م.
- **سير أعلام النبلاء**، المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله الوفاة: ٧٤٨، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣، الطبعة: التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمَّد العَكري الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود

الأرناؤوط، الناشر: دار بن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ.

- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، المؤلف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني الوفاة: ١١٢٢، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١، الطبعة: الأولى.
- **شرح السنة ـ للإمام البغوي**، المؤلف: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش دار النشر: المكتب الإسلامي - دمشق ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، الطبعة: الثانية.
- **شرح علل الترمذي لابن رجب**، المؤلف: الإمام العالم الحافظ النّقّاد زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي المعروف (بابن رجب الحنبلي)، تحقيق: د. نور الدين عتر، مع مقدمة تحقيق د. همام عبد الرحيم سعيد.
- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة -بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣م.
- **صحيح مسلم**، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **صفة الصفوة**، المؤلف: جمال الين أبو الفرج بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ضبطها وكتب هوامشها: إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، الناشر: دار الكتب العلمية (بيروت -لبنان)، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ.
- **الضعفاء الكبير**، المؤلف: أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العليمة، بيروت، ط١/ ١٤٠٤هـ.
- **طبقات الحنابلة**، المؤلف: أبو الحُسين محمَّد بن محمَّد، ابن أبي يعلى

(ت٥٢٦هـ)، تحقيق: محمَّد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

- **طبقات الشافعية الكبرى**، المؤلف: الإمام تاج الدِّين بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: د. محمود محمَّد الطناحي، د- عبد الفتاح محمَّد الحلو، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ.
- **العلل الصغير**، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدار قطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله، السلفي، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، المؤلف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني الوفاة: ٨٥٥هـ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، المؤلف: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، شهرته: العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار النشر: المكتبة السلفية البلد: المدينة المنورة الطبعة: الثانية، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الوفاة: ٨٥٢، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- **فهرسة ابن خير الإشبيلي**، المؤلف: أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي (المتوفى: ٥٧٥هـ)، المحقق: محمد فؤاد منصور، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى،

١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

- **القبس في شرح موطأ مالك بن أنس**، المؤلف: أبو بكر بن العربي المعافري (ت٥٤٣هـ)، تحقيق: د- محمَّد عبد الله ولد كريم، الناشر: دار الغرب الإسلامي (بيروت -لبنان) الطبعة الأولى: ١٩٩٢م.
- **الكامل في ضعفاء الرجال**، المؤلف: أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ)/ تحقيق د. سهيل زكار/ دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- **كشف المغطا في فضل الموطا**، المؤلف: الحافظ أبو القاسم علي بن هبة الله الدمشقي ـ سنة الوفاة ٥٧١هـ، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر العمروي، الناشر: دار الفكر، سنة النشر ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م مكان النشر: بيروت.
- **المتواري علي تراجم أبواب البخاري**، المؤلف: أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي، أبو العباس ناصر الدين ابن المنير الجذامي الجروي الإسكندراني (المتوفى: ٦٨٣هـ)، المحقق: صلاح الدين مقبول أحمد، الناشر: مكتبة المعلا – الكويت.
- **مجموع الفتاوى**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.
- **المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي**، المؤلف: عبد الله بن الصديق الغماري، الناشر: دار القطبي، مكتبة الأصولي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- **المدخل إلى السنن الكبرى**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر الوفاة: ٤٥٨، دار النشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت - ١٤٠٤، تحقيق: د. محمد ضياء االرحمن الأعظمي.
- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن

علي بن سليمان اليافعي الوفاة: ٧٦٨هـ، دار النشر: دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، المؤلف: علي بن سلطان محمد القاري الوفاة: ١٠١٤هـ، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: جمال عيتاني.
- **المستدرك على الصحيحين**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري/ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
- **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد** المؤلف: الحافظ ابن النجار البغدادي، المؤلف: الحافظ أبي الحسين أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسامي المعروف بابن الدمياطي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ.، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المؤلف: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، نشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة.
- **مسند الموطأ**، المؤلف: : الإمام الحافظ أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الجوهري، المتوفى في ٣٨١ هـ.
- **معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، المؤلف: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي الوفاة: ٦٢٦، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، الطبعة: الأولى.
- **مقدمة ابن خلدون**، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الوفاة: ٨٠٨، دار النشر: دار القلم - بيروت - ١٩٨٤، الطبعة: الخامسة
- **منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد**، المؤلف: أبو

زكريا يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن محمد أبو بكر بن أبي طاهر الأزدي السلماسي (المتوفى: ٥٥٠هـ)، المحقق: محمود بن عبد الرحمن قدح، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

- **مناقب الإمام مالك بن أنس**، المؤلف: : عيسى بن مسعود الزوازي ت ٧٤٣هـ، تحقيق: د الطاهر محمد الدرديري، الناشر: مكتبة طيبة للنشر والتوزيع المدينة النبوية، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ
- **مناقب الشافعي**، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحُسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، الناشر: مكتبة دار التراث –القاهرة.
- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، المؤلف: ابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم/ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم / مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية/ ١٤٠٩هـ.
- **موطأ الإمام مالك واعتماد البخاري ومسلم على نسخ مكتوبة منه في الصحيحين**، المؤلف: الدكتور محمد سعيد البخاري، الناشر المكتبة المكية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ
- **موطأ الإمام مالك**، المؤلف: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي (ت١٧٩هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – مصر.
- **النكت على كتاب ابن الصلاح**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- **النكت على مقدمة ابن الصلاح**، المؤلف: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن

جمال الدين عبد الله بن بهادر الزركشي الوفاة: ٧٩٤ هـ، دار النشر: أضواء السلف – الرياض – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج.

- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، المؤلف: أحمد بابا التنبكتي (ت١٠٣٦هـ)، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، الناشر: كلية الدعوة الإسلامية- طرابلس، الطبعة الأولى: ١٣٩٨ هـ

- **هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

Abstract

Imam Malik (May Allah have mercy on him) was very popular in his era and of great reputation even after his epoch. Many Muslim scholars belonging to several schools among the four followed schools of thought and others have praised him and commended his great advancement and achievement in knowledge.

They also commended him for his great book "Al-Muwatta", which a group of scholars considered to have occupied the highest level of authenticity, giving it precedence over other books authored in that period. They even preferred it to Sahih Al-Bukhari and Sahih Muslim.

As part of their exposition of the position of Al-Muwatta, they stated that it had a great impact on the books of Hadith. To buttress this point, one of them said, "Authors of the six most authentic books of Hadith and Al-Hakim in Al-Mustadrak have geared every effort to link and render successively uninterrupted those traditions of Imam Malik with sporadic chains of narration. They also ascribed directly to the Holy Prophet those traditions whose chains were limited to the generation of the Sahabah (companions of the Prophet). Hence these books came as complements and commentaries on Al-Muwatta, as it involves no tradition whose chain has been limited to a noble companion of the Prophet or to some persons belonging to the generation succeeding that of the companions but must have a trace in the Noble Qur'an and Sunnah".

Statements such as this have been made by several scholars.

This research tries to investigate this statement to explain if Imam Al-Bukhari and Muslim in their Sahih and Abu Dawud and At-Tirmidhi in their Sunan have actually been impacted by this book called Al-Muwatta. This is the reason why I have titled the research as "The impact of Imam Malik and his Al-Muwatta on Sahih Al-Bukhari, Sahih Muslim and the Sunan of Abu Dawud and At-Tirmidhi".

I categorized it into a brief introduction of the life of Imam Malik; his name, lineage, quest for knowledge, his most prominent teachers, students, status and the position of his book "Al-Muwatta", all in brief as well as two chapters as follows:

Chapter One: General impact of "Al-Muwatta" on authors of the six most authentic books of Hadith.

Chapter Two: Special impact of "Al-Muwatta" on the art of jurisprudence and science of the chains of transmission.

The researcher could realize that Al-Muwatta of Imam Malik is a great sea of knowledge where he deposited various sciences and benefits. According to him, all scholars that succeeded him have benefited from it.

The researcher further unveiled the great impact of Imam Malik and his book "Al-Muwatta" on the aforementioned learned scholars. However, time was not in his favour to make exhaustive account of all those scholars nor to follow up other scholars who are said to have been impacted by Imam Malik because such studies are based on brevity. Yet, as the Arabian adage may have it "the area surrounding the neck is sufficient for

you in a necklace", meaning that one should be sufficed by a little which is the core of a whole.

May the blessings and peace of Allah be upon our Prophet Muhammad, his family and noble companions and all those that trail their track until the Day of Judgment.

النساء المسلمات في المجتمعات الغربية... التغيرات المعاصرة في السمات الدعوية

د. شيماء خير الدين بلوط

أستاذ الدراسات الدعوية والقيادة المساعد

كليات الغد الدولية

shaymabulut@yahoo.com

تاريخ التحكيم: ٩/ ٤/ ١٤٣٥ تاريخ الإجازة: ١٣/ ٦/ ١٤٣٥

المستخلص:

يتناول هذا البحث النساء المسلمات في المجتمعات الغربية كفئة دعوية تحمل خصائص وسمات مميزة، وتتمثل مشكلة البحث في دراسة التغيرات الحاصلة في السمات الدعوية للمسلمات في المجتمعات الغربية، والتعرف على الأسباب التي تدفع النساء في المجتمعات الغربية لاعتناق الإسلام في الوقت الحاضر، ويهدف البحث إلى تحقيق عدد من الأهداف منها: التعرف على الخصائص والسمات الدعوية الشخصية والاجتماعية للنساء المسلمات في المجتمعات الغربية، ودراسة التغير الذي طرأ على هذه الخصائص مقارنة بالأجيال السابقة من المسلمات في تلك المجتمعات، والتركيز على أهمية استيعاب هذه التغيرات من قبل الدعاة وتوظيفها في تطوير المناهج والأساليب الدعوية الموجهة لتلك الشريحة من المدعوات. وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، منها أن النساء المسلمات في المجتمعات الغربية، والنساء الغربيات

الباحثات عن الإسلام تمثل شريحة دعوية مستقلة تستدعي الاهتمام بها وتخصيص البرامج المناسبة لها، كما يجب على الجهود الدعوية ملاحظة الخصائص الثقافية والاجتماعية لهذه الشريحة وسماتها الدعوية، ورغبتها في الاندماج في المجتمع الغربي مع الاحتفاظ بالهوية الإسلامية في الوقت ذاته. حيث أن هناك عددا من الاهتمامات المعاصرة للمرأة في المجتمعات الغربية التي يمكن للدعاة طرحها من وجهة النظر الإسلامية، إضافة إلى التأكيد على الاستمرار في إيصال الصورة الصحيحة عن الدين الإسلامي للنساء في المجتمعات الغربية، ولا سيما في مجال تعاليم الإسلام حول الأسرة وبر الوالدين وصلة الأرحام والتكافل الاجتماعي، وهو موضوع يسترعي انتباه النساء في المجتمعات الغربية بصفة عامة، في ظل ما يشهده المجتمع الغربي من انقطاع أواصر القرابة وتضاؤل أحجام الأسر وتفككها. ومن الضروري جدا في هذا المجال أن يختلف المنهج الدعوي المستخدم لمخاطبة المرأة المسلمة في الغرب التي كانت في الماضي ربة منزل على قدر متواضع من التعليم تعيش في غربة عن الدار والأهل، عن المنهج الدعوي المستخدم لمخاطبة المرأة المسلمة في الغرب اليوم، تلك المرأة المتعلمة التي تعيش في وطنها وتتمتع بكافة الحقوق وعليها كافة الواجبات المترتبة على الحياة في هذا الوطن، فتوجيه المزيد من الاهتمام والتخطيط السليم للجهود الدعوية التي تستهدف النساء المسلمات في المجتمعات الغربية من شأنه أن يحدث تغييرا كبيرا في مسار الدعوة الإسلامية من جهة، وفي حياة هؤلاء النساء من جهة، فيقوى ارتباطهم بالدين الحنيف الذي اختاروا، ويكونوا بدورهم داعيات للحق في مجتمعاتهم وأوطانهم.

الكلمات المفتاحية:

الدعوة، الجهود الدعوية، المسلمات، الإسلام في الغرب.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تشكل الجاليات المسلمة في المجتمعات الغربية ظاهرة إسلامية جديرة بالاهتمام، تناولتها جهود الدعاة والباحثين المسلمين سعيا للوصول إلى هذه الجاليات ودعمها بالدعوة الإسلامية وتعزيز فرص بقائها واستمرارها في تلك المجتمعات غير الإسلامية، إلا أن هذه الجاليات شهدت تغييرات جذرية في السنوات الأخيرة الماضية مما يفرض على الدعاة المسلمين المعنيين بشؤونها استيعاب تلك التغييرات وتوظيفها في خدمة الدعوة الإسلامية الموجهة لهذه الشريحة من المسلمين.

وكان من بين التغيرات التي طالت هذه الجاليات ظهور النساء المسلمات في المجتمعات الغربية كفئة تحمل خصائص وسمات مميزة، مما يؤهلها لأن تكوّن شريحة دعوية مستقلة لها من السمات الدعوية الفريدة ما يستحق أن تتوجه له جهود الدعوة الإسلامية بكل التركيز والاهتمام.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في دراسة التغيرات الحاصلة في السمات والخصائص الدعوية للمرأة المسلمة التي تعيش في المجتمعات الغربية في الوقت الحاضر، ومدى اختلاف هذه الخصائص عن الأجيال السابقة من المسلمات في المجتمعات الغربية.

أهمية الموضوع:

إن دراسة الخصائص الاجتماعية والثقافية للنساء المسلمات في البيئات الغربية من الموضوعات المهمة التي ينبغي التركيز عليها في الدراسات الدعوية المتخصصة، حيث أن تزايد أعداد النساء المسلمات في المجتمعات الغربية يفرض على الباحثين والمتخصصين التعامل معهن كشريحة دعوية مستقلة، ومما يؤكد

أهمية هذا الموضوع صدور عدد كبير من الأبحاث والدراسات والمقالات في العالمين الإسلامي والغربي في السنوات الأخيرة تركز على موضوع النساء المسلمات في الغرب، والتحديات التي تواجههن، والأدوار المنوطة بهن[١] ما يدل على وجود ظاهرة قائمة جديرة بالاهتمام، وهذه الظاهرة تكتسب مع مرور الأيام زيادة كمية ونوعية، من حيث زيادة أعداد النساء المسلمات في المجتمعات الغربية من جهة، وتحسن مكانتهن الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من جهة أخرى، وبالتالي زيادة التأثير السياسي والثقافي والاجتماعي الذي يمكن لهن إحداثه.

والدعوة الإسلامية اليوم أولى من غيرها من الحركات والتيارات الدينية والسياسية بالاهتمام بالنساء المسلمات في المجتمعات الغربية، وتوجيه ما حققته هذه الشريحة من مكاسب لخدمة الدين الإسلامي ورفعة شأن الأمة الإسلامية، ولا يخفى أن «معرفة أحوال المدعوين هو أصل عظيم من أصول الدعوة إلى الله على بصيرة، وقد كان للنبي ﷺ عناية بالتعرف على أحوال المدعوين بأشخاصهم وأقوامهم وبيئاتهم المختلفة»[٢]، كما أن تغيير خطط الدعوة ومراجعتها من حين لآخر بحسب التغييرات المحيطة بها أمر تفرضه الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) انظر على سبيل المثال:

Sookhedo, Rosemary. Why Christian women convert to Islam, Isaac publishing, U.S, 2007.

Fetzer, S. Joel, & Soper, J. Christopher, Muslims and the state in Britain, France, and Germany, Cambridge University press, U.K, 2005.

(٢) اللحيدان، عبد الله بن إبراهيم، دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، رسالة دكتوراة مقدمة إلى قسم الدعوة بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مؤسسة الجريسي، الرياض، ١٤٢٠هـ، ص٢١٧-٢٢١.

تساؤلات البحث:

يسعى البحث للإجابة عن عدد من الأسئلة، منها:

- ما الأسباب التي تدفع النساء في المجتمعات الغربية لاعتناق الإسلام في الوقت الحاضر؟
- هل اكتسب الجيل الناشئ من المسلمات في الغرب خصائص وسمات شخصية واجتماعية لم تكن موجودة في الأجيال السابقة؟
- كيف يتحقق الوعي بهذه التغييرات في خصائص تلك الشريحة الدعوية واستيعابها من قبل الدعاة المسلمين الذين يعنون بمخاطبة تلك الفئة؟ وصولا إلى إحداث تأثير أكبر وأهم بإذن الله تعالى.

حدود البحث:

الحديث عن النساء المسلمات في الغرب يشمل المرأة المسلمة بشكل عام، سواء كانت حديثة العهد بالإسلام أو كانت مسلمة بالولادة أو الزواج، في المجتمعات الغربية بشكل عام في كل من أوروبا وأمريكا، كما تنضم إلى هذه الشريحة (توسعا) المرأة الراغبة في اعتناق الإسلام في المجتمعات الغربية حيث يمكنها الاستفادة من البرامج الدعوية الموجهة لشريحة المسلمات في الغرب.

ويتناول البحث النقاط التالية:

١. أسباب اعتناق المرأة في المجتمعات الغربية للإسلام.

٢. أهم التغييرات التي شهدتها الخصائص الثقافية والشخصية للمرأة المسلمة في المجتمعات الغربية.

٣. أهم التغييرات التي شهدها الواقع الاجتماعي للمرأة المسلمة في المجتمعات الغربية.

٤. سبل توظيف هذه الأسباب في تعزيز الجهود الدعوية.

أولا: لماذا تسلم النساء في الغرب؟

أظهرت الإحصائيات في السنوات القليلة الماضية ارتفاع أعداد المسلمين في المجتمعات الغربية ارتفاعا ملحوظا، ففي أوروبا على سبيل المثال ارتفع عدد المسلمين من ٢٩,٦ مليون في عام ١٩٩٠ إلى ٤٤,١ مليونا في عام ٢٠١٠. ويتوقع أن يتجاوز عدد مسلمي أوروبا ٥٨ مليونا بحلول عام ٢٠٣٠م[١].

وفي بريطانيا تحديدا يعتنق الإسلام ٥٠٠٠ شخص كل عام، أغلبهم من النساء[٢]. وفي ألمانيا أسلم ٤٠٠٠ شخص في الفترة بين عامي ٢٠٠٤-٢٠٠٥م، كان أغلبهم من النساء، وهذا العدد يمثل أربعة أضعاف العدد بين عامي ٢٠٠٣-٢٠٠٤م على الرغم من الصورة السلبية للإسلام بين العامة في ألمانيا[٣].

وتظهر الإحصائيات إسلام أكثر من ٢٠ ألف شخص سنويا في الولايات المتحدة الأمريكية، مقسمين بين النساء والرجال من الأمريكيين والأمريكيين من أصول أفريقية[٤]، وتثبت هذه الإحصائيات أن نسبة النساء المسلمات تبلغ أربعة أضعاف الرجال، كما تظهر الإحصائيات أن الإسلام هو الديانة الأكثر انتشارا في

---

(١) The future of the global Muslim population, Pew research centre http://www.pewforum.org. 27/1/2011.

(٢) Mistiaen, Veronique. Converting to Islam: British women on prayer, peace and prejudice, The guardian. http://www.theguardian.com. 11/10/2013.

(٣) Ackermann, Lutz. Muslim Converts in Germany: Angst-Ridden Germans Look for Answers – And Find Them in the Koran, Der Spiegel. http://www.spiegel.de. 18/1/2007.

(٤) Elkoubaiti, Naoual, Women and conversion to Islam: The American women's experience, Oriental women organization, 2010. P1._

الولايات المتحدة الأمريكية، وقد جاءت هذه الظاهرة لتتضح بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر أي في نفس التوقيت الذي كان من المتوقع انحسارها فيه(١).

وفي حين أن اعتناق النساء من أصول آسيوية للإسلام لم يكن يثير استغراب الجهات الثقافية والأكاديمية الغربية فإن التزايد المضطرد في أعداد النساء من أصول أوروبية اللاتي اخترن الإسلام دينا لهن قد أثار علامات الاستفهام بشكل كبير واستدعى انتباه وسائل الإعلام الغربية، وركز عدد من الأبحاث على سبب إسلام عدد من النساء الغربيات من اللائي نشأن في عائلات غربية لوالدين غير مسلمين(٢). بل إن بعض المقالات العلمية اختارت التركيز على ظاهرة ارتداء النقاب من قبل النساء من ذوي البشرة البيضاء في إشارة لافتة إلى توسع انتشار الإسلام بين النساء في بريطانيا(٣).

تظهر هذه الإحصاءات والدراسات استمرار المد الإسلامي في المجتمعات الغربية، ولا سيما بين النساء، والسؤال المطروح اليوم في الأوساط الثقافية الغربية لم يعد: لماذا تسلم النساء في الغرب؟ بل أصبح: لماذا تسلم النساء في الغرب أكثر من الرجال؟ إن الأسباب والدوافع التي تدعو المرأة الغربية لاختيار الإسلام والتحول إليه متنوعة بتنوع النساء في المجتمعات الغربية، وإن كان هذا البحث لن يكفي لاستقصاء جميع هذه الأسباب والدوافع فسيتعرض لأهمها وأبرزها، مع

---

(١) Haddad,Yvone Yazbeck & Smith, Jane I. & Moore, Kathleen M, Muslim Women in America: The Challenge of Islamic Identity Today. Oxford University press, New York, 2006. p.42.

(٢) Elkoubaiti, Women and conversion to Islam.

(٣) Franks, Myfanwy, Crossing the borders of whiteness? White Muslim women who wear the hijab in Britain today. Ethnic and Racial Studies, Volume 23, Issue 5, 2000.

تحليل مختصر للتغيرات الطارئة على بعض هذه الدوافع، وهذه الأسباب تحمل أهمية كبرى من الناحية الدعوية، فكل سبب من هذه الأسباب يسلط الضوء على جانب من الجوانب التي تلامس حياة المرأة في المجتمعات الغربية، ويدعو إلى التنبه للمداخل النفسية والاجتماعية التي يمكن للمرأة أن تصل من خلالها إلى الاقتناع بالدين الحق.

١- الإعلام:

يعد الإعلام سببًا رئيسيًا في توجه كثير من النساء في المجتمعات الغربية لاعتناق الإسلام، ولكن هذا التوجه لا ينتج عن التأثر بالمضمون الإعلامي، بل عن النفور من المضمون الإعلامي المضلل والاتجاه للبحث عن الحقيقة، ويتضح هذا من خلال التغطية الإعلامية السلبية والمكثفة حول الإسلام التي تلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وعلى الرغم من أن هذه التغطية حملت طابع التشويه للدين الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال إلا أنها كانت دافعا للفت نظر الكثير من النساء الأمريكيات لهذا الدين، حيث اتجه كثير من النساء بعد هذه التغطية إلى القراءة حول الإسلام(١).

فالإعلام الغربي في تلك الفترة «أصبح يشوه بالفعل معلومات الإنسان الغربي ذاته الذي أصبح يحتاج إلى مصادر أخرى للمعلومات أكثر مصداقية لتصحيح معالم الصورة المشوهة وإدراك العالم والواقع بصورة أعلى من الشفافية والموضوعية»(٢).

---

(١) Elkoubaiti, Women and conversion to Islam. PP.12-13

(٢) عثمان، سعاد، صورة الآخر: الحواجز والجسور الاجتماعية والثقافية، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الخامس عن العالم الإسلامي والغرب، ١٢-١٤ شعبان ١٤٢٧هـ، المعهد العالي لوحدة الأمة الإسلامية، ماليزيا، المجلد الأول، ص١٦٤.

وفي ما يخص النساء فإنه يلاحظ على الإعلام الغربي بالإضافة إلى تقديم الصورة الخاطئة عن الدين الإسلامي تركيزه على تقديم صورة مشوهة للمرأة المسلمة، تقوم على إبراز الحالات المتطرفة في التعامل مع المرأة في العالم الإسلامي، وإظهارها على أنها القاعدة التي تعامل على أساسها المرأة المسلمة، ليصل إلى رسم صورة قاتمة وسوداوية للمرأة المسلمة تختزل في ضرب المرأة وتعنيفها وكبت حريتها، «وليست هذه الصورة النمطية سياقا إعلاميا موضوعيا بل هي صورة أفرزتها عوامل الخوف من انتشار الإسلام في الغرب وعوامل الحقد والكراهية التي تسود مواقف كثير من السياسيين ورجال الدين وصناع القرار الغربيين»(١).

وكانت الدراسات الغربية قد سبقت الإعلام إلى الاهتمام بموضوع المرأة في المجتمعات المسلمة، وألفت حولها الكتب والأبحاث وخصصت لها أنشطة علمية متنوعة مثل المؤتمرات والندوات، بل وتطور فرع معرفي هو دراسات المرأة تخصصت فيه المرأة الغربية ولا سيما المنتميات إلى حركات تحرير المرأة أو الحركات الأنثوية، فكانت نتيجة هذه الجهود جميعا إخراج صورة سلبية عن المرأة المسلمة وعرض هذه الصورة وتعزيزها في وسائل الإعلام الغربية(٢).

ولكن هذا الواقع قد تغير اليوم، فهذه الصورة المغلوطة عن الإسلام عموما

---

(١) باحمدان، أحلام محمد سعيد، صورة المرأة المسلمة في الإعلام الغربي، بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن وضع المرأة المسلمة في المجتمعات المعاصرة حقائق وآفاق، الجامعة الاسلامية العالمية، ماليزيا، ١-٣ شعبان ١٤٢٨هـ، المجلد الرابع، ص ٣٤٦-٣٤٩ (باختصار وتصرف).

(٢) مطبقاني، مازن صلاح، المرأة المسلمة في الكتابات الاستشراقية المعاصرة، مجلة العقيق، نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة، المجلد الخامس عشر، أبريل-يونيو ٢٠٠٠م. ص١٧-٥٠.

والمرأة المسلمة خاصة باتت لا تقنع الجمهور الغربي ولا سيما النساء منهن، بل تصدى كثير من الكتاب الغربيين لتوضيح الصورة الحقيقية لمكانة المرأة في الإسلام، وألفوا حول ما منحها الإسلام من حقوق ومكانة مؤيدين ذلك بالشواهد القديمة والمعاصرة، فكانت هذه الكتابات وجها آخر للإعلام الغربي تسبب في هداية كثير من نساء الغرب إلى الإسلام من خلال الاطلاع على مكانتها في التشريع الإسلامي ومنزلتها[1].

وهكذا يتضح أن الإعلام الغربي لم يعد المصدر الوحيد للمعلومات لدى المسلمات أو الباحثات عن الإسلام في المجتمعات الغربية، لاسيما بعد انحراف هذا الإعلام عن مسار الحيادية والموضوعية، فأصبح بذلك سببا غير مباشر في إسلام النساء في المجتمعات الغربية.

٢- الأسباب الدينية:

يندفع معظم النساء المسلمات في الغرب في رحلتها للبحث عن الإسلام من أسباب دينية وتساؤلات متعلقة بالمعتقدات المسيحية ومدى توافقها مع العقل والمنطق ولا سيما فيما يختص بموضوع تأليه المسيح، والثالوث، ما يدفع هؤلاء النسوة إلى عدم الاقتناع بمبادئ الديانة التي نشأن عليها، وبالتالي البحث والقراءة حول الديانات الأخرى، وعلى رأسها الإسلام، وفي مقابل التناقض الذي تراه تلك المرأة في الديانة النصرانية على سبيل المثال ترى الإقناع المنطقي في دين الإسلام، ليحمل الإسلام إجابات منطقية لأسئلة طالما راودتها، وشكوك كثيرا ما واجهتها،

---

(١) السرحاني، محمد بن سعيد، الموقف الغربي من مكانة المرأة في الإسلام، بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن وضع المرأة المسلمة في المجتمعات المعاصرة حقائق وآفاق، الجامعة الاسلامية العالمية، ماليزيا، ١-٣ شعبان ١٤٢٨هـ، المجلد الخامس، ص٣٣٩-٣٧٣.

وإذا جاز هنا اقتباس عبارة إحدى المسلمات: «كيف يكون الله ثلاثة أشياء؟؟»[١].

وهذا الدافع الديني قديم متجدد، فقد كان واضحا في قصص إسلام النساء قبل الحادي عشر من سبتمبر، ومع ظهور أسباب أخرى بعد ذلك التاريخ إلا أن البحث عن الدين الحق الخالي من الغموض والتعقيد والتحريف ظل دافعا للكثير من النساء المسلمات لاعتناق الإسلام[٢]، واليوم تطرح بعض الدراسات الغربية سؤالا مثيرا للجدل: لماذا تكون النساء أكثر تدينا من الرجال؟[٣] وهذه الدراسات جديرة بالملاحظة والمتابعة، فقد تحمل الإجابة على هذا السؤال تفسيرات مفيدة للدعوة الإسلامية من حيث الطابع النفسي والاجتماعي الذي يجعل المرأة أكثر ميلا للتدين والالتزام.

٣- الزواج برجل مسلم:

يعد هذا السبب أكثر الأسباب شيوعا وراء تحول النساء إلى الدين الإسلامي في نظر كثير من المؤلفات الغربية، وعلى الرغم من أن كثيراً من الكتابات تعتمد هذا السبب على أنه من المسلمات إلا أن هناك عددا من المناقشات التي تدور أيضا حول هذا السبب ومنها:

١. إن الإسلام يبيح للرجل المسلم الزواج من غير المسلمة (اليهودية والنصرانية) ومثل هذا الأمر ينفي عامل الإجبار على اعتناق الإسلام كخطوة مسبقة لإتمام الزواج. قد يكون هذا السبب حقيقيا في حالة الرجل غير المسلم الذي يعتنق الإسلام لرغبته في الزواج بمسلمة، لأن إسلامه شرط للاقتران بالمسلمة إلا أن

---

(١) Elkoubaiti, Women and conversion to Islam. P.8.

(٢) Ibid.

(٣) Trzebiatowska, Marta & Bruce, Steve. Why are women more religious than men. Oxford University press, USA, 2012.

العكس غير صحيح. ومن هنا يتبين أن كثيراً من الأبحاث والكتابات الغربية تقع في خطأ التعميم هنا.

٢. تفيد بعض المسلمات حديثا بأنه إذا كان تعرفها برجل مسلم سببا في تعرفها على الدين الإسلامي والتفاتها إليه، فإن إسلامها في الحقيقة كان بسبب الاقتناع بالإسلام والرغبة الحقيقة في الدخول فيه، وليس رغبة في الزواج من الرجل المسلم، وجدت بعض الحالات التي قامت فيها المرأة باعتناق الدين الإسلامي بعد تعرفها برجل مسلم، ولكنها تركت هذا الرجل بعد إسلامها حين وجدت أنه غير ملتزم بالإسلام بصورة حقيقية، وأنه لا يحمل إلا الجانب الظاهري للإسلام[١].

٣. أفادت إحدى المشاركات في دراسة أجرتها جامعة كامبريدج حول عدد من المسلمات الجدد بأنها أسلمت بعد ٢٧ عاما من زواجها[٢]، فهل يمكننا اعتبار الزواج دافعا في مثل هذه الحالة؟ ما يجعل من المنطقي أن يكون الدافع الحقيقي هنا ليس عامل الإجبار على الإسلام بسبب الزواج بين المسلم وغير المسلمة، بل نشوء العلاقات الشخصية والاجتماعية بين شخص مسلم وآخر غير مسلم، وبالتالي تكون المخالطة والتعايش سببا في الإسلام.

وتؤيد نوال القبيطي هذا الرأي بقولها: إنه في حين يعتقد الكثيرون بأن العلاقة العاطفية تكون دائما السبب وراء إسلام النساء الأمريكيات، إلا أن هذا الاعتقاد خاطئ، وقرار المرأة باعتناق الإسلام يكون قرارا شخصيا في الغالب[٣].

---

(١) Suleiman, Yasir. Narratives of Conversion to Islam in Britain Female Perspectives, University of Cambridge, Centre of Islamic studies, Markfield, 2013. P. 31.

(٢) Ibid. P.40.

(٣) Elkoubaiti, Women and conversion to Islam. P.9.

٤- البحث عن الحقوق:

لعل آخر الأسباب التي يتوقع الباحث أن يجدها مدرجة في هذا السياق أن يكون بحث المرأة في المجتمعات الغربية عن حقوقها دافعا لإسلامها، فالفكرة الشائعة تنص على أن الحضارة الغربية هي الحضارة المثلى في مجال حقوق المرأة، ولكن الحقيقة هي أن النساء الأمريكيات والغربيات بشكل عام يجدن الحرية التي منحتها لهن الحضارة الغربية حرية مزيفة، لا تهدف إلى مصلحة المرأة نفسها، ولا تراعي فطرتها وطبيعتها، بينما تجد أن الإسلام قد منحها المساواة الحقيقية مع الرجل، وأعطاها قيمتها الحقيقية، ووفر لها الحماية والأمان كأنثى بغض النظر عن مظهرها الخارجي أو المهنة التي تزاولها. وتفيد المسلمات الجديدات في المجتمعات الغربية إلى أن كثيرا من الحقوق التي منحها الشرع الحنيف للمرأة تجذب النساء إلى الإسلام مثل حق المرأة في الاحتفاظ بلقبها بعد الزواج، وحقها في الاحتفاظ بممتلكاتها[١]، لقد أصبح اعتناق النساء الغربيات للإسلام ظاهرة ثقافية جديرة بالدراسة في المجتمع الغربي. لأن الغرب يرى أن هذه المرأة التي وفر لها جميع الحقوق مازالت في رحلة بحث عن المفقود.

ومن العوامل التي لفتت النظر إلى مكانة المرأة في الإسلام في السنوات الأخيرة ظهور الجيل الجديد من المسلمات في أوروبا، واللاتي قدمن صورة للأم المتعلقة بأسرتها الحانية على أبنائها والتي يمكنها أن تجمع بين الحياة الأسرية والحياة العملية والاكتفاء الروحي، فكانت مثل هذه النماذج عنصر جذب للمرأة غير المسلمة التي عانت كثيرا من الإهمال الأسري والبعد عن العائلة، فوجدت بالمقابل أن الإسلام يبني للمرأة حياتها داخل أسرتها ومجتمعها، ويمنحها كذلك سياقا متفردا يحمي فيه كيانها وفطرتها وشخصيتها المستقلة ولا يمنعها بحال من

---

(١) Ibid. p.p. 15-17

الأحوال عن المشاركة في حياة المجتمع وتطوره[١].

كانت هذه أبرز الأسباب التي توردها الدراسات المعاصرة لأسباب تحول المرأة في المجتمعات الغربية إلى الإسلام، ولا بد للدعوة الإسلامية من استيعاب هذه الأسباب وما يطرأ عليها من تغيرات. وتتبع استجابة النساء المسلمات في المجتمعات الغربية للتغيرات المحيطة بهن، فالدعوة بوصفها حركة إسلامية «ينبغي أن تكون بمثابة نظام يتجاوب سلوكيا مع المعلومات والتغييرات التي تطرأ على بيئة الدعوة»[٢].

الخصائص الدعوية للمرأة المسلمة في الغرب والتحديات التي تواجهها:

البيئة هي الواقع الذي يحيط بالدعوة الإسلامية، وإدراك الواقع ركن أصيل في الدعوة، وهو يؤثر كثيراً في نظام الدعوة وخطتها ونهجها، ويساهم في رسم صورة للمسؤوليات والحقوق المترتبة على هذا المنهج وكيفية تنفيذه في ذلك «الواقع»[٣]. فما الواقع الذي تعيشه النساء المسلمات اليوم في المجتمعات الغربية؟ وكيف تغير الواقع الحاضر عن الأمس؟

إذا كانت سيطرة الغرب على السياسة والإعلام ممكنة فإن سيطرته على

---

(١) Silvestri, Sara. Europe's Muslim women: potential, aspirations and challenges, Research report. King Baudouin Foundation, Brussels, 2008, P.25, P 31.

(٢) صديقي، كليم، الحركة الإسلامية وحاجتها إلى الإعلام مدخل لدراسة النظم، بحث مقدم للقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد تحت عنوان: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية النظرية والتطبيق، الرياض، ١٣٩٦هـ، الطبعة الثالثة، ص١٣٩.

(٣) النحوي، عدنان علي رضا، موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام وأساس لقاء المؤمنين، دار النحوي، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤١٩هـ، ص١٢٤.

الأشخاص وثقافتهم وما يعتقدونه أصعب بكثير، ولا سيما في ظل تنوع مصادر المعلومات والتمسك بالديمقراطية وحرية الرأي، فالثقافة «ليست ملكية مؤكدة وغير قابلة للتغيير، إذ يجب أن تتحقق باستمرار من خلال الممارسة اليومية»[١]، وها ما حدث مع المرأة المسلمة في الغرب، حيث شهدت تغيرات جذرية طرأت على خصائصها الشخصية والثقافية، مما كان له تأثير كبير في وضعها الاجتماعي بشكل عام.

١- الخصائص الشخصية والثقافية:

كانت المرأة المسلمة في المجتمعات الغربية قبل سنوات تعتمد على الوالدين والزوج والأصدقاء للحصول على المعلومات حول الدين الإسلامي، أما اليوم فقد تعددت أمامها مصادر الحصول على المعلومات، وأصبحت تحصل عليها بنفسها من خلال الوسائل التقنية الحديثة.[٢] وإذا كانت جهود الدعوة الإسلامية في الماضي تخاطب الرجل في الجاليات الاسلامية في المجتمعات الغربية باعتباره ناقلا للمعلومة، أو تخاطب الرجال والنساء بصفة عامة، فإن جزءا من هذه الجهود ينبغي لها أن تتوجه اليوم بكل دقة ووضوح لمخاطبة المرأة المسلمة في هذه المجتمعات ومحاولة الوصول إليها دون عوائق بما يتفق مع حريتها في الحصول على الحقائق.

وإذا كانت الصورة النمطية للإسلام والعالم الإسلامي في الغرب قد أثرت في

---

(١) موللر، هارالد، تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنغتون، ترجمة: إبراهيم أبو هشهش، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٤٣.

(٢) Ali, Yasmin. Muslim Women and the Politics of Ethnicity and Culture in Northern England, Gita Sahgal and Nira Yuval-Davis (eds.) Refusing Holy Orders: Women and Fundamentalism in Britain, Virago Press Limited London, 1992, p.11

الماضي على ثقافة النساء المسلمات في الغرب إلا أن هذه الصورة النمطية باتت في السنوات الأخيرة متغيرة تكتسب ملامح جديدة وتفقد ملامح أخرى قديمة، فقد أظهرت بعض الدراسات التي أجريت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر أن صورة العالم العربي في الأذهان بدأت بالتحسن، بفعل عوامل عديدة منها إقامة بعض الغربيين في المجتمعات العربية، وتأثير وسائل الإعلام والاختلاط بين المسلمين وغيرهم في الدول الغربية، إن حدوث مثل هذه التغيرات يثبت أن صورة الإسلام في العقلية الغربية قابلة للتغير والتعديل[١]، مما يدعو إلى ضرورة التركيز على محاولة تغييرها من خلال خطط دعوية إعلامية.

وفي حين كانت النساء المسلمات في المجتمعات الغربية في الماضي ربات بيوت حاصلات على قدر ضئيل من التعليم أو أميات، فهن اليوم حاصلات على مستويات عالية من التعليم ويشاركن في الحياة العامة[٢]. حيث أصبح من اللافت للنظر اعتناق الإسلام من قبل كثير من النساء العاملات في المهن المرموقة في بريطانيا على سبيل المثال[٣]. وإذا كان الوصول إلى هؤلاء النساء في الماضي صعبا لوجودها في البيت وبعدها عن وسائل الإعلام فالوصول إليهم اليوم أصبح أسهل وأكثر مرونة.

ولم يقتصر التغيير في السمات الثقافية والدينية لدى المرأة المسلمة في

---

(١) عثمان، صورة الآخر، ص ١٥٨، ص ١٦٥.

(٢) نيلسن، يورغن، المسلمون في أوروبا، ترجمة: وليد شميط، دار الساقي ومركز البابطين للترجمة، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٧٧.

(٣) Daily mail, why are so many modern British career women converting to Islam? The daily mail. http://www.dailymail.co.uk. 28/10/2010.

المجتمعات الغربية على تحصيلها العلمي وإنجازاتها العملية، بل تغيرت كثير من أفكارها ومعتقداتها، فالالتزام بالحجاب على سبيل المثال أصبح يمثل لكثير من النساء المسلمات طريقة لتطبيق شعائر الدين الإسلامي والافتخار بالهوية الإسلامية، وبينما تصور وسائل الإعلام الغربية ارتداء المرأة المسلمة للحجاب في الغرب على أنه إخضاع لها لتقاليد بالية ترى المسلمات بالمقابل أن الحجاب تمثيل لحرية الرأي والمعتقد وإثبات لاستقلالية القرار(١).

ومع هذه التغيرات الحاصلة في السمات الشخصية والثقافية للمرأة المسلمة في الغرب إلا أن سمة واحدة بقيت كما هي لم تتغير، وهي الشعور بتناقض النصرانية وعدم الاقتناع بها، وهي مدخل كان سببا في انجذاب الكثير من النساء إلى الدين الإسلامي فعامة المسيحيين اليوم لم يبق لهم من المسيحية إلا الانتساب التاريخي فقط، وهم بعيدون كل البعد عن الجانب العملي والمنهجي للمسيحية(٢).

٢- الخصائص الاجتماعية:

كانت فرضيات مبكرة في أوساط السياسة وعلم الاجتماع أشارت إلى أن المهاجرين كانوا يخلفون دينهم وراءهم، وعندما بدأت عائلات هؤلاء المهاجرين في الوصول إلى أوروبا وظهر بجلاء الطابع الديني للعائلات المسلمة ظهرت نظرية أخرى افترضت أن هذه الظاهرة مجرد مرحلة انتقالية بانتظار أن تتمكن جاليات المهاجرين من التكيف مع السياق الاجتماعي الجديد، وسيصبح المسلمون عما

---

(١) Suleiman,Narratives of Conversion to Islam, p. 43.

(٢) موسى، عبده مختار، الحواجز السياسية بين الإسلام والغرب وطرق إزالتها، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الخامس عن العالم الإسلامي والغرب، ١٢-١٤ شعبان ١٤٢٧، المعهد العالي لوحدة الامة الاسلامية، ماليزيا، المجلد الأول، ص ٣٣.

قريب علمانيين أو على الأقل يبقون مسلمين يحصرون حياتهم الدينية في بيئة خاصة ضيقة النطاق[١]. ولكن هذه الفرضيات لم تتحقق على أرض الواقع، ولم ينس المسلمون المهاجرون إسلامهم، بل رسخوا أقدامهم في البيئات الغربية رجالا ونساء.

وإذا كان المسلمون في الجيل الأول من المهاجرين المقيمين في البلاد الغربية بصورة شرعية أو غير شرعية، فإن المسلمين والمسلمات في الأجيال التالية من أبنائهم ومن غيرهم ممن اعتنق الإسلام أصبحوا مواطنين لهذه البلاد، يتمتعون بحقوق وواجبات متساوية مع مواطني تلك البلاد من غير المسلمين[٢]، ويرى بعض الكتاب الغربيين أنه يجب على المسلمين في أوروبا اليوم الاختيار بين «الإسلام الأوروبي» أو «إسلام العزلة»[٣].

ويظهر جليا أن النساء المسلمات في أوروبا مؤيدات للخيار الأول «الإسلام الأوروبي» فهن لا يسعين للانفصال عن المجتمعات الغربية التي يعشن فيها، ولا سيما أن كثيرا من هؤلاء المسلمات هن أبناء تلك المجتمعات، فالمرأة المسلمة تسعى للاندماج في ذلك المجتمع بطريقة تضمن لها الانسجام والحرية في آن معا، الانسجام مع القوانين والأنظمة المتبعة في المجتمع، والحرية في تطبيق شعائرها الإسلامية في حياتها اليومية والأسرية والاجتماعية[٤]. وفي أحد الاستبيانات التي أجريت على عينة من النساء المسلمات في بريطانيا طُرح سؤال عما إذا كانت المرأة المسلمة تفضل البقاء في بريطانيا أو الانتقال إلى الحياة في مجتمعات أخرى مسلمة،

---

(١) نيلسن، المسلمون في أوروبا، ص٢٥٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٥٩.

(٣) كارلسون، انجمار، الإسلام وأوروبا: تعايش أم مجابهة. ترجمة: سمير بوتاني، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣م، ص ١٣٨.

(٤) Silvestri, Europe’s Muslim women, P.64.

أو العودة إلى الوطن الأم -بالنسبة للنساء المسلمات المنحدرات من أصول آسيوية- وقد أثار هذا السؤال استهجان عينة الدراسة لتضمينه في الاستبيان الموجه لهن، وكأن هذا السؤال لا يصح أن يطرح، فالمرأة المسلمة تعتبر بريطانيا بلدا لها والانفصال عن المجتمع ليس خيارا لها بحال من الأحوال(١). وقد أصبحت الحركة النسائية الإسلامية اليوم في بريطانيا واقعا معيشا لا يمكن إنكاره، حيث يسعى الكثير من النساء المسلمات لتحقيق المكاسب السياسية والاجتماعية في ظل القوانين البريطانية(٢).

وينطبق ذلك أيضا على الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أصبح كثير من النساء المسلمات مقتنعات بأن دورهن في المجتمع ليس مسلمات يحملن الجنسية الأمريكية، بل أمريكيات ينتمين إلى الدين الإسلامي، وأنه يجب عليهن بذل مزيد من الجهود الاجتماعية والثقافية والسياسية لتحقيق الهوية الإسلامية في المجتمع الغربي(٣).

وفي السويد يرى المسلمون أنه يجب الاعتراف بالإسلام في السويد واحترامه، والتعامل معه كدين «محلي» إذ لا يوجد حائل دون أن يصبح المسلم سويديا صالحا مثله مثل أي مواطن آخر من أتباع الدين المسيحي أو اليهودي، ولا شيء يمنع أيضا أن تغدو المساجد مشهدا مألوفا في حلب ودمشق والقاهرة والموصل(٤).

---

(١) Ibid. P. 66.

(٢) Ali, Muslim Women. p.5.

(٣) Haddad, Muslim Women in America. p.18

(٤) كارلسون، الإسلام وأوروبا، ص ١٤٢.

ولكن اختيار المسلمين في الغرب سياسة الانسجام مع البيئات الغربية لا يعني بالضرورة التنازل عن الشعائر الإسلامية والتخلي عنها في سبيل الانسجام مع المجتمع، بل على العكس من ذلك أصبح الشباب المسلم في البيئات الغربية متمكنا من أشكال التعبير عن الممارسات والأولويات الإسلامية المرتبطة بوضعهم الاوروبي(١). وفي أزمة منع الحجاب في فرنسا على سبيل المثال كان للفتيات دور بارز في لفت الأنظار الى هذه القضية، وكان رفض الفتيات في كريل الذهاب إلى المدرسة من دون الحجاب يعتبر شكلا من أشكال تحدي الهوية الجمهورية والعلمانية لفرنسا(٢).

فموقف النساء المسلمات في المجتمعات الغربية اليوم يجمع بين الانسجام والثبات والمبادرة لبناء صورة جديدة للإسلام والمسلمين في الغرب، بعيدة كل البعد عن الصورة النمطية القديمة، وتبذل النساء المسلمات جهودا متنوعة في سبيل ذلك، وعلى سبيل المثال قامت نساء محجبات في اسكتلندا بزيارة المدارس لتعريف الطلاب بالصورة الحقيقية للإسلام، وإزالة المفاهيم الخاطئة حوله، وذلك استجابة لدعوة وجهتها إليهم إدارة المدرسة(٣).

وعلى الرغم من أن المسلمين في الغرب ليسوا على الإطلاق كتلة متجانسة، بل هم فئات مختلفة من طبقات اجتماعية متفاوتة، ومن بلدان مختلفة، ومن مواطنين على درجات مختلفة من التدين والإيمان، إلا أن الغرب ما يزال يعاملهم

---

(١) نيلسن، المسلمون في أوروبا، ص٢٧١-٢٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٦٢. كريل (Creil): بلدة فرنسية تم منع الحجاب في مدرسة ثانوية بها عام ١٩٨٩م، ومنها خرجت قضية الحجاب في فرنسا إلى العلن. ص٢٦١.

(٣) Cairo, Scot Muslims Educate Pupils On Islam, On Islam news paper, http://www.onislam.net. 7/11/2013.

على أنهم أحاديو الصفات ومتطابقون في كل شيء، ويرى أن القاسم المشترك بينهم هو التطرف[١].

٣- المشكلات والتحديات التي تواجه المسلمات الغربيات:

السؤال الأول الذي تواجهه المسلمة في الغرب: كيف يمكن لامرأة غربية أن تختار دينا رجعيا يقلل من شأنها كالإسلام؟ ودائما ما يكون طرح هذا السؤال إشارة إلى وجود خطب ما بهذه المسلمة التي اختارت القيام بهذا القرار الخاطئ، وكثيرا ما يستبعد من الذهن احتمال أن يكون هذا القرار قرارا منطقيا اتخذته المسلمة، وذلك بتأثير الخلفيات الفكرية، والتأثيرات الاجتماعية أو فوبيا الإسلام[٢].

وإذا كانت المسلمة في البيئة الغربية تعاني الصعوبات في الماضي للحصول على الطعام الحلال لها ولأسرتها فإن هذه المشكلة لم تعد على قائمة الأولويات اليوم، ولو أخذنا البلدان الاسكندنافية على سبيل المثال حيث يتوافر عدد كبير من الشركات والمحلات التي توفر الأطعمة الحلال للمسلمين، كما أن مشكلة الصلاة في مقر العمل والامتناع عن شرب الخمور في الاحتفالات الرسمية لم يعد مشكلة تواجه المسلمين في هذه البلدان كما كانوا في الماضي[٣].

---

(١) كارلسون، الإسلام وأوروبا، ص١٢١.

(٢) Suleiman, Narratives of Conversion to Islam, p1.

وفوبيا الإسلام: الخوف الشديد المرتبط بصورة الإسلام في ذهن الغرب، والذي انتشر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر نتيجة للربط بين الإسلام والإرهاب في الإعلام الغربي. انظر: المرجع السابق.

(٣) Svanberg, Ingvar. The nourdic countries. Islam outside the Arab world. Edited by; David Westerlund &Ingvar Svanberg, Curzon, P.394-396.

الدول الاسكندنافية: هي الدول الواقعة في شبه الجزيرة الإسكندنافية في الطرف الشمالي من =

وتعاني كثير من النساء المسلمات في الولايات المتحدة الأمريكية من مشكلتين رئيسيتين: الأحكام المسبقة وسوء الفهم، ولا سيما في النظرة السائدة بأن الإسلام يعامل المرأة على أنها مواطن من الدرجة الثانية، إضافة إلى كثير من المفاهيم الخاطئة التي تشوب التصورات حول علاقة الرجل بالمرأة في الدين الإسلامي[١]. كما ما تزال النظرة الغربية إلى الشعائر الإسلامية كالأذان والحجاب باعتبارها تحديا للمجتمع الغربي إلى حد ما، ولا شك أن هذه النظرة ستتغير في المستقبل ليصبح أداء الشعائر الإسلامية جزءا من المجتمع، ولن يتحقق هذا إلا بتحقيق المرأة المسلمة مزيدا من الاندماج بالمجتمع والتفهم للحقوق التي يمنحها إياها هذا المجتمع.

=

قارة أوروبا وتتكون من الممالك التالية دنمارك، والنرويج، والسويد. انظر: المرجع السابق.

(١) Haddad, Muslim Women in America. P.4.

النتائج والتوصيات:

- تمثل النساء المسلمات في المجتمعات الغربية، والنساء الغربيات الباحثات عن الإسلام شريحة دعوية مستقلة تستدعي الاهتمام بها وتخصيص البرامج المناسبة لها.
- يجب على الدعاة ملاحظة الخصائص الثقافية والاجتماعية لهذه الشريحة وسماتها الدعوية، ورغبتها في الاندماج في المجتمع الغربي مع الاحتفاظ بالهوية الإسلامية في الوقت ذاته.
- هناك عدد من الاهتمامات المعاصرة للمرأة في المجتمعات الغربية يمكن للدعاة طرحها من وجهة النظر الإسلامية، مثل موضوع حقوق الإنسان، والتي سبق الإسلام ببيانها وتقريرها قبل قرون طويلة من إقرار الغرب لها وتأليفه لعهود ومواثيق خاصة بها. ولكنه مع ذلك تعرض للتشويه والتصوير على أنه الدين الذي ينتهك حقوق الإنسان ولا يقدرها[1].
- التأكيد على الاستمرار في إيصال الصورة الصحيحة عن الدين الإسلامي للنساء في المجتمعات الغربية، ولا سيما في مجال تعاليم الإسلام حول الأسرة وبر الوالدين وصلة الأرحام والتكافل الاجتماعي، وهو موضوع يسترعي انتباه النساء في المجتمعات الغربية بصفة عامة، في ظل ما يشهده المجتمع الغربي من تقطع أواصر القرابة وتضاؤل أحجام الأسر وتفككها، ولذا كان من الموضوعات التي يمكن للدعوة الإسلامية التركيز عليها في هذا المجال عرض الفروق بين الأحكام الأسرية والاجتماعية في الإسلام والثقافة الغربية.
- لا بد أن يختلف المنهج الدعوي المستخدم لمخاطبة المرأة المسلمة في

---

(١) الظهار، راوية أحمد عبد الكريم، حقوق الإنسان في الإسلام، مؤسسة جائزة المدينة المنورة الخيرية، المدينة، ١٤٢٥هـ، ص٥٦.

الغرب التي كانت في الماضي ربة منزل على قدر متواضع من التعليم تعيش في غربة عن الدار والأهل، عن المنهج الدعوي المستخدم لمخاطبة المرأة المسلمة في الغرب اليوم، تلك المرأة المتعلمة التي تعيش في وطنها وتتمتع بكافة الحقوق وعليها كافة الواجبات المترتبة على الحياة في هذا الوطن.

- المنهج الدعوي المطلوب لمخاطبة النساء المسلمات في المجتمعات الغربية لا بد أن يعتمد على «سلفية المنهج وعصرية المواجه»[١]، هذا المنهج الذي ينطلق من الكتاب والسنة مدركا الواقع بتغيراته وتطوراته مستخدما كل اسلوب ووسيلة مشروعة معاصرة تخدم المنهج السلفي المختار، مواكبا كل جديد من الاحتياجات التي تحملها الحياة.

- ضرورة تطوير الجهود الدعوية وتنويع موضوعاتها بما يكفل تجدد الخطاب وتنوع المخاطبين، ولا يوجد ما يمنع من إثارة موضوعات جديدة في الخطاب الدعوي الموجه للبيئة الغربية، وعلى سبيل المثال فإن الاهتمام بالبيئة وحمايتها موضوع يثير اهتمام كثير من النساء والرجال في الغرب، وقد كان لاثنين من مسلمي ألمانيا السبق في مناقشة هذا الموضوع، ووضع أسس إسلامية لعلم الأخلاق البيئي الإسلامي، وكانت قضية البيئة وتلوثها وموقف الإسلام منها الموضوع الرئيسي الذي عولج في الاحتفال بمرور ربع قرن على إنشاء المركز الاسلامي في آخن عام ١٩٨٩م[٢]. كما أن مناقشة موضوع الهندسة الإسلامية في

(١) بكار، عبد الكريم، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ، ص٢٤٢.

(٢) وقد تناول الموضوع كل من أحمد فون دنفر وهارون بير وأكسل كولر. انظر: هوفمان، مراد، الإسلام كبديل، ترجمة: غريب محمد غريب، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م، ص١٦٢.

آخن: مدينة ألمانية تقع غرب ولاية شمال الراين. انظر: المرجع السابق.

البناء والزخرفة من قبل داعية مسلم متخصص لهو موضوع يجذب اهتمام كثير من المتخصصين الغربيين الباحثين في هذا الموضوع والذين يجذبهم تفرد الفنون الإسلامية بالزخارف الخالية من ذوات الأرواح والتصاميم الهندسية التي تعكس الثقافة الإسلامية الفريدة وكما يقول غارودي: «إن الفنون التشكيلية تتيح لنا إلقاء نظرة أخرى على الحضارة الإسلامية»(١).

إن توجيه المزيد من الاهتمام والتخطيط السليم للجهود الدعوية التي تستهدف النساء المسلمات في المجتمعات الغربية من شأنه أن يحدث تغييرا كبيرا في مسار الدعوة الإسلامية من جهة، وفي حياة هؤلاء النساء من جهة، فيقوى ارتباطهن بالدين الحنيف الذي اخترنه، ويكنَ بدورهن داعيات للحق في مجتمعاتهم وأوطانهم.

---

(١) غارودي، روجيه، في سبيل حوار الحضارات، تعريب: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، الطبعة السادسة، ٢٠٠٧م، ص١٤٤.

المراجع

١. باحمدان، أحلام محمد سعيد، صورة المرأة المسلمة في الإعلام الغربي، بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن وضع المرأة المسلمة في المجتمعات المعاصرة حقائق وآفاق، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ١-٣ شعبان ١٤٢٨هـ، المجلد الرابع.

٢. بكار، عبد الكريم، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ.

٣. السرحاني، محمد بن سعيد، الموقف الغربي من مكانة المرأة في الإسلام، بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن وضع المرأة المسلمة في المجتمعات المعاصرة حقائق وآفاق، الجامعة الاسلامية العالمية، ماليزيا، ١-٣ شعبان ١٤٢٨هـ، المجلد الخامس.

٤. صديقي، كليم، الحركة الإسلامية وحاجتها إلى الإعلام مدخل لدراسة النظم، بحث مقدم للقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد تحت عنوان: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية النظرية والتطبيق، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٣٩٦هـ.

٥. الظهار، راوية أحمد عبد الكريم، حقوق الإنسان في الإسلام، مؤسسة جائزة المدينة المنورة الخيرية، المدينة، ١٤٢٥هـ.

٦. غارودي، روجيه، في سبيل حوار الحضارات، تعريب: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، الطبعة السادسة، ٢٠٠٧م.

٧. كارلسون، انجمار، الإسلام وأوروبا: تعايش أم مجابهة. ترجمة: سمير بوتاني، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣م.

٨. اللحيدان، عبد الله بن إبراهيم، دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، رسالة

دكتوراة مقدمة إلى قسم الدعوة بكلية الدعوة والإعلام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مؤسسة الجريسي، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٩. مطبقاني، مازن صلاح، المرأة المسلمة في الكتابات الاستشراقية المعاصرة، مجلة العقيق، نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة، المجلد الخامس عشر، أبريل-يونيو ٢٠٠٠م.

١٠. موسى، عبده مختار، الحواجز السياسية بين الإسلام والغرب وطرق إزالتها، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الخامس عن العالم الإسلامي والغرب، ١٢-١٤ شعبان ١٤٢٧، المعهد العالي لوحدة الأمة الاسلامية، ماليزيا، المجلد الأول.

١١. النحوي، عدنان علي رضا، موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام وأساس لقاء المؤمنين، دار النحوي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

١٢. نيلسن، يورغن، المسلمون في أوروبا، ترجمة: وليد شميط، دار الساقي ومركز البابطين للترجمة، بيروت، ٢٠٠٥م.

١٣. هوفمان، مراد، الإسلام كبديل، ترجمة: غريب محمد غريب، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.

14. Ackermann, Lutz. Muslim Converts in Germany: Angst-Ridden Germans Look for Answers - And Find Them in the Koran, Der Spiegel. http://www.spiegel.de. 18/1/2007.

15. Ali, Yasmin. Muslim Women and the Politics of Ethnicity and Culture in Northern England, Gita Sahgal and Nira Yuval-Davis (eds.) Refusing Holy Orders: Women and Fundamentalism in Britain, Virago Press Limited, London, 1992.

16. Cairo. Scot Muslims Educate Pupils On Islam. On

Islam news paper. http://www.onislam.net. 7/11/2013.

17. Daily mail, why are so many modern British career women converting to Islam? The daily mail. http://www.dailymail.co.uk. 28/10/2010.

18. Fetzer, S. Joel, & Soper, J. Christopher, Muslims and the state in Britain, France, and Germany, Cambridge University press, U.K, 2005.

19. Franks, Mayfanwy. Crossing the borders of whiteness? White Muslim women who wear the hijab in Britain today. Ethnic and Racial Studies, Volume 23, Issue 5, 2000.

20. Haddad,Yvone Yazbeck & Smith, Jane I. & Moore, Kathleen M. Muslim Women in America: The Challenge of Islamic Identity Today. Oxford University press, New York, 2006.

21. Mistiaen, Veronique. Converting to Islam: British women on prayer, peace and prejudice, The guardian. http://www.theguardian.com. 11/10/ 2013.

22. Pew research centre. The future of the global Muslim population, http://www.pewforum.org. 27/1/2011.

23. Silvestri, Sara. Europe's Muslim women: potential, aspirations and challenges, Research report. King Baudouin Foundation, Brussels, 2008.

24. Sookhedo, Rosemary. Why Christian women convert to Islam, Isaac publishing, U.S, 2007.

25. Suleiman, Yasir. Narratives of Conversion to Islam in Britain Female Perspectives, University of Cambridge,

Centre of Islamic studies, Markfield, 2013.

26. Svanberg, Ingvar. The nourdic countries. Islam outside the Arab world. Edited by; David Westerlund &Ingvar Svanberg, Curzon.

27. Trzebiatowska, Marta & Bruce, Steve. Why are women more religious than men. Oxford University press, USA, 2012.

Abstract

This paper deals with Muslim women in Western societies as a category bearing unique and distinctive features, The research problem is to study changes in characteristics of Muslim women in Western societies, and to identify the reasons why these women convert to Islam in recent times. The research aims to achieve a number of goals, among them is to identify characteristics of personal and social development for Muslim women in Western societies, to study the change in these characteristics compared to previous generations of Muslim women in those communities, and to focus on the importance of accommodating these changes by people concerned with Da'awah in the development of curricula and methods directed to these women. The research found a set of findings and recommendations, including: Muslim women in Western societies represent an independent group for Da'wah efforts, requiring attention and appropriate programs, Thus all Da'wah efforts must Note cultural characteristics and social development of this segment, these women's desire to integrate into Western society while retaining Islamic identity at the same time. There are a number of contemporary issues which concern women in Western societies, these issues could be addressed from the Islamic point of view, With emphasis on continuing to deliver correct picture about the Islamic religion for women in Western societies, particularly in the area of Islamic teachings about family, honoring parents, ties of kinship, and social solidarity ,

topics that draws the attention of women in Western societies in general, especially in view of the current disintegration, interruption of kinship and social bonds, and dwindling size of families in Western society. It is very necessary in this area to differ the approach used to address Muslim woman in West in the past, who was a housewife with modest education, used to live in her house and the family surrounded by a strange community, from the approach used to address the Muslim women in the West today, that educated woman who lives in her own country and enjoys all the rights and obligations. Paying more attention and proper planning for Da'wah efforts aimed at Muslim women in Western societies would make a big difference in the path of the Islamic Da'wah on one hand, and in the lives of these women on the other hand, strengthen their attachment to Islam the religion they choose, so they become the new voice of Da'wah in their communities and countries.

Key words:

Da'wah, female, Islam in the west, Islam

اتّجاه طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية نحو ممارسة العمل الدعوي
دراسة مسحية وصفية على عيّنة عشوائية من طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

د. هند مصطفى محمد الطيب شريفي

أستاذ الدعوة المشارك بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة طيبة

omasim6@hotmail.com

تاريخ التحكيم: ٨/ ٩/ ١٤٣٥ تاريخ الإجازة: ١٥/ ١١/ ١٤٣٥

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على اتجاهات طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة نحو القيام بواجب الدعوة إلى الله، وتكشف عن علاقة بعض العوامل التي تؤثر في هذا الاتجاه، وهي: اتجاههم نحو تخصصهم الأكاديمي، ورأيهم في مقررات الدعوة المتضمنة في خطة القسم، ومساندة البيئة الجامعية لهم للقيام بالدعوة إلى الله، وتعمل على طرح بعض المقترحات لتفعيل دورهم في الدعوة.

وقد أسفرت نتائج الدراسة التي طبقت على عينة عشوائية عددها (٥٩٠) طالبًا وطالبة عن اتجاه إيجابي نحو الدعوة بمتوسط (١١ , ٤)، بما يوضح شعورهم

بالمسؤولية الدعوية، وضرورة الدعوة للأفراد والمجتمعات، كما أظهرت اتجاهاً إيجابياً نحو تخصصهم الأكاديمي متوسطه (٤,٠٢) وبيّنت رغبتهم الكبيرة في إنشاء كلية للدراسات الإسلامية، ومواصلة دراساتهم العليا في التخصص، وكذلك أظهرت النتائج اتجاهاً إيجابياً نحو مقررات الدعوة المتضمنة في الخطة الدراسية وذلك بمتوسط (٣,٥٦)، وكشفت عن شعور الطلاب بأن دراستهم لها تقوي بناءهم العلمي الدعوي، وتكسبهم سعة الاطلاع، وتعزز جانب الدعوة لديهم، وقد ظهرت موافقتهم على مساندة البيئة الجامعية لهم بمتوسط (٣,٧٥)، وقد نالت المقترحات المذكورة لتفعيل دورهم في الدعوة إلى الله على موافقتهم بمتوسط (٣,٨٧) وأهمها: إنشاء نادي مخصص لإعداد الدعاة، إعداد دورات خاصة لهم للتدريب على الدعوة، إنشاء قسم خاص لتدريس الدعوة وعلومها.

وقد أظهرت الدلالة الإحصائية العلاقة الإيجابية الطردية بين محاور الاستبانة وبين الاتجاه نحو الدعوة إلى الله بشكل عام، وقد ظهرت الفروق الإحصائية بين الطلاب ذوي المستوى التحصيلي الممتاز وبين زملائهم ذوي المستوى الجيد من حيث اتجاههم نحو الدعوة، لصالح الممتازين، وظهر كذلك ارتفاع موافقة الطلاب عن الطالبات في اتجاههم نحو التخصص، وظهر كذلك الفرق بين طلاب المستوى الأول بأقل من طلاب المستويات الأخرى في اتجاههم نحو التخصص.

وأوصت الدراسة بتوعية المجتمع بمكانة الدعوة إلى الله، ونشر ثقافة المسؤولية الدعوية، والعناية بتأهيل أعضاء هيئة التدريس القائمين بتدريس مقررات الدعوة، وأهمية العناية باختيار طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية، والاهتمام بالجوانب التطبيقية في المقررات الخاصة بعلم الدعوة، والتوسع في مجال

المشاركة المجتمعية مع جهات دعوية خارجية، وإعداد برامج علمية أكاديمية لتدريب الأساتذة والطلاب على القيام بالدعوة، والعناية بإعداد الأبحاث والمشاريع العلمية المتعلقة بالدعوة.

الكلمات المفتاحية:

قسم الدراسات الإسلامية، الدعوة، الطلاب والطالبات، اتجاه الطلاب، تخصص الدراسات الإسلامية.

المقدمة

بعث الله تعالى نبينا محمد ﷺ رحمة للعالمين، وبيّن مهمته ﷺ في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[1]، فهداية الناس لطريق الخير والصلاح هي غاية رسالة الإسلام، ودعوتهم إلى الاستقامة على صراط الله المستقيم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؛ هي مهمة النبي ﷺ التي اصطفاه الله تعالى بها ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين، وهيّأ له الصحبة والأنصار الصادقين الذين حملوا –معه في حياته وبعد لحوقه بالرفيق الأعلى– هذا العلم والنور إلى العالمين، ثم ورث السلف الصالح هذه الأمانة أجيالا عديدة عاملين بها وداعين إليها، وناشرين لها في الآفاق.

وفي أيامنا هذه لا تزال تتجدد مهمة حمل هذه الرسالة على كل مسلم، فعلى «كل جيل من هذه الأمة أن يقوم بوظيفة تبليغ الإسلام ونشره في الأرض، مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل جماعات المسلمين، لصيانتهم وحمايتهم عن انتشار الفساد فيهم»[2]، فالدعوة إلى الله واجب الأمة كلها ومهامها لا تنحصر في أفراد قلائل، بل هي رسالة كل مسلم متبع للنبي ﷺ، ومهمة عظيمة كالدعوة إلى الله في حاجة إلى روافد عظيمة علمية وبشرية تحمل مسؤوليتها وتقوم بدورها المطلوب في المجتمع، سواء على نطاقها العام أو الخاص.

وللجامعات في بلادنا الإسلامية دورها الرائد في تنمية وصقل شخصية طلابها وطالباتها في مختلف النواحي، وفي إعداد الكوادر المؤهلة للقيام بما يعود بالنفع والبناء والتنمية على أوطانهم خصوصاً وعلى الأمة الإسلامية عموماً.

---

(١) سورة إبراهيم: ١.

(٢) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار القلم، دمشق، ط: ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ١/ ٢٦.

كما تحتل أقسام الدراسات الإسلامية مكانةً مهمة في جميع جامعات المملكة العربية السعودية، فلا تكاد تخلو جامعة من هذا القسم الأكاديمي العريق في أي جامعة تقدم التخصّصات المتنوعة، وذلك لما لها من دور مهم في تزويد المجتمع بالخبرات والكفاءات الدينية التي تحمل رسالة الإسلام للمجتمع تطبيقاً وتعليماً ونشراً للعلم ودعوةً للخير.

وخريجو هذه الأقسام الأكاديمية يتجهون بعد تخرجهم اتّجاهين اثنين: الأول هو سوق العمل، وخاصة في مجال التربية والتعليم وفي المؤسسات الدينية الدعوية سواءٌ منها الحكومية أو الأهلية أو الخيرية، والثاني هو الحياة الاجتماعية والعمل تطوعاً على أداء المسؤولية الدينية، ونشر وتبليغ ما حمله من العلم الشرعي، ودعوة الناس إلى صراط الله المستقيم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وحثّهم على الخير، وذلك عن طريق المؤسسات المعنية الخاصة بالدعوة إلى الله، ومن خلال الحياة الاجتماعية العامة، فالشعب السعودي شعب متدين بطبعه، شعب يستظل بالدين الإسلامي وشعائره، وللدين في نسيجه الثقافي مكانة سامية، وهو شعب ذو عقيدة صافية ترتبط بالأسس الشرعية الساعية إلى تحكيم وتطبيق شرع الله في حياة الأفراد والمجتمع.

وهذا العطاء الدعوي والإصلاح يتفاوت فيه طلاب وطالبات أقسام الدراسات الإسلامية، فبعضهم يشعر بمسؤوليته الدعوية ويباشر مهمة الدعوة إلى الله أثناء دراسته وبعد تخرجه، وبعضهم لا يشعر بها بالقدر الكافي، بل قد يحجم كثيرا عن المشاركة والحضور للأنشطة الدعوية، واهتمامه بالدعوة يعتمد –غالبا– على عدة أمور مثل: تنشئة الطالب الأسرية والعلمية، وموقفه واتّجاهه نحو الدعوة إلى الله، ومدى إدراكه لمسؤوليته الدعوية، ومدى تأثره بالعوامل المحيطة به خلال دراسته الجامعية، وإعداده للقيام بمهمته الدعوية، ولذلك أرادت الباحثة دراسة هذا

الموضوع دراسة علمية توضح هذا الموضوع تحت عنوان: «**اتّجاه طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية نحو ممارسة العمل الدعوي، دراسة مسحية وصفية على عيّنة عشوائية من طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة**».

أهمية الموضوع:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من المكانة الكبيرة للموضوع الذي تتناوله، وهو: الدعوة إلى الله، ومن اشتداد الحاجة إلى قيام كافّة حملة العلم الشرعي بواجبهم في تبليغ هذا العلم، ودعوة الناس والعمل على إصلاحهم، استجابة لأمر الله تعالى، وطلبًا للثمار الزكية المثمرة المترتبة على الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبما أن الدعاة لهم دور أساس وفاعل في القيام بالدعوة؛ فإن دراسة اتّجاه طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية -الذين يُتوقع قيامهم بهذا الدور بعد تخرجهم- نحو ممارسة الدعوة له أهمية كبيرة.

وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى استشعار الطلاب والطالبات لمسؤوليتهم الدعوية داخل الجامعة وخارجها، كما تكشف -بإذن الله- عن اتّجاههم نحو تخصّصهم الأكاديمي والعلاقة بينه وبين ممارستهم للدعوة، وهذا ما ستستخدمه الباحثة كمؤشّر على مدى حب ورغبة الطلاب في قسمهم الأكاديمي وشعورهم بالانتماء له، الأمر الذي يساعد المسؤولين في القسم على تطوير الخطة الدراسية التي تحقق رسالة القسم وتدعم الاتّجاهات الإيجابية لدى طلابه وطالباته، وتعين على مراعاة الأمور التي كوّنت الاتّجاهات السلبية لديهم، وذلك عند الحصول على التغذية الراجعة في هذا المجال.

كما أن هناك أهمية أخرى للدراسة تتمثل في تقنين وتطوير أداة لقياس اتّجاهات طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية نحو ممارسة العمل الدعوي

وفق أسس منهجية وعلمية، وهذا يتيح استخدام أداة الدراسة من قبل باحثين آخرين في كليات أو أقسام مشابهة.

إضافة إلى ما سبق تبرز أهمية الدراسة في أنها تُعد جزءاً مسانداً في عملية تقويم برنامج بكالوريوس الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة، ومدى تحقيق أهدافه، حيث إنها تقيس جانباً محدداً عند مخرجات أحد أقسامها الأكاديمية، وهذا أمر يساعد على تقييم وتطوير برامج الكلية لتكون فعّالة بشكل أفضل وتحقّق بالتالي رؤية ورسالة وأهداف الكلية.

كما تتوقع الباحثة أن تثمر هذه الدراسة عن عدد من المقترحات التي تمثل وجهة نظر طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية في متطلبات إعدادهم لهذه المهمة العظيمة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة -بعون الله- إلى ما يلي:

١) التعرف على اتّجاهات طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة نحو القيام بواجب الدعوة إلى الله.

٢) الكشف عن العوامل التي تؤثر في اتّجاه الطلاب والطالبات نحو الدعوة إلى الله من خلال معرفة اتّجاههم نحو تحصصهم الأكاديمي، ورأيهم في مقررات الدعوة المتضمنة في خطة القسم، ومدى مساندة البيئة الجامعة للطلاب والطالبات للقيام بالدعوة إلى الله.

٣) تحديد متطلبات تعزيز قيام طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية بالدعوة إلى الله من خلال التعرف على وجهة نظر عيّنة الدراسة.

٤) الكشف عن مدى اختلاف استجابات أفراد عيّنة الدراسة في اتّجاهاتهم باختلاف المتغيرات المستقلة الآتية: الجنس، المستوى الدراسي، المستوى

التحصيلي (المعدل التراكمي).

التعريف بمصطلحات الدراسة:

عنوان هذه الدراسة هو: اتّجاه طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية نحو ممارسة العمل الدعوي،

الاتجاه لغة من وجّه، يقال: اتجه إليه: أي أقبل بوجهه عليه، واتجه له رأي: أي سنح، وتوجّه: ذهب وأقبل[١].

والاتّجاه اصطلاحا هو: حالة من الاستعداد العقلي والعصبي التي تتكوّن أو تنتظم خلال التجربة والخبرة، والتي تسبب تأثيرا موجّها على استجابات الفرد لكل الموضوعات والمواقف التي ترتبط بهذا الاتّجاه، والاتّجاه هو الذي يحدد استجابة الفرد لمثيرات البيئة الخارجية ويكمن وراءه السلوك أو الاستجابة والتفاعل الذي نلاحظه، والإنسان يمتلك اتّجاهات متعددة نحو الأشخاص والأشياء الموجودة حوله وهذا يؤثر على تفاعله، وقد تكون هذه الاستجابات ودّية أو عدوانية، وقد تكون تعبيرا عن الاهتمام والإيجابية، كما إنها قد تكون تعبيراً عن اللامبالاة أو عدم الاحترام، ويتضمن الاتّجاه استجابات تعلّمها الفرد نتيجة للخبرات السابقة مثل خبرات الفشل والنجاح، أو خبرات السعادة والحزن، أو خبرات الثواب والعقاب، إضافة إلى أن الاتّجاه يكون –أحيانا– نتيجة للاتّجاه السائد في المجتمع الذي يعيش فيه، حيث إنه يتفاعل ويفسر الأحداث نتيجة هذا الاتّجاه[٢].

ويكتسب الفرد اتّجاهاته من خبراته الشخصية، ومن تأثير المؤسسات

---

(١) انظر، المعجم الوسيط، ٢/ ١٠١٥.

(٢) انظر، العيسوي، د.عبد الرحمن محمد: تفاعل الجماعات البشرية، الدار الجامعية، الإسكندرية، ط: بدون، ٢٠٠٦م. ص ١٩١-١٩٢.

الرسمية وغير الرسمية في مجتمعه كالأسرة والأصدقاء والمدرسة ووسائل الإعلام، ومن الثقافة السائدة في مجتمعه(١)، ويمكن التعرف على اتّجاهات الطلاب والطالبات من خلال سلوكهم وردة فعلهم، ومن خلال استجابتهم لأسئلة الدراسة، حيث إن السلوك هو الذي يعبر به الإنسان عن رأيه واتّجاهه.

أما الدعوة فتأتي في اللغة بعدّة معان، أهمها: الطلب، والنداء، والحثّ، والسؤال، والإمالة(٢).

ومن معانيها في الاصطلاح: تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه لهم، وتطبيقه في واقع الحياة(٣).

كما عُرفت بأنها: «حثّ الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل»(٤).

والعمل الدعوي: هو ما يقدمه الداعية –بشكل فردي أو جماعي– من جهود قولية وفعلية متنوعة، بهدف إصلاح الناس وحثّهم على الاستقامة على شريعة الإسلام، مبتغيًا وجه الله تعالى في نصحه لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم

---

(١) بتصرف، أبو عرقوب، د.إبراهيم: الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، عمان ط: ٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص٤٦، والعيسوي، د عبد الرحمن: تفاعل الجماعات الإنسانية، ص ١٩٤.

(٢) انظر، الزبيدي: محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية بالمنشأة الجمالية، مصر، ط: ١، ١٣٠٦هـ، فصل الدال من باب الواو ١/ ١٢٦.

(٣) انظر، البيانوني، محمد أبو الفتح: المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط: ٣، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. ص١٧.

(٤) محفوظ، علي: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، دار الاعتصام ودار النصر للطباعة، القاهرة، ط بدون، ت بدون ص١٧.

عن المنكر.

والمقصود بعنوان الدراسة: اتّجاه طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية بجامعة طيبة نحو القيام بالدعوة إلى الله، إدراكًا لأهميتها ومكانتها، ومشاركةً في أنشطتها، ويعبر عن اتّجاههم درجة أدائهم واستجاباتهم لأداة الدراسة.

أما طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية فهم الطلاب والطالبات المسجلون المنتظمون في الدراسة في قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة، أثناء تطبيق استبانة الدراسة، في الفصل الثاني من العام الجامعي ١٤٣٤هـ/ ١٤٣٥هـ.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

يُزوّد طالب قسم الدراسات الإسلامية بالمعرفة المنهجية العلمية لعلوم الشريعة، كما يُهيأ للقيام بمسؤولية نشر هذا العلم الذي تلقاه خلال دراسته، وبدعوة الناس إلى الاستقامة على الشريعة الإسلامية، وتقع مسؤولية إعداد هذا الطالب للدعوة على عاتق قسمه الأكاديمي، بما يتضمنه من أساتذة وخطة دراسية وأنشطة تصقل شخصيته وتنمي معارفه وتعزز اتّجاهه الإيجابي نحو الدعوة إلى الله، ويمكن تحديد مشكلة الدراسة الحالية في التساؤل الرئيس الآتي: ما اتّجاهات طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة نحو ممارسة العمل الدعوي؟ ويتفرع عنه التساؤلات الآتية:

١) ما أهمية القيام بالدعوة إلى الله؟

٢) ما الدور الدعوي المأمول من طالب وطالبة قسم الدراسات الإسلامية؟

٣) ما اتّجاه طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية نحو الدعوة إلى الله وممارسة العمل الدعوي؟

٤) ما اتّجاه طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية نحو تخصّصهم الأكاديمي؟

٥) ما رأي طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية في المقررات الدعوية المتضمنة في الخطة الدراسية في تخصّصهم؟

٦) ما رأي طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية في مساندة البيئة الجامعية لهم في ممارسة العمل الدعوي؟

٧) ما نوع العلاقة بين المتغيرات المذكورة (اتّجاه الطلاب نحو التخصّص، ورأيهم في المقررات الدعوية المتضمنة في الخطة الدراسية، ورأيهم في مساندة البيئة الجامعية لهم للقيام بالدعوة) وبين اتّجاههم نحو ممارسة العمل الدعوي؟

٨) ما اقتراحات طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية لتفعيل دورهم في الدعوة إلى الله؟

٩) هل تختلف اتّجاهات طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية نحو ممارسة الدعوة باختلاف الجنس، أو المستوى الدراسي، أو المستوى التحصيلي (المعدل التراكمي)؟

الدراسات السابقة:

لم تقف الباحثة على دراسات سابقة تكشف عن اتّجاهات شريحة محددة ذات مواصفات معيّنة، وهم: طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية نحو القيام بدور محدد مطلوب وهو: (الدعوة إلى الله)، مع ملاحظة بعض العوامل المحيطة المؤثرة في هذا الاتّجاه، بل وجدت دراسات أخرى ذات صلة بالموضوع وقد استفادت منها الباحثة، وهي كما يأتي:

١) دراسة عنوانها: **(الشباب السعودي والعمل الدعوي)** د. سليمان عبد الله

العقيل[١]، وقد هدف الباحث إلى استطلاع آراء الشباب السعودي حول الاعتقاد بأهمية العمل الدعوي التطوعي، ومدى اختلاف اتّجاهاتهم باختلاف متغيرات الدراسة، وتكونت عيّنة البحث من مجموعة من طلاب كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض، المسجلين في المستوى الأول والمستوى الأخير في أقسام الكلية، وبلغ عددهم (٤٩٢) طالبا وطالبة، وقد اعتمد الباحث في مقياسه على (١٢) فقرة تجيب عن أسئلة الدراسة، وكشفت الدراسة عن أن الشباب السعودي –ذكوراً وإناثا– وفي مختلف التخصّصات والمستويات الدراسية ذوو توجه عال نحو التدين والعمل الدعوي، وذلك رغم تفاوت المستوى العلمي للوالدين، واختلاف أعمال الوالدين، وكذلك الدخل الشهري للأسرة.

٢) دراسة عنوانها: **(عزوف الطلاب عن الالتحاق بمعاهد الدعوة الإسلامية، أسبابه وعلاجه)** د. يحيى هاشم حسن فرغل[٢]، وقد ناقش فيها الباحث أسباب عزوف الطلاب عن الالتحاق بمعهد الدعوة في جامعة الأزهر مقارنة بغيره من التخصّصات الشرعية، وتوصل إلى مجموعة من الأسباب الخارجية التي لا تتعلق بالمعاهد ذاتها بل ترتبط بعوامل أخرى مثل: الطموح الشخصي لدى الطالب وتعارضه مع الوظيفة المنتظرة وتدني أجرها، وبعض العقبات التي تعترض طريق الدعاة وما قد ينشأ بينهم من خلافات، والظروف النفسية التي تتكون عند بعض الدعاة في بعض المجتمعات نتيجة علاقتهم بأفراد المجتمع، كما ذكر أسباباً أخرى

---

(١) بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، (عدد٤٠) شوال ١٤٢٣هـ.

(٢) بحث من بحوث مؤتمر دور الجامعات الإسلامية في تكوين الدعاة، رابطة الجامعات الإسلامية، ج٢، ١٩٨٧م.

داخلية ذات علاقة مباشرة بالمعاهد نفسها، ومنها: ضعف مستوى الطالب المقبول فيها من حيث لغته العربية وحفظه للقرآن الكريم، وعدم إحكام الخطط الدراسية الخاصة بمعاهد الدعوة وتشابهها بشكل كبير مع كليات أصول الدين، إضافة إلى انقطاع صلة الطلاب بمعاهدهم بعد التخرج، وضعف الإمكانات المادية التي تساعدهم على القيام بوظيفتهم الدعوية، وغياب المشروعات الدعوية المستندة على التخطيط العلمي المركزي، وذكر الباحث عدة مقترحات لعلاج المشكلة.

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة الحالية على طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية المنتظمين في الدراسة في جامعة طيبة، وقد تم تطبيق أداة الدراسة على أفراد عيّنة الدراسة في الشهر الثاني من الفصل الدراسي الثاني في العام الجامعي ١٤٣٤هـ/ ١٤٣٥هـ.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي المسحي، للإجابة عن أسئلة الدراسة وفروضها وهو «أسلوب في البحث يتم من خلال جمع معلومات وبيانات عن ظاهرة ما، أو حادث ما، أو شيء ما، أو واقع، وذلك بقصد التعرّف على الظاهرة التي ندرسها، وتحديد الوضع الحالي لها، والتعرّف على جوانب القوة والضعف فيه، من أجل معرفة مدى صلاحية هذا الوضع أو مدى الحاجة لإحداث تغييرات جزئية أو أساسية فيه»[(١)].

---

(١) عبيدات، د.ذوقان ود. عبد الرحمن عدس ود. كايد عبد الحق: البحث العلمي، مفهومه، أدواته، أساليبه، دار أسامة للنشر والتوزيع، الرياض، ط: بدون، ١٩٩٧م، ص ٢٣٣.

تقسيم الدراسة:

تنقسم الدراسة إلى مقدمة وفصلين وخاتمة، تتضمن المقدمة: أهمية الدراسة وأهدافها، والتعريف بمصطلحاتها، ومشكلتها وتساؤلاتها، والدراسات السابقة، وحدود الدراسة ومنهجها.

وتوضيح الفصلين كما يلي:

الفصل الأول: الجانب النظري من الدراسة

مدخل إلى الدراسة.

المبحث الأول: أهمية القيام بالدعوة إلى الله.

المبحث الثاني: الدور الدعوي المأمول من طالب وطالبة قسم الدراسات الإسلامية.

الفصل الثاني: الجانب الميداني من الدراسة

المبحث الأول: إجراءات الدراسة الميدانية.

المبحث الثاني: عرض وتحليل نتائج الدراسة الميدانية.

المبحث الثالث: النتائج والتوصيات.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج وتوصيات الدراسة.

مدخل إلى الدراسة

تنبع رسالة الدعوة إلى الله من الوحي الإلهي الكريم، ومن الهدي النبوي المطهر، ومن مهام التعليم الجامعي أن يعزز هذه الرسالة في نفوس طلابه، لأنها تحمل خصائص الأمة الإسلامية التي تنفرد عن غيرها وتتميز عليها بقيامها بها، وتحقق بها خيريتها، كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(١).

ومن الغايات الأساسية للجامعات ومسؤولياتها أن تخرج طلابا يقفون حياتهم لخدمة مجتمعهم وأمّتهم، ويستعدون للتضحية والبذل لرفعتها، ويصرفون أوقاتهم وقواهم الفكرية ومؤهلاتهم العلمية في سبيل ذلك، كما يستثمرون الرصيد العلمي الذي زودتهم به الجامعة من خلال تخصّصاتهم الأكاديمية في سبيل رفع رأس الأمة عاليـًا، وفي بناء وتنمية وإصلاح وطنهم، بل إن الغاية الأولى من التعليم أن يعمّق في عقول الطلاب وقلوبهم ما تحمله أمتهم من عقيدة وقيم ومفاهيم، وأن يساعدهم على فهم ذلك وحفظه ليصبح جزءاً من نسيجهم الثقافي، لا أن يوجد فجوة بين الطالب وبين ما تعتز به أمته وما تتبناه من معتقدات وتصورات وتراث حضاري وعلمي، كما إنه من الخطأ وغير المقبول أن يكون هذا التعليم مشككا أو مزعزعا لعقيدة الطلاب وقناعاتهم بالأوامر الإلهية –سواء عن قصد أو غير قصد–، لأن هذا سيتجاوز الأفراد إلى فكر وثقافة المجتمع، وقد يتحول إلى صراع بين الجيل المثقف وبين تصورات ومعتقدات الأمة(٢).

---

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

(٢) انظر: الندوي، أبو الحسن علي الحسن: دور الجامعات الإسلامية المطلوب في تربية العلماء، وتكوين الدعاة، وحماية الأقطار الإسلامية من التناقض والمجابهة، مقالة أعدت لمؤتمر تكوين الدعاة الذي عقدته رابطة الجامعات الإسلامية بالقاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، من ص ٢٢٨–٢٣٨.

ولا يكفي لعلو قيمة أي جامعة إسلامية أو قسم أكاديمي أن يكون خريجها من ذوي القدرات العالية، لوكان ضعيف التأثير أو منعدم النفع لمجتمعه، بل تعظم قيمتها وتعلو إذا ساهمت في خدمة مجتمعها، وكان خريجها من الأفراد الذين يقفون حياتهم لنشر العلم والثقافة الإسلامية، وكان ممن يحرصون على خدمة الدين والعلم والوطن والأمة، فذلك هو المقياس الحقيقي الذي تقاس به جودة الجامعات والتخصّصات، لذلك فإن من المهم أن يعي أفراد المجتمع المسلم أن مجرد التعليم والتأهيل لشغل الوظائف وسدّ حاجة سوق العمل؛ لا يكفي للقيام بالمسؤولية، بل لا بد أن يرافق ذلك عمل دؤوب لتقديم الخير والنفع، والشعور بالمسرؤولية لبناء المجتمع في أي جانب يتناسب مع التخصّص الذي يحمله هذا الفرد.

ومن الملاحظ أن المتغيرات والمستجدات المعاصرة تتطلب من الفئة المسؤولة والمستأمنة على الدعوة الإسلامية في الجامعات الإسلامية أن تعمل على إعداد الدعاة إلى الله على هيئة وكيفية خاصة تتلاءم مع ثقافة العصر الحالي ومتغيراته التقنية، مع قدرة عالية على التعامل بحكمة مع المعوقات والعقبات التي تعترض طريق الدعوة الإسلامية كل يوم بشتى أصناف المشكلات.

وهذا يعطي بعداً خاصاً لموضوع الدراسة، مضمونه: أن على أقسام الدراسات الإسلامية في الجامعات أن تعمل بوسيلة أو بأخرى على اختيار وإعداد العناصر البشرية التي تعنى وتمثل مسؤولية حمل هذا الهمّ، فتكوّن من خريجي وخريجات هذه الأقسام نخبة تسير لأداء رسالة الدعوة على ضوء القرآن والهدي النبوي، وهي ثغرة مهمة ينتظر المجتمع من أقسام الدراسات الإسلامية سدادها، فإعداد الكوادر التي تبلغ دين الله تعالى للناس، أمر واجب على الأمة الإسلامية التي اختارها الله تعالى، «وهذا الواجب تتحمل الأمة الإسلامية جميعها مسؤولية تهيئة ما يلزم للقيام به على الوجه المطلوب، ومن ذلك تهيئة وإعداد من يقوم بالدعوة

الرصينة الحكيمة إلى دين الله، وتبليغه للناس مهما اختلفت أجناسهم ولغتهم»[(١)]، ومن المعلوم أن خدمة المجتمع تعدّ من الوظائف الهامة التي تقدمها الجامعات، إلى جانب وظيفيتيها الأكاديميتين: التعليم والإعداد لسوق العمل، والبحث العلمي.

مع الأخذ في الحسبان بأن هناك العديد من المؤسسات المجتمعية والتربوية والدعوية التي لها أثرها البيّن في تعزيز الشعور بالمسؤولية الدعوية لدى أفراد المجتمع ومنهم الشباب (الطلاب والطالبات)، ومن المهم هنا السعي لتحقيق التناسق والتكامل بين دور هذه المؤسسات وبين أقسام الدراسات الإسلامية في جامعاتنا لتحقيق هذا الهدف.

إضافة إلى أن معظم -بل كل- جامعاتنا في المملكة العربية السعودية تتضمن وحدات خاصة بالدعوة والتوعية الإسلامية، إلى جانب الإدارات الخاصة بالأنشطة الطلابية، التي تتيح الفرصة للطلاب والطالبات لممارسة النشاط والعمل الدعوي بين طلاب الجامعة، غير أنه من الملاحظ تفاوت الطلاب والطالبات بين إقبالهم أو عزوفهم عن المشاركة في الأنشطة الدعوية والتوعوية، لذلك فإن من الأهمية بمكان معرفة اتّجاه الطلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية نحو ممارسة الدعوة إلى الله، ومدى إدراكهم لهذا الدور المأمول منهم.

---

(١) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٤٧.

المبحث الأول
أهمية القيام بالدعوة إلى الله

تنطلق مسؤولية القيام بالدعوة لدى جميع أفراد المجتمعات المسلمة من قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١)، وهو خطاب لكافة المسلمين، فقد أوجب الله تعالى عليهم أن تقوم منهم طائفة بوظيفة الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيقا للغاية من الخلق والمذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٢)، وحفظا لشريعة الله من أن يتجاوز حدودها المعتدون، قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادة الله لمتضمنة لمعرفته ومحبته والإنابة إليه والإقبال عليه والإعراض عما سواه، وذلك متوقف على معرفة الله تعالى، وكلما ازداد العبد معرفة بربه؛ كانت عبادته أكمل(٣).

ومن الأمور التي تؤكد مكانة وأهمية القيام بالدعوة إلى الله تعالى ما يلي:

١) إنها مهمة الأنبياء السابقين كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(٤)، «وقد جرت سنة الأنبياء والمرسلين والسلف الصالحين على الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(٣) رضا، السيد محمد رشيد: تفسيرالقرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار)، ط: ٢، بدون تاريخ، دار المعرفة بيروت، ٤/ ٣٢.

(٤) سورة النحل: ٣٦.

وإن كان محفوفا بالمكاره والمخاوف»[١]، وهي رسالة نبينا محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٢]، ولا شك بأنها من أعظم القربات لله تعالى الذي أمر المسلمين باتباع رسوله ﷺ وسلوك سبيله، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ... ﴾الآية[٣]، فهي حقّ لله تعالى، وهي نصرة لدينه، إضافة إلى أنها من صفات المؤمنين الفريدة التي تميزهم عن غيرهم كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ بِخَلَقِكُمْ ... ﴾ الآية[٤]، فجعل الله تعالى القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه الدعوة إلى الله من أبرز أوصاف المؤمنين.

٢) إن للدعوة آثاراً مباركة تخلفها على المجتمعات، فقيام المسلمين بها بشكل صحيح يؤدي بتوفيق الله إلى صلاح المجتمع واستقامته وفلاحه، والوظيفة التي يؤديها الدعاة إلى الله تهدف إلى تغيير نفوس وقلوب المدعوين إلى الأفضل، وتسعى إلى تقويم أي اعوجاج يظهر في المجتمعات، كما تعمل على تكافل وتكامل البناء الاجتماعي للمجتمعات بما تبث فيه من خير، «ذلك أن العمل الدعوي يشمل مجموعة من القضايا التي تعمل على توازن المجتمع واستقراره واستمرارية حياة المجتمع، من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الفضيلة»[٥].

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٧، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٧٥٥.

(٢) سورة يوسف: ١٠٨.

(٣) سورة الأحزاب: ٢١.

(٤) سورة التوبة: ٧١.

(٥) العقيل، د سليمان عبد الله: الشباب السعودي والعمل الدعوي، بحث منشور في مجلة جامعة =

كما تؤدي الدعوة إلى الله إلى بعد المجتمعات عن الانحراف المهلك، وهذا مطلب كل إنسان عاقل، وقد ضرب النبي ﷺ مثلا بليغا لأثر الدعوة إلى الله في حفظ المجتمعات بقوله: «مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَتَأَذَّوْا بِهِ، فَأَخَذَ فَأْسًا، فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَأَتَوْهُ، فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي، وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ»(١)، وبقدر صلاح المجتمع وخيريته ومحافظته على العقيدة والأخلاق؛ تكون شخصيات أفراده سوية متزنة إيجابية، وبقدر ما يكون المجتمع طالحا ومتحللا وفاسدا؛ سيكون أعضاؤه جانحين عن طريق الصواب بعيدين عن الخير والعطاء.

٣) إن الخيرية سمة مميزة للقائمين بالدعوة إلى الله والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(٢)، وتكرار كلمة الخير في الآيات القرآنية يعطي دلالة على اتساع مدلول هذه لكلمة لتشمل كل أنواع الخير التي يمكن أن يدعو لها المسلم، وقد قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

=

الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (عدد٤٠) شوال ١٤٢٣هـ، ص ٥١٠.

(١) البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ، وسننه وأيامه (الشهير بصحيح البخاري)، دار السلام الرياض، ط: ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، كتاب الشركات، باب القرعة في المشكلات، ح ٢٦٨٦.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(١)، قال الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الخير هو اتباع القرآن والسنة، والمقصود من الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه(٢)، وبقدر علمه وقدرته، والداعية المسلم يعلم حثّ الإسلام على المبادرة بفعل الخير، وتقديمه للآخرين دون كسل أو تباطؤ، بل إنه جعل فعل الخير من أسباب الفوز والفلاح كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٣)، و«الشخصية الإسلامية تهتدي إلى فعل الخير وتنجذب إليه، ونادرا ما تحتاج إلى من يبصرها به أو يدلها عليه إذ فعل الخير هو الكمال الذي تنشده وتحس من خلاله بالسعادة والارتياح»(٤)، والأمر بالمعروف النهي عن المنكر والدعوة إلى الخير من أهم أفعال الخير التي تبادر إليها الشخصية الإسلامية وذلك لحاجة المجتمع الماسّة إليها، ولعظم آثارها في المجتمع.

٤) وقوع التقصير العام من المسلمين في تحقيق حدّ الكفاية لهذه الشعيرة الواجبة، وغفلتهم عن ضرورة أداء هذه الفريضة، وذلك يرجع لعدة أسباب من أهمها(٥): الشبهات التي تثار حول وجوبها وأهميتها، مثل تعارضها مع الحرية

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٢) بتصرف، الحافظ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، كتاب الشعب القاهرة، ط بدون، ٢/ ٧٥.

(٣) سورة الحج: ٧٧.

(٤) التركي، د ناصر عبد الله ناصر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط: ١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، ص٣٦٦.

(٥) للاطلاع على بعض الشبهات المثارة حول الاحتساب انظر: شبهات حول الاحتساب: د =

الشخصية، أو إعراض الناس عن الاستجابة للدعاة ونصحهم، أو ما يظنه البعض بأن القائم بالدعوة والاحتساب لا بد أن يكون إنسانـًا كاملاً سليمـًا من المعاصي وهو أمر مستحيل، فالعصمة لأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم، وكذلك اعتقاد أن صلاح الإنسان في نفسه يكفيه للنجاة في الدنيا والآخرة، فلا يتعلق به أو يجب عليه إصلاح الآخرين وهدايتهم، إضافة إلى الفهم الخاطئ لمفهوم الفرض الكفائي والتهاون فيه عند من يرى أن حكم الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إلى غير ذلك من الشبهات التي تثور في نفس المسلم وتؤدي إلى تقاعسه عن القيام بالدعوة إلى الله.

ومما يزيد من تقصير المسلمين في القيام بالدعوة إلى الله أنها من الأعمال التطوعية التي قد لا يجد لها الإنسان أجراً دنيويـًا، لأن الأجر والثواب والمصلحة المترتبة للداعية القائم بالدعوة هو أجر أخروي، إذ أن الداعية المخلص الساعي لهداية الآخرين وصلاحهم ودلالتهم على الخير، لا ينتظر الأجر إلا من الله كما قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، ونفوس البشر مجبولة على حب النفع العاجل المحسوس، والميل إليه أكثر من الآجل المعنوي، ولكن الداعية «المسلم ينظر إلى الحياة نظرة متميزة عن غيره من الناس، فهو لا ينظر إلى الدنيا بعين المنفعة العاجلة وعلى أنها الغاية، لأنه يعلم أن بعدها حسابا وجزاء، وإنما يتطلع إلى حياة هنيئة، يلتزم فيها بشرع الله سبحانه وتعالى، وما حدّد له من مسؤوليات، وما فرض عليه من واجبات»[2].

=

فضل إلهي ظهير، وأصول الدعوة: د عبد الكريم زيدان.

(١) سورة الأنعام: ٩٠.

(٢) التركي، د ناصر عبد الله ناصر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، ص٣٥٧.

المبحث الثاني

الدور الدعوي المأمول من طالب وطالبة قسم الدراسات الإسلامية

قد يتساءل القارئ لماذا يُطلب من طالب وطالبة قسم الدراسات الإسلامية القيام بالدعوة إلى الله والمشاركة في الأعمال الدعوية أكثر مما يطلب من غيرهما من طلاب التخصّصات الأكاديمية الأخرى، رغم أن الجميع أعضاء مجتمع مسلم واحد؟ ويمكن تلخيص الإجابة في السطور التالية:

للدعوة إلى الله أثر إيجابي في نفس المسلم، فهي تثمر الرضا الداخلي عن الذات، لأن الداعية يتذكر دوما بأنه يسير في ركب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنه يقدم طوعـًا للآخرين من جهده ووقته في سبيل تعليم الناس شرع الله ودينه، وهذا الرضا الداخلي له أهمية بالغة في «تشكيل الشخصية الإنسانية، وطبعها بطابع التفاؤل وإشاعة الأمل فيها، وإسعادها وتقوية عزيمتها مما يجعل للفرد دوراً إيجابيـًا في صنع حياته، وبلوغ أهدافه، والمشاركة في خدمة جماعته وتحقيق غاياتها، ورعاية مصالحها، وصون تماسكها وقايتها من عوامل التفكك والانحلال»[(١)]، وهذا الأثر المبارك للقائم بالدعوة هو مبتغى كل مسلم في أي مكان.

وكذلك فإن الإسلام يجمع في نظرته للمسلم بين الفردية والجماعية، فهو فرد ذو كيان مستقل وإرادة ذاتية، وهو عضو في مجتمع يعيش من خلاله ولا يستغني عنه طيلة حياته، ولا بد أن يقوم بواجباته وتكاليفه تجاهه بكل صدق وأمانة، في حدود قدراته وإمكانياته، فيعين مجتمعه على الخير، ويسعى إلى ما فيه صلاحه، ويحمي عقيدته، ويصون أخلاقه، ويقوي من تماسكه وترابطه، وأقدر الناس على ذلك هو المتفقه في دين الله، العالم بأسس شريعته.

---

(١) الزنتاني، د عبد الحميد الصيد: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ط: ٢، ١٩٩٣، ص٣١٧.

ويخاطب طالب قسم الدراسات الإسلامية بطلب القيام بالدعوة إلى الله تعالى للأسباب التالية:

١) لأن توافر المعرفة الدينية لدى طالب قسم الدراسات الإسلامية تجعله حريصا على تفع الآخرين وتقديم النصح لهم حرصا على كسب الأجر ودلالة الناس على الخير، فطالب العلم الشرعي يتحمل مسؤولية تأدية زكاة ما يحمله من العلم، مصداقا لقوله ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»(١)، إضافة إلى أن تقصير طالب العلم الشرعي في التبليغ وفي الأمر بالمعروف والنهي يخشى عليه أن يدخله في الوعيد ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾(٢)، فقد جاء الذمّ في الآية الكريمة لعلماء اليهود والنصارى على تركهم نهي أصحاب المنكر ووبخهم بقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ كما وبخ قبلهم من يسارع في اقتراف المحرمات والمنكرات بقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾، «ودلّت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر، فالآية توبيخ للعلماء في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»(٣).

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة: الجامع الصحيح وهو: سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، مصر، ط: ٢، ١٣٩٥هـ، وقد صححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: صحيح سنن الترمذي، ح ١٩٧٠، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط: ١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(٢) سورة المائدة: ٦٣.

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء الترث العربي، بيروت، ط بدون، ١٩٦٥م، ٦/ ٢٣٧.

٢) لأن طالب القسم من خلال دراسته لمقررات قسمه هو أولى الناس بالقيام بنشر العلم الشرعي ودعوة الغير إلى التفقه في الدين، والعلم الشرعي الذي ينشّئ الطالب على الأخلاق القويمة، ويغرس في نفسه الفضائل والصفات الحميدة، ويقوي علاقته بربه، ويعزز الوازع الديني داخل قلبه؛ يحمّله المسؤولية تجاه ربه تعالى تجاه دينه ونفسه وأهله ومجتمعه.

٣) أن للعلم أثراً مباركـًا في قبول المدعوين للدعوة وفي تزكية الداعية، واحتياطـًا له من الاتهام بالقصور وبالتقوّل على الله تعالى دون علم، لذلك فإن توافر العلم هو أول شروط القائم بالدعوة إلى الله، وصاحب العلم الشرعي هو المخاطب بالقيام بالدعوة بدلا من أن يتصدى لذلك صاحب البضاعة القليلة غير المتمكن من العلم الشرعي، ولا يكفي أن يكون المتحدث قوي البيان، بل لا بد من الحجة الشرعية القوية، كي لا يتصدر للدعوة غير الأكفاء «فالدعوة إلى طاعة الله بعد إحكام العدة، والحصول على كامل الذخيرة، والخبرة التامة بأساليب الإقناع ووسائل التأثير، هو سبيل الحكمة في الدعوة الذي يحقق به الداعية مقصوده»[(١)]، وعلى طالب العلم الشرعي إفادة الآخرين بعلمه، فيدعوهم إلى اتباع صراط الله المستقيم وإلى الاستقامة على هدي الإسلام، معززاً دعوته بالتزامه الديني والخلقي في سلوكه قبل دعوته، وهذا يؤثر فيمن يدعوهم أكثر وأعمق من تأثرهم بدعوته القولية.

٤) لأن طالب القسم يُهيأ علميـًا وأكاديميـًا للقيام بواجب الدعوة، حيث تتضمن خطة قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة عشر ساعات إجبارية مخصصة للمقررات الدعوية، وهذه المقررات تتضمن في

---

(١) محفوظ، علي: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، ص ٦٩.

توصيفها ومفرداتها وأهدافها ما يهيئ طالب وطالبة قسم الدراسات الإسلامية للقيام بالدعوة إلى الله، وهذه المقررات هي: المدخل إلى علم الدعوة، منهج الدعوة في القرآن والسنة، خلق المسلم، تاريخ الدعوة، الدعوة السلفية، إضافة إلى أربع ساعات اختيارية يختار فيها الطالب مقرراته الحرة من بين مجموعة من المقررات ومن ضمن هذه المقررات: تطبيقات دعوية، ودعوة غير المسلمين، كما أن وجود معهد الأئمة والخطباء في الجامعة، الذي يقدم الدبلوم العالي في إعداد أئمة المساجد، وكذلك إتاحة برنامج ماجستير الدعوة مما يذكي هذا الموضوع عند الطلاب والطالبات.

٥) لأن قيام طالب وطالبة القسم بالدعوة إلى الله واستشعارهما لمسؤوليتهما في تقديم الخير للآخرين مما يحقق رسالة قسم الدراسات الإسلامية وأهدافه، إذ إن من بنود رسالة القسم وأهدافه المتوافقة مع أهداف الدعوة إلى الله ما يلي:

١ – إعداد كفاءات متميزة بالعطاء والإبداع للإسهام في خدمة المجتمع.

٢ – نشر منهج الوسطية الإسلامية في جميع المقررات الدراسية.

٣– ترسيخ الهوية الإسلامية وتعزيز روح الانتماء الديني في نفوس الطلاب والطالبات.

٤ – غرس الأسس العلمية والعقيدية والفقهية والأخلاقية في طلاب القسم.

٥ – تهيئة الكفاءات العلمية لتلبية حاجات المسلمين.

ورغم أن الأسباب المذكورة مما يؤكد مسؤولية طالب قسم الدراسات الإسلامية نحو الدعوة إلى الله تعالى، إلا أن هناك عوامل عديدة تشكل اتّجاه الطالب نحو الدعوة إلى الله وتكوّن شخصيته وقيمه، منها عوامل ذاتية ترتبط بقدراته وما فطره الله تعالى عليه من استعدادات، ومزاجه النفسي وانفعالاته المتنوعة وعواطفه، ومنها خلفيته الثقافية وخبراته السابقة وتجاربه وميوله واهتماماته، إضافة

إلى عوامل البيئة المحيطة به وأهمها تنشئته الأسرية وأقرانه وأترابه الذين يشاركونه حياته العلمية والعملية ولهوه وأنشطته المتنوعة، ومنها مجتمعه وما يسود فيه من قيم ومبادئ أخلاقية واجتماعية، وما ينتشر بين أفراد المجتمع من عادات وأعراف واتّجاهات مختلفة، وهذه الدراسة ستركز على عوامل ترتبط بالبيئة الجامعية فقط وهي: اتّجاه الطالب نحو تخصّصه الأكاديمي، ورأيه في المقررات الدعوية التي يدرسها ضمن خطته الدراسية، ومدى مساندة وتشجيع البيئة الجامعية للقيام بالدعوة.

ومعرفة اتّجاه الطلاب والطالبات نحو ممارسة الدعوة لها تأثير فعال في سلوكهم، فالسلوك البشري يعتمد بدرجة كبيرة على اتّجاه الإنسان نحو القضايا المثارة حوله، والسلوك هو ترجمان شخصيته، وهو المعبر عن مكنون نفسه، وهو التعبير المحسوس الذي تتجسد فيه مشاعر الإنسان وأحاسيسه، كما أنه يضفي على إدراكهم ونشاطهم الدعوي معنى مهما ويساعدهم على إنجاز أهدافهم الدعوية عند رغبتهم بذلك، وتعد دراسة هذا الاتّجاه نحو الدعوة من أهم طرق تفسير سلوكهم كدعاة، وعلى التنبؤ بالاحتمالات الإيجابية أو السلبية التي ستؤثر على تفاعلهم مع مجتمعهم فيما بعد، لأن معرفة اتّجاه أي فرد نحو عمله أو أفعاله ينعكس على أدائه لهذا العمل، ويبين مدى تقبله للأمر، فيمكن للطالب ذي الاتّجاه الإيجابي نحو الدعوة أن يزرع الثقة في نفوس من حوله، وأن يساعدهم في التقبل والتفاعل مع ما يدعوهم إليه، كما يمكن للمسؤولين عن العملية التعليمية ملاحظة الاتّجاه السلبي لدى الطلاب والطالبات ومحاولة تعديل هذا الاتّجاه، ومعالجة جوانب القصور في مسيرته العلمية في القسم.

وهذا ما تأمل أن تحققه نتائج الفصل الميداني من هذه الدراسة بإذن الله.

الفصل الثاني

الجانب الميداني من الدراسة

تتميز الدراسات الميدانية بالفائدة الجمّة التي تُجنى من ورائها، فهي تعمل على الحصول على حقائق ومعلومات تصوّر الواقع وتحلّله بشكل دقيق، يساعد على حل مشكلة البحث والإجابة عن تساؤلاته، إضافة إلى أنها تُسهم في تحديد وتفسير العلاقات السببية والآثار الظاهرة على ساحة الواقع، وتساعد على معرفة اتّجاهات وآراء المبحوثين وتجاربهم بشكل عام، كذلك فإنها تعطي فرصة كبيرة لتعميم نتائجها على الشرائح المماثلة في المجتمع، وهذا يساعد على التخطيط المستقبلي للدعاة والمصلحين والمربين.

ويتناول هذا الفصل عرضـاً لمنهج الدراسة الميدانية، وتحديداً لمجتمعها وعينتها، والإجراءات التي اتُبعت في تطبيقها، كما يتضمن عرضـاً وتحليلاً للنتائج التي خرجت بها الباحثة، ويتم ذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: إجراءات الدراسة الميدانية.

المبحث الثاني: عرض وتحليل نتائج الدراسة الميدانية.

المبحث الثالث: النتائج والتوصيات.

المبحث الأول
إجراءات الدراسة الميدانية

منهج الدراسة:

يعتمد هذا الفصل على المنهج المسحي وهو المنهج الأنسب لتحقيق أهداف الدراسة، والمسح هو: «أسلوب في البحث يتم من خلال جمع معلومات وبيانات عن ظاهرة ما، أو حادث ما، أو شيء ما، أو واقع، وذلك بقصد التعرف على الظاهرة التي ندرسها، وتحديد الوضع الحالي لها، والتعرف على جوانب القوة والضعف فيه، من أجل معرفة مدى صلاحية هذا الوضع أو مدى الحاجة لإحداث تغييرات جزئية أو أساسية فيه»[(١)]، ويعبّر عن إجابات عيّنة الدراسة تعبيرا كمّيًا وكيفيًا، بحيث تؤدي النتائج إلى التعرّف على اتّجاه الطلاب نحو الدعوة وممارستها، وفهم العلاقة بين اتّجاه الطلاب نحو الدعوة إلى الله وبين العوامل المؤثرة فيها، إضافة إلى استنتاجات تساعد في تطوير واقعهم نحو الدعوة إلى الله.

أداة الدراسة:

تمت الاستعانة بأدبيات الدراسات السابقة، التي درست اتّجاه الطلاب في قضايا متنوعة، في بناء محاور وعبارات استبانة الدراسة، وقد تكونت أداة الدراسة في صورتها النهائية من جزئين:

الجزء الأول: تضمن البيانات الأولية المطلوبة من عيّنة الدراسة، وقد تمثلت في: الجنس، المستوى الدراسي، المستوى التحصيلي.

والجزء الثاني: تضمن الفقرات التي تقيس الاتّجاه لدى الطلاب والطالبات

---

(١) عبيدات، د.ذوقان ود. عبد الرحمن عدس ود. كايد عبد الحق: البحث العلمي، مفهومه، أدواته، ص ٢٣٣.

نحو الدعوة إلى الله، وبعض العوامل المؤثرة فيها والمرتبطة بها وهي: الاتّجاه نحو التخصّص الأكاديمي، ونحو مقررات الدعوة المتضمنة في خطة قسم الدراسات الإسلامية، ومساندة البيئة الجامعية للطلاب والطالبات في القيام بالدعوة إلى الله، ثم رأيهم في مجموعة من المقترحات التي تفعل دورهم في الدعوة إلى الله.

ويقاس ذلك بالدرجة التي يحصل عليها بناءً على استجابته التي يختارها من عبارات المقياس، الذي تم تصميمه على مقياس ليكرت لخماسي، وبُنيت معظم الفقرات بالاتّجاه الإيجابي، وأعطيت الأوزان التالية: موافق جداً (٥)، موافق (٤)، محايد (٣)، غير موافق (٢)، غير موافق أبداً (١).

أما الفقرات السلبية فقد قُلبت الأوزان لتُصبح كما يأتي: موافق جداً (١) موافق (٢)، محايد (٣)، غير موافق (٤)، غير موافق أبداً (٥).

وتتضمن هذه الدراسة خمسة محاور تقيس بمجموعها اتّجاه طالب وطالبة قسم الدراسات الإسلامية نحو الدعوة إلى الله، وهو مجموع درجات إجابة الفرد الإيجابية والسلبية الناتجة عن استجاباته المتعلقة بمحاور الدراسة، وتوضيحها كما يلي:

المحور الأول: اتّجاه طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية نحو الدعوة إلى الله وممارسة العمل الدعوي، ويتضمن هذا المحور (١٦) عبارة منها (٣) عبارات سلبية هي العبارات رقم (١، ١٠، ١٥).

المحور الثاني: اتّجاه طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية نحو تخصّصهم الأكاديمي (الدراسات الإسلامية)، ويتضمن هذا المحور خمس عبارات، منها عبارة واحدة سلبية هي رقم (٤).

المحور الثالث: اتّجاه طالب وطالبة قسم الدراسات الإسلامية نحو مقررات الدعوة المتضمنة في خطتهم الدراسية بقسم الدراسات الإسلامية، ويتضمن (١٠)

عبارات، منها (٣) عبارات سلبية هي رقم (٢، ٦، ٨).

المحور الرابع: رأي الطلاب في مساندة البيئة الجامعية لهم للقيام بالدعوة إلى الله، ويتضمن المحور (٦) عبارات) إيجابية.

المحور الخامس: رأي طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية في مجموعة من المقترحات لتفعيل دورهم في الدعوة إلى الله، ويتضمن (٨) مقترحات.

ومتغيرات الدراسة المستقلة هي:

١) الجنس، ويقصد به وصف عيّنة الدراسة تبعاً لمتغير الجنس: الذكر والأنثى.

٢) المستوى الدراسي، ويقصد به السنة الدراسية للمبحوث، وهي السنة الأولى والثانية والثالثة والرابعة، وكل سنة تتضمن فصلين دراسيين.

٣) المستوى التحصيلي ويقصد به المستوى الذي اكتسبه طالب قسم الدراسات الإسلامية في ضوء معدله التراكمي منذ بدء التحاقه بالجامعة، وتم تصنيفه هنا إلى ثلاثة مستويات: مستوى تحصيلي مرتفع، ومستوى تحصيلي متوسط، ومستوى تحصيلي منخفض، وذلك تبعاً لإجابة الطالب/ الطالبة عيّنة البحث.

وقد تم جمع بيانات الدراسة في منتصف الفصل الثاني لمدة شهر تقريبا بدءا من ٢٤/ ٤/ ١٤٣٥هـ.

ثبات أداة الدراسة وصدقها:

للصدق والثبات أهمية خاصة في البحوث الإنسانية، لأن القياس في هذه المجالات قياس غير مباشر، لذلك يجب التأكّد من أن ما تقيسه أدوات البحث

يمكن الثقة فيه والاعتماد عليه في جمع البيانات[١]، وقد استخدمت الباحثة ثبات التجانس الداخلي من أجل فحص ثبات أداة الدراسة، وهذا النوع من الثبات يشير إلى قوة الارتباط بين الفقرات في أداة الدراسة، ومن أجل تقدير التجانس تم تطبيق اختبار ألفا كرونباخ، وبلغ معامل الثبات الكلي ألفا: (٠,٨٦٩) وهذا يُعد معامل ثبات مرتفعاً ومناسباً لأغراض الدراسة الحالية.

والمقصود بصدق الأداة: «أن المقياس يقيس ما وضع لقياسه، أي يقيس السمة أو الظاهرة التي وضع لقياسها، ولا يقيس غيرها، أو يقيس ظاهرة أو سمة أخرى معها»[٢]، وللتأكّد من صدق الاستبانة استخدمت الباحثة نوعين من الصدق من أجل فحص صدق الأداة، هما: صدق المحكّمين حيث عرضت الباحثة الاستبانة على عدد من المحكّمين من أعضاء هيئة التدريس من تخصّصات مختلفة تتناسب مع موضوع البحث، وقد أبدوا ملاحظاتهم مشكورين، وتم الأخذ بالملحوظات التي أجمع عليها غالبية الأساتذة، وقد كان عدد فقرات الاستبانة قبل التحكيم (٨٠) فقرة، وتم اختصارها بدمج بعض العبارات وحذف المكرر منها وغير المنتمي لموضوع البحث حتى أصبح عددها (٤٥) فقرة.

والنوع الثاني من الصدق هو الصدق الظاهري، وذلك بتوزيع الاستبانة على عدد من الطالبات اللاتي أجبن عن الاستبانة بسهولة ويسر، حيث كانت الأسئلة والفقرات واضحة بالنسبة لهن.

---

(١) أبو علام، د.رجاء محمود: مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، دار النشر للجامعات، مصر، ط: ٣، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. ص ١٣٥.

(٢) الضحيان، د. سعود ضحيان، ود. عزت عبد الحميد حسن: معالجة البيانات باستخدام برنامج spss10، مطابع التقنية للأوفست الرياض، ط: بدون ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١٩٧.

المعالجة الإحصائية لبيانات الدراسة:

لتحقيق أهداف البحث أجرت الباحثة المعالجة الإحصائية للبيانات باستخدام مجموعة الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (Statistical Package for Social Science spss)، بعد ترميز الاستجابات وتصحيحها على مفاتيح التصحيح، حيث كان توزيع الدرجات على العبارات بالتدرج الخماسي، وقد استخدمت الأساليب الإحصائية الآتية:

١- التكرارات: والبدء بها وبالنسب المئوية ضروري لإعطاء تصور متكامل عن عيّنة البحث وأوصافها، ويرمز له: (ت)، مع مراعاة أن رمز حجم العيّنة: (ن).

٢- النسب المئوية: ويرمز لها بالرمز: (٪).

٣- المتوسط الحسابي: وهو أحد أهم مقاييس النزعة المركزية، ويرمز له بالرمز (م ح).

٤- الانحراف المعياري: ويعتبر من أهم مقاييس التشتت، ويرمز له بالرمز (ع).

٥- اختبار (ت) لعينتين مستقلتين، لمعرفة ما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي مجموعتين مستقلتين وذلك في متغير (الجنس).

٦- تحليل التباين: لمعرفة ما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات ثلاث مجموعات مستقلة أو أكثر بالنسبة لبعض متغيرات لدراسة (المستوى الدراسي، والمستوى التحصيلي).

٧- اختبار شيفيه: وذلك لإجراء اختبارات المقارنات البعدية لمعرفة مصادر الفروق بين آراء العيّنة ولمعرفة الفئة التي يميل إليها التباين والاختلاف.

٨- معامل الارتباط بيرسون: لاكتشاف العلاقات الارتباطية بين متغيرين، بحيث تتأثر درجات كلا المتغيرين زيادة أو نقصانا، بعلاقة طردية أو عكسية.

وستكتفي الباحثة بعرض التكرارات والمتوسطات في جداول نتائج التحليل الإحصائي بنفس ترتيبها في استبانة الدراسة، ثم تذكر أعلى الفقرات تبعاً للترتيب التنازلي حسب المتوسط، فتذكر الإجابات الحاصلة على المتوسط الأكبر ثم التي تليها..وهكذا، كما تذكر أقل الفقرات من حيث المتوسط، وستُعرض الأرقام العشرية بعد تقريبها إلى أقرب جزء من مائة بعد الفاصلة العشرية، باستثناء مستوى الدلالة الإحصائية؛ فإنها تكتب كما هي دون تقريب نظرا لأهمية الفروق الدقيقة.

كما ستعتمد الباحثة في تحليلها للنتائج لتحديد اتّجاه المبحوثات نحو عبارة ما التقسيم الآتي:

١- العبارة الحاصلة على متوسط بين ٤-٥ تعبّر عن اتّجاه مؤيد وموافق جداً.

٢- العبارة الحاصلة على متوسط بين ٣ إلى أقل من ٤ تعبّر عن اتّجاه مؤيد وموافق.

٣- العبارة الحاصلة على متوسط بين ٢ إلى أقل من ٣ تعبّر عن اتّجاه محايد.

٤- العبارة الحاصلة على متوسط بين ١ إلى أقل من ٢ تعبّر عن اتّجاه رافض غير مؤيد.

٥- العبارة الحاصلة على متوسط بين صفر إلى أقل من ١ تعبّر عن اتّجاه رافض جداً.

مجتمع الدراسة وعينتها:

مجتمع الدراسة الحالية هم الطلاب المنتظمون والطالبات المنتظمات في قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة، والبالغ عددهم (٣٢٢٣) طالباً وطالبة في الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤٣٤هـ/ ١٤٣٥هـ.

وقد اختارت الباحثة عيّنة الدراسة بالطريقة الطبقية العشوائية التي تعتمد على تحليل المجتمع الأصلي لمعرفة المجموعات الفرعية (المتجانسة) أو الطبقات المكونة له ثم اشتقاق مفردات كل مجموعة فرعية بالطريقة العشوائية[١]، بحيث تعطي تمثيلا شموليا ودقيقا لمتغيرات البحث.

وبما أن حجم العيّنة يعتمد على درجة التجانس بين مفردات مجتمع الدراسة[٢]، والذي يتحقق في عيّنة الدراسة بشكل مناسب ممثّل للمجتمع الأصلي، فقد وزعت الباحثة (٩٠٠) استبانة، وبعد عملية جمع البيانات وصلت حصيلة الجمع إلى (٦٢٠) استبانة، استبعد منها (٣٠)، بسبب عدم صلاحيتها للتحليل الإحصائي والأعداد المقبولة من استبانات البحث يبينها الجدول التالي:

جدول رقم (١) نسبة العيّنة لمجتمع الدراسة

الجنس	العدد الكلي	عدد الاستبانات الموزعة	عدد الاستبانات المقبولة بحثيا	نسبة العيّنة للعدد الكلي
الطلاب	١٠٨٨	٤٠٠	١٤٠	٪١٣
الطالبات	٢١٣٥	٥٠٠	٤٥٠	٪٢١
المجموع	٣٢٢٣	٨٠٠	٥٩٠	٪١٩

كما يوضح الجدول رقم (٢) خصائص عيّنة الدراسة تبعاً لمتغيرات الدراسة المحددة.

---

(١) انظر، الضحيان، د. سعود ضحيان، ود. عزت عبد الحميد حسن: معالجة البيانات باستخدام برنامج spss10، ص ٢٩٠.

(٢) انظر، إبراهيم، د عبد الله سليمان، د زين حسن الردادي: مناهج البحث في العلوم الإنسانية، مكتبة الرشد، الرياض، ط: ١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص١٥٤.

جدول رقم (٢) توزيع أفراد عيّنة الدراسة حسب متغيراتها (ن = ٥٩٠)

المتغير	مستويات المتغير	العدد	النسبة	المجموع
الجنس	طالب	١٤٠	٪٢٣,٧	١٠٠
	طالبة	٤٥٠	٪٧٦,٣	
المستوى التحصيلي (المعدل التركمي)	ممتاز	١٥٣	٪٢٥,٩	١٠٠
	جيد جداً	٢٧٧	٪٤٦,٩	
	جيد	١٥١	٪٢٥,٦	
	مقبول	٩	٪١,٦	
المستوى الدراسي	السنة الأولى	١٠٧	٪١٨,١	١٠٠
	السنة الثانية	١٤٧	٪٢٤,٩	
	السنة الثالثة	١٧٦	٪٢٩,٨	
	السنة الرابعة	١٦٠	٪٢٧,٢	

يتضح من خلال الجدول السابق تنوع عيّنة الدراسة من حيث فئات المتغيرات المستقلة، مما يعطي تصوراً شاملاً لاتّجاه الطلاب والطالبات في مختلف المستويات المحددة، ويقترب في تقسيمه من المجتمع الأصلي للدراسة بدرجة ملائمة.

المبحث الثاني

عرض وتحليل نتائج الدراسة الميدانية

يعرض المطلب الحالي نتائج تساؤلات الدراسة التي وُجهت للفئة المستهدفة ضمن المحاور الآتية:

المحور الأول: اتّجاه الطالب/ الطالبة نحو الدعوة إلى الله وممارستها؟

المحور الثاني: رأي الطالب/ الطالبة في تخصّصه الأكاديمي؟

المحور الثالث: رأي الطالب/ الطالبة في مقررات الدعوة المتضمنة في خطة قسم الدراسات الإسلامية؟

المحور الرابع: رأي الطالب/ الطالبة في مساندة البيئة الجامعية للقيام بالدعوة؟

المحور الخامس: مقترحات الطلاب والطالبات لتفعيل دورهم في الدعوة إلى الله؟

المحور الأول: اتّجاه الطالب/الطالبة نحو الدعوة إلى الله وممارستها.

لمعرفة اتّجاه الطالب\الطالبة نحو الدعوة إلى الله وممارستها تم عرض فقرات المحور الأول، ويبين الجدول رقم (٣) استجابات عيّنة الدراسة على العبارات المذكورة.

جدول رقم (٣) اتّجاه عيّنة الدراسة نحو الدعوة إلى الله وممارستها (ن = ٥٩٠)

م	العبارة	درجة الموافقة	أوافق جداً	أوافق	محايد	غير موافق	غير موافق أبداً	م ح	ح	الترتيب
١	أخشى من سخرية الأصدقاء إذا نصحتهم ودعوتهم.	ت	٦٠	١٠٧	٩٧	١٨١	١٤٥	٢,٥٩	١,٣١	١٢
		٪	١٠,٢	١٨,١	١٦,٤	٣٠,٧	٢٤,٦			

٢	أرغب في إكمال دراساتي العليا في تخصّص الدعوة.	ت	١٩٩	٢٠٣	٩٨	٦٧	٢٣	٣,٨٣	١,١٣	٩
		٪	٣٣,٧	٣٤,٤	١٦,٦	١١,٤	٣,٩			
٣	أعتقد أن قيامي بالدعوة يقربني من الله تعالى.	ت	٤٦٧	١١٠	٩	٣	١	٤,٧٦	٠,٥١	١
		٪	٧٩,٢	١٨,٢	١,٥	٠,٥	٠,٢			
٤	أرى أن ممارستي للدعوة تطور شخصيتي.	ت	٣٦٨	١٧٠	٣٥	١٣	٤	٤,٥٠	٠,٧٦	٤
		٪	٦٢,٤	٢٨,٨	٥,٩	٢,٢	٠,٧			
٥	أرغب في التعرف على الدعاة/ الداعيات للاستفادة من خبرتهم.	ت	٣٣٧	١٨٦	٤٨	١٤	٥	٤,٤٢	٠,٨١	٧
		٪	٥٧,١	٣١,٥	٨,١	٢,٤	٠,٨			
٦	تفيد الدعوة في التعرف على الآخرين والقرب منهم.	ت	٣٠٧	٢٣٨	٣٥	٨	٢	٤,٤٢	٠,٧٠	م٧
		٪	٥٢,٠	٤٠,٣	٥,٩	١,٤	٠,٣			
٧	الذي يقوم بالدعوة إنسان يشعر بالمسؤولية.	ت	٣٨٧	١٧٠	٢٠	١١	٢	٤,٥٧	٠,٦٨	٢
		٪	٦٥,٦	٢٨,٨	٣,٤	١,٩	٠,٣			
٨	تجب الدعوة على القادر من الأساتذة وعلى الطلاب على حد سواء.	ت	٢٥٠	٢٤٠	٦٣	٣١	٦	٤,١٨	٠,٩٠	٨
		٪	٤٢,٤	٤٠,٧	١٠,٧	٥,٣	١,٠			
٩	تزداد قناعتي بأهمية وضرورة الدعوة للمجتمع يوما بعد يوم.	ت	٣٧٨	١٧٥	٢٩	٨	=	٤,٥٦	٠,٦٥	٣
		٪	٦٤,١	٢٩,٧	٤,٩	١,٤	=			
١٠	دعوة الآخرين ونصحهم فيه تدخل في حريتهم الشخصية.	ت	٦٦	٨٦	٩٠	١٧٦	١٧٢	٢,٤٩	١,٣٤	١٣
		٪	١١,٢	١٤,٦	١٥,٣	٢٩,٨	٢٩,٢			
١١	أبادر بالمشاركة في الأنشطة الدعوية بالجامعة.	ت	٩١	١٩١	١٧٩	٩٤	٣٥	٣,٣٥	١,١٠	١١
		٪	١٥,٤	٣٢,٤	٣٠,٣	١٥,٩	٥,٩			
١٢	أحب حضور البرامج والأنشطة الدعوية خارج الجامعة.	ت	١٢٠	٢٢٠	١٣٣	٨٩	٢٧	٣,٥٤	١,١١	١٠
		٪	٢٠,٣	٣٧,٥	٢٢,٥	١٥,١	٤,٦			
١٣	أقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أسرتي ومجتمعي.	ت	٢٣٢	٢٥٦	٨٣	١٣	٦	٤,١٨	٠,٨٢	م٨
		٪	٣٩,٣	٤٣,٤	١٤,١	٢,٢	١,٠			
١٤	أشعر بالسعادة عندما أوجه النصيحة والدعوة للآخرين.	ت	٣٣٥	٢١٧	٢٥	٨	٥	٤,٤٧	٠,٧٢	٦
		٪	٥٦,٨	٣٦,٨	٤,٢	١,٤	٠,٨			

١٥	المشاركة في الأنشطة الدعوية بالجامعة تضيع وقت الطالب.	ت	٥٤	٧٢	٩٦	١٩٠	١٧٨	٢,٣٨	١,٢٨	١٤
		٪	٩,٢	١٢,٢	١٦,٣	٣٢,٢	٣٠,٢			
١٦	الدعوة إلى الله من المهام المطلوبة من طالب قسم الدراسات الإسلامية	ت	٣٥٨	١٨٢	٣١	١٥	٤	٤,٤٨	٠,٧٧	٥
		٪	٦٠,٧	٣٠,٨	٥,٣	٢,٥	٠,٧			

بلغ متوسط مجموع استجابات الطلاب والطالبات على عبارات هذا المحور (٤,١١)، وانحراف معياري هو (٠,٤٣)، وهذا يعطي مؤشراً ملائما على ارتفاع نسبة الموافقين والمؤيدين لعبارات المحور التي تعزز الاتّجاه الإيجابي نحو الدعوة إلى الله لدى طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية، وهذه النتيجة –من فضل الله– تكشف عن جانب طيب لديهم، وتتوافق أيضا مع نتيجة دراسة د سليمان العقيل التي كشفت عن مستوى عال من التدين والرغبة في العمل الدعوي لدى طلاب جامعة كلية الآداب بجامعة الملك سعود.

أما الفقرات الأعلى متوسطا والتي حازت على المراتب الخمس الأولى من بين فقرات المحور الأول فهي تؤكد شعور الطالب بأهمية الدعوة ومكانتها في الدين وأثرها المبارك فيه وفي المجتمع، وأنها من مسؤوليات طالب القسم، والعبارات بالترتيب التنازلي كما يلي:

١. أعتقد أن قيامي بالدعوة يقربني من الله تعالى.
٢. الذي يقوم بالدعوة إنسان يشعر بالمسؤولية.
٣. تزداد قناعتي بأهمية وضرورة الدعوة للمجتمع يوما بعد يوم.
٤. أرى أن ممارستي للدعوة تطور شخصيتي.
٥. الدعوة إلى الله من المهام المطلوبة من طالب قسم الدراسات الإسلامية.

وقد حصلت العبارات التي تبين جانبا من المشاركة بالفعل والممارسة على المراكز المتوسطة، وبمتوسط مرتفع مؤيد بشكل كبير، مثل:

- أرغب في التعرف على الدعاة/ الداعيات للاستفادة من خبرتهم.

- أقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أسرتي ومجتمعي.

أما أقل العبارات من حيث المتوسط فهي العبارات السلبية التي تكشف عن الجانب الرافض غير المؤيد، وهي:

١. أخشى من سخرية الأصدقاء إذا نصحتهم ودعوتهم.
٢. دعوة الآخرين ونصحهم فيه تدخل في حريتهم الشخصية.
٣. المشاركة في الأنشطة الدعوية بالجامعة تضيع وقت الطالب.

وترى الباحثة أن انخفاض متوسط العبارات السلبية يوضح أن اتّجاه الطلاب نحو الدعوة إيجابي بشكل كبير، وأن العبارات السلبية التي ذكرت في الاستبانة تعد معوقات للدعوة، وقد جرت سنة الله تعالى على أن طريق الدعوة محفوف بالمكاره والمخاوف، وأن هناك أمورا تخذل المسلم عن القيام بأمانة الدعوة، مثل: توهين الشيطان ليترك الدعاة ما كلفهم به الله تعالى من أمر الدعوة، والنظر إلى الواقع بسلبية من حيث كثرة الشهوات وانحراف الناس وفساد الزمان وضعف أهل الإسلام أمام أعدائهم، وما يرونه من الأذى والسخرية الذي يصيب أهل الدعوة من حولهم، والتأثر بالفكر السائد في المجتمع عن الدعوة وأهلها وصعوبة ترك هذه الخلفية الثقافية[١].

المحور الثاني: رأي الطالب/الطالبة في تخصّصه الأكاديمي.

لمعرفة موقف عيّنة البحث من تخصّصهم الأكاديمي، تم عرض فقرات المحور الثاني، ويبين الجدول رقم (٤) استجابات عيّنة الدراسة، تبعاً لاتّجاههم نحو تخصّص الدراسات الإسلامية.

---

(١) انظر، الثبيتي، د عابد عبد الله معيوض: التخاذل عن الدعوة إلى الله، أبرز المظاهر والأسباب والآثار وأهم طرق العلاج، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، مج ٨، عدد ٣٠، ٢٠١٢م.

جدول رقم (٤) آراء عيّنة الدراسة حول تخصّصهم الأكاديمي (ن = ٥٩٠)

م	العبارة	درجة الموافقة	موافق جداً	موافق	محايد	غير موافق	لا موافق أبداً	م ح	ع	الترتيب
١	أشعر بالفخر لأنني طالب في قسم الدراسات الإسلامية	ت	٣٩٧	١٥٤	٢٨	٦	٥	٣,٤٨	١,٣٤	٤
		٪	٦٧,٣	٢٦,١	٤,٧	١,٠	٠,٨			
٢	اخترت قسم الدراسات الإسلامية لاقتناعي به.	ت	٢٥٦	١٦١	٦٦	٦٣	٤٤	٣,٨٨	١,٢٨	٣
		٪	٤٣,٤	٢٧,٣	١١,٢	١٠,٧	٧,٥			
٣	أتمنى أن أكمل دراساتي العليا في أحد فروع الدراسات الإسلامية.	ت	٢٦١	١٥٧	٨٠	٦٥	٢٧	٣,٩٤	١,٢٠	٢
		٪	٤٤,٢	٢٦,٦	١٣,٦	١١,٠	٤,٦			
٤	أتمنى لو تتاح لي فرصة التحويل من قسمي إلى أي قسم آخر بالجامعة.	ت	١٠٦	٤٤	٥٤	١٩٢	١٩٤	٢,٤٥	١,٤٦	٥
		٪	١٨,٠	٧,٥	٩,٢	٣٢,٥	٣٢,٩			
٥	لو كنت من أصحاب القرار لسعيت إلى إنشاء كلية للدراسات الإسلامية.	ت	٢٦٩	١٩٠	٨٩	٣٤	٨	٤,١٥	٠,٩٧	١
		٪	٤٥,٦	٣٢,٢	١٥,١	٥,٨	١,٤			

بلغ متوسط مجموع استجابات الطلاب والطالبات على عبارات هذا المحور (٤,٠٢)، وانحراف معياري (٠,٨٠)، وهذا يعطي مؤشراً عالياً على قوة الاتّجاه الإيجابي لدى الطلاب والطالبات نحو دراستهم في قسم الدراسات الإسلامية، وجاء ترتيب الفقرات الخمس المذكورة في هذا المحور كما يلي:

١. لو كنت من أصحاب القرار لسعيت إلى إنشاء كلية للدراسات الإسلامية.
٢. أتمنى أن أكمل دراساتي العليا في أحد فروع الدراسات الإسلامية.
٣. اخترت قسم الدراسات الإسلامية لاقتناعي به.
٤. أشعر بالفخر لأنني طالب في قسم الدراسات الإسلامية.

٥. أتمنى لو تتاح لي فرصة التحويل من قسمي إلى أي قسم آخر بالجامعة.

وبالمقارنة بين متوسطي أعلى عبارة (٤,١٥) وأقل عبارة –وهي عبارة سلبية– (٢,٤٥) يظهر الاتّجاه الإيجابي المرتفع لدى طلاب وطالبات القسم نحو تخصّصهم، وتطلعهم إلى مواصلة تحصيلهم العلمي في نفس المجال، والرغبة في التوسع في القسم والارتقاء به ليصبح كلية مستقلة.

وهذه النتيجة تخالف المقولة التي يرددها الكثيرون في الوسط الأكاديمي حول رغبة العديد من طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية في التحويل إلى تخصّصات أكاديمية أخرى، مما أثار التساؤل حول مدى قناعة ورضا الطالب بقسمه الأكاديمي، وحقيقة كون التحاقه بالقسم عن رغبة سابقة أو تحت ضغط ظروف أخرى كضعف المعدل العام، وعدم وجود مقاعد دراسية شاغرة إلا في قسم الدراسات الإسلامية، وأنه كان الخيار الأخير بين الخيارات المناحة للطالب حين التحاقه بالتعليم العالي!!.

وترى الباحثة أهمية هذا المحور لتأثيره الكبير في استشعار الطالب لمسؤوليته في الدعوة، فالعلم الشرعي أمانة عظيمة، يعقلها ويعلمها الطالب الذي التحق برغبته دون إجبار، فحمله للعلم الشرعي يوجب عليه العمل به إلى جانب وقوع مسؤولية نشره بين الناس، فهي مسؤولية دينية لأن كتمان العلم أمر مذموم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[1]، قال الحافظ ابن كثير يرحمه الله: «هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع لقلوب، من بعد ما بيّنه الله تعالى في كتبه التي أنزلها على رسله»[2]، فأجر نشر العلم والخير بين الناس يقابله وعيد لمن آتاه الله هذا العلم فمنعه الناس،

---

(١) سورة البقرة: ١٥٩.

(٢) الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١/ ٢٨٨.

ومسؤولية المسلم الدينية الدعوية تتسع وتعظم بقدر اتساع قدرته وعلمه، وقد يصل الأمر في بعض الأحوال إلى تحوّل الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حق المسلم إلى فرض العين وذلك في حالة تفرّده بالعلم بموجب الاحتساب(١).

وكذلك فإن ضعف اتّجاه الطالب نحو تخصّصه والرغبة عنه سيتوقف به عند أهداف أخرى، كالحصول على الشهادة والوظيفة، وقد لا يحمل همّ الدعوة، أو يشعر بأمانة التبليغ لما حمله من العلم، وبالتالي سيضعف شعوره بمسؤوليته في إصلاح مجتمعه.

المحور الثالث: رأي الطالب/الطالبة في مقررات الدعوة المتضمنة في خطة قسم الدراسات الإسلامية.

لمعرفة رأي عيّنة البحث في مقررات الدعوة المُتضمنة في خطة قسم الدراسات الإسلامية تم عرض فقرات المحور الثالث، ويبين الجدول رقم (٥) استجابات عيّنة الدراسة، تبعـًا للمتوسطات الحسابية.

جدول رقم (٥) آراء عيّنة الدراسة في مقررات الدعوة المتضمنة في خطة قسم الدراسات الإسلامية (ن =٥٩٠)

م	العبارة	درجة الموافقة	أوافق جداً	أوافق	محايد	غير موافق	غير موافق أبداً	م ح	ع	الترتيب
١	أنشطة مواد تخصّصي تعزز جانب الدعوة عند الطالب.	ت	٢٠٤	٢٥٦	٧٦	٤١	١٣	٤,٠١	٠,٩٨	٣
		٪	٣٤,٦	٤٣,٤	١٢,٩	٦,٩	٢,٢			
٢	المعلومات التي أدرسها في مقررات الدعوة عامة ولا تستند إلى أساس علمي.	ت	٦٥	١٥١	١١١	٢٠٠	٦٣	٢,٩٢	١,٢١	٧
		٪	١١,٠	٢٥,٦	١٨,٨	٣٣,٩	١٠,٧			

(١) انظر، ظهير، د فضل إلهي: الحسبة، تعريفها ومشروعيتها ووجوبها، مطبعة سفير، الرياض، ط: ٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٨١.

٣	مقررات قسمي الدراسية تهتم بالتطبيقات العملية للدعوة.	ت	٩٠	٢٥٧	١٢٩	٧٨	٣٦	٣,٤٩	١,٠٩	٥
		٪	١٥,٣	٤٣,٦	٢١,٩	١٣,٢	٦,١			
٤	عدد ساعات مقررات الدعوة كافية لإكساب الطالب مهارات الدعوة إلى الله.	ت	٢٣٥	٢٢٠	٥٨	٥٤	٢٣	٤,٠٠	١,١٠	٤
		٪	٣٩,٨	٣٧,٣	٩,٨	٩,٢	٣,٩			
٥	تكسبني مقررات الدعوة في قسمي سعة الاطلاع في المجال الدعوي.	ت	١٩٨	٢٨٠	٧٠	٣٤	٨	٤,٠٦	٠,٩٠	٢
		٪	٣٣,٦	٤٧,٥	١١,٩	٥,٨	١,٤			
٦	أرى أن مقررات الدعوة في قسمي متداخلة مع غيرها من المقررات وغير متميزة عنها بشيء.	ت	٨٩	١٥١	١٣٥	١٦٧	٤٨	٣,١١	١,٢١	٦
		٪	١٥,١	٢٥,٦	٢٢,٩	٢٨,٣	٨,١			
٧	تتضمن مقررات الدعوة ساعات خاصة بالتدريب العملي.	ت	٥٦	١٣١	١٢٤	١٨٠	٩٩	٢,٧٧	١,٢٤	٨
		٪	٩,٥	٢٢,٢	٢١,٠	٣٠,٥	١٦,٨			
٨	أقترح استبدال مقررات الدعوة بمقررات أخرى.	ت	٤٣	٦٨	٨٨	٢٢٧	١٦٤	٢,٣٢	١,٢٠	٩
		٪	٧,٣	١١,٥	١٤,٩	٣٨,٥	٢٧,٨			
٩	دراستي لمقررات تخصّصي المتنوعة تقوي بنائي العلمي الدعوي.	ت	٢٣١	٢٥٥	٦٥	٢٩	١٠	٤,١٣	٠,٩١	١
		٪	٣٩,٢	٤٣,٢	١١	٤,٩	١,٧			
١٠	أتمنى لو يزاد في عدد المقررات الخاصة بعلم الدعوة.	ت	١٦٨	١٧٣	٨٨	٩٩	٦٢	٣,٤٩	١,٣٤	م٥
		٪	٢٨,٥	٢٩,٣	١٤,٩	١٦,٨	١٠,٥			

بلغ متوسط مجموع استجابات الطلاب والطالبات على عبارات هذا المحور (٣,٥٦)، وانحراف معياري (٠,٥٠)، وهذا يعطي مؤشراً لموافقة الطلاب على العبارات المذكورة في المحور ولكنها لا تعد موافقة بدرجة كبيرة.

وأما العبارات التي حصلت على موافقة الطلاب والطالبات بدرجة كبيرة، أي على متوسط حسابي من (٤-٥) فهي بالترتيب التنازلي التالي:

١. دراستي لمقررات تخصّصي المتنوعة تقوي بنائي العلمي الدعوي.
٢. تكسبني مقررات الدعوة في قسمي سعة الاطلاع في المجال الدعوي.
٣. أنشطة مواد تخصّصي تعزز جانب الدعوة عند الطالب.
٤. عدد ساعات مقررات الدعوة كافية لإكساب الطالب مهارات الدعوة إلى الله.

أما أقل عبارة من حيث المتوسط والتي حصلت على متوسط (من٢-٣) - وهذا يعني أن الطالب محايد في اتّجاهه ورأيه- فهي بالترتيب التنازلي كما يلي:

١. المعلومات التي أدرسها في مقررات الدعوة عامة ولا تستند إلى أساس علمي.
٢. تتضمن مقررات الدعوة ساعات خاصة بالتدريب العملي.
٣. أقترح استبدال مقررات الدعوة بمقررات أخرى.

وهذا يكشف عن جانب من جوانب النقص والقصور الذي يحتاج إلى تسديد وإكمال وهو العناية بالجانب التطبيقي العملي، لأن الدعوة إلى الله كعلم شرعي يبقى في دائرة التنظير ما لم يتم تدريب الطالب على أساليب الدعوة وطرقها، لأن طبيعة المقررات العملية جاذبة للطالب، فهي تقوي جانب الثقة لديه، وتكسبه المهارة والخبرة، وتشعره بدوره في حمل العلم وإصلاح المجتمع.

المحور الرابع: رأي الطلاب والطالبات في مساندة البيئة الجامعية لهم للقيام بالدعوة.

لمعرفة رأي عيّنة البحث في مدى مساندة البيئة الجامعية لهم للقيام بالدعوة تم عرض فقرات المحور الرابع على الطلاب والطالبات، ويبين الجدول رقم (٦) استجابات عيّنة الدراسة، تبعاً للمتوسطات الحسابية.

جدول رقم (٦) آراء عيّنة الدراسة في مساندة البيئة الجامعية لهم للقيام بالدعوة (ن = ٥٩٠)

م	العبارة	درجة الموافقة	أوافق جداً	أوافق	محايد	غير موافق	غير موافق أبداً	م ح	ع	الترتيب
١	أعتقد أني أحصل على الكثير من المعرفة المتعلقة بالدعوة من أساتذة القسم	ت	١٧٩	٢٨٥	٧١	٤٢	١٣	٤,٠١	٠,٩٨	٢
		٪	٣٠,٣	٤٨,٣	١٢,٠	٧,١	٢,٢			
٢	أشعر بالألفة والانسجام عند التعامل مع أساتذة وأستاذات القسم	ت	١٣٧	٢٥٦	١٢٣	٥١	٢٣	٢,٩٢	١,٢١	٦
		٪	٢٣,٢	٤٣,٤	٢٠,٨	٨,٦	٣,٩			

٣	تقدم الجامعة أنشطة دعوية متنوعة للمجتمع	ت	١١١	٢٦٨	١٢١	٥٩	٣١	٣,٤٨	١,٠٩	٤
		٪	١٨,٨	٤٥,٤	٢٠,٥	١٠,٠	٥,٣			
٤	تشجع الجامعة الطلاب على المشاركة الفعالة في الأنشطة الدعوية	ت	١٢٤	٢٤٠	١٢٤	٦٨	٣٤	٤,٠٠	١,١٠	٣
		٪	٢١,٠	٤٠,٧	٢١,٠	١١,٥	٥,٨			
٥	يشجعني زملائي في القسم على المشاركة في الدعوة إلى الله	ت	١٢٤	٢٢٨	١١٢	٨٣	٤٣	٤,٠٦	٠,٩٠	١
		٪	٢١,٠	٣٨,٦	١٩,٠	١٤,١	٧,٣			
٦	أساتذة القسم لهم تأثير كبير في تشجيعي على القيام بالدعوة إلى الله.	ت	١٨٢	٢٣٤	٨٧	٥٧	٣٠	٣,١١	١,٢١	٥
		٪	٣٠,٨	٣٩,٧	١٤,٧	٩,٧	٥,١			

بلغ متوسط مجموع استجابات الطلاب والطالبات على عبارات هذا المحور (٣,٧٥)، وانحراف معياري (٠,٧٣)، وهذا يعطي مؤشراً عاليـًا لقبول وموافقة الطلاب والطالبات على تحفيز وتشجيع البيئة الجامعية لهم لممارسة الدعوة إلى الله، وأعلى العبارات من حيث المتوسط والتي حصلت على متوسطات من (٤-٥) هي:

١. يشجعني زملائي في القسم على المشاركة في الدعوة إلى الله.
٢. أعتقد أني أحصل على الكثير من المعرفة المتعلقة بالدعوة من أساتذة القسم.
٣. تشجع الجامعة الطلاب على المشاركة الفعالة في الأنشطة الدعوية.

وموافقة الطلاب بدرجة كبيرة على هذه العبارات يؤكد أثر البيئة الجامعية في تشكيل رأي لطالب واتّجاهه، بما تحويه من الكوادر الأكاديمية والإدارية بالجامعة، ومن الزملاء، والأنظمة واللوائح التنظيمية وهذه الأمور لها تأثير مساعد أو معيق للطالب ليقوم بالدعوة.

أما العبارات التي حصلت على متوسط بين (٣-٤) فهي التي تشير إلى موافقة متوسطة على دور الجامعة والأساتذة في تقديم وتشجيع الممارسة للدعوة إلى الله.

- تقدم الجامعة أنشطة دعوية متنوعة للمجتمع.
- أساتذة القسم لهم تأثير كبير في تشجيعي على القيام بالدعوة إلى الله.

وأقل العبارات من حيث المتوسط هو أشعر بالألفة والانسجام عند التعامل

مع أساتذة وأستاذات القسم، وهو يمثل حيادية رأي الطالب والطالبة في عمق العلاقة والانسجام مع أساتذته والتي تتوقف على عوامل متعددة لا يسع المقام بسطها.

ونتيجة هذا المحور ذات أبعاد متعددة، فهي تبين وجهة نظر الطلاب والطالبات وأهمها: دور الزملاء الكبير في تحديد الاتّجاه والتشجيع على الدعوة، والذي يقابله بعض الضعف والقصور في دور أساتذة القسم لتشجيع الطالب واستيعابه رغم خبرتهم ومكانتهم العلمية.

والمتأمل في حال الداعية يجد أنه يتأثر بشكل كبير بالبيئة المحيطة به، ولن يستطيع تحقيق أهدافه الدعوية إلا من خلال تفاعله مع من حوله من الناس، وما يحيط به من ظروف، وشخصيته كداعية لا تتكوّن أو تتطور إذا كان في معزل عن مجتمعه، والبيئة الجامعية هي مجتمع الطالب الذي يقضي فيه الساعات الطوال، و«كل مجتمع يسم أفراده بطابع خاص يميزهم عن غيرهم من أفراد المجتمعات الأخرى، ويتبدى ذلك في تكوينهم الشخصي وسلوكهم الخلقي، واستجابتهم لمختلف المواقف التي تواجههم في حياتهم»[1] كما يظهر في آرائهم واتّجاهاتهم نحو ما يدور حولهم من أمور.

وذلك لأن البيئة المحيطة والمجتمع من مصادر إشباع الحاجات الأساسية الدافعة للعمل لدى الفرد، مثل حاجته إلى التقدير والقبول ممن حوله لما يقدمه لهم، وحاجته إلى النجاح وتحقيق أهدافه، وهذا مما يزيد من علاقته وارتباطه بمجتمعه، وكلما حقّق الطالب نجاحاً في مجاله؛ كلما دفعه ذلك إلى مزيد من النجاح، وأدخل على نفسه السرور والبهجة والسعادة، وجعله ينظر إلى الحياة نظرة متفائلة ملؤها الثقة والأمل، ويزيد من شعوره بالاحترام والتقدير والقبول والاجتماعي، وهذا بدوره يحفزه على القيام بدوره الفعال في مجتمعه وجامعته

---

(١) الزنتاني، د عبد الحميد الصيد: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص٨٤٠.

كعضو صالح إيجابي، أما إحباط مجتمعه له فإنه يشعره بالنبذ وعدم القبول، مما قد يؤدي به إلى الانطواء على نفسه ومعاداته لمجتمعه وفقده لشعور الأمن والهدوء النفسي، فهي علاقة تبادلية طردية بين الطرفين، تدفع الطالب إلى تغيير اتّجاهه أو تبني اتّجاهات جديدة رغبة في التكيف مع مجتمعه.

وهذا دور مهم تقوم به البيئة الجامعية في تحفيز وتشجيع طلاب قسم الدراسات الإسلامية على القيام بالدعوة إلى الله، ولكي تتم مساعدة الطالب في تحقيق ما يصبو إليه من نجاح في أنشطته الدعوية وجهوده لدعوة ونصح الآخرين لا بد من الصبر عليه وحسن توجيهه وإرشاده وعدم إحباطه أو تحقيره وتضخيم أخطائه وقصوره.

المحور الخامس: رأي الطلاب والطالبات في بعض المقترحات لتفعيل دورهم في الدعوة إلى الله.

لمعرفة مقترحات طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية لتفعيل دورهم في الدعوة إلى الله تم عرض فقرات المحور الخامس، ويبين الجدول رقم (٧) استجابات عيّنة الدراسة.

جدول رقم (٧) آراء العيّنة حول مقترحات الطلاب والطالبات لتفعيل دورهم في الدعوة إلى الله (ن = ٥٩٠)

م	العبارة	درجة الموافقة	أوافق جداً	أوافق	محايد	غير موافق	غير موافق أبداً	م ح	ع	الترتيب
١	اختيار طلاب قسم الدراسات الإسلامية بعناية وعدم قبول الطلاب غير الراغبين في القسم.	ت	٢٩٨	١٣٨	٨٢	٤٣	٢٩	٤,٠٧	١,١٧	٥
		٪	٥٠,٥	٢٣,٤	١٣,٩	٧,٣	٤,٩			
٢	إلزام طالب الدراسات الإسلامية بالمشاركة في الأنشطة الدعوية خارج الجامعة كمتطلب ضمن المقررات الدعوية.	ت	١١٣	١٤٤	١١٣	١٥٦	٦٤	٣,١٥	١,٣٠	٨
		٪	١٩,٢	٢٤,٤	١٩,٢	٢٦,٤	١٠,٨			

٣	إلزام طالب الدراسات الإسلامية بالمشاركة في الأنشطة الدعوية داخل الجامعة كمتطلب ضمن المقررات الدعوية	ت	١٤٣	١٨٩	١٢١	٩٥	٤٢	٣,٥٠	١,٢٢	٦
		٪	٢٤,٢	٣٢,٠	٢٠,٥	١٦,١	٧,١			
٤	إنشاء قسم خاص بالجامعة لتدريس الدعوة وعلومها.	ت	٢٦٢	٢٣٩	٥٧	٢١	١١	٤,٢٢	٠,٩٠	٣
		٪	٤٤,٤	٤٠,٥	٩,٧	٣,٦	١,٩			
٥	إنشاء مقررات دعوية ذات طبيعة عملية تطبيقية.	ت	٢٣٤	٢٥٦	٧٠	٢٤	٦	٤,١٧	٠,٨٦	٤
		٪	٣٩,٧	٤٣,٤	١١,٩	٤,١	١,٠			
٦	زيادة عدد الساعات المخصصة للمقررات الدعوية.	ت	١٢٤	١٦٤	١٢٨	١١٥	٥٩	٣,٣٠	١,٢٧	٧
		٪	٢١,٠	٢٧,٨	٢١,٧	١٩,٥	١٠,٠			
٧	إعداد دورات خاصة لطلاب وطالبات القسم للتدرب على الدعوة.	ت	٢٦١	٢٤٤	٥٦	٤٧	٤٢	٤,٢٣	٠,٨٩	٢
		٪	٤٤,٢	٤١,٤	٩,٥	٢,٩	٢,٠			
٨	إنشاء نادٍ مخصص لإعداد الدعاة بالجامعة.	ت	٢٨٨	٢٢٩	٤٩	١٣	١١	٤,٣١	٠,٨٦	١
		٪	٤٨,٨	٣٨,٨	٨,٣	٢,٢	١,٩			

بلغ متوسط مجموع استجابات الطلاب والطالبات على عبارات هذا المحور (٣,٨٧)، بانحراف معياري (٠,٦٦)، وهذا المتوسط يعطي مؤشراً عالياً على موافقة عيّنة البحث على المقترحات المذكورة، وتفصيل استجابات عيّنة البحث تبين أكثر المقترحات قبولاً لديهم، فقد توزعت الإجابات عن مستويين، الأول: العبارات التي وافق عليها الطلاب بدرجة كبيرة بمتوسط (٤-٥) وهي المقترحات التالية:

١. إنشاء نادي مخصص لإعداد الدعاة بالجامعة.
٢. إعداد دورات خاصة لطلاب وطالبات القسم للتدرب على الدعوة.
٣. إنشاء قسم خاص بالجامعة لتدريس الدعوة وعلومها.
٤. إنشاء مقررات دعوية ذات طبيعة عملية تطبيقية.
٥. اختيار طلاب قسم الدراسات الإسلامية بعناية وعدم قبول الطلاب غير

الراغبين في القسم.

وهذه الاستجابة توجه رسالة للمسؤولين بالعناية بالجانب التطبيقي والتدريب على الدعوة، مع أهمية توجيه النشطة الطلابية لمجال إعداد الدعاة، فالقناعة موجودة لدى الطالب، ولكنه يحتاج إلى تدريب وإعداد ليكون داعية في المستقبل.

أما المجموعة الثانية فقد تراوحت متوسطاتها بين (٣-٤) وهي كما يلي:

١. إلزام طالب الدراسات الإسلامية بالمشاركة في الأنشطة الدعوية داخل الجامعة كمتطلب ضمن المقررات الدعوية.

٢. زيادة عدد الساعات المخصصة للمقررات الدعوية.

٣. إلزام طالب الدراسات الإسلامية بالمشاركة في الأنشطة الدعوية خارج الجامعة كمتطلب ضمن المقررات الدعوية.

وهذه النتيجة متوقعة حيث إن الطبيعة البشرية خاصة لمن هم في بداية مرحلة الشباب ترفض الالزام غير المقنع وتميل إلى الاستقلال في الرأي، والتحرر من الأوامر والقيود.

وقد أضاف الطلاب والطالبات عدداً من المقترحات في إجاباتهم عن السؤال المفتوح في آخر الاستبانة، وهي كما يلي:

جدول رقم (٨) مقترحات الطلاب والطالبات (ن = ٥٩٠)

م	المقترح	التكرار
١	زيادة توعية الطلاب والطالبات بالدعوة وأهميتها من خلال إقامة محاضرات من قبل دعاة وشيوخ لهم تأثيرهم فى المجتمع.	١٥
٢	استحداث طرق جديدة بأسلوب سلس ومرح ممزوج بالحفلات والجوائز عند إلقاء الندوات الدعوية لترغيب الطالبات والطلاب بالدعوة.	٥
٣	مرافقة الدعاة في رحلاتهم الدعوية.	٤

٤	ابتعاث الطلاب في دورات دعوية تدريبية إلى الدول الأخرى.	٤
٥	وضع خطة عمل وإنشاء أنشطة دعوية تتطلب زيارة الجاليات كل أسبوع من أجل دعوتهم.	٦
٦	توزيع المطويات والنشرات الإرشادية التي تخص موضوع الدعوة.	٩
٧	تكوين لجنة تساهم في التعرف على تفكير الطالبات وتصحيح مبادئهم.	٤
٨	اختيار طلاب وطالبات قسم الدعوة بعناية مع تعزيز جانب الثقة بالنفس لديهم وإعطائهم الدوافع والأهداف السامية.	٤
٩	تمكن الأساتذة القائمين على المقررات وحسن التعامل والأسلوب مع الطلاب.	٤
١٠	عدم حصر تدريس الدعوة في الجامعة بل العمل على نشر ثقافة الدعوة بين طلاب الثانوية والمعاهد الأخرى.	٢

وهي مقترحات جيدة ترتبط بشكل أو بآخر مع المقترحات المذكورة في الاستبانة.

وللإجابة عن التساؤل السابع من تساؤلات الدراسة وهو: ما نوع العلاقة بين اتّجاه الطلاب والطالبات نحو الدعوة إلى الله وممارسة العمل الدعوي وبين محاور الاستبانة الأخرى: (اتّجاه الطلاب والطالبات نحو التخصّص الأكاديمي، ورأيهم في المقررات الدعوية المتضمنة في الخطة الدراسية، ورأيهم في مساندة البيئة الجامعية لهم للقيام بالدعوة)؟ طبقت الباحثة الاختبار الإحصائي (بيرسون) الذي يكشف عن علاقة من نوع ما بين متغيرين، بحيث تتأثر درجات كلا المتغيرين بالآخر زيادةً أو نقصاً، وقد تكون هذه العلاقة طردية (الارتباط الموجب، وقد تكون علاقة عكسية (الارتباط السالب)[1]، وكانت نتيجة الاختبار كالتالي:

---

(١) بتصرف، الضحيان، د. سعود ضحيان، ود. عزت عبد الحميد حسن: معالجة البيانات باستخدام برنامج spss10، ص ١٦٢.

الكشف عن العلاقة الارتباطية الموجودة بين اتّجاه عيّنة الدراسة نحو الدعوة إلى الله، وبين اتّجاههم نحو تخصّصهم، ومقررات الدعوة، ومساندة البيئة الجامعية لهم (ن=٥٩٠)

		اتّجاه الطلاب والطالبات نحو تخصّصهم الأكاديمي	اتّجاه الطلاب والطالبات نحو مقررات الدعوة	رأي الطلاب والطالبات في مساندة البيئة الجامعية لهم للقيام بالدعوة
اتّجاه الطلاب والطالبات نحو الدعوة إلى الله	الدلالة لإحصائية	٠,٠٠٠	٠,٠٠٠	٠,٠٠٠
	معامل الارتباط	+٠,٤٩٠	+٠,٤٣٩	+٠,٣٣٤

يوضح الجدول السابق وجود علاقات ارتباطية موجبة بين محور اتّجاه الطلاب والطالبات نحو الدعوة إلى الله وممارستها، وبين محاور الاستبانة الأخرى عند مستوى دلالة إحصائية (٠,٠٠٠)، بمعنى أن إجابات عيّنة البحث تؤكد أنه كلما زادت قيمة اتّجاه الطلاب نحو تخصّصهم الأكاديمي، ورأيهم في مقررات الدعوة المتضمنة في خطتهم الدراسية، ورأيهم في مساندة البيئة الجامعية لهم؛ ارتفع متوسط اتّجاههم نحو الدعوة إلى الله، وكلما نقصت هذه العوامل نقص اتّجاههم نحو الدعوة.

وللإجابة عن التساؤل التاسع من تساؤلات الدراسة وهو: هل تختلف اتّجاهات طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية نحو ممارسة الدعوة باختلاف الجنس، أو المستوى الدراسي، أو المستوى التحصيلي؟ أجرت الباحثة الاختبار الإحصائي (T test) للكشف عن الدلالة الإحصائية بين متوسطات عيّنة الدراسة باختلاف متغير الجنس، واختبار (تحليل التباين One Way Avova) للكشف عن الدلالة الإحصائية بين متوسطات استجابة العيّنة باختلاف متغير المستوى الدراسي والمستوى التحصيلي، وتبين الجداول التالية ما توصلت له الباحثة:

جدول رقم (٩) الفروق بين آراء عيّنة الدراسة من حيث متغير الجنس

المحور	العيّنة	م ح	ع	ت	مستوى الدلالة
الاتّجاه نحو الدعوة	طالب	٤,١١	٠,٤٥	٠,١٤	٠,٣٣٦ غير دالّة
	طالبة	٤,١١	٠,٤٢		
الاتّجاه نحو التخصّص	طالب	٤,٢٧	٠,٦٨	٤,٣١	٠,٠٠٠ دالّة
	طالبة	٣,٩٤	٠,٨٢		
الاتّجاه نحو مقررات الدعوة	طالب	٣,٤٦	٠,٤٧	٢,٢٠	٠,٣٥٢ غير دالّة
	طالبة	٣,٥٣	٠,٥٠		
الرأي في المساندة الجامعية	طالب	٣,٨٢	٠,٧٩	٢,٠٥	٠,١٣٨ غير دالّة
	طالبة	٣,٦٨	٠,٧١		
مقترحات لتفعيل دور الطلاب في الدعوة إلى الله	طالب	٣,٩٩	٠,٧٧	٢,٤٦	٠,٠٢ دالّة
	طالبة	٣,٨٣	٠,٦٢		

أظهر الاختبار الإحصائي (T test) وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين عيّنة الدراسة من حيث الجنس فيما يتعلق باستجاباتهم في محوري: الاتّجاه نحو التخصّص الأكاديمي، ومقترحات تفعيل دورهم في الدعوة إلى الله فقط، فقد ظهرت الدلالة الإحصائية وكان الفرق لصالح الطلاب الذكور الذين ارتفع متوسطهم عن الطالبات في كلا المحورين، أما بقية محاور الاستبانة فلم تظهر فروق ذات دلالة إحصائية يمكن عزوها لمتغير الجنس.

جدول رقم (١٠) الفروق بين آراء عيّنة الدراسة من حيث متغير المستوى الدراسي

المحور	مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط المربعات	ف	مستوى الدلالة
الاتّجاه نحو الدعوة	بين المجموعات	٠,٦٣٧	٠,٢١٢	١,١٦٣	٠,٣٢٣ غير دالّة
	داخل المجموعات	١٠٦,٩٦	٠,١٨٣		
الاتّجاه نحو التخصّص	بين المجموعات	٢٢,٤٧٤	٧,٤٩	١٢,٣٠٥	٠,٠٠٠ دالّة
	داخل المجموعات	٣٥٦,٧٥	٠,٦٠٩		

الاتّجاه نحو مقررات الدعوة	بين المجموعات	٠,٦٩	٠,٢٢٩	٠,٩٣٢	٠,٤٢٥ غير دالّة
	داخل المجموعات	١٤٤,٣٤	٠,٢٤٦		
الرأي في المساندة الجامعية	بين المجموعات	٣,٩٨	١,٣٢٦	٢,٥٠٣	٠,٠٥٨ غير دالّة
	داخل المجموعات	٣١٠,٥٥	٠,٥٣		
المقترحات	بين المجموعات	٣,١٦	١,٢٠٤	٢,٧٦١	٠,٠٤١ غير دالّة
	داخل المجموعات	٢٥٥,٦٩	٠,٤٣٦		

أظهر اختبار تحليل التباين للكشف عن الفروق بين متوسطات إجابات عيّنة البحث من حيث المستوى الدراسي دلالة إحصائية عند محور التخصّص فقط، وفيما عدا ذلك يظهر الاختبار عدم وجود دلالة إحصائية، وهذا يعني أن المستوى الدراسي لعيّنة البحث لم يؤثر في إجاباتهم حول محاور الدراسة، إلا في محور اتّجاه الطلاب والطالبات نحو التخصّص الأكاديمي.

وبعد إجراء اختبار شيفيه البعدي تبين أن مصدر الفرق قد ظهر بين طلاب السنة الأولى وبين السنوات الثانية والثالثة والرابعة وذلك في محور اتّجاه الطلاب نحو التخصّص، ويبين الجدول التالي المتوسط الحسابي لاتّجاه الطلاب والطالبات نحو التخصّص لكل مستوى دراسي على حدة، حيث يظهر فرق المتوسط واضحاً بين طلاب السنة الأولى والسنوات التي تليها من حيث الاتّجاه نحو والاقتناع بالتخصّص، وهو أمر متوقع إذ إن استمرار الطالب في تخصّصه الأكاديمي غالبا يصاحبه الاقتناع بالتخصّص والرضا به.

جدول رقم (١١)

المستوى الدراسي	المتوسط
السنة الأولى	٣,٦٢
السنة الثانية	٤,٠٣
السنة الثالثة	٤,١٧
السنة الرابعة	٤,١١

جدول رقم (١٢)

الفروق بين آراء عيّنة الدراسة من حيث متغير المستوى التحصيلي (ن=٥٩٠)

المحور	مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط المربعات	ف	مستوى الدلالة
الاتّجاه نحو الدعوة	بين المجموعات	١,٩٣	٠,٦٤	٣,٥٧	٠,٠١٤ دالّة
	داخل المجموعات	١٠٥,٦٦	٠,١٨		
الاتّجاه نحو التخصّص	بين المجموعات	١,٣٦	٠,٤٥	٠,٧١	٠,٥٤٩ غير دالّة
	داخل المجموعات	٣٢٧,٨٦	٠,٥٥		
الاتّجاه نحو مقررات الدعوة	بين المجموعات	٠,٨٠	٠,٢٧	١,٠٨	٠,٣٥٦ غير دالّة
	داخل المجموعات	١٤٤,٢٢	٠,٢٥		
الرأي في المساندة الجامعية	بين المجموعات	٠,٩٩	٠,٣٣	٠,٦٢	٠,٦٠٥ غير دالّة
	داخل المجموعات	٣١٣,٥٤	٠,٥٤		
المقترحات	بين المجموعات	١	٠,٣٤	٠,٥٢	٠,٥١٥ غير دالّة
	داخل المجموعات	٢٥٨,٢٩	٠,٤٤		

أظهر اختبار تحليل التباين للكشف عن الفروق بين متوسطات إجابات عيّنة البحث من حيث المستوى التحصيلي دلالة إحصائية عند محور الاتّجاه نحو الدعوة وممارستها فقط، وفيما عدا ذلك يظهر الاختبار عدم وجود دلالة إحصائية بمعنى أن المستوى التحصيلي لعيّنة البحث لم يؤثر في إجابات عيّنة حول محاور الدراسة إلا من حيث اتّجاه طلاب وطالبات القسم نحو الدعوة إلى الله ومارستها.

وبعد تطبيق الاختبار البعدي (شيفيه) للكشف عن موطن الفرق في محور الاتّجاه نحو الدعوة وممارستها، تبين أن الفرق الإحصائي بين المستويين الجيد والممتاز وذلك لصالح أصحاب المعدل الممتاز ومتوسطهم (٤,١٨) بينما بلغ متوسط فئة الجيد (٤,٠٣)، وتعزو الباحثة هذا الفرق إلى أن شخصية الطالب ذي

المعدل المرتفع غالبـًا ما تكون أكثر جدّية وتحملاً للمسؤولية، ويكون أقوى في تحمله لأمانة العلم الشرعي وفي تقديره لأهمية نشره بين الناس، كما إنه يكون أكثر نشاطـًا ومشاركةً في الأنشطة الجامعية.

أبرز نتائج الدراسة

فيما يلي خلاصة لأهم النتائج التي وصلت لها الباحثة في الدراسة:

١) أظهرت الدراسة اتّجاهاً إيجابياً بدرجة كبيرة (٤,١١) لدى طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية نحو الدعوة إلى الله وأهميتها وضرورتها للمجتمع وشعورهم بالمسؤولية تجاهها، ولم تظهر الفروق في ذلك بين الطلاب والطالبات، ولم تظهر كذلك بين مختلف المستويات الدراسية، بل ظهر انخفاض درجة الاتّجاه لدى الطلاب الأقل من حيث المستوى التحصيلي (التراكمي) مقارنة بالطلاب والطالبات الأعلى في مستواهم التحصيلي.

٢) كما أظهرت الدراسة اتّجاها إيجابيا وموافقة بدرجة كبيرة (٤,٠٢) من طلاب وطالبات القسم نحو تخصّصهم الأكاديمي (الدراسات الإسلامية) ورغبتهم بإكمال دراساتهم العليا فيه، وشعورهم بالفخر ورغبتهم في التوسع في دراستهم، وظهر الفرق بين الطلاب والطالبات في هذا المحور وذلك لصالح الطلاب، وكذلك ظهر الفرق في انخفاض متوسط طلاب وطالبات السنة الأولى في اتّجاههم نحو تخصّصهم عن زملائهم في السنوات التي تليها.

٣) وأظهرت الدراسة اتّجاها إيجابيا (٣,٥٦) وموافقة عيّنة البحث نحو مقررات الدعوة التي تتضمنها الخطة الدراسة، ولم تظهر فروق ذات دلالة إحصائية مؤثرة في الطلاب والطالبات تبعاً لمتغيرات الدراسة.

٤) وكذلك أظهرت الدراسة اتّجاها إيجابيا (٣,٧٥) وموافقة عيّنة البحث على مساندة البيئة الجامعية للقيام بالدعوة إلى الله، ولم تظهر فروق ذات دلالة إحصائية ذات تأثير تبعاً لمتغيرات الدراسة.

٥) وأخيرا أظهرت الدراسة موافقة عيّنة البحث على المقترحات المذكورة في المحور الخامس (٣,٨٧) لتفعيل دورهم في الدعوة إلى الله، وقد أظهر الطلاب

موافقة أكبر من الطالبات تبعـًا للدلالة الإحصائية.

٦) كما أثبتت النتائج وجود علاقة طردية موجبة بين الاتّجاه نحو الدعوة إلى الله وبين محاور الدراسة الأخرى.

توصيات الدراسة

توصي الباحثة في ختام هذه الدراسة بما يلي:

١) ضرورة توعية المجتمع بمكانة الدعوة إلى الله وأهميتها، ونشر ثقافة المسؤولية الدعوية التي أوجبها الله تعالى على كل مسلم تبعـًا لقدرته وطاقته.

٢) أهمية العناية باختيار وتأهيل أعضاء هيئة التدريس القائمين بتدريس مقررات الدعوة، لأنهم النموذج الأول أمام الطلاب والطالبات في حسن قيامهم بالدعوة.

٣) أهمية اختيار طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية بعناية، مع تعزيز جانب ثقتهم بأنفسهم وأهمية تخصّصهم الأكاديمي.

٤) العناية والاهتمام بالجوانب التطبيقية في المقررات الخاصة بعلم الدعوة، وعدم التوقف عند التلقين النظري من قبل أساتذة المقررات.

٥) عدم حصر تدريس مقررات الدعوة في قسم الدراسات الإسلامية، وتدريسه كمقرر حرّ لبقية الأقسام الأكاديمية بالجامعة، وذلك لتنتشر ثقافة المسؤولية الدعوية بين أفراد المجتمع المسلم.

٦) التوسع في مجال المشاركة المجتمعية مع جهات دعوية خارجية، لتقديم دورات ومحاضرات إثرائية لطلاب الدراسات الإسلامية لتعويض النقص وقلة المقررات الدعوية.

٧) التنسيق والتعاون بين وسائل الإعلام وبين المتخصّصين الأكاديميين في الدعوة، كي تفسح هذه الوسائل المجال لتوضيح الفكر الدعوي الإسلامي، عبر

برامج مرئية أو صوتية تقدم معالم الدعوة للجماهير، ويتولى أساتذة أقسام الدراسات الإسلامية والدعوة تقديم برامج دورية منتظمة تعرّف بالدعوة وأهميتها ووسائلها وأساليبها.

٨) تهيئة المجتمعات المحلية كي يكون للفكر والعمل الدعوي أصداؤه وآثاره، التي تسعى لإزالة الأمية المتعلقة بالمسؤولية الدعوية، وذلك بإشراك مؤسسات المجتمع مع الهيئات العلمية في تقديم وممارسة الدعوة، ولا تقف هذه الدعوة عند حدود المحلية بل تتجاوزها إلى الإقليمية ثم الدولية.

٩) إعداد برامج علمية أكاديمية ودورات تأهيلية لإعداد الدعاة من أعضاء هيئة التدريس والطلاب، وتدريب خريجي أقسم الدراسات الإسلامية على القيام بالدعوة.

١٠) توجيه اهتمام الباحثين من أعضاء هيئة التدريس من المتخصّصين في علم الدعوة إلى المشاركة في مشاريع البحوث والمنح البحثية التي تطرحها بعض المؤسسات الوطنية مثل مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية وعمادات البحث العلمي بالجامعات السعودية، لإجراء دراسات علمية وبرامج تُعنى بإصلاح المجتمع وإحياء دوره الدعوي الإصلاحي.

١١) قيام أقسام الدراسات الإسلامية بتسويق خبرات طلابها المتميزين دعوياً لدى قطاعات المجتمع الاجتماعية والثقافية والتربوية لمساعدتهم في أداء مهمة الدعوة إلى الله.

الأساتذة محكمو أداة الدراسة

م	اسم المحكم	الجهة	التخصّص	الدرجة العلمية
١	بدرية صالح الميمان	جامعة طيبة	التربية الإسلامية	أستاذ مساعد
٢	الجوهرة محمد العمراني	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	الدعوة والاحتساب	أستاذ
٣	سامى على القليطى	جامعة طيبة	العقائد والأديان	أستاذ
٤	سلطان شاهين	جامعة طيبة	الثقافة الإسلامية	أستاذ مساعد
٥	صالح سعيد الحربى	جامعة طيبة	الدعوة	أستاذ مساعد
٦	صلاح أحمد أبو زيد	جامعة طيبة	الدعوة والثقافة الإسلامية	أستاذ
٧	عصام مصطفى شريفي	التربية والتعليم	أصول التربية الإسلامية	دكتوراه
٨	علي ابراهيم الزهراني	الجامعة الإسلامية	أصول التربية الإسلامية	أستاذ
٩	لمياء محمد الطويل	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	الدعوة والاحتساب	أستاذ مشارك
١٠	منى علي السالوس	عمادة الخدمات التعليمية	أصول التربية الإسلامية	أستاذ مشارك

مراجع البحث

١) إبراهيم، د عبد الله سليمان، د زين حسن الردادي: مناهج البحث في العلوم الإنسانية، مكتبة الرشد، الرياض، ط: ١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢) الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح سنن الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط: ١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٣) البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ، وسننه وأيامه (الشهير بصحيح البخاري)، دار السلام الرياض، ط: ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٤) البيانوني، د محمد أبو الفتح: المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط: ٣، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٥) التركي، د ناصر عبد الله ناصر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط: ١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

٦) الثبيتي، د عابد عبد الله معيوض: التخاذل عن الدعوة إلى الله، أبرز المظاهر والأسباب والآثار وأهم طرق العلاج، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، مج ٨، عدد ٣٠، ٢٠١٢م.

٧) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٧، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٨) رضا، السيد محمد رشيد: تفسيرالقرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار)، ط: ٢، بدون تاريخ، دار المعرفة بيروت.

٩) الزبيدي: محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية بالمنشأة الجمالية، مصر، ط: ١، ١٣٠٦هـ.

١٠) الزنتاني، د عبد الحميد الصيد: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ط: ٢، ١٩٩٣م.

١١) الضحيان، د. سعود ضحيان، ود. عزت عبد الحميد حسن: معالجة البيانات باستخدام برنامج spss10، مطابع التقنية للأوفست الرياض، ط: بدون ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٢) ظهير، د فضل إلهي: الحسبة، تعريفها ومشروعيتها ووجوبها، مطبعة سفير، الرياض، ط: ٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٣) عبيدات، د.ذوقان ود. عبد الرحمن عدس ود. كايد عبد الحق: البحث العلمي، مفهومه، أدواته، أساليبه، دار أسامة للنشر والتوزيع، الرياض، ط: بدون، ١٩٩٧م.

١٤) أبو علام، د.رجاء محمود: مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، دار النشر للجامعات، مصر، ط: ٣، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٥) العقيل، د سليمان عبد الله: الشباب السعودي والعمل الدعوي، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (عدد٤٠) شوال ١٤٢٣هـ.

١٦) العيسوي، د.عبد الرحمن محمد: تفاعل الجماعات البشرية، الدار الجامعية، الإسكندرية، ط: بدون، ٢٠٠٦م.

١٧) أبو عرقوب، د.إبراهيم: الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الاردن، عمان ط: ٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

١٨) فرغل، د يحيى هاشم حسن: عزوف الطلاب عن الالتحاق بمعاهد الدعوة الإسلامية، أسبابه وعلاجه، من بحوث مؤتمر دور الجامعات الإسلامية في تكوين الدعاة، ، رابطة الجامعات الإسلامية، ج٢، ١٩٨٧م.

١٩) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآ، دار إحياء الترث العربي، بيروت، ط بدون، ١٩٦٥م.

٢٠) ابن كثير: تفسير القرآآن العظيم، كتاب الشعب القاهرة، ط بدون.

٢١) محفوظ، علي: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، دار الاعتصام ودار النصر للطباعة، القاهرة، ط بدون، ت بدون.

٢٢) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار القلم، دمشق، ط: ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٣) الندوي، أبو الحسن علي الحسن: دور الجامعات الإسلامية المطلوب في تربية العلماء، وتكوين الدعاة، وحماية الأقطار الإسلامية من التناقض والمجابهة، مقالة أعدت لمؤتمر تكوين الدعاة الذي عقدته رابطة الجامعات الإسلامية بالقاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

استبانة البحث

رأيك مهم جداً

الابن الكريم.. الابنة الكريمة طالب/ طالبة قسم الدراسات الإسلامية حفظكما الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

أقدم بين أيديكم استبانة بحث عنوانه: (اتّجاه طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية نحو ممارسة العمل الدعوي).. دراسة مسحية وصفية على عيّنة عشوائية من طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة.

وأسعى من خلال هذا البحث إلى التعرف على اتّجاه طلاب وطالبات قسم الدراسات الإسلامية نحو ممارسة العمل الدعوي داخل وخارج الجامعة، وكذلك معرفة أهم اقتراحات الطلاب والطالبات لتفعيل دورهم في الدعوة إلى الله.

أما المقررات الدعوية التي تدرس في قسم الدراسات الإسلامية فهي: المدخل إلى علم الدعوة، منهج الدعوة في القرآن والسنة، خلق المسلم، تاريخ الدعوة، الدعوة الإصلاحية، دعوة غير المسلمين، تطبيقات دعوية.

ويسرنا اختيارك للإجابة عن فقرات الاستبانة وذلك بوضع علامة (✓) أمام الإجابة التي توضح وجهة نظرك، مع العلم بأن كل البيانات ستستخدم لأغراض البحث العلمي فقط.

وإني لواثقة من تعاونكما الصادق جزاكما الله خير الجزاء، ، ،

د. هند بنت مصطفى شريفي قسم الدراسات الإسلامية

البيانات التعريفية:

«١» الجنس: طالب [ ] طالبة [ ]

«٢» المعدل التراكمي (المستوى التحصيلي):

ممتاز [ ] جيد جداً [ ] جيد [ ] مقبول [ ]

«٣» المستوى الدراسي:

السنة الأولى [ ] السنة الثانية [ ]

السنة الثالثة [ ] السنة الرابعة [ ]

محور١ : رأي الطالب/ الطالبة في تخصّصه الأكاديمي						
م	العبارة	موافق جداً	موافق	محايد	غير موافق	لا أوافق أبداً
١	أشعر بالفخر لأنني طالب في قسم الدراسات الإسلامية					
٢	اخترت قسم الدراسات الإسلامية لاقتناعي به					
٣	أتمنى أن أكمل دراساتي العليا في أحد فروع الدراسات الإسلامية					
٤	أتمنى لو تتاح لي فرصة التحويل من قسمي إلى أي قسم آخر بالجامعة					
٥	لو كنت من أصحاب القرار لسعيت إلى إنشاء كلية للدراسات الإسلامية					

محور٢ : رأي الطالب/ الطالبة في مقررات الدعوة المتضمنة في خطة قسم الدراسات الإسلامية						
م	العبارة	موافق جداً	موافق	محايد	غير موافق	لا أوافق أبداً
١	أنشطة مواد تخصّصي تعزز جانب الدعوة عند الطالب					
٢	المعلومات التي أدرسها في مقررات الدعوة عامة ولا تستند إلى أساس علمي					
٣	مقررات قسمي الدراسية تهتم بالتطبيقات العملية للدعوة					
٤	عدد ساعات مقررات الدعوة كافية لإكساب الطالب مهارات الدعوة إلى الله					
٥	تكسبني مقررات الدعوة في قسمي سعة الاطلاع في المجال الدعوي					
٦	أرى أن مقررات الدعوة في قسمي متداخلة مع غيرها من المقررات وغير متميزة عنها بشيء					

٧	تتضمن مقررات الدعوة ساعات خاصة بالتدريب العملي					
٨	أقترح استبدال مقررات الدعوة بمقررات أخرى					
٩	دراستي لمقررات تخصّصي المتنوعة تقوي بنائي العلمي الدعوي					
١٠	أتمنى لو يزاد في عدد المقررات الخاصة بعلم الدعوة					
محور ٣: اتّجاه الطالب/ الطالبة نحو الدعوة إلى الله وممارستها						
م	العبارة	موافق جداً	موافق	محايد	غير موافق	لا أوافق أبداً
١	أخشى من سخرية الأصدقاء إذا نصحتهم ودعوتهم					
٢	أرغب في إكمال دراساتي العليا في تخصّص الدعوة					
٣	أعتقد أن قيامي بالدعوة يقربني من الله تعالى					
٤	أرى أن ممارستي للدعوة تطور شخصيتي					
٥	أرغب في التعرف على الدعاة/ الداعيات للاستفادة من خبرتهم					
٦	تفيد الدعوة في التعرف على الآخرين والقرب منهم					
٧	الذي يقوم بالدعوة إنسان يشعر بالمسؤولية					
٨	تجب الدعوة على القادر من الأساتذة وعلى الطلاب على حد سواء					
٩	تزداد قناعتي بأهمية وضرورة الدعوة للمجتمع يوما بعد يوم					
١٠	دعوة الآخرين ونصحهم فيه تدخل في حريتهم الشخصية					
١١	أبادر بالمشاركة في الأنشطة الدعوية بالجامعة					
١٢	أحب حضور البرامج والأنشطة الدعوية خارج الجامعة					
١٣	أقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أسرتي ومجتمعي					
١٤	أشعر بالسعادة عندما أوجه النصيحة والدعوة للآخرين					
١٥	المشاركة في الأنشطة الدعوية بالجامعة تضيع وقت الطالب					
١٦	الدعوة إلى الله من المهام المطلوبة من طالب قسم الدراسات الإسلامية					
محور٤: رأي الطالب/ الطالبة في مساندة البيئة الجامعية للقيام بالدعوة						
م	العبارة	موافق جداً	موافق	محايد	غير موافق	لا أوافق أبداً
١	أعتقد أني أحصل على الكثير من المعرفة المتعلقة بالدعوة من أساتذة القسم					

٢	أشعر بالألفة والانسجام عند التعامل مع أساتذة وأستاذات القسم					
٣	تقدم الجامعة أنشطة دعوية متنوعة للمجتمع					
٤	تشجع الجامعة الطلاب على المشاركة الفعالة في الأنشطة الدعوية					
٥	يشجعني زملائي في القسم على المشاركة في الدعوة إلى الله					
٦	أساتذة القسم لهم تأثير كبير في تشجيعي على القيام بالدعوة إلى الله					
محور ٥: مقترحات الطلاب والطالبات لتفعيل دورهم في الدعوة إلى الله						
م	العبارة	موافق جداً	موافق	محايد	غير موافق	لا أوافق أبداً
١	اختيار طلاب قسم الدراسات الإسلامية بعناية وعدم قبول الطلاب غير الراغبين في القسم					
٢	إلزام طالب الدراسات الإسلامية بالمشاركة في الأنشطة الدعوية خارج الجامعة كمتطلب ضمن المقررات الدعوية					
٣	إلزام طالب الدراسات الإسلامية بالمشاركة في الأنشطة الدعوية داخل الجامعة كمتطلب ضمن المقررات الدعوية					
٤	إنشاء قسم خاص بالجامعة لتدريس الدعوة وعلومها					
٥	إنشاء مقررات دعوية ذات طبيعة عملية تطبيقية					
٦	زيادة عدد الساعات المخصصة للمقررات الدعوية					
٧	إعداد دورات خاصة لطلاب وطالبات القسم للتدرب على الدعوة					
٨	إنشاء نادي مخصص لإعداد الدعاة بالجامعة					
	أرجو كتابة اقتراحاتك لتفعيل دورك في الدعوة إلى الله داخل أو خارج الجامعة: ١- ٢-					

The Tendency of Male and Female Students of the Department of Islamic Studies Towards the Islamic Call Practice

Descriptive survey study on random sample of male and female students of the department of Islamic studies in the college of Arts and Humanities sciences at Taibah university

This study aims to know the tendency of the male and female students of the department of Islamic studies in the college of Arts and Humanities sciences at Taibah university for the obligation towards the call to Allah (God). It shows the relation to some of the factors affecting the tendency of the students; males and females; towards the call to Allah, namely, their academic specialty, their opinion about the curriculum of the Islamic call in the syllabus of the department and the amount of the support given by the university environment towards the performance of the Islamic call, it also suggests some proposals to promote their role in the Islamic call.

The study; which was applied on stratified random sample of (590 male and female students); concluded that there is a positive tendency towards the Islamic call (Mean 4.11), which indicates their feeling of obligation towards the Islamic call and the need for the call of the individuals and the societies. It also pointed that they have a positive satisfaction tendency towards their academic specialty (4.12); and it highlighted the great wish of the students to establish a college of Islamic studies to be able to continue their higher studies in this specialty. The study showed also positive

tendency in the students towards the curriculum of the Islamic call in the syllabus of the department (Mean 3.56). The students agreed on the study proposals to improve their role in the call by a Mean of (3.87), mostly: start a society for preparation of Caller at the university, arrange for training courses of Islamic call for the male and female students and build up a department at the university to teach the Islamic call and it's sciences.

The study showed a statistically significant positive relation between the parameters of the questionnaire and the tendency towards the call to Allah in general. There has been a clear difference between the good average performing students and the outstanding performing students in their tendency towards the Islamic Call. There have been also statistical differences between the junior and the senior level students towards their specialty.

The study recommended; society awareness of the importance of the Islamic call to Allah, spread of the culture towards the Caller responsibility, care for building up teaching staff for the courses of Islamic Call, the importance of students selection for enrollment in the department of Islamic studies, Care for the practical aspects of the courses of the science of Islamic call, expansion of the society participation with call process, preparation of academic programs for training staff and students to practice the Call and support the studies and researches in the field of the Islamic Call.

Key words:

Department of Islamic Studies, Islamic Call (Dawah), Students, Students Tendency, Speciality of Islamic Studies.

دلالاتُ الأرقامِ
أنموذجاً رمزياً في المصطلَح الصوفي

د.خالد علي عباس القط
أستاذ الأديان والفرق الإسلامية والمذاهب المعاصرة المساعد
جامعة طيبة – المعهد العالي للأئمة والخطباء
khaledelkot@hotmail.com

تاريخ التحكيم: ٥/ ٧/ ١٤٣٥ تاريخ الإجازة: ١٥/ ١١/ ١٤٣٥

المستخلص:

حينما يروج أهل الباطل أن الإسلام ينقسم إلى شريعة وحقيقة، وأتباعه إلى أهل ظاهر وأهل باطن، وإلى علماء رسوم وعلماء إلهام حقيقيين هم الذين يدركون الحقائق الدينية، وأن علمهم سر خفي لا يفشى لأهل الظاهر، وحتى لا يلاقي مصيرهم المحتوم بالقتل، اتخذوا من الأسرار والألغاز والرموز والإشارات وسائل لغوية تبيح لهم من خلالها الحديث عن أحوالهم ويجنبهم المصير المحتوم إن هم أباحوا سرا من أسرار تصوفهم!!، وذلك من خلال بيان خطورة (**دلالات الأرقام الرمزية في المصطلح الصوفي**)

حيث الحديث عن: الرموز: مفهومها ومكانتها في المصطلح الصوفي، ثم الحديث عن دلالات الأرقام (١-٢-٤-٧-١٢-١٨-٤٠-٣٠٠) أنموذجا رمزيا في المصطلح الصوفي، وما توحي إليه من دلالات باطنية ليس لها سند شرعي من الكتاب الكريم أو السنة النبوية المطهرة، وبيان موقف أهل السنة والجماعة منها.

الكلمات المفتاحية:

دلالات، الأرقام الرمزية، المصطلح الصوفي، الباطنية، الأسرار، أهل السنة والجماعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾[1].

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن محمدا رسول الله، الرحمة المهداة، خاتم الأنبياء والمرسلين، ترك أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك ، وبعد،

لعل من أخطر الدعوات التي كان أهل الباطل يروجون بها أن الإسلام ينقسم إلى شريعة وحقيقة، وإلى تقسيم أتباعه إلى أهل الظاهر وأهل الباطن، وإلى علماء رسوم وعلماء إلهام حقيقيين هم الذين يدركون الحقائق الدينية، أما غيرهم فلا يدركون سوى القشور!!!

ليس ذلك فحسب بل كانوا يرون أن علمهم سر خفي لا يفشى لأهل الظاهر، وحتى لا يلاقى هؤلاء الصوفية مصيرهم كمصير الحلاج والسهروردى اتخذوا الألغاز والرموز والإشارات وسائل لغوية تبيح لهم من خلالها الحديث عن أحوالهم ويجنبهم في الوقت نفسه الاصطدام بالفقهاء والعامة، أو إباحة دمائهم إن هم أباحوا سرا من أسرار تصوفهم!!

ومن هذا المنطلق كانت تلك الدراسة حول بيان خطورة: «**دلالاتُ الأرقامِ:**

---

(١) سورة الكهف: ١٠١ – ١٠٦.

أنموذجًا رمزيًا في المصطلح الصوفي) معتمدين فيها على أهم مناهج البحث العلمي:

أ- **على المنهج الموضوعي**: الذي يعرض تصورات ومعتقدات غلاة الصوفية حول دلالات الأسرار والرموز والأرقام في المصطلح الصوفي كما جاءت على لسان غلاة الصوفية أنفسهم.

ب- **وعلى المنهج التحليلي الاستنباطي**: الذي يقوم على تحليل تصورات ومعتقدات غلاة الصوفية حول دلالات الأسرار والرموز والأرقام في المعاجم الصوفية ومؤلفات علمائهم وتوضيحها، واستنباط المقصد الباطني منها.

ج- **وعلى المنهج النقدي**: الذي يقيّم معتقدات غلاة الصوفية حول دلالات رموز الأرقام من خلال ما يعكسه المنهج القرآني الذي يتميز بالدقة والبساطة والوضوح والإقناع والبعد عن الغموض، وموقف السلف الصالح منها.

وتتكون هذه الدراسة والتي عنوانها: «**دلالاتُ الأرقامِ: أنموذجًا رمزيًا في المصطلح الصوفي)**

من: مقدمة وتمهيد ومبحث وخاتمة على النحو الآتي:

فالمقدمة: أشارت بإيجاز إلى البيئات التي عنيت بالفكر الإسلامي، ومراحل التصوف الإسلامي، وخطورة دعوات أهل البدع والصوفية المتفلسفين، والمنهج المتبع في هذه الدراسة.

أما التمهيد: فعنوانه: **الرموز: مفهومها ومكانتها في المصطلح الصوفي.**

أما المبحث: فعنوانه: **دلالات الأرقام: أنموذجا رمزيا في المصطلح الصوفي.**

والذي يتكون من ثمانية مطالب:

المطلب الأول – عنوانه: دلالة الرقم (واحد) في المصطلح الصوفي.

المطلب الثاني – عنوانه: الرقم (اثنان) مفهومه ودلالته في المصطلح الصوفي.

المطلب الثالث – عنوانه: الرقم (أربعة): دلالاته ومراتبه عند ابن عربي.

المطلب الرابع – عنوانه: دلالة الرقم (سبعة) واختصاصه في مراتب الولاية الصوفية.

المطلب الخامس – عنوانه: الرقم (اثنا عشر): دلالاته ومراتبه في المصطلح الصوفي.

المطلب السادس – عنوانه: مدلول الرقم (ثمانية عشر) في مصطلح طبقات الصوفية.

المطلب السابع – عنوانه: دلالة الرقم (أربعين) في المصطلح الصوفي.

المطلب الثامن – عنوانه: الرقم (ثلاثمائة): دلالاته وأقسامه في مصطلح طبقات غلاة الصوفية.

أما الخاتمة: ففيها إجمال لما تم التوصل إليه، وعدد من التوصيات المرجوة.

وأسأل الله العظيم أن يوفقنا إلي ما فيه الخير والصلاح، ويغفر لنا ما أخطأنا، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

الرموز: مفهومها ومكانتها في المصطلح الصوفي

تعددت اللغة الصوفية الرمزية الإشارية إلى ثلاثة أشكال رئيسة هى:

الكتابة النثرية: والتي ابتكرها غلاة الصوفية بلغة موغلة في الاستغلاق والرمزية والتعمية على نحو ماتجده في مؤلفات (ابن سبعين – السهروردي – الجيلي – ابن عربي)

والأقاصيص الرمزية: مثل (حيّ بن يقظان لابن سينا وابن طفيل، وقصة الطير لابن سينا والغزالي....وغيرها.

والشعر الصوفي: مثل أشعار: ابن الفارض – الجيلي.... وغيرهما[١].

أولا: مفهوم الرموز لغة واصطلاحا:

الرمز لغة: تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهم باللفظ من غير إبانة بصوت، وإنما هو إشارة بالشفتين.

وقيل: إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم.

وقيل: كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين[٢].

أما الرمز اصطلاحا: يقصد به معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله.

وقد صدق من قال: إذا نطقوا أعجزك مرمى رموزهم. وإن سكتوا هيهات منك اتصاله[٣].

---

(١) الفتوحات المكية، ابن عربي، المجلد ١/ باب (١٨١) ص ٢، قصيدة النادرات العينية، عبد الكريم الجيلي، التمهيد ص٦.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٥، ص ٣١٢.

(٣) معجم المصطلحات الصوفية، أنور خزام، ص ٤٣.

ثانيا: مكانة الرموز عند الصوفية:

احتل مفهوم «الرموز» عند الصوفية مكانة عالية حتى أصبح الأساس الذي يبنى عليه الكثير من الآراء والمعتقدات والأحوال والمقامات الصوفية.

ولقد أوضح الشعراني السبب الذي من أجله استخدم الصوفية إشاراتهم ورموزهم، حيث يقول : «إن الفقيه إذا لم يوفق يقال له إنه أخطأ، أما الصوفي فإنه عندما لا يوفق يقال: إنه كفر،!! لذلك كان لزاما على الصوفية استخدام الإشارات حتى لا يشتد إنكار العامة لهم»(١).

وقد عبر عن ذلك المعنى عبد الكريم الجيلي في أبيات له من قصيدته النادرات العينية قوله:

وها أنا ذا أخفي وأظهر تارة ... لرمز الهوى ما السر عندي ذائع

وإياك أعني فاسمعي جارتي فما ... يصرّح إلا جاهل أو مخادع

ولكنني آتيك بالبدر أبلجا ... وأخفيه أخرى كى تصان الودائع(٢)

ويؤكد ابن عربى في فتوحاته المكية أن الرموز والألغاز ليست مرادة لأنفسها، وإنما هى مرادة لما رمزت له، ولما ألغز فيها، فالأمثال ماجاءت مطلوبة لأنفسها، وإنما جاءت ليعلم منها ما ضربت له، وما نصبت من أجله.

حيث يقول:

ألا إن الرموز دليل صدق ... على المعنى المغيب في الفؤاد

ولولا اللغز كان القول كفراً ... وأدّى العالمين إلى العناد

فهم بالرمز قد حسبوا فقالوا ... بإهراق الدماء وبالفساد

---

(١) قصيدة النادرات، التمهيد ص ٦.

(٢) قصيدة النادرات، ص ٦٨ (الأبيات: ١٢٧، ١٢٨، ١٢٨).

فكيف بنا لو ان الأمر يبـدو بـــلا ســـتر يكـــون بالاســـتناد
لقـام بنـا الشـقاء هنـا يقينـــا وعنـــد البعـــث في يـــوم التنـــاد[١]

وخلاصة القول في الأسباب الحقيقية وراء اتخاذ غلاة الصوفية الرموز والإشارات في كتاباتهم -كما يرى القشيري في رسالته - هو «غيرتهم على طريقة أهل الله عَزَّوَجَلَّ أن تظهر لغيرهم، فيفهموها على خلاف الصواب، فيضلوا في أنفسهم ويضلوا غيرهم، ولذلك نهوا المريد أن يطلع في رسائل القوم لنفسه من غير قراءة على شيخ له»!![٢].

وإذا كان الأمر كذلك على ما يعتقده الصوفية فقد احتلت الأعداد مكانة رمزية لدى الصوفية، وأصبح لكل رقم من الأرقام رمز يرمز به لشيء خفي لا يعرفه إلا العارفون الواصلون، فتعددت بذلك رمزية الأرقام ودلالتها ودورها في التصوف الفلسفي خاصة في تكوين مراتب الولاية الصوفية، ومن هذه الأرقام: واحد، اثنان، أربعة، سبعة، اثنا عشر، ثمانية عشر، أربعون، وثلاثمائة.

وهنا نوضح ما ترمز إليه تلك الأرقام ودلالاتها في المصطلحات والمعاجم الصوفية، وموقف أهل السنة والجماعه منها وهذا ما يوضحه المبحث بمطالبه الثمانية الآتية:

وقبل الخوض في تلك المطالب نشير إلى حقيقة مهمة: أن دلالات الأرقام لدى غلاة الصوفية وما ترمز إليها لم تكن لها المدلولات الباطنية قبل ظهور (عبد القادر الجيلاني ٥٦١ هـ)، ومنذ ظهور مؤلفات الجيلاني ظهرت رمزية الأرقام ودلالاتها لدى الصوفية، ثم (نجم الدين كبرى ٥٤٠ هـ) ثم (ابن عربي ٦٣٨ هـ) ثم (الكاشاني عبد الرازق ٧٣٦ هـ) ثم (اليافعي ٧٦٨ هـ) ثم (عبد الكريم الجيلي ٨٢٦

---

(١) الفتوحات المكية مجلد ١، الباب (٢٦) ص ١٨٨، ١٨٩.

(٢) الرسالة القشيرية، أبو القاسم القشيري، ص ٣١.

هـ). لكن ليس لدى الطوسي (٣٧٨ هـ) أو الكلاباذي (٣٨٠ هـ) وأبي طالب المكي (٣٨٦ هـ) والقشـيري (٤٦٥ هـ) والهجويري (٤٧٠ هـ) مايعكس استخدام رموز الأرقام ودلالتها في المصطلح الصوفي.

ونشير إلى حقيقة أخرى تتمثل في لجوء غلاة الصوفية إلى استخدام الأسرار والرموز والأرقام والإشارات، فلم يكن لجوؤهم إليها لأنهم هم العارفون الحقيقيون، وأن عامة الناس غير عارفين، فالإسلام جاء لكل الناس ببساطته لاغموض فيه، ولا أسرار ولا إشارة أو أرقام سرية!!

ومن ثم لجأ هؤلاء الصوفية إلى ذلك تمييزا عن غيرهم من التيارات الفكرية الموجودة على أرض الإسلام، ولجأ بعضهم إلى رموز الأسرار وذلك إخفاء لعقيدته الدينية، أو إخفاء لميوله السياسية، ولعل مقتل الحلاج مثال لذلك لاتصاله الخفي بالقرامطة من أجل قلب نظام الحكم العباسي وإفشائه عقائد الحلول والاتحاد.

ومن هذا المنطلق خاف غلاة الصوفية على أنفسهم حتى لا يلاقوا مالاقاه الحلاج.

ليس ذلك فحسب بل **إن الهدف الأسمى من ذلك الفكر الصوفي المتفلسف هو غرس الفكر الباطني بأفكاره الهدامة المخالفة لعقائد الإسلام، والقضاء على الإسلام من داخله**، وليس أدل على ذلك من هذه المعتقدات الغامضة: كوحدة الوجود، والحلول الإلهي، والاتحاد الإلهي بالعارفين والمخلوقات، والحقيقة المحمدية الأزلية التي من نورها خلقت جميع الأشياء، ومن أجلها أبدعت الكائنات، ووحدة الأديان، وتقديس الأولياء، وتقسيم الشريعة الإسلامية إلى ظواهر غير مرادة وبواطن هى المرادة، وتقسيم علماء الإسلام إلى علماء رسوم جهلة، وعلماء إلهام صوفية حقيقيين، والدعوة إلى التقشف والاعتزال والخلوة والتواكل،... وغير ذلك من المعتقدات الهدامة.

المبحث

دلالات الأرقام: أنموذجا رمزيا في المصطلح الصوفي

المطلب الأول

دلالة الرقم (واحد) في المصطلح الصوفي

للرقم (واحد) في المصطلح والمعجم الصوفي الفلسفي مدلولان:

الأول: الواحد الحق وهو الله تعالى.

الثانى: الواحد الغوث قطب الأقطاب غوث المريدين!!!

فالواحد الحق: اسم الذات بهذا الاعتبار متصفا بصفات الكمال والجلال مبدع الوجود لا شريك له[١].

ومن خلال ذلك الاسم اشتق مصطلح (الواحدية) ويقصد به:

مجلى –مظاهر ومراتب – ظهور الذات فيها صفة، والصفة منها ذات[٢].

ويقصد به كذلك اعتبار الذات من حيث نشوء الأسماء منها وواحديتها بتلك الذات مع تكثرها بالصفات، فكأن تلك الأسماء الإلهية واحدية لله تعالى، وهذه الصفات الإلهية واحدية لله تعالى لا يشبهها صفه، ولا يشبهها اسم من الأسماء[٣].

يقول عبد الكريم الجيلى:

فيا أحديَّ الذات في عينِ كثرةٍ ويا واحدَ الأشياء ذاتك شائع

تجليت في الأشياء حين خلقتها فها هيَ ميطت عنك فيها البراقع[٤].

---

(١) إصطلاحات الصوفية، الكاشاني، ص ٧٣ .

(٢) الإنسان الكامل، الجيلي، ج ١ ص ٢٩.

(٣) إصطلاحات الصوفية، ص ٢٥، كشاف، التهانوي، ص ١٤٦٧.

(٤) قصيدة النادرات ص ٧٤.

ويشابه لفظ (الواحد) لدى الصوفية لفظ (الأحد) لكنه - لفظ الأحد -خالٍ من الصفات والأسماء، وبعبارة أخرى فإنه اسم الذات الإلهية المقدسة باعتبار انتفاء ونفي الأسماء والصفات والنسب والتعينات عنه.

أما لفظ (الأحدية) فهى: مجلى الذات الذي ليس للأسماء ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور. وكأن الأحد اسم الذات المقدسة المجردة، أما الأحدية فهى مرتبة ومظهر للذات المقدسة المجردة أيضا(١).

ونلاحظ مخالفة تصور الصوفية للفظ الأحد عن تصور أهل السنة والجماعة، فكيف يكون الأحد خاليا من الأسماء والصفات والله تعالى الواحد الأحد المتصف بصفات الكمال والجلال، مبدع الكل، خالق الكائنات ورازقهم وحده لاشريك له، وذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾(٥).

ونلاحظ كذلك هذا الغموض في مصطلح (الأحدية) وهو خالٍ من الأسماء والصفات المؤثرة!!

---

(١) التعريفات، الجرجاني، ص ١١، إصطلاحات، الكاشاني، ص ٥١، الإنسان الكامل، ج ١، ص ٢٨.

(٢) سورة الإخلاص: ١ - ٢.

(٣) سورة فاطر: ١.

(٤) سورة الإسراء: ١١٠.

(٥) سورة غافر: ٦٢.

إذن فمن الذي أبدع الأشياء وأخرجها من العدم إلى الوجود؟، ومن الذي قال للشيء كن فكان؟!!

ولاشك أن تلك الأمور من المبتدعات التي تصادم الشريعة بالمخالفة، وأوجبت التعاطى عليها بزيادة لم يتحدث عنها الرسول الكريم ﷺ، ولم يتحدث عنها كذلك الصحابة رضوان الله عليهم(١).

أما الواحد الغوث:

فقد يظن المريد الجديد في مجالس الصوفية أنه هو الله الواحد الأحد، لكن حينما يدرك شيخ المجلس الصوفي انتماءه وولاءه له يكشف له اللثام عن حقيقة الواحد الغوث وهو:

موضع نظر الله من العالم في كل زمان، وهو على قطب إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويسمى الغوث باعتبار التجاء الملهوف إليه، وقد أعطاه الله تعالى الطلسم الأعظم – ولاندرى ما الطلسم الأعظم – وهو يسرى في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، وبيده قسطاس الفيض الأعم، ووزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وهذا الواحد الغوث يفيض بروح الحياة على الكون الأعلى والكون الأسفل، وهو الحبر الأعظم الصوفي الجليل الذي تعنو له الوجوه، إذ هو غوث العباد وجامع الأسماء الحسنى الإلهية والصفات، ولا طاقة لأحد على منافسته من الناس أو مناظرته، وقد أكرمه الله تعالى أن علّمه ما قبل وجود الكون وما وراءه، وما لانهاية له، وعلمه جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات، وقد خصّه بأسرار دائرة الإحاطة وجميع فيوضه وما احتوى عليه، وهو محل المظاهر الإلهية وصاحب الوقت، وعين الزمان، وصاحب علم سر القدر، وله علم دهر الدهور ... لا يعتريه شبهة في دينه قط!!! ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه ...، كثير النكاح

(١) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص ٢٩.

راغب فيه، محب للنساء يضع الموازين ويتصرف على المقدار المعين الموقت له!!![1].

ذلك هو القطب الواحد الغوث في المصطلح الصوفي وما يرمز إليه، ولم يكن مقصدنا هنا الحديث عن أنواع الأقطاب الاثنى عشر بعد بعثة الرسول الكريم ﷺ، أو الثلاثمائة وثلاثة عشر قطبا قبل البعثة المحمدية، ولم يكن مقصدنا هنا أيضا الحديث عن أحوال الأقطاب وأسرارهم ورموزهم التي لاتعد ولا تحصى!!!!

فقد كشف ابن عربى اللثام عن تلك الخرافات والأساطير في فتوحاته المكية!!! بما لا مزيد عليه في كشفه عنهم.

وأنما قصدنا - بايجاز شديد - ما يرمز إليه الواحد الغوث ومدلوله في المصطلح الصوفي الباطني المخالف لعقيدة الإسلام الحنيف[2].

ونتسائل هل هذا الاعتقاد مما أقره الرسول الكريم المصطفي، وعرفه الصحابة رضوان الله عليهم؟

الحقيقة التي لا شك فيها أنه لم يكن على عهد رسول الله ولا في زمن الصحابة ولا التابعين مثل تلك الخرافة البدعية،

بل هى حادثة في الإسلام دخيلة على دين الله تعالى، ذلك لأنه ليس من الإسلام طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فذلك القطب ما هو إلا شيخ تسلط على أتباعه تسلط الجبارين، فكلمته قانون ربانى، وإشارته حكم دون مراجعة أو اعتراض

---

(١) رشح الزلال، ص ٦١، ٦٢، إصلاحات الصوفية، ابن عربي، ص ٤ (من رسائل ابن عربي)، اليواقيت والجواهر، الشعراني، ج ٢ ص ٧٨، جواهر المعاني، أحمد التيجاني، ج ١ ص ٨١، النصوص في مصطلحات التصوف ، محمد غازي ، ص ٢٤٤ ، ٢٧١، معجم الفاظ الصوفية ، أد/ حسن الشرقاوى ، ص ٢٣٥ ، معجم المصطلحات ص ١٤٣.

(٢) لمعرفة المزيد عن ذلك يرجى الاطلاع على كتاب الفتوحات المكية لابن عربي – الجزء الرابع الباب (٤٦٢) ومابعده.

امتثالا لهذا المبدأ الصوفي: من اعترض امترض، واعتقادهـم أن يكون المريد بين يدي شيخه – قطبه – كالميت بين يدي الغاسل!!!

فإذا كان ذلك في حياة القطب الغوث، فما بالنا لو مات ذلك الغوث المتصف بصفات الألوهية والربوبية؟!!فحينما يموت الواحد الغوث يتخذ له ضريحا من تلك الأضرحة التي تصبح قبلة لأتباعه، فلا ينقطعون عن زيارته، ويحجون إليه في يوم مولده، ويؤدون له من المناسك ما يؤديه المسلمون في مناسك الحج، ويقدمون له القرابين والنذور، ويهتفون به في كل حال من أحوالهم، ويطلبون منه المدد والغوث والعون، ولا يكاد يخطر لهم ذكر الله تعالى في أحوالهم تلك، حينئذ يصدق فيهم قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾(١)(٢).

وانطلاقا مما سبق أصبح شيوخ هذه الطرق هم الأقطاب الأغواث" الذين يستغاث بهم في ظلمات البر والبحر، تنسج حولهم قصص الكرامات والأساطير، وتزداد كثرة حينما يرحلون، وتقام المساجد بأسمائهم، ويصرح للبسطاء والجهلة بتقديس هذه المزارات!!

ولنضرب لذلك بشخصيتين قطبيين غوثيين هما: العارف بالله احمد البدوى!!، والعارف بالله إبراهيم الدسوقى!!!

فالعارف بالله أحمد البدوي (٥٦٩ هـ – ٦٧٥ هـ) هو:

القطب النبوي الملثم ممن تربعوا على عرش الولاية الربانية والوراثة

---

(١) سورة الأحقاف: ٥ – ٦.

(٢) رسالة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٨ ومابعدها، التصوف والمتصوفة فى مواجهة الإسلام، أ د/ عبد الكريم الخطيب، ص ١٧٣، ١٥٤.

المحمدية، الغوث الفرد، الجامع قطب الأقطاب سلطان العارفين الأصفياء، مخصوص العناية الإلهية، وطلسم الولاية العظمى و، كنز العرفان الأسمى، النور المحمدي السارى في آفاق الوجود، صاحب الكشف والشهود، خصه الله بالولاية العظمى، كان مجاهدا صائما، يطوى أربعين يوما لا يتناول طعاما ولا شرابا، ولا يذوق نوما، ذلك لأن الله هو الذي يطعمه ويسقيه!![1].

أما العارف بالله إبراهيم الدسوقي (٦٥٣ هـ – ٦٩٦ هـ) فهو:

قطب الأولياء بحر الشريعة، منار الطريقة سلطان الأولياء، كان أقطاب الولاية ينتظرون ميلاده، ويبشرون به قبل ميلاده ... أخذ الرسول الكريم عليه العهد بيمينه، وصار يكشف له عن الأمور، ويفتح له أقفال الحجب ...، وقد عهد البيعة عن القطب أبي الحسن الشاذلي ...، صام في المهد يوم ميلاده رافضا الرضاعة، فعلم الناس بدء شهر الصيام وهو ابن خمس سنوات، تقطب وجالت روحه في الملكوت واقفا بين يدي الله، وشاهد اسمه في العلا وهو ابن ست سنوات، جاوز مراتب الأولياء مرتبة مرتبة إلا مرتبة الشيخ عبد القادر الجيلاني، لكن لما بلغ سبع سنوات صارا في الفضل سواء!!![2].

ونختم الحديث عن القطب الغوث بتلك الاستغاثات التي يلجأ إليها الملهوفون فرأوا الباطل حقـًا، والكفر إيمانـًا، فلجأوا إلى القطب الغوث يستغيثونه آناء الليل وأطراف النهار.

حيث يقولون: «ياسلطان العارفين، ياتاج المحققين، ياساقى الحميا، يا جميل المحيا، يابركة الأنام، يا مصباح الظلام، ياشمس بلا أفل، يادر بلا مثل، يا

---

(١) العارف بالله سيدي أحمد البدوي، د/ سعد القاضي، ص ٥، ٢٤-٢٩ بتصرف.

(٢) العارف بالله سيدي إبراهيم الدسوقى، د/ سعد القاضى، ص ١٢، ١٣، ولمزيد من معرفة الغلو فى طبقات هؤلاء الأقطاب يرجى الرجوع إلى كتاب: الطبقات الكبرى للشعراني وغيره.

فارج الكرب، ياغوث الأعظم، يا واسع اللطف والكرم، يا كنز الحقائق، يا واسط السلك والسلوك، ياشمس الشموس، يا زهرة النفوس، ياهادي النسيم، يا محيى الرميم، يا عالي الهمم، يا ناموس الأمم، يا حاجة العاشقين، يا خزانة الأسرار، يا سيدي جمال الله، يا نائب رسول الله، يارحم الناس،

يا مذهب البأس، يا مفتح الكنوز، يا وسيلة الطالبين..، ياقوى الأركان، يا حبيب الرحمن، يا فاتح المغلقات ... يامنتهى الأمل حين ينقطع العمل، ياضياء السموات والأرض ...، يا غافر الأوزار، يا كاشف الغمة، ... يا سيدي يا سيدي يا مولأي، يا قوتي، يا غوثي يا غياثي ... يا عوني.

يا قطب الملائكة والإنس والجن، يا قطب البر والبحر والمشرق والمغرب والعرش والكرسى واللوح والقلم ...، يا من يبلغ لمريده عند الاستعانة ولو كان في المشرق، يا صاحب التصرف في الدنيا وفي قبره بإذن الله، يا غوث الأعظم أغثنى في كل أحوالى وانصرني في كل آمالي...»[1].

المطلب الثاني

الرقم (اثنان): مفهومه ودلالته في المصطلح الصوفي

يرتبط الرقم «اثنان» ارتباطا وثيقا بالواحد الغوث، إذ له مدلوله الخاص في المصطلح الصوفي الباطني، مدلول يرفضه العقل الواعي بحقيقة نفسه، وحقيقة الوجود المخلوق، وحقيقة خالق الوجود سبحانه وتعالى.

فالرقم (اثنان) يرمز له بشخصين هما مساعدان للغوث، ونائباه في أمور

---

(١) الفيوضات الربانية فى المآثر والأوراد القادرية، إسماعيل القادري، ص ١٩٤، قلادة الجواهر، محمد الرفاعي الخالدي، ص ٢٣٧، مجمل عقائد الصوفية في ميزان أهل السنة والجماعة، أد/ فاروق مصطفى، ص ٤٦٣.

الحكومة الباطنية السرية التي تريد قلب عقائد المسلمين بالأباطيل والخرافات.

فالشخصان الإمامان المساعدان نائبا الغوث، أحدهما على يمين الغوث، والآخر على يساره!!

فالإمام الأول الذي على يمين الغوث: نظره في الملكوت وهذا الملكوت مرآة مايتوجه من المركز القطبي إلى العالم الروحاني من الإمدادات التي هى مادة الوجود والبقاء، وهذا الإمام صاحب حال مشتغل بنفسه من جهة مالكه، واسمه عبد الملك، وهو متمكن القدم في الروحانية، وله علم السماء، وليس عنده من علم الأرض خبر، وهو واقف خلف حجب السبحات يرى نفسه وربه على حكم ربه لا على حكم نفسه، ولهذا الإمام سران: سر العبودية، وسر السيادة، وهو يسبح الليل والنهار لا يفتر، فالتحق بالعباد المكرمين غير أن المقام فيه أمر سفلي، وهو من عباد الرحمن، **ولذلك هو منكحة للروحانيين**، تلقى إليه وتنزل فيه، ولا يلقى إلى أحد ولا ينزل في أحد، **ذلك لأن الأسرار والمعارف والعالم العلوي ينكحه، وهو لا ينكح أحدا، وهو مؤنث علوي صحيح الحال سعيد فارغ من الكون واقف بين يدي الحق!!!**

أما الإمام الثاني الذي على يسار الواحد الغوث: فنظره في الملك الذي هو مرآة ما يتوجه منه إلى المحسوسات من المادة الحيوانية، وقد جعل الله تعالى هذا الإمام صاحب منزل الجلال والأنس بالله، وعنده مصالح العباد والمقاليد وصلاح العالم، وهو السيد الطاهر سيف القطب وخليفته بعد موته – أي بعد موت الغوث –، ولذلك يسمى بالإمام الأكمل وعبد الرب!!!

ولهذا الإمام معرفة سر الأسرار، وله التدبير الإلهى، وله في العدد أسرار إلهية لا يعرفها إلا هو ...، وهذا الإمام نصف عمره الأول مع العالم المحسوس، ونصف عمره الآخر مع الغوث الحق المخلوق على السواء!!!

وهذا الإمام قد منح الأسرار الخمسة وهى:

سر الثبات: وبه يعلم حقائق الأمور، وبه يفصل ويولد ويزوج، ويعبرّ عن الرموزات وفك الطلسمات وأصول الأشياء الظاهرة والباطنة والحقيقية وغير الحقيقية!!!

وسر التمليك: وبه يرحم الضعفاء، وينجي الغرقى، ويكسب المعدوم، ويقوي الضعيف، ويحمل الكل ويعين على نوائب الحق، ويجود على من أساء، ويعفو عن الجرائم ويصفح، ويجمع بين المتعاشقين والوالدة بولدها!!!

وسر السيادة: وبه يفتخر ويبدى حقيقته ويقول: **أنا سيد ولد آدم، وإني أنا الله لا اله إلا أنا، وسبحاني، وما في الجبة إلا الله!!!**

وسر الصلاح: وبه يحمل الخلق على المكاره التي فيها نجاتهم وتجنبهم عن الملذوذات التي فيها هلاكهم، وبهذا السر يحول بين الولد ووالدته وبين المتعاشقين وإن تحابا، ذلك لأن هذا السر يعطي الإمام حقيقة، وهى أن الأشياء القلبية لم يخلق بعضها لبعض، ولا يغيرها إلا الله، فهو يردها إلى مقام التفريق إلى الله، وهو الذي أُريدت له، كذلك فإنه بذلك السر **يقطع الإمام القلوب عن غير الله ويردها إلى الله تعالى** ويكون بذلك صلاحهم!!!

اما السر الخامس فهو سر التغذية: وبه يُنزّل المطر، ويدر الضرع، ويطيب الزرع، وتحدث الشهوات، وتنضج الفواكه، وتعذب المياه ...، وبه تكون القوة التي تسري في أهل المجاهدات والمحاضرات حتى يواصلوا الأيام الكثيرة من غير مشقة، أو السنين العديدة من غير التفات ولا ضرر!!![1]

---

(١) إصطلاحات الصوفية، ابن عربي ص ٤، رشح الزلازل ص ٦٧، إصطلاحات الصوفية ص ٥٧، التعريفات ص ٣٦، معجم المصطلحات الصوفية ص ٤٦، معجم ألفاظ الصوفية ص ٥٥، اليواقيت والجواهر، جـ ٢ ص ٨٢.

تعقيـب:

هكذا يتبين بما لا يدع مجالا للشك ذلك المدلول الرمزي الباطني للرقم «اثنين»، وهو مدلول ليس له وجود في العقائد الإسلامية، ومن هذا المنطلق لنا عدة ملحوظات:

الأولى: اعتقاد بعض الصوفية المتفلسفين أن الإمام الروحاني متمكن القدم في الروحانية، أي ثبت له ما في عالم الحق الغيبي ولكن – للأسف – ليس عنده من علم الأرض – الشهادة – خبر عنها!!

الثانية: إيمان بعض الصوفية أن الإمام الروحاني يرى نفسه وهو خلف حجب السبحات!!!

الثالثة: كون ذلك الإمام الروحاني منكحة للروحانيين التي تنزل فيه وهو مؤنث علوى!!! هذه خرافة من الخرافات وشعوذة من الشعوذات، لا يعتقدها إلا شيطان أو جاهل لا يدرك من أمور الدين شيئا.

الرابعة: اعتقاد بعض الصوفية المتفلسفين أن الإمام الأكمل – الذي على يسار الغوث – لديه مصالح العباد وصلاح العالم والمقاليد، وهى أمور محال أن تكون لبشر، بل هى لله تعالى وحده لا شريك له، ولكن الإنسان يقف حائرا أمام تلك الأساطير التي ترد على السنة أناس ينتمون إلى الإسلام، والإسلام بريء منهم ومن تلك الخرافات.

وكيف لذلك الإمام إدراك معرفة سر الأسرار والتدبير الإلهى!!

هل أصبح ملكا وكّله الله تعالى بالتدبيرات، أو إنزال الأمطار أو إصلاح العباد؟!!

فمن الذي بيده يدبر الأمر؟

ومن الذي بيده يرحم ويجود ويعين؟

ومن الذي بيده يهدي من يشاء ويضل من يشاء؟

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾[1]، أما هؤلاء الذين يعتقدون تلك الخرافات فيصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[2].

المطلب الثالث

الرقم (أربعة): دلالاته ومراتبه عند ابن عربي

يعد الرقم «أربعة» من الأرقام الرمزية لدى القوم، إذ لم يشر إلى حقيقته إلا بعدما تتوطن أقدام المريد، حينئذ يباح بحقيقته الخارجة عن عقائد الإسلام، والتي لم يتحدث عنها القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة، بل هو ركن أساسي من أركان تكوين الحكومة الباطنية السرية التي تريد القضاء على الإسلام والمسلمين.

فالرقم أربعة: يرمز لأربعة أشخاص أوتاد رجال من ملازمي القطب الغوث ومساعديه ووزرائه، وأركان دولته الباطنية في ولاية التدبير.. وهؤلاء الأربعة الأوتاد منازلهم على منازل أركان العالم الأربعة: الشرق والغرب والشمال والجنوب..،

(١) سورة الأنعام: ٥٩ – ٦٢.

(٢) سورة الأنعام: ١١٢ – ١١٣.

وكل واحد منهم فيضه الوارد من عندية الحق تعالى إلى عندية الغوث اللائق بتلك الجهة.!!

وهؤلاء الأربعة يحفظ الله تعالى بهم تلك الجهات، ذلك لأنهم محال نظر الله تعالى!!!

وقد حاول بعض الصوفية - قدر طاقتهم - أن يجدوا في القرآن الكريم مستندهم فتأولوا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾[1]، على أساس أنها إشارة حقيقية لوجود الأوتاد حفظهم الله!![2]

ويؤكد ابن عربى محيي الدين!!! هذه العقيدة واضحة في فتوحاته المكية قائلا:

«اعلم أن الشيطان يأتي الإنسان من جهاته الأربع: (اليمين – الشمال – الخلف – الأمام)، وقد أمر الله تعالى الإنسان أن يقاتله من هذه الجهات، وأن يحصن نفسه بما أمر الشرع حتى لا يجد الشيطان إلى الدخول إليه منه سبيلا، فإن جاءك الشيطان وطردته فقد لاحت لك من العلوم ما يمنّه الله عليك جزاء ما آثرت به جناب الله على هواك ...، واعلم أن الله تعالى حفظ العالم وأركانه الأربعة بالأوتاد الأربعة الذين لا خامس لهم، وهؤلاء الأوتاد لهم روحانية إلهية وروحانية آلية:

فمنهم من هو على قلب آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومنهم من هو على قلب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومنهم من هو على قلب عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومنهم من هو على قلب محمد ﷺ.

فمنهم من تمده روحانية إسرافيل، وآخر روحانية ميكائيل، وآخر روحانية

---

(١) سورة النبأ: ٦ – ٧.

(٢) رشح الزلال ص ٦٣، معجم إصطلاحات الصوفية ص ٥٨، اليواقيت والجواهر حـ ٢ ص ٨٢.

جبريل، وآخر روحانية عزرائيل.

واعلم يا أخى أنه لكل وتد ركن من أركان البيت الحرام، فالذي على قلب آدم له الركن الشامي، والذي على قلب إبراهيم له الركن العراقي ...، والذي على قلب عيسى له الركن اليماني ...، والذي على قلب محمد له ركن الحجر الأسود ...، واعلم أن **الأركان في زماننا أربعة هم: الربيع بن محمود الماردينى، ورجل فارسى، وأنا، ورجل حبشى... واعلم أنهم هم أوتاد الكون يحفظ الله بهم العالم»!!!**(١).

هكذا يتبين كيف أصبح هؤلاء الأوتاد هم حفظة الأركان الأربعة للعالم، ولولاهم لا ختل نظام العالم فيفنى ويهلك، ولا شك أن الله تعالى قد خلق الملائكة الكرام وقد وكلهم بحفظ ما في الكون والعوالم بأمره تعالى، حتى قيل أنه ما من شيء إلا وقد وكلّ الله تعالى به ملكا أو ملائكة. أما أن يصبح هؤلاء الأوتاد هم الحفظة الكرام، فهذا مما يخالف شريعة الإسلام الحقة، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرًا ٥﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦﴾(٤).

---

(١) الفتوحات المكية مجلد ١ – باب ١٦ ص ١٥٧، ١٥٨، ١٩٠، معجم المصطلحات الصوفية ص ٥٠.

(٢) سورة الصافات: ١ – ٣.

(٣) سورة النازعات: ١ – ٥.

(٤) سورة المرسلات: ١ – ٦.

المطلب الرابع

دلالة الرقم (سبعة) واختصاصه في مراتب الولاية الصوفية

لم يستثن الرقم (سبعة) من دلالة رمزية باطنية لدى غلاة الصوفية، فهم لم يقصدوا به شيئا خارجا عن نظام فكرهم الباطني السري، بل هو جزء أساسي في تكوينها وتكوين مراتب الولاية لديهم.

فالعدد سبعة يرمز إلى: سبعة من الرجال يسمون بالبدلاء الأفراد، إذا سافر أحدهم عن موضعه ترك فيه جسدا على صورته بحيث لا يعرفه أحد أنه فقد، وهذا البدل في تلبسه بالأجساد والصور على قلب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ[1].

ويرى عبد الوهاب الشعراني: أن هؤلاء الأبدال السبعة يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة للكون، ومن شأنهم العلم بما أودع الله تعالى في الكواكب السيارة من الأمور والأسرار في حركاتها ونزولها في المنازل المقدرة ...، وهذه الأقاليم السبعة على صورة تركيب السموات السبع، بحيث يكون ارتباط الإقليم الأول بالسماء السابعة، والثاني بالسماء السادسة وهكذا، وأن الله تعالى جعل هذه الأرض التي نحن عليها سبعة أقاليم، واصطفي من عباده المؤمنين سبعة سماهم الأبدال الأفراد، وجعل لكل بدل إقليما يمسك به ورتب الأبدال كترتيب السموات السبع.

فالإقليم الأول: ينزل الأمر الإلهي إليه من السماء الأولى – السابعة –، وينظر إليه روحانية كوكبها، والبدل الذي يحفظه هو على قلب الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والإقليم الثاني: ينزل الأمر الإلهي إليه من السماء الثانية، وينظر إليه روحانية كوكبها الأعظم، والبدل الذي يحفظه على قلب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والإقليم الثالث: ينزل الأمر الإلهي إليه من السماء الثالثة، وينظر إليه روحانية

---

(١) رشح الزلال ص ٦٣، إصطلاحات الصوفية ص ٦٢، معجم المصطلحات الصوفية ص ٥٣.

كوكبها، والبدل الذي يحفظه على قلب هارون بتأييد محمد ﷺ.

والإقليم الرابع: مثل السابقين لكن بدله على قلب إدرس عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والإقليم الخامس: كذلك لكن بدله على قلب يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والإقليم السادس: بدله على قلب عيسى ويحيى عليهما السلام.

والإقليم السابع: ينزل الأمر الإلهى إليه من السماء الدنيا، وينظر إليه روحانية كوكبها، والبدل الذي يحفظه على قلب آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهؤلاء الأبدال السبعة تتدفق عليهم آثار هذه الكواكب النيرات، وتتدفق عليهم كذلك من روحانيات هؤلاء الأنبياء من الأسرار والعلوم والآثار العلوية والسفلية ما لا يعد ولا يحصى، هذا وقد **اجتمع بهم جميعا محيي الدين ابن عربى بمكة خلف حطيم الحنابلة** حيث كانوا يركعون، فسلم عليهم وسلموا عليه، وتحدث معهم وسلموا عليه، وتحدث معهم وتحدثوا معه(١).

فهذه عقيدة غلاة الصوفية في مدلول الرقم (سبعة)، ولنا عليها عدة تعقيبات:

الأول: امتلاك البدل القدرة على ترك جسده أمام الناس وهو عينه في مكان آخر هو نوع من الخرافة التناسخية وبالأحرى نوع من سحر الأساطير أن يكون في مكانين مختلفين، والأغرب من ذلك كونه على قلب سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهل رآه حتى يكون على قلبه أو قالبه؟!!

الثاني: اعتقاد بعض الصوفية أن هؤلاء البدلاء السبعة حفظة لأقاليم الكون السبعة مخالفاً لما أقره الإسلام من أن الملائكة الكرام هم وحدهم بأمر الله تعالى القائمين بهذا الأمر وليس للبشر أي قدرة لهذا.

الثالث: اعتقاد بعض الصوفية أن الإقليم – أي إقليم من الأقاليم السبعة –

---

(١) اليواقيت والجواهر جـ ٢ ص ٨٢، ٨٣، الفتوحات المكية، المجلد الأول، الباب ١٥ ص ١٥٤.

ينزل الأمر الإلهى إليه، ثم ينظر إليه روحانية كوكبها قد يراد به ملاك هذا الكوكب –، ثم يأتي دور البدل كي يحفظ هذا الإقليم هو نوع من إلحاد الفكر لا يراد به إلا إبقاء الناس على جهالة عمياء ما أنزل الله بها من سلطان، ولم يأت بها قائد الغر المحجلين وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

الرابع: اعتقاد هؤلاء الصوفية بتدفق العلوم والأسرار العلوية والسفلية من روح الأنبياء وروحانيات الكواكب على أبدالهم وبالتأكيد على من هم أعلى مكانة منهم وهم الأوتاد الأربعة، وكذلك الإمامين وأيضا على القطب الغوث هو خرافة الخرافات وأسطورة الأساطير لهذا الهوس الفكرى!!

الخامس: اعتقاد هؤلاء الصوفية أن **شيخهم الكبير محيي الدين ابن عربى!!** قد اجتمع بالبدلاء السبعة معا في مكان واحد بمكة خلف حطيم الحنابلة أكذوبة من أكاذيب الفكر الصوفي، ذلك لأن الويل والدمار لهذه الأقاليم السبعة المتفرقة حيث أصبحت بلا حفظة تمسكهم إذ أصبحوا الآن في مكان واحد وليس في أماكن سبعة متفرقة بين أرجاء الكون!!

السادس: اعتقاد بعض الصوفية لهؤلاء السبعة البدلاء ممسكين بأقاليم الكون السبعة تكذيب لآيات القرآن الكريم – ذلك لأن الله تعالى هو حافظ الوجود بقوته وإرادته، وأنه وكل ملائكة حفظة بأمره يفعلون مايؤمرون به من قبل الله تعالى وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة فاطر: ٤٠ – ٤١.

المطلب الخامس

الرقم (اثنا عشر): دلالاته ومراتبه في المصطلح الصوفي

يحتل الرقم (اثنا عشر) لدى غلاة الصوفية مكانة عالية مقدسة، ذلك لأن الاثنى عشر **يرمز لهم بنقباء أقطاب عليهم مدار هذه الأمة وصلاحها**، ذلك لأن الله تعالى أمر أن يولي على عالم الخلق كله هؤلاء الاثنا عشر قطبا وليا، نقباء يكون مقرهم في الفلك الأقصى، وقد رفع الله تعالى الحجاب الذي بينهم وبين اللوح المحفوظ، فرأوا فيه أسماءهم مُسَطَّرةً ومراتبهم وما شاء الحق أن يجريه على أيديهم في عالم الخلق إلى يوم القيامة، فارتقم وانتقش ذلك كله في نفوسهم وعلموه علماً محفوظاً لا يتبدل ولا يتغير، ثم جعل الله تعالى لكل واحد من هؤلاء الأقطاب النقباء حاجبين ينفذان أوامره إلى نوابهم، وجعل بين كل حاجبين سفيراً يمشى بينهما بما يلقى إليه كل واحد منهما، فكأن هناك: - القطب النقيب ثم النائب ثم الحاجب الأول ثم السفير ثم الحاجب الثاني!!![1].

ويعتقد غلاة الصوفية أن هؤلاء النقباء اثنا عشر في كل زمان لا يزيدون، ولا ينقصون، على عدد بروج الفلك الاثنى عشر برجاً - متأثرين بذلك بفكر الصابئة - وأن كل نقيب عالم بخاصية كل برج وبما أودعه الله في مقامه ومنزلته من الأسرار والتأثيرات، وأن الله تعالى قد جعل بأيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة، ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها، ومعرفة مكرها وخداعها، وأن إبليس مكشوف عندهم يعرفون منه ما لا يعرفه هو عن نفسه، وهم من العلم بحيث إذا رأى أحدهم أثر وطأة شخص في الأرض علموا أنها وطأة إنسان سعيد أم شقي!![2]

ويؤمن الكثير من غلاة الصوفية إيماناً لاشك فيه، وعلى رأسهم ابن عربى أن

---

(١) الفتوحات/ المجلد الأول/ باب (٦٠) ص ٢٩٥.

(٢) رشح الزلال ص ٦٥.

الله تعالى قد وكل لهؤلاء الاثنى عشر نقيباً بظهور ما يكون في الدارين من الكون والفساد المعتاد وغير المعتاد، وأن ابن عربي قد رأى جميع الرسل والأنبياء كلهم مشاهدة عين، وكلّم هوداً أخا عاد، ورأى المؤمنين كلهم مشاهدة عين من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة، أظهرهم الله تعالى له في صعيد واحد في زمانين مختلفين، وقد اصطحب الرسل، وانتفع بهم، سوى محمد ﷺ، وقد اجتمع بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقرأ عليه القرآن، **وعيسى وقد تاب ابن عربي على يديه**، وموسى قد أعطاه علم الكشف والإيضاح وعلم تقليب الليل والنهار!!![1].

وتأكيداً لهذا الضلال العقدي يرى ابن عربي: «أن هؤلاء النقباء قد خلقوا على قلوب وأقدام الأنبياء ولكل واحد منهم اختصاصات من العلوم والأسرار يعجز الإنسان عن وصفها!!!

فالنقيب الأول: خُلق على قلب وقدم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وله من سور القرآن سورة «يس» - كما لكل قطب نقيب سورة من سور القرآن -، وهو أكمل النقباء حكمـًا، حيث جمع الله تعالى له بين الصورتين الظاهرة والباطنة، فكان خليفة في الظاهر بالسيف وفي الباطن بالهمة... وهذا النقيب القطب له التأثير في العالم ظاهراً وباطنـًا يشيد الله تعالى به هذا الدين، وأظهره بالسيف وعصمه من الجور، فحكم بالعدل الذي هو حكم الحق في النوازل...، وهذا القطب النقيب له عشر خصال: •الحلم، الأناة، الاقتصاد في الأشياء، التدبير، التفصيل، العدل، الأدب، الرحمة، الحياء، الإصلاح، وله مقام الكمال فلا يقيده نعت، وهو حكيم الوقت لا يظهر إلا بحكم الوقت وبما يقتضيه حال الزمان!!

أما النقيب الثاني: فقد خلق على قلب وقدم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وله من سور القرآن سورة الإخلاص... وهذا النقيب هو صاحب الحجة والدليل النظري،

---

(١) الفتوحات المكية/ مجلد ٤/ باب (٤٦٣) ص ٧٧.

ويكون له خوض في المعقولات فيصيب دائماً ولا يخطئ، وهو من الدعاة إلى الله تعالى بالأمر الإلهي، ومسكنه في الهواء في فضاء الجو!!!!! في بيت جالس على كرسي له نظر إلى الخلق عنده جماعة من أهل الله وخاصته و، كلامه في الأحدية الإلهية، وأحدية الواحد وأحدية الوحدانية بالأدلة النظرية، وما حصلها عن نظر، **وقد تفرغ مع الله لقضاء حوائج الناس**، وهو يعرف الأسماء الإلهية معرفة تامة، ويقول بنفي المثلية -نفي الشبيه والمثيل عن الله تعالى - في جانب الحق تعالى!!

و النقيب الثالث: خُلق على قلب وقدم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وسورته: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[1]، ومنازله بعدد آياتها، وهذا النقيب كان وتداً، ثم ارتقى إلى قطبية النقيب، وهو صاحب جهد ومكابدة لا ينفك عن الأشتغال عن الله، وقد أعطاه الله في منزل النداء اثنى عشر ألف علم ذوقاً في ليلة واحدة...، وقد وهبه الله تعالى علم الافتقار إلى الله بالله، واطلعه الله على أن حاجة الأسماء إلى التأثير في أعيان الممكنات أعظم من حاجة الممكنات إلى ظهور الأثر فيها!!

أما النقيب الرابع: فقد خُلق على قلب وقدم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسورته في القرآن ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2]، ومنازله بعدد آياتها، وهذا القطب النقيب من الضنائن المصانين، وله التجلي الدائم، وكلامه في الجمع والوجود وعلم المزيد، وإذا رأى شبهة في أحد تحول بينه وبين العلم أزالها حتى يتبين لصاحبها صورة الحق في ذلك الأمر، وله ستمائة مفتاح مقام في كل مقام من العلوم ما شاء الله له، وأنه لا يعرف الانحراف ولا النقص ولا الزيادة!!

و النقيب الخامس: خُلق على قدم وقلب داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وسورته من القرآن:

---

(١) سورة النصر: ١.

(٢) سورة الكافرون: ١.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[1]، ولها نصف القرآن، ومنازله بعدد آياتها، وحاله التفرقة، وله مقام المحبة فهو معلول للحب نداؤه ودواؤه، وماله علم يتقدم فيه على غيره إلا علم ثبوت المحبة الإلهية والكونية، ولهذا كان في مقام التفرقة، وكان من الأئمة ثم ارتقى إلى القطبية النقيبية!!

أما النقيب السادس: خلق على قلب سليمان وسورته (الواقعة)، ومنازله بعدد آياتها، اختص بعلم الحياة والحيوان، لا يأخذ حالاً من أحواله إلا عن ربه تعالى، فأحواله أحوال ربه – أي أنه كل يوم هو في شأن – وهديه- هدى الأنبياء صلوات الله عليهم!!!

والنقيب السابع: فقد خُلق على قلب وقدم أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وسورته (البقرة)، ومنازله بعدد حروفها لآياتها، وحاله ومقامه العظمة بحيث أنه يرى أن العالم لا يسعه لأن ذوقه وسع الحق قلبه!!!

أما النقيب الثامن: خُلق على قلب إلياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وسورته (آل عمران)، ومنازله بعدد آياتها، وحال هذا النقيب العلم بالمتشابه من كلام الله تعالى الذي لا يعلم تأويله إلا الله، فيعلمه هذا القطب بإعلام الله تعالى له!!

والنقيب التاسع: خُلق على قدم لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وسورته سورة (الكهف) ولها العصمة والاعتصام، ومنازله بعدد آياتها، وحاله العصمة من كل ما يؤدي إلى سوء الأدب الذي يبعد صاحبه عن البساط، وقد عينه الله تعالى وحصره في أمرين هما: – الاعتصام به، والاعتصام بحبل الله تعالى.

أما النقيب العاشر: فقد خلق على قلب هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وسورته (سورة الأنعام)، ومنازله بعدد آياتها، ولهذا النقيب علوم جمة منها: علم الاستحقاق الذي يستحقه كل مخلوق، وعلم ما يستحق ذلك الخلق من المراتب والمنازل!!

---

(١) سورة الزلزلة: ١.

أما النقيب الحادي عشر: خلق على قلب وقدم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وسورته سورة (طه)، ومنازله بعدد آياتها، ولهذا القطب النقيب علوم جمة أيضـًا، وله البطش والقوة.

و النقيب الثاني عشر: قد خلق على قلب وقدم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ وسورته (تبارك)، ومنازله بعد آياتها، ولهذا القطب النقيب علم البراهين وموازين العلوم ومعرفة الحدود، كله روح مجرد لطيفة، وحاكم على الطبيعة، ومؤيد للشريعة يطعم ولا يطعم وينعم ولا يتنعم، الغالب عليه التفكير ليتذكر، والدخول في الأمور الواضحة ليتنكر، فهو المجهول الذي لا يعرف النكرة التي لا تتعرف.....أكثر تصرفه فيما يتصرف فيه من الأسماء الإلهية: - المدبر والمفضل والمنشئ والخالق والمصور والحكم والعدل ولا يرى الحق في شيء من تجليه دون أن يرى الميزان بيده، يخفض ويرفع، فما ثمّ إلا خفض ورفع...، واعلم أيها الأخ **أن كل أصناف هذه العلوم علوم إلهية ما أخذها النقباء إلا عن الله تعالى**»[1].

هذه هى عقيدة غلاة الصوفية في مدلول الرقم (اثنى عشر) نقيبـًا، ولنا مع هذه العقيدة تصورات موجزة:

الأول: تولية الاثنى عشر نقيبـًا على عالم الخلق ليس له دليل شرعى حتى نؤمن بهم، وليس في تعاليم الأنبياء جميعـًا مايدل على ذلك.

الثاني: رؤية الاثني عشر نقيبـًا لما في اللوح المحفوظ ما هو مسطر حتى يوم القيامة أكذوبة وهمية من أكاذيب بعض الصوفية، فمن من المخلوقات له القدرة العليا أن يرى ما في اللوح المحفوظ من مكتوب؟!!

وإن كان هناك فأي دليل شرعي يؤكد على ذلك؟ فلم نجد من الأنبياء أو الملائكة من اطلع علي هذا اللوح المحفوظ، ومن هنا **أصبحت مكانة النقباء أعلى**

---

(١) الفتوحات المكية، المجلد الرابع، باب (٤٦٣) ص ٧٧: ص٨٨ بتصرف شديد.

منزلة من الأنبياء والملائكة، ولم تكن عقيدة الاطلاع على ما في اللوح المحفوظ هى للنقباء فقط بل لكل شيخ قطبي صوفي، ويستطيع أيضـاً أن يمحو الخطايا والذنوب المكتوبة لأي تلميذ من تلامذته الأوفياء إن أخطأ في حضرته!!

يقول (اليافعى) في نشر محاسنه الغالية!!: «لا يكون الشيخ الصوفي شيخـاً حتى يمحو خطيئة تلميذه من اللوح المحفوظ ذلك لأنه لو كان شيخـاً حقـاً ما غفل عن تلميذه حتى وقع في الخطيئة»!![1]

الثالث: اعتقاد بعض غلاة الصوفية أن هؤلاء النقباء اثنا عشر في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون يشير إلى خلودهم وعدم فنائهم!!

لكننا نتساءل أي زمان كان فيه بدء وجودهم؟ أهو زمان خلق الأكوان؟ أم زمان ما قبل خلق الأكوان؟

أم زمان ما بعد خلق الأكوان؟!!

وما المقصود بقولهم (بأيديهم علوم الشرائع المنزلة)؟!!

أيقصد أن بأيديهم شرحها وتفسيرها؟

حينئذ نتساءل: عن دور الأنبياء منذ أول الأنبياء حتى آخرهم ﷺ.

الرابع: رؤية (ابن عربى) لجميع الأنبياء والرسل مشاهدة عين والانتفاع بهم - سوى الرسول ﷺ دليل واضح على اعتقاد أكثر غلاة الصوفية **بتواتر النبوة، وأن النبوة لا تنقطع ولا تختتم**، وذلك لوجود الأولياء الذين هم مرآة الأنبياء، ودليل واضح كذلك على أن الوحي الإلهي قاسم مشترك بين الأنبياء والأولياء!![2].

وبمعنى آخر: فإن أغلب غلاة الصوفية يرون أن **النبوة صفة يمكن للإنسان اكتسابها والوصول إليها**، ذلك لأن نبوة التشريع والرسالة منقطعة وفي الرسول

---

(١) نشر المحاسن الغالية، عبد الله اليافعي، ص ٦٨.

(٢) نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، أ.د/ عرفان عبد الحميد، ص ٨٦: ٩٠ بتصرف.

الكريم محمد ﷺ قد انقطعت. انقطعت فلا نبى مشرعـًا بعده، وأن **الولاية تتواتر فلا تنقطع أبداً**، ذلك لأن الله تعالى لم يتسم بنبي ولا رسول لكن تسمى بالولي واتصف بهذا الاسم، وهذا الاسم باق جار على عباد الله دنيا وآخرة، فلم يبق اسم يختص به العبد دون الحق بانقطاع النبوة والرسالة إلا أن الله تعالى لطف بعباده **فأبقى لهم النبوة العامة -الولاية** - التي لا تشريع فيها، ومن هذا الاعتقاد أجمع هؤلاء الصوفية أنهم قد خاضوا بحراً وقف الأنبياء والمرسلون على شاطئه!!![1]

ولقد أكد أهل السنة والجماعة على أن من اعتقد أن خاتم الأولياء أفضل الأولياء وأفضل من خاتم الأنبياء ﷺ فقد خالف الشرع والعقل، وخالف جميع أنبياء الله وأوليائه وأصبح بلا عقل[2].

الخامس: ادعاء بعض الصوفية أن هؤلاء النقباء خلقوا على قلوب وأقدام الأنبياء اعتقاد مقصده **الإيمان بوحدة الأديان**، هذه الدعوة التي نجد صداها لدى غلاة الشيعة الإسماعيلية وحركات القرامطة وإخوان الصفا ثم الصوفية المتفلسفين، وجميعهم يرون: أن المحبة لله يجب أن تمحو من النفوس تلك الصور الخارجية للعبادة ذلك لأن أشكال الشعائر وضروبها ليست إلا وسائط يجب تجاوزها إلى الحقيقة الإلهية التي تنطوى عليها، وانطلاقـًا من ذلك فإن اليهودية والمسيحية والإسلام....وغير ذلك من الأديان ما هى إلا ألقاب وأسماء مختلفة متغايرة، والمقصود منها لا يتغير ولا يختلف، ومن هنا جاء النهي والتحذير بألا يتقيد الإنسان بعقيدة مخصوصة، ويكفر بما سواها فيفوته خير كثير، بل يفوته العلم بالأمر على ما

---

(١) فصول الحكم، ابن عربي– الفص العزيري، ص ١٣٤، ١٣٥، ميزان العمل، الغزالي، ص ٢١، كيمياء السعادة، ص ٩١.

(٢) كتاب التصوف، ابن تيمية، مجموعة فتاوى شيخ الإسلام، مجلد ١١ ص ٢٢٣، أبو حامد الغزالي والتصوف، عبد الرحمن دمشقية، ص ١٥٦.

هو عليه، فيجب أن يكون الإنسان هيولى لصور المعتقدات كلها، فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد وهو القائل: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[1]، ووجه الشيء هو حقيقته.

يقول ابن عربى:

عقد الخلائق في الإله عقائداً ... وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

ويقول كذلك:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنّى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وإيماني[2]

ويؤكد تلك العقيدة جلال الدين الرومي (٦٧٢ هـ) قائلاً: «أنا مسلم أنا، لكن نصراني وبرهمي وزرادشتي. توكلت عليك أيها الحق الأعلى، فلا تنأَ عني، ليس لي سوى معبد واحد أو مسجد أو كنيسة أو بيت أصنام، ووجهك الكريم فيه غاية نعمتي فلا تنأَ عني لا تنأ عني»[3].

السادس: ما يتصوره غلاة الصوفية لهؤلاء النقباء من صفات وعلوم وأسرار وتجليات وأمور وخرافات مثل كون النقيب الأول هو الخليفة في الظاهر وفي الباطن وعلى يديه يشيد الدين، ثم النقيب الثاني ومسكنه في الهواء، وكونه مشاركـًا مع الله في قضاء حوائج الناس، ثم النقيب الثالث وقد وهب اثنا عشر ألف علم ذوقـًا في ليلة

---

(١) سورة البقرة: ١١٥.

(٢) ابن عربي: ترجمان الأشواق/ طبعة دار بيروت سنة ١٩٦١ م ص ٤٣، ٤٤،، فصوص الحكم ص ١١٣.

(٣) المثنوي، جلال الدين الرومي، ص ٢٨٧، الأبيات ٤٤٧ وما بعدها، أخبار الحلاج، لويس ماسنيون، ص ٧٠.

واحدة، ثم النقيب الرابع وله التجلي الدائم، ولا ندري ما طبيعة ذلك التجلي: أهو تجلي الله على ذلك النقيب؟

أم تجلي النقيب على العباد؟!!، ثم النقيب السادس واختصاصه بعلم الحياة والحيوان، وكون أفعاله مثل أحوال الله تعالى....، ومن المعلوم من الدين بالضرورة أنه تعالى ليس كمثله شيء في ذاته أو صفاته أو أفعاله، ثم النقيب الثامن وقد أعطي العلم بالمتشابهات من كلام الله تعالى وحده. كل هذه الأمور من الخرافات التي يرفضها العقل فضلاً عن إنكارها شرعـًا، وكفي الله المؤمنين شر تلك الفتن وهذه العقائد الباطنية السرية التي قصدت إذابة عقائدها مع عقائد الناس.

السابع: اعتقاد بعض غلاة الصوفية أن النقيب الثاني عشر -متأثرين بمنزلة الإمام الثاني عشر المنتظر عند غلاة الشيعة الإمامية - روح مجرد لطيف رحمان، أي وجود مطلق حاكم على الطبيعة، يطعم لا يطعم وينعم لا ينعم.، ثم علومه كلها علوم إلهية ما أخذ إلا عن الله تعالى وما رأها سوى الحق.

فهذا الاعتقاد من الخطورة والجسور جعل من هذا النقيب إلهـًا حاكمـًا على الكون الطبيعى، أو تجسداً لله تعالى فيه، أو حلولاً لله تعالى في هذا النقيب الأخير الثاني عشر، فأصبح هو هو الحق، وفعله عين فعل الرب، وانطلاقـًا من ذلك فإن هذا النقيب العارف الصوفي إذا نظر إلى باطنه -متأثرين كذلك بالفكر الإسماعيلي الباطني -أيقن أنه حقيقة الحق -الله تعالى -، وإذا نظر إلى ظاهره أيقن أنه مظهر خلقي لحقيقة الحق، حينئذ يكون هو الذات الإلهية الحاملة الجامعة للأسماء الإلهية كلها، وهذا ما يعكسه ابن عربى في فصوصه في (فص حكمة نبوية في كلمة عيسوية) قائلاً:

فإنـا أعبـدٌ حقـًا وإن الله مـولانـا

وإنـا عينـه فاعلـم إذا ما قلت إنسـانـًا

فلا تحجب بإنسان فقد أعطاك برهانا

فكن حقا وكن خلقا تكن بالله رحمانا[١]

المطلب السادس

مدلول الرقم (ثمانية عشر) في مصطلح طبقات الصوفية

استمراراً لاتساع دائرة دلالات الأسرار والرموز والأرقام في المصطلح الصوفي من أجل صياغة مراتب الولاية الصوفية.

فقد احتل الرقم (**ثمانية عشر**) مكانته في طبقية الأولياء الوهمية لدى غلاة الصوفية **إذ أنه يرمز إلى أولياء عبادلة صوفية هم أرباب وأصحاب التجليات الأسماء الإلهية**، ذلك لأنهم عبادلة ظاهريون بالغوا في المعاملات الظاهرية وظهروا بالطاعات والخيرات حتى كشف الله تعالى لهم عن اسمه الظاهر فعرفوه بأنه الظاهر واتصفوا بظاهريته ودعوا الناس إلى الكمالات الظاهرة والتزين بها.

وهؤلاء الظاهريون العبادلة رجحوا التشبيه والتجسيم الإلهي على التنزيه، كما كانت دعوة (موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ) إذ وعد قومه بالجنان والملاذ الجسمانية، وعظّم التوراة بالحجم الكبير و، كتابتها بالذهب، ليس ذلك فحسب بل أصبحوا هم الظاهريون بأمر الله تعالى عن أمر الله تعالى، ولا يرون في الأكوان سوى الله تعالى[٢].

فمن خلال ما سبق يتبين لنا عدة أمور:

الأول: كون هؤلاء (الثمانية عشر) هم أرباب التجليات الأسمائية الإلهية وحدهم من الكذب الواضح الذي لا يحتاج إلى دليل، فأي مكانة لهم حتى

(١) فصوص الحكم ص ١٤٣،، تنبيه الغبي إلى تفكير ابن عربي، برهان الدين اليافعي، ص ١٠٤.

(٢) معجم إصطلاحات الصوفية ص ١٤٠، ١٤١، أبو مدين الغوث أ.د عبد الحليم محمود، ص ١٢٤، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة فى التاريخ، أد/ محمد عبد الرؤوف قاسم، ص٥١.

يصطفون من البشر لهذه التجليات؟!!، والأنبياء والمرسلون هم أحق بذلك منهم، ثم يصطفون كذلك لكشف اسم الله الظاهر لهم دون غيرهم!!

الثاني: ادعاء (الثمانية عشر) بأن دعوة (موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ) كانت قائمة على التشبيه والتجسيم ادعاء كاذب، ذلك لأن نبي الله موسى – وكل نبي – يعلم تمام العلم ما هو حق الله تعالى الذي ليس كمثله شيء، وما هو حق للبشر من صفات، والقارئ للتوراة يجد يد التحريف من قبل الكهان قد غيّرت وبدلت، فوصفوا الإله في التوراة بصفات البشر الذي يأكل ويشرب ويصارع، ويتراجع عما قرره، ويندم على فعله كأنه لا يعلم ما سيحدث، وأنه محب للشواء، وأنه غيور متعطش للدماء، محب لشعبه المختار بني إسرائيل دون غيرهم، ينوح ويولول ويمش –عريانا، يحلق شعر رجليه بموس مستأجرة، سفّاك للدماء يأمر بقتل النساء والأطفال والشيوخ والبهائم..وذلك كما جاء في فقرات التوراة.

ما جاء في سفر (العدد ٣: ١٥، ٤): (يمارس كل مواطن إسرائيلي هذه الشعائر – تقديم القرابين لسرور الرب – على هذا المثال عنده ويقدم محرقته لتكون رائحة سرور للرب).

وما جاء في سفر (التكوين ٨: ٣): «ثم سمع الزوجان – آدم وحواء – صوت الرب ماشياً في الجنة – عند هبوب ريح النهار).

وما جاء في سفر (تكوين ٥: ٣٢): (كنت قوياً – يا يعقوب – على الله فكيف تكون على الناس).

وما جاء في سفر (زكريا ٢: ١٣): (اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لأنه استيقظ من مسكن قدسه).

وما جاء في سفر (تكوين١: ٢): «وفي اليوم السابع اكتملت السموات والأرض بكل ما فيها فاستراح الرب من جميع عمله).

وما جاء في سفر (سفر ميخا ١ : ٨): «يقول الرب عن نفسه: لهذا أنوح وأولول وأمشي حافيا عريانا وأُعْوِلُ كبنات آوي».

وما جاء في سفر (العدد ٣١: ١٧): «فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال واقتلوا كل امرأة ضاجعت رجلا...».

وما جاء في سفر (أشعيا ٧: ٢٠): «وفي ذلك اليوم يحلق السيد – الرب- بموسى مستأجرة...»[١].

الثالث: اعتقاد الصوفية المتفلسفين بأن الثمانية عشر لا يرون في الأكوان سوى الله تعالى هو عينه إيمانا منهم بوحدة الوجود التي تعنى أن مظاهر الطبيعة والأكون هى عين الذات الإلهية والمظاهر الطبيعية الكونية مختلفة الاحكام فمنها ما يحكم عليه – كما يعتقد الصوفية - بأنه حيوان أو جماد لذا وجب أن يحكم على الذات الإلهية بكل ما يحكم به على مظاهرها وهى العالم الطبيعي.

يقول ابن عربى مبينا اعتقاد الصوفية المتفلسفين بوحدة الوجود: -

رأيتُ الحق في الأعيـــان حقـــاً ... وفي الأسمـــــاء لـــم أره ســـواي

تبـــارك الله الـــذي لـــم يـــزل ... يظهـر فيمـا قـد بـدا مـن صـــورْ

فإنـــــه منشـــــئها دائمـــــاً ... في كـل مـا يظهـر أو قـد ظهـــرْ

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا ... ولـيس خلقـاً بـذاك الوجـه فـادكروا

من يدر ما قال لم تخذل بصيرته ... ولـيس يدريـه إلا مـن لـه بصـــرُ[٢]

ويقول الحلاج معتقداً ما يعتقده جل الصوفية قبله وبعده:

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج٢ ص ١٢٥.

(٢) فصوص الحكم ص ٧٨، ٧٩، الفتوحات المكية (جـ٣ ص ٣٧٥)، (جـ٣ ص ٥٤٩).

وأيُّ الأرض تخلو منك حتـى تعـالَوا يطلبونـك في السـماء
تـراهم ينظـرون إليـك جهـراً وهـم لا يبصـرون مـن العمـاء[١]

ولاشك أن مذهب وحدة الوجود هذا لا يقره الإسلام، كما لم يقر مذهب الحلول لأن فيهما إلغاءً للوجود الإلهي وتكذيباً لآيات القرآن الكريم التي تحدثت عن الله تعالى الخالق الواحد الأحد، والعالمين والعوالم المخلوقة كلها بقدرة الله تعالى وصدق الله العظيم: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾[٢]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ﴾[٤].

المطلب السابع
دلالة الرقم (أربعين) في المصطلح الصوفي

احتل الرقم «**أربعون**» مكانة مهمة عند غلاة الصوفية لما فيه من مدلول رمزي باطني لا يخرج عن نطاق المدلولات الأرقام الرمزية لتكوين الحكومة الباطنية الصوفية.

فالرقم أربعون يقصد به: أربعون من الصوفية النجباء العارفين، هم

(١) ديوان الحلاج، الحلاج، ص ١٢٧، أخبار الحلاج، ص ١٢٥.
(٢) سورة الزمر: ٦٢.
(٣) سورة الحديد: ٤.
(٤) سورة الملك: ١ – ٣.

المشتغلون بحمل أثقال الخلق وإصلاح أمور الناس، المتصرفون في حقوق الخلق لاغير، ذلك لأن كل قوة بشرية لا تفي بحمله نجد هؤلاء الأربعين النجباء قد تخصصوا في حمل أثقالها!![1]

هكذا يتبين كيف يتسع مخطط السيطرة على البشر من منطلق هذه الزيادة الرقمية الوهمية لمراتب الولاية الوهمية، فكان بدايةً: واحد هو الغوث قطب الأقطاب صاحب الزمان والحال، ثم اثنان نائبان، ثم أربعة من الأوتاد يحملون ويحفظون أركان العالم الأربعة، ثم سبعة من البدلاء يحفظون أقاليم الكون السبعة وما فيها، ثم اثنا عشر نقيباً هم الولاة على عالم الخلق كله والذين رفع عنهم الحجاب ليروا ما هو مكتوب باللوح المحفوظ، ثم أربعون نجيباً يحملون أثقال الخلق ثم... ثم... وهكذا.

لكن نتساءل عن طبيعة ما يحمله هؤلاء الأربعون: أهى أثقال الخلق الجسدية أم أثقال ذنوبهم ومعاصيهم؟!!

فإذا كانت أثقالهم الجسدية فإننا نرى الخلق يعيشون ويسيرون من غير أن نرى أحداً يحملهم!!

وهل يستطيع هؤلاء الأربعون فقط حمل أثقال الخلق الذين يقدر عددهم بالملايين من الناس؟!!

أما إذا كان المقصود حمل ذنوب ومعاصي الخلق، فهذا هدم للعقيدة بل لكل عقيدة، حيث يتساوى المؤمنون والعصاة المذنبون، حينئذ لا وجود للعقاب، ولا وجود للنار مستقر الكافرين والمنافقين، وكأن هؤلاء الأربعين وجه آخر لعقيدة النصارى في المسيح باعتباره يحمل ذنوب بني آدم الخطائين، ليس ذلك فحسب بل

---

(١) رشح الزلال ص ٦، معجم إصطلاحات الصوفية ص ١١٤، اصطلاح الصوفية ص ٤، التعريفات ص ٢٥٩، كشاف ص ١٣٦١.

هدم لبعثة الأنبياء والمرسلين المبشرين لمن يتمسك بأوامر الشرع بالنعيم الأبدى، والمنذرين المخالفين بالعقاب الوقتي لمرتكبي الكبائر من المؤمنين، والجحيم الأبدى للكافرين والمنافقين، وهذا كله يعنى تكذيبا للقرآن الكريم الذي تفصل آياته بين نعيم المؤمنين وجحيم الكافرين!!! وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[2].

فإذا كان ما سبق هو مدلول رمزية الرقم (أربعين)، فإنه يذكر في المجالس الصوفية مصطلح (الأربعينية) الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحديث الصوفية عن الخلوة والإخلاص، ويقصد به: قضاء المريد أربعين يوماً متوالياً مخلصاً لله تعالى في خلوة من الذكر والعبادة بينه وبين الله تعالى.

وبتعبير آخر: هى ما يتوسل به المريد من التبتل إلى الله تعالى والانقطاع عن الغير[3].

ويجب الإشارة إلى أنه لا يستطيع المريد دخول الخلوة إلا بعدما يبتعد عن الدنيا وشهواتها، متقرباً بالمجاهدات زاهداً متجرداً متوكلاً توكلاً حقيقياً على الله وبالله ولله وفي الله، ثم يخلص لله تعالى أربعين ليلة حينئذ يمُنّ اللهُ تعالى عليه

---

(١) سورة التغابن: ٩ – ١٠.

(٢) سورة القلم: ٣٣ – ٣٩.

(٣) إصطلاحات الصوفية، ص١٣، إصطلاحات الصوفية، ص١٨٠، عوارف المعارف، السهروردي، ص ٢١٤ وما بعدها.

بالمقامات الرفيعة، ويعد من الواصلين العارفين، ذلك لأن بإخلاصه هذا تظهر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه(١).

يقول نجم الدين كبرى واصفاً حاله في الخلوة: «لابد وأن يرى صاحب الخلوة والانقطاع إلى الله كل من عاشره خارج الخلوة بالوهم والمشاهدة في الحضور والغيبة يدعونه إلى ما كان عليه فيما سلف، فإن كان ضعيفاً جذبوه وأخرجوه إلى اللهو واللعب....، وإن تمت له الخلوة علم أنه أقوى من الكل...، ولقد صفيت النية لأجل الله تعالى ووضعت الروح بالكف..، ووقفت الكتب..، ووهبت الثياب..، وتصدقت بالدراهم...، ونبذت الدنيا وراء ظهري، وجعلت القيامة بين يدي، وخلعت عذار العار والخزي...، وجعلت نفسى بين يدي الله تعالى مثل الميت على اللوح بين يدي الغاسل.. حينئذ آنستُ إلى الخلوة وطلب الأنيس فَكُشِفَ لى الحق فمازلت مستأنساً بالذكر والخلوة حتى انقطعت عنى الأضداد والآلهة بالكلية وذكرها ألبتة، فيكون أنيسي حينئذ بالحق تعالى»(٢).

ويؤكد السهروردى في عوارفه سبب تخصيص الخلوة والتبتل بأربعين ليلة قائلاً: «فقد خصص التبتل والخلوة أربعين ليلة مثلما أمر الله تعالى سيدنا موسى بالتبتل أربعين ليلة...، فإذا تم للإنسان أربعون ليلة من التبتل والقرب من الحضرة الإلهية زالت الحجب، وانصبت إليه العلوم والمعارف انصبابا حينئذ يصبح ذلك الإنسان من الراسخين في العلم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب وفي سر السر...، وقد خاضوا بحر العلم بالفهم والطلب لطلب الزيادات، فانكشف لهم من مدخل الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النص، فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة البالغة»(٣).

---

(١) معجم ألفاظ الصوفية، ص ١٣٠، التعريفات، ص ١٠٦.

(٢) فوائح الجمال، ص ٢١٠ : ٢١٣ بتصرف.

(٣) السهروردي: عوارف المعارف ص ٢٠٨، ٢٢٣.

هكذا نرى كيف اختص الصوفية أنفسهم وحدهم بإخلاص العبادة لله تعالى أربعـين ليلة، لكن الملاحظ أنهم يعتمدون على غرس أحاديث موضوعة نسبت كذباً إليه ﷺ تهدف مقصدهم في تكوين طبقة من الأولياء الصوفيين المعصومين تكون لهم جوامع الكلم وبحار العلم، فلا يسألون ولا يناقشون، ذلك لأن ينابيع الحكمة قد ظهرت من قلوبهم على ألسنتهم!!

وقد اتفق أهل الحديث على أن ما نسب إلى الرسول الكريم ﷺ: «من أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه من قلبه» أنه حديث موضوع، وقد ذكره الإمام المنذري في الترغيب وقال: «لم أقف على إسناد صحيح ولا حسن، وأنما ذكر في كتب الضعفاء، وقد أعلّه ابن الجوزي في الموضوعات بسوار بن مصعب، وقال: إنه متروك»(١).

المطلب الثامن
الرقم (ثلاثمائة): دلالاته وأقسامه في مصطلح طبقات غلاة الصوفية

استمراراً لخرافة دلالات الأرقام الوهمية لدى طبقات أولياء الصوفية الباطنية وتقديسها، فقد احتل الرقم «ثلاثمائة» مكانة خاصة ذا دلالة رمزية لدى هؤلاء المتوهمين الراغبين في غرس عقائد الباطل محل عقائد الحق، وغرس التحير والشك في نفوس الناس محل الثبات واليقين، وغرس المحجة الوهمية المهيمنة الحاقدة على الإسلام والمسلمين محل المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها، ولا يزيغ عنها إلا هالك.

فالرقم «ثلاثمائة» : يرمز إلى أولياء عبادلة باطنيين صوفية هم وحدهم أرباب

(١) تلبيس إبليس ص ٢٤٨، الموضوعات، ابن الجوزي، جـ ٣ ص ١٤٤، الترغيب والترهيب، الإمام المنذري، جـ ١ ص ٥٦.

التجليات الأسمائية إذا تحققوا بحقيقة اسم ما من أسماء الله تعالى، واتصفوا بالصفة التي هى حقيقة ذلك الاسم، وقد نسبوا إليه بالعبودية لشهودهم ربوبية ذلك الاسم وعبوديته للحق تعالى من حيث ربوبيته لهم بكمال ذلك الاسم خاصة لهم، فقيل لأحدهم (عبد الرازق والآخر عبد الظاهر والآخر عبد الباطن)... وغير ذلك.

أما هؤلاء الثلاثمائة العبادلة: فهم الذين بالغوا في المعاملات القلبية وأخلصوا لله تعالى، وقدس الله سرهم، فتجلى لهم باسمه الباطن، حتى غلبت روحانياتهم، واشرفوا على البواطن، وأخبروا عن المغيبات، فدعوا الناس إلى الكمالات المعنوية وتقديسها، ورجحوا التنزيه على التشبيه كما كانت دعوة (عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) إلى السموات والروحانيات وعالم الغيب، والتقشف في الملبس والاعتزال والخلوة، ومن هنا استطاع هؤلاء العبادلة الثلاثمائة أن يستخرجوا خبايا ما في النفوس، ويشرفوا على بواطن الناس، ذلك لانكشاف الستائر لهم عن وجوه سرائر الناس، وحينئذ سموا بحق (عبادلة الباطن).

يقول ابن عربي في فتوحاته:

السر ما بطنت فيه حقيقته ... والجهر يظهره لكل ذى بصر

لولا البطون ولولا سر حكمته ... ما فضل الله مخلوقاً على البشر

عنت لنا أوجه الأملاك ساجدة ... لما حوينا من الأرواح والصور[1]

ويعتقد بعض غلاة الصوفية أن هؤلاء العبادلة الباطنيين على ثلاثة أقسام:

الأول: نفوس روحانية علوية (عددها مائة)، وهم المختصون بالحقائق الأمرية التي أوجدها الله تعالى من غير سبب.

الثاني: نفوس روحانية وسطية (عددها مائة آخرون)، وهم المختصون

---

(١) معجم إصطلاحات الصوفية ص ١١٦، ١٤١، ١٢٦، التعريفات ص ٢٦٦، إصطلاح الصوفية ص ٤، الفتوحات المكية، ج ٤ باب: ٥٥٨ ص ٣٠٠، ٣٠١..

بالحقائق الإنسانية حيث كشف خبايا عالم الإنسان والإشراف على بواطنه!!

الثالث: نفوس روحانية سفلية (عددها مائة آخرون)، وهم المختصون بالحقائق الخلقية التي أوجدها الله تعالى بسبب.

وهذه الأقسام الثلاثة للحق تعالى في كل نفس منها أمانة منطوية على أسرار إلهية وكونية مكنونة، إذا ظهرت من طي قطرتها بسطتها باسطة الوجود إلى لاغاية،

ليس ذلك فحسب بل إن هؤلاء النفوس العبادلة هم أصحاب أهل السرائر الذين وصلوا نهاية الترقي للوصول إلى مالك الملك.

فإذا كان أصحاب الوقت هم المبتدئون في طريق السلوك الصوفي، واذا كان أصحاب الأحوال هم وسطاء الطريق، فإن هؤلاء العبادلة هم أصحاب النفوس أهل السرائر الذين وصلوا إلى نهاية ترقي الواصلين إلى الله تعالى حينئذ أدركوا بحق ووقفوا على سر التنزية الإلهي!![1].

تلك هى عقيدة غلاة الصوفية في العبادلة ولنا عليها عدة ملحوظات:

الأولى: التشابه الكبير بين هؤلاء (الثلاثمائة) و(الثمانية عشر) العبادلة واضح جلي، حيث قسمت الأمور والحقائق والتجليات وملكوت السموات والأرض بينهما، على أن هؤلاء الثلاثمائة قد اختصوا بالبواطن، وتجلى الله لهم باسمه الباطن!!! وإخبارهم عن المغيبات...وغير ذلك، فكل هذه الاعتقادات باطلة ليس لها دليل شرعي، فلا يعلم الغيب إلا الله تعالى، ولو أطلع الله تعالى الغيب على أحد لكان الأنبياء هم أولى بها وأحق.

الثانية: نتساءل عن طبيعة ذلك التنزيه الإلهي الذي رجحه هؤلاء العبادلة، أهو عينه ذلك التنزيه الذي يعتقده أهل السنة والجماعة والقائم على قواعد متمثلة في: - القول في صفات الله تعالى تابع للقول في ذات الله من حيث عدم إدراك كنهها. وأن الكتاب الكريم والسنة الشريفة هما مصدر الإثبات والنفي لصفات الله تعالى

---

(١) كشاف جـ ٢ ص ٦٨، رشح الزلال ص ٦٥، معجم إصطلاحات الصوفية ص ١٠١.

وأسمائه. وأن ما أثبته الله تعالى لنفسه ليس تشبيهـًا لشيء من خلقه، أم ذلك التنزيه الذي أقرته المعتزلة وأجمعت عليه من أن: - (الله تعالى ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن وليس بذى أبعاض وأجزاء وجوارح وليس بذى جهات ولا بذى يمين وشمال وخلف وفوق وتحت)[١].

الثالثة: الحديث عن الأولياء والبدلاء والنقباء والأوتاد....وغيرهم نقرر ما قرره السلف الصالح أن كل حديث يروى عن النبى ﷺ في عدد الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأقطاب مثل: أربعة أو سبعة أو اثنى عشر أو أربعين أو القطب الواحد أو ثلاثمائة....**فليس في ذلك شيء صحيح عن الرسول الكريم ﷺ، ولم ينطق السلف الصالح بشيء من هذه الألفاظ**[٢].

الرابعة: لقد جعل الله تعالى الرسول الكريم ﷺ هو الفارق بين أوليائه وبين أعــدائه، فلا يكون وليا لله تعالى إلا من آمن به وبما جاء به، واتبعه ظاهراً وباطنـًا، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله تعالى بل إن من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان[٣].

---

(١) الرسالة التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ١٩ : ٢٥ بتصرف، العقيدة الحموية، جـ ١، ص ٧٨. رسالة الاكليل، جـ ٢ ص ١٨، مختصر الصواعق المرسلة فى الرد على الجهمية والمعطلة، ابن القيم، ج١ ص ١٥٢ ، مقالات الإسلاميين، الأشعري، ج ١ ص ٢٣٥، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، ابن الوزير اليمني، ص١٢٣.

(٢) رسالة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الإسلام ابن تيمية: ص١٦٧.

(٣) كتاب التصوف، ابن تيمية، ص ١٦٣.

الخاتمــة

وبعد فإني قد انتهيتُ بفضل الله تعالى ومنته من ذلك البحث والذي عنوانه: (**دلالات الأرقام: أنموذجا رمزيا في المصطلح الصوفي**)، وواجب أن نبين أهم النتائج المستفادة من هذه الدراسة، وعدد من التوصيات المرجوة:

أولاً: ليس في الإسلام سر يخفي، أو كتمان ملزم واجب على مسلم، وإن اعتقاد بعض الصوفية أن العلم الرباني الذي يتكشف للصوفي السالك يجب ستره، ومن **يدّعِ أسراراً خفية في الإسلام فقد اتهم الرسول الكريم ﷺ بالخيانة في عدم تبليغه رسالة الإسلام كاملة**، ذلك لأنها للناس كافة وليست للخاصة أو خاصة الخاصة كما يدعى غلاة الصوفية المتفلسفون.، وأن الرسول الكريم بيّن للناس كل مايحتاجونه من أمور العقائد والشرائع – أصولها وفروعها – وشؤون الحياة بيانا لم يترك بعده زيادة لمستزيد مراعياً في ذلك ما تحتمله عقولهم وما ينفعهم معرفته في حياتهم(١).

ثانيا: لقد أقام غلاة الصوفية المتفلسفون صرح عقائدهم الباطنية على:

أ- التأويل الرمزي الإشاري الذي يخرج الألفاظ عن معناها الحقيقي إلى المعاني الباطنية والتي لا يدركها سواهم خاصة مع نصوص القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية كي تتفق مع باطلهم حتى كثر ما يسمى بالتفسير الإشارى أو لطائف الإشارات.

ب- وعلى الأحاديث الموضوعة المكذوبة التي تتبنى أفكارهم خاصة عن الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل، والتي قال ابن تيمية في شأنها: «ليس هذا حديثاً

---

(١) رسالة (معارج الوصول فى أن أصول الدين وفروعه بينها الرسول)، ابن تيمية جـ ١ ص ١٧٨ إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم جـ ٤ ص ٣٧٥، ٣٧٦، عقيدة ختم النبوة أ.د/ أحمد الغامدي، ص ٩٠، ٩١.

عن النبى لا صحيحاً ولا ضعيف ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث»[١].

ج- وعلى الكذب والمغالطة ومخادعة الناس وإيهامهم بأن شيوخهم لهم من التقديس ما يمنع الألسنة أن تقدحهم، ومن هنا أسند إليهم ألقاب مخادعة انخدع بها البسطاء من الناس، بل وأصبحت مؤلفاتهم بمنزلة قريبة من منزلة الوحي يؤكد على قراءتها الحبيب المصطفي، بل ومنها فتوحات ربانية مكية فتصبح إذن مقدسة يتعبد بها.

- فها هو (أبو حامد الغزالي) قد لقبوه بحجة الإسلام وكتابه (إحياء علوم الدين) الذي قيل عنه: كاد الإحياء أن يكون قرآنا!!

- وذاك (ابن عربى) وقد لقب بمحيي الدين، وكتابه (فصوص الحكم) الذي أهداه الرسول الكريم لابن عربي في منامه واستحسنه وطلب منه إذاعته للناس!!.

- وهذه (الفتوحات المكية) التي فتح الله بها على وجدان ابن عربي!!

- وهذا الشيخ (محمد عبد الله باعلوى) ويلقبونه بالسيد الشريف بركة الأنام، وقطب الزمان، ومربي المريدين، وكتاباه (الكبريت الأحمر، وإيضاح أسرار علوم المقربين)!!

- وذلك (أبو على الفناني) الملقب بزين الدين، وله (سراج القلوب وعلاج الذنوب)!!

- وذاك (ابن عجيبه) الملقب بالعارف بالله، وله (الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية).

- وهذه (المناظر الإلهية، ونسيم السحر، والفتح الرباني، وفتوح الغيب، والغنية لطالبي طريق الحق، ومفتاح الفلاح ومصباح الأرواح.... وغيرها كثير وكثير.

ثالثا: لم تكن دولة الإسلام منعزلة عن المجتمعات الأخرى الدينية

---

(١) كتاب التصوف، ص ٩٦ .

واللادينية، وانطلاقًا من عظمة القيم الفاضلة والأخلاق النبيلة والتوحيد الإلهي العظيم الذي قامت عليه دولة الإسلام فقد وضع الإسلام نصب أعين أعدائه فأرادوا اغتياله والقضاء عليه، أو إحياء النزعات الهدامة الفكرية الإلحادية قديمًا وحديثًا، والوقوف بجوار النزعات الهدامة الحديثة والمعاصرة كالبابية والبهائية والقاديانية والماسونية والطرق الصوفية والفلسفات الروحية والصوفية الجديدة كل ذلك من أجل إحلال عقائدها وأفكاها مكان عقائد المسلمين الحقه.

وبمعنى آخر إخراج المسلمين من دينهم، وإدخالهم في أديان ومذاهب أخرى تحت شعارات براقة كوحدة الأوطان ووحدة الأديان والمساواة والإخاء ووحدة اللغة.....وغير ذلك.

وأخيراً إخراج المسلمين من المفاهيم والقيم الإسلامية، وإدخالهم في دوامة الفكر البشري، وصهرهم في مفاهيم الوثنية والمادية والعلمانية والوجودية.....وغيرها من السموم القاتلة، حتى تنشأ عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكر الإسلامي الأصيل فيسهل تشكيلها وفقًا للمفاهيم الغربية الاستعمارية في الفكر والتربية والمناهج العلمية.

رابعا: خلاصة القول: إن أكثر الفكر الصوفي الفلسفي خليط كامل لكل الفلسفات والخرافات التي انتشرت في العالم قديمًا وحديثًا، فليس هناك من كفر وزندقة وإلحاد إلا دخل إلى الفكر الصوفي الفلسفي وتلبس بالعقيدة الصوفية، فمن القول بوحدة الوجود إلى القول بحلول الذات الإلهية في المخلوقين، إلى القول بالحقيقة المحمدية، إلى القول بأن الأولياء هم المدبرون للعالم المتحكمون في الكون...، هؤلاء الذين أفسدوا العالم الإسلامي قديمًا وحديثًا، حيث **أخرجوا الناس من عبادة الله الواحد القهار إلى عبادة المشايخ والأولياء ومن التوحيد إلى الشرك وعبادة القبور ومن السنة إلى البدعة** ومن **العلم بالكتاب والسنة إلى تلقي**

البدع والخرافات ممن يدعون رؤية الله والملائكة والرسل والجنان والنيران فكانوا بحق عونـًا للفرق الباطنية التي أرادت القضاء على الإسلام وإضلال المسلمين(١).

هؤلاء الذين يحسبون أنهم أعبد خلق الله، يصدق فيهم قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾(٢) صدق الله العظيم.

خامسا: من التوصيات المهمة:

أ- ضرورة اطلاع الباحثين على الفكر المخالف لكشف زيفه وأباطيله، ونقضه نقضا بنّاءً، وتحذير المسلمين منه، خاصة عقائد الطرق الصوفية المعاصرة وصلتها بالفكر الباطني القديم، ومقصده في إذابة عقائد المسلمين في عقائدهم الضالة.

ب- تخصيص مركز بحثية أكاديمية تحت إشراف العلماء المتخصصيين في الرد على الفكر المخالف، وكشف باطله للناس حتى لا يقع أحد في شراكه.

وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) فضائح الصوفية، عبد الرحمن عبد الخالق ص ٢٣، ٦١، ٦٢، شبهات التصوف، أد/ عمر عبد العزيز ص١٥٠.

(٢) سورة الكهف: ١٠١ – ١٠٦.

المراجع

١- **القرآن الكريم.**

٢- أخبار الحلاج / لويس ماسينيون المستشرق الفرنسي / طبعة باريس عام ١٩٤٦م.

٣- أبو حامد الغزالي والتصوف / دمشقيه (أ/ عبد الرحمن)/ دار طيبة – السعودية سنة ١٤٠٩هـ .

٤- الإسلام في مواجهة الحركات الفكرية / المصري (أ.د/ جميل عبد الله)/ دار أم القرى. الأردن سنة ١٩٨٨م.

٥- الأسماء والصفات / البيهقي (أحمد بن الحسين ٤٥٨ هـ) / المركز الإسلامى – بيروت سنة ١٩٨٨م.

٦- اصطلاحات الصوفية / الكاشاني (عبد الرازق الصوفي ٧٣٠ هـ)/ تحقيق د. عبد الرازق شاهين / دار المنار سنة ١٩٩٦م.

٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين / ابن القيم (محمد بن أبي بكر ت ٧٥١ هـ)/ تحقيق محيى الدين عبد الحميد / طبعة السعادة سنة ١٩٧٤م.

٨- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرأنيه / الطوفي (نجم الدين)/ مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٨٣م.

٩- الإنسان الكامل / الجيلي (عبد الكريم)/ طبعة مصطفي الحلبي سنة ١٩٥٨م.

١٠- بداية الطريق إلى منهاج التحقيق / المنوفي (محمد أبو الفيض)/ سلسة من الشرق والغرب / الدار القومية للنشر (د.ت).

١١- التبصير في الدين / الإسفرايني (شاهفور بن طاهر ٤٧١ هـ)/ تحقيق محمد الكوثر / دار الكتب العلمية سنة ١٩٨٨

١٢- ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان / ابن الوزير اليمني (٨٤٠ هـ)/ دار الكتب العلمية سنة ١٩٨٤م.

١٣- ترجمان الأشواق / ابن عربي / دار صادر سنة ١٩٦١م.

١٤- الترغيب والترهيب / المنذري (الإمام الحافظ)/ دار الريان – مصر سنة ١٩٩٥ م.

١٥- التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام / الخطيب (أ/ عبد الكريم)/ دار الفكر العربى سنة ١٩٨٠م.

١٦- تفسير الصافي / الكاشاني (محمد بن مرتضى الشيعى ت ١٠٩١ هـ)/ تعليق حسين الأعلمي / مكتبة الصدر. طهران سنة ١٣٧٣هـ.

١٧- تلبيس إبليس / ابن الجوزي / تحقيق عبد الرازق المهدى / طبعة وزارة الأوقاف بدولة قطر سنة ٢٠٠٠م.

١٨- تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي / البقاعي (برهان الدين)/ تحقيق عبد الرحمن الوكيل / الدار السلفية سنة ١٩٥٣م.

١٩- التعريفات / الجرجاني (الشريف)/ دار الاضواء (د. ت).

٢٠- التوحيد / ابن خزيمة (محمد بن اسحاق ٣١١ هـ) / تحقيق محمد خليل هراس / دار الجيل سنة ١٩٨١ م.

٢١- جواهر المعانى / التيجاني (أحمد)/ الكليات الازهرية (د. ت).

٢٢- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه / ابن الجوزي تحقيق محمد الكوثرى / طبعة الكليات الازهرية سنة ١٩٩١ م.

٢٣- ديوان الحلاج / الحلاج (الحسين بن منصور ٣٠٩ هـ) / تعليق عبد الحفيظ هاشم / مكتبة المدنى سنة ١٩٧٠ م.

٢٤- رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل / ابن تيمية / مجموعة الرسائل

الكبرى / دار البيأن العربى (د.ت).

٢٥- رسالة معارج الوصول في أن أصول الدين وفروعه بينها الرسول / ابن تيمية / مجموعة الرسائل الكبرى / دار البيان العربى (د.ت).

٢٦- رسالة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان / ابن تيمية / مجموعة الفتاوى الكبرى / مجلد ١١ / طبعة المملكة العربية السعودية.

٢٧- الرسالة التدمرية / ابن تيمية / طبعة طبيح سنة ١٤٠٠ هـ .

٢٨- رسالة اصطلاحات الصوفية / ابن عربي / من مجموعة رسائل ابن عربى / حيدر آباد سنة ١٣٦١ هـ.

٢٩- الرسالة القشيرية / القشيري (أبو القاسم)/ تحقيق زكريا الأنصاري / دار الكتاب العربى سنة ١٩٩٤م.

٣٠- رشح الزلال / الكاشاني (عبد الرازق الصوفي ٧٣٠ هـ)/ تحقيق د. سعيد عبد الفتاح / نشر المكتبة الازهرية سنة ١٩٩٥م.

٣١- روضة التعريف في الحب الشريف / التلمساني (لسان الدين بن الخطيب) / تحقيق عبد القادر عطا / دار الفكر العربي سنة ١٩٨٣م.

٣٢- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية / الرازي (الشيخ أبو حاتم)/ تحقيق أ.د عبد الله السامرائي/ دار واسط (د.ت).

٣٣- العارف بالله أحمد البدوي / القاضي (د/ سعد)/ دار غريب – مصر سنة ٢٠٠١ م.

٣٤- العارف بالله ابراهيم الدسوقي / القاضي (د/ سعد)/ دار غريب –مصر سنة ٢٠٠١ م.

٣٥- عقيدة ختم النبوة / الغامدي (أ.د/ أحمد)/ دار طيبة – الرياض سنة ١٩٨٥م.

٣٦- العقيدة والشريعة في الإسلام / جولد زيهر / ترجمة محمد موسى / دار المثنى بالعراق سنة ١٩٥٩م.

٣٧- عوارف المعارف / السهروردي (شهاب الدين) / دار الكتاب العربي – بيروت سنة ١٩٧٥ م.

٣٨- الفتح الرباني / الجيلاني (عبد القادر) / دار الكتاب العربي – بيروت سنة ١٩٧٩م.

٣٩- الفتوحات المكية / ابن عربي (محيى الدين ٦٣٨ هـ) / دار صادر (د. ت).

٤٠- الفرق بين الفرق / البغدادي (عبد الظاهر ٤٢٩ هـ)/ دار المعرفة – بيروت ستة ١٩٩١م.

٤١- الفرق الإسلامية / المكي (أبو اسحاق بن عقيل)/ دار ابن حزم – بيروت سنة ١٩٩٥م.

٤٢- فصوص الحكم / ابن عربي / تحقيق أبو علا عفيفي / طبعة الحلبى. مصر سنة ١٩٧٦م.

٤٣- الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم الأندلسي (أبو محمد على بن احمد ٤٥٦ هـ)/ مكتبة السلام العالمية. مصر سنة ١٩٨٩م.

٤٤- فضائح الصوفية / عبد الرحمن عبد الخالق / مكتبة دار السلام – السعودية سنة ١٤١٢هـ.

٤٥- فوائح الجمال / كبرى (نجم الدين)/ تحقيق د. يوسف زيدأن / مؤسسة سعاد الصباح – بيروت سنة ١٩٩٥ م.

٤٦- الفيوضات الربانية / القادري (إسماعيل)/ دار إحياء الكتب العربية (د.ت).

٤٧- قصيدة النادرات العينية / الجيلي (عبد الكريم)/ تحقيق د. يوسف زيدان

/ دار الجيل سنة ١٩٨٨م.

٤٨- قلادة الجواهر / الخالدي (محمد الرفاعى)/ دار الكتاب اللبناني سنة ١٩٨٠م.

٤٩- كشاف اصطلاحات الفنون / التهانوي (محمد على الفاروقى)/ المؤسسة المصرية سنة ١٩٦٣ م.

٥٠- كشف المحجوب / الهجويري (أبو الحسن)/ ترجمة محمود ماضي / مكتبة الخانجي سنة ١٩٧٤م.

٥١- الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ / محمود عبد الرؤوف قاسم / المكتبة الإسلامية – الأردن سنة ١٤١٣هـ .

٥٢- كيمياء السعادة / الغزالي (أبو حامد حجة الإسلام ٥٠٥ هـ)/ مكتبة الجندى سنة ١٩٧٥م.

٥٣- لسان العرب / ابن منظور / دار احياء التراث العربى سنة ١٩٩٩م.

٥٤- مجمل عقائد الصوفية في ميزان أهل السنة والجماعة، أد / مصطفى (فاروق)/ مكتبة عباد الرحمن – القاهرة – عام ٢٠٠٧م.

٥٥- المثنوي / الرومي (جلال الدين)/ ترجمة محمد كفافي / المكتبة العصرية سنة ١٩٦٦م.

٥٦- معجم ألفاظ الصوفية / الشرقاوي (أ.د / حسن)/ مؤسسة مختار سنة ١٩٩٠م.

٥٧- معجم المصطلحات الصوفية / أ.د/ أنور أبو خزام / مكتبة لبنان ناشرون سنة ١٩٩٣م.

٥٨- مقالات الإسلاميين / الأشعري (أبو الحسن على ٣٢٤ هـ)/ تحقيق محيى الدين عبد الجميد / منشورات صيدا سنة ١٩٩١م.

٥٩- الموضوعات / ابن الجوزي/ دار الفكر العربى سنة ١٩٨٣م.

٦٠- ميزان العمل / الغزالي (أبو حامد حجة الإسلام ٥٠٥ هـ)/ دار الكتب العلمية – بيروت سنة ١٩٩١م.

٦١- النصوص في مصطلحات التصوف / محمد غازي / دار قتيبة – تونس سنة ١٩٨٥م.

٦٢- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها / أ.د/ عرفان عبد الحميد / المكتب الإسلامي – بيروت سنة ١٩٧٤م.

٦٣- نشر المحاسن الغالية / اليافعي (عبد الله)/ مؤسسة مصطفي الحلبي سنة ١٩٦١م.

٦٤- اليواقيت والجواهر / الشعرانى (عبد الوهاب)/ طبعة الحلبي سنة ١٩٥٩م.

Connotations Numbers Model in a Symbolic Term Mystic

Dr. Khaled Ali Abbas elkot
Professor and Islamic religions and sects difference contemporary Assistant
Taibah University - Higher Institute of Imams and Preachers

When promoting people of falsehood that Islam is divided into law and fact, and his followers to the people of Zahir and the people of the soles, and to scientists fees and scientists inspiration Hakiqiaan are the ones who are aware of religious truths, and knowing the secret hidden for Aevy to the people of the apparent, and so as not to and find their fate murder, took the secrets and mysteries and symbols signals and means of linguistic allow them through which to talk about their conditions and help them to avoid the inevitable fate if they allowed anyone secret Tsofhm!, Through a statement gravity (semantics numbers mystic symbolism in the term).

Where talking about: icons: the concept and its position in the term mystic, then talk about the implications of the numbers (1-2-4-7-12-18-40-300) model in a symbolic term mystic, and suggest to him from esoteric connotations have no legitimate support The book of the Holy or the Sunnah, and the statement of the position of the Sunnis and the group of them.

Key words :

Semantics, numbers Avatar, the term mystical, esoteric, secrets, Sunnis and the community.

ثانيًا:

الدراســات

اللغوية والأدبية

التحليل الدلالي للبنية الصرفية في سورة الفتح

د. حمدي صلاح الدين السيد الهدهد

أستاذ أصول اللغة المشارك

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة قسم اللغة العربية

salah200877@yahoo.com

تاريخ التحكيم: ٦/ ٩/ ١٤٣٥ تاريخ الإجازة: ٢٨/ ١٢/ ١٤٣٥

هذا البحث مدعم من قبل عمادة البحث العلمي بجامعة طيبة

المستخلص:

بنية الكلمة تعد محورا أساسا من محاور التحليل الدلالي، فتنوعها ينعكس على تنوع دلالتها، وتسعى هذه الدراسة لتطبيق منهج دلالي تحليلي يسهم في الوقوف على دلالات البنية الصرفية بتنوعاتها في سورة الفتح؛ وفق محاور ثلاث: المحور الأول: التحليل الدلالي للصيغ الفعلية الواردة في سورة الفتح، وتتحدد دلالات كل صيغة فعلية من منطلقات أربعة: الأول: الزمن. الثاني: الإطلاق (التجرد) والتقييد (الزيادة). الثالث: الحضور والغيبة. الرابع: الحالة الفعلية (البناء للفاعل والبناء للمفعول). المحور الثاني: التحليل الدلالي لصيغ المشتقات الواردة في سورة الفتح. فالمصادر بكل أنواعها الأصل في دلالتها العموم، بينما المشتقات الأخرى كل مشتق له دلالته الخاصة؛ فاسم الفاعل تنضح منه دلالات ثلاثة: الحدث، الحدوث، القائم بالحدث. وهكذا سائر المشتقات. المحور الثالث: التحليل الدلالي لأبنية الجموع الواردة في سورة الفتح. فأبنية جموع التكسير متنوعة

وعليه تنوعت دلالاتها، وجموع السلامة لها دلالتها.

وقد قام التحليل الدلالي للبنية الصرفية في سورة الفتح على تبني منهج الإحصاء لكل محور من المحاور الثلاثة، متبوعا باستنتاجات تحاول الدراسة تحليلها في ضوء مقصود السورة الكريمة وجوها العام؛ مبرزة دور السياق (الداخلي والخارجي) في تغير دلالة بعض البُنَى ؛ فقد يدل الماضي على الحاضر والعكس، وقد يدل المصدر على معنى اسم الفاعل والعكس، وقد يكون بناء من أبنية جموع التكسير دالا على القلة فانتحى به السياق للدلالة على الكثرة والعكس.

الكلمات المفتاحية:

التحليل الدلالي، البنية الصرفية، سورة الفتح، صيغ الأفعال، صيغ المشتقات، أبنية الجموع، دلالة الزمن، دلالة الإطلاق والتقييد، دلالة الحضور والغيبة، دلالة اسم الفاعل، دلالة اسم المفعول.

تقـــديـــم

الحمد لله الفتاح العليم، الممتن على نبيه ومصطفاه بالفتح المبين، المظهر دينه على الدين كله، الناصر أولياءه المؤمنين، والصلاة والسلام على البشير النذير السراج المنير، محمد –صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين–.

وبعـــد،

فالقرآن الكريم هو حبل الله المتين، وهو الدستور القويم، هو الهدى، ومن ثم فهو عاصم من الضلالة، وهو النور وأي دستور دونه ظلمات، وهو الرحمة وبغيره تذوق الأمة ويلات العذاب، وهو الشفاء؛ فالتمسك به تمسك بالعافية، والبعد عنه يجلب السقم والذلة، وهو المجد والعزة ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1]. وتحاول القلوب الملوثة والأفكار العابثة والنفوس الحاقدة تنفير الأمة من هذا النور، ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2]، ولكن هيهات فقلوبهم هواء، ونفوسهم بوار، وأفكارهم رماد.

وتأتي هذه الدراسة في مصاف الدراسات التي تعنى بدراسة مفردات القرآن الكريم، وهو ما يندرج تحت ما يطلق عليه البنية الصرفية، أو ما يندرج حديثا تحت مصطلح (Morpheme) ويطلق على فرع علم اللغة الذي يعنى بدراسة أشكال الكلمات وصيغها المختلفة (Morphology).

وقد انتقت الدراسة خيارا من خيار؛ فانتقت سورة الفتح لعل الله أن يجعل لعبده الفقير فيها فتحا من فيض أسراره، ولم أقف– على حد اطلاعي المحدود قطعا –على دراسة خصت البنية الصرفية في سورة الفتح بالدراسة.

وبنية الكلمة تعد محورا أساسا في تنوع دلالتها؛ بل إن المفردة الواحدة

---

(١) سورة فصلت: ٤٢.

(٢) سورة الصف: ٨.

تعكس أكثر من دلالة، وللسياق بنوعيه (الداخلي والخارجي) أثره الواضح في تحول دلالة المفردة. وقد ارتأى البحث أن يسير في تحليل دلالة البنية الصرفية للسورة موضوع الدراسة على المنهج الإحصائي لكل الصيغ الواردة فيها، ثم معالجتها معالجة دلالية كلية وفق ما توصل إليه أحد المحدثين[1] في التحليل الصرفي ويمكن عرض هذا الرأي بإيجاز على النحو الآتي:

تتعدد الوحدات الصرفية (MORPHEME) في اللغة العربية بتعدد الفصائل الصرفية من ناحية، وبتعدد التقسيمات العقلية أو الذهنية لهذه الفصائل من ناحية أخرى، ومن أهم هذه الوحدات الصرفية في اللغة العربية ما يأتي:

١- فصيلة الجنس أو النوع: ويندرج تحتها وحدتان صرفيتان، هما: وحدة التأنيث. ووحدة التذكير، ولكل منهما علاماته الخاصة به والمبينة في كتب الصرفيين.

٢- فصيلة العدد: ويعبر عنها في اللغة العربية بثلاثة مورفيمات أو وحدات صرفية: الإفراد، والتثنية، والجمع، ولكل علاماته.

٣- فصيلة التعيين: ويقصد بها: كون المتحدث عنه شيئا بعينه، وهو ما يسمى بالمعرفة، أو أمرا شائعا وهو ما يسمى بالنكرة، ويندرج تحت هذه الفصيلة وحدتان: وحدة التعريف، ووحدة التنكير.

٤- فصيلة الحالة الفعلية: ويراد بها: فكرة التعبير عن الفاعل من حيث وجوده أو عدم وجوده، أو من حيث كونه معلوما أو مجهولا، ويندرج تحت هذه الفصيلة وحدتان: وحدة البناء للمعلوم، ووحدة البناء للمفعول.

---

(١) هو سعادة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح عبد العليم البركاوي (أستاذ أصول اللغة في كلية اللغة العربية بالقاهرة – جامعة الأزهر) الذي شرفت بالتلمذة على يديه في مرحلتي الماجستير والدكتوراة، وقد فصل القول في هذا المنهج في كتابه دلالة السياق الذي سيأتي بعد.

٥- فصيلة الحضور والغيبة: ويراد بها: فكرة التعبير عن المتحدث أو المتحدَّث عته؛ الذي قد يكون حاضرا أو غائبا، ويندرج تحتها ثلاث وحدات صرفية: وحدة التكلم، ووحدة الخطاب، ووحدة الغيبة.

٦- فصيلة الزمن: ويراد بها: فكرة التعبير عن الزمن، ويندرج تحتها وحدتان: وحدة الماضي، ووحدة المضارع.

٧- فصيلة التعميم والتخصيص: ويقصد بها: أن يضاف إلى المعنى المعجمي ما يتخصص به ذلك المعنى أو ما يتصل به بوجه من الوجوه، ويندرج تحتها وحدتان: وحدة التعميم، ويعبر عنها بالمصدر واسم المصدر والمصدر الميمي والمصادر الصناعية. ووحدة التخصيص: ويعبر عتها باسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، واسمي الزمان والمكان، واسم التفضيل، واسم الآلة، والمنسوب، والمصغر.

٨- فصيلة الإطلاق والتقييد: ويراد بها: دلالة الفعل على الحدث إما أن تكون مطلقة؛ وذلك إذا كان الفعل مجردا، وإما أن تكون مقيدة؛ وذلك إذا كان الفعل مزيدا، ويندرج تحتها وحدتان: وحدة الإطلاق (التجرد) ووحدة التقييد (الزيادة)[١].

وسيسير البحث في التحليل الصرفي (المورفيمي) على محاور ثلاثة هي: الصيغ الفعلية، وصيغ المشتقات، وأبنية الجموع، مع محاولة توظيف دلالة السياق والدلالة المعجمية ما أمكن في كل محور من هذه المحاور.

وسيتم تصدير كل أساس من هذه الأسس بجدول إحصائي يوضح الدلالات المتفرعة عنه، ثم إتباع هذا الإحصاء بنتائج، ثم محاولة تحليل هذه النتائج دلاليا، ثم تناول ما أولاه أهل التأويل عناية.

---

(١) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د. البركاوي (ص ١٤٥: ١٦٢) بتصرف كبير.

مـــدخـــل

بين يدي سورة الفتح

اسم السورة: رأى بعض المفسرين أن سورة (الفتح) سميت بهذا الاسم؛ لأن الله افتتحها ببشرى النبي ﷺ بالفتح والنصر(١).

عدد آياتها: آياتها تسع وعشرون آية بالإجماع(٢).

سبب نزولها: جمهرة علماء التفسير على أن السورة مدنية أو نزلت بين مكة والمدينة؛ فهي مدنية بالإجماع على حد قول القرطبي(٣). وقد أورد التوحيدي سبب نزول السورة الكريمة على النحو الآتي: «..... عن قتادة عن أنس قال: أنزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾(٤) عند رجوعه من الحديبية نزلت وأصحابه مخالطون الحزن، وقد حيل بينهم وبين نسكهم ونحروا الهدي بالحديبية؛ فلما أنزلت هذه الآية قال لأصحابه: لقد أنزلت علي آية خير من الدنيا جميعها فلما تلاها النبي ﷺ قال رجل من القوم: هنيئًا مريئًا يا رسول الله قد بين الله ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾(٥)».

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (٢٥/ ١٤١) ط. الدار التونسية للنشر عام ١٩٨٤م، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (٢٦/ ١٤٢) لوهبة بن مصطفى الرحيلي، ط. دار الفكر المعاصر بدمشق – الثانية عام ١٤١٨هـ.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٥٩) للقرطبي. ط. دار عالم الكتب بالسعودية، تحقيق/ هشام البخاري ٢٠٠٣م. روح المعاني (٢٥/ ٨٤) للألوسي. ط. دار إحياء التراث العربي ببيروت.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٥٩).

(٤) سورة الفتح: ١.

(٥) سورة الفتح: ٥.

المقاصد العامة للسورة الكريمة:

تتجلى المقاصد العامة لسورة الفتح في النقاط الآتية:

(١) بشارة النبي ﷺ بالفتح، والمغفرة المطلقة، وتمام النعمة، والهداية، والنصر العزيز، وهذا ما يدل على كرامة النبي عند ربه، والوعد له بالنصر المتعاقب.

(٢) الامتنان على المسلمين بالسكينة، والاعتراف لهم بالإيمان السابق، وتبشيرهم بالمغفرة والثواب، وعون السماء بجنود الله، وما أعده الله لأعدائهم من المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات من الغضب واللعنة والعذاب الأليم.

(٣) التنويه ببيعة أهل الإيمان رسول الله، واعتبارها بيعة لله، وربط قلوب المؤمنين مباشرة بربهم عن هذا الطريق.

(٤) الكشف عن فضيحة الذين تخلفوا عن الحديبية من الأعراب، ولمزهم بالجبن والطمع وسوء الظن بالله وبالكذب على رسول الله ﷺ ومنعهم من المشاركة في غزوة خيبر، وإنبائهم بأنهم سيدعون إلى جهاد آخر؛ فإن استجابوا غفر لهم تخلفهم عن الحديبية، وبيان الأعذار المستحقة للتخلف عن الخروج للجهاد في سبيل الله.

(٥) وعد النبي بفتح آخر، وهو فتح خيبر، يعقبه فتح أعظم منه، وهو فتح مكة المكرمة، والتنكيل بأعداء المسلمين الذين صدوا أهل الإيمان عن المسجد الحرام والهَدي.

(٦) الإشارة إلى الصفات التي تتميز بها أمة محمد ﷺ وبيان وصفهم في الكتب السماوية السابقة (التوراة والإنجيل)[١].

---

(١) اعتمدت في صياغة هذه المقاصد على تفسير: التحرير والتنوير (٢٥/ ١٤٢، ١٤٣).

الجو العام في السورة الكريمة:

إن الجو العام للسورة يحكي حال ثلاث فئات متصارعة: فئة تنافح عن الحق وتذب عن حياضه، وهي الفئة المؤمنة التي خرجت مع النبي ﷺ لأداء العمرة. وأخرى تكابح في تعنت غاشم، واستعلاء ظالم، وهي الفئة الطاغية، والشرذمة الباغية، إلا أن إرادة الله شاءت ألا يصل أهل الحق إلى المراد، وعزب عنهم الارتياد؛ فخالطهم حزن حزين، وأسى دفين، لا لمكسب دنيوي فاتهم وشمس عنهم، ولكن حيل بينهم وبين ما يشتهون، إلا أن عناية الله بدلت الحزن فرحا، والأسى نجحا، وملأت القلوب سكينة، والنفوس طمأنينة؛ فزفت لهم البشريات، وسيقت لأعدائهم المخزيات، ثم تأتي فئة ثالثة مذبذبة، وهي فئة الأعراب المتخلفين عن رسول الله ﷺ الموسومين بسوء الظن والخداع؛ فكشفت السورة عنهم القناع ؛ فالسورة في جوها العام وعد ووعيد وبشارة ونذارة.

المحور الأول

التحليل الدلالي للصيغ الفعلية الواردة في سورة الفتح

م	الفعل	الزمن			الإطلاق والتقييد		الحضور والغيبة			الحالة الفعلية	
		ماضي	مضارع	أمر	مطلقة	مقيدة	تكلم	خطاب	غيبة	معلوم	مجهول
١	فتحنا	✓			✓		✓			✓	
١	يغفر		✓		✓				✓	✓	
٢	تقدم	✓				✓			✓	✓	
٣	تأخر	✓				✓			✓	✓	
٤	يتم		✓			✓			✓	✓	
٥	يهديك		✓		✓				✓	✓	
٦	ينصرك		✓		✓				✓	✓	
٧	أنزل	✓				✓			✓	✓	
٨	يزدادوا		✓			✓			✓	✓	
٩	كان	✓			✓				✓	✓	
١٠	يدخل		✓			✓			✓	✓	
١١	تجري		✓		✓				✓	✓	
١٢	يكفر		✓			✓			✓	✓	
١٣	كان	✓			✓				✓	✓	
١٤	يعذب		✓			✓			✓	✓	
١٥	غضب	✓			✓				✓	✓	
١٦	لعن	✓			✓				✓	✓	

م	الفعل	الزمن			الإطلاق والتقييد		الحضور والغيبة			الحالة الفعلية	
		ماضي	مضارع	أمر	مطلقة	مقيدة	تكلم	خطاب	غيبة	معلوم	مجهول
١٧	أعد	✓				✓			✓	✓	
١٨	ساءت	✓			✓				✓	✓	
١٩	كان	✓			✓				✓	✓	
٢٠	أرسل	✓				✓	✓			✓	
٢١	تؤمنوا		✓			✓		✓		✓	
٢٢	تعزروه		✓			✓		✓		✓	
٢٣	توقروه		✓			✓		✓		✓	
٢٤	تسبحوه		✓			✓		✓		✓	
٢٥	يبايعونك		✓			✓			✓	✓	
٢٦	يبايعون		✓			✓			✓	✓	
٢٧	نكث	✓			✓				✓	✓	
٢٨	ينكث		✓		✓				✓	✓	
٢٩	أوفى	✓				✓			✓	✓	
٣٠	سيؤتيه		✓			✓			✓	✓	
٣١	سيقول		✓		✓				✓	✓	
٣٢	شغلتنا	✓			✓		✓			✓	
٣٣	فاستغفر			✓		✓		✓		✓	
٣٤	يقولون		✓		✓				✓	✓	
٣٥	قل			✓	✓			✓		✓	
٣٦	يملك		✓		✓				✓	✓	

م	الفعل	الزمن			الإطلاق والتقييد		الحضور والغيبة			الحالة الفعلية	
		ماضي	مضارع	أمر	مطلقة	مقيدة	تكلم	خطاب	غيبة	معلوم	مجهول
٣٧	أراد	✓				✓			✓	✓	
٣٨	أراد	✓				✓			✓	✓	
٣٩	كان	✓			✓				✓	✓	
٤٠	تعملون		✓		✓			✓		✓	
٤١	ظننتم	✓			✓			✓		✓	
٤٢	ينقلب		✓			✓			✓	✓	
٤٣	زين	✓				✓			✓		✓
٤٤	ظننتم	✓			✓			✓		✓	
٤٥	كنتم	✓			✓			✓		✓	
٤٦	يؤمن		✓			✓			✓	✓	
٤٧	أعتدنا	✓				✓	✓			✓	
٤٨	يغفر		✓		✓				✓	✓	
٤٩	يشاء		✓		✓				✓	✓	
٥٠	يعذب		✓			✓			✓	✓	
٥١	يشاء		✓		✓				✓	✓	
٥٢	كان	✓			✓				✓	✓	
٥٣	سيقول		✓		✓				✓	✓	
٥٤	انطلقتم	✓				✓		✓		✓	
٥٥	لتأخذوها		✓		✓			✓		✓	
٥٦	ذرونا			✓	✓		✓			✓	

م	الفعل	الزمن			الإطلاق والتقييد		الحضور والغيبة			الحالة الفعلية	
		ماضي	مضارع	أمر	مطلقة	مقيدة	تكلم	خطاب	غيبة	معلوم	مجهول
٥٧	نتبعكم		✓			✓	✓			✓	
٥٨	يريدون		✓			✓			✓	✓	
٥٩	يبدلوا		✓			✓			✓	✓	
٦٠	قل			✓	✓			✓		✓	
٦١	تتبعونا		✓			✓		✓		✓	
٦٢	قال	✓			✓				✓	✓	
٦٣	فسيقولون		✓		✓				✓	✓	
٦٤	تحسدوننا		✓		✓			✓		✓	
٦٥	كانوا	✓			✓				✓	✓	
٦٦	يفقهون		✓		✓				✓	✓	
٦٧	قل			✓	✓			✓		✓	
٦٨	ستدعون		✓		✓			✓			✓
٦٩	تقاتلونهم		✓			✓		✓		✓	
٧٠	يسلمون		✓			✓			✓	✓	
٧١	تطيعوا		✓			✓		✓		✓	
٧٢	يؤتكم		✓			✓			✓	✓	
٧٣	تتولوا		✓			✓		✓		✓	
٧٤	توليتم	✓				✓		✓		✓	
٧٥	يعذبكم		✓			✓			✓	✓	
٧٦	رضى	✓			✓				✓	✓	

م	الفعل	الزمن			الإطلاق والتقييد		الحضور والغيبة			الحالة الفعلية	
		ماضي	مضارع	أمر	مطلقة	مقيدة	تكلم	خطاب	غيبة	معلوم	مجهول
٧٧	يبايعونك		✓			✓			✓	✓	
٧٨	فعلم	✓			✓				✓	✓	
٧٩	فأنزل	✓				✓			✓	✓	
٨٠	أثابهم	✓				✓			✓	✓	
٨١	يأخذونها		✓		✓				✓	✓	
٨٢	كان	✓			✓				✓	✓	
٨٣	وعدكم	✓			✓				✓	✓	
٨٤	تأخذونها		✓		✓			✓		✓	
٨٥	فعجل	✓				✓			✓	✓	
٨٦	كف	✓			✓				✓	✓	
٨٧	لتكون		✓		✓				✓	✓	
٨٨	ويهديكم		✓		✓				✓	✓	
٨٩	تقدروا		✓		✓			✓		✓	
٩٠	أحاط	✓				✓			✓	✓	
٩١	كان	✓			✓				✓	✓	
٩٢	قاتلكم	✓				✓			✓	✓	
٩٣	لولوا	✓				✓			✓	✓	
٩٤	يجدون		✓		✓				✓	✓	
٩٥	خلت	✓			✓				✓	✓	
٩٦	تجد		✓		✓			✓		✓	

م	الفعل	الزمن			الإطلاق والتقييد		الحضور والغيبة			الحالة الفعلية	
		ماضي	مضارع	أمر	مطلقة	مقيدة	تكلم	خطاب	غيبة	معلوم	مجهول
٩٧	كف	✓			✓				✓	✓	
٩٨	أظفركم	✓				✓			✓	✓	
٩٩	كان	✓			✓				✓	✓	
١٠٠	تعملون		✓		✓			✓		✓	
١٠١	كفروا	✓			✓				✓	✓	
١٠٢	صدوكم	✓			✓				✓	✓	
١٠٤	يبلغ		✓		✓				✓	✓	
١٠٥	تعلموهم		✓		✓			✓		✓	
١٠٦	تطئوهم		✓		✓			✓		✓	
١٠٧	فتصيبكم		✓			✓		✓		✓	
١٠٨	تزيلوا		✓			✓			✓	✓	
١٠٩	لعذبنا	✓				✓	✓			✓	
١١٠	كفروا	✓			✓				✓	✓	
١١١	جعل	✓			✓				✓	✓	
١١٢	كفروا	✓			✓				✓	✓	
١١٣	فأنزل	✓				✓			✓	✓	
١١٤	ألزمهم	✓				✓			✓	✓	
١١٥	كان	✓			✓				✓	✓	
١١٦	صدق	✓			✓				✓	✓	
١١٧	لتدخلن		✓		✓			✓		✓	

م	الفعل	الزمن			الإطلاق والتقييد		الحضور والغيبة			الحالة الفعلية	
		ماضي	مضارع	أمر	مطلقة	مقيدة	تكلم	خطاب	غيبة	معلوم	مجهول
١١٨	شاء	✓			✓				✓	✓	
١١٩	تخافون		✓		✓			✓		✓	
١٢٠	فعلم	✓			✓				✓	✓	
١٢١	تعلموا		✓		✓			✓		✓	
١٢٢	فجعل	✓			✓				✓	✓	
١٢٣	أرسل	✓				✓			✓	✓	
١٢٤	ليظهره		✓			✓			✓	✓	
١٢٥	كفى	✓			✓				✓	✓	
١٢٦	تراهم		✓		✓			✓		✓	
١٢٧	يبتغون		✓			✓			✓	✓	
١٢٨	أخرج	✓				✓			✓	✓	
١٢٩	فآزره	✓				✓			✓	✓	
١٣٠	فاستغلظ	✓				✓			✓	✓	
١٣١	فاستوى	✓				✓			✓	✓	
١٣٢	يعجب		✓		✓				✓	✓	
١٣٣	ليغيظ		✓		✓				✓	✓	
١٣٤	وعد	✓			✓				✓	✓	
--	--	٦٤	٦٥	٥	٧٦	٥٨	٧	٣٢	٩٥	١٣٢	٢

من خلال هذا الإحصاء يمكننا الخروج بالنتائج الآتية:

(١) جملة الأفعال الواردة في السورة الكريمة بلغت (١٣٤) أربعة وثلاثون ومائة فعل.

(٢) مثلت الأفعال الدالة على الطلب (أفعال الأمر) نسبة بسيطة جدا مقارنة بالأفعال الماضية والمضارعة؛ فقد بلغت جملة أفعال الأمر (٥) خمسة أفعال بنسبة (٣،٧٤٪) بينما بلغت الأفعال الماضية (٦٤) أربعة وستين فعلا بنسبة (٤٧،٧٦٪) في حين تقاربت معها نسبة الأفعال المضارعة بلغت (٦٥) خمسة وستين فعلا بنسبة (٤٨،٥٪) وعليه تكون نسبة الأفعال المضارعة والأفعال الماضية متقاربتين.

(٣) بلغت الأفعال المطلقة (المجردة) (٧٦) ستة وسبعين فعلا بنسبة (٥٧٪) بينما بلغت الأفعال المزيدة (٥٨) ثمانية وخمسين فعلا بنسبة (٤٣٪).

(٤) بلغت الأفعال الدالة على التكلم (٧) سبعة أفعال بنسبة (٥٪) بينما بلغت الأفعال الدالة على الخطاب (٣٢) اثنين وثلاثين فعلا بنسبة (٢٤٪) في حين مثلت الأفعال الدالة على الغيبة أعلى نسبة؛ حيث بلغت جملتها (٩٥) خمسة وتسعين فعلا بنسبة (٧١٪).

(٥) جاءت الأفعال المبنية للمعلوم بنسبة عالية جدا؛ حيث بلغت (١٣٢) مائة واثنين وثلاثين فعلا بنسبة (٩٨،٥٪) في حين لم يأت الفعل مبنيا للمجهول إلا مرتين بنسبة (١,٥٪).

ويمكن تحليل هذه النتائج على النحو الآتي:

النتيجة الأولى: تمثل حضورا للأفعال في السورة الكريمة، وكما هو معلوم أن الأفعال تدل على حدث مقترن بزمن؛ فشيوع الأفعال في السورة الكريمة يعكس قيامها على الأحداث المقترنة بالأزمان، لاسيما إذا ما أضفنا إليها صيغ المشتقات لأنها جميعها تشترك مع الفعل في الدلالة على الحدث.

ومن ثم وفقا لما هو مثبت في الجدول نستطيع تحليل الصيغ الفعلية في السورة الكريمة من الناحية الدلالية عن طريق أربع دلالات فرعية: الأولى: دلالة الزمن. والثانية: دلالة الإطلاق والتقييد. والثالثة: دلالة الحضور والغيبة. والرابعة: دلالة الحالة الفعلية.

أولا: دلالة الزمن:

جاءت أفعال السورة الكريمة وفقا للزمن كما هو مبين في الجدول الآتي: ويمكننا استنتاج الأمور الآتية من خلال هذا الجدول:

- بحصر ما ورد من أفعال تبين تفاوت ورودها من حيث زمنها؛ تبعا لما هو موضح في الجدول الآتي:

الفعل	عدد مرات وروده	النسبة المئوية
الماضى	٦٤	٪٤٧،٧٦
المضارع	٦٥	٪٤٨،٥
الأمر	٥	٪٥

(١) يتناسب غلبة كل من الأفعال المضارعة والماضية وندرة أفعال الأمر مع طبيعة الحكي والسرد الغالب على السورة الكريمة؛ فالسورة تحكي أحداثا مضت، وأحداثا حالية وأحداثا مستقبلية، وأفعال الأمر لا تشيع في أسلوب الحكي والسرد.

(٢) كما أننا نلاحظ عدم خلو آية من آيات السورة الكريمة من فعل؛ وهذا يعكس قيام السورة على سرد الأحداث المرتبطة بالأزمان.

(٣) الآيات (١١، ١٥، ١٦) تعد الآيات الوحيدة في السورة الكريمة التي ورد فيها الفعل بصيغه الثلاثة (الماضي، والمضارع، والأمر) وهذه الآيات تتناول قضية تخلف الأعراب وتخاذلهم عن رسول الله ﷺ في صلح الحديبية، وقد اتسمت الآيات بالأسلوب الحواري، وهو ما يناسبه هذا التنوع الزمني.

ونلاحظ أن الفعل المضارع قد جاء بصيغة المستقبل المقترن بـ (السين) في مواضع خمسة، منها موضع في سياق الوعد للمؤمنين الذين بايعوا رسول الله في قولـــه: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

(٤) وهذه الآية موطئة لما بعدها؛ أما الأفعال الباقية فقد جاءت في سياق الحديث عن الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله في صلح الحديبية، وهي: (سيقول-سيقول-فسيقولون-ستدعون) ثلاثة منها وهي الأولى إخبار من الله عما سيتعلل به الأعراب ليكون مبررا لتخاذلهم عن رسول الله وأصحابه، والرابع إخبار من الله لنبيه ليخبر به الأعراب، ولم يرد الفعل المضارع بهذه الصيغة المستقبلية إلا في هذا المقطع من السورة الكريمة، وهو مقام يكشف فيه الله عَزَّوَجَلَّ خداع الأعراب ونفاقهم وكذبهم، ويعطيهم الفرصة ليعودوا إلى رشدهم، ومن ثم فالمقام يناسبه التعبير بصيغة المستقبل. ودلالة الأفعال على المستقبل بـ (السين) دون (سوف) كاشف عن سرعة حدوثها في المستقبل القريب لا البعيد، وقد تحقق الأمر في المستقبل القريب بعد عودة النبي من صلح الحديبية.

(٥) كما أننا نلاحظ أن التعبير بفعل الأمر لم يأت أيضا إلا في مقام الحديث عن موقف الأعراب، ومجيئه هنا مناسب لطبيعة الحوار الذي دار بين رسول الله والأعراب.

(٦) الآية (٩) اتسمت بتكرر الفعل المضارع دون غيره؛ وهذا راجع لطبيعة الحدث المتناول فيها؛ فهي تتناول الحديث عن أفعال لا تستقيم إلا بتجددها واستمرارها؛ تأمل قوله: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[2].

---

(١) سورة الفتح: ١٠.

(٢) سورة الفتح: ٩.

(٧) فالإيمان بالله ورسوله وتعزير الرسول وتوقيره وتسبيح الله تبارك وتعالى أمور لابد أن تكون متجددة مستمرة.

السياق وأثره في تغيير الدلالة الزمنية للفعل:

الفعل قد يدل على زمن مغاير لصيغته التي جاء عليها ركونا إلى السياق الداخلي أو الخارجي المتمثل في الملابسات والظروف والعناصر غير اللغوية التي تكون مكونا أساسيا من مكونات دلالة النص، ويمكننا استعراض نماذج تدلل على ذلك.

الفعل (فتحنا) فعل ثلاثي مجرد؛ من فَتَحَ يفتَحُ، والفاء والتاء والحاء أصل صحيح يدل على: خلاف الإغلاق، والفتح: النصر والإظفار[١]. وقد ورد في الآية الأولى ودلالته على الزمن تتوقف على آراء المفسرين في المقصود من الفتح، ويمكن الاكتفاء بما نقله الرازي؛ إذ إنه نص على عدد من الآراء تكاد تكون جامعة لكل ما ذكره جمهرة المفسرين؛ فقال: «.. في الفتح وجوه: أحدها: فتح مكة؛ وهو ظاهر. وثانيها: فتح الروم وغيره. وثالثها: المراد من الفتح: صلح الحديبية. ورابعها: فتح الإسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان. وخامسها: المراد منه الحكم.....»[٢].

وهناك آراء غير التي ذكرت مآلها إلى أحد الوجوه التي ذكرها الرازي، وقد حظيت بعض الآراء بتأييد بعض المفسرين.

فقد رجح الرازي أن المقصود من الفتح: فتح مكة، وساق مجموعة من الشواهد التي تدعم هذا الاتجاه؛ فقال: «...والأول مناسب؛ لآخر ما قبلها من وجوه؛ أحدها: أنه تعالى لما قال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

(١) مقاييس اللغة: كتاب الفاء، باب الفاء والتاء وما يثلثهما، مادة (ف ت ح).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٧٧).

فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾(١) بين تعالى أنه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل لهم أضعاف ما أنفقوا ولو بخلوا لضاع عليهم ذلك؛ فلا يكون بخلهم إلا على أنفسهم. ثانيها: لما قال: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾ بين برهانه بفتح مكة؛ فإنهم كانوا هم الأعلون. ثالثها: لما قال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾(٢)، وكان معناه: لا تسألوا الصلح من عندكم، بل اصبروا ؛ فإنهم يسألون الصلح ويجتهدون فيه كما كان يوم الحديبية، وهو المراد بالفتح في أحد الوجوه؛ وكما كان فتح مكة حيث أتى صناديد قريش مستأمنين ومؤمنين ومسلمين...»(٣).

ومن الملاحظ أن الرازي اعتمد في تأييد هذا الرأي على السياق الداخلي المتمثل في الربط بين سورة الفتح وسورة محمد؛ معتمدا على أن الخطاب في قوله: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٤) للمؤمنين، في حين ذهب أبو حيان إلى أن الخطاب في الآية لكفار مكة(٥).

وعلى هذا الرأي تكون دلالة الفعل (فتحنا) على غير حقيقتها؛ إذ إنها تدل على المستقبل، وقد برهن لذلك الرازي قائلا: « فإن قيل: إن كان المراد: فتح مكة؛ فمكة لم تكن قد فتحت، فكيف قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾(٦) بلفظ الماضي؟ نقول: الجواب عنه من وجهين: أحدهما: فتحنا في حكمنا وتقديرنا.

(١) سورة محمد: ٣٨.

(٢) سورة محمد: ٣٥.

(٣) السابق: الصفحة نفسها.

(٤) سورة محمد: ٣٨.

(٥) ينظر: البحر المحيط (٩/ ٤٨٢).

(٦) سورة الفتح: ١.

وثانيهما: ما قدره الله تعالى فهو كائن؛ فأخبر بصيغة الماضي إشارة إلى أنه أمر لا دافع له، واقع لا رافع له»[١]. ولعل عبارة ابن عاشور تؤكد ذلك؛ إذ يقول: «... ولمراعاة هذا المعنى؛ قال جمع من المفسرين: المراد بالفتح هنا فتح مكة، وأن محمله على الوعد بالفتح، والمعنى: سنفتح؛ وإنما جيء في الإخبار بلفظ الماضي؛ لتحققه وتيقنه، شبه الزمن المستقبل بالزمن الماضي؛ فاستعملت له الصيغة الموضوعة للمضي»[٢].

بينما يرى جمهور المفسرين أن المراد في الآية: صلح الحديبية؛ يقول النحاس: «.. والفتح ههنا: فتح الحديبية؛ وقد توهم قوم أنه فتح مكة ممن لا علم لهم بالآثار؛ وقد صح عن ابن عباس والبراء وسهل بن حنيف أنهم قالوا: هو فتح الحديبية، وهو صحيح عن أنس بن مالك...»[٣]، وقد ذكر القرطبي عددا من هذه الآثار المؤيدة لهذا الرأي، ومنها: «وقال جابر: ما كنا نعد فتح مكة إلا يوم الحديبية.... وقال موسى بن عقبة: قال رجل عند منصرفهم من الحديبية: ما هذا بفتح؛ لقد صدونا عن البيت؛ فقال النبي ﷺ«بل هو أعظم الفتوح؛ قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية، ويرغبوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا»[٤]. وقد صرح ابن عاشور بأن هذا هو رأي الجمهور[٥].

وعلى هذا الرأي تكون دلالة الفعل (فتح) على حقيقتها في المضي.

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٧٧).

(٢) التحرير والتنوير (٢٥/ ١٤٤).

(٣) إعراب القرآن (٣/ ١٨٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٦٠).

(٥) التحرير والتنوير (٢٥/ ١٤٥) وهو رأي الفراء (معاني القرآن: (٣/ ٦٤) والآلوسي (روح المعاني: ٢٥/ ٨٤) والنيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢١/ ٣٩).

والرأي القائل بأن المقصود: فتح مكة، اعتمد على علاقة السورة بما قبلها، بينما الرأي الثاني القائل بأن المقصود: صلح الحديبية، اعتمد على السياق اللغوي المتمثل في: مجيء الفعل بصيغة الماضي، وكذلك السياق الخارجي أو ما يطلق عليه (سياق الموقف) المتمثل في سبب النزول الصحيح السند، كما يضاف إلى هاتين القرينتين: قرينة ثالثة، وهي قوله: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[1] ففيه إشارة إلى: فتح مكة؛ فقد قال ابن عاشور: «والنصر العزيز غير نصر الفتح المذكور؛ لأنه جعل علة الفتح فهو ما كان من فتح مكة وما عقبه من دخول قبائل العرب في الإسلام دون قتال...»[2].

وإذا تم التسليم بأن المقصود من الفتح في هذا الموضع هو فتح مكة-كان دلالة الفعل الزمنية على الاستقبال، أما إذا كان المقصود من الفتح صلح الحديبية وهو مدعوم بشواهد من السياق الداخلي والخارجي-كانت دلالة الفعل على الزمن الماضي، وعلى كلا الرأيين فإن الفعل قد قيدت دلالته؛ لأن كلا الفتحين جزء من المعنى المعجمي وهو ضد الإغلاق.

أما بالنسبة لـ (تقدم-تأخر) فقد اختلفت كلمة المفسرين في المراد منهما، وهذا الاختلاف انعكس على الدلالة الزمنية لكلا الفعلين؛ ويمكن الاكتفاء بما أورده الرازي؛ إذ يقول: «ما معنى قوله: (وما تأخر)؟ نقول: فيه وجوه؛ أحدها: أنه وعد النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه لا يذنب بعد النبوة. ثانيها: ما تقدم قبل الفتح، وما تأخر عن الفتح. ثالثها: العموم يقال: اضرب من لقيت ومن لا تلقاه، مع أن من لا يلقاه لا يمكن ضربه؛ إشارة إلى العموم. رابعها: من قبل النبوة ومن بعدها؛ وعلى هذا فما

---

(١) سورة الفتح: ٣.

(٢) التحرير والتنوير (٢٥/ ١٤٨).

قبل النبوة بالعفو، وما بعدها بالعصمة....»[١]، وهذه الآراء جميعها تبقي على دلالة الفعل (تقدم) على الزمن الماضي، بينما دلالة (تأخر) بقرينة السياق على المستقبل، وهي دلالة ضمنية. وقد رد ابن عطية هذه الأقوال بقوله: «وهذا ضعيف؛ وإنما المعنى التشريف بهذا الحكم ولو لم تكن له ذنوب البتة»[٢]. بينما يرى بعض العلماء إلى أن دلالة الفعلين على المستقبل؛ إذ يقول النحاس: «وقيل ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٣] كله للمستقبل؛ أي: لتقع المغفرة في الاستقبال، فيما يكون من الذنوب أولا وآخرا»[٤]. وقد رأى ابن عاشور أن دلالة الفعلين مطلقة غير مقيدة بزمن؛ إذ يقول: «والتقدم والتأخر من الأحوال النسبية للموجودات الحقيقية أو الاعتبارية، يقال: تقدم نزول سورة كذا على سورة كذا؛ ولذلك يكثر الاحتياج إلى بيان ما كان بينهما تقدم وتأخر بذكر متعلق بفعل (تقدم) و(تأخر). وقد يترك ذلك ذلك اعتمادا على القرينة، وقد يقطع النظر على اعتبار متعلق؛ فينزل الفعل منزلة الأفعال غير النسبية؛ لقصد التعميم في المتعلقات، وأكثر ذلك إذا جمع بين الفعلين؛ كقوله هنا والمراد بـ (ما تقدم): تعميم المغفرة للذنب؛ كقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[٥]، فلا يقتضي ذلك أنه فرط منه ذنب أو أنه سيقع منه ذنب، وإنما المقصود أنه تعالى رفع قدره رفعة عدم المؤاخذة بذنب لو قُدِر صدوره منه..»[٦]. وهو الأوجه لمناسبته السياق الداخلي وتوافقه مع قدر النبي ﷺ.

وقد فسر ابن عطية الفعل (ليزدادوا) بالمضي حيث قال: «﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ

(١) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٧٨).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٦٦٧).

(٣) سورة الفتح: ٢.

(٤) معاني القرآن (٦/ ٤٩٦).

(٥) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٦) التحرير والتنوير (٢٥/ ١٤٧).

إِيمَٰنِهِمۡ ﴾[١] معناه: فازدادوا وتلقوا ذلك فتمكن بعد ذلك...»[٢]. وإن كان لا يوجد مبرر لخروج الفعل عن دلالته الزمنية؛ فالسياق يقتضي أن قلوب المؤمنين في صلح الحديبية كانت قلوبا مضطربة قلقة فأنزل الله السكينة والطمأنينة عليها؛ ليزاد إيمان المؤمنين وتيقنهم من أن ما أراده الله في الحديبية هو المرشح لنصر الله ورسوله والمؤمنين في خيبر وفتح مكة.

وقد تكرر الفعل (يبايعون) في السورة الكريمة ثلاث مرات، ولكن رأى بعض أهل التأويل أن الدلالة الزمنية لهذا الفعل في مواضعه الثلاثة قد خرجت عن حقيقتها، يقول الألوسي: «والمبايعة وقعت قبل نزول الآية؛ فالتعبير بالمضارع؛ لاستحضار الحال الماضية....»[٣]، وقال ابن عاشور: «وصيغة المضارع في قوله: (يبايعونك) لاستحضار حالة المبايعة الجليلة؛ لتكون كأنها حاصلة في زمن نزول الآية مع أنها قد انقضت»[٤]. وقال في موضع آخر: «فالمضارع في قوله: (يبايعونك) مستعمل في الزمن الماضي؛ لاستحضار حالة المبايعة الجليلة، وكون الرضا حصل عند تجديد المبايعة، ولم ينتظر به تمامها؛ فقد علمت أن السورة نزلت بعد الانصراف من الحديبية»[٥]. ويستخلص من مجموع هذه النصوص أن الأساس في تغيير الدلالة الزمنية للفعل راجع إلى عنصر غير لغوي متمثل في وقت نزول السورة الكريمة.

وللسبب نفسه تغيرت دلالة الزمنية للفعل (عجل) في قوله تعالى: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ ﴾[٦]، حيث قال ابن عاشور: «وبناء على ما اخترناه من أن هذه السورة

(١) سورة الفتح: ٤.
(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٦٦٨).
(٣) روح المعاني (٢٥/ ٩٦).
(٤) التحرير والتنوير (٢٥/ ١٥٧).
(٥) السابق (٢٥/ ١٧٤).
(٦) سورة الفتح: ٢٠.

نزلت دفعة واحدة يكون فعل (فعجل) مستعملا في الزمن المستقبل مجازا؛ تنبيها على تحقيق وقوعه؛ أي: سيعجل لكم هذه...»[١].

وكذلك الفعل (جعل) في قوله: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٢]، تتوقف دلالته الزمنية على معناه؛ فإذا كان دالا على الصيرورة فدلالته الزمنية على المستقبل؛ اعتمادا على أن هذا الفتح لم يقع بعد، ويكون إيثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوع هذا الفتح، أما إذا كانت جعل بمعنى قدر؛ فدلالة الفعل الزمنية على حقيقتها؛ وهو ما ألمح إليه ابن عاشور؛ حيث قال: «وفي إيثار فعل (جعل) في هذا التركيب دون أن يقول: فتح لكم من دون ذلك فتحا قريبا أو نحوه؛ إفادة أن هذا الفتح أمره عجيب ما كان ليحصل مثله لولا أن الله كونه؛ وصيغة الماضي في (جعل) لتنزيل المستقبل منزلة الماضي؛ أو لأن (جعل) بمعنى (قدر)...»[٣].

الفعل (كان) تكرّر وُروده بصِيغة الماضي في السورة الكريمة؛ إحدى عشرة مرة، منها تسع مرات في سياق حديث الله عن نفسه، ومن ثم فهي مجردة من الزمن؛ لأنه لا يليق حمل الفعل على دلالته الزمنية الحقيقية في حق الله تعالى، بينما جاء مرتين في سياق الحديث عن الأعراب؛ فالموضع الأول في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾[٤]، والموضع الثاني في قوله: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٥]، وقد اختلف المفسرون في دلالة الفعل في الموضع الأول؛ فمن قائل إنه دال على

---

(١) السابق (٢٥/ ١٧٧).

(٢) سورة الفتح: ٢٧.

(٣) السابق (٢٥/ ٢٠٠).

(٤) سورة الفتح: ١٢.

(٥) سورة الفتح: ١٥.

الصيرورة، ويكون بمعنى: صرتم، ومن قائل بأنها على بابها؛ أي: وكنتم في الأصل، وقد حكى أبو حيان الرأيين قائلا: «.. واحتمل وكنتم، أي يكون المعنى: وصرتم بذلك الظن، وأن يكون: وكنتم على بابها، أي: وكنتم في الأصل قوما فاسدين، أي: الهلاك سابق لكم على ذلك الظن»[1]. وهي على كلا الاحتمالين على دلالتها على الزمن الماضي.

-وهكذا إعمال السياق في النص نتج عنه تغير الدلالة الزمنية لبعض الأفعال.

ثانيا: دلالة الإطلاق (التجرد) والتقييد (الزيادة):

من خلال إحصاء ورود الأفعال في السورة الكريمة من حيث تجردها وزيادتها تلاحظ أن ثمة تقاربا من حيث العدد، ويمكن أن نركز هنا على دلالة التقييد أو دلالة الأفعال المزيدة،

فمن المعلوم أن كل صيغة من الصيغ المزيدة تتنوع دلالاتها وفقا للسياق الواردة فيه، ويمكن أن نحاول التعرض لكل صيغة على حدة مقتصرين على دلالات الصيغة في سياق ما وردت فيه.

دلالة (أفعل) في السورة الكريمة:

الجدول الآتي يوضح ما جاء في السورة الكريمة على وزن (أفعل):

الصيغة	الأفعال الواردة عليها					
أفعل	يتم	أنزل (٣)	يدخل (٣)	أعد	أرسل (٢)	تؤمنوا
	أوفى	سيؤتيه	أراد (٢)	يؤمن	أعتدنا	يسلمون
	تطيعوا	يؤتكم	أثابهم	أحاط	أظفركم	فتصيبكم
	ألزمهم	ليظهره	أخرج	يعجب		

(١) البحر المحيط (٩/ ٤٨٩).

بتأمل هذه الأفعال نلاحظ أن معظمها قد ورد في سياق الوعد، ولم يرد في سياق الوعيد إلا (أعد-أعتدنا).

يمكن الجزم بأن الهمزة في (أفعل) في كل المواضع الواردة في السورة الكريمة تدل على التعدية والسببية عدا (أوفى) وهذا المعنى قد عبر عنه سيبويه فى باب افتراق فَعَلتْ وأَفْعَلْت فى الفعل للمعنى؛ حيث قال: «تقول: دخل، وخرج، وجلس. فإذا أخبرت أن غيره صيره إلى شيء من هذا قلت: أخرجه، وأدخله، وأجلسه. وتقول: فزع، وأفزعته، وخاف وأخفته، وحال وأحلته... فأكثر ما يكون على «فعل» مثلث العين إذا أردت أن غيره أدخله فى ذلك يبنى الفعل منه على أفعلت...»[١]. وقال ابن الحاجب: «أفعل: للتعدية غالبا نحو: أجلسته» وقد شرح الرضي معنى التعدية بقوله: «هي أن يجعل ما كان فاعلا للازم مفعولا لمعنى الجعل فاعلا لأصل الحدث على ما كان..»[٢]. ومن اللافت للنظر أن الفاعل في هذه الأفعال في الغالب هو الله عَزَّوَجَلَّ فقد ظهر ذلك في الأفعال الآتية (يتم-أنزل (٣)-يدخل-أعد - أرسل (٢)- سيؤتيه - أراد (٢)-أعتدنا-يؤتكم-أثابهم-أحاط-أظفركم-ألزمهم-ليظهره)

وقد تكرر الفعل (أنزل) ثلاث مرات مقترنا بـ (السكينة) والتعبير بـ (أنزل) دون (نزَّل) له دلالته وقد فرق بينهما الأصفهاني بقوله: «والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقا ومرة بعد أخرى، والإنزال عام...»[٣]، وأكده أبو هلال العسكري حين قال: «الفرق بين الإنزال والتنزيل، قال بعض المفسرين: الإنزال: دفعي، والتنزيل: للتدريج.

---

(١) الكتاب (٤/ ٥٩).

(٢) شرح الشافية (١/ ٩١).

(٣) المفردات (ن ز ل).

قلت: ويدلك عليه قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾(١)...»(٢).

أما عن الفعل (أوفى) فقد صرح ابن عاشور بقوله: «ويقال: أوفى بالعهد؛ وهي لغة تهامة، ويقال: وفى بدون همز، وهي لغة عامة العرب، ولم تجئ في القرآن إلا الأولى...»(٣)، وعلى هذا تكون أفعل هنا بمعنى (فعل) وهو من المعاني التي تأتي عليها (أفعل) في كلام العرب؛ كما أشار إلى ذلك سيبويه؛ حيث قال: «وقد يجيء فعَلت وأفعلت: المعنى فيهما واحد؛ إلا أن اللغتين اختلفتا، زعم ذلك الخليل. فيجيء به قوم على: فعلت، ويلحق قوم فيه الألف فيبنونه على (أفعلت)... وذلك: قِلته وأقلته، وشغله وأشغله، وصر أذنيه، وأصر...»(٤).

دلالة (فعَّل) في السورة الكريمة:

الجدول الآتي يوضح ما جاء في السورة الكريمة على وزن (فعَّل):

الصيغة	الأفعال الواردة عليها					
فعّـل	يكفر	يعذب (٣)	تعزروه	توقروه	تسبحوه	زين
	يبدلوا	عجل	عذب			

بتأمل هذه الأفعال نلاحظ أن بعضها قد ورد في سياق الوعد وبعضها في سياق الوعيد؛ فما ورد في سياق الوعد (يكفر - تعزروه-توقروه-تسبحوه-عجل) والبقية في سياق الوعيد.

كما أننا نلاحظ تكرر الفعل (عذب) فقد جاء مرة بصيغة الماضي وثلاث

---

(١) سورة آل عمران: ٣.

(٢) الفروق اللغوية (٧٩).

(٣) التحرير والتنوير (٢٥/ ١٦٠) وقاله من قبله أبو حيان ينظر: البحر المحيط (٩/ ٤٨٧).

(٤) الكتاب (٦٢، وما بعدها).

مرات بصيغة المضارع، وهو ما يعكس شدة الوعيد وتكرره.

و(فعَّل) في جميع هذه المواضع عدا (يبدلوا) تفيد التكثير والمبالغة، وهو من أشهر معانيها بل إن سيبويه قد صرح بما يفيد أن معنى التكثير خاص بـ «فعَّل» حيث قال: «هذا باب دخول «فعَّلت» على «فعَلت» لا يشركه فى ذلك «أفعلت». تقول: كسرتها، وقطعتها، فإذا أردت كثرة العمل قلت: كسَّرته وقطَّعته...»[١].

أما الفعل (يبدلوا) فالتشديد هنا للتعدية وهي من المعاني التي تأتي عليها (فعَّل): قال سيبويه: «... وقد يجيء الشيء على: فعَّلت، فيشترك: أفعلت... وذلك قولك: فرح، وفرَّحته، وإن شئت قلت: أفرحته، وغرم وغرَّمته، وأغرمته إن شئت...»[٢].

دلالة (فاعَلَ) في السورة الكريمة:

الجدول الآتي يوضح ما جاء في السورة الكريمة على وزن (فاعَلَ):

الصيغة	الأفعال الواردة عليها					
فاعل	يبايعون (٣)	تقاتلونهم	قاتلكم	فآزره		

والذي يظهر أن (فاعَلَ) في كل ما ورد في السورة الكريمة تدل على معنى المشاركة؛ الذي يُعَدُّ من أشهر معانيها، قال سيبويه فى هذا المعنى: «اعلم أنك إذا قلت: فاعلته فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت: فاعلته، ومثل ذلك: ضاربته، وفارقته، وكارمته، وعاززته، وخاصمته»[٣]، وقال ابن الحاجب: «وفاعل: لنسبة أصله إلى أحد الأمرين متعلقا بالآخر للمشاركة صريحا فيجيء العكس ضمنا نحو: ضاربته وشاركته»[٤].

---

(١) الكتاب (٤/ ٦٥).

(٢) السابق (٤/ ٦٦).

(٣) السابق (٤/ ٦٨).

(٤) شرح الشافية (١/ ٩٩).

دلالة (تَفَعَّل) في السورة الكريمة:

الجدول الآتي يوضح ما جاء في السورة الكريمة على وزن (تَفَعَّل):

الصيغة	الأفعال الواردة عليها					
تَفَعَّلَ	تقدم	تأخر	تزيلوا	تتولوا	توليتم	

أما الفعلان (تقدم-تأخر) فقد ذهب الشيخ عضيمة إلى أن (تقدم) بمعنى الثلاثي المجرد، وعليه فالزيادة لا اعتبار لها في الدلالة، أما الفعل (تأخر) فقد ذهب إلى أنه بمعنى (استفعل)[١].

أما الفعل (تزيلوا) فقد روى القرطبي آراء في دلالته؛ إذ يقول: «..(لو تزيلوا) أي: تميزوا؛ قاله القتبي. وقيل: لو تفرقوا؛ قاله الكلبي. وقيل: لو زال المؤمنون من بين أظهر الكفار لعذب الكفار بالسيف؛ قاله الضحاك، ولكن يدفع بالمؤمنين عن الكفار»[٢]. وكلها معان متقاربة، والغالب أن (تفعل) تفيد معنى المطاوعة في هذا الفعل.

أما الفعل (تولى) فلابد من التفريق بين (ولى) المتعدي بنفسه والمتعدي بحرف الجر؛ وقد أشار إلى هذا الفرق الراغب الأصفهاني؛ إذ يقول: «وقولهم: تولى؛ إذا عدي بنفسه اقتضى معنى الولاية وحصوله في أقرب المواضع منه... وإذا عدي بـ(عن) لفظا أو تقديرا اقتضى معنى الإعراض وترك قربه...»[٣]. والمواضع الواردة في السورة الكريمة من النوع الثاني، فهي دالة على معنى الإعراض.

---

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٤/ ٤٣٣).

(٢) الجامع (١٥/ ٢٨٦).

(٣) المفردات (و ل ى).

دلالة (افتعل) في السورة الكريمة:

الجدول الآتي يوضح ما جاء في السورة الكريمة على وزن (افتعل):

الصيغة	الأفعال الواردة عليها					
افتعل	يزدادوا	نتبعكم	تتبعونا	يبتغون	فاستوى	

بالنسبة لـ (يزدادوا) فدلالتها على التصرف والاجتهاد وهو أحد المعاني التي تدل عليها صيغة (افتعل) وفقا لما قاله ابن عصفور[١]. أما الفعلان (نتبعكم-تتبعونا) فدلالة افتعل فيهما على معنى (فعل) المجرد، وهو أحد المعاني التي أشار إليها سيبويه، نحو: قرأت واقترأت، وخطف واختطف، وقلع واقتلع... قال: يريدون شيئا واحدا[٢]. وقال الراغب: «يقال: تَبِعه واتَّبعه: قفا أثره...»[٣] أما الفعل (استوى) فمن الملاحظ أنه متعد بحرف الجر (على) يقول الراغب: «ومتى عدي بـ (على) اقتضى معنى الاستيلاء»[٤]. أما الفعل (يبتغون) فدلالة (افتعل) فيها على معنى الطلب؛ قال الراغب: «البغي: طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى تجاوزه أو لم يتجاوزه... والبغي على حزبين: أحدهما محمود وهو: تجاوز العدل إلى الإحسان والفرض إلى التطوع. والثاني مذموم وهو: تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشُبَه...»[٥]، والفعل الذي معنا هو من النوع الأول؛ لوروده في سياق وصف المؤمنين.

---

(١) الممتع (١/ ١٨٧).

(٢) الكتاب (٤/ ٧٤) بتصرف.

(٣) المفردات (ت ب ع).

(٤) السابق (س و ا).

(٥) السابق (ب غ ى).

دلالة (استفعل) في السورة الكريمة:

الجدول الآتي يوضح ما جاء في السورة الكريمة على وزن (استفعل):

الصيغة	الأفعال الواردة عليها					
استفعل	استغفر	استغلظ				

بالنسبة للفعل (استغفر) فدلالته واضحة، وهي الدلالة على الطلب؛ فـ (است) دالة على الطلب من دلالة الفعل نفسه؛ لأنه فعل أمر. أما الفعل (استغلظ) فبعض المفسرين ذهب إلى أن (استفعل) بمعنى (فَعَلَ) المجرد؛ حيث قال الطبري: «فاستغلظ يقول: فغلظ الزرع»[١]. في حين ذهب ابن عاشور إلى أن السين والتاء تفيدان المبالغة؛ مثل: استحباب[٢]. وما قاله ابن عاشور أولى لتوظيف الزيادة في المبنى.

دلالة (انفعل) في السورة الكريمة:

الجدول الآتي يوضح ما جاء في السورة الكريمة على وزن (انفعل):

الصيغة	الأفعال الواردة عليها					
انفعل	ينقلب	انطلقتم				

المعنى الذي جاءت عليه (انفعل) في الفعلين هو معنى المطاوعة؛ وهو أبرز المعانى التى يؤديها هذا البناء[٣].

ثالثا: دلالة الحضور والغيبة:

من خلال إحصاء الأفعال الواردة في السورة الكريمة تبين أن هذه الأفعال

---

(١) جامع البيان (١١/ ٧٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٠٩).

(٣) الممتع (١/ ١٩١).

تنوعت دلالتها من حيث الحضور والغيبة، كما هو موضح في الجدول الآتي، وسيُكتفى بذكر عدد مرات ورود كل حالة اعتمادا على ذكر الأفعال في جدول الدلالة الزمنية:

أفعال التكلم	أفعال الخطاب	أفعال الغيبة
٦ (٤,٥٪)	٣٢ (٢٤,٥٪)	٩٥ (٧١٪)

ويمكن تفسير شيوع دلالة الفعل على الغيبة بارتباطه بالسياق العام للسورة الكريمة من خلال الآتي:

(١) غيبة علة صلح الحديبية عن المؤمنين وخفاء أسرارها عليهم.

(٢) تناول السورة أيضا لأحداث مستقبلية عاجلة وأخرى آجلة؛ والأنسب للحديث عن الأمور المستقبلية أسلوب الغيبة.

(٣) أن السورة يغلب عليها أسلوب الحكاية والسرد وهو ما يناسبه الإخبار بالغيبة.

ولا بد من التنويه إلى أن دلالة الفعل على التكلم تتنوع باعتبار المتكلم؛ فإذا كان المتكلم هو الله بين التعظيم المتضمن معنى الامتنان، والتهديد والوعيد، والمعنى الأول ظاهر وجلي في الفعلين: (فتحنا-أرسلناك) والمعنى الثاني واضح في (أعتدنا-لعذبنا). أما إذا كان المتكلم غير الله فدلالة التكلم على حقيقتها؛ فمثلا التكلم في (شغلتنا-نتبعكم) فالنون للدلالة على مجموع المتكلمين.

كما تجدر الإشارة إلى أن الخطاب في السورة الكريمة قد تنوع أيضا؛ فقد جاءت أفعال الخطاب موجهة من الله للمؤمنين ومن ذلك على سبيل المثال: (لتؤمنوا -تعزروه-توقروه-تسبحوه) كما جاء بعضها موجها من الله للأعراب وهذا كثير، منه: (ظننتم -ستدعون-تقاتلونهم-تطيعوا-تتولوا -توليتم....) وجاء الخطاب موجها من الأعراب للمؤمنين في (تتبعونا-انطلقتم -تأخذوها).

رابعا: دلالة الحالة الفعلية:

تنبغي الإشارة إلى أن هذه الدلالة من الدلالات المشتركة بين البنية الصرفية والبنية التركيبية، ووجه دخولها تحت الدلالة الصرفية هو التغيير الذي يطرأ على بنية الفعل وضبطه، ووجه دخولها تحت الدلالة النحوية التركيبية هو ما يطرأ على الجملة من تغيير يترتب عليه تغير دلالتها، ومعالجتها تحت الدلالة الصرفية لأسبقيتها على الدلالة النحوية.

من خلال إحصاء الأفعال الواردة في السورة الكريمة بناء على الحالة الفعلية للفعل من حيث بناؤه للمعلوم وبناؤه للمفعول تبين أنه لم يرد في السورة الفعل مبنيا للمفعول إلا في موضعين اثنين بينما جاء الفعل مبنيا للمعلوم في باقي مواضع السورة الكريمة، ويمكن تفسير ذلك بالآتي:

(١) أن الفاعل في غالبية الأفعال المبنية للمعلوم هو (الله) ظاهرا ومضمرا، وهذا يعكس أمرين:

(أ) أن جلال الأحداث التي تعكسها دلالة الأفعال يتناسب وجلال المحدث سبحانه وتعالى؛ فلا يقوم بها إلا علي قدير.

(ب) ذكر لفظ الجلالة صراحة وكناية فيه ما فيه من تثبيت للقلوب المضطربة وتأنيسها.

(٢) كما أن شيوع الأفعال المبنية للمعلوم يعكس صدق الأخبار وتأكيدها وعدم تطرق أدنى شك إليها وثبوتها وحصولها؛ لا سيما إذا كان مصدر هذه الأخبار وفاعلها إنما هو الله وحده.

(٣) كما أن التعبير بالأفعال المبنية للمعلوم يتناسب مع أسلوب السرد والحكي الشائع في السورة الكريمة.

(٤) كما أننا نلاحظ أن الفعل قد جاء مبنيا للمجهول في سياقين يجمعهما

الحديث عن فئة واحدة؛ هي تلك الفئة الممالئة المتخاذلة-فئة الأعراب.

فالموضع الأول جاء في قوله تعالى: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾[1]، وقد قال الزمخشري: «...(وزُيِّن) على البناء للفاعل، وهو الشيطان، أو الله عَزَّوَجَلَّ وكلاهما جاء في القرآن...»[2] في حين جزم الرازي أن الفاعل في الآية الشيطان؛ فقال: «...يعني: ظننتم أولا؛ فزين الشيطان ظنكم عندكم حتى قطعتم به؛ وذلك لأن الشبهة قد يزينها الشيطان، ويضم إليها مخايلة يقطع بها الغافل، وإن كان لا يشك فيها العاقل...»[3] والقول ما قال الرازي لتناغمه مع السياق الوارد فيه فعل التزيين، وعليه يكون الغرض من بناء الفعل للمجهول هنا التحقير.

والموضع الثاني جاء في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[4].

وقد بين ابن عاشور دلالة البناء للمفعول في هذا الموضع قائلا: «وأسند (تدعون) إلى المجهول؛ لأن الغرض الأمر بامتثال الداعي وهو ولي أمر المؤمنين؛ بقرينة قوله- بعد في تذييله ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[5]...»[6].

---

(١) سورة الفتح: ١٢.

(٢) الكشاف (٣/ ٢٥٦).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٨٩) وينظر: الجامع (١٥/ ٢٦٩).

(٤) سورة الفتح: ١٦.

(٥) سورة الفتح: ١٧.

(٦) التحرير والتنوير (٢٥/ ١٧١).

المحور الثاني

التحليل الدلالي لصيغ المشتقات الواردة في سورة الفتح

يمكن تحليل صيغ المشتقات الواردة في السورة الكريمة من خلال الجدول الآتي:

م	الصيغة	العموم	التخصيص									التعيين		
			اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم هيئة	اسم مرة	معرفة	نكرة
١	فتحا	✓											✓
٢	مبينا		✓										✓
٣	ذنبك	✓										✓	
٤	نعمته									✓		✓	
٥	صراطا	✓											✓
٦	مستقيما		✓										✓
٧	نصرا	✓											✓
٨	عزيزا		✓										✓
٩	السكينة	✓										✓	
١٠	عليما			✓									✓
١١	حكيما			✓									✓
١٢	فوزا	✓											✓
١٣	عظيما				✓								✓
١٤	ظن	✓										✓	

م	الصيغة	العموم	التخصيص									التعيين	
			اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم هيئة	اسم مرة	معرفة	نكرة
١٥	السوء	✓										✓	
١٦	دائرة		✓									✓	
١٧	السوء	✓										✓	
١٨	مصيرا	✓											✓
١٩	شاهدا		✓										✓
٢٠	مبشرا		✓										✓
٢١	نذيرا			✓									✓
٢٢	أجرا	✓											✓
٢٣	عظيما				✓								✓
٢٤	المخلفون					✓						✓	
٢٥	ضرا	✓											✓
٢٦	نفعا	✓											✓
٢٧	خبيرا			✓									✓
٢٨	ظن	✓										✓	
٢٩	السوء	✓										✓	
٣٠	بورا	✓											✓
٣١	سعيرا					✓							✓
٣٢	ملك	✓										✓	

م	الصيغة	العموم	التخصيص									التعيين	
			اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم هيئة	اسم مرة	معرفة	نكرة
٣٣	غفورا			✓									✓
٣٤	رحيما			✓									✓
٣٥	المخلفون					✓						✓	
٣٦	قليلا			✓									✓
٣٧	للمخلفين					✓						✓	
٣٨	بأس	✓											✓
٣٩	شديد			✓									✓
٤٠	أجرا	✓											✓
٤١	حسنا				✓								✓
٤٢	عذابا	✓											✓
٤٣	أليما			✓									✓
٤٤	الأعمى				✓							✓	
٤٥	حرج	✓											✓
٤٦	الأعرج				✓							✓	
٤٧	حرج	✓											✓
٤٨	المريض				✓							✓	
٤٩	حرج	✓											✓
٥٠	عذابا	✓											✓

م	الصيغة	العموم	التخصيص									التعيين	
			اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم هيئة	اسم مرة	معرفة	نكرة
٥١	أليما			✓									✓
٥٢	السكينة	✓										✓	
٥٣	فتحا	✓											✓
٥٤	قريبا				✓								✓
٥٥	كثيرة			✓									✓
٥٦	عزيزا		✓										✓
٥٧	حكيما			✓									✓
٥٨	كثيرة			✓									✓
٥٩	صراطا	✓											✓
٦٠	مستقيما		✓										✓
٦١	قديرا			✓									✓
٦٢	وليا			✓									✓
٦٣	نصيرا			✓									✓
٦٤	سنة	✓										✓	
٦٥	لسنة	✓										✓	
٦٦	تبديلا	✓											✓
٦٧	بصيرا				✓								✓
٦٨	معكوفا					✓							✓

م	الصيغة	العموم	التخصيص									التعيين	
			اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم هيئة	اسم مرة	معرفة	نكرة
٦٩	محله								✓			✓	
٧٠	معرة	✓											✓
٧١	علم	✓											✓
٧٢	رحمته	✓										✓	
٧٣	عذابا	✓											✓
٧٤	أليما			✓									✓
٧٥	الحمية	✓										✓	
٧٦	حمية	✓										✓	
٧٧	الجاهلية	✓										✓	
٧٨	سكينته	✓										✓	
٧٩	أحق						✓						✓
٨٠	عليما			✓									✓
٨١	فتحا	✓											✓
٨٢	قريبا				✓								✓
٨٣	الهدى	✓										✓	
٨٤	شهيدا			✓									✓
٨٥	فضلا	✓											✓
٨٦	رضوانا	✓											✓

م	الصيغة	العموم	التخصيص									التعيين	
			اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم هيئة	اسم مرة	معرفة	نكرة
٨٧	أثر	✓										✓	
٨٨	السجود	✓										✓	
٨٩	زرع	✓											✓
٩٠	مغفرة	✓											✓
٩١	أجرا	✓											✓
٩٢	عظيما				✓								✓
--	--	٤٧	٨	١٩	١٠	٥	١	--	١	١	--	٢٨	٦٤

من خلال هذا الإحصاء يمكننا استنباط النقاط الآتية:

(١) جملة المشتقات الدالة على دلالة عامة، وهي عبارة عن المصادر بشتى أنواعها (٤٧) سبعة وأربعون بنسبة (٥١٪) في حين جاءت نسبة المشتقات الدالة على معان خاصة (٤٥) خمسة وأربعين بنسبة (٤٩٪).

(٢) جملة المشتقات المعرفة (٢٨) ثمانية وعشرون بنسبة (٣٠،٥٪) في حين جاءت المشتقات المنكرة في (٦٤) أربع وستين مرة.

ويمكننا تناول الدلالات المتفرعة عن المشتقات على النحو الآتي:

أولا: دلالة العموم في السورة الكريمة:

وهي كما سبقت الإشارة المصادر بشتى أنواعها، وما ورد في السورة الكريمة جاء وفقا للآتي: مصادر صريحة وقد جاءت في (٣١) واحد وثلاثين موضعا، ومصدر ميمي في ثلاث مرات، ومصدر صناعي مرة واحدة.

ويمكن الوقوف عند كل دلالة مصدرية على النحو الآتي:

دلالة المصدر الصريح:

المصادر أسماء، وقد فرق عبد القاهر بين دلالتي الاسم والفعل بقوله: «إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء؛ فإذا قلت: (زيد منطلق) فقد أثبت الانطلاق فعلا له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئا فشيئا...»[١]. فالمصدر يدل على حدث مجرد من الزمن، وقد ورد في السورة الكريمة مصادر صريحة (٢٨) مصدرا، ونحاول الوقوف عند دلالة بعض هذه المصادر التي استوقفت بعض أهل التأويل.

مصدر (فتحا) وقد تكرر في السورة الكريمة ثلاث مرات، والدلالة العامة المعجمية للفتح: ضد الإغلاق. وأهل التأويل اختلفوا في المقصود من الفتح في المواضع الثلاثة، وقد سبق تناول دلالة الفتح في صدر السورة في تناولنا دلالة الزمن أما عن الموضعين الآخرين؛ فقد اختلف المفسرون في المقصود من الفتح القريب في الموضعين: في قوله: ﴿وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾[٢]، وقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾[٣].

فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المقصود من الفتح القريب في الموضع الأول: فتح مكة أو فتح خيبر؛ قال القرطبي: «...﴿وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾[٤]، قال

---

(١) دلائل الإعجاز (١٣٣).

(٢) سورة الفتح: ١٨.

(٣) سورة الفتح: ٢٧.

(٤) سورة الفتح: ١٨.

قتادة وابن أبي ليلى: فتح خيبر. وقيل: فتح مكة»[١]. وكذلك في الموضع الثاني؛ حيث قال: «﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٢]، أي: من دون رؤيا النبي ﷺ فتح خيبر، قاله ابن زيد والضحاك. وقيل: فتح مكة، وقال مجاهد: هو صلح الحديبية؛ وقاله أكثر المفسرين...»[٣] وقد ذهب ابن عاشور إلى أن المقصود من الفتح في الموضعين: فتح خيبر[٤]. وعلى كل الآراء فالمتفق عليه أن دلالة الفتح في المواضع الثلاثة قد خرجت عن الدلالة المعجمية العامة إلى الدلالة الخاصة بقرينة السياق الخارجي.

ودلالة (الذنب) بمعناها المعجمي الذي يشمل كل فعل يستوخم عقباه[٥] غير مرادة هنا بأي حال من الأحوال، وقد سبق أن ناقشنا الآراء الواردة في هذا الشأن في تناولنا لدلالة (تقدم-تأخر) وخير ما يحمل عليه معنى الذنب هنا ما قاله ابن عطية من أن المراد من هذا الحكم التشريف لقدر النبي ﷺ وهو ما قاله أبو علي الروذباري: «لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك»[٦]. أو ما قاله الآلوسي: «والمراد بالذنب: ما فرط من خلاف الأولى بالنسبة إلى مقامه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فهو من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين، وقد يقال: المراد ما هو ذنب في نظره العالي ﷺ وإن لم يكن ذنبا...»[٧]. وبهذا يكون المصدر (ذنب) اكتسب دلالة خاصة وخرج عن دلالته المعجمية إعمالا للسياق الخارجي المتعلق بمقام الرسول ﷺ.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٧٨).

(٢) سورة الفتح: ٢٧.

(٣) السابق (١٥/ ٢٩١).

(٤) ينظر التحرير والتنوير (٢٥/ ١٧٦، ٢٠١).

(٥) ينظر: المفردات (ذ ن ب).

(٦) الجامع للقرطبي (١٥/ ٢٦٣).

(٧) روح المعاني (٢٥/ ٩١).

مصدر (ظن) وقد تكرر ثلاث مرات في السورة الكريمة، والظن في دلالته المعجمية كما قال ابن فارس: «الظاء والنون أُصَيْل صحيحٌ يدلُّ على معنيينِ مختلفين: يقين وشكّ. فأمَّا اليقين فقولُ القائل: ظننت ظنـًا، أي أيقنتُ..... وهو في القرآن كثير. والأصل الآخر: الشَّك، يقال ظننتُ الشيءَ، إذا لم تتيقّنْه، ومن ذلك الظِّنَّة: التُّهْمَةَ. والظَّنِين: المُتّهم»[١]. ودلالة الظن الوارد في السورة الكريمة من الأصل الأول بقرينتين: الأولى: أن المخبر هو الله ومن ثم فالشك لا يطرأ إلى الخبر؛ فدل على أن الأعراب يظنون بل يوقنون يقين سوء بأهل الحق. الثانية: إضافة الظن في المواضع الثلاثة إلى (السوء) ولا يعدوا ظنهم إلا أنه كان يقينا قلبيا ففضح الله قلوبهم لعباده وأوليائه. وقد توقف الرازي عند دلالة الظن في الموضع الأول؛ حيث قال: «..﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ﴾[٢]، هذا الظن يحتمل وجوها: أحدها: هو الظن الذي ذكره الله في هذه السورة بقوله: ﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورًا﴾[٣]، ثانيها: ظن المشركين بالله في الإشراك..... ثالثها: ظنهم أن الله لا يرى ولا يعلم.... والأول أصح، أو نقول: المراد جميع ظنونهم..... ويؤيد هذا الوجه الألف واللام الذي في (السوء)...»[٤]. فهو يجعل الألف واللام على الرأي الأخير للجنس، بينما الألف واللام على الآراء الأخرى للعهد.

مصدر (السوء) وقد ورد في السورة الكريمة ثلاث مرات، اتفق القراء على فتح السين في الموضعين الأول والثالث، وهما الموضعان المقترنان بالظن، وقد

---

(١) مقاييس اللغة (ظن).

(٢) سورة الفتح: ٦.

(٣) سورة الفتح: ١٢.

(٤) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٨٤).

قرئ بفتح السين وضمها في الموضع الثاني في قوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾[(١)(٢)]، ولعل الوقوف عند ما ورد فيه الوجهان يظهر دلالة الكل، ونسرد مجموعة من النصوص التي وردت في هذا السياق. قال الفراء: «....(دائرة السوء) مثل قوله: رجل السَّوء، دائرة السَّوء: العذاب، والسَّوء أفشى في اللغة وأكثر، وقلما تقول العرب: دائرة السُّوء...»[(٣)]. ويؤخذ من هذا النص أمران: الأول: أن السوء بمعنى العذاب. الثاني: أنهما لهجتان والفتح أفشى.

قال النحاس: «ويقرأ (السُّوء) والفرق بينهما أن السَّوء: الشيء بعينه، والسُّوء: الفعل»[(٤)]. وعليه فالسوء بالضم: مصدر، وبالفتح: اسم مصدر. في حين ذهب الجوهري إلى القول بعكس ذلك حيث قال: «ساءه يسُوؤه سوْءاً، بالفتح، وَمَساءَةً وَمَسائِيَةً: نقيضُ سَرَّهُ، والاسم السُّوءُ، بالضم...»[(٥)]. وقد رأى الزمخشري التفريق بينهما ولكن بناء على المضاف إليه؛ حيث قال: «فإن قلت: هل من فرق بين السُّوء والسَّوء؟ قلت: هما كالكُره، والكَره، والضُّعف، والضَّعف، من ساء؛ إلا أن المفتوح غلب أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء، وأما السُّوء بالضم فجار مجرى الشيء الذي هو نقيض الخير، يقال: أراد به السوء وأراد به الخير؛ ولذلك الظن إلى المفتوح لكونه مذموما، وكانت الدائرة محمودة؛ فكان حقها ألا تضاف إليه إلا على التأويل الذي ذكرنا، وأما دائرة السوء بالضم؛ فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة؛ فصح أن يقع

---

(١) سورة الفتح: ٦.

(٢) فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين والباقون بفتحها. (ينظر: اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ٢/ ٤٨١) للشيخ أحمد البنا.

(٣) معاني القرآن (٣/ ٦٥).

(٤) معاني القرآن (٦/ ٤٩٨) وينظر: إعراب القرآن (٣/ ١٨٧).

(٥) الصحاح (س و أ).

عليهم اسم السوء؛ كقوله: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾[1]...»[2].

وخلاصة القول: أن السوء بالفتح والضم إما أن يكونا من قبيل اختلاف اللهجات وعليه يكونان مصدرين. وإما أن يكون المضموم مصدرا والمفتوح اسم مصدر وهو رأي، وعكسه رأي. وإما أن تكون التفرقة بينهما قائمة على ما يضاف إليه، فالمفتوح يضاف إلى ما يراد ذمه من كل شيء والمضموم نقيض الخير. وما قاله الزمخشري هو الأولى.

السكينة، وقد تكرر هذا المصدر ثلاث مرات في السورة الكريمة، قال الرازي: «وفي السكينة وجوه: أحدها: هو السكون. الثاني: الوقار لله وللرسول وهو من السكون. الثالث: اليقين، والكل من السكون»[3]. وقد قال آخرون بأن السكينة بمعنى الرحمة[4]. وكلها معان تحتملها الكلمة في سياقاتها الثلاثة، ولكن الأولى حمل السكينة على معنى اليقين والطمأنينة في الموضع الأول إذا ما سلمنا بأن المقصود من الفتح في مستهل السورة هو صلح الحديبية؛ وذلك لأن المؤمنين آنذاك كانت قلوبهم مضطربة فناسب هذه الحالة أن تكون السكينة بمعنى اليقين وأرى أنه الأنسب أيضا للموضعين الثاني والثالث؛ لأنه في الموضع الثاني كان حدث بيعة الرضوان التي كان سببها هو إشاعة مقتل عثمان رسول رسول الله لقريش؛ فانخلعت قلوب المؤمنين حزنا على عثمان؛ فبايعوا رسول الله على القتال وقلوبهم كانت مشحونة بالغيظ من كفار مكة؛ فلما انكشف الأمر استقرت قلوبهم وقرت واطمأنت، وكذلك الحال في الموضع الثالث.

---

(١) سورة الأحزاب: ١٧.

(٢) الكشاف (٣/ ٢٥٤).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٨٠).

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٨٦) والكشاف (٣/ ٢٥٣ وما بعدها).

مصدر (ضرًّا) في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾[١] فقد قرئ بالضم والفتح[٢] والعلماء على أنهما لهجتان، وبعضهم فرق بينهما؛ وممن فرقوا الطبري؛ حيث قال: «... بفتح الضاد بمعنى الضر الذي هو خلاف النفع..... بضم الضاد بمعنى البؤس والسقم...»[٣]، وقال النحاس: «ففرق بينهما جماعة من أصحاب الغريب منهم أبو عبيد؛ فقال: الضَّر: ضد النفع، والضُّر: البؤس....فعلى هذا يجب أن يكون الضَّر هنا أولى، ولكن حكى النحويون: أن ضره ضَرا وضُرا جائز؛ مثل: شرب شَربا وشُربا...»[٤]. والقول بأن ذلك من قبيل اختلاف اللهجات أولى؛ لأنه على رأي التفرقة نهدر قراءة الضم لوجود النفع، وهي قراءة متواترة.

كلمة (بورا) في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾[٥] فقد اختلف العلماء هل هي مصدر أو جمع؟ والوجهان صحيحان؛ قال الزمخشري: «والبُور: من بار؛ كالهلك من هلك بناء ومعنى؛ ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، ويجوز أن يكون جمع بائر؛ كعائذ وعوذ...»[٦]، وهناك أيضا اختلاف في دلالة الكلمة؛ قال الطبري: «وقوله: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾[٧]، يقول: وكنتم قوما هَلكَى لا يصلحون لشيء من الخير. وقيل: إن البور في لغة أزد عمان: الفاسد؛ فأما عند العرب فإنه لا شيء»[٨].

---

(١) سورة الفتح: ١١.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف بالضم والباقون بالفتح. ينظر: (اتحاف فضلاء البشر ٢/ ٤٨٢).

(٣) جامع البيان (١١/ ٤٩).

(٤) إعراب القرآن (٣/ ١٨٩) وينظر: الجامع (١٥/ ٢٦٩).

(٥) سورة الفتح: ١٢.

(٦) الكشاف (٣/ ٢٥٦).

(٧) سورة الفتح: ١٢.

(٨) جامع البيان (١١/ ٤٩) وينظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٨٩) والمحرر الوجيز (٧/ ٦٧٣ =

دلالة المصدر الميمي والصناعي:

يرى أحد المحدثين أن النحاة يرون أن معنى المصدر الميمي لا يختلف عن المصادر الأخرى، ولكن الواقع يشهد بغير ذلك، وقد دلل على صحة قوله بالآتي:

(١) أن المصدر الميمي لا يطابق المصدر الصريح في المعنى تماما؛ لاختلاف صيغة كل منهما.

(٢) المصدر الميمي في الغالب يحمل معه عنصر الذات بخلاف المصدر غير الميمي؛ فإنه حدث مجرد من كل شيء.

(٣) العرب لا يتوسعون في استعمال المصادر الميمية كتوسعها في المصادر الصريحة؛ فمثلا العرب لا يوقعون المصدر الميمي موقع الحال في الغالب بخلاف المصدر الصريح والتفرقة بينهما في الاستعمال تفرقة بينهما في الدلالة[١].

وقد ورد في السورة الكريمة ثلاثة مصادر ميمية (مصيرا-معرة-مغفرة) وقد بين أحد المحدثين الفرق بين (المصير) و(الصيرورة) ذاهبا إلى أن: المصير يعني نهاية الأمر بخلاف الصيرورة..... وتقول: (مصير الخشب رماد) أي انتهى رمادا ولا تقول: (صيرورة الخشب رماد) للمعنى نفسه[٢].

وقد اختلف المفسرون في دلالة (معرة) في قوله تعالى: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٣] وقد جمع ابن عطية هذه الآراء بقوله: «واختلف الناس في تفسير هذه المعرة؛ فقال ابن زيد: هي المأثم. وقال ابن إسحاق: هي الدية؛ وهذان ضعيفان؛ لأنه لا إثم ولا دية في قتل مؤمن مستور الإيمان من أهل الحرب. وقال

=

وما بعدها) وإرشاد العقل السليم (٧/ ١٠٧).

(١) ينظر: معاني الأبنية في العربية (٣٧: ٣٤) بتصرف كبير.

(٢) السابق (٣٤).

(٣) سورة الفتح: ٢٥.

الطبري[١] وحكاه الثعلبي: هي الكفارة. وقال منذر: المعرة: أن يعيبهم الكفار ويقولوا قتلوا أهل دينهم. وقال بعض المفسرين: هي الملام والقول في ذلك وتألم النفس منه في باقي الزمان؛ وهذه أقوال حسان...»[٢]، وتفسير المعرّة بالملام هو الأنسب لسياق السورة الكريمة.

أما عن دلالة المصدر الصناعي؛ فغالب الظن أن زيادة الياء والتاء على المصدر الصريح تعني المبالغة في الحدث، ولم يرد المصدر الصناعي إلا في موضع واحد (الجاهلية)، والجهل كما قال الراغب: «على ثلاثة أضرب: الأول: وهو خلو النفس من العلم. هذا هو الأصل... والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه. والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل صحيحا أو فاسدا...»[٣]. وقد جمع هؤلاء الكفار بين صنوف الجهل جميعها، وزيادة الياء والتاء دلت على مبالغتهم في هذا الجهل، وتجاوز كل الحدود فيه.

ثانيا: دلالة التخصيص في السورة الكريمة:

وتتحقق هذه الدلالة من خلال صيغ المشتقات الواردة في السورة الكريمة عدا المصادر، ويمكن تناول هذه الدلالات الخاصة على النحو الآتي:

دلالة اسم الفاعل:

وقد ورد في السورة الكريمة (٨) ثماني مرات، واسم الفاعل «.... يدل على الحدث والحدوث وفاعله، ويقصد بالحدث: معنى المصدر، وبالحدوث ما يقابل الثبوت»[٤].

---

(١) ينظر: جامع البيان (١١٦٥).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٦٨٤).

(٣) المفردات (ج هـ ل).

(٤) معاني الأبنية في العربية (٤٦).

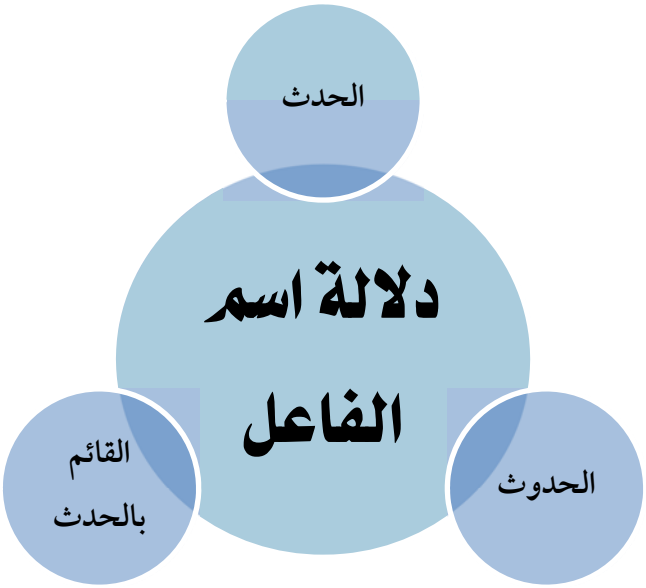

فعلى سبيل المثال: اسم الفاعل (شاهدا) دل على الحدث وهو الشهادة، والحدوث المتمثلة في تجدد كون رسول الله شاهدا وإن لم يكن حيا فهو شاهد بمنهجه، ودل على أن القائم بالشهادة هو رسول الله ﷺ.

وقد توقف بعض أهل التأويل عند اسم الفاعل (دائرة) في قوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾[1] فقال ابن عطية: «وسمى تعالى المصيبة التي دعا بها عليهم دائرة من حيث يقال في الزمان: إنه يستدير.....ويحسن أن تسمى المصيبة دائرة من حيث كمالها أن تحيط بصاحبها؛ كما يحيط شكل الدائرة على السواء من النقطة...»[2]، وهو ربط بديع بين المعنى المعجمي والسياقي للمفردة؛ وقد علق الألوسي على هذه المفردة قائلا: «ولما كانت الدائرة محمودة، وأضيفت إلى المفتوح في قراءة الأكثر (يقصد: السَّوء) تعين على هذا أن يقال: إن ذاك على تأويل أنها مذمومة

(١) سورة الفتح: ٦.

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٦٨٢).

بالنسبة إلى من دارت عليهم الدائرة من المنافقين والمشركين، واستعمالها في المكروه أكثر، وهي مصدر بزنة اسم الفاعل أو اسم فاعل؛ وإضافتها على ما قال الطيبي من إضافة الموصوف إلى الصفة للبيان على المبالغة...»[1].

دلالة صيغ المبالغة في السورة الكريمة:

صيغ المبالغة كما هو معلوم: أسماء تشتق من الفعل للدلالة على معنى اسم الفاعل على وجه الحدوث بقصد المبالغة، ومن ثم نستطيع القول بأن دلالة صيغ المبالغة هي نفسها دلالة اسم الفاعل مع زيادة المبالغة في الحدث.

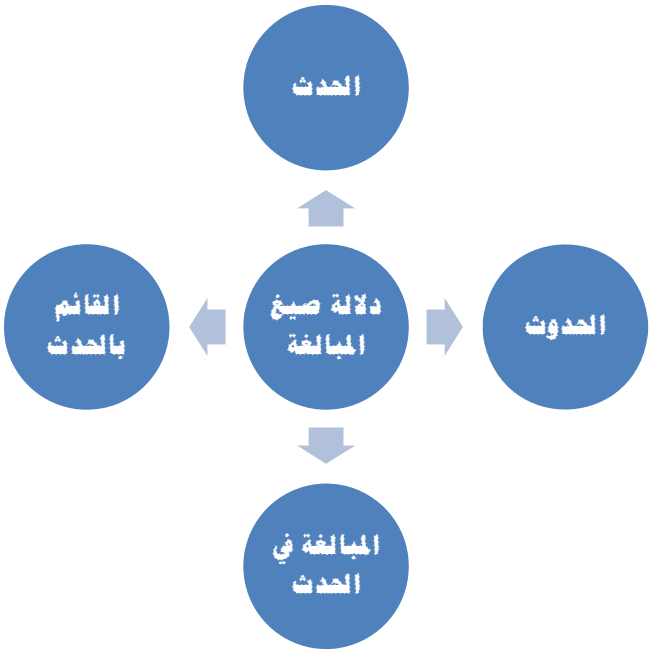

وقد وردت صيغ المبالغة في السورة الكريمة في أكثر من عشرين موضعا، ومعظمها في صفات لله تبارك وتعالى، ومنها: (عليما (٢)-حكيما (٢)-خبيرا-غفورا- رحيما-قديرا- شهيدا) ومنها ما ورد وصفا للرسول ﷺ (نذيرا) ومنها ما

(١) روح المعاني (٢٥/ ٩٥).

ورد وصف للمغانم (كثيرة ٢) ومنها ما ورد في سياق الحديث عن الأعراب (شديد، وصف لبأس-وليا-نصيرا-أليما (٣) وصف للعذاب) وكل صيغة من هذه الصيغ عكست المبالغة في السياق الواردة فيه.

وقد رأى ابن الأثير أن (عليم) أبلغ من عالم، منتقدا رأي جمهور علماء العربية؛ حيث قال: «جمهور علماء العربية يذهبون إلى أن (عليما) أبلغ من (عالم) وقد تأملت ذلك وأمعنت نظري؛ فحصل عندي شك في الذي ذهبوا إليه؛ والذي أوجب ذلك الشك هو: أن عالما وعليما على عِدَّة واحدة؛ إذ كل منهما على أربعة أحرف.... والذي يوجبه النظر أن يكون الأمر على عكس ما ذكروه، وذاك أن يكون (عالم) أبلغ من (عليم) وسببه أن (عالما) اسم فاعل من (علم) وهو متعد، وأن (عليم) اسم فاعل من (علم) إلا أنه أشبه وزن الفعل القاصر نحو: شرف؛ فهو شريف...فهذا الوزن لا يكون إلا في الفعل القاصر؛ فلما أشبهه (عليم) انحط عن رتبة (عالم) الذي هو متعد...»[1].

وما قاله ابن الأثير لا وجه له للاعتبارات الآتية:

(١) أنه بنى رأيه على عدد الحروف وهو منهج لا يطرد؛ فقضية زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ليست مطردة في اللغة، ثم إن الكلمتين على حد قوله قد تساويتا في عدد الحروف؛ فانتفى وجه المفاضلة.

(٢) أنه برر مزية (عالم) أنه جاء على قياس، بينما (عليم) جاء شبيها بالفعل القاصر الذي لا يأتي منه اسم الفاعل على (فاعِل) وهو قياس لا يستحسن؛ فالفعل (علم) ليس قاصرا؛ بدليل أنه جاء منه اسم الفاعل على القياس، والمعلوم أننا إذا أردنا أن نصف واحدا بصفة العلم قلنا: (عالم) وإذا أردنا أن نعبر عن ملازمة هذه الصفة له، حُوِّل من متعد إلى لازم ثم جئنا منه بصيغة من صيغ المبالغة فقلنا (عليم).

---

(١) المثل السائر (٢/ ٦٤).

(٣) أنه أطلق الحكم وإطلاق الحكم في مثل هذه الأمور ليس مستحسنا؛ فمثلا: ورود (عالم) في بعض مواضع القرآن هو أبلغ في موضعه؛ لضرورة اقتضاها السياق، وكذلك ورود (عليم) في مواضع أخر هو أبلغ للضرورة ذاتها.

دلالة الصفة المشبهة في السورة الكريمة:

الصفة المشبهة في دلالتها على الدلالة التي يدل عليها اسم الفاعل ولكن الفارق بينهما يكمن في جهتين: الأولى: جهة اشتقاقية؛ إذ إنها لا تؤخذ إلا من الفعل الثلاثي اللازم. الثانية: جهة دلالية؛ حيث إنها تدل على الثبوت بخلاف اسم الفاعل الذي يدل على الحدوث.

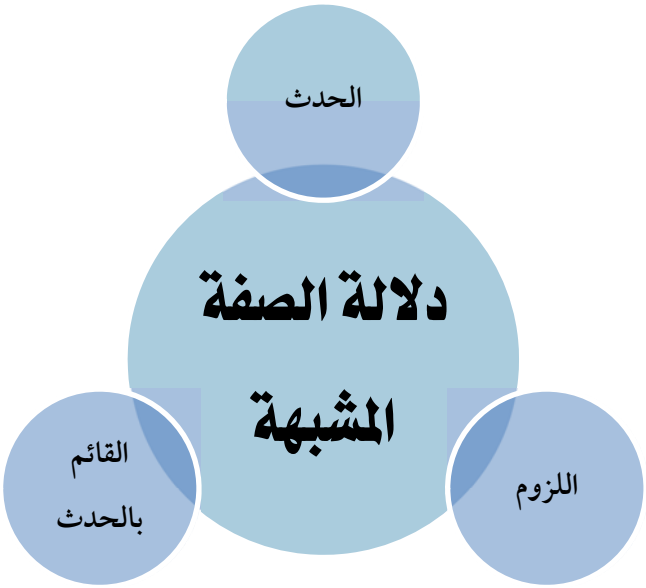

ومعنى الثبوت الاستمرار واللزوم؛ أي: أن الصفة ثبتت لصاحبها ولازمته على وجه الدوام، وقد رأى أحد المحدثين خلاف ذلك حيث قال: «والظاهر أن الصفة المشبهة كما على أقسام منها: ما يفيد الثبوت والاستمرار، نحو: أبكم، وأصم....وقد تدل على وجه قريب من الثبوت في نحو: نحيف، وسمين.....وهي

لا تدل على الثبوت في نحو: ظمآن وعطشان... قد تقول: إذن ما الفرق بين اسم الفاعل والصفة المشبهة التي لا تدل على الثبوت، مثل: ظمآن وظامئ؟... إن الصفة المشبهة لا تطلق إلا إذا اتصف بها صاحبها؛ فأنت لا تقول: هو ظمآن غدا أو أمس، بخلاف اسم الفاعل؛ فإنه يصح فيه ذلك»[١]. وهو ما يعني أن دلالة الصفة المشبهة تكون حالية فقط، بينما دلالة اسم الفاعل تتغير بين المضي والحال والاستقبال، وقد نبه إلى هذا الفرق الفراء؛ إذ يقول: «.... ويقولون: (هو سكران) إذا كان في سكره، وما هو ساكر عن كثرة الشراب، و(هو كريم) إذا كان موصوفا بالكرم؛ فإن نويت كرما يكون منه في المستقبل، قلت: كارم...»[٢].

وقد وردت الصفة المشبهة في السورة الكريمة ما يقرب من عشر مرات، وكلها وردت دالة على الثبوت إعمالا للسياق الواردة فيه؛ فمنها مثلا (الأعمى-الأعرج-المريض) ومنها في حق الله تعالى: (عزيزا-بصيرا) ومنها في وصف الأجر (عظيما-حسنا) ومنها في وصف الله للفتح بـ (قريبا).

ومن المواضع التي تظهر القيمة الدلالية للصفة المشبهة في السورة الكريمة، ما جاء من الوصف بـ (عظيما) في السورة ثلاث مرات، مرة وصف به الفوز، والثانية والثالثة وصف لـ (أجرا) قال الرازي: «وقد ذكرنا أن العظم في الأجرام، لا يقال إلا إذا اجتمع فيه الطول البالغ والعرض الواسع والسمك الغليظ؛ فيقال-في الجبل الذي هو مرتفع ولا اتساع لعرضه-: جبل عال أو مرتفع أو شاهق؛ فإذا انضم إليه الاتساع في الجوانب، يقال: عظيم، والأجر كذلك؛ لأن مآكل الجنة تكون من أرفع الأجناس، وتكون في غاية الكثرة، وتكون ممتدة إلى الأبد لا انقطاع لها؛ فحصل فيه

---

(١) معاني الأبنية في العربية (٧٦، وما بعدها).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٧٢).

ما يناسب أن يقال له: عظيم...»[١].

دلالة اسم المفعول في السورة الكريمة:

دلالة اسم المفعول تشترك مع دلالة اسم الفاعل في جانبين ويفترقا في جانب واحد؛ فمما اشتركا فيه: الدلالة على الحدث والحدوث، وما افترقا فيه، هو أن اسم الفاعل يدل على من قام بالفعل، بينما اسم المفعول يدل على من وقع عليه الفعل.

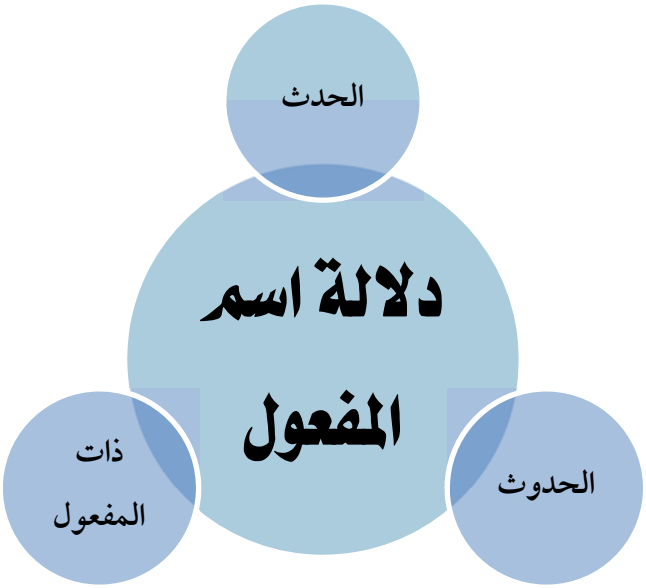

ولم يرد في السورة الكريمة على بناء اسم المفعول إلا ثلاث مفردات (المخلفون (٣)-معكوفا-سعيرا) وقد بين ابن عاشور دلالة المخلفون قائلا: «والمخلفون بفتح اللام: هم الذين تخلفوا، وأطلق عليهم (المخلفون) أي: غيرهم خلفهم وراءه؛ أي: تركهم خلفه، وليس ذلك بمقتض أنهم مأذون لهم، بل المخلف هو المتروك مطلقا...»[٢].

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٨٧).

(٢) التحرير والتنوير (٢٥/ ١٦١).

ويقصد ابن عاشور أن اسم المفعول (المخلفون) مأخوذ من (خُلِّفَ) وهو ما يعني أنهم ما تخلفوا ولكن خُلِّفوا، أي: أن ثمة سبب دعاهم إلى التخلف، والسبب بينوه هم بعد ذلك ﴿شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا﴾[١] فهو سبب حتى ولو لم يكن مطابقا لما في نفوسهم. وقد أشار ابن عاشور إلى سر تكرار هذا الوصف، وهو المبالغة في ذمهم[٢].

أما عن دلالة معكوفا؛ فقد كشف عنها ابن عاشور بقوله: «والمعكوف: اسم مفعول..وفائدة ذكر هذا الحال: التشنيع على الذين كفروا في صدهم المسلمين عن البيت بأنهم صدوا الهدايا أن تبلغ محلها؛ حيث اضطر المسلمون أن ينحروا هداياهم في الحديبية؛ فقد عطلوا بفعلهم ذلك شعيرة من شعائر الله؛ ففي ذكر الحال: تصوير لهيئة الهدايا وهي محبوسة...»[٣].

و(سعيرا) كما قال الراغب: هو فعيل في معنى مفعول[٤] ومجيئها على فعيل يدل على ثبوت هذا الوصف لجهنم أعاذنا الله منها.

دلالة اسم التفضيل في السورة الكريمة:

التفضيل هو: المفاضلة بين شيئين اشتركا في صفة زادت في أحدهما عن الآخر. ولم يرد في السورة الكريمة إلا موضعا واحدا في قوله: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾[٥].

وقد اختلف فيه هل هو تفضيل أو لا؟ قال الرازي: «هو يحتمل وجهين،

---

(١) سورة الفتح: ١١.

(٢) السابق (٢٥/ ١٦٩).

(٣) السابق (٢٥/ ١٨٨).

(٤) ينظر: المفردات (س ع ر).

(٥) سورة الفتح: ٢٦.

أحدهما: أن يكون الأحق بمعنى الحق لا للتفضيل؛ كما في قوله: ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾[١] إذ لا خير في غيره. والثاني: أن يكون للتفضيل، وهو يحتمل وجهين، أحدها: أن يكون بالنسبة إلى غيرهم؛ أي: المؤمنون أحق من الكافرين. والثاني: أن يكون بالنسبة إلى كلمة التقوى من كلمة أخرى غير التقوى، تقول: زيد أحق بالإكرام منه بالإهانة...»[٢].

دلالة اسم الهيئة في السورة الكريمة:

وقد تحققت في (نعمته) يقول الراغب: «النعمة: الحالة الحسنة، وبناء النعمة: بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان؛ كالجِلسة....»[٣]، وقد تأول المفسرون النعمة هنا على أكثر من وجه؛ لعل ما يجمعها قول ابن عطية: «وإتمام النعمة عليه: هو إظهاره وتغليبه على عدوه والرضوان في الآخرة»[٤]. وبذلك يكون شاملا للنعيم الدنيوي والأخروي. وكل الآراء الأخرى نصت على تخصيص النعمة ولا دليل لأحد والأولى أن اللفظة تحمل كل المعاني، ولا تعارض بين الآراء[٥].

ثالثا: دلالة التعريف في السورة الكريمة:

جاءت المشتقات المعرفة في السورة الكريمة على نمطين من التعريف:

الأول: المعرفة بـ (أل) وهي على النحو الآتي: (السكينة (٢)-السوء (٣)-المخلفون (٢)-للمخلفين-الأعمى-الأعرج-المريض- الحمية-الجاهلية-الهدى-السجود).

---

(١) سورة مريم: ٧٣.

(٢) مفاتيح الغيب (٢٧) ١٠٣ وما بعدها) وينظر: إرشاد العقل السليم (٧/ ١١٣).

(٣) المفردات (ن ع م).

(٤) المحرر الوجيز (٧/ ٦٦٧).

(٥) للاستزادة من هذه الآراء يمكن مراجعة: مفاتيح الغيب (٢٧/ ٧٨) والجامع للقرطبي (١٥/ ٢٦٣).

الثاني: التعريف بالإضافة: ويتمثل في الآتي: (ذنبك-نعمته-ظن السوء(٢)-دائرة السوء-ملك السماوات-سنة الله (٢)-محله-رحمته-حمية الجاهلية-سكينته-أثر السجود) والتعريف بالإضافة إما أن يكون تعظيما وتشريفا أو تبشيعا وتقبيحا وفق السياق؛ فمثلا: (ذنبك-نعمته-ملك السماوات-سنة الله-سكينته-أثر السجود) الإضافة هنا من قبيل التشريف والتعظيم والامتنان، بينما في (ظن السوء-دائرة السوء-حمية الجاهلية) للتبشيع والتقبيح.

رابعا: دلالة التنكير في السورة الكريمة:

تنوعت دلالة التنكير في السورة الكريمة بين دلالتين: الأولى: الدلالة على التعظيم؛ وقد ظهرت هذه الدلالة في سياق المشتقات الواردة في سياق الوعد مثل: (فتحا-نصرا-عزيزا-صراطا مستقيما) وغير ذلك. الثانية: الدلالة على الوعيد والتهديد، وقد ظهرت هذه الدلالة في المشتقات المنكرة الواردة في سياق الوعيد مثل: (عذابا أليما وقد تكرر هذا التركيب ثلاث مرات في السورة الكريمة- بأس شديد) وغير ذلك.

المحور الثالث

التحليل الدلالي لأبنية الجموع الواردة في سورة الفتح

كثر ورود أبنية الجموع في السورة الكريمة ويظهر هذا التعدد من خلال الجدول الآتي:

م	الكلمة	نوع الجمع		م	الكلمة	نوع الجمع	
		تكسير	سالم			تكسير	سالم
١	قلوب	✓		١٧	جنات		✓
٢	المؤمنين		✓	١٨	الأنهار	✓	
٣	جنود	✓		١٩	خالدين		✓
٤	السماوات		✓	٢٠	سيئاتهم		✓
٥	المؤمنين		✓	٢١	المنافقين		✓
٦	المؤمنات		✓	٢٢	المنافقات		✓
٧	المشركين		✓	٢٣	مغانم	✓	
٨	المشركات		✓	٢٤	مغانم	✓	
٩	الظانين		✓	٢٥	أيدي	✓	
١٠	جنود	✓		٢٦	للمؤمنين		✓
١١	السماوات		✓	٢٧	الأدبار	✓	
١٢	أيديهم	✓		٢٨	أيديهم	✓	
١٣	المخلفون		✓	٢٩	أيديكم	✓	
١٤	أموالنا	✓		٣٠	رجال	✓	
١٥	أهلونا		✓	٣١	مؤمنون		✓
١٦	بألسنتهم	✓		٣٢	نساء	✓	

م	الكلمة	نوع الجمع		م	الكلمة	نوع الجمع	
		تكسير	سالم			تكسير	سالم
٣٣	قلوبهم	✓		٤٩	مؤمنات		✓
٣٤	المؤمنون		✓	٥٠	المؤمنين		✓
٣٥	أهليهم		✓	٥١	آمنين		✓
٣٦	قلوبكم	✓		٥٢	محلقين		✓
٣٧	للكافرين		✓	٥٣	رؤوسكم	✓	
٣٨	السماوات		✓	٥٤	مقصرين		✓
٣٩	المخلفون		✓	٥٥	أشداء	✓	
٤٠	مغانم	✓		٥٦	الكفار	✓	
٤١	كلام	✓		٥٧	رحماء	✓	
٤٢	للمخلفين		✓	٥٨	ركعا	✓	
٤٣	الأعراب(٢)	✓		٥٩	سجدا	✓	
٤٤	قوم	✓		٦٠	وجوههم	✓	
٤٥	جنات		✓	٦١	سوقه	✓	
٤٦	الأنهار	✓		٦٢	الزراع	✓	
٤٧	المؤمنين		✓	٦٣	الكفار	✓	
٤٨	قلوبهم	✓		٦٤	الصالحات		✓
--	--	١٤	١٨	--	--	١٩	١٣

من خلال هذا الجدول يمكننا الخروج بالنتائج الآتية:

(١) جملة الجموع الواردة في السورة الكريمة (٦٥) خمسة وستون جمعا، منها (٣٤) أربعة وثلاثون من قبيل جموع التكسير بنسبة (٥١,٥٪) في حين جاءت

الجموع السالمة في (٣١) واحد وثلاثين جمعا بنسبة (٤٨,٥٪) والنسبة متقاربة بين النوعين.

(٢) أن جمع الصفات هو الغالب على الجموع السالمة؛ فقد بلغت (٢٢) اثنين وعشرين جمعا.

(٣) هناك جموع تكررت؛ فمن جموع التكسير التي تكررت (قلوب (٤) مرات-جنود (مرتين)- الأنهار (مرتين)-الأعراب (مرتين)-الكفار (مرتين)-أيد (٤) مرات) ومن الجموع السالمة (المؤمنون (٧) مرات-المؤمنات (مرتان).)

ولعل كثرة ورود هذه الجموع في السورة الكريمة يصور حالة تكتل القوى الثلاث التي تقوم السورة الكريمة عليهم؛ قوة المؤمنين وقوة الكفار والمنافقين، وقوة الأعراب المتخاذلين، وربما يكشف تكرار الجموع المشتقة من (أمن) والتي بلغت (١٠) عشرة جموع عن سطوة أهل الحق وغلبتهم.

ويمكن التعريج على دلالة الجموع في السورة الكريمة وفقا للعنصرين الآتيين:

دلالة جموع التكسير في السورة الكريمة:

قرر الصرفيون أن جموع التكسير في غالبها لا يحكمها قياس وإنما هي مبنية على السماع في الغالب؛ ولكنهم حاولوا إرجاع تعدد الجمع لبنية واحدة إلى عدة أسباب لعل من أهمها: اختلاف لهجات العرب. واختلاف المعنى بين الجمعين أحيانا. وقد صنفوا جموع التكسير إلى جموع قلة وجموع كثرة، وأرادوا بالقلة: ما كان من الثلاثة إلى العشرة؛ فإن زيد على العشرة صار من جموع الكثرة[1] ثم إنهم اختلفوا في تحديد جموع القلة والكثرة.

وقد أنكر أحد المحدثين على النحاة تصنيفهم جموع التكسير إلى قلة وكثرة؛

---

(١) ينظر: الكتاب (٢/ ١٧٥).

محتجا لذلك بما ورد في القرآن مناقضا لوجهة نظرهم[١]. وقد نقض هذا الرأي آخر؛ معللا ذلك بأن تبادل الصيغ مواضعها إنما يكون لحكمة يدسها المتكلم في ثنايا الصيغ المستعارة لغيرها؛ مبينا أن الخروج عن مقتضى الظاهر في صيغ الألفاظ نهج مسلوك في لسان العرب، وفن من فنون البلاغة العربية[٢].

وما ينبغي الاعتماد عليه هو السياق الذي ورد فيه الجمع، ومن ثم ينبغي الاعتماد عليه في تحديد هوية هذا الجمع من أي قبيل هو؟

على أننا نثبت هنا مقولة أبي البقاء الكفوي: «أوزان جمع القلة للقلة إذا جاء للمفرد وزن كثرة، وإذا انحصر جمع التكسير فهي للقلة والكثرة...»[٣]، وهذا معيار للحكم غاية في الأهمية؛ مفاده: أن معيار القلة والكثرة لا يرجع إلى الوزن فقط، بل يعتمد على تعدد الجموع للصيغة الواحدة بأوزان مختلفة؛ فإن كانت الكلمة ليس لها إلا جمع واحد فالأمر راجع إلى السياق[٤]. مع الأخذ في الاعتبار تقارض الصيغ في المعاني والدلالات.

فعلى سبيل المثال: (أَفعَال) من أوزان القلة عند كثير من النحاة[٥] ولكننا إذا تأملنا ما جاء في السورة الكريمة على هذا الوزن (الأنهار-أموال-الأعراب-الأدبار) ومما لا شك فيه أن أنهار الجنة لا يحصي عددها إلا الله، وأن الأموال التي تعلل بها الأعراب كانت فوق العشرة بل العشرات، وأن الأعراب أنفسهم كانوا يزيدون عن

---

(١) صاحب هذا الرأي د. إبراهيم أنيس في كتابه: من أسرار اللغة (١٣٨ وما بعدها) وهو كلام مطول.

(٢) ينظر: الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن (ص ٩ وما بعدها) د. محمد الأمين الخضري، وقد تعرض لآراء المحدثين في هذه القضية تفصيلا.

(٣) الكليات (٥/ ٢٠١) نقلا عن الإعجاز البياني.

(٤) ينظر: الإعجاز البياني (ص ٩) د الخضري.

(٥) ينظر: الكتاب (٢/ ١٧٥: ١٩٤).

العشرة، وأن أدبار الكافرين وفق لعددهم آنذاك وهو قطعا يفوق المئات.

وكذلك من جموع القلة (أَفعِلَة) وقد ورد منه في السورة الكريمة (ألسنتهم) فالسياق يدل على أن القلة ليست مرادة هنا.

ومن المعلوم أن بعض هذه الكلمات لها أكثر من جمع؛ فمثلا: (نهر: يجمع على أنهار، ونُهّر، ودبر على أدبار ودُبّر، ولسان على ألسنة ولُسن)

فالكلمة خارج السياق لها أحكامها وعندما توضع في سياق محدد ربما حتم السياق تغيير مسارها، ومن ثم ينبغي أن يكون السياق حاكما لكل شيء.

وقد توقف بعض أهل التأويل عند دلالة جمع (الكفار) في قوله: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾[1]، قال النحاس: «قيل: الكفار ههنا: الزراع؛ لأنهم يغطون الزرع. وقيل: هم الذين كفروا بمحمد ﷺ وهذا أولى؛ لأنه لا يجوز: يعجب الزراع ليغيظ بهم الزراع...»[2]، فَرَأي أَبقَى على الدلالة المعجمية لـ (كَفَرَ) بمعنى الستر؛ معتمدا على أن السياق الذي وردت فيه الكلمة سياق حديث عن الزرع، والرأي الثاني اعتمد على سياق الحديث عن المؤمنين والكفار، والقرآن حمال أوجه.

دلالة الجموع السالمة في السورة الكريمة:

ذهب النحاة إلى أن الجموع السالمة بنوعيها تفيد القلة[3] وقد تعقب أحد المحدثين هذا الرأي قائلا: «غير أن هذا القول ليس على إطلاقه؛ وإنما يحتاج إلى تفصيل؛ فإن هذا الجمع يدل على القلة في الجوامد، وأما في الصفات فإن دلالته على القلة ليست مطردة، بل نستطيع أن نقول: إن الأصل فيه عدم دلالته على القلة، وإنما الأصل فيه أن يدل على الحدث؛ فجمع الصفات جمعا سالما يقربها من الفعلية،

---

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) إعراب القرآن (٣/ ١٩٧).

(٣) ينظر: الكتاب (٢/ ١٨١: ١٨٣).

وتكسيرها يبعدها من الفعلية إلى الاسمية...»[١]، واعتمادا على هذا الرأي نلاحظ أن غالبية الجموع السالمة قد جاءت جمعا لصفات؛ في حين جاءت الجموع السالمة للجوامد دالة على القلة مثل: (جنات(٢) -السماوات(٢)) فالجنات أقل من عشر، والسماوات سبع، ولكن جاء جمع (سيئاتهم) في قوله: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾[٢]، ولا يعقل أن تكون السيئات أقل من عشرة، ويمكن تبرير ذلك بأمرين: الأول: أن هذه هي صيغة الجمع الوحيدة لهذه المفردة، ومن ثم فدلالتها على القلة والكثرة معول فيها على السياق؛ فتكون دالة على الكثرة للسياق الواردة فيه. الثاني: أن تكون دالة على القلة من قبيل تطييب خاطر المؤمنين؛ وأن سيئاتهم على كثرتها إلا أنها بمقابلة كرم الله وامتنانه قَلَّت.

وفي نهاية هذا البحث ينبغي التنويه إلى أن مفردات السورة الكريمة جاءت في دلالتها متناغمة مع الجو العام للسورة الكريمة؛ فهي تتوزع بين ألفاظ وعد، وألفاظ وعيد، والمتأمل المفردات التي تم إدراجها في المحاور الثلاثة في هذا يدرك حقيقة هذا الأمر.

---

(١) معاني الأبنية في العربية (١٤٤).

(٢) سورة الفتح: ٥.

من نتائج الدراسة

وقد تنوعت وفق المحاور الثلاثة، ويمكن عرض الدلالات الناجمة عن كل محور من هذه المحاور على النحو الآتي:

(١) الدلالات الناجمة عن الصيغ الفعلية الواردة في السورة الكريمة:

دلالة الزمن؛ حيث تلاحظ قلة ورود أفعال الأمر في السورة الكريمة؛ فلم يرد إلا في ستة مواضع؛ في سياق واحد، هو سياق الحديث عن موقف الأعراب، وجاء وردوده متناغما مع الأسلوب الحواري الذي دار في هذا الموقف، بينما كثر وردود الفعل المضارع والفعل الماضي في السورة الكريمة، وهو ما يتناسب مع الأسلوب السردي للأحداث الماضية والمستقبلية التي تناولتها السورة الكريمة. وكان للسياق أثر واضح في تغيير الدلالة الزمنية لبعض الأفعال؛ فهناك أفعال جاءت بصيغة الماضي ولكنها دالة على المستقبل، ومنها: (عَجَّلّ) و(فتحنا) على رأي من قال بأن المقصود من الفتح فتح مكة وغيرهما، وكان الغرض من ذلك هو تحقق الوقوع، كما أنه وردت أفعال بصيغة المضارع ولكنها دالة على الماضي مثل: (يبايعون) وكان الغرض من مجيئه على هذه الصيغة (استحضار صورة المبايعة) في حين جاءت بعض الأفعال مجردة من دلالة الزمن مثل (كان) التي وردت تسع مرات في السورة في سياق حديث الله عن نفسه.

دلالة التقييد (الزيادة): فقد وردت الأفعال المزيدة في السورة الكريمة في (٥٨) ثمانية وخمسين فعلا، وقد تعددت الدلالات المنبثقة عنها على النحو الآتي:

دلالة التعدية والسببية: وقد بدت في غالب ما جاء في السورة على وزن (أفعل) وبعض الأفعال التي وردت على وزن (فَعَّل).

دلالة التكثير: وكانت حاضرة في غالب الأفعال التي وردت على وزن (فَعَّل).

دلالة المشاركة: وكانت بارزة في الأفعال التي وردت على وزن (فاعَلَ).

دلالة الإعراض: ووردت في بعض الأفعال التي جاءت على زنة (تفَعَّل).

دلالة الاستيلاء: ولم ترد إلا في الفعل (استوى) واكتسب هذه الدلالة من تعديه بـ(على).

دلالة الطلب، وقد بدت في بعض ما جاء على وزن (استفعل) و(افتعل).

دلالة المطاوعة: ولم تظهر إلا فيما جاء من أفعال على وزن (انفعل).

(أ) دلالة الحضور والغيبة: حيث تلاحظ دلالة غالبية الأفعال الواردة في السورة الكريمة على الغيبة، وهو ما يتناسب مع الأسلوب السردي للأحداث التي وردت في السورة الكريمة؛ إذ إنها أحداث كانت خافية على كثير من الناس آنذاك؛ فمثلا: الغيبة تتناسب مع غيبة الحكمة من صلح الحديبية عن كثير من المسلمين.

كما أن دلالة التكلم على قلة ورودها في السورة الكريمة إلا أنها تنوعت بين الدلالة على التعظيم والامتنان، وبين التهديد والوعيد، وهذا التنوع يتفق والجو العام للسورة الكريمة؛ القائم على الوعد والوعيد.

(ب) دلالة الحالة الفعلية: وقد تبين أن جل الأفعال الواردة في السورة الكريمة قد جاءت مبنية للمعلوم عدا الفعلين (زُيِّن) و(سَتُدعَون) وقد فسرت غلبة الأفعال المبنية للمعلوم؛ بتفسيرات عديدة، منها: انعكاس صدق الأخبار وتأكيدها وعدم تطرق أدنى شك إليها وثبوتها وحصولها؛ لأن مصدرها العليم الخبير؛ كما أن الأفعال المبنية للمعلوم أنسب لمقام سرد الأحداث.

وقد تبين من خلال تتبع الأفعال المبنية للمعلوم أن الفاعل في معظمها هو الله، تصريحا وكناية، وهو ما يعكس جلال هذه الأحداث وعظمها، كما أن شيوع لفظ الجلالة في السورة فيه ما فيه من تثبيت قلوب المؤمنين وتأنيسهم.

(٢) الدلالات الناجمة عن صيغ المشتقات في السورة الكريمة:

(أ) دلالة العموم: وهي دلالة مقترنة بالمصادر بكل أنواعها؛ إذ إنها تدل

على المعنى المعجمي، وقد جاءت هذه المصادر (٣٥) مرة في السورة الكريمة، إلا أن بعض هذه المصادر خصصت دلالاتها إعمالا للسياق؛ فمثلا: (الفتح) والذي تكرر في السورة ثلاث مرات، دلالته العامة: ضد الإغلاق، ولكن دلالته خصصت في السورة بفتح مكة أو صلح الحديبية، أو فتح خيبر، كما خصصت دلالة الذنب بقرينة إضافته إلى كاف الخطاب المخاطب بها رسول الله؛ إذ لا يليق حمله على معناه المعجمي الذي يشمل كل فعل يستوخم عقباه.

(ب) دلالة التخصيص: وهذه الدلالة تتحقق من خلال سائر المشتقات الأخرى، وقد انبثقت عن هذه الدلالة عدة دلالات هي:

دلالة اسم الفاعل، وقد تكررت في ثمانية مواضع في السورة الكريمة.

دلالة صيغ المبالغة: وقد وردت في أكثر من عشرين موضعا.

دلالة الصفة المشبهة: وقد ظهرت فيما يقرب من عشرة مواضع.

دلالة اسم المفعول: ولم ترد في السورة الكريمة إلا في ثلاثة مواضع.

دلالة اسم التفضيل: ولم ترد إلا في موضع واحد مختلف فيه.

دلالة اسم الهيئة: ولم ترد إلا في موضع واحد.

(ت) دلالة التعريف: وقد جاءت المشتقات المعرفة في السورة الكريمة على نمطين من أنماط التعريف، هما: التعريف بـ (أل). والتعريف بالإضافة، وقد تنوعت دلالة التعريف بين التعظيم والامتنان، وقد بدا ذلك فيما جاء من هذه الصيغ في سياق الوعد، والتهديد والوعيد وقد بدا ذلك فيما جاء من هذه الصيغ في سياق الوعيد.

(ث) دلالة التنكير: وقد غلب التنكير على مشتقات السورة، وانبثق عنه دلالتان، هما ما تم ذكرهما في دلالة التعريف.

(٣) الدلالات الناجمة عن أبنية الجموع في السورة الكريمة:

(أ) دلالة جموع التكسير: وقد وردت في السورة الكريمة في (٣٤) موضعا،

منها ما ورد على أوزان القلة ومنها ما ورد على أوزان الكثرة، وقد انتهت الدراسة إلى أن معيار القلة أو الكثرة محكوم بالسياق الوارد فيه بناء جمع التكسير.

(ب) دلالة الجموع السالمة: وقد وردت هذه الجموع على نمطين: الأول: جمع الصفات؛ حيث بلغت (٢٢) من جملة (٣١) وهي في جميع أحوالها تدل على الكثرة. الثاني: جمع الجوامد: وقد ورد في تسعة مواضع وهي في الغالب تدل على القلة.

المصادر والمراجع

١. القرآن العظيم.

٢. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للشيخ/ أحمد بن محمد البنا الدمياطي، تحقيق/ د.شعبان إسماعيل ط.عالم الكتب- مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٧م.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود، الناشر/ دار المصحف بالقاهرة.

٤. أسرار التكرار في القرآن لتاج القراء محمود بن حمزه الكرماني تحقيق/ عبد القادر أحمد عطا، ط.دار الاعتصام-الثالثة ١٩٧٨م.

٥. الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن د/ محمد الأمين الخضري، ط. مكتبة وهبه- القاهره.

٦. إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس، تحقيق/ د.زهير غازي زاهد مطبعة العاني- بغداد.

٧. التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور طبعة الدار التونسية سنة١٩٨٤م.

٨. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج- لوهبة بن مصطفى الرحيلي.ط. دار الفكر المعاصر بدمشق. الثانية ١٤١٨هـ.

٩. التفسير الكبير، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الرازي الشافعي-طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. الأولى ١٩٨١م.

١٠. جامع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.

١١. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

عناية وتصحيح/ الشيخ: هشام سمير البخاري ط. دار عالم الكتب ٢٠٠٣م.

١٢. دراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ/ محمد عبد الخالق عضيمة، ط.دار الحديث- القاهرة ٢٠٠٤م.

١٣. دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق/ محمود محمد شاكر، ط.مكتبة الخانجي- القاهره ١٩٢٠م.

١٤. دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، نشر المؤلف.

١٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي ط.دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

١٦. غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابورى تحقيق/ إبراهيم عطوه عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

١٧. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري تحقيق/ أبوعمرو عماد زكي البارون ط. المكتبة التوفيقية.

١٨. كتاب سيبويه تحقيق وشرح أ/ عبد السلام محمد هارون، ط.دار الكتب العلمية.

١٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام/ جار الله الزمخشري، تحقيق/ أبو عبد الله آل زهوي ط.دار الكتاب العربي-بيروت، لبنان.

٢٠. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لنصر الدين بن الأثير تحقيق/ محيي الدين عبد الحميد، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطيه الأندلسي، مطبوعات: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر. الثانية ٢٠٠٧م.

٢٢. معاني الأبنية في العربية د/ فاضل صالح السامرائي، نشر جامعة بغداد. الأولى ١٩٨١م.

٢٣. معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ط.عالم الكتب- بيروت.

٢٤. معاني القرآن الكريم للإمام أبي جعفر النحاس تحقيق/ الشيخ محمد علي الصابوني ط.جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية.

٢٥. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت-لبنان.

٢٦. مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط/ عبد السلام محمد هارون طبعة دار الجيل-بيروت-الطبعة الأولى١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢٧. الممتع في التصريف، لابن عصفور الأشبيلي. تحقيق/ فخر الدين ط.دار الأندلس- جده.

٢٨. من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة السادسة ١٩٧٨م.

Semantic analysis of morphological structure in Al-Fath

Abstract

Word structure is the focus mainly axes semantic analysis, Vtnoaha reflected in the diversity of its significance, this study seeks to apply semantic approach analytical contributes to stand on semantics morphological structure Btnoatha in Al-Fath; according to three: the first axis: semantic analysis of the actual formulas contained in the Al-Fath axes and the implications of each is determined by actual formula from four perspectives: first: time. Second: all (impartiality) and restriction (increase). Third: attendance and backbiting. Fourth: the actual situation (construction of an active and constructive effect). Axis II: Analysis semantic formats derivatives contained in the Al-Fath. Valmassadr of all kinds in the original meaning of Commons, while the other derivatives all derivative has its own significance; very name of the actor exudes from three indications: event, occurrence, based event. Thus, other derivatives. Axis III: semantic analysis of buildings crowd in Al-Fath. Vibnah masses cracker variety and it varied implications, and the masses of its safety significance.

Semantic analysis of the structure of morphological He has in Al-Fath to adopt the approach of statistics for each axis of the three axes, followed by the conclusions of the study attempts to analyze in the light of the intended Sura precious public faces; highlighting the role of context (internal and external) to change

some of the significant structures; it may indicate the past to the present and vice versa, has been the source demonstrates the meaning of the name of the actor and vice versa, may be the building blocks of the masses of the few cracker Dalla Vanthy its context refers to the multitude, and vice versa

Key words

Semantic analysis, Morphological structure, Surat al-Fath, Verb forms, Derivative forms, Plural structures, Time indication, Implication the absolute and restricted, Indication of first and third person forms, Indication of active participle, Indication of passive participle.

قراءة يزيد بن قُطَيْب
دراسة صوتية ودلالية

د. محمد موسى السعيد جباره

الأستاذ المشارك بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

جامعة الأزهر – فرع الشرقية

drmgobara@hotmail.com

تاريخ التحكيم: ٢/ ١٢/ ١٤٣٥ تاريخ الإجازة: ٤/ ٢/ ١٤٣٦

المستخلص:

عُني العلماءُ -قديمًا- وحديثًا بالقراءات القرآنية جمعًا وتوجيهًا، سواء أكانت تلك القراءات متواترة أم شاذة، لذا توجهت عنايتي نحو إحدى القراءات الشاذة، وهي قراءة يزيد بن قطيب، الذي وثَّقه ابن الجزري، وذلك لتوجيهها من الناحيتين الصوتية والدلالية، فجمعت القراءة من مظانها، وصَنَّفْتُ ما وَرَدَ منها حسب المباحث والمطالب التي يمكن أن تُنْسب إليها، وفي المبحث الأول الخاصّ بالدراسة الصوتية تحدثت عن الإتباع الحركي، والإبدال بين الصوائت، وحذف الصائت، وفي المبحث الثاني الخاصّ بالدراسة الدلالية تحدثت عن الترادف والفروق اللغوية، والالتفات، وسبق ذلك تمهيدٌ عرَّفت فيه بابن قطيب، وتلاه خاتمةٌ ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، واتبعت في الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية:

يزيد بن قطيب، قراءات قرآنية، أصوات، دلالة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أما بعد..

فالقرآن الكريم معجزة الإسلام الباقية ما تعاقب الليل والنهار، وهو كلام الله الذي وعد بحفظه فلم تصل إليه يد التحريف والتبديل، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1]، وقد عني العلماء قديمًا وحديثًا – بقراءاته جمعًا وتوجيهًا، فمنهم من اقتصر في جمعه على القراءات السبعة، مثل: ابن مجاهد (٣٢٤هـ) في كتابه: (السبعة)، ومنهم من اقتصر على العشرة، مثل: ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) في كتابه: (النشر في القراءات العشر)، ومنهم من جعل كتابه للقراءات الأربعة عشر وهو البنا الدمياطي (ت ١١١٧هـ) في كتابه: (إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر)، أوْ لِمَا هو أكثر من ذلك، كما فعل أبو القاسم الهذلي (ت٤٦٥هـ) في كتابه: (الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها)، وهؤلاء السابقون منهم من اقتصر على القراءات المتواترة، مثل: ابن مجاهد، وابن الجزري، ومنهم جمع قراءات شاذة إلى جانب القراءات المتواترة، كما فعل أبو القاسم الهذلي، والبنا الدمياطي.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد وجدنا بعض العلماء يخص مؤلفه بجمع القراءات الشاذة، كما فعل ابن خالويه (ت٣٧٠هـ) في الكتاب المنسوب إليه: (مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه)، والكرماني (ت٥٣٥هـ تقريبًا) قي كتابه: (شواذ القراءات)، كما حوت كتب التفسير كثيرًا من القراءات الشاذة.

---

(١) سورة الحجر: ٩.

أما عن الكتب التي عني مؤلفوها بتوجيه القراءات القرآنية، فبعضها اتجهت العناية فيها إلى القراءات المتواترة، كما فعل أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) في كتابه: (الحجة للقراء السبعة)، ومكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) في كتابه: (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها)، وابن زنجلة (من علماء القرن الرابع) في كتابه: (حجة القراءات)، وابن خالويه في كتابه: (الحجة).

واتجهت عناية آخرين إلى توجيه القراءات الشاذة، كما فعل ابن جني (ت٣٩٢هـ) في كتابه: (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)، والعكبري (ت٦١٦هـ) في كتابه: (إعراب القراءات الشواذ).

كما اتجهت عناية كثير من المفسرين إلى توجيه بعض القراءات متواترة كانت أم شاذة، كما فعل أبو حيان (ت٧٤٥هـ) في تفسيره: (البحر المحيط)، والسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) في تفسيره: (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون) وغيرهما.

والبحث في القراءات القرآنية تتوق إليه نفسُ كلّ باحث، لذا كنت حريصًا على دراسة إحدى القراءات القرآنية، فتابعت البحث في كتب القراءات الشاذة، فلفتتْ انتباهي قراءةُ يزيد بن قطيب، ووجدت ابن الجزري (ت٨٣٣ هـ) يوثقه[1]، كما وجدت أبا حيان (ت٧٤٥ هـ) يعتمد على قراءته في تأييد معنى قراءة متواترة، وذلك قوله عن إعراب لفظة (الجن) من قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ... ﴾[2]: «وأحسن مما أعربوه ما سمعت من أستاذنا العلامة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي يقول فيه قال: انتصب الجن على إضمار فعل

---

(١) ينظر: غاية النهاية، لابن الجزري ٢/ ٣٣٣ – ط – الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م دار الكتب العلمية بيروت – لبنان (طبعة مصححة اعتمدت على الطبعة الأولى للكتاب التي عُني بنشرها سنة ١٩٣٢م ج. برجستراسر).

(٢) سورة الأنعام: ١٠٠.

جواب سؤال مقدّر كأنه قيل: من جَعَلُواْ للهِ شُرَكَاء؟ قيل: الجن، أي جعلوا الجنَّ، ويؤيد هذا المعنى قراءة أبي حيوة ويزيد بن قطيب: (الجنُّ) بالرفع، على تقدير: هم الجن، جوابًا لمن قال: من الذي جعلوه شريكًا؟ فقيل له: هم الجنُّ، ويكون ذلك على سبيل الاستعظام لما فعلوه، والانتقاص لمن جعلوه شريكًا لله»(١).

كما وجدته وَغَيْرَهُ من العلماء يعتمدون على قراءات شاذة - ومنها قراءة ابن قطيب- في رَدِّ معنى لفظة قرآنية قال به أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠ هـ)(٢)، فطابت نفسي لدراسة هذه القراءة.

ولمَّا كانت قراءةُ يزيد بن قطيب متفرقةً في بطون كتب القراءات والتفسير، لم يجمعها كتاب واحد، عقدت النية على جمعها ودراستها من الناحيتين الصوتية والدلالية، وتبين لي – بعد ذلك العزم – أن الدكتور سعيد بن علي الغامدي قام بدراستها من الناحية النحوية في بحث نشره في العدد الحادي عشر من مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، تحت عنوان: (التوجيهات النحوية لقراءة يزيد بن قطيب الشامي)، ووعد في مقدمة هذا البحث بدراستها – أيضًا – من الناحية الصرفية(٣)، وبناء على ذلك فإن الناحيتين: الصوتية والدلالية لا زالتا في حاجة إلى

---

(١) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان ٤/ ١٩٦ - تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، - ط – الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٧/ ١٠٢، وينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي ٨/ ٦٥٣ - تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط – ط – دار القلم – دمشق، اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي الحنبلي ١٥/ ٢٢٠ - تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين – ط – الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، وتنظر: ص٥٣ من هذا البحث.

(٣) ينظر: التوجيهات النحوية لقراءة يزيد بن قطيب الشامي، د. سعيد بن علي الغامدي، بحث منشور بمجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية ص٢٥٣ العدد الحادي عشر – السنة =

الدراسة، فقوي العزم، وسألتُ الله عَزَّوَجَلَّ العون والسداد، فقمت بجمع القراءة من كتب القراءات الشاذة، وبعض كتب التفسير، ووجدت قليلا منها في بعض المعجمات اللغوية، ثم قمت بتصنيفها صوتيًّا ودلاليًّا، ودراستها، ورجعت إلى كثير من المصادر والمراجع، واستفدت – على وجه الخصوص – من الكتب التي عُنيت بالقراءات القرآنية جمعًا، أوْ جمعًا وتوجيها، وكذلك من بعض كتب اللهجات العربية، والمعاجم اللغوية، واتبعت في دراستي المنهج الوصفي والتحليلي، وجاءت خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد: ويشتمل على التعريف بابن قطيب.

المبحث الأول: قراءة يزيد بن قطيب دراسة صوتية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإتباع الحركي.

المطلب الثاني: الإبدال بين الصوائت.

المطلب الثالث: حذف الصائت.

المبحث الثاني: قراءة يزيد بن قطيب دراسة دلالية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الترادف والفروق اللغوية.

المطلب الثاني: الالتفات.

الخاتمة: وفيها ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

فهرس المصادر والمراجع

=

السادسة – جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ/ مايو ٢٠١١م.

وإنه ليطيب للباحث قبل الختام أن يتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى **عمادة البحث العلمي بجامعة طيبة بالمدينة المنورة**، لدعمها هذا البحث، ورقمه (٦٢٨٥/ ١٤٣٥).

وختامًا أقول: إن كنت وُفِّقت فهذا ما أردت ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾[1]، وإن كان غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان.

واللهَ أسألُ التوفيقَ لما يُحِبّ ويرضى.

---

(١) سورة هود: ٨٨.

التمهيد
التعريف بابن قُطَيْب

بالبحث في كتب الطبقات والتراجم يتبين لنا أن ما جاء عن يزيد بن قطيب قليل جدًّا، لا يكفي للكشف عن شخصية هذا القارئ، ولا يبين أين وُلد؟ ولا متى وُلد؟ أو غير ذلك مما يفيد في التعرف عليه.

وعلى العموم سأحاول إبراز صورته بما يتيسر من خلال ما جاء عنه في كتب الطبقات والتراجم.

اسمه ونسبه:

هو يزيد بن قطيب السَّكُونِيّ الشامي الحِمْصِيّ[(١)].

رأي العلماء فيه:

وَثَّقَهُ ابن حبان (ت ٣٥٤هـ)[(٢)].

---

(١) ينظر: غاية النهاية، لابن الجزري ٢/ ٣٣٣، تهذيب التهذيب، لابن حجر ٤/ ٤٢٦ باعتناء إبراهيم الزيبق، عادل مرشد – ط – مؤسسة الرسالة، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي ٣٢/ ٢٢٧ تحقيق د/ بشار عواد معروف – ط – الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م – مؤسسة الرسالة – بيروت، التاريخ الكبير، للبخاري٨/ ٣٥٣ (القسم الثاني من الجزء الرابع) – مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – الهند، الثقات، لابن حبان ٥/ ٥٤٤ – ط – الأولى ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م – مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – الهند، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي ٣/ ٣٣٩، ٣٤٠ تحقيق د. بشار عواد معروف – ط – الأولى ٢٠٠٣م – دار الغرب الإسلامي – بيروت، الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٥ (القسم الثاني من الجزء الرابع) – ط – الأولى ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م – مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – الهند.

(٢) ينظر: الثقات، لابن حبان ٥/ ٥٤٤.

وقال عنه ابن الجزري: (ثقة، له اختيار في القراءة يُنْسَبُ إليه)[١].

وقال ابن حجر: (مقبول، من السادسة)[٢].

شيوخه:

من المؤكد أن ابن قطيب تتلمذ على يد مجموعة من العلماء والقراء، لكن كتب الطبقات والتراجم لم تذكر سوى شيخ واحد فقط أخذ عنه ابن قطيب القراءة، هو:

أبو بحرية عبد الله بن قيس، السكوني الكندي الحمصي، تابعي مشهور، صاحب اختيار في القراءة، قرأ على معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وروى عنه، وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣].

تلامذته:

ذكرت كتب التراجم خمسة ممن تتلمذوا على يد يزيد بن قطيب، أحدهم

---

(١) غاية النهاية ٢/ ٣٣٣.

(٢) تقريب التهذيب، لابن حجر ١٠٨١ تحقيق أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني – الناشر دار العاصمة للنشر والتوزيع. وتجدر الإشارة هنا إلى أن ابن حجر بَيَّنَ – في مقدمة كتابه – مراده بالسادسة، فذكر أن أحوال المُتَرَجَم لهم في كتابه انحصرت في اثنتي عشرة مرتبة، وانحصرت طبقاتهم في اثنتي عشرة طبقة كذلك، ثم بين المراد بكل مرتبة، وقال عن السادسة: (من ليس له من الحديث إلا القليل، ولم يثبت فيه ما يُتْرَك حديثُه من أجله، وإليه الإشارة بلفظ: مقبول، حيث يُتابع، وإلا فليِّن الحديث)، ثم قال في بيان المراد بالطبقتين: الخامسة والسادسة: (الخامسة: الطبقة الصغرى منهم (يقصد التابعين)، الذين رأوا الواحد والاثنين (يقصد من الصحابة)، ولم يثبت لبعضهم السماع من الصحابة كالأعمش. السادسة: طبقة عاصروا الخامسة، لكن لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة، كابن جُرَيْج). تقريب التهذيب ٨١، ٨٢.

(٣) ينظر: تهذيب الكمال، للمزي ٣٢/ ٢٢٧، غاية النهاية ٢/ ٣٣٣.

روى القراءة عنه، وهو:

-أبو البَرَهْسَم عمران بن عثمان الزبيدي الشامي، صاحب القراءة الشاذة، روى الحروف عن يزيد بن قطيب[١].

وأربعة حَدَّثوا عنه، أي: رووا الحديث عنه، وهم:

-صفوان بن عمرو السَّكْسَكِيّ[٢].

-الوليد بن سفيان بن أبي مريم الغساني الشاميّ[٣].

-أبو زياد يحيى بن عبيد الغساني الشاميّ[٤].

-أبو إبراهيم الكلبي[٥].

وفاته:

لم تهتم كتب الطبقات والتراجم كثيرًا ببيان سنة وفاته، لكني وجدت إشارتين لعلهما تفيدان في تحديد سنة وفاته ولو بالتقريب:

الأولى: للهذلي (ت ٤٦٥هـ)، وردت عند حديثه عن أبي بحرية عبد الله بن قيس شيخ ابن قطيب، فذكر أن أبا بحرية (توفي سنة تسع عشر ومائة وخلفه في القراءة ابن قطيب، وأقام بعده سنة ونصفًا وتوفي، وخلفه شريح بن يزيد أبو حيوة)[٦]، وهذا

---

(١) ينظر: غاية النهاية ٢/ ٣٣٣.

(٢) ينظر: تهذيب الكمال، للمزي ٣٢/ ٢٢٧، تاريخ الإسلام ٣/ ٣٤٠، غاية النهاية ٢/ ٣٣٣.

(٣) تهذيب الكمال، للمزي ٣٢/ ٢٢٧، تاريخ الإسلام ٣/ ٣٤٠، غاية النهاية ٢/ ٣٣٣.

(٤) ينظر: تهذيب الكمال، للمزي ٣٢/ ٢٢٧، غاية النهاية ٢/ ٣٣٣.

(٥) ينظر: تاريخ الإسلام، للذهبي ٣/ ٣٤٠.

(٦) ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، لأبي القاسم يوسف بن علي بن جباره الهذلي ص٥٧، تحقيق جمال بن السيد بن رفاعي الشايب – ط – الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م – مؤسسة سما للنشر والتوزيع.

معناه أن يزيد بن قطيب توفي سنة ١٢١هـ.

الثانية: للذهبي (٧٤٨هـ) وتوحي بأن وفاة ابن قطيب كانت بين سنتي ١١١هـ و١٢٠هـ، حيث عَدَّ الذهبيُّ ابنَ قطيب في الطبقة الثانية عشرة والتي تحدث فيها عن المشاهير الذين كانت وفاتهم بين السنتين المذكورتين[1]، وهذا قريب مما ذكره الهذلي قبله.

(١) ينظر: تاريخ الإسلام ٣/ ١٩٩: ٣٥٠.

المبحث الأول

الدراسة الصوتية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإتباع الحركي.

المطلب الثاني: الإبدال بين الصوائت.

المطلب الثالث: حذف الصائت.

المطلب الأول

الإتباع الحركي

١- **قال تعالى**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(١)].

قرأ الجمهور ﴿الحَمْدُ لِلَّه﴾ - بضم دال (الحمد) وكسر اللام الأولى من (لله)، ووردت القراءة في الشواذ ﴿الحمدُ لُلَّه﴾ برفع الدال وضم اللام ونسبها الكرماني إلى إبراهيم بن أبي عبلة، ويزيد بن قطيب[(٢)]، واقتصر ابن خالويه، والزمخشري، وابن عطية، وأبو حيان – في نسبتها – على ابن أبي عبلة[(٣)]، ونسبها

---

(١) سورة الفاتحة: ٢.

(٢) ينظر: شواذ القراءات، للكرماني ص٤٠ تحقيق د. شمران العجلي – ط – مؤسسة البلاغ – بيروت – لبنان.

(٣) ينظر: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه ص٩ – ط – مكتبة المتنبي – القاهرة، الكشاف، للزمخشري ١/ ١١٣ تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخريْن – ط – الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م – الناشر مكتبة العبيكان – الرياض، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية ١/ ٧٢ تحقيق الرحالة الفاروق وآخرين – ط – الثانية ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م – مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، البحر المحيط، لأبي حيان ١/ ١٣١، وبهذا يتضح لنا عدم دقة ما ذكره الدكتور عبده الراجحي في قوله: (يُلحظ أن قراءة [الحَمْدُ لُله] – بالضم – لم تُرْوَ عن قارئ بعينه بل جاءت رواية عن أهل البادية) ويرجع =

ابن جني إلى أهل البادية[١].

وقرأ آخرون: ﴿الحَمْدِ لِلَّه﴾ بكسر الدال إتباعًا لكسر اللام[٢].

وفي هاتين القراءتين الشاذتين إتباع حركيّ حيث ضُمَّت اللام إتباعًا لحركة الدال، وذلك في القراءة المنسوبة ليزيد بن قطيب ومَنْ معه، وفي القراءة الثانية كُسِرت الدالُ إتباعًا لحركة اللام.

وتجدر الإشارة إلى أن قراءة ابن قطيب ومَنْ معه وهي القراءة بضمّ لام الجر من (لله) إتباعًا لحركة الدال من (الحمد) فضَّلها الزمخشريُّ (ت ٥٣٨هـ) على القراءة الأخرى، المنسوبة للحسن البصري ومَنْ وافقه، وهي القراءة بكسر الدال إتباعًا لحركة اللام، وعلَّة التفضيل تكمن لديه في أنّ إتباع حركة البناء لحركة الإعراب أقوى من العكس، كما علل وقوع الإتباع في كلمتين بأنه من قبيل تنزيل الكلمتين منزلة الكلمة الواحدة، لكثرة استعمالهما مقترنتين[٣].

=

السبب في ذلك اعتماده على ما جاء في المحتسب دون غيره. ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د/ عبده الراجحي ص١٥٢– دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ١٩٩٦م.

(١) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني ١/ ٣٧ تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين – ط – ١٤١٥هـ ١٩٩٤م – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف بالقاهرة.

(٢) نُسبت هذه القراءة إلى: الحسن بن أبي الحسن البصري، ومحمد بن السميفع اليماني، وأبي الشعثاء جابر بن زيد، وزيد بن علي، ورؤبة ينظر: مختصر في شواذ القرآن ص٩، شواذ= =القراءات، للكرماني ص٤٠، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، للشيخ أحمد بن محمد البنا ٢/ ٣٦٣ تحقيق د/ شعبان محمد إسماعيل - ط – الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م – عالم الكتب – بيروت – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، الكشاف ١/ ١١٣، المحرر الوجيز ١/ ٧٢، البحر المحيط ١/ ١٣١.

(٣) ينظر: الكشاف، للزمخشري ١/ ١١٣.

وضعَّف قراءةَ الحسنِ – كذلك – الإمامُ الرُّعَيْنِيُّ (ت ٧٧٩هـ) للعلة نفسها التي ذكرها الزمخشري يقول الرعيني: (وفي هذه القراءة ضعفٌ؛ لأن فيها إتباعَ حركة الإعراب لحركة البناء)(١).

٢- **قال تعالى:** ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ﴾(٢).

اتفق القراء السبعة على فتح الصاد من كلمة (الْمُحْصَنَات) في هذا الموضع دون غيره، أما في غيره فقد انفرد الكسائي بكسر الصاد من كلمة (الْمُحْصِنَات)(٣).

وقرأ يزيد بن قطيب: (والمُحْصُنَات) بضم الصاد(٤).

في القراءة السابقة ضُمَّت الصادُ إتباعًا لضمة الميم رغم وجود الحاء بينهما؛ لأنها ساكنة فهي – هنا – حاجز غير حصين، وذلك كقولهم: مِنْتِن – بكسر الميم

---

(١) تحفة الأقران في ما قرئ بالتثليث من حروف القرآن، لأبي جعفر الرعيني ص٦٧ تحقيق الدكتور علي حسين البواب – ط – الثانية ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م دار كنوز إشبيليا – الرياض – المملكة العربية السعودية.

(٢) سورة النساء: ٢٤.

(٣) ينظر: السبعة، لابن مجاهد ص٢٣٠ تحقيق د. شوقي ضيف – ط – الثالثة – دار المعارف – مصر، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي ١/ ٣٨٤ تحقيق د. محيي الدين رمضان – ط – ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م – مجمع اللغة العربية – دمشق، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، للبنا الدمياطي ١/ ٥٠٨.

(٤) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان ٣/ ٢٢٢، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية ٢/ ٥١٥، اللباب في علوم الكتاب ٦/ ٢٩٧، تحفة الأقران، للرعيني ص١١٠، ١١١، الدر المصون ٣/ ٦٤٦، ونسبها الكرماني ليحيى بن وثاب، ينظر: شواذ القراءات، للكرماني ص١٣٣، وذكرها العكبري – دون نسبة – في كتابه: إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣٧٨ دراسة وتحقيق محمد السيد أحمد عزوز – ط – الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م – عالم الكتب – بيروت – لبنان.

والتاء –، في: مُنْتِن[١].

لذا علّق السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) على قراءة يزيد بن قطيب بقوله: (كأنه لم يعتدّ بالساكن فأتبع الصاد للميم)[٢]، وقال الرُّعَيْنِيّ (ت ٧٧٩هـ): (وأما قراءة الضمّ فقرأ بها يزيد بن قطيب، ووجْهُهَا أنّ ضمَّ الصاد إتباعٌ لضمِّ الميم)[٣].

٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٤].

قال الصغاني (ت ٦٥٠هـ): (وقد يُقال: نِجْسٌ – بالكسر – في غير إتباعٍ لِرِجْس، ومنه قراءة الحسن بنِ عمران، ونُبَيحٍ، وأبي واقد، والجرَّاحِ، وابنِ قُطَيْبٍ: ﴿إنَّما المشركون نِـجْسٌ﴾)[٥].

وفُسِّرت هذه القراءة بأنّها أي: (نِجْسٌ) اسمُ فاعل في الأصل على (فَعِل)، أي: (نَجِس) ثم خُفِّفَ بسكون عينه بعد إتباع فائه، كما خففوا في غيره، فقالوا في

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٣/ ٢٢٢، المحرر الوجيز ٢/ ٥١٥، اللباب، لابن عادل ٦/ ٢٩٧، تحفة الأقران، للرعيني ص١١٠، ١١١.

(٢) الدر المصون ٣/ ٦٤٦.

(٣) تحفة الأقران، للرعيني ص١١٠، ١١١.

(٤) سورة التوبة: ٢٨.

(٥) التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، للصغاني ٣/ ٤٣٤ (ن ج س) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – ط – ١٩٧٣م – مطبعة دار الكتب– القاهرة، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي ٥/ ١٨ تحقيق أ/ عبد العليم الطحاوي – ط – ١٤١٢هـ ١٩٩٢م – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، تاج العروس ١٦/ ٥٣٤ (ن ج س)، واقتصر الكرماني – في نسبتها – على الحسن بن عمران، ينظر: شواذ القراءات، للكرماني ٢١٢، ونُسبت إلى أبي حيوة في: المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٦، والبحر المحيط ٥/ ٢٩، واللباب، لابن عادل ١٠/ ٦٠، والقراءة دون نسبة في: الكشاف، للزمخشري ٣/ ٣١.

كَتِف: كِتْف، وفي كَبِد: كِبْد، وفي كَرِش: كِرْش[١]، وهذا القول يستلزم حذف موصوفٍ قامت هذه الصفة مقامه، والتقدير: فريق نِجْسٌ، أو: جِنْسٌ نِجْسٌ، أو: ضَرْبٌ نِجْسٌ[٢].

وذكر الفيومي ما يفيد ذلك – أيضًا – حيث قال: (وثوبٌ نَجِسٌ، بالكسر: اسم فاعل، وبالفتح: وصفٌ بالمصدر)[٣].

وبناء على ما سبق فإنّ كلمة (نِجْس) أصلها: (نَجِس) على وزن: (فَعِل)، ثم أُتْبعت فيها الفاءُ العينَ، فصارت: (نِجِس)، على وزن: فِعِل - بكسر الفاء والعين – ثم خُفِّفَت العين بالإسكان فصارت: (نِجْس)، على فِعْل – بكسر فسكون، وعلى ذلك فقد مرت الكلمة بمرحلتين:

الأولى: الإتباع، ولا يخفى أن الإتباع – هنا – حركيّ، حيث كُسرت فاء الكلمة إتباعًا لكسر العين، وهو من قبيل الإتباع الرَّجعي، حيث تأثر الصوت الأول بالصوت الثاني، أي أنّ التأثير – هنا – من اللاحق على السابق[٤].

الثانية: التخفيف، حيث خُفِّفَت العين بالإسكان فصارت: (نِجْس)، على فِعْل – بكسر فسكون، وسأعرض لهذا في مبحث مستقلّ – بإذن الله -.

وذهب الفراء إلى أنّ كلمة (نِجْس) – بكسر النون وسكون الجيم – لا تقال بهذا الضبط إلا مع كلمة (رِجْس)، فقال: (لا تكاد العرب تقول: نِجْس إلا وقبلها

---

(١) ينظر: لسان العرب ٥/ ٣٨٢٠ (ك ت ف)، ٥/ ٣٨٥٥ (ك ر ش)، المصباح المنير ص٥٢٣ (ك ب د)، ٥٢٥ (ك ت ف)، ٥٣٠ (ك ر ش).

(٢) ينظر: الكشاف ٣/ ٣١، البحر المحيط ٥/ ٢٩، اللباب، لابن عادل ١٠/ ٦٠.

(٣) المصباح المنير، للفيومي ص٥٩٤ (ن ج س).

(٤) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر ص٣٧٩ – ط – ١٤١٨هـ ١٩٩٧م – عالم الكتب – القاهرة.

رِجْس، فإذا أفردوها قالوا: نَجَس لا غير)[١] ونقل بعضُ العلماء هذا الرأيَ عن الفراء دون تعليق[٢]، وذكره آخرون دون عزو إلى الفراء[٣]، وذهب الزمخشري (في الكشاف)، والزَّبيدي (في تاج العروس) إلى أنّه من باب الكثرة فقط[٤]، وليس من باب اللزوم، أو الوجوب، واستدلّ الزَّبيدي على أنه أكثريٌّ بالقراءة التي معنا، حيث أُفْردت فيها لفظة (نِجْس)، **وأرى أنّ هذا هو الصواب**، فالقراءة حجة قوية لهذا الاستعمال.

٤- **قال تعالى:** ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٥].

قرأ يزيد بن قطيب (لَوَاذًا) - بفتح اللام-[٦].

---

(١) معاني القرآن، للفراء ١/ ٤٣٠.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ١٠/ ٥٩٣ تحقيق أ/ علي حسن هلالي – ط – الدار المصرية للتأليف والترجمة، المحكم ٧/ ٢٧٦، لسان العرب ٦/ ٤٣٥٢ (ن ج س).

(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٢/ ٤٤١ شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي – ط – الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م – عالم الكتب – بيروت، اللباب، لابن عادل ١٠/ ٦٠، ٦١، جمهرة اللغة، = =لابن دريد ١/ ٤٧٦ (ن ج س) تحقيق د. رمزي منير بعلبكي – ط – الأولى ١٩٨٧م – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان، درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها، للحريري ص٢٢٧ تحقيق وتعليق/ عبد الحفيظ فرغلي علي القرني – ط – الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م – دار الجيل – بيروت، مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة، أساس البلاغة ٢/ ٢٥١ (ن ج س).

(٤) الكشاف ٣/ ٣١، تاج العروس ١٦/ ٥٣٤ (ن ج س) تحقيق محمد محمود الطناحي – ط – ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م – مطبعة حكومة الكويت.

(٥) سورة النور: ٦٣.

(٦) ينظر: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه ص١٠٥، البحر المحيط ٦/ ٤٣٧، اللباب، لابن عادل ١٤/ ٤٦٧، الدر المصون ٨/ ٤٤٧، روح المعاني في تفسير =

وهذه القراءة تحتمل وجهين:

الأول: أنّ (لَوَاذًا) مصدر الفعل الثلاثي: (لاذ)، ولم تقلب واوه ياءً؛ لأنه لا كسرة قبلها، وذلك مثل: طاف طَوَافًا.

الثاني: أنّه مصدر (لاَوَذَ) إلاّ أنه فتحت الفاء إتباعًا لفتحة العين[١]، لكن السمين الحلبي ضعَّفَ هذا التعليل فقال: (وهو تعليل ضعيف يصلح لمثل هذه القراءة)[٢].

وعلى العموم فهذه القراءة – حسب الوجه الثاني – من قبيل الإتباع الحركي؛ وذلك لأن مصدر الفعل الرباعي مما كان على وزن (فاعَلَ) يأتي على: (فِعال) – بكسر الفاء – مثل: جادَلَ جِدالاً، لكن الذي حدث – هنا – هو أن المصدر جاء (لَوَاذًا) على (فَعال) – بفتح الفاء – إتباعًا لفتح العين.

التعليق:

الإتباع الحركي ظاهرة صوتية، حيث تتجاور حركتان مختلفتان، فتُؤَثِّر إحداهما في الأخرى، ويترتب على ذلك حدوث توافق وانسجام بينهما، وبناء على ذلك فالإتباع الحركي (نوع من الانسجام الصوتي مؤداه سلوك طريقة ميسرة في النطق، تتمثل في مجانسة الحركة للحركة حتى يكون عمل أعضاء النطق من وجه واحد)[٣].

=

القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي ١٨/ ٢٢٦ – إدارة الطباعة المنيرية – مصر، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

(١) ينظر: البحر المحيط ٦/ ٤٣٧، اللباب، لابن عادل ١٤/ ٤٦٧، الدر المصون ٨/ ٤٤٧، روح المعاني، للآلوسي ١٨/ ٢٢٦.

(٢) الدر المصون ٨/ ٤٤٧.

(٣) خصائص لهجتي تميم وقريش، د/ الموافي الرفاعي البيلي ص١٨٦ – ط – الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م – مطبعة السعادة.

وقد أشار سيبويه (ت١٨٠هـ) إلى هذه الظاهرة، من ذلك قوله: (وأما الذين قالوا: مِغِيرَةٌ ومِعِينٌ...أتبعوا الكسرةَ الكسرةَ، كما قالوا: مِنْتِنٌ وأُنْبُؤُكَ وأَجُوءُكَ، يريد: أَجِيئُكَ وأُنْبِئُكَ)(١)، ففي قوله: أتبعوا الكسرةَ الكسرةَ، تصريح بأن هذا يسمى: إتباعًا، وعلل هذا الإتباع بالخفة المتمثلة في عمل اللسان من وجه واحد، فقال: (واعلم أنّ الألفَ الموصولةَ... في الابتداء مكسورةٌ أبدًا، إلا أن يكون الحرفُ الثالثُ مضمومًا فتضمُّها، وذلك قولك: اقْتُلْ، اسْتُضْعِفَ، احْتُقِرَ، احْرُنْجِمَ، وذلك أنك قرَّبْتَ الألفَ من المضموم إذْ لم يكن بينهما إلا ساكنٌ فكرهوا كسرةً بعدها ضمةٌ، وأرادوا أن يكون العملُ من وجهٍ واحدٍ... ودعاهم ذلك إلى أن قالوا: أنا أَجُوءُكَ وأُنْبُؤُكَ، وهو مُنْحُدُرٌ من الجبل)(٢).

وأشار الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة ت٢١٥هـ) إلى هذه الظاهرة – كذلك – ولكن بالمثال فقال: (وقالوا في بعض الكلام في المُنْتِن: مِنْتِنٌ، وإنما هي من أَنْتَنَ فهو: مُنْتِنٌ، مثل أَكْرَمَ فهو: مُكْرِمٌ، فكسروا الميم لكسرة التاء، وقد ضَمَّ بعضُهُمُ التاءَ فقال: مُنْتُنٌ؛ لضمة الميم، وقد قالوا في النَّقِدِ: النِّقِدُ؛ فكسروا النون لكسرة القاف، وهذا ليس من كلامهم إلا فيما كان ثانيه أحدُ الحروف الستة، نحو: شَعِيرٍ)(٣).

كما أشار إلي هذه الظاهرة – أيضًا- أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) وعَدَّها من باب تقريب الصوت من الصوت، سواء أكان ذلك مع حروف الحلق أم

---

(١) الكتاب، لسيبويه ٤/ ١٠٩ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون – ط – الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م – الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة – دار الرفاعي بالرياض.

(٢) الكتاب، لسيبويه ٤/ ١٤٦.

(٣) معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ١/ ٤، ٥ تحقيق د/ هدى محمود قراعة – ط – الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م – الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.

لا، ومما جاء مع حروف الحلق قولهم: شِعِير، وبِعِير، ورِغِيف، وقول الشجري: زِئِير الأسد، وما حكاه أبو زيد من قول بعضهم: الجَنَّةُ لِمَن خاف وِعِيدَ الله، ومما جاء على هذه الظاهرة ولم يكن لأجل حروف الحلق قولهم: مِغِيرة، ومِنْتِن، وأَجُوءُكَ، وأُنْبُؤُكَ، والقُرُفْصَاء، والسُّلُطان، وهو مُنْحُدُرٌ من الجبل، والحمدُ لُله، والحمدِ لِله، ورَفَضَ ابنُ جني قولَ مَنْ قال[١]: مُنْتِنٌ من قولهم: أَنْتَنَ، ومِنْتِنٌ من قولهم: نَتُنَ الشيءُ، وعَدَّ ذلك لُكْنَة من قائله[٢].

وفسّر ابن جني قراءة طلحة (رُطَبًا جِنِيًّا) – بكسر الجيم – بأنها من الإتباع الحركي، حيث (أتبع فتحة الجيم من (جَنِيًّا) كسرةَ النون)[٣].

وأشار اللغويون في العصر الحديث إلى هذه الظاهرة فالدكتور إبراهيم أنيس سماها: انسجام أصوات اللين في الكلمة الواحدة، وذهب إلى أنها من ظواهر التطور في حركات الكلمات، وأن سببها يرجع إلى الاقتصاد في الجهد العضلي[٤].

أما الدكتور أحمد علم الدين الجندي فسماها: المماثلة في الحركات Vowel - Harmony ووافق على تسميتها - أيضًا - بالتقريب أو الانسجام، وأن السِّرَّ في ميل العربية إلى هذه الظاهرة يتمثل في أنّ اللغة نشأت شفوية لم تُقيّد

---

(١) نَسَبَ ابنُ السكيت هذا القول إلى أبي عمرو الشيباني، ينظر: إصلاح المنطق، لابن السكيت ٢١٨ شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون – ط – دار المعارف – مصر.

(٢) ينظر: الخصائص، لابن جني ٢/ ١٤٣، ١٤٤، ٢/ ٣٣٦ تحقيق محمد علي النجار – ط – دار الكتب المصرية، وتَعَقَّبَ هذا الرأي – كذلك – ابن سيده وعَدّه غَلَطًا من أبي عمرو، ينظر: المخصص، لابن سيده ١١/ ٢٠٦ – ط – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

(٣) المحتسب، لابن جني ٢/ ٤١.

(٤) ينظر: في اللهجات العربية، د/ إبراهيم أنيس ص٨٦ - الناشر مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ٢٠٠٣ م.

بقيود الكتابة، واكتفي فيها أول الأمر بالسماع والنطق، وهذا من شأنه أن يُؤدي إلى الانسجام[١]، وذهب إلى أنّ العلة في ذلك الانسجام ترجع إلى (أن اللسان يعمل في الصوتين[٢] عملاً واحدًا)[٣].

وأطلق عليها الدكتور عبده الراجحي، وغالب فاضل المطلبي مصطلح: الإتباع[٤].

وسماها علي ناصر غالب: الإتباع الحركي، وذهب إلى إمكانية دخولها في باب المماثلة؛ حيث تتماثل حركة مع أخرى مماثلة تامة[٥].

وأطلق عليها تشيم رابين مصطلح: التوافق أو الانسجام الحركي[٦].

ومع يقيني بسلامة هذه المصطلحات السابقة، ومناسبتها لما تُطْلَقُ عليه، فإنني آثرتُ تسمية الظاهرة بالإتباع الحركي؛ لأن مصطلح الإتباع تراثيٌّ، فقد ورد عند سيبويه وابن جني كما سبق، ووصفته بالحركي؛ لأنّ الحديث – هنا – عن إتباع الحركة الحركة.

---

(١) ينظر: اللهجات العربية في التراث، د/ أحمد علم الدين الجندي ١/ ٢٦٦، ٢٦٧ – الدار العربية للكتاب – طرابلس – ليبيا ١٩٨٣م.

(٢) في الأصل: (يعمل في الحرفين)، وهو وَهْمٌ؛ لأن الحديث عن الصوائت (الحركات).

(٣) اللهجات العربية في التراث ١/ ٢٧٣.

(٤) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د/ عبده الراجحي ص١٤٣، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطلبي ص١٢٠ – منشورات وزارة الثقافة والفنون – الجمهورية العراقية ١٩٧٨م.

(٥) ينظر: لهجة قبيلة أسد، علي ناصر غالب ص١١٨ – ط – الأولى ١٩٨٩م – وزارة الثقافة والإعلام – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد.

(٦) ينظر: اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، تشيم رابين ص١٩٩ ترجمة الدكتور عبد الكريم مجاهد – ط – الأولى ٢٠٠٢م – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت.

والقراءات الأربعة المنسوبة لابن قطيب، منها ثلاثٌ من باب التأثّر التقدُّميّ، وهي:

١- (الحمدُ لُلَّه) برفع الدال وضم اللام.

٢- (والمُحْصُنات) بضم الصاد.

٣- (لَوَذًا) بفتح اللام.

فهذه القراءات الثلاث تأثر – فيها – الصوت الثاني بالأول، أي أنّ التأثير من السابق على اللاحق[١].

أما القراءة الرابعة (نِـجْسٌ) – بكسر النون – فمن باب التأثّر الرجعيّ حيث تأثر فيها الصوت الأول بالثاني، أي أن التأثير فيها من اللاحق على السابق[٢]، إذ إنّ الأصل – كما سبق – هو: (نِجِسٌ) – بكسر الفاء والعين – ثم خُفِّفت العينُ بالإسكان فصارت: (نِجْس).

أما عن القبائل التي تُنسبُ إليها هذه الظاهرة، فقد قال أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) عن قراءة (الحَمْدُ لُلَّه): (وهذه لغة بعض بني ربيعة)[٣]، ونسبها السمين الحلبي إلى بعض قيس[٤].

أما قراءة: (الحمدِ لِلَّه) فنسبها السمين الحلبي إلى تميم وبعض غطفان[٥].

ونسب ابْنُ سيده صيغة مُنْتِن – بضم الميم وكسر التاء – إلى أهل الحجاز،

---

(١) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ص٣٧٩.

(٢) ينظر: دراسة الصوت اللغوي ٣٧٩.

(٣) إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس ١/ ١٧٠ تحقيق د/زهير غازي زاهد – ط – الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م – عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية.

(٤) ينظر: الدر المصون ١/ ٤٢.

(٥) ينظر: الدر المصون ١/ ٤١.

بينما نسب صيغة مِنْتِن – بكسر التاء إتباعًا لكسر الميم – إلى بني تميم[١].

ونسب أبو حيان ظاهرة الإتباع الحركي هذه إلى أزد شنوءة[٢].

وذهب الدكتور أحمد علم الدين الجندي إلى أن هذه الظاهرة تُنْسبُ إلى تميم وقيس وأسد وإلى القبائل التي تشبه تميمًا في البداوة كطيء[٣].

وذكر تشيم رابين أمثلة من ظاهرة التوافق أو الانسجام الحركي (الإتباع الحركي) منسوبة إلى تميم وأسد[٤].

والقبائل التي نُسبتْ إليها هذه الظاهرة كلها من القبائل البدوية وهذا يتفق مع ما ذكره الفراء وابن جني من نسبة قراءة (الحمدُ لُلَّه) – برفع الدال وضم اللام – إلى أهل البادية[٥].

وذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن هذه الظاهرة تُنسب بوجهٍ عام إلى لهجات البدو، لكنها قد توجد – أيضًا – في بعض لهجات الحضر ولكن بنسبة أقلّ[٦].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري ت٣١١هـ) اعترض على قراءة (الحمدِ لله) فقال: (فأما القرآن فلا يُقرأ فيه [الحمدُ] إلا بالرفع؛ لأن السنة تتبع في القرآن، ولا يُلتفت فيه إلى غير الرواية الصحيحة التي قد قرأ بها القراء المشهورون بالضبط والثقة، والرفعُ القراءةُ، ويجوز في الكلام أن

---

(١) ينظر: المخصص، لابن سيده ١١/ ٢٠٦.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١/ ٣٠٢.

(٣) ينظر: اللهجات العربية في التراث ١/ ٢٦٨.

(٤) ينظر: اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية ص١٩٩.

(٥) ينظر: معاني القرآن، للفراء١/ ٣ – ط – الثالثة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م – عالم الكتب – بيروت – لبنان، المحتسب، لابن جني ١/ ٣٧.

(٦) ينظر: في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس ص٨٦.

تقول: «الحمدَ»، تريد: أحمد الله الحمدَ... إلا أن الرفع أحسن وأبلغ في الثناء على الله عَزَّوَجَلَّ وقد رُوِيَ عن قوم من العرب: «الحمدَ لله» و«الحمدِ لله» وهذه لغة مَنْ لا يُلتفت إليه، ولا يُتشاغل بالرواية عنه، وإنما تشاغلنا نحن برواية هذا الحرف لنُحَذِّرَ الناسَ من أنْ يستعملوه، أو يظنّ جاهل أنه يجوز في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، أو في كلامٍ، ولم يأت لهذا نظير في كلام العرب، ولا وجه له)[١].

كما ذكر أبو جعفر النحاس أنه سمع عليَّ بن سليمان الأخفش (ت ٣١٥ وقيل: ٣١٦هـ) يقول عن قراءتي ﴿الحمدِ لله﴾ و﴿الحمدُ لله﴾: (لا يجوز من هذين شيء عند البصريين)[٢].

وإذا كان الزجاج والأخفش الأصغر ومن قال بهذا القول من البصريين لا يجيزون هاتين القراءتين، ويرى الزجاج أنه لا نظير لهما في كلام العرب ولا وجه، فإن أبا جعفر النحاس قد دافع عن القراءتين فذكر أنهما: لغتان معروفتان، وقراءتان موجودتان، وَنَسَبَ القراءة بالرفع إلى بعض بني ربيعة، والقراءة بالكسر إلى تميم، وذهب إلى أن العلة للقراءتين تكمن في التخفيف، فالكسرة مع الكسرة أخفُّ، وكذلك الضّمّة مع الضّمّة[٣].

ومعنى ذلك أن القراءتين لم تخرجا عن المألوف في اللغة العربية، ولم تتجاوزاه، إذ إن تحقيق الانسجام بين الأصوات يكاد يكون من خصائص العربية وسماتها الأصيلة.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ١/ ٤٥، ٤٦.

(٢) إعراب القرآن، للنحاس ١/ ١٧٠، وينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات ابن الأنباري ص٢١٨ تحقيق د/ إبراهيم السامرائي – ط – الثالثة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م – مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن.

(٣) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس ١/ ١٧٠، نزهة الألباء ٢١٨.

المطلب الثاني
الإبدال بين الصوائت

أولاً: بين الكسر والضمّ:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[(١)].

قرأ الجمهور: ﴿كِبْرَهُ﴾ - بكسر الكاف - وقرأ الحسن، وعمرة بنت عبد الرحمن، والزهري، وأبو رجاء، ومجاهد، وأبو البَرَهْسَم، والأعمش، وحميد، وابن أبي عبلة، وسفيان الثوري، ويزيد بن قطيب، ويعقوب، والزعفراني، وابن مقسم، وسورة عن الكسائي، ومحبوب عن أبي عمرو: ﴿كُبْرَهُ﴾ - بضم الكاف[(٢)].

والقراءة: ﴿كُبْرَه﴾ - بضم الكاف - استجادها الفراء (ت٢٠٧هـ) فقال: (وقرأ حُمَيْدُ الأعرج: ﴿كُبْرَه﴾ - بالضم - وهو وَجْهٌ جيّد في النحو؛ لأنّ العرب تقول: فلانٌ تولَّى عُظْمَ كذا وكذا، يريدون: أكثره)[(٣)]، لكن أبا جعفر النحاس

---

(١) سورة النور: ١١.

(٢) البحر المحيط ٦/ ٤٠٢، وينظر: روح المعاني، للآلوسي ١٨/ ١١٥، النشر في القراءات العشر، لابن الجزري ٢/ ٣٣١ أشرف على تصحيحه ومراجعته أ/ علي محمد الضباع - ط - درا الكتب العلمية - بيروت - لبنان، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه ص١٠٢، وتنظر القراءة - أيضًا - في: الإتحاف ٢/ ٢٩٣، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها ص٦٠٨، معاني القرآن للفراء، ٢/ ٢٤٧، البسيط للواحدي ١٦/ ١٥٤، ١٥٥ تحقيق د/ عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الدميديغ، د/ سليمان بن إبراهيم الحصين - ط - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - بالرياض ١٤٣٠هـ، المحرر الوجيز ٦/ ٣٥٥، اللباب، لابن عادل ١٤/ ٣١٩، إعراب القرآن، للنحاس ٣/ ١٣٠، الدر المصون ٨/ ٣٨٩، لكنها لم تنسب لابن قطيب في هذه المراجع الثمانية الأخيرة.

(٣) معاني القرآن، للفراء ٢/ ٢٤٧.

(ت٣٣٨هـ) اعترض على ذلك وذهب إلى أنّ ما ذكره الفراء لا حجة فيه لأن الشيء قد يكون بمعنى الشيء، والحركة فيهما مختلفة[١]، كما اعترض على رأي الفراء – كذلك – أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) وذكر أن الفراء قاس الكُبْر على العُظْم، وكلامُ العرب على غيره، ونقل عن ابن السكيت (ت٢٤٧هـ) أنّ كِبْر الشيء – بكسر الكاف –: مُعْظمه، وأنشد قول قيس بن الخَطِيم:

تنام عن كِبْرِ شأنها فإذا قامتْ رُوَيْدًا تكادُ تَنْغَرِفُ

وفي المَثَل: كِبْرُ سياسة الناس في المال، أما الكُبْرُ – بضم الكاف– فهو: أكبر ولد الرَّجُل[٢].

ومعنى ذلك أن هناك فرقًا بين الكُبْر – بضم الكاف – والكِبْر – بكسر الكاف – فكِبْر الشيء: مُعْظمه، والكِبْر من التكبّر، أما الكُبْرُ – بضم الكاف – فهو: أكبر ولد الرَّجُل، وللخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) توجيه آخر للفرق بين الصيغتين، فذهب إلى أنّ قراءة (كُبْره) – بضم الكاف – معناها: عُظْم هذا القذف، ومَنْ قرأ: (كِبْره) – بكسر الكاف – فيعني: إثْمه وخِطْأه، وأنشد قول علقمة:

بَدَتْ سَوَابِقُ مِنْ أُولاه نَعْرِفُهَا وَكُبْرُهُ في سَوَادِ اللَّيْلِ مَسْتُورُ[٣]

---

(١) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس ٣/ ١٣٠.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري ١٠/ ٢٠٩ (ك ب ر)، إصلاح المنطق، لابن السكيت ص٣٣، لسان العرب، لابن منظور ٥/ ٣٨٠٩ (ك ب ر) – ط – دار المعارف – مصر. وبيت قيس بن الخطيم في ديوانه ص١٠٦ تحقيق د/ ناصر الدين الأسد – ط – دار صادر – بيروت. وكلمة (كبر) مضبوطة هناك بضم الكاف، والمَثَلُ لم أعثر عليه فيما رجعت إليه من كتب الأمثال.

(٣) ينظر: العين، للخليل بن أحمد ٥/ ٣٦١ (ك ب ر) تحقيق د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي – ط – الأولى ١٤٠٨هـ ١٨٨م – مؤسسة الأعلمي – بيروت – لبنان، وبيت علقمة في ديوانه لكن وردت فيه كلمة (كبْر) بكسر الكاف، وفسرها الشارح بأنها تعني: معظم الشيء ومنتهاه. ينظر: شرح ديوان علقمة الفحل ص٤٦، بقلم السيد أحمد صقر – ط – الأولى=
=

وذكر الزجاج (ت٣١١هـ) قولاً قريبًا مما ذهب إليه الخليل[١].

لكن نقل الأزهريُّ عن المنذريّ عن ابن اليزيديّ أنّ أبا زيد الأنصاريّ (ت٢١٥هـ) قال عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ – بكسر الكاف -: هكذا سمعناه، وقد كان بعضهم يرفع الكافَ، وأظنها لُغَة[٢]، وإذا صحَّ ذلك الظنّ فكِبْرُ الشيء – بكسر الكاف – وكُبْرُه – بضم الكاف–، من اختلاف اللهجات.

وإذا كان النَّصُّ السابق جاء بصيغة الظّنِّ فقد جاء في (النوادر) لأبي زيد الأنصاري أنه سمع أعرابيًّا من بني تميم يقول: (فلانٌ كِبْرَةُ وَلَدِ أبيه: إذا كان أكْبَرَهُمْ)[٣]، وعلى ذلك فليس الكِبْرُ – بكسر الكاف – خاصًّا بمعنى: معظم الشيء، بل يأتي في لهجة تميم بمعنى: أكبر ولد الرَّجُل.

وحاول بعض العلماء التوفيق بين القولِ بأن الصيغتين من باب اختلاف اللهجات، والقولِ بوجود فرق بينهما، فقالوا: هما لغتان في مصدر كبر الشيء، بمعنى: عظم، لكن غلب المضموم في السّنِّ والمكانة، ومنه قولُ النبي ﷺ في قصة مُحَيِّصَةَ وحُوَيِّصَةَ -: (الكُبْرَ الكُبْرَ)[٤]، وقيل: كُبْر – بالضم – معناه: معظم الإفك،

=

=١٣٥٣هـ ١٩٣٥م – المكتبة المحمودية – بالقاهرة، وديوان علقمة بن عبدة ص٤١ شرحه وعلق عليه وقدم له سعيد نسيب مكارم – ط – الأولى ١٩٩٦م – دار صادر – بيروت.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٤/ ٣٥.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري ١٠/ ٢١٠ (ك ب ر)، لسان العرب، لابن منظور ٥/ ٣٨٠٩ (ك ب ر)، تاج العروس، للزبيدي ١٤/ ٨ (ك ب ر).

(٣) النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري ص٣٣٠ تحقيق ودراسة د/ محمد عبد القادر أحمد – ط – الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م – دار الشروق – بيروت.

(٤) رواه البخاري في كتاب الديات، ٢٢ باب القسامة، والفتح ١٢/ ٢٣٩، والنصب على الإغراء، كما قال ابن حجر. هكذا خرَّجه محقِّقُ الدر المصون ٨/ ٣٨٩ هامش رقم (٥).

وكِبْر – بالكسر – معناه: البداءة به، أو الإثمُ[١].

ومن ذلك يترجح لنا أنّ كُبْر الشيء وكِبْره من باب الإبدال بين الحركات، قال الفيومي (ت٧٧٠هـ): (وكبْر الشيء – بضم الكاف وكسرها –: مُعْظَمُهُ، وفي التنزيل: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ بالكسر في الطرق السبعة، وبالضمّ شاذًّا)[٢]. ولعل هذا هو ما عليه جمهور العلماء، قال الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) – عن القراءتين– هما: (مصدران لكبر الشيء: عظم، ومعناهما واحد، وقيل: الكُبْر – بالضم –: المعظم، وبالكسر: البداءة بالشيء، وقيل: الإثم، **والجمهور على الأول**، أي: والذي تحمَّل معظمه)[٣]، وقال الزمخشري: (وقرئ: ﴿كبره﴾ – بالضم والكسر– وهو: عظمه)[٤].

٢- ﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴾[٥].

قرأ الجمهور: (صُوَاعَ) بضم الصاد وفتح الواو[٦]، وذكر ابن خالويه عددًا من القراءات الشاذة في كلمة (صُوَاع) منها: (صِوَاغ) – بكسر الصاد وغين معجمة –

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٢٩٣، ٢٩٤، اللباب، لابن عادل ١٤/ ٣١٩، الدر المصون ٨/ ٣٨٩، وينظر هذا التوجيه (دون النصّ على أنهما من اختلاف اللهجات): النشر، لابن الجزري ٢/ ٣٣١، البسيط، للواحدي ١٦/ ١٥٦، ١٥٧، المحرر الوجيز ٦/ ٣٥٥، ٣٥٦، البحر المحيط ٦/ ٤٠٢.

(٢) المصباح المنير، للفيومي ص٥٢٣ (ك ب ر) تحقيق د/ عبد العظيم الشناوي – ط – الثانية – الناشر دار المعارف – مصر.

(٣) روح المعاني، للآلوسي ١٨/ ١١٥.

(٤) الكشاف، للزمخشري ٤/ ٢٧٣ تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين – ط – الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م – الناشر مكتبة العبيكان – بالرياض.

(٥) سورة يوسف: ٧٢.

(٦) ينظر: البحر المحيط ٥/ ٣٢٦.

ونسبها لابن قطيب[١].

وقال الزَّبيديُّ: (الصَّاع، والصِّوَاع، بالكَسْر، وبالضَّمّ، والصَّوْع، بالفَتْح، ويُضَمُّ كلُّهُنَّ لغاتٌ في الصاعِ الذي يُكالُ به، وتدورُ عليه أحكامُ المُسلِمين، وقُرِئَ بهنَّ، قرأ أبو هُرَيْرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومُجاهِدٌ، وأبو البَرَهْسَم: ﴿قالوا نَفْقِدُ صاعَ المَلِك﴾ وقرأَ أبو حَيْوَةَ، وابنُ قُطَيْبٍ: ﴿صِوَاعَ المَلِك﴾ بالكَسْر، وقرأ الحسَنُ البَصْريّ، وأبو رَجاءٍ، وعَوْنُ بنُ عَبْد الله، وعَبْد الله بنُ ذَكْوَانَ: ﴿صُوعَ الملِك﴾ بالضَّمّ، وقرأَ أبو رَجاءٍ أيضًا: ﴿صَوْعَ الملِك﴾ بالفَتْح)[٢].

٣- ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[٣].

قرأ الجمهور: ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ – بضم العين – وقرأ أبو حيوة، وابن قطيب: ﴿فلا عِدوان﴾ – بكسر العين –[٤].

وهذا – أيضًا – من باب الإبدال بين الحركات، والمعنى: (لا سبيل عَلَيّ بأن تعتدي بإلزامي أكثر من الأجلين، وتطالبني بالزيادة على الأجل الذي قضيت)[٥]، أو

---

(١) ينظر: مختصر في شواذ القرآن ٦٩.

(٢) تاج العروس ٢١/ ٣٧٧، ٣٧٨ (ص و ع)، وينظر: إعراب القراءات الشواذ، للعكبري ١/ ٧١٢، ٧١٣، شواذ القراءات، للكرماني ٢٤٩، البحر المحيط ٥/ ٣٢٦، المحرر الوجيز، لابن عطية ٥/ ١٢١، لكن القراءة لم تنسب في هذه المصادر لابن قطيب، وذكر ابن جني بعض هذه القراءات، لكنه لم يذكر القراءة المنسوبة لأبي حيوة، وابن قطيب ضمن ما ذكر، ينظر: المحتسب ١/ ٣٤٦.

(٣) سورة القصص: ٢٨.

(٤) ينظر: مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه ص١١٤، البحر المحيط ٧/ ١١٠، اللباب، لابن عادل ١٥/ ٢٤٥، الكشاف، للزمخشري ٤/ ٤٩٧، روح المعاني، للآلوسي ٢٠/ ٦٨.

(٥) البسيط، للواحدي ١٧/ ٣٧٨، ٣٧٩، وينظر: لسان العرب ٤/ ٢٨٤٦ (ع د ا).

أنّ المعنى: (لا تَبِعَة عَلَيَّ من قولٍ ولا فعْلٍ)[١].

ومما سبق يتضح لنا أن الجمهور قرأ: ﴿صُوَاع﴾ بضم الصاد، بينما قرأ ابن قطيب: ﴿صِوَاغ﴾ بكسر الصاد وغين معجمة، كما ذكر ابنُ خالويه، أو: ﴿صِوَاع﴾ بكسر الصاد وعين مهملة، كما ذكر الزَّبيديُّ، ونسبها لأبي حيوة وابن قطيب.

وسأقتصر في حديثي – هنا – على قراءة ﴿صِواع﴾ – بكسر الصاد وعين مهملة – وأترك الحديث عن ﴿صِواغ﴾ التي بالعين المعجمة لموطن آخر بإذن الله.

وعلق العكبري على القراءة المنسوبة لأبي حيوة، وابن قطيب (صِواع – بكسر الصاد وعين مهملة) بأنها: (إما لغة، وإما جمع صَوْعٍ، مثل كَعْبٍ وكِعابٍ)[٢].

وبعد أن ذكر أبو حيان عددًا من القراءات في هذه اللفظة، ومنها القراءة التي معنا، علَّق قائلاً: (وكلها لغات في الصَّاع)[٣].

وإلى ذلك – أيضًا – ذهب السمين الحلبي، حيث قال عن هذا اللفظ: (وفيه قراءات كثيرة كلها لغات في هذا الحرف)[٤].

ويذكر اللغويون أن الضم ينسب إلى تميم، وقيس عيلان، وأسد، وبكر بن وائل، وهي قبائل كانت تسكن وسط شبه الجزيرة العربية وشرقيها، ومعظمها قبائل بادية، والضم أنسب لها، إذ هو مظهر من مظاهر الخشونة البدوية، ذلك أن الضمة تحتاج إلى جهد عضلي أكثر من الكسرة؛ لأنها تتكون بتحرك أقصى اللسان، في حين أن الكسرة تتكون بتحرك أدنى اللسان، وهو أيسر من تحرك أقصاه، أما الكسر فينسب إلى أهل الحجاز، ورغم ثقله عن الفتح فإنه أخف من الضم، لذا مالت إليه

---

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية ٦/ ٥٨٧.

(٢) إعراب القراءات الشواذ، للعكبري ١/ ٧١٢.

(٣) البحر المحيط ٥/ ٣٢٦.

(٤) الدر المصون ٦/ ٥٢٧.

البيئة الحضرية في الحجاز، والكسر دليل التحضر والرقة في معظم البيئات اللغوية، فهي حركة المؤنث في العربية، والتأنيث عادة محل الرقة، أو ضعف الأنوثة[١]، نقل السيوطي عن أبي محمد اليزيدي أن أهل الحجاز يقولون: (تركته بتلك العِدْوَة، وأوطأته عِشْوَة، ولي بك إسْوة، وَقِدْوَة، وتميمٌ تضمُّ أوائلَ الأربعة)[٢].

وبناء على ما سبق فإن القراءات الثلاثة السابقة المنسوبة لابن قطيب تتفق مع ما ورد – غالبًا – عن لهجة أهل الحجاز، في الألفاظ التي وردت بالضم والكسر.

وهذا القول عن تميم (أي: إيثارهم الضم) لا ينقضه ما ذكره منذ قليل أبو زيد الأنصاري من قول تميم: (فلانٌ كِبْرَةُ وَلَدِ أبيه: إذا كان أكْبَرَهُمْ)؛ حيث نقل الدكتور الجندي وغيره كثيرًا من الكلمات التي نطقت تميم فاءها بالضمّ[٣]، ولا يعقل أن يأتي مثال واحد فينقض ذلك كله.

وفَسَّرَ أحد المحدثين كلّ ما كان على شاكلة ما سبق بأنه بتأثير ظاهرة المخالفة بين الحركات، التي عدّها إحدى ثمرات قانون الاقتصاد في الجهد، فقال: (وعلى أساس المخالفة بين الحركات نفسِّرُ وجود المزدوجات والمثلثات اللفظية، حيث يَرِدُ اللفظ الواحد على بناءين أو على ثلاثة أبنية)[٤].

---

(١) ينظر: اللهجات العربية د. عبده الراجحي ص١٢٤، ١٢٥، في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس ٨١، ٨٢، ٨٥، اللهجات العربية في التراث١/ ٢٥٢، خصائص لهجتي تميم وقريش ١٣٣، ١٣٨، لهجة قبيلة أسد، علي ناصر غالب ١٣٤، ١٣٥، اللهجات العربية في قراءات الكشاف للزمخشري، د. عبد المنعم عبد الله حسن ٣٩٢ – ط – الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م، اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة ص٢٠٤، ٢٠٥.

(٢) المزهر ٢/ ٢٧٧، ولفظتا: العدوة، وعشوة، ضُبِطتا هناك بفتح فاء الكلمة فيهما، ولعل الصواب: الكسر، كما ضُبِطتا: إسْوة، وَقِدْوَة.

(٣) ينظر: اللهجات العربية في التراث ١/ ٢٥٢ وما بعدها، اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة ص٢٠٤، ٢٠٥.

(٤) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، ص٣٩٨ – ط – الأولى ١٤٢٥هـ =

ثانيًا: بين الفتح والكسر:

- ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

قال الصغاني (ت ٦٥٠هـ): (وقرأ الحسن البصري، وقَتَادَةَ، وأَبو رَجَاءٍ، والشَّعْبِيُّ، وسعيدُ بن جُبَيْرٍ، وثابتٌ البُنَانِيُّ، ومُجَاهِدٌ، والزُّهْرِيُّ، والأَعْرَجُ، وابنُ كَثِيرٍ، وابنُ مُحَيْصِنٍ، وعَوْفُ بن أَبِي جَمِيلَةَ، ومحمد اليَمَانِيّ، ويزِيدُ بنُ قُطَيْبٍ: ﴿قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا﴾، قال أبو زَيْدٍ: أَي أَمْرَضَهَا وأَذَابَهَا، وقَرَأَ ثَابِتٌ البُنَانِيُّ - أيضًا -: ﴿قَدْ شَعِفَهَا﴾- بكسر العين - بمَعْنَى: عَلِقَهَا حُبًّا وعَشِقَهَا)[2].

ففي النص السابق بيان بأن في (شعفها) قراءتين: إحداهما: بفتح العين، والأخرى: بكسرها، كما يستفاد منه أن بين القراءتين فرقًا في المعنى، فعلى القراءة بالفتح يكون معنى ﴿شعَفَها﴾: بَطَنَهَا حُبًّا، أو أمرضها وأذابها، أما ﴿شَعِفَهَا﴾ – بكسر العين – فمعناها: عَلِقَهَا حُبًّا وعِشْقًا.

وعلَّقَ أبو حاتم (ولعله أبو حاتم السجستاني ت٢٥٥هـ) على القراءتين

=

٢٠٠٤م – عالم الكتب الحديث – الأردن.

(١) سورة يوسف: ٣٠.

(٢) العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف الفاء)، للحسن بن محمد الصغاني ٣٢٣ (ش ع ف) تحقيق السيخ محمد حسن آل ياسين – ط – ١٩٨١م – دار الرشيد للنشر – منشورات وزارة الثقافة والإعلام – الجمهورية العراقية، وينظر: تاج العروس ٢٣/ ٥١٤ (ش ع ف)، والقراءة = =– دون نسبة لابن قطيب - في: الإتحاف ٢/ ١٤٥، الكامل، للهذلي ص٥٧٦، المحتسب ١/ ٣٣٩، شواذ القراءات، للكرماني ٢٤٥، إعراب القراءات الشواذ، للعكبري ١/ ٦٩٦، معاني القرآن، للفراء ٢/ ٤٢، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٣/ ١٠٥، المحرر الوجيز ٥/ ٧٦، الكشاف ٣/ ٢٧٦، البحر المحيط ٥/ ٣٠١، البسيط ١٢/ ٨٩، الدر المصون ٦/ ٤٧٦، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح القاضي ص٥٦.

السابقتين بقوله: (المعروف فتح العين، وهذا قد قرئ به)[١]، ولعل أبا حاتم يقصد أن المعروف في اللغة شَعَفَ بفتح العين، وإذا كان أبو حاتم لا يعرف (شَعِفَ) – بكسر العين – فقد عرفها غيره، قال العكبري (ت ٦١٦هـ) عن قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا﴾: (يقرأ بالغين المعجمة، مفتوحة ومكسورة، وهما لغتان... ويقرأ بالعين فَتْحًا وكَسْرًا، وهما لغتان – أيضًا – أي: بَلَغَ أعلى قلبها)[٢]، فالعكبري يرى أن (شَعف) – بفتح العين وكسرها – من قبيل اختلاف اللهجات، وأنهما بمعنى واحد.

وإذا كانا بمعنى واحد فهذا معناه أنّ الإبدال وقع – هنا – بين الفتح والكسر.

ولم أعثر – عند أحد ممن رجعت إليهم – على نسبة القراءتين أو إحداهما إلى قبيلة من القبائل، لكن نسب أبو حيان والسمين الحلبي القراءة بالغين المعجمة مع الكسر (شَغِفَها): إلى تميم[٣]، فهذا يمكن الاستئناس به في بيان نسبة القراءة بالكسر.

ويمكن – كذلك – الاستئناس بما ذكره اثنان من الباحثين المحدثين، فقد ذهبا إلى أن القبائل البدوية – ومنها: تميم، وأسد، وأهل نجد – تميل إلى الكسر، وهو الأمر الذي يتناسب مع طبائعهم، التي لا تنفر من الخشونة، أما أهل الحجاز – وهم أهل حَضَرٍ – فيميلون إلى الفتح، لما فيه من خفة ويُسْر[٤]، مع ملاحظة أن هذه ليست قاعدة مطردة.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٧٦.

(٢) إعراب القراءات الشواذ، للعكبري ١/ ٦٩٦، وهذا يدفع ما ذهب إليه أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) في قوله: (وحُكِيَ: «قد شَغِفَها» – بكسر الغين – ولا يُعرف في كلام العرب إلا «شَغَفَها» بفتح العين). إعراب القرآن، للنحاس ٣/ ٣٢٥.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٥/ ٢٩٩، الدر المصون ٦/ ٤٧٦، وهذا يدفع – كذلك – ما ذهب إليه أبو جعفر النحاس في الهامش السابق.

(٤) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي ص١٢٠، لهجة قبيلة أسد، علي ناصر غالب ص١٣٨.

المطلب الثالث

حذف الصائت

١- **قال تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾(١).

قال الصغاني (ت ٦٥٠هـ): (وقد يُقال: نِجْسٌ – بالكسر – في غير إتباعٍ لِرِجْس، ومنه قراءة الحسن بنِ عمران، ونُبَيحٍ، وأبي واقد، والجرَّاحِ، وابنِ قُطَيْبٍ: ﴿إنَّما المشركون نِجْسٌ﴾)(٢).

سبق الحديث عن هذه القراءة عند الكلام عن الإتباع، وقلت هناك: إنّ كلمة (نِجْس) أصلها: (نَجِس) على وزن: (فَعِل)، ثم أُتْبعت فيها الفاءُ العينَ، فصارت: (نِجِس)، على وزن: فِعِل - بكسر الفاء والعين – ثم خُفِّفَت العين بالإسكان فصارت: (نِجْس)، على فِعْل – بكسر فسكون، وعلى ذلك فقد مرت الكلمة بمرحلتين:

الأولى: الإتباع، ولا يخفى أن الإتباع – هنا – حركيّ، حيث كُسرت فاء الكلمة إتباعًا لكسر العين، وهو من قبيل الإتباع الرَّجعي، حيث تأثر الصوت الأول

---

(١) سورة التوبة: ٢٨.

(٢) التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، للصغاني ٣/ ٤٣٤ (ن ج س) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – ط – ١٩٧٣م – مطبعة دار الكتب- القاهرة، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي ٥/ ١٨ تحقيق أ/ عبد العليم الطحاوي - ط - ١٤١٢هـ ١٩٩٢م – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، تاج العروس ١٦/ ٥٣٤ (ن ج س)، واقتصر الكرماني في نسبتها على الحسن بن عمران، ينظر: شواذ القراءات، للكرماني ٢١٢، ونُسبت إلى أبي حيوة في: المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٦، والبحر المحيط ٥/ ٢٩، واللباب، لابن عادل ١٠/ ٦٠، والقراءة دون نسبة في: الكشاف، للزمخشري ٣/ ٣١.

بالصوت الثاني، أي أنّ التأثير – هنا – من اللاحق على السابق، وسبق الحديث عن ذلك هناك(١).

الثانية: التخفيف، حيث خُفِّفَت العين بالإسكان، أي بحذف الصائت، فصارت: (نِجْس)، على فِعْل – بكسر فسكون.

٢-﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾(٢).

قال الزَّبيديّ: (والسَّبُع، بضمِّ الباء، وعليه اقْتَصرَ الجَوْهَرِيّ، وفَتحِها، وبه قرأ الحسَنُ البَصْريُّ، ويَحْيَى، وإبراهيمُ «وما أَكَلَ السَّبعُ» قال الصَّاغانِيّ: فَلَعَلَّها لغةٌ، **وسُكونِها، وبه قَرَأَ** عاصِمٌ، وأبو عمروٍ، وطَلْحَةُ بنُ سُلَيْمان، وأبو حَيْوَةَ، **وابنُ قُطَيْبٍ**: المُفتَرِسُ من الحَيَوانِ، مثلُ الأسَدِ والذِّئبِ والنَّمِر والفَهد، وما أَشْبَهها ممّا له نابٌ، ويَعْدُو على الناسِ والدّوابِّ فَيَفْتَرِسُها)(٣).

وعلى ذلك فالقراءة: ﴿والسَّبْعُ﴾ – بإسكان الباء – منسوبة إلى مجموعة من القُرَّاء منهم يزيد بن قطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفيها تم حذف الصائت القصير، وهو – هنا– الضمة.

وقد عرفت بعضُ اللهجات العربية حذفَ الصائت، ذلك أن تجاور الأصوات سواء أكانت متماثلة أم متقاربة يؤثر بعضها في بعض، وهذا ما دفع بعض اللهجات العربية إلى حذف أحد الصوتين المتجاورين طلبًا للخفة، سواء أكان المحذوف صامتًا أم صائتًا، وقد يكون الصائت جزءًا من الشكل في بنية الكلمة، وقد يكون ذا

---

(١) ينظر: ص٢١ من هذا البحث.

(٢) سورة المائدة: ٣.

(٣) تاج العروس ٢١/ ١٦٧، ١٦٨ (س ب ع)، والقراءة نسبها ابن خالويه إلى: هارون عن أبي عمرو، والمعلى عن عاصم. ينظر: مختصر في شواذ القرآن ٣٧.

وظيفة إعرابية[١].

وعقد سيبويه بابًا لهذه الظاهرة وأرجع العلة فيها إلى التخفيف، ونسبها إلى بعض القبائل، فقال: (هذا باب ما يُسَكَّن استخفافًا وهو في الأصل متحرك، وذلك قولهم في فَخِذٍ: فَخْذٌ، وفي كَبِدٍ: كَبْدٌ، وفي كَرُمَ الرَّجُلُ: كَرْمَ، وفي عَلِمَ: عَلْمَ، وهي لغة بكر بن وائل، وأناس كثير من بني تميم... وإنما حَمَلَهُم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوحُ أخفُّ عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخفِّ إلى الأثقل... وإذا تتابعت الضمتان فإنّ هؤلاء يخففون أيضًا... وذلك قولك: الرُّسْلُ، والطُّنْبُ، والعُنْقُ، تريد: الرُّسُل، والطُّنُب، والعُنُق... وكذلك الكسرتان تُكْرَهان عند هؤلاء كما تُكْرَه الياءان في مواضع، وإنما الكسرة من الياء، فكرهوا الكسرتين كما تُكْرَه الياءان، وذلك في قولك في إِبِلٍ: إِبْلٌ)[٢].

ففي النص السابق يوضح سيبويه أن بعض العرب يحذفون الصائت إذا كان كسرة أو ضمة، وذلك من أجل التخفيف.

ومما ورد في القراءات القرآنية بالإسكان بدلاً من الكسر، أي: بحذف الصائت المكسور: قراءة بعضهم: (والسماء ذات الحِبْكِ) قال العكبري: (ويقرأ بكسر الحاء والباء، مثل: إِبِلٍ وإِطِلٍ[٣]، وهو لغة، ويقرأ كذلك إلا أنه بسكون الباء، وهو من تخفيف المكسور)[٤].

---

(١) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي ص ١٥٣.

(٢) الكتاب، لسيبويه ٤/ ١١٣: ١١٥ (باختصار). تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون – ط – الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م – الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة – دار الرفاعي بالرياض.

(٣) الإطل: مُنْقَطَع الأَضلاع من الحَجَبة وقيل القُرْبُ وقيل الخاصرةُ كلها. لسان العرب ١/ ٩٣ (أ ط ل).

(٤) إعراب القراءات الشواذ، للعكبري ٢/ ٥١٢، قرأ أبو مالك الغفاري والحسن بخلاف عنه بكسر الحاء والباء، وأبو مالك الغفاري والحسن - أيضًا – وأبو حيوة بكسر الحاء وإسكان =

قال ابن جني في تعليقه على هاتين القراءتين: (وأما «الحِبك» فَعِل، وذلك قليلُ، منه: إبِلٌ، وإطِلٌ، وامرأة بِلِزٌ[١]، وبأسنانه حِبِرٌ[٢]، وأما «الحِبْك» فمخففٌ منه، كإبْل، وإطْل)[٣].

ومنه كذلك قراءة الأصمعي عن أبي عمرو: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبْل﴾[٤] بإسكان الباء[٥].

وعلَّق العكبري على هذه القراءة بقوله: (وهو من تخفيف المكسور)[٦].

أما إذا كان الصائت فتحة فلا حذف حينئذٍ، يقول سيبويه: (وأما ما توالت فيه الفتحتان فإنهم لا يُسَكِّنون منه؛ لأنّ الفتح أخفُّ عليهم من الضمّ والكسر، كما أنّ الألفَ أخفُّ من الواو والياء... وذلك نحو: جَمَلٍ، وحَمَلٍ ونحو ذلك)[٧].

وأشار أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) إلى هذه الظاهرة وذلك عند حديثه عن قراءة أبي عمرو بن العلاء (ت١٥٥هـ) والكسائي (ت١٨٩هـ) (هو وهي) بالتخفيف وإسكان الهاء إذا سُبِقَ أحد هذين الضميرين بالواو أو الفاء أو اللام، وأضاف الكسائي: (ثُمَّ)، قال أبو علي: (ومثْل تخفيف فَهْوَ وَلَهْوَ... قولهم: أراكَ مُنْتَفْخًا، لَمَّا

=

الباء، وهو تخفيف فَعِل المكسور. ينظر: البحر المحيط ٨/ ١٣٣، مختصر في شواذ القرآن ص١٤٥، ١٤٦، المحتسب ٢/ ٢٨٦، الكشاف ٥/ ٦١٠.

(١) أي: ضخمة مكتنزة. لسان العرب ١/ ٣٤٣ (ب ل ز).

(٢) الحِبِرَة: صُفْرة تَشُوبُ بياضَ الأَسْنَان. لسان العرب ٢/ ٧٥٠ (ح ب ر).

(٣) المحتسب، لابن جني ٢/ ٢٨٧.

(٤) سورة الغاشية: ١٧.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٨/ ٤٥٩، شواذ القراءات، للكرماني ص٥١١، مختصر في شواذ القرآن ص١٧٣.

(٦) إعراب القراءات الشواذ، للعكبري ٢/ ٧٠٢.

(٧) الكتاب ٤/ ١١٥.

كان تَفِخًا مثل: كَتِفٍ خُفِّفَ)[١].

كما أشار ابن جني – أيضًا – إلى هذه الظاهرة حيث ذكر أنّ ما كان متحركًا من الحروف ثمّ أُسْكن يأتي على (ضربين: متصل ومنفصل، فالمتصل: ما كان ثلاثيًّا مضموم الثاني أو مكسوره، فلك فيه الإسكان تخفيفًا، وذلك كقولك في عَلِمَ: قد عَلْمَ، وفي ظَرُفَ: قد ظَرْف، وفي رَجُلٍ: رَجْلٌ، وفي كَبِدٍ: كَبْدٌ... وقد سُمِعَ شيء من هذا الإسكان في المفتوح، قال الشاعر[٢]:

ومَا كُلُّ مبتاعٍ ولو سَلْفَ صَفْقُهُ بِرَاجِعِ ما قَدْ فاتَهُ بِرِدَادِ

وقد جاء هذا فيما كان على أكثر من ثلاثة أحرف، قال العجّاجُ[٣]:

فَبَاتَ مُنْتَصْبًا وَمَا تَكَرْدَسَا

وحكى صاحب الكتاب: أراك مُنْتَفْخًا...

وأما المنفصل فإنه شُبِّه بالمتصل... وعليه قراءة بعضهم: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ﴾[٤][٥]، وذلك أنّ قوله: (تَقِ وَ) بوزن: عَلِمَ، فأسْكَنَ، كما

---

(١) الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي ١/ ٤٠٨ تحقيق بدر الدين قهوجي، وبشير حويجاتي – ط – الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م – دار المأمون للتراث – دمشق.

(٢) البيت للأخطل في ديوانه ص٨٤ والرواية فيه: (وما كل مغبون) بدلاً من: (وما كل مبتاع) ينظر: ديوان الأخطل، شرحه وصنف قوافيه/ مهدي محمد ناصر الدين – ط – الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

(٣) ديوان العجاج رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه ص١٦١ تحقيق الدكتور/ عزة حسن – ط – ١٤١٦هـ ١٩٩٥م – دار الشرق العربي بيروت – لبنان/ حلب – سورية، والرواية هناك: (مُنْتَصًّا) بدلاً من (مُنْتَصْبًا)، وذكر الشارح أنّ منتصًّا معناها: مُنْتَصِبًا، والمُكَرْدَسُ: الذي قد رمى بنفسه.

(٤) سورة يوسف: ٩٠.

(٥) قال ابن مجاهد: (قرأ ابن كثير وحده: [إنه من يتقي ويصبر] بياء في الوصل والوقف فيما قرأت على قنبل، وقرأ الباقون بغير ياء في وصل ولا وقف). السبعة، ص٣٥١، وينظر: الإتحاف ٢/ ١٥٣.

يقال: عَلْم)[١].

فابن جني يذكر أن بعض القبائل كانت تحذف الصائت إذا كان كسرة أو ضمة تخفيفًا، لكنه ذكر – كذلك – أنه سُمِعَ حذفُ الصائت المفتوح، واستدلّ على ذلك بما جاء في شعر الأخطل (ومَا كُلُّ مبتاعٍ ولو سَلْفَ صَفْقَهُ...)، لكننا إذا دققنا النظر سنجد أن ما جاء في قول الأخطل من قبيل الضرورة الشعرية، حيث إنّ البيت من البحر الطويل (عروضه مقبوضة وضربها محذوف) ولو تحركت اللام من كلمة (سلف) لانكسر الوزن، وبذلك يتبين لنا أن ما ذهب إليه سيبويه من أنّ ما توالت فيه الفتحتان فإنّ العرب لا يُسَكِّنون منه؛ لأنّ الفتح أخفُّ عليهم من الضمّ والكسر[٢]، المقصود به حال الاختيار، أما الشعر فقد يحدث فيه التخفيف (حذف الصائت) عند توالي الفتحتين وذلك للضرورة الشعرية.

كما ذكر ابن جني أنّ حذف الصائت جاء فيما كان على أكثر من ثلاثة أحرف، واستدل على ذلك بعدة أمثلة، منها: ما حكاه سيبويه من قول بعضهم: أراك مُنْتَفْخًا، وقول العجّاجُ: فَبَاتَ مُنْتَصْبًا وَمَا تَكَرْدَسَا[٣]

لكن بالرجوع إلى ديوان العجاج نجد أن للبيت روايةً أخرى وهي: (مُنْتَصًّا)[٤] ومعناها: مُنْتَصِبًا، كما قال الشارح[٥]، وعلى هذه الرواية لا شاهد في

---

(١) الخصائص، لابن جني ٢/ ٣٣٨، ٣٣٩.

(٢) ينظر: الكتاب ٤/ ١١٥.

(٣) ديوان العجاج رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه ص١٦١ تحقيق الدكتور/ عزة حسن – ط – ١٤١٦هـ ١٩٩٥م – دار الشرق العربي بيروت – لبنان/ حلب – سورية، والرواية هناك: (مُنْتَصًّا) بدلاً من (مُنْتَصْبًا)، وذكر الشارح أنّ منتصًّا معناها: مُنْتَصِبًا، والمُكَرْدَسُ: الذي قد رمى بنفسه. وقال الأزهري: وانتصَّ الشيءُ وانتصَبَ: إذا استوى واستقام، قال الراجز: فَبَاتَ مُنْتَصْبًا وَمَا تَكَرْدَسَا. التهذيب ١٠/ ١١٧ (ن ص).

(٤) ينظر: ديوان العجاج ص١٦١، التهذيب ١٠/ ٤٢٣ (ك ر د س)، ١٠/ ١١٧ (ن ص).

(٥) ينظر: ديوان العجاج رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه ص١٦١.

البيت، أما الرواية التي ذكرها ابن جني ففيها تخفيف بالإسكان لكنه للضرورة الشعرية، فالبيت من مشطور الرجز، ولو تحركت الصاد من كلمة (مُنْتَصْبًا) لانكسر الوزن، لكن مع ذلك يبقى ما حكاه سيبويه شاهدًا على جواز التخفيف فيما زاد على ثلاثة أحرف.

وذهب مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) إلى أن التخفيف بحذف الصائت (لغةٌ مشهورةٌ مستعملةٌ)[١].

ومما سبق يتضح لنا أن هذا التخفيف لغة تنسب إلى بكر بن وائل، وأناس كثير من بني تميم، وهؤلاء من القبائل البدوية، ولعل سبب ميل هذه القبائل إلى هذا النوع من التخفيف أن قبائل البادية تميل إلى السرعة والاقتصاد في المجهود العضلي، وهذا الحذف يوفر لهم ذلك؛ إذ يؤدي دورًا بارزًا في سرعة النطق، ولعل هذه القبائل كانت تميل إلى المقاطع المغلقة، وإلى النبر في مكان بعينه، في حين مالت البيئة الحضرية – وتمثلها لهجة الحجاز – إلى التأني في الكلام بحيث تعطي كل صوت حقه، لذا اتسمت هذه اللهجات بالحفاظ على توالي الصوائت، ولم تقم بحذفها كما فعلت القبائل البدوية[٢].

---

(١) الكشف ١/ ٢٣٤.

(٢) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي ص١٥٧، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ص١٥٦، ٢٠٥، ٢٠٦.

المبحث الثاني
الدراسة الدلالية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الترادف والفروق اللغوية.

المطلب الثاني: الالتفات.

المطلب الأول
الترادف والفروق اللغوية

التحليل اللغوي لقراءة يزيد بن قطيب لا يقتصر على الجانب الصوتي فقط؛ إذ تشتمل القراءة على أمثلة تحتاج إلى تحليل دلالي، سواء ما كان منها منتميًا إلى الترادف، أو الفروق اللغوية، أو غير ذلك من التوجيهات الدلالية.

أ- بين (شَغَفَهَا حُبًّا) و(شَعَفَها حُبًّا):

- **قال تعالى**: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

في قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قراءات أشرتُ إلى بعضها سابقًا، منها ما نُسب إلى يزيد بن قطيب وغيره: (قد شَعِفَها)، وتحدثت – فيما سبق – عن وقوع الإبدال بين الفتح والكسر[2]، أما الحديث – هنا – فعن قراءة الجمهور (شغَفَها) وقراءة يزيد بن قطيب: (شَعِفها)، أي عن الشعف – بالعين المهملة، والشغف – بالغين المعجمة-.

---

(١) سورة يوسف: ٣٠.

(٢) ينظر: ص٣١ وما بعدها من هذا البحث.

ذكر اللغويون عددًا من الأقوال في بيان معنى (شَغَفَها) و(شَعَفَها)، وتدور الأقوال جميعها حول معنى تمكُّن الحب من القلب، وهل هذا التمكُّنُ على درجة واحدة؟ أم أنه على درجتين إحداهما أقوى من الأخرى؟ لذا اتجهت بعض هذه الأقوال إلى القول بالترادف، وبعضها ذهب إلى وجود فرق في المعنى بين اللفظين.

فمن الأقوال التي تذهب إلى القول بالترادف ما نقله الأزهري (ت ٣٧٠هـ) عن (سلمة عن الفراء عن الدُّبيرية قالت: يقال: أَلْقَى عليه شَعَفَه، وشَغَفَه، ومَلَقَه، وحُبَّه، وحُبَّتَه، وبِشْرَه بمعنى واحد)[١]، فهذا القول صريح بأن معنى اللفظين (شغف وشعف) واحد.

ومن هذا المَنْحَى تلك الأقوال التي فسرت اللفظين بالإصابة، فقالوا: الشَّغَافُ: غلافُ القلب، وشَغَفَه: أصاب شَغَافه، كَكَبَدَه: أصاب كبده، ومعنى قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي: أصاب حُبُّه شَغَافَها[٢].

والمعنى نفسه فُسِّرَ به الشَّعَف – بالعين المهملة – حيث قالوا: وشَعْفَةُ القلبِ: رأسُه عند مُعَلَّق نِيَاطِه، والمشعوفُ: هو الذي أُصيبتْ شَعْفَةُ قلبه بِحُبٍّ أو ذُعْرٍ أو جُنون، وشَعَفَني حُبُّهَا: أصاب ذلك مني[٣].

وفُسِّر اللفظان بملابسة الحُبِّ القلبَ[٤]، أو بأنه غطّى القلبَ، فقيل إن معنى (شَغَفَها حُبًّا): غَشِيَ القلبَ حُبُّهَا[٥]، وقالوا عن معنى (شَعَفَ): (شَعَفَنِي حُبُّه،

---

(١) تهذيب اللغة ١/ ٤٣٩ (ش ع ف).

(٢) ينظر: العباب (حرف الفاء)، للصغاني ٣٢٥ (ش ع ف)، تهذيب اللغة (المستدرك على الأجزاء السابع والثامن والتاسع) ص١٧٥ (ش ع ف)، اللسان ٤/ ٢٢٨٠ (ش ع ف)، ٤/ ٢٢٨٥ (ش غ ف).

(٣) ينظر: العباب (حرف الفاء) ٣٢٤، المحكم ١/ ٣٧٧، اللسان ٤/ ٢٢٨٠ (ش ع ف).

(٤) قال ابن منظور: (وغَشِيَ الشيء: إذا لابَسَهُ). اللسان ٥/ ٣٢٦٢ (غ ش ا).

(٥) العين، للخليل بن أحمد ٤/ ٣٦٠، اللسان ٤/ ٢٢٨٥ (ش غ ف).

وشُعِفْتُ به وبحبه: أي غَشِيَ الحبُّ القلبَ من فوق)[١]، ويلاحظ – هنا – زيادة عبارة (من فوق) وهذا راجع إلى تفسيرهم الشَّعَف برؤوس الجبال، وأنّ شَعَفَة القلبِ هي: رأسه عند مُعَلَّق نِيَاطِه[٢].

وهناك فريق آخر ذهب إلى وجود فرق بين (شغفها وشعفها)، لكنهم اختلفوا في ماهية هذا الفرق.

فالماوردي (أبو الحسن علي بن محمد البصري: ت٤٥٠هـ) ذكر قولين في الفرق بين القراءتين: شعفها وشغفها، ونسب الأول منهما إلى الشعبي (عامر بن شراحيل الكوفي ت١٠٥هـ) وهو (أن الشغف - بالغين معجمة – هو: الجنون، وبالعين - غير معجمة – هو: الحب)[٣]، لكن السمين الحلبي نسب قولاً للشعبي على عكس ذلك، حيث نسب إليه أنّه قال: (الشغف والمشغوف – بالغين منقوطة – : في الحبّ، والشعف: الجنون، والمشعوف: المجنون)[٤].

ولعل هذا الخلاف في النقل عن الشعبي يرجع إلى أنّ بعض اللغويين كان يرى أن المشغوف: المجنون كالمشعوف[٥]، وذكر الأزهري وابن منظور أنّ (أهل هَجَر يقولون للمجنون: مشعوف)[٦]، وإذا صح ذلك كان اللفظان من باب الترادف، لذا لا أعتدّ بهذا القول.

أما القول الثاني الذي ذكره الماوردي فقد نسب إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت٦٨هـ) أن الشغف: الحب القاتل، والشعف: دونه، وأنشد الماوردي قول أبي

---

(١) ينظر: العين ١/ ٢٦٠، العباب (حرف الفاء) ٣٢٣ (ش ع ف).

(٢) ينظر: العين ١/ ٢٦٠، المحكم ١/ ٣٧٧، العباب (حرف الفاء) ٣٢٢، ٣٢٣ (ش ع ف).

(٣) ينظر: النكت والعيون، للماوردي ٢/ ٢٥٥.

(٤) الدر المصون ٦/ ٤٧٧.

(٥) ينظر: العباب، للصاغاني (حرف الفاء) ص٣٢٦ (ش غ ف).

(٦) تهذيب اللغة ١/ ٤٣٩، لسان العرب ٤/ ٢٢٨٠ (ش ع ف).

ذؤيب الهذلي:

فلا وجْدَ إلا دُون وجْدٍ وجَدته أصاب شغافَ القلب والقلبُ يشغف[١]

ونَسَبَ السمينُ الحلبيُّ قولاً لابن زيد (عبد الرحمن بن زيد المدني ت١٨٢هـ) يذهب فيه إلى أنّ الشغف – بالغين المعجمة – في الحبّ، بينما الشعف في البغض[٢]، وهذا القول تردُّه القراءة القرآنية التي معنا: (قد شعفها حبًّا).

وذكر أبو عبيد فرقًا بين الشعف والشغف فقال: (والشَّغَفُ: أن يبلغ الحُبُّ شَغَاف القلب، وهو جلدة دونه. والشَّعَفُ: إحراقُ الحُبِّ القلبَ مع لذّةٍ يجدها، وهو شبيه باللوعة، ومنه قيل: مشعوف الفؤاد، وهو عِشْقٌ مع حُرْقَةٍ، ومنه قول امرئ القيس:

لِتَقْتُلَنِي وقد قَطَرْتُ فؤادَها كَمَا شَعَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي)[٣].

وفي قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قول أبي عبيد، بيان للفرق بين اللفظين، لكن على نحوْ مختلف، فابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يرى أن الشَّغَفَ – بالغين المعجمة – أقوى

---

(١) ينظر: النكت والعيون ٢/ ٢٥٥، وبيت أبي ذؤيب لم أعثر عليه في شرح أشعار الهذليين، للسكري.

(٢) الدر المصون ٦/ ٤٧٧.

(٣) الغريب المصنف، لأبي عبيد ١/ ١٥٣ تحقيق الدكتور محمد المختار العبيدي – ط- الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٦م – دار مصر للطباعة – القاهرة – الناشر المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون – دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، وبيت امرئ القيس في ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري ١/ ٣٣٥ دراسة وتحقيق د/ أنور عليان أبو سويلم، د/ محمد علي الشوابكة – ط- الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م – إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ – العين – الإمارات العربية المتحدة. وللبيت هناك روايات متعددة، فقد رُوِيَ: (قطرت... كما قطر)، (شغفت... كما شغف)، (شعفت... كما شعف)، وينظر قول أبي عبيد في معنى (الشعف) في: التهذيب ١/ ٤٣٩، المحكم ١/ ٣٧٧، اللسان ٤/ ٢٢٨٠ (ش ع ف).

من الشَّعَف – بالعين المهملة–، بينما يفهم من كلام أبي عبيد أن الشَّعَفَ أقوى من الشَّغَف، إذ الشَّعَفُ – بالعين المهملة – تصحبه حُرْقَةٌ ولذَّةٌ، بينما الشَّغَف – بالغين المعجمة – تقتصر دلالته على بلوغ الحُبِّ شَغَاف القلب.

ومع أنّ لكل من القولين وجهًا فلعلّ قولَ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أقربُ إلى الدقّة، فالشَّعَفَةُ: رأس الجبل، وشَعْفَةُ القلبِ: رأسُه عند مُعَلَّق نِيَاطِه، يقال: شَعَفَني حُبُّه وشُعِفْتُ به وبحبه: أي غَشِيَ الحُبُّ القلبَ من فوق[١]، فالشَّعَف تَمَكُّنُ الحُبِّ من أعلى القلب، لذا قال الصغاني: (والتركيب يدل على أعالي الشيء ورأسه)[٢].

أما الشَّغَافُ فغِلاف القلب، وقيل: سُوَيْداء القلب، وقيل: داء يأخذ تحت الشراسيف من الشِّقّ الأيمن[٣]، لذا عبر الفراء عن معنى (شغفها حُبًّا) بقوله: (خرق شَغَاف قلبها)[٤]، وقال الزجاج: (بلغ حُبُّهُ إلى شَغَاف قلبها)[٥]، وعبر عنه ابن سيده بوصول الحُبِّ إلى شَغَاف القلب[٦]، وهذا معناه أن الحُبّ من شدته نَفَذَ إلى أعماق القلب، وهذا أدَلُّ على تمكنه من قلبها، وسيطرته عليها، حتى كأنها لا ترى غيره.

---

(١) ينظر: العين، للخليل ١/ ٢٦٠، الصحاح، للجوهري ٤/ ١٣٨١، المحكم ١/ ٣٧٧، العباب (حرف الفاء) ٣٢٣ (ش ع ف)، معاني القرآن، للفراء ٢/ ٤١، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٣/ ١٠٥.

(٢) العباب (حرف الفاء) ٣٢٥ (ش ع ف).

(٣) ينظر: العباب (حرف الفاء) ٣٢٥ (ش غ ف)، والقول الثالث نسبه الصغاني لأبي عبيد، ولم أعثر عليه في كتاب الأمراض من كتابه: (الغريب المصنف) ١/ ٢٢٩: ٢٣٩، والشراسيف: مَقَاطُّ الأضلاع، وهب أطرافها التي تشرف على البطن، ويقال: الشُّرْسُوفُ: غضروفٌ مُعَلَّقٌ بكل ضِلَعٍ مثل غضروف الكتف. الصحاح ٤/ ١٣٨١ (ش ر س ف).

(٤) معاني القرآن، للفراء ٢/ ٤١.

(٥) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٣/ ١٠٥.

(٦) ينظر: المحكم ٥/ ٣٩٦ (ش غ ف).

وإذا كان معنى قراءة (شغفها) أدقُّ، فليس معنى ذلك أنه يمكن الاستغناء عن معنى قراءة ابن قطيب: (شعفها)، فالقراءتان تتعاونان معًا في إبراز المعنى وتوضيحه، فإذا كانت القراءة (شغفها) تدلّ على تمكن الحُبِّ من أعماق القلب، فإنّ القراءة (شعفها) تدلّ على تمكن الحُبّ من أعلى القلب، وبذلك تتعاون القراءتان في بيان معني تمكن الحب من قلب المرأة أعلاه وأعماقه، وهذا هو الذي جعلها تطلب من نبيّ الله يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما طلبت.

ب- بين نَزَّلَ وأَنْزَلَ:

- **قال تعالى:** ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1].

قرأ يزيد بن قطيب: («مِمَّا أَنْزَلْنَا عَلَى عِبَادِنَا» من الإنزال، وجَمْع: عَبْد)[2].

في القول الكريم السابق قراءتان لابن قطيب:

الأولى: (أَنْزَلْنَا) بالهمزة، بدلاً من: (نَزَّلْنا) بالتضعيف.

الثانية: (عِبَادِنَا) بالجمع، بدلاً من: (عَبْدِنَا) بالإفراد.

أما عن القراءة الأولى فذهب سيبويه إلى أن نَزَّلَ وأَنْزَلَ بمعنى واحد، فقال: (وقد يجيء الشيء على فعَّلْتُ فيشرك أَفْعَلْتُ، كما أنهما قد يشتركان في غير هذا؛ وذلك قولك: فَرِحَ وفَرَّحْتُهُ، وإن شئت قلت: أَفْرَحْتُهُ... ومثل أَفْرَحْتُ وَفَرَّحْتُ: أَنْزَلْتُ ونزَّلت، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لولا أُنْزِلَ عليه آيةٌ من رَبِّهِ قُلْ إنَّ الله قادرٌ على أنْ يُنَزِّلَ آيةً﴾)[3].

---

(١) سورة البقرة: ٢٣.

(٢) شواذ القراءات، للكرماني ٥٥، المحرر الوجيز ١/ ١٤٧، البحر المحيط ١/ ٢٤٤، والقراءة غير منسوبة في: إعراب القراءات الشواذ ١/ ١٣٥.

(٣) الكتاب، لسيبويه ٤/ ٥٥، ٥٦.

وذهب ابن سيده إلى أن تَنَزَّلَ وأَنْزَلَ ونَزَّلَ بمعنى واحد(١).

لكن سيبويه نَسَبَ إلى أبي عمرو أنه كان يُفرق بين نَزَّلَ وأَنْزَلَ، ولم يذكر وجْه هذا الفرق(٢).

وذهب الزمخشري إلى وجود فرق بين صيغتي: (نَزَّل وأَنْزَلَ)، حيث تفيد صيغة التضعيف: (نَزَّلَ) في هذا الموطن نزولَ القرآن الكريم على سبيل التدريج والتنجيم، بخلاف صيغة (أَنْزَلَ) فإنها تفيد نزولَه جملة واحدة(٣).

ورَأْيُ الزمخشري مبنيٌّ على أن صيغة فَعَّلَ بالتضعيف أفادت – هنا – التكثير، بخلاف الهمزة في (أَفْعَلَ) فإنها تفيد التعدية(٤).

وذهب العكبري (ت٦١٦هـ) إلى أنّ نزَّلَ وأنْزَلَ بمعنى واحد، ولم يزد على هذا القول(٥).

وخالف أبو حيان ومَنْ تَبِعَهُ الزمخشريَّ فيما ذهب إليه، ورأوْا أن الصيغتين بالتضعيف والهمز (نزَّل وأنزل) – هنا – من باب الترادف، فهما بمعنى واحد وهو:

---

(١) ينظر: المحكم، لابن سيده ٩/ ٤٥، لسان العرب ٦/ ٤٣٩٩، تاج العروس ٣٠/ ٤٧٨ (ن ز ل).

(٢) ينظر: الكتاب، لسيبويه ٤/ ٦٣، المحكم، لابن سيده ٩/ ٤٥، لسان العرب ٦/ ٤٣٩٩، تاج العروس ٣٠/ ٤٧٨ (ن ز ل).

(٣) ينظر: الكشاف، للزمخشري ١/ ٢١٨.

(٤) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، للاستراباذي ١/ ٨٣، ٩٢ تحقيق محمد نور الحسن وآخرين – ط – ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، وفسَّر الاستراباذي معنى التعدية فقال: (المعنى الغالب في أَفْعَلَ تعديةُ ما كان ثلاثيًّا، وهي أن يجعل ما كان فاعلاً للازم مفعولاً لمعنى الجعل فاعلاً لأصل الحدث على ما كان، فمعنى أَذْهَبْتُ زيدًا: جعلت زيدًا ذاهبًا، فزيد: مفعول لمعنى الجعل الذي استفيد من الهمزة، فاعلٌ للذهاب كما كان في: ذَهَبَ زيدٌ...). شرح شافية ابن الحاجب ١/ ٨٦.

(٥) ينظر: إعراب القراءات الشواذ ١/ ١٣٥.

التعدية، إذ التضعيف في نزَّلْنا للنقل، وهو المرادف لهمزة النقل، وليس التضعيف هنا دالاً على نزوله منجمًا في أوقات مختلفة، خلافًا للزمخشري، واستدلَّ أبو حيان ومن تبعه بعدد من الأدلة(١):

أولها: قراءة يزيد بن قطيب: (مما أنزلنا) بالهمزة، وكذلك ورودُ القراءات بالوجهين في كثير مما جاء يدل على أنهما بمعنى واحد(٢).

ثانيها: أن تضعيف عين الكلمة المُعَبَّر عنه بالتكثير أو الكثرة إنما يكون – غالبًا – في الأفعال التي تكون قبل التضعيف متعدية، نحو: جَرَحْتُ زيدًا، وفَتَحْتُ البابَ، وقَطَعْتُ، وذَبَحْتُ، أما جَلَسَ، وقَعَدَ، فلا يقال: جلَّسْتُ، ولا قَعَّدْتُ، مُرادًا بهما التكثير، بمعنى أنه يفعل ذلك مَرَّةً بعد مَرَّةٍ؛ لأنهما من الأفعال اللازمة، ونزلنا لم يكن متعديًّا قبل التضعيف إنما كان لازمًا، وتعدِّيه إنما يفيده التضعيف أو الهمزة، فإن جاء في لازم فهو قليل، قالوا: ماتَ المالُ، ومَوَّتَ المالُ، إذا كثر ذلك فيه.

ثالثها: أن التضعيف الذي يراد به التكثير إنما يدل على كثرة وقوع الفعل، أما أن يجعل اللازمَ متعديًا فلا، ونَزَّلْنا قبل التضعيف كان لازمًا ولم يكن متعديًا، فيكون التعدي المستفاد من التضعيف دليلاً على أنه للنقل لا للتكثير، إذ لو كان للتكثير، وقد دخل على اللازم، بقي لازمًا نحو: ماتَ المالُ، وموّتَ المالُ(٣).

رابعها: لو كان التضعيف في نزَّل مفيدًا للتنجيم؛ لاحتاج قوله تعالى: ﴿لَوْلَا

---

(١) ينظر: البحر المحيط ١/ ٢٤٤، اللباب، لابن عادل ١/ ٤٣٢، الدر المصون١/ ١٩٨، روح المعاني، للآلوسي ١/ ١٩٢، ١٩٣.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] قرأ ابن مسعود والأعمش: (وأنزل). ينظر: شواذ القراءات، للكرماني ٣٤٨، مختصر في شواذ القرآن ١٠٦، وعلَّق ابن خالويه على هذه القراءة قائلاً: (وهذا غريب؛ جعل مصدر أفعل تفعيلاً، ولكن لما كان أنزل بمعنى نزَّل حمله على معناه).

(٣) أي: وقع المَوَتانُ في الإبل فكثر فيها الموتُ. ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ١/ ٩٣.

نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾[١] إلى تأويل؛ لمنافاة العجز الصدر، ذلك أن القول بأن التضعيفَ دالٌّ على التنجيم والتكثير، ينافي قوله تعالى بعدها: (جُمْلَةً واحِدَةً)، وكذا قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[٢]، إذ ليس المعنى على أنهم اقترحوا تكرير نزول آية، وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾[٣]، إذ ليس المعنى أنه علَّق تكرير نزول مَلَك رسول على تقدير كون ملائكة في الأرض.

خامسها: مجيء نَزَّلَ حيث لا يمكن فيه التكثير والتنجيم إلا على تأويل بعيد جدًّا يدلُّ على أنهما بمعنى واحد.

كذلك اعترض الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) على من علَّلَ تسمية القرآن الكريم تنزيلاً بأنه يرجع إلى التنجيم، فقال: (قيل: ولذلك سُمِّيَ الكتابُ العزيزُ تنزيلاً؛ لأنه لم يُنَزَّل جُمْلَةً واحدةً، بل سورةً سورةً وآيةً وآيةً، **وليس نصًّا فيه**، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾، وقوله: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً ﴾)[٤].

ومما سبق يتضح لنا أن القول بالترادف بين نَزَّل وأَنْزَلَ هو الأقرب للقبول؛ لقوة الأدلة التي اعتمد عليها أصحابه.

ج- بين (عَبْدِنَا) و(عِبَادِنَا):

أما القراءة الثانية المنسوبة لابن قطيب (عِبَادِنَا) بالجمع، بدلاً من: (عَبْدِنَا)

---

(١) سورة الفرقان: ٣٢.

(٢) سورة الأنعام: ٣٧.

(٣) سورة الإسراء: ٩٥.

(٤) شرح شافية ابن الحاجب ١/ ٩٣، والقول الكريم الأول من سورة [الفرقان: ٣٢]، والقول الكريم الثاني من سورة [الشعراء: ٤].

بالإفراد في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[١]، فقد ذهب بعض العلماء إلى احتمال أن يكون لكل من الجمع والمفرد (عبادنا)، و(عبدنا) معنى خاصٌّ به، وإلى احتمال أن يكونا بمعنى واحد، فيكون ذلك من باب الترادف.

فذهب الزمخشريُّ إلى أنّ المراد بقراءة الجمع (على عبادِنا): رسول الله ﷺ وأمته[٢]، وجعله أبا حيان نظير قوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾[٣]؛ لأن جدوى المُنَزَّلِ والهداية الحاصلة به يشترك فيه المتبوعون والتُّبَّاعُ[٤].

وأضاف العكبري احتمالاً آخر وهو (أنه أراد بالعباد أمة محمد ﷺ)[٥].

وأضاف أبو حيان ومن تَبِعَه احتمالاً ثالثًا وهو: أن يكون المراد بصيغة الجمع (عبادنا): جميع الأنبياء الذين أُنزل عليهم الوحيُ والكتبُ[٦].

لكن أضاف العكبري احتمالاً ينحو منحى القول بالترادف، حيث ذهب إلى إمكانية أن يكون الجمع (عبادنا) أُريد به - في هذا الموطن – المفرد، والمقصود هو رسول الله ﷺ وإنما عَبَّرَ عنه بالجمع تفخيمًا لشأنه[٧].

وإلى هذا المنحى نفسه ذهب أبو حيان، لكن ليس على أن المراد بالجمع هو المفرد، وإنما على أن المراد بالمفرد هو الجمع، مستدلاً بقراءة ابن قطيب التي معنا،

---

(١) سورة البقرة: ٢٣.

(٢) ينظر: الكشاف ١/ ٢١٨.

(٣) سورة الأنعام: ١٥٦.

(٤) ينظر: البحر المحيط ١/ ٢٤٥.

(٥) إعراب القراءات الشواذ ١/ ١٣٦.

(٦) ينظر: البحر المحيط ١/ ٢٤٥، الدر المصون ١/ ١٩٩، اللباب في علوم الكتاب ١/ ٤٣٣.

(٧) ينظر: إعراب القراءات الشواذ ١/ ١٣٦.

وجعله نظير قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ أولي الأيدي والأبصار﴾[١] في قراءة مَنْ أَفْرَدَ[٢]، فيكون إذ ذاك للجنس[٣].

د- بين (فارِغًا) و(فَزِعًا):

- **قال تعالى:** ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤].

قرأ الجمهور: (فارغًا)، بينما قرأ فَضالة بن عبيد، والحسن، ويزيد بن قطيب، وأبو زرعة بن عمرو بن جرير، وأبو الهُذيل: فَزِعًا، بالزاي والعين المهملة[٥].

وفسر العلماء قراءة الجمهور بأن معناها: فارغ من العقل، أو من كل شيء إلا من ذكر موسى، أو من الصبر، من وعد الله ووحيه إليها، تناسته من الهم[٦].

ويفهم مما سبق أن المقصود بالفارغ – هنا -: الخالي، وهو المعنى الذي ذكره كثير من اللغويين للفظ (فارغ)[٧].

---

(١) سورة ص: ٤٥.

(٢) القراءة بالإفراد (عبدنا) منسوبة لابن كثير وحده، وقرأ الباقون: (عبادنا). ينظر: السبعة، لابن مجاهد: ٥٥٤، الكشف، لمكي بن أبي طالب القيسي ٢/ ٢٣١.

(٣) ينظر: البحر المحيط ١/ ٢٤٥.

(٤) سورة القصص: ١٠.

(٥) ينظر: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ص١١٣، المحتسب ٢/ ١٤٧، البحر المحيط ٧/ ١٠٢، روح المعاني للآلوسي ٢٠/ ٤٩، تاج العروس ٢١/ ٥٠٠، ٥٠١ (فزع)، والقراءة نسبها ابن عطية، والسمين الحلبي، وابن عادل إلى: فضالة، والحسن. ينظر: المحرر الوجيز ٦/ ٥٧٣، ٥٧٤، الدر المصون ٨/ ٦٥٣، اللباب ١٥/ ٢٢٠.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز ٦/ ٥٧٣، البحر المحيط ٧/ ١٠٢، الدر المصون ٨/ ٦٥٣، اللباب ١٥/ ٢٢٠.

(٧) ينظر: العين ٤/ ٤٠٨، التهذيب ٨/ ١١٠، المحكم ٥/ ٥٠٤، المصباح ٤٧٠، لسان العرب ٦/ ٣٣٩٦، تاج العروس ٥٤٣ (ف ر غ).

أما قراءة ابن قطيب ومَنْ معه: (فَزِعًا) فوجَّهَها ابنُ جني بالقَلِق، أي أن الفؤاد أصبح قَلِقًا يكاد يخرج من غِلافه فينكشف، واستدلّ على صحة هذا المعنى بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾[١] أي: كُشِفَ عنها[٢].

وإلى هذا المعنى ذهب – كذلك – بعض المفسرين[٣].

ويمكن الجمع بين معنى كلٍّ من القراءتين، بأن الخلوّ – من العقل، أو من كل شيء إلا من ذكر موسى، أو من الصبر أو غير ذلك مما قيل في التفسير– ما هو إلا نتيجة القلق الذي سيطر على فؤاد أم سيدنا موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وخوفها عليه.

وتجدر الإشارة إلى أن قراءة ابن قطيب التي معنا، وغيرها من القراءات الشاذة الواردة في لفظة (فارغًا) كانت سندًا لبعض العلماء في رفض تفسير أبي عبيدة معمر بن المثنى لفظة (فارغًا) بالخُلُوِّ من الحزن، وذلك في قوله: (مجازه: فارغًا من الحزن لعلمها أنه لم يغرق، ومنه قولهم: دَمٌ فَرْغٌ، أي: لا قَوَدَ فيه ولا دية فيه)[٤]، حيث علق أبو حيان على رأي أبي عبيد بقوله: (وهذا فيه بُعْدٌ، وتُبْعِدُهُ القراءاتُ الشّواذُّ التي في اللفظة)[٥].

هـ- بين الحِسَاب والحَسَّاب:

- **قال تعالى:** ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾[٦].

---

(١) سورة سبأ: ٢٣.

(٢) ينظر: المحتسب، لابن جني ٢/ ١٤٨.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز ٦/ ٥٧٤، البحر المحيط ٧/ ١٠٢، الدر المصون ٨/ ٦٥٣، روح المعاني ٢٠/ ٤٩، اللباب ١٥/ ٢٢٠.

(٤) مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى ٢/ ٩٨ – تحقيق د. محمد فؤاد سزكين – الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.

(٥) البحر المحيط ٧/ ١٠٢، وينظر: الدر المصون ٨/ ٦٥٣، اللباب ١٥/ ٢٢٠.

(٦) سورة النبأ: ٣٦.

قرأ الجمهور: (حِسَابا)، وقرأ يزيد بن قطيب: (حَسَّابًا)، بفتح الحاء وتشديد السين[١].

ووجَّه العلماءُ قراءة الجمهور بأن (حِسَابًا) صفة لـ (عطاء)، ومعناها: مُحْسِبًا، أي: كافيًا، فهو مصدرٌ أُقيم مقام الوصف، أو بُولِغ فيه، أو على حذف مضاف من قولهم: أحْسَبَه الشيء: إذا كفاه حتى قال حسبي، وقيل: على حسب أعمالهم، فدخول الجنة برحمة الله، أما الدرجات فيها فعلى قدر الأعمال، فالحِساب هنا هو بموازنة أعمال القوم[٢].

وقال ابن جني في توجيه قراءة ابن قطيب: (عطاء مُحْسِبًا، أي: كافيًا، يقال: أعطيته ما أَحْسَبَهُ، أي: كفاه، إلا أنه جاء بالاسم من أَفْعَلَ على فَعَّال، وقد جاءت منه أحرف، قالوا: أجْبَرَ فهو: جَبَّار، وأَدْرَكَ فهو: دَرَّاكٌ...)[٣].

ومعنى كلام ابن جني أنّ (حَسَّابًا) الواردة في قراءة ابن قطيب: (صفة مبالغة، من أَحْسَبَ بمعنى: كافي كذا)[٤].

وهذا معناه – أيضًا – أنّ القراءتين – قراءة الجمهور وقراءة ابن قطيب – مترادفتان.

---

(١) ينظر: المحتسب، لابن جني ٢/ ٣٤٩، شواذ القراءات، للكرماني ٥٠١، الكشاف ٦/ ٣٠٢، المحرر الوجيز ٨/ ٥٢٢، البحر المحيط ٨/ ٤٠٧، الدر المصون ١٠/ ٦٦٤، روح المعاني ٣٠/ ١٩، اللباب ٢٠/ ١١٥.

(٢) ينظر: الكشاف ٦/ ٣٠٢، المحرر الوجيز ٨/ ٥٢٢، البحر المحيط ٨/ ٤٠٧، الدر المصون ١٠/ ٦٦٣، ٦٦٤، اللباب ٢٠/ ١١٥.

(٣) المحتسب ٢/ ٣٤٩، وينظر: الكشاف ٦/ ٣٠٢، المحرر الوجيز ٨/ ٥٢٢، البحر المحيط ٨/ ٤٠٧، اللباب ٢٠/ ١١٥، روح المعاني ٣٠/ ١٩.

(٤) الدر المصون ١٠/ ٦٦٤.

المطلب الثاني
الالتفات

أ- بين ضمير التكلُّم والخطاب:

- قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾[(١)].

قرأ الجمهور: (بل أتيناهم) بنون العَظَمَة، وقرأ أبو البرهسم وأبو حيوة والجحدري وابن قطيب وأبو رجاء: (بل أتيتَهُمْ) بتاء الخطاب[(٢)].

ونُسِبَتْ لابن قطيب قراءةٌ أخرى في هذه اللفظة، وهي: (آتيناهم) – بالمد-[(٣)].

ولكل من القراءتين اللتين نُسِبَتَا إلى ابن قطيب معنى تؤديه في السياق القرآني.

وقبل الحديث عن معنى قراءتي ابن قطيب، نبين أولا معنى قراءة الجمهور (بل أتيناهم) بنون العَظَمَة، أي: جئناهم[(٤)]، ومعنى ذلك أن الإتيان منسوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، لكن نسبة الإتيان الحقيقي إلى الله – تعالى - لا تصح، وإنما هو مجاز، أي: بل أتاهم كتابنا، أوْ رسولنا[(٥)].

---

(١) سورة المؤمنون: ٧١.

(٢) البحر المحيط ٦/ ٣٨٢، وينظر: مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه ص١٠٠، روح المعاني، للآلوسي ١٨/ ٥٣، ونسبها الكرماني لأبي بحرية، وابن أبي إسحاق. ينظر: شواذ القراءات: ٣٣٧، ونسبها ابن عطية لابن أبي إسحاق وحده. ينظر: المحرر الوجيز ٦/ ٣١٢، ونسبه السمين الحلبي لأبي البرهسم، وأبي حيوة، والجحدري، وأبي رجاء. ينظر: الدر المصون ٦/ ٣٦٠.

(٣) شواذ القراءات، للكرماني: ٣٣٧، ونسبها أبو حيان وغيره لأبي عمرو في رواية. ينظر: البحر المحيط ٦/ ٣٨٢، المحرر الوجيز ٦/ ٣١٢، الدر المصون ٦/ ٣٦٠، روح المعاني ١٨/ ٥٣.

(٤) المحرر الوجيز ٦/ ٣١٢.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٦/ ٣٨٢، الدر المصون ٦/ ٣٦٠.

أما القراءة الأولى من القراءتين المنسوبتين لابن قطيب وغيره (بل أتيتَهُمْ) بتاء الخطاب، فالمراد بها رسول الله ﷺ[١] والإتيان هنا حقيقي.

أما القراءة الثانية: (بل آتيناهم) بالمد، فمعناها: أعطيناهم[٢]، وعلى هذه القراءة يُحتمل أن يكون المفعول الثاني غير مذكور، ويُحتمل أن يكون (بذكرهم) والباء مزيدة فيه[٣]، كما أننا – مع هذه القراءة – لسنا في حاجة إلى القول بالمجاز، أو دعوى حذف مضاف، كما في قراءة الجمهور، على تقدير جعل الباء للمصاحبة[٤].

وبذلك يتضح لنا أن لكل من القراءتين المنسوبتين لابن قطيب معنى يحتمله السياق، بل لا نحتاج معهما إلى القول بالمجاز.

ب- بين ضمير الغيبة والخطاب:

- **قال تعالى:** ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥].

قرأ الجمهور: ﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾، وقرأ أبو حيوة، وابن قطيب، وأبو البرهسم: ﴿أَنْ تُؤْتُوا﴾، بالتاء[٦].

فقراءة الجمهور: بالياء للغائبين، أما قراءة ابن قطيب وغيره: بالتاء فهي للمخاطبين؛ لذا وجَّه العلماءُ هذه القراءةَ المنسوبةَ لابن قطيب وغيره بأنها على

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٦/ ٣٨٢، الدر المصون ٦/ ٣٦٠، روح المعاني ١٨/ ٥٣.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٦/ ٣١٢، البحر المحيط ٦/ ٣٨٢، الدر المصون ٦/ ٣٦٠.

(٣) ينظر: الدر المصون ٦/ ٣٦٠.

(٤) ينظر: روح المعاني ١٨/ ٥٣.

(٥) سورة النور: ٢٢.

(٦) ينظر: مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه: ١٠٣، الكشاف ٤/ ٢٧٩، ٢٨٠، البحر المحيط ٦/ ٤٠٤، الدر المصون ٨/ ٣٩٥، اللباب ١٤/ ٣٣٣، روح المعاني ١٨/ ١٢٥.

الالتفات، وأنها موافقة لقوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ ﴾[١].

فعلى قراءة ابن قطيب نجد التفاتًا من الغيبة في قوله تعالى: ﴿ولا يأتل... ﴾ إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَنْ تُؤْتُوا... ﴾، ولعل السر في هذا الالتفات يكمن في توجيه الخطاب إلى السامعين مباشرة، فأنتم أيها السامعون المخاطبون بهذا، المَعْنِيُّون به، فهو مُوَجَّه إليكم أنتم، فأولى بكم أن تتبعوه وتنفذوا ما جاء به.

ولعل ما يؤيد هذه القراءة وما تتضمنه من التفات ما جاء في قراءة ابن مسعود، وسفيان بن حسين: ﴿وَلْتَعْفُوا وَلْتَصْفَحُوا﴾ - بالتاء فيهما – ورُويت هذه القراءة كذلك عن النبي ﷺ[٢].

والخلاصة أن قراءة ابن قطيب ومَنْ وافقه لها معنى يتناسب مع المعنى العام للآية الكريمة، كما يتناسب مع ما جاء في بعض كلمات الآية من قراءة متواترة: (ألا تحبون)، أو شاذة: ﴿وَلْتَعْفُوا وَلْتَصْفَحُوا﴾.

---

(١) ينظر: الكشاف ٤/ ٢٧٩، ٢٨٠، البحر المحيط ٦/ ٤٠٤، الدر المصون ٨/ ٣٩٥، اللباب ١٤/ ٣٣٣.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٦/ ٣٦٣.

الخاتمة

بعد هذه الجولة المباركة مع قراءة يزيد بن قطيب يتبين لنا:

أولا: كان يزيد بن قطيب ثقةً لدى العلماء.

ثانيًا: المواطن التي نسبت فيها قراءة ليزيد بن قطيب تُعَدُّ قليلة إذا قورنت بما نُسب لغيره ممن لهم قراءات شاذة.

ثالثًا: كثرة المباحث الصوتية الواردة في قراءة يزيد بن قطيب إذا قورنت بنظيرتها في الدلالة، ولعل هذا يرجع إلى أن التيسير في قراءة القرآن الكريم كان مُتَّجِهًا إلى الناحية الصوتية، أما الناحية الدلالية فمهمتها التنويع في المعنى وتأكيده.

رابعًا: كانت قراءة يزيد بن قطيب في بعض الأحيان دليلاً لدى العلماء لتأييد معنى قراءة متواترة، من ذلك: قول أبي حيان عند إعرابه لفظة (الجن) من قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ... ﴾[1]: (وأحسن مما أعربوه ما سمعت من أستاذنا العلامة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي يقول فيه قال: انتصب الجن على إضمار فعل جواب سؤال مقدّر كأنه قيل: من جَعَلُواْ للهِ شُرَكَاء؟ قيل: الجن، أي جعلوا الجنَّ، ويؤيد هذا المعنى قراءة أبي حيوة ويزيد بن قطيب: (الجنُّ) بالرفع، على تقدير: هم الجن، جوابًا لمن قال: من الذي جعلوه شريكًا؟ فقيل له: هم الجنُّ، ويكون ذلك على سبيل الاستعظام لما فعلوه، والانتقاص لمن جعلوه شريكًا لله)[2].

خامسًا: كانت قراءة ابن قطيب من بين قراءات شاذة استدل بها العلماء في رَدِّ معنى لفظة قرآنية قال به أحد المفسرين، حيث ذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى إلى

---

(١) سورة الأنعام: ١٠٠.

(٢) البحر المحيط ٤/ ١٩٦.

أنّ معنى كلمة (فَارِغًا) في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾[١]: (فارغًا من الحزن، لعلمها أنه لم يغرق)[٢]، وعَلَّق أبو حيان على هذا بقوله: (وهذا فيه بُعْدٌ، وتُبْعده القراءات الشواذ التي في اللفظة)[٣].

سادسًا: تؤكد قراءة يزيد بن قطيب - في المستوى الصوتي – تلك العلاقة القوية بين القراءات القرآنية واللهجات العربية.

سابعًا: معظم ما ورد من قراءة يزيد بن قطيب في الجانب الدلالي اتَّجَه ناحية الترادف.

---

(١) سورة القصص: ١٠.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٩٨.

(٣) البحر المحيط ٧/ ١٠٢، وينظر: الدر المصون ٨/ ٦٥٣، اللباب ١٥/ ٢٢٠.

فهرس المصادر والمراجع

- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، للشيخ أحمد بن محمد البنا، تحقيق د/ شعبان محمد إسماعيل - ط – الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م – عالم الكتب – بيروت – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.
- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب – ط – الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م – عالم الكتب الحديث – الأردن.
- إصلاح المنطق، لابن السكيت، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون – ط – دار المعارف – مصر.
- إعراب القراءات الشواذ، للعكبري، دراسة وتحقيق محمد السيد أحمد عزوز – ط الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م – عالم الكتب – بيروت – لبنان.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق د/ زهير غازي زاهد – ط – الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م – عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية.
- البحر المحيط، لأبي حيان، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط- الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي ٥/ ١٨ تحقيق أ/ عبد العليم الطحاوي - ط – ١٤١٢هـ ١٩٩٢م – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين – ط وزارة الإعلام – الكويت ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، تحقيق د. بشار عواد معروف – ط - الأولى ٢٠٠٣م – دار الغرب الإسلامي – بيروت.
- التاريخ الكبير، للبخاري – مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر

آباد الدكن – الهند.

- تحفة الأقران في ما قرئ بالتثليث من حروف القرآن، لأبي جعفر الرعيني، تحقيق الدكتور علي حسين البواب – ط – الثانية ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م دار كنوز إشبيليا – الرياض – المملكة العربية السعودية.

- تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني – الناشر دار العاصمة للنشر والتوزيع.

- التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، للصغاني، تحقيق عبد العليم الطحاوي وآخرين – ط – ١٩٧١م – مطبعة دار الكتب– القاهرة.

- تهذيب التهذيب، لابن حجر، باعتناء إبراهيم الزيبق، عادل مرشد – ط – مؤسسة الرسالة.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، تحقيق د/ بشار عواد معروف – ط –الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م – مؤسسة الرسالة – بيروت.

- الثقات، لابن حبان – ط – الأولى ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م – مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – الهند.

- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم – ط الأولى ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م – مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – الهند.

- جمهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق د. رمزي منير بعلبكي – ط – الأولى ١٩٨٧م دار العلم للملايين – بيروت – لبنان.

- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، تحقيق بدر الدين قهوجي، وبشير حويجاتي – ط – الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م – دار المأمون للتراث – دمشق.

- الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار – ط – دار الكتب المصرية.

- خصائص لهجتي تميم وقريش، د/ الموافي الرفاعي البيلي – ط – الأولى

١٤٠٧هـ ١٩٨٧م – مطبعة السعادة.

– درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها، للحريري، تحقيق وتعليق/ عبد الحفيظ فرغلي علي القرني – ط – الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م – دار الجيل – بيروت، مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة.

– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط – ط – دار القلم – دمشق.

– ديوان الأخطل، شرحه وصنف قوافيه مهدي محمد ناصر الدين – ط – الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

– ديوان امرئ القيس وملحقاته - بشرح أبي سعيد السكري، دراسة وتحقيق د/ أنور عليان أبو سويلم، د/ محمد علي الشوابكة – ط- الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م – إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ – العين – الإمارات العربية المتحدة.

– ديوان علقمة بن عبدة، شرحه وعلق عليه وقدم له سعيد نسيب مكارم – ط – الأولى ١٩٩٦م – دار صادر – بيروت.

– ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق د/ ناصر الدين الأسد – ط – دار صادر – بيروت.

– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي – إدارة الطباعة المنيرية – مصر، دار إحياء التراث العربي – بيروت - لبنان.

– السبعة، لابن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف - ط - الثالثة - دار المعارف مصر.

– شرح ديوان علقمة الفحل، بقلم السيد أحمد صقر – ط – الأولى ١٣٥٣هـ ١٩٣٥م – المكتبة المحمودية – بالقاهرة.

– شرح شافية ابن الحاجب، للاستراباذي، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين – ط ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

- شواذ القراءات، للكرماني، تحقيق د. شمران العجلي – ط – مؤسسة البلاغ – بيروت – لبنان.
- العباب الزاخر واللباب الفاخر (حرف الفاء)، للحسن بن محمد الصغاني، تحقيق السيخ محمد حسن آل ياسين – ط – ١٩٨١م – دار الرشيد للنشر – منشورات وزارة الثقافة والإعلام – الجمهورية العراقية.
- العين، للخليل بن أحمد، تحقيق د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي – ط – الأولى ١٤٠٨هـ ١٨٨م – مؤسسة الأعلمي – بيروت – لبنان.
- غاية النهاية، لابن الجزري – ط الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م دار الكتب العلمية بيروت – لبنان (طبعة مصححة اعتمدت على الطبعة الأولى للكتاب التي عُني بنشرها سنة ١٩٣٢م ج. برجستراسر)
- الغريب المصنف، لأبي عبيد، تحقيق الدكتور محمد المختار العبيدي – ط- الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٦م – دار مصر للطباعة – القاهرة – الناشر المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون – دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس.
- في اللهجات العربية، د/ إبراهيم أنيس - الناشر مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ٢٠٠٣ م.
- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح القاضي – ط – ١٤٠١هـ ١٩٨١م – الناشر دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.
- الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، لأبي القاسم يوسف بن علي بن جباره، تحقيق جمال بن السيد بن رفاعي الشايب – ط – الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م – مؤسسة سما للنشر والتوزيع.
- الكتاب، لسيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون – ط – الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م – الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة – دار الرفاعي بالرياض.
- الكشاف، للزمخشري، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين – ط –

الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م – الناشر مكتبة العبيكان – بالرياض.

– الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. محيي الدين رمضان – ط – ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م – مجمع اللغة العربية – دمشق.

– اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين – ط – الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

– لسان العرب، لابن منظور – ط – دار المعارف – مصر.

– اللهجات العربية في التراث، د/ أحمد علم الدين الجندي – الدار العربية للكتاب – طرابلس – ليبيا ١٩٨٣م.

– اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د/ عبده الراجحي – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ١٩٩٦م.

– اللهجات العربية في قراءات الكشاف للزمخشري، د. عبد المنعم عبد الله حسن – ط – الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.

– اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، تشيم رابين، ترجمة الدكتور عبد الكريم مجاهد – ط – الأولى ٢٠٠٢م – المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت.

– لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطلبي – منشورات وزارة الثقافة والفنون – الجمهورية العراقية ١٩٧٨م.

– لهجة قبيلة أسد، علي ناصر غالب – ط – الأولى ١٩٨٩م – وزارة الثقافة والإعلام – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد.

– مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق د. محمد فؤاد سزكين – الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين – ط – ١٤١٥هـ ١٩٩٤م – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف بالقاهرة.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق الرحالة الفاروق وآخرين – ط – الثانية ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م - مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه – ط – مكتبة المتنبي القاهرة.

- المخصص، لابن سيده – ط – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

- المصباح المنير، للفيومي، تحقيق د/ عبد العظيم الشناوي – ط – الثانية – الناشر دار المعارف – مصر.

- معاني القرآن، للفراء – ط – الثالثة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م – عالم الكتب – بيروت لبنان.

- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، شرح وتحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي – ط – الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م – عالم الكتب – بيروت.

- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته أ/ علي محمد الضباع – ط – درا الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

- النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري، تحقيق ودراسة د/ محمد عبد القادر أحمد – ط – الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م – دار الشروق – بيروت.

Abstract

Islamic scholars have vigorously studied the various Quranic recitations whether they are regular or abnormal. The purpose of this paper is to study one of those anomalous Quranic recitations, Yazid Bin Qutib, which had been documented by Bin Eljazari. Following the descriptive and analytical method, the study will address the phonetics and semantics issues in this recitation by going to its roots and main sources. The study consists of an introduction where the biography of Bin Qutib will be discussed. There will be two parts of the study: phonological that deals with the substitution between voiced and voiceless sounds in this recitation, and semantics that deals with the lingual and semantic differences in it. At the end, there will be a conclusion where it sums up the main findings of the paper.

Key words:

Yazid Bin Qutib, the various Quranic recitations, phonetics, semantics.

ظاهرة التأويل في إعراب الشواهد الشعرية النحوية في باب (إنَّ وأخواتها)

د. محمد بن عبد القادر هنادي

أستاذ النحو والصرف المشارك بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز في جدة

dr.mhanadi@yahoo.com

تاريخ التحكيم: ٢/ ٥/ ١٤٣٥ تاريخ الإجازة: ٦/ ٧/ ١٤٣٥

المستخلص:

تناول هذا البحث موقف النحاة من الشواهد الشعرية النحوية التي تتعارض مع القواعد النحوية في باب «إن وأخواتها»، وأثبت أن نحاة البصرة يلجأون إلى التأويل للتخلص من ذلك التعارض خلافاً لمنهج نحاة الكوفة الذين يجعلونها أصلاً في وضع القواعد النحوية في معظم الأحيان.

الكلمات المفتاحية:

ظاهرة التأويل النحوي، إعراب الشواهد الشعرية، إن وأخواتها.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله وكفى، وصلى الله وسلم على رسوله الذي اصطفى، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديهم إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا بحثٌ جعلته بعنوان (ظاهرة التأويل في إعراب الشواهد الشعرية في باب إنَّ وأخواتها)، والمقصود بمصطلح التأويل عند النحاة أنهم إذا جاء نصٌ من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو الشعر يصطدم بقاعدة نحوية عندهم عمدوا إلى تأويل النص للتوفيق بين تلك القاعدة والنص المخالف لها.

وتأكد لديَّ هذا المعنى لمصطلح التأويل في ضوء قراءة أقوال النحويين القدماء والمعاصرين في مسائل نحوية كثيرة لا يتسع المقام لذكرها، أختار منها أربعة أقوال:

أولها: قول ابن عصفور لدى حديثه عن مجيء خبر (إِنَّ) جملة طلبية: «إن جاء ماظاهره وقوع الجملة غير المحتملة للصدق والكذب خبراً يؤول»(١).

ثانيها: قول ابن هشام عن تقدم معمول اسم الفعل عليه: «لا يجوز تقديم معمول اسم الفعل خلافاً للكسائي، وأما قوله (أيها المائحُ دلوي دونك) فمؤول»(٢).

ثالثها: اختلف العلماء في دخول (لا) النافية للجنس على العَلَم المعرفة، وعندما تحدث ابن مالك عن هذه المسألة قال: «للنحويين في تأويل العَلَم المستعمل هذا الاستعمال تأويلان»(٣).

رابعها: من النحاة المعاصرين الذين أكثروا من استعمال مصطلح التأويل النحوي بهذا المعنى محمد محيي الدين عبد الحميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شروحه، من ذلك

(١) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور: ١/ ٤٢٨.

(٢) شرح شذور الذهب ص٦٢، المكتبة التجارية، ط٨، ١٣٨٠هـ.

(٣) شرح الكافية الشافية: ١/ ٥٣٠، ٥٣١.

على سبيل المثال قوله بعد أن ذكر مذهب يونس بن حبيب في جواز إعمال (ما) عمل (ليس) مع انتقاض نفي خبرها بـ(لا)، وذكره لبعض الشواهد الشعرية في هذه المسألة: «وجمهور البصريين لا يقبلون دلالة هذه الشواهد، ويؤولونها»[(١)].

أما سبب اختياري لهذا الموضوع فهو أن نحاة البصرة -كما هو معروف لدى الباحثين - يقوم منهجهم في الدرس النحوي في معظم الأحيان على تأويل النص الشعري في حال مخالفته لقوانينهم وأحكامهم النحوية، على حين يقوم منهج نحاة الكوفة في الأغلب الأعم على السماع، ويجعلونه أصلاً في تقعيد قواعدهم النحوية دون اللجوء إلى التأويل، فأردت أن أؤكد صحة هذه المقولة من خلال هذه الدراسة التطبيقية، وجعلت باب إن وأخواتها ومايلحق بها نموذجـًا لتلك الدراسة.

وتظهر أهمية البحث في أن الدراسات التطبيقية المفصلة المقارنة لظاهرة التأويل في إعراب الشواهد الشعرية تكاد تفتقر إليها المكتبة النحوية خلافـًا للدراسات التطبيقية في إعراب القرآن الكريم، والحديث الشريف.

أما المنهج الذي اتبعته في كتابة البحث فيمكن تلخيص معالمه في الأمور التالية:

١- في ضوء قراءتي لظاهرة التأويل النحوي في باب (إن وأخواتها) في كثير من المصادر النحوية وقع اختياري على ستة أبيات شعرية، وكل بيت شعري يتناول مسألةً نحوية مهمة، وهي مع ذلك ليست من باب الحصر ؛ لأن طبيعة البحث لا تتسع للحديث عنها مفصلاً، لكنها -من وجهة نظري - تمثل معظم الشواهد النحوية الواردة في باب التأويل النحوي.

٢- حاولت أن أجمع في المسألة الواحدة أقوال النحاة القدماء والمتأخرين من البصريين والكوفيين وغيرهم، مراعيـًا في ذلك -قدر استطاعتي- التسلسل الزمني لوفياتهم، ومحيلاً تلك الأقوال إلى مصادرها الأساسية.

---

(١) منحة الجليل: ١/ ٣٠٤، مطبعة السعادة، مصر، ط١٤ ١٣٨٤هـ.

٣- لم أكتف بسرد أقوال النحاة، بل حاولت أن أختار الرأي الراجح منها، ملتزماً جانب الحياد، وكان الأصل الذي اعتمدت عليه في الترجيح هو السماع الوارد في القرآن الكريم، والحديث الشريف، وماصحّ عن العرب في كلامهم شعراً ونثراً، يخرج عن حدِ الشذوذ والضرورة، والمبدأ في ذلك كله قول أبي حيان الأندلسي «ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم»(١).

٤- والمنهج الذي سلكته في دراسة كل مسألة نحوية وردت في البحث يمكن ذكره في ضوء العناوين التالية:

الأول: أذكر عنوان المسألة النحوية، ثم أتبعه بذكر الشاهد الشعري.

الثاني: أبدأ المسألة بالعرض المركز، وأبين بإيجاز موضع التأويل في الشاهد الشعري، والسبب الذي دفع النحاة إلى تأويله، أو توجيهه.

الثالث: بعد العرض المركز أنتقل إلى فقرة جعلتها تحت عنوان (التوضيح)، أعرض فيه مفصلاً آراء النحاة.

الرابع: الترجيح.

هذا وقد جاء البحث في ست مسائل هي:

المسألة الأولى: دخول (إِنْ) المخففة من الثقيلة على الأفعال غير الناسخة.

المسألة الثانية: العطف بالرفع على اسم «إن» قبل تمام الخبر.

المسألة الثالثة: هل يقع خبر «إنَّ» جملة طلبية؟

المسألة الرابعة: هل تنصب الحروف الناسخة الاسم والخبر؟

المسألة الخامسة: دخول لام الابتداء على خبر «لكِنَّ».

المسألة السادسة: دخول «لا» النافية للجنس على الاسم العَلَمَ؟

---

(١) النهر الماد على البحر المحيط: ٣/ ١٥٦، ١٥٧، مطابع النصر الحديث، الرياض.

المسألة الأولى

دخول «إنْ» المخففة من الثقيلة على الأفعال غير الناسخة

شلَّتْ يمينُك إنْ قَتلْتَ لَمُسْلِمَا حَلَّتْ عليك عقوبةُ المتعمدِ(١)

العرض المركز:

موضع التأويل في الشاهد النحوي قولها «إنْ قَتلْتَ لَمُسْلِمَا» فقد دخلت «إنْ» المخففة من الثقيلة على الفعل «قَتَلْتَ»، وهو فعل غير ناسخ، والأصل أنها إذا خففت تدخل على المبتدأ والخبر، وعلى ظننتُ وأخواتها، وسائر نواسخ الابتداء من الأفعال، مثل «كان وأخواتها»، و«كاد وأخواتها» وقد اختلف النحاة في توجيه الشاهد النحوي، وتعددت أقوالهم فيه، بين مانع، ومجيز، ومتأول.

التوضيح:

أجاز كثير من النحاة دخول «إنْ» المخففة من الثقيلة على الأفعال غير الناسخة مع اختلاف آرائهم في تلك الإجازة، فقد ذهب أبو الحسن الأخفش إلى الجواز مطلقاً، سواء أكانت الأفعال ناسخة أم غير ناسخة، وسواء أجاءت في صيغة الماضي أم جاءت في صيغة المضارع، ولم يكتف بالجواز بل رأى صحة القياس عليه، جاء ذلك في قوله لدى حديثه عن هذه المسأله: «يقاس على ذلك، فيجوز إنْ

---

(١) البيت لعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العدوية ترثي زوجها الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتدعو على قاتله عمرو بن جرموز. ورد البيت برواية «شلَّت يمينك» في: شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٤٣٨، شرح الكافية الشافية: ١/ ٥٠٤، همع الهوامع: ١/ ٥١٣، وبرواية «هَبَلَتْك أمك» في «المسائل المشكلة: ١٧٨ وبرواية «بالله ربك» في شرح المفصل لابن يعيش، وبرواية «ثكلتك أمك»، وينظر مفصلاً في الشاهد في المصادر التالية: رصف المباني: ١٩١، شرح التسهيل لابن مالك: ٢/ ٣٨، شرح الكافية الشافية: ١/ ٥٠٤، شرح ابن عقيل: ١/ ٣٨٢، ارتشاف الضرب: ٣/ ١٢٧٣، همع الهوامع: ١/ ٥١٣، شرح الأشموني: ١/ ٥٨٦، شرح التصريح على التوضيح: ١/ ٢٣١، حاشية الخضري: ١/ ١٣٩.

قعَدَ لأَنَا، وإنْ ضَرَبَ زيداً لَعَمْروٌ، كما جاز إنْ كان صالحـًا لزيدٌ، وإنْ ظننتُ عَمْراً لصالحـًا»[١].

وذهب جمهور البصريين إلى جواز ذلك لكنهم جعلوه داخلاً في باب القلة، قال أبو حيان بعد أن ذكر مذهب الأخفش: «وهو عند غيره من البصريين من القلة بحيث لا يقاس عليه»[٢].

وممن وافق البصريين في مذهبهم ابن عصفور حيث قال بعد حديثه عن الكوفيين، واستشهاده ببيت عاتكة: «وهذا عندنا من القلة بحيث لا يقاس عليه»[٣].

وفرق نحاة آخرون بين دخول «إنْ» المخففة على الفعل الماضي، ودخولها على الفعل المضارع، فجعلوا دخلوها على الماضي قليلاً ونادراً، وجعلوا دخولها على المضارع غير الناسخ أقل وأندر ؛قال المرادي: «وأما نحو «إن قتلت لمسلما» فقليل، وأقل منه: «إنْ يَزينُكَ لنفسُك، وإنْ يَشينُك لَهِيَهْ»[٤]، وقال ابن هشام: «وندر ماضيـًا غير ناسخ... ولا يقاس عليه... وأندر منه كونه لا ماضيـًا ولا ناسخـًا كقوله: «إن يزنيك لنفسك»[٥]، ووصف بعض النحاة ماجاء في كلام العرب في هذا الباب من الشاذ، ومنهم ابن يعيش في شرح المفصل[٦]، والمالقي في رصف المباني[١].

---

(١) ارتشاف الضرب ٣/ ١٢٧٤، وشرح التسهيل ٢/ ٣٧، وينظر في رأيه في شرح ابن عقيل: ١/ ٣٨٢، ومغني اللبيب: ١/ ٢٥، وحاشية الخضري: ١/ ١٣٨.

(٢) ارتشاف الضرب: ٣/ ١٢٧٤، وينظر في مذهبهم في: همع الهوامع: ١/ ٥١٣، وشرح التصريح ١/ ٢٣١، وحاشية الخضري ١/ ١٣٨.

(٣) توضيح المقاصد والمسالك: ١/ ٣٥٤.

(٤) توضيح المقاصد والمسالك: ١/ ٣٥٤.

(٥) أوضح المسالك: ٢٦٤/ ٢٦٥ وقد استعمل مصطلح نادر، وأندر منه الأشموني في شرحه: ١/ ٥٨٨.

(٦) شرح المفصل: ٨/ ٧٢.

وتوجيه البيت «إنْ قَتَلْتَ لمسلمـاً» وغيره من الشواهد النحوية عند المجيزين من نحاة البصرة وغيرهم يعرب على أن «إنْ» مخففة من الثقيلة، واللام في «لمسلما» هي اللام الفارقة التي تدل على أنها المؤكدة لا النافية(٢).

أما الكوفيون(٣) فإن مذهبهم النحوي يقوم أصلاً على منع إعمال «إنْ» إذا جاءت مخففة؛ ولهذا فإنهم لا يجدون بأسـًا في دخولها على الأفعال مطلقاَ، ويخرجون الشاهد النحوي السابق وغيره على أن «إنْ» نافية بمعنى «ما»، واللام في «لمسلما» استثنائية بمعنى «إلا»، وكأن الشاعرة قالت: «ما قتلْتَ إلا مسلمـاً».

وتأول بعض النحاة قول عاتكة: «إنْ قتلْتَ لمسلمـاً»، ويمكن ذكره في تأويلين اثنين:

الأول: ذهب الكسائي إلى أنَّ «إنْ» إذا دخلت على الاسم كانت مخففة من المشددة عاملة كما قال البصريون، وإن دخلت على الفعل كانت للنفي، واللام بمعنى «إلا» كما قال الكوفيون(٤).

فالشاهد عنده مؤول وذلك بجعل «إنْ» نافية، واللام في قولها «لمسلما» بمعنى «إلا»، وتقدير الشاهد (ما قتلْت إلا مسلما).

الثاني: جعل ابن عصفور دخول «إنْ» المخففة على الفعل غير الناسخ من القليل النادر، ولدى حديثه عن الشاهد السابق ذكرله وجهـًا من التأويل، جاء ذلك

=

(١) رصف المباني: ١٩١.

(٢) ينظر في واضح المسالك: ١/ ٥٨٧، وهداية السالك ١/ ٢٦٥.

(٣) ينظر في مذهب الكوفيين في المصادر التالية: المفصل للزمخشري: ١/ ٢٩٧، الإنصاف: ٢/ ٦٤٠ ومابعدها، شرح الكافية للرضي، ٢/ ٣٥٨، شرح عيون الإعراب: ١١٤، رصف المباني: ١٩١، شرح الكافية الشافية ١/ ٥٠٤.

(٤) همع الهوامع: ١/ ٥١٣، ٥١٤ وينظر في رأي الكسائي في: شرح الكافية للرضي: ٢/ ٣٥٩.

في قوله: «يحتمل أن تكون اللام زائدة[١]، ويكون اسم «إنْ» مضمراً ؛ لأن مجيء اسم «إن» مضمراً بابه أن يجيء في ضرائر الشعر، ومما يدل على ذلك أن لام التأكيد إنما بابها أن تدخل على المبتدأ، أو ماهو المبتدأ في المعنى، وهو الخبر، وأما المفعول المحض فلا سبيل إلى دخول اللام عليه إلا أن تكون زائدة»[٢].

الترجيح:

في ضوء ماسبق بيانه يتضح أن مجيء الأفعال بعد «إن» المخففة من الثقيلة له ثلاثة أقسام:

الأول: أن يليها فعل ماضٍ ناسخ من أخوات «ظن» أو «كان» وهو الأكثر[٣]، ومنه قوله تعالى ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾[٤]، ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾[٥]، ﴿إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾[٦].

الثاني: أن يليها فعل مضارع ناسخ وهو كثير[٧]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾[٨]، ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٩].

الثالث: أن يأتي بعدها فعل ماضٍ أو مضارع غير ناسخ، وهو من القليل النادر،

---

(١) أي في قولها: «لمسلما».

(٢) شرح الجمل لابن عصفور: ١/ ٤٣٩.

(٣) حاشية الخضري: ١/ ١٣٨.

(٤) سورة البقرة: ١٤٨.

(٥) سورة الأعراف: ١٠٣.

(٦) سورة الصافات: ٥٦.

(٧) حاشية الخضري: ١/ ١٣٨، وحاشية الصبان: ١/ ٤٥٢.

(٨) سورة القلم: ٥١.

(٩) سورة الشعراء: ١٨٦.

ومما ورد منه قراءة ابن مسعود لقوله تعالى: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[١]، قرأها: ﴿إِنْ لبثتم لَقليلاً﴾[٢]. بتخفيف «إن».

ومما ورد في كلام العرب قول امرأة:

والذي يُحْلفُ به إنْ جاءَ لخاطبا[٣]، تعني الرسول ﷺ.

ومنه قول بعض الفصحاء[٤]: إنْ قَنَّعْتَ كاتِبَكَ لسوطا.

ومما ورد من تخفيف «إنْ» ودخولها على الفعل المضارع غير الناسخ قول بعض العرب[٥]: «إن يزينك لَنَفْسُكَ، وإنْ يَشِيْنُك لَهِيَهْ».

والمتأمل في هذه الشواهد يرى أنها قليلة ونادرة ؛ ولهذا فالذي يترجح عندي في هذه المسألة هو ماذهب إليه جمهور البصريين وَمَنْ تبعهم من النحاة عندما جعلوا ذلك المسموع من القليل أوالنادر الذي يحفظ ولا يقاس عليه خلافاً للأخفش وابن مالك على قولٍ له.

أما تأويل الكسائي وابن عصفور لقول عاتكة: «إنْ قتلْتَ لمسلما»، ففيه بعدٌ وتكلف واضح؛ وذلك لما يأتي:

---

(١) سورة الإسراء: ٥٢.

(٢) معاني القرآن للأخفش: ٢/ ٦٤٠، وينظر في هذه القراءة في: همع الهوامع: ١/ ٥١٣، وشرح التسهيل: ٢/ ٣٧، وشرح التصريح: ١/ ٢٣٢، وارتشاف الضرب: ٣/ ١٢٧٤.

(٣) شرح التسهيل: ٢/ ٣٧، وشرح التصريح: ١/ ٢٣٢.

(٤) رصف المباني: ١٩١، وينظر في هذا القول في، : ارتشاف الضرب: ٣/ ١٢٧٣، المساعد على تسهيل الفوائد: ١/ ٣٢٨، همع الهوامع: ١/ ٥١٣، حاشية الخضري: ١/ ١٣٩ شرح ابن عقيل: ١/ ٣٨٢، ومعنى: قنَّعت: ضربت.

(٥) شرح التسهيل: ٢/ ٣٧، وينظر فيه في: شرح عمدة الحافظ: ١/ ٣٢٦، توضيح المقاصد ١/ ٣٥٤، ارتشاف الضرب ٣/ ١٢٧٤، أوضح المسالك: ١/ ٢٦٥، همع الهوامع: ١/ ٥١٣، شرح الأشموني: ١/ ٥٨٨، حاشية الصبان: ١/ ٤٥٢.

١- ما ذكره الكسائي من أن اللام في قولها «لمسلما» بمعنى «إلا» الاستثنائية فقول لا دليل له، ودعوى لا برهان عليها كما قال أبو الحسن المجاشعي في كتابه «شرح عيون الإعراب»[١]، ولم يرد شيء من ذلك في كلام العرب كما قال أبو البركات الأنباري في كتابه» الإنصاف»[٢].

كما أن «إنْ» النافية لا يأتي بعدها إلا أداة الاستثناء «إلا» كقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾[٤].

٢- إن في تأويل ابن عصفور للشاهد النحوي بقوله: «يحتمل أن تكون اللام زائدة[٥]، ويكون اسم «إن» المخففة مضمراً[٦] لا يجوز القياس عليه ؛ لأن مجيء اسم «إنَّ» مضمراً بابه أن يجيء في ضرائر الشعر[٧] كما ذكره ابن عصفور نفسه لدى حديثه عن توجيه قول عاتكة: «إن قتلت لمسلما».

وفي ضوء تتبعي لآراء ابن مالك في هذه المسألة وجدت في كلامه اضطراباً، فقد جعل وقوع الفعل غير الناسخ بعد «إنْ» المخففة شاذاً، وصرح بذلك في شرح الكافية الشافية، وذلك في قوله[٨]:

وخفّفت «إنَّ» فَقَلَّ العملُ ... وإنْ تلا فِعْلٌ فَمِمَّا يعزل

عمل الابتداء، وشذَّ نحو «إنْ» ... قَتَلْتَ والثاني بلام يقترن

---

(١) شرح عيون الإعراب ١١٤.

(٢) الإنصاف: ٢/ ٦٤٢.

(٣) سورة الملك ٢٠.

(٤) سورة يس ١٥.

(٥) في قولها: لمسلما.

(٦) شرح الجمل: ١/ ٤١٩.

(٧) شرح الجمل ١/ ٤١٩.

(٨) شرح الكافية الشافية: ١/ ٥٠٣.

ثم قال في شرحه: «ثم أشرت إلى أنه قد يليها فعلٌ غير ناسخ للابتداء على سبيل الشذوذ كقول عاتكة امرأة الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(١)، وذكر في الألفية أن دخولها على الفعل الناسخ هو الغالب، جاء ذلك في قوله:

والفعلُ إنْ لم يك ناسخًا فلا ... تلفيهِ غالبًا بإنْ ذي مُوْصَلا(٢)

لكنه في شرح التسهيل أجاز صحة الاستعمال في هذا الباب، وأيد مذهب الأخفش بقوله: «وأجاز الأخفش أن يقال: إنْ قَعَد لأنا، وإن كان صالحًا لزيدٌ، وإن ظننتُ عمراً لصالحًا، صرح بذلك في كتابه «المسائل»، وبقوله أقول: لصحة الشواهد على ذلك نظمًا ونثراً»(٣).

وعندي أنه لا داعي لمحاكاة هذه الشواهد القليلة النادرة، وحسبنا أن نتبين معناها، والغرض الذي نستعملها فيه دون القياس عليها.

المسألة الثانية
العطف بالرفع على اسم إنَّ قبل تمام الخبر

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بالمدينة رَحْلُهُ ... فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ(٤)

---

(١) شرح الكافية الشافية: ١/ ٥٠٤.

(٢) الألفية على شرح ابن عقيل: ١/ ٣٨١.

(٣) شرح التسهيل: ٢/ ٣٧.

(٤) قائل هذا البيت ضابئ بن الحارث البرجمي، قاله وهو محبوس بالمدينة المنورة، والرحل: المنزل، قيار: اسم رجل، وذكر بعض العلماء أنه اسم جمله، وقيل: اسم فرس له، ومعنى البيت التحسر على الغربة، والتوجع من الكربة، ينظر في الشاهد في المصادر التالية: شرح المفصل: ١/ ٥٤٢، شرح جمل الزجاجي لا بن خروف: ١/ ٤٥٨، المغني: ٦١٨، أوضح المسالك: ١/ ٢٦، شرح الأشموني ١/ ٥٧٥، مكتبة النهضة، مصر.ورواه سيبويه براوية النصب «وقياراً»، ينظر في الكتاب جـ١/ ٧٥.

العرض المركز:

موضع الشاهد في البيت قوله: «فإني وقيارٌ لغريبُ»، حيث ورد فيه ما ظاهره أنه عَطَفَ الاسم المرفوع الذي هو «قيارٌ» على اسم «إنَّ» المنصوب الذي هو ياء المتكلم قبل مجيء خبرها وهو قوله «لغريبُ».

وقد اختلف النحاة في توجيه الشاهد على مذهبين، أولهما: جواز عطف قيارٌ على موضع اسم «إنَّ» ثانيهما: أن العطف على اسم «إنَّ» قبل استكمال الخبر لا يجوز، والشاهد على المذهب الثاني مؤول بعدة تأويلات سيأتي بيانها مفصلاً.

التوضيح:

أجمع النحاة أن الاسم المعطوف على اسم «إنَّ» قبل تمام الخبر الأصل فيه أن يكون منصوبـًا، نحو: إنَّ زيداً وبكراً مسافرٌ، واتفقوا كذلك على جواز مجيء الاسم المعطوف مرفوعـًا قبل مجيء الخبر، نحو: إنَّ زيداً وبكرٌ مُسَافر كما في قول ضابئ البرجمي، لكنهم اختلفوا في توجيهه على مذهبين أولهما: جواز عطف «قيارٌ» على اسم «إنَّ» الذي هو ياء المتكلم، وإليه ذهب الكوفيون وبعض البصريين[1]، قال أبو البركات الأنباري لدى حديثه عن هذه المسألة:

«ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على موضع «إنَّ» قبل تمام الخبر»[2].

ويأتي في مقدمة نحاة الكوفة الذين أجازوا ذلك الكسائي، سواء أظهر في الاسم محل «إنَّ» أم لم يظهر، إذ يصح على مذهبه أن نقول: إِنَّ زيداً وبكرٌ مسافرٌ، و: إنَّك وبكرٌ مسافرٌ، قال أبو حيان لدى حديثه عن هذه المسألة: «اختلفوا إذا كان العطف قبل الخبر، فأجازه مطلقـًا قبل الخبر الكسائي، وأبو الحسن، وهشام، وروي

---

(١) ارتشاف الضرب: ٣/ ١٢٨٩.

(٢) الإنصاف: ١/ ١٨٥، وينظر في مذهب الكوفيين في هذه المسألة في شرح الجمل لابن عصفور: ١/ ٤٥٢، حاشية الخضري: ١/ ١٣٦، شرح المفصل: ١/ ٥٤٢.

ذلك عن الخليل إذا أُفْرِد الخبرُ»[١].

أما الفراء فقد وافق الكسائي في الجواز لكنه اشترط أن يكون اسم «إنَّ» مبنيـًا، جاء ذلك لدى حديثه عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾[٢]، إن رفع «الصابئين» على أنه عطف على «الذين»، و(الذين) حرف على جهة واحدة[٣] في رفعه ونصبه وخفضه، فلما كان إعرابه واحداً وكان نصب «إنَّ» نصبـًا ضعيفـًا، وَضَعْفُهُ أنه يقع على الاسم ولا يقع على خبره، جاز رفع الصابئين...

وقد أنشدونا هذا البيت رفعـًا ونصبـًا:

فمن يك أمسى بالمدينة رحلُهُ ... فإني وقيّـاراً بـهـا لـغـريـبُ

وقيارٌ... لأن قياراً قد عطف على اسم مَكْنِي[٤] عنه، والمكني لا إعراب له فسهل ذلك فيه كما سهل في «الذين» إذا عطفت عليه «الصابئون»، وهذا أقوى في الجواز من «الصابئون»؛ لأن المكني لا يتبين فيه الرفع في حال، و«الذين» قد يقال: «اللذون فيرفع في حال»[٥].

وشرح ابن عصفور سبب اشتراط بناء الاسم أو خفاء إعرابه بقوله: «إن

---

(١) ارتشاف الضرب: ٣/ ١٢٨٩، وينظر في رأي الكسائي في الإنصاف: ١/ ١٨٥، شرح الجمل لابن عصفور ٢/ ٤٥٢، شرح الكافية الشافية: ١/ ٥١٢، شرح التسهيل: ٢/ ٤٧، المساعد على تسهيل الفوائد: ١/ ٣٣٦، شرح التصريح على التوضيح: ١/ ٢٢٨.

(٢) سورة المائدة: ٦٩.

(٣) يريد أنه مبني غير معرب فلا يتغير آخره.

(٤) تعددت ألفاظ النحاة في بيان الشرط الذي ذكره الفراء، فمنهم من قال: إذا لم يظهر الإعراب في الاسم كما في أوضح المسالك ١/ ٢٩٥، وشرح المرادي: ١/ ٣٤٨، وذهب قوم إلى بناء الاسم شرط في الجواز كما ذكره صاحب الارتشاف ٣/ ١٢٨٨.

(٥) معاني القرآن: ١/ ٣١١.

الأول[١] إذا لم يظهر فيه الإعراب سهل مخالفة الثاني المعطوف عليه له، وإذا كان الأول معربـًا ظهر قبح المخالفة»[٢].

كذلك فإن الفراء خالف جمهور النحاة حين أجاز عطف الاسم المرفوع على موضع اسم إنَّ مع الحروف الناسخة لكونه في الأصل مبتدأ، ومنعه غيره لخروجه عن معنى الابتداء[٣].

المذهب الثاني: منع جمهور النحاة[٤] عطف «وقيارٌ» على اسم «إنَّ» الذي هو الياء، وسبب منعهم ذلك، كما قال ابن عصفور -بعد أن ذكر قول الكسائي والفراء- : «وذلك عندنا باطل، ظهر الإعراب أو لم يظهر، ذلك أن الحمل على الموضع لا ينقاس إلا حيث يكون للموضع مجرور، نحو: ليس زيدٌ بقائمٍ ولا قاعدٍ، ألا ترى أن قولك: «بقائم في موضع نصب بـ «ليس» والناصب هو «ليس» ولم يذهب، وإذا قلت: إنَّ زيداً قائمٌ، المعنى: زيدٌ قائمٌ، إلا أن الرافع لزيد إنما كان من التعري وقد ذهب، وأيضـًا فإن الحمل على المعنى إنما يكون بعد تمام الكلام، فنقول مثلاً، إن زيداً قائمٌ وعمروٌ ؛لأن معنى «إن زيداً قائمٌ»[٥]، هو «زيدٌ قائمٌ»، وذكر ابن يعيش[٦] سببـًا آخر لمنع عطف المرفوع على موضع اسم «إنَّ» قبل تمام الخبر فقال بعد ذكر الشاهد النحوي: «إنك لو عطفت على الموضع قبل التمام لاستحال، إذ الخبر قد

---

(١) أي اسم «إنَّ»، وهو المعطوف عليه.

(٢) شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور، ٢/ ٤٥٢، وينظر في ذلك في الإنصاف: ١/ ١٨٦، وشرح المفصل: ١/ ٥٤٢.

(٣) شرح الرضي: جـ٢/ ق٢/ ١٢٦٣.

(٤) حاشية الخضري: ١/ ١٣٦.

(٥) شرح الجمل لابن عصفور: ٢/ ٤٥٢.

(٦) شرح المفصل: ١/ ٥٤٢.

يكون خبراً عن منصوب ومرفوع قد عمل فيهما عاملان مختلفان، فيجيء من ذلك أن يعمل في الخبر عاملان مختلفان وهذا محال»[١].

وممن ذهب إلى منع عطف الاسم المرفوع على موضع اسم «إنَّ» قبل تمام الخبر، أبو البركات الأنباري[٢]، وأبو حيان[٣]، وابن هشام[٤]، والأشموني[٥].

وتأول المانعون قول الشاعر: فإني وقيارٌ بهالغريبُ، ويمكن ذكره في ثلاثة تأويلات:

الأول:

أنّ قوله: «لغريبُ» خبر «إنَّ»، و«قيارٌ» مبتدأ مرفوع حذف خبره، تقديره: وقيارٌ غريبٌ، وذلك لدلالة خبر الحرف الناسخ عليه، وهو من باب عطف الجمل على الجمل حيث عُطفت جملة «وقيارٌ غريبٌ» على جملة «إني لغريبُ».

ومن أوائل من ذهب إلى هذا التأويل إمام النحاة سيبويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد تعرض لهذه المسألة لدى حديثه عن الآية السابقة (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون)، فبعد أن ذكر أن الآية الكريمة تؤول على التقديم والتأخير، وذلك بجعل الخبر محذوفـًا، أي: والصابئون كذلك، قال: وقال الشاعر بشر بن أبي خازم:

وإلاَّ فاعلموا أنَّا وأنتم بُغاةٌ مابقينا في شقاقِ[٦]

---

(١) شرح المفصل: ١/ ٥٤٢: تحقيق: د-إميل يعقوب.

(٢) الإنصاف ١/ ١٨٧ ومابعدها.

(٣) ارتشاف الضرب: ٣/ ١٢٩٢.

(٤) أوضح المسالك: ١/ ٢٥٩ ومابعدها.

(٥) شرح الأشموني: ١/ ٥٧٥، مكتبة النهضة.

(٦) البيت لبشربن أبي خازم، ينظر فيه في ديوانه صـ١٦٥، المفصل ٢٩٦، الإنصاف: ١/ ١٩٠، شرح التسهيل: ٢/ ٥١، شرح الكافية الشافية: ١/ ٥١٣، أوضح المسالك: ١/ ٢٥٨، شرح =

كأنه قال: أنَّا بغاةٌ مابقينا وأنتم[١]، فسيبويه لا يجيز عطف الاسم المرفوع في الآية «الصابئون» على اسم «إنَّ» وهو «الذين» كما أنه لا يجيز عطف «وأنتم» على اسم «إن» وهو الضمير «أنا»، ويؤول الآية الكريمة والشاهد الشعري على تقدير أن الخبر محذوف، ويقاس قوله هذا أيضـًا على قول ضابئ بن الحارث البرجمي «فإني وقيارٌ بها لغريبُ».

وممن ذهب إلى هذا التأويل من النحاة: الزمخشري[٢]، وابن عصفور[٣]، وابن يعيش[٤]، وابن هشام[٥]، والأشموني[٦].

أما ابن مالك فقد اضطرب قوله في مسألة عطف الاسم المرفوع على موضع اسم «إن» قبل تمام الخبر، فمنعه في شرح التسهيل، وضعف قول الكسائي والفراء بقوله: «كلا المذهبين ضعيف ؛لأن «إن» وأخواتها قد ثبت قوة شبهها بكان وأخواتها، فكما امتنع بكان أن يكون للجزأين إعراب في المحل يخالف إعراب اللفظ يمتنع بإن، ولو جاز أن يكون اسم «إن» مرفوع المحل باعتبار عروض العامل لجاز أن يكون خبر «كان» مرفوع المحل بذلك، ولا اعتبار لتساويهما في أصالة الرفع، وعروض النصب[٧]، ثم أخذ يرد قول بعض العرب: «إنك وزيدٌ ذاهبان».

=

الشاطبي ١/ ٣٧٢.

(١) الكتاب ٢/ ١٥٦.

(٢) المفصل: ٢٩٦.

(٣) شرح الجمل لابن عصفور: ٢/ ٤٥٣.

(٤) شرح المفصل: ١/ ٥٤٢، تحقيق: د- إميل يعقوب.

(٥) المغني: ٦١٧، ٦١٨.

(٦) شرح الأشموني١/ ٥٧٨.

(٧) شرح التسهيل: ٢/ ٥١.

لكنه في شرح الكافية الشافية أيد مذهب الكسائي والفراء، ويظهر ذلك في قوله: «ومما يصلح الاحتجاج للفراء والكسائي على رفع المعطوف قبل الخبر قول بعض العرب: «إنهم أجمعون ذاهبون» فرفع التوكيد حملاً على معنى الابتداء في المؤكَّد مع أنهما شيءٌ واحد في المعنى، فأن يكون ذلك في المعطوف والمعطوف عليه لتباينهما في المعنى أحق وأولى[١]، وقد صرح أبو حيان أن ابن مالك يوافق مذهب الكوفيين فقال: «أجازه مطلقاً قبل الخبر الكسائي وابن مالك يقول عنه بشرط خفاء إعراب الاسم، فيندرج فيه المقصور والمضاف إلى ياء المتكلم»[٢].

التأويل الثاني:

ذهب بعض النحاة[٣] إلى أن قوله «لغريبُ» خبر عن المرفوع «وقيارٌ»، وأن الخبر محذوف دلَّ عليه خبر المبتدأ الثاني، والتقدير: إني غريب بها، وقيارٌ لغريبُ.

التأويل الثالث:

أوَّل بعض النحويين البيت الشعري بجعلهم الواو اعتراضية، وعلى هذا التأويل فليس هناك شاهد في البيت يمكن إدخاله في باب عطف الاسم المرفوع على موضع اسم إنَّ، وإليه ذهب الرضي بقوله لدى حديثه عن بيت ضابئ البرجمي: «أي فإني وقيارٌ كذلك بها لغريبُ»[٤].

الترجيح:

يترجح لدي في هذه المسألة ماذهب إليه الكوفيون والكسائي والفراء من

---

(١) شرح الكافية الشافية: ١/ ٥١٥.

(٢) ارتشاف الضرب ٣/ ١٢٨٩.

(٣) حاشية الخضري: ١/ ١٣٧.

(٤) شرح الكافية: ٢/ ق٢/ ١٢٦٦، وهذا مافهمه الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد بقوله: «وذهب المحقق الرضي أن جملة المبتدأ والخبر حينئذ لا محل لها معترضة بين اسم «إن» وخبرها، ينظر في هداية السالك: ١/ ٢٥٨.

جواز عطف الاسم المرفوع على محل اسم «إنَّ» قبل تمام الخبر، وذلك لوروده، في القرآن الكريم وكلام العرب، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾.

فظاهر الآية الكريمة جاء فيها «والصابئون» معطوفاً على موضع اسم «إن» وهو الذين، والأولى -من وجهة نظري- الأخذ بهذا التوجيه تفادياً للوقوع في التأويلات[١] الكثيرة التي ذكرها النحاة المانعون، ومنها المقبول، ومنها المتكلف.

ومن عطف الاسم المرفوع على موضع اسم «إنَّ» قراءة بعضهم (إن الله وملائكتهُ يصلون على النبي)، برفع «ملائكتهُ»[٢] فقد احتج بها الكسائي[٣] على الجواز، إذ جاءت كلمة «وملائكتهُ» معطوفة بالرفع على اسم إنَّ، وهو لفظ الجلالة.

فإن قيل: هذا التوجيه الذي ذهب إليه الكوفيون والكسائي يُعْتَرَضُ عليه بأن هذا يؤدي إلى تشريك الله تعالى للملائكة في الصلاة على رسول الله ﷺ فوجب تأويل الآية على هذه القراءة على تقدير أن خبر «إنَّ» محذوف[٤]، أي: إنَّ الله يصلي، ثم تعرب الواو حرف عطف، وجملة «وملائكته يصلون» معطوفة على «إن الله يصلي».

---

(١) ينظر في هذه التأويلات في المصادر التالية: مشكل إعراب القرآن ١/ ٢٣٢، البيان في غريب إعراب القرآن١/ ٣٠٠.

(٢) هي قراءة ابن عباس وعبد الوارث عن أبي عمرو كما قال أبو حيان، ينظر في البحر المحيط جـ٧/ ٢٤٨.

(٣) ينظر في تأويلات النحاة لهذه الآية مفصلاً في: الكتاب: ٢/ ١٥٥، شرح الجمل لابن عصفور: ٢/ ٤٥٠، المفصل: ٢٩٦، الإنصاف: ١/ ١٨٧ ومابعدها، شرح جمل الزجاجي لابن خروف: ٢/ ٤٥٩، شرح التسهيل: ٢/ ٥٠، المغني: ٦١٧ ومابعدها، شرح المرادي: ١/ ٣٥٠.

(٤) البحر المحيط: ٧/ ٢٤٨، والجامع لأحكام القرآن: ١٤/ ١٤٩.

وهذا الاعتراض رده بعض العلماء بقولهم: «الضمير في «يصلون» لله تعالى والملائكة، وهذا قول من الله تعالى شرَّف به ملائكته وليس لأحد أن يجمع ذكر الله تعالى مع غيره في ضمير، ولله تعالى أن يفعل في ذلك ماشاء»(١).

وأما ماورد في كلام العرب فمنه قول ضابئ البرجمي السابق: فإني وقيارٌ بها لغريبُ، ولا يلغي الاستشهاد بهذا البيت القول: إن قوله «وقيارٌ» جاء في رواية سيبويه وغيره منصوباً(٢)؛ وذلك لأن كثيراً من النحاة المتقدمين والمتأخرين رووه بالرفع «وقيارٌ»، وَمَنْ حفظ رواية الرفع حجة على مَنْ لم يحفظها.

ومنه قول الشاعر:

خليليَّ، هل طِبٌّ؟ فإني وأنتما وإنْ لم تبوحا بالهوى دَنِفانِ(٣)

والشاهد فيه قوله: «فإني وأنتما دنفان» حيث عطف الضمير «أنتما» على اسم «إنَّ» وهو ياء المتكلم قبل استكمال الخبر، ومنه قول بشر بن أبي خازم:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاةٌ مابقينا في شقاق(٤)

والشاهد فيه «أنا وأنتم بغاة»، فقد جاء الضمير «أنتم» معطوفاً على اسم «إنَّ» قبل تمام الخبر، وقد استدل به الفراء(٥) والكوفيون على جواز عطف الاسم المرفوع

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٤٩.

(٢) الكتاب: ١/ ٧٥.

(٣) ينظر في الشاهد في المصادر التالية: شرح الأشموني ١/ ٥٧٨، مكتبة النهضة المصرية، دنفان: مثنى دنف: صفة مشبهة من الدنَّف، وهو المرض اللازم، وفعله «دنفَ» إذا براه المرض حتى أشرف على الموت.

(٤) ينظر في الشاهد في الكتاب: ٢/ ١٥٦، معاني القرآن ١/ ٣١١، الإنصاف: ١/ ١٩٠، شرح المفصل: ١/ ٥٤٤، ت: د-يعقوب، شرح التسهيل ٢/ ٥١، شرح الكافية الشافية: ١/ ٥١٣، أوضح المسالك: ١/ ٢٥٨.

(٥) معاني القرآن: ١/ ٣١١، والبيت مؤول عند البصريين.

على موضع اسم «إن» قبل تمام الخبر.

ومذهب كثير من النحاة أن الحرف الناسخ «أنَّ» في هذه المسألة يلحق بـ«إنَّ»(١).

ومن الشواهد التي احتج بها الفراء على الجواز في هذا الباب قول الشاعر:

ياليتني وأنت يالميسُ ببلد ليس بهِ أنيسُ(٢)

فقد جاء الضمير «أنت» معطوفًا على اسم «ليت» وهو ياء المتكلم، وذلك قبل استكمال الخبر وهو قوله «ببلد».

وممّا يصلح الاحتجاج به للفراء والكسائي على رفع المعطوف قبل الخبر ما جاء عن بعض العرب قول سيبويه: «واعلم أن ناسًا من العرب يغلطون، فيقولون: «إنهم أجمعون ذاهبون»، «وإنك وزيد ذاهبان»، وذاك أن معناه معنى الابتداء، فَيُرَى أنه قال: «هُمْ» فقد جاءت كلمة «أجمعون» في المثال الأول مرفوعة؛ حملاً على معنى الابتداء في المؤكَّد «هم»، مع أنهما شيء واحد في المعنى، فأن يكون ذلك في المعطوف والمعطوف عليه لتباينهما في المعنى أحق وأولى»(٣).

وفي المثال الثاني: جاءت كلمة «زيدٌ» معطوفة بالرفع على اسم «إنَّ» وهو الكاف.

---

(١) ينظر في شرح الكافية الشافية ١/ ٥١٤على حذف خبر أنتم تقديره: أنا بغاةٌ وأنتم، ينظر في الكتاب: ٢/ ١٥٦، وشرح الكافية الشافية: ١/ ٥١٤.

(٢) معاني القرآن: ١/ ٣١١، ينظر في الشاهد في شرح الكافية الشافية: ١/ ٥١٢، وشرح التسهيل: ٢/ ٥٢ وماذهب إليه الفراء من إلحاق «ليت» بإن رده جمهور النحاة لأن «ليت» تغير الجملة إلى الإنشاء، فيلزم على الرفع عطف الخبر على الإنشاء، ولخروج الاسم من معنى الابتداء.ينظر في شرح الرضي: جـ٢/ ق٢/ ١٢٦٣، وحاشية الخضري: ١/ ١٣٧، والبيت مؤول عند جمهور النحاة، وذلك بجعل قوله «ببلد» خبراً لقوله «ليتني»، وخبر «أنت محذوف» تقديره: وأنت ببلدٍ، ينظر في تأويله في شرح التصريح على التوضيح: ١/ ٢٣٠.

(٣) الكتاب: ٢/ ١٥٥.

وقد اختلفت تفسيرات النحاة لقول سيبويه: «واعلم أن ناسًا من العرب يغلطون» فقد اعترض ابن مالك على قوله هذا في بعض مصنفاته، منها قوله في شرح الكافية الشافية بعد أن ذكر نص سيبويه: «وليس ذلك من سيبويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمرضي، بل الأولى أن يُخَرَّج على أن قائل ذلك أراد: أنهم هم أجمعون ذاهبون»(١).

وقال في شرح التسهيل: «وغلَّط سيبويه من قال: إنهم أجمعون ذاهبون، وإنك وزيدٌ ذاهبان... وهذا غير مرضي منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإن المطبوع على العربية... لو جاز غلطه في هذا لم يوثق بشيء من كلامه، بل يجب أن يعتقد الصواب في كل مانطقت به العرب»(٢).

ورد ابن هشام فهم ابن مالك لنص سيبويه فقال ومراده بالغلط ماعبر عنه غيره بالتوهم وذلك ظاهر من كلامه، ويوضحه إنشاده البيت، وتوهم ابن مالك أنه أراد بالغلط الخطأ فاعترض عليه»(٣).

والمراد بالتوهم كما قال في موضع آخر أنه عطف على توهم عدم ذكر «إنَّ» في المثالين السابقين، فكأن «أجمعون»، و«زيد» معطوفان على معنى «المبتدأ»(٤) كما صرح به سيبويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومع ترجيحي لمذهب الكوفيين والكسائي والفراء في هذه المسألة فإنني أشير إلى الأمرين التاليين:

الأول: أن معظم الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية التي ذكرتها جاء فيها اسم

---

(١) شرح الكافية الشافية: ١/ ٥١٥.

(٢) شرح التسهيل: ٢/ ٥٢، ٥١.

(٣) المغني: ٦٢٢.

(٤) المغني ٦١٨، وينظر أيضًا في شرح المفصل: ٥٤٣، ١/ ٥٤٤ ت: د-إميل.والمثالان مؤولان عند النحاة المانعين: فقول العرب إنك زيدٌ ذاهبان، تقديره: إنك أنت وزيدٌ ذاهبان، وكذلك: إنهم هم أجمعون ذاهبون، ينظر في المغني ٦١٨.

«إنَّ» ومايلحق بها مبنيـًا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾، فإني وقيارٌ، أنَّا وأنتم بغاة، فإني وأنتما... ولهذا أحسن الفراء رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين أجاز ذلك شرط خفاء إعراب الاسم سواء أكان مبنيـًا أم اسمـًا معربـًا مقصوراً، أم مضافـًا إلى ياء المتكلم، نحو: إنَّ الفتى، وزيدٌ مسافرٌ، ونحو: إنَّ أخي وزيدٌ مسافرٌ.

الثاني: أن السماع الوارد في هذا الباب كما مضى بيانه يكاد يكون قليلاً جداً، وبعضه يحتمل التأويل، والأولى أن يحفظ ولا يقاس عليه، ومن الخير أن يجعل الاسم المعطوف على اسم إنَّ قبل استكمال الخبر منصوبـًا، سواء أكان الخبر مطابقـًا لأحد المتعاطفين نحو: إنك وبكراً مسافرٌ، أم مطابقـًا لكليهما نحو: إنك وزيداً مسافران.

أما التأويلات التي ذكرها البصريون وغيرهم في الشاهد النحوي وغيره مما ورد في القرآن الكريم أو كلام العرب فيمكنني أن أقول فيها:

١- ماذهب إليه جمهور النحاة وذلك بتأويل البيت السابق «إني وقيارٌ به لغريبُ»، بجعل «قيارٌ» مبتدأ، خبره محذوف، تقديره وقيارٌ غريبٌ، والاسم المرفوع «لغريبُ» هو خبر «إنَّ» تأويل مقبول ؛ لأن حذف الخبر وارد في السماع الصحيح من القرآن الكريم وكلام العرب وذلك إذا دل السياق عليه.

٢- تأويل الشاهد النحوي بجعل «خبر» إني محذوفـًا دل عليه خبر المبتدأ «لغريبُ»، والتقدير: إني غريبٌ بها، وقيارٌ لغريبُ، فضعيف ؛وذلك لسببين:

أولهما: أن الحذف من الأول لدلالة الثاني عليه يُعدَّ في كلام العرب قليلاً[1]، إذ الأصل أن الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه.

ثانيهما: أن اتصال اللام بخبر المبتدأ ضعيفٌ مخالفٌ للقياس.

٣-أما تأويل الشاهد بجعل جملة «وقيارٌ» مع خبرها المحذوف جملة

(١) حاشية الخضري: ١/ ١٣٧.

اعتراضية بين اسم «إني» وخبرها «لغريبُ»-فهو كما قال الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد -في كتابه هداية السالك: «تأويلٌ حسن؛ لما يلزم على جعلها معطوفة على جملة «إن» واسمها وخبرها من تقديم المعطوف على بعض المعطوف عليه ؛ لأن خبر «إن» تأخر في اللفظ أو في التقدير عن جملة المبتدأ والخبر، وخبر «إن» جزء من الجملة المعطوف عليها»(١).

ومع القول بجواز عطف الاسم المرفوع على محل اسم «إن» قبل تمام الخبر فإن ماذهب إليه الفراء ومن تبعه من النحاة هو الراجح من وجهة نظري.

المسألة الثالثة

هل يقع خبر (إنَّ) جملة طلبية؟

إن الذين قتلتم أمسِ سيدَهُمْ لا تَحْسَبُوا ليَلهم عن ليلكم نَاما(٢)

العرض المركز:

موضع الشاهد النحوي في البيت السابق قوله: «إن الذين قتلتم... لا تحسبوا»، فقد جاء خبر «إنَّ» جملة طلبية مسبوقة بنهي، إذ الأصل في خبرها أن يكون جملة خبرية، وقد اختلف النحاة في ذلك على قولين: أحدهما: الجواز، ثانيهما: المنع، وتأول الشاهد جماعة منهم.

التوضيح:

ذهب جماعة من نحاة البصرة إلى جواز مجيء خبر «إنَّ» جملة طلبية مسبوقة

---

(١) هداية السالك ج١ / ٢٥٨.

(٢) البيت لأبي مُكْعِت، ينظر في الشاهد في أمالي ابن الشجري: ١/ ٣٣٢، ٣٣١، شرح التسهيل: ٢/ صـ١١، شرح الجمل لابن عصفور: ١/ ٤٢٩، المغني: ٧٦٢، شرح الجمل لابن عصفور: ١/ ٤٢٨، خزانة الأدب: ١٠/ ٢٥٠.

بأمر أو نهي، ومن أبرزهم أبو علي الفارسي، واستدل على رأيه بما ذهب إليه سيبويه، ويظهر ذلك في قوله[١]: «قد كنت أستبعد إجازة سيبويه الإخبار بجملتي الأمر والنهي حتى مَرَّ بي قول الشاعر:

إن الذين قتلتم أمس سيدَهُمْ لا تَحْسَبُوا ليلهم عن ليلكم نَاما»

وقال في كتابه «الشعر»[٢] لدى حديثه عن قول الشاعر: لا تجزعي إن منفساً أهلكته[٣]، يجوز ارتفاعه بالابتداء[٤] وإن كان في موضع الخبر نهي، كما جاز أن يرتفع بالابتداء إذا كان في موضع الخبر أمرٌ وذلك قول الجميح:

ولو أرادت لقالتْ وهي صادقةٌ إنَّ الرياضة لاتُنْصِبْكَ للشِّيبِ[٥]

وقد نص سيبويه على جواز مجيء خبر المبتدأ جملة طلبية، ويظهر ذلك في قوله في باب الأمر والنهي، «وقد يكون في الأمر والنهي أن يُبنَى الفعل على الاسم، وذلك قولك: عبدُ اللهِ اضْرِبْهُ، ابتدأْتَ عبد الله فرفعته بالابتداء، ونَبَّهْتَ المخاطب له لِتُعَرِّفَهُ باسمه، ثم بنيْتَ الفعل عليه كما فعلت ذلك في الخبر»[٦].

وسار ابن جني على مذهب شيخه الفارسي في هذه المسألة النحوية، فأجاز وقوع جملة «لا تحسبوه» خبراً لـ(إنَّ) في الشاهد السابق، واستشهد بقول سيبويه كما فعل الفارسي، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «سر صناعة الإعراب»:

«إن قيل هل يجوز أن تقول: إنَّ زيداً لِيضْرِبْ، فتجعل خبر «إنَّ» أمراً حتى تخاف التباسه بالخبر في قولك: إن زيداً لَيَضْرِبُ؟ فالجواب أن ذلك جائز، وقد جاء

---

(١) أمالي ابن الشجري: ١/ ٣٣١، ٣٣٢.

(٢) الشعر: ١/ ٣٢٦.

(٣) قائله: النمر بن تولب، ديوانه ص٧٢.

(٤) أي: منفسٌ.

(٥) قائله: الجميح الأسدي، وسيأتي مزيد شرح له في البحث.

(٦) الكتاب: ١/ ١٣٨.

به الشاعر، فجعل خبر «إنَّ»، وخبر المبتدأ، وخبر كان، ونحو ذلك أمراً لا يحتمل الصدق والكذب، قال الجميحُ:

ولو أصابت لقالتْ وهي صادقةٌ إنَّ الرياضة لاتنْصِبكَ للشِّيبِ

والنهي كالأمر في هذا، وعلى هذا قال سيبويه: وقد يكون في الأمر والنهي أن يُبْنَى الفعلُ على الاسم، وذلك قولك: عبدُ الله اِضِرْبْهُ...[١] وبعد انتهائه من نقل النص السابق لصاحب الكتاب قال: فهذا نص من سيبويه بجواز كون خبر المبتدأ أمراً ونهيـًا».

ويلاحظ أن الفارسي وابن جني لم يقيدا جواز وقوع خبر «إنَّ» جملة طلبية بالقلة أو الندرة، إنما ذكرا الجواز مطلقـًا بلا قيد، خلافـًا لما فعله الرضي لدى قوله: «وأما الجملة الطلبية كالأمر والنهي والدعاء.. ونحو ذلك فلا أرى منعـًا من وقوعها خبراً لهما، كما في خبر المبتدأ وإن كان قليلاً»[٢].

ثم استشهد على ذلك بقول الجميح: «إن الرياضة لا تُنْصِبْك للشِّيب»[٣].

وممن ذهب إلى جواز مجيء الجملة الطلبية خبراً مكي بن أبي طالب[٤]، والبغدادي[٥].

وذهب نحاةٌ آخرون إلى منع مجيء خبر «إن» جملة لاتحتمل الصدق أو الكذب، وجعلوا ماورد في كلام العرب نادراً أو شاذاً خاصـًا بالشعر، ولم يتعرضوا لتأويله، ومن هؤلاء البطليوسي، جاء ذلك في قوله: «إن المبتدأ قد يخبر عنه بأشياء لا يصح أن يخبر بها عمّا فعلت فيه «إنَّ» كالتحضيض، والدعاء، والأمر والنهي،

---

(١) سر صناعة الإعراب: ١/ ٣٨٨.

(٢) شرح كافية ابن الحاجب: ٤/ ٣٥٢، تحقيق: إميل يعقوب.

(٣) المرجع السابق: ٤/ ٣٥٢.

(٤) المشكل: ١/ ١٣١.

(٥) خزانة الأدب: ١٠/ ٢٤٦.

والاستفهام.. وقد جاء الإخبار عن إنَّ بالنهي في الشعر»[١].

ثم استشهد على ذلك بقول الجميح.

ووصف ابن مالك مجيء ذلك في الشعر من الشاذ الذي لا يقاس عليه، قال لدى حديثه عن الحروف الناسخة[٢]: «هذه الأحرف لا تدخل على ماخبره جملة طلبية نحو: زيدٌ هل قام؟ وعمروٌ أكْرِمْهُ، وخالدٌ لا تُهِنْهُ، ثم نبهتُ على ماشذَّ من دخول إنَّ على ماخبره نهي كقول الشاعر:

إن الذين قتلتم أمسِ سيدهم لاتحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما

وإلى المنع ذهب أبو حيان، فبعد أن عرض رأي ابن عصفور في هذه المسألة مفصلاً قال:

«وعلى المنع نصوص شيوخنا[٣]، وممن قال بالمنع يحيى بن حمزة العلوي[٤]، وابن عقيل[٥]، وعباس حسن[٦].

وقد أول فريقٌ من النحاة قول أبي مُكْعِتٍ على تقدير قولٍ محذوف يقع خبراً لإن، كأنه قال: «إن الذين قتلتم سيدهم أمسِ مقولٌ في شأنهم لا تحسبوا، أو: يُقَالُ فيهم: لاتحسبوا، ومن أوائل مَنْ ذكر هذا التأويل المالقي، إذ قال بعد ذكره للشاهد النحوي السابق: «فعلى تقدير: يقال فيها[٧]، وتحدث ابن هشام[٨] عن جواز حذف

---

(١) إصلاح الخلل: ١٨١.

(٢) شرح التسهيل: ٢/ ١١.

(٣) ارتشاف الضرب: ٣/ ١٢٤٣.

(٤) المنهاج في شرح جمل الزجاجي: ١/ ٣٢١.

(٥) المساعد على تسهيل الفوائد: ٣٠٨، ١/ ٣٠٩.

(٦) هامش النحو الوافي: ١/ ٦٣٨.

(٧) رصف المباني: ٢٠٠.

(٨) المغني: ٧٦١.

القول وجعل منه قول أبي مُكْعِت.

وقال الخضري: «ولا تدخل على خبر طلبي ولا إنشائي، وأما نحو (إن الله نعما يعظكم به)[١]، (إنهم ساء ما كانوا يعملون)[٢] فهو على تقدير القول كقوله: إن الذين قتلتم أمس سيدهم...»[٣].

أما ابن عصفور فله في وقوع خبر «إنَّ» جملة طلبية رأيان، أولهما: الجواز، وقد صرح بذلك في شرحه الصغير لجمل الزجاجي قال: «أما الجملة غير المحتملة للصدق والكذب، ففي وقوعها خبراً لهذه الحروف خلاف، والصحيح أنها تقع في موضع خبرها»[٤]، وذهب في كتابه «المقرّب» إلى المنع دون إشارة إلى تأويل ماورد في كلام العرب، قال لدى حديثه عن الأحرف الناسخة: «وماكان خبراً للمبتدأ فإنه يكون خبراً لها إلا الجمل غير المحتملة الصدق والكذب، وأسماء الاستفهام، وكم الخبرية»[٥].

لكنه في شرح الجمل أوَّل ماجاء في الشعر، فقد قال بعد ذكر القاعدة النحوية الخاصة بهذه المسألة:

«فإن جاء ماظاهره وقوع الجملة غير المحتملة للصدق والكذب خبراً يؤول، نحو قوله:

إن الذين قتلتم أمس سيدهم...فأوقع «لا تحسبوا» مع خبر «إنَّ» وهي نهي، وقول الآخر: فلو أصابت لقالت وهي صادقة، فأوقع: لاتنصبك» وهي نهي موقع

---

(١) النساء ٥٨.

(٢) التوبة ٩.

(٣) حاشية الخضري: ١/ ١٢٩.

(٤) ارتشاف الضرب: ٣/ ١٢٤٣.

(٥) شرح الجمل ابن عصفور: ١/ ٤٢٨.

خبر «إنَّ»، فينبغي أن يحمل ذلك على إضمار القول، كأنه قال: أقول لكم لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما، وأقول لك: لا تنصبك للشيب»[١].

الترجيح:

يظهر لي في ضوء دراسة هذه المسألة أن القول بمنع دخول خبر «إنَّ» جملة طلبية هو الأظهر والأولى وذلك لما يلي:

١- إنما لم تقع الجمل غير المحتملة للصدق والكذب أخباراً لهذه الحروف لمناقضة معناها لمعاني هذه الحروف؛ وذلك أن الجملة المحتملة للصدق والكذب مقتضاها الطلب، فإذا قلت: اضرب فكأنك تطلب من المخاطب الضرب، وكذلك ليت زيداً قائمٌ، ولعل زيداً قائمٌ، تمنيك للقيام، ورجاؤك له طلب، فالطلب في هذه الأشياء ثابت، والتمني والترجي إنما يكون لما لم يثبت، وأما ماقد ثبت فلا فائدة في ترجيه وتمنيه ؛ لأن الحاصل لا يطلب، فلذلك لم يجز أن تقع هذه الجمل خبراً لليت ولعل، ولم تقع خبراً لأنَّ وأنَّ ولكنَّ؛ لأن هذه الحروف للتأكيد، ولا يؤكد إلا مايحتمل أن يكون وألا يكون في حق المخاطب، وأما ماقد ثبت واستقر في حق المخاطب فلا فائدة فيه، والطلب في هذه الجمل ثابت عند المخاطب»[٢].

٢- ماورد من وقوع الجملة الطلبية خبراً للحرف الناسخ «إنَّ» قليل ونادر، يكاد فيما وقفت عليه لا يتجاوز شاهدين شعريين، أحدهما قول أبي مكْعِت:

إن الذين قتلتم أمسِ سيدهم لا تحسبوا ليلهم عن ليلكم ناما[٣]

وثانيهما: قول الجُمَيح الأسدي:

---

(١) شرح الجمل لابن عصفور: ١/ ٤٢٩.

(٢) المرجع السابق: ١/ ٤٢٩.

(٣) مضى شرحه وتخريجه في بداية هذا المبحث.

ولو أرادتْ لقالتْ وَهْيَ صادقةٌ إن الرياضة لا تُنْصِبْكَ للشِّيبِ[١]

والشاهد في وقوع الجملة الطلبية «لا تنصبك خبراً لإنَّ»..

ومع ترجيحي لقول النحاة المانعين، فإن تأويل الشاهدين الشعريين السابقين على تقدير قول محذوف هو تأويل مقبول ؛ وذلك لوروده في القرآن الكريم وكلام العرب، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾[٢]، أي: فيقال: أكفرتم، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾[٤]، أي: يقولون[٥]: سلام عليكم، وقوله تعالى ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾[٦]، أي: تقولون: إنا لمغرمون[٧].

وأما ماورد في كلام العرب من حذف القول فهو كثيرٌ أيضـاً كما قال النحاة،

---

(١) الشاهد للجميح الأسدي، واسمه: منقذ بن الطماح بن قيس، والبيت من قصيدة في المفضليات ص٣٤، والشاهد في: أمالي ابن الشجري: ١/ ٣٣٢، وكتاب الشعر: ١/ ٣٢٦، وإصلاح الخلل: ١٨١، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٨٨ ص٢٠٠، وارتشاف الضرب: ٢/ ١٢٤٣، والخزانة ١٠/ ٢٤٦، والبيت من قصيدة للجميح عددها اثنا عشر بيتـاً، ذكر فيها نشوز امرأته لقلة ماله.

والرياضة: تهذيب الأخلاق النفسيه، وتنصبك: مضارعه أ نصبه إنصابا، أي: أ تعبه، يقول: إن رياضة الكبير عناء على من يرومها، وتعب لا يجدي شيئا، لأنه لا يسمع مايؤمر به ولا يستجيب لما معه من تجارب الأيام.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٦.

(٣) سورة الزمر: ٣.

(٤) سورة الرعد: ٢٣ – ٢٤.

(٥) رصف المباني ٢٠٠.

(٦) سورة الواقعة ٦٥، ٦٦.

(٧) ينظر في الإنصاف: ١/ ١١٤، رصف المباني: ٢٠٠والمغني صـ ٧٦١ ومابعدها.

ومنه قول الشاعر:

حتى إذا جنَّ الظلامُ واختلطْ جاؤوا بمذقٍ هل رأيت الذئب قَطْ[(١)]

والتقدير: جاؤوا بمذقٍ مقولٍ فيه[(٢)].

المسألة الرابعة

هل تنصب الحروف الناسخة الاسم والخبر؟

إذا اسوَدَّ جُنْحُ الليلِ فَلْتَأْتِ وَلْتكُنْ خُطَاكَ خِفَافًا إنَّ حُرَّاسَنَا أُسْدا»[(٣)]

العرض المركز:

موضع الشاهد في البيت قوله «إنَّ حُرَّاسَنَا أُسْدا»، فقد ورد فيه ما ظاهره أن «إنَّ» المؤكدة نصبت الاسم «حراسا» والخبر «أسدا»، وتمسك لهذا الظاهر طائفةٌ من النحاة فأجازوا ذلك في «إنَّ» وغيرها من الحروف الناسخة، وتأوله الجمهور.

التوضيح:

إن الأصل في «إنَّ» وأخواتها أنها تنصب الاسم وترفع الخبر، وعلة رفعها الخبر كما قال ابن عصفور: «إنه لما وجب رفع أحدهما تشبيهًا بالعُمدة، ونصب أحدهما تشبيهًا بالفضلة، كان أشبههما بالعمدة الخبر ؛ لأن هذه الحروف إنما

---

(١) الشاهد ينسب للعجاج وقيل لراجز، كان قد نزل بقوم فانتظرو طويلا حتى جاء الليل بخلافه، جاؤوه بلبن قليل قد خلطوا عليه ماءً كثيرا حتى أصبح لونه يحاكي لون الذئب، المذق: اللبن الممزوج بالماء، ويكون لونه أغبر كالذئب وينظر في الشاهد في: الإنصاف: ١/ ١١٥، أوضح المسالك: ٣/ ٨، والمغني: ٣٢٥.

(٢) أوضح المسالك: ابن هشام: ٣/ ٨، المغني: ٣٢٥.

(٣) ينظر في الشاهد في: شرح الجمل لابن عصفور: ٤٢٤/ ١، شرح التسهيل ٩/ ٢، شرح الكافية الشافية: ١/ ٥١٨، المقاصد الشافية: ٢/ ٣١١، المغني: ٥٥، همع الهوامع: ١/ ٤٩٠، شرح الأشموني: ١/ ٥٣٥، مكتبة النهضة المصرية.

دخلت لتوكيد الخبر أو تمنِّيه، أو ترجِّيه، أو التشبيه به، فصارت الأسماء كأنها غير مقصودة، فلما رُفِعَ الخبر تُشبيهـًا بالعمدة نُصِبَ الاسم تشبيهـًا بالفضلات[١]، ولكن هل يجوز أن تعمل «إنَّ» وأخواتها النصب في الاسم والخبر معـًا؟

للنحاة في هذه المسألة مذهبان:

الأول: الجواز، وإليه ذهب الكوفيون، وقد اختلفت آراؤهم، وتعددت أقوالهم، ويمكن إجمالها في قولين اثنين:

١- ذهبت طائفة من نحاة الكوفة إلى أن نصب الاسم والخبر خاص ببعض الحروف الناسخة، فقد اتفق الكسائي والفراء على أن «نصب الجزأين» خاص بالبيت، قال أبو حيان: «والكسائي إلى جوازه في «ليت»، وكذا في نقلٍ عن الفراء»[٢].

وَ رُوي عن الفراء أيضـًا أنه يجيز ذلك في «كَأَنَّ» و«لعلَّ»[٣].

وتبع الفراءَ في جواز نصب «كأَنَّ» و«ليت» للمعمولين الكوفيون عمومـًا كما قال ابن خروف في شرح الجمل[٤] وحكى الكوفيون نصب «كأنَّ»، و«ليت لمعمولين».

٢- ذهب بعض الكوفيين إلى أن الحروف الناسخة كلها تنصب الجزأين، قال ابن مالك: «ومن الكوفيين من ينصب الجزأين بـ «ليت» وغيرها من أخواتها»[٥].

وقال الشاطبي بعد أن ذكر رأي الكسائي والفراء: «وباقي الكوفيين أجازوا ذلك أيضـًا في سائر أخوات «ليت»، فيجوز عندهم: إنَّ زيداً قائما، ولكنَّ زيداً قائما،

---

(١) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور: ١/ ٤٢٤.

(٢) ارتشاف الضرب: ٣/ ١٢٤٢.

(٣) ارتشاف الضرب: ٣/ ١٢٤٢.

(٤) شرح الجمل لابن خروف: ١/ ٤٦٦.

(٥) شرح الكافية الشافية ٥١٦، ١/ ٥١٧.

وكأنَّ زيداً قائما»[١].

وتبع الكوفيين في ذلك بعض علماء الأدب واللغة، مستدلين على الجواز بما ورد في لغات بعض القبائل العربية، قال السيوطي: «سُمع من العرب نصب الجزأين... وهو سائغ في الجميع، وعليه أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن الطراوة، وابن السيد»[٢].

الثاني: منع جمهور النحاة عمل الحروف الناسخة النصب في الاسم والخبر، وتأولوا ماورد في كلام العرب، ومنه قول الشاعر «إنَّ حراسنا أسدا، ولهم في تأويله ثلاثة أقوال:

الأول: أنَّ «أسداً» حال، وعاملها محذوف تقديره «يشبهون»، أو «تجدهم»، وهذه الجملة الفعلية المحذوفة في محل رفع خبر «إنَّ».

وممن خَرَّج البيت على هذا التأويل ابن عصفور بقوله لدى حديثه عن عمل «إنَّ» النصب في المعمولين: «زعم بعض النحويين أنه يجوز فيها أن تنصب الاسم والخبر معـًا، وممن ذهب إلى ذلك ابن سلام في طبقات الشعراء، وزعم أنه لغة، واستدل على ذلك بقول عمر بن أبي ربيعة:

إذا اسودّ جُنْحُ الليل فلتأتِ ولتكن ... خُطاك خِفافـًا إنَّ حراسنا أسدا

فنصب الحراس والأُسْدَ بإنَّ... ولا حجة في شيء من ذلك عندنا، أما قوله: «إن حراسنا أسداً» فبكون الخبر محذوفـًا، والتقدير: «تلقاهم أُسدا»[٣].

---

(١) المقاصد الشافية: ٢/ ٣١٠.

(٢) الهمع١/ ٤٩٠، وينظر في شرح التسهيل: ٢/ ١٠، ارتشاف الضرب: ٣/ ١٢٤٢، وشرح الأشموني: ١/ ٥٣٥، وينظر في رأي ابن سلام في كتابه: طبقات الشعر: ٧٨، ١/ ٧٩، وفي رأي ابن الطراوة: ابن الطراوة النحوي: ١٧٢-.

(٣) شرح الجمل لابن عصفور: ١/ ٤٢٦٢، ٤٢٥.

وقال ابن هشام: «خُرِّجَ البيت على الحالية، وأن الخبر محذوف، أي تلقاهم أسدا»[١].

الثاني: ذهب ابن مالك في قولٍ له إلى أن «أُسْدَا» مفعول به لفعل محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر «إن»، أشار إلى هذا بقوله: «ويقدر «إن حراسنا أسدا» كأنه قال: إن حراسنا يشبهون «أسدا»[٢]، وتبعه في ذلك التأويل نحاةٌ آخرون منهم الشاطبي، فقد قال لدى حديثه عن هذا البيت: «وأما «إن حراسنا أسدًا»، فعلى إضمار فعل أيضـًا تقديره: يشبهون أسدا، أو تجدهم أسدا، أو نحو هذا»[٣].

الثالث: أَوَّل بعضهم البيت على تقدير أن «أسدا» خبر لفعل ناسخ محذوف تقديره: «إن حراسنا كانوا أسدا»، والجملة الفعلية المحذوفة في محل رفع خبر «إنَّ»، وإليه ذهب ابن مالك[٤] في قولٍ له.

الترجيح: يترجح لي في هذه المسألة النحوية ماذهب إليه نحاة الكوفة وهو جواز نصب الحروف الناسخة كلها أو بعضها لمعمولين ؛وذلك لما يأتي:

١- نقل جماعةٌ من علماء الأدب واللغة أن نصب «إنَّ» أو بعض أخواتها الاسم والخبر لغةٌ صحيحةٌ وردت على لسان بعض القبائل العربية، كما ورد ذلك عن ابن سلام الجمحي، وابن الطراوة، وابن السيد البطليوسي، قال أبو حيان لدى حديثه عن هذه المسألة: «المشهورُ رفع أخبار هذه الحروف، وذهب ابن سلام في طبقات الشعراء، وجماعة من المتأخرين إلى جواز نصبه... وزعم ابن سلَّام أنه لغة رؤبة وقومه، وحكي عن تميم أنهم ينصبون بلعلَّ، وسمع ذلك في خبر «إنَّ»،

---

(١) المغني: ٥٥، ٥٦.

(٢) شرح التسهيل: ٢/ ١٠.

(٣) المقاصد الشافية: ٢/ ٣١٢.

(٤) شرح التسهيل: ٢/ ١٠.

و«كأنَّ»، و«لعلَّ»، وكَثُرَ ذلك في خبر «ليت»[١].

وممن ذكر من النحاة أن نصب المعمولين بإنَّ أو ببعض أخواتها لغة رويت عن بعض القبائل: ابن مالك[٢]، وابن هشام[٣]، والشاطبي[٤]، والسيوطي[٥]، وآخرون.

٢- استدل النحاة المجيزون بنصوص شعرية ونثرية وردت عن العرب، أما الشواهد الشعرية التي استشهد بها الكوفيون على الجواز، فمنها قول الشاعر:

ياليت أيام الصِّبا رواجعا[٦]

فقد عملت «ليت» النصب في الاسم «أيام» والخبر «رواجعا»[٧].

ومنها قول الشاعر:

ليت الشباب هو الرجيعَ على الفَتى والشيبُ كان هو البديءُ الأولُ[٨]

---

(١) ارتشاف الضرب: ٣/ ١٢٤٢.

(٢) شرح التسهيل: ٢/ ١٠.

(٣) المغني: ٥٥.

(٤) المقاصد الشافية: ٢/ ٣١١.

(٥) الهمع: ١/ ٤٩٠.

(٦) الشاهد للعجاج في الموشح ص٣٤٠ وليس في ديوانه، ينظر فيه في ملحقات ديوانه ص٨٢ وقد ورد في الكتاب ٢/ ١٤٢، شرح الجمل لابن عصفور: ١/ ٤٢٥، شرح الشنتمري: ١/ ٢٨٤، لمع الأدلة ص٨٢، المسائل البصريات: ٣٦٩، ١/ ٧٢١، رصف المباني: ٣٦٦، المقاصد الشافية: ٢/ ٣١١، المغني: ٣٧٦، شرح الأشموني ١/ ٥٣٧.

(٧) الشاهد مؤول عند جمهور النحاة على أن رواجعا حال وعاملها محذوف تقديره: أ قبلت، أو: رجعت، والجملة الفعلية المحذوفة في محل رفع خبر «ليت»، وينظر في هذا التأويل في الكتاب: ٢/ ١٤٢، شرح جمل الزجاجي لابن عصفور: ١/ ٤٢٥، المسائل البصريات: ١/ ٣٦٩، ٧٢١، المغني: ٣٧٦، المقاصد الشافية: ٢/ ٣١١.

(٨) ينظر في الشاهد في: معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٥٢، شرح التسهيل: ٢/ ٩، شرح الكافية الشافية: ١/ ٥١٦، المقاصد الشافية: ٢/ ٣١٠، المساعد على تسهيل الفوائد: ١/ ٣٠٧.

فقد نصب الشاعر بـ«ليت» المعمولين الاسم «الشباب»، والخبر «الرجيع».

ومن السماع الوارد في عمل «ليت» النصب في المعمولين ما أنشده أبو العباس ثعلب:

فليت غداً يكونُ غِرارَ شَهْر وليْتَ اليومَ أياماً طوالاً[١]

فعند الفراء ومن تبعه من الكوفيين عملت «ليت» النصب في الاسم «اليوم»، والخبر «أياماً».

ومنه أيضاً قول النمر بن تولب:

ألا ياليتني حجراً بوادٍ أقام وليتَ أُمِّي لم تلدني[٢]

والشاهد فيه قوله: «ليتني حجراً» حيث وقعت الياء ضميراً متصلاً في محل نصب اسم «ليت»، وجاءت «حجراً» خبراً منصوباً، ومنه قول ذي الرمة:

كأنَّ جلودَهُنَّ مُمَوَّهاتٍ على أبشارها ذَهَباً زُلاَلاَ[٣]

فقد جاءت «كأنَّ» ناصبة الاسم «جلودهُنَّ»، والخبر «مُمَوَّهاتٍ»[٤].

ومن عَمَلِ «كأنَّ» النصب في المعمولين قول الشاعر:

كأنَّ أذنيه إذا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أو قلماً مُحَرَّفا[٥]

---

(١) مجالس ثعلب ص٢٣٦، ويمكن تأويل هذا الشاهد على رأي الجمهور وذلك بجعل، أياماً خبراً لكان المحذوفة، أي: وليت اليوم يكون أياماً طوالاً، والجملة الفعلية المحذوفة في محل رفع خبر «ليت».

(٢) ديوان النمر بن تولب: ٣٩١، وينظر فيه في همع الهوامع: ١/ ٤٩١ ويخرج الشاهد على رأي الجمهور بمثل ما مضى ذكره في الشاهد السابق.

(٣) ينظر في الشاهد في حاشية الخضري: ١/ ٥٣٩، مكتبة النهضة المصرية.

(٤) وهو عند جمهور النحاة مؤول على أن خبر «كأن» هو قوله «بأعلى أبشارها»، و«مموهاتٍ» حال من «جلود».

(٥) هذا البيت لمحمد بن ذؤيب العماني يصف فرساً، وهو من كلمة مدح بها أمير المؤمنين =

والشاهد فيه قوله: «كأن أذنيه... قادمةً»، حيث عملت النصب في الاسم والخبر(١).

أما النصوص النثرية التي استدل بها الكوفيون على صحة مذهبهم في هذه المسألة فمنها ما روى مسلم أن أبا هريرة(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إنَّ قعرَ جهنم لَسبعين خريفا»، فقد عملت «إنَّ» النصب في الاسم «قعر»، والخبر «لَسبعين»، قال الإمام النووي في شرحه: «في معظم الأصول والراويات «لَسبعين» بالياء، وهو صحيح».

ومن السماع الوارد عن بعض العرب قولهم: «لعلَّ زيداً أخانا»(٣).

٣- إن التأويلات التي ذكرها جمهور النحاة منها ماهي مقبولة، ومنها ماهي متكلفة، ويمكن بيان ذلك على التفصيل الآتي:

=

هارون الرشيد، ومعنى «تشوفا» أي نصب عنقه، وقادمةً: واحدة القوادم، وهي مقاديم ريش الطائر، وقلما آلة الكتابة.

ينظر في الشاهد في: شرح الجمل: لابن عصفور: ١/ ٤٢٥، المسائل البصريات: ١/ ٣٦٩، شرح التسهيل: ٢/ ٩، رصف المباني: ٣٦٦، المغني: ٣٧٦، المقاصد الشافية: ٢/ ٣١١، همع الهوامع: ١/ ٤٩١، شرح الأشموني: ١/ ٥٣٨.

(١) لجمهور النحاة في هذا البيت قولان: أولهما: أن الشاعر، لحنه الأصمعي وأبو عمرو بن العلاء بحضرة الرشيد. ثانيهما: أن «قادمة» مفعول به لفعل محذوف تقديره: كأن أذنيه تحاكيان قادمة والجملة في محل رفع خبر «كأن»، ينظر في ذلك قي شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٤٢٦، شرح التسهيل: ٢/ ١٠، المقاصد الشافية: ٢/ ٣١١، ٣١٢.

(٢) توهم كثير من النحاة أن هذا القول هو قول الرسول ﷺ كما جاء ذلك عن ابن مالك في شرح التسهيل، وابن هشام في المغني: ٥٥، والشاطبي في المقاصد الشافية: ٢/ ٣١٢، والصحيح أن هذا الأثر هو قول أبي هريرة فهو الذي روى حديث الشفاعة الطويل، ثم قال بعد أن فرغ منه «والذي نفس أبي هريرة بيده» ينظر في الأثر في صحيح مسلم: صفحة ١٢٦ وصحيح مسلم بشرح النووي: ٣/ ٧٢.

(٣) همع الهوامع: ١/ ٤٩١.

أ- القول بأن «أُسداً» في قول الشاعر: «إن حراسنا أُسداً» حال، وعامله محذوف تقديره «يظهرون» أو «يشبهون» ونحوهما، والجملة في محل رفع خبر «إن»، القول بهذا يؤخذ عليه أن حذف الخبر مع كون الحال صالحاً للخبرية ضعيف كما هو مقرر عند النحاة، وترك الحمل على الضعيف أولى.

ب- إن كلمة «أسدا» جاءت اسماً جامدا دالاً على ذات، ومجيء الحال من الاسم الجامد وإن أجازه النحاة وتأولوه على تقدير اسم مشتق، لكنه أيضاً قليلٌ، والأولى من وجهة نظري عدم حمل هذا الشاهد عليه.

جـ- تأويل الكسائي للشواهد الشعرية التي جاءت فيها «ليت» ناصبة في الظاهر الاسم والخبر تأويل مقبول، كما في تأويله لقول الشاعر:

ياليت أيام الصبا رواجعا

وقد يقال: إن حذف «كان» مع اسمها متفقٌ عليه بعد «إن» و«لو» الشرطيتين، ولم يذكر جمهور النحاة أن من مواضع حذفها مجيئها مع «ليت»، والجواب عن هذا: لماذا لا نقول: إن حذفها مع «إنْ» و«لو» كثير، وحذفها جائزٌ مع «ليت» وإن كان قليلاً؟

كذلك فإن تأويل قول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أن «سبعين» منصوب على الظرفية، وهي في محل رفع خبر، تأويل مقبول، وإليه ذهب ابن مالك بقوله:

«يحمل الحديث على أن «القعر» فيه مصدر قعرتُ الشيء إذا بلغت قعره، وهو اسم «إن»، و«لسبعين خريفاً»، ظرف مخبر به ؛لأن الاسم مصدر، وظروف الزمان يخبر بها عن المصادر[1] كثيراً وتبع ابن مالك في هذا التأويل النووي[2]، وابن

---

(١) شرح التسهيل: ٢/ ١٠، وينظر في رأيه أيضاً في شرح الكافية الشافية، ١/ ٥١٨.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: ٣/ ٧٣، وقد نقل النووي كثيراً من أقوال ابن مالك في شرحه، وكان يصفه بأنه كان شيخاً له في العربية.

هشام[١]، والشاطبي[٢].

خلاصة الرأي الذي أذهب إليه في هذه المسألة وأرتضيه إجازة نصب الحروف الناسخة أو بعضها للاسم والخبر معًا ؛وذلك لأن بعض القبائل العربية كانت تستعمل هذه اللغة، وقد رواها العلماء العدول، فلا حاجة بعد ذلك إلى كثيرٍ من التأويلات التي لجأ إليها جمهور النحاة، مع رد تلك الشواهد إلى القلة والندرة، وعدم القياس عليها حفاظًا للأصول المجمع عليها.

المسألة الخامسة

دخول لام الابتداء على خبر «لكِنَّ»

يَلُومونني في حُبِّ ليلى عواذلي ولكنني من حُبِّها لَعَمِيْدُ[٣]

العرض المركز:

الشاهد فيه قوله: «لعميد» حيث دخلت لام الابتداء على خبر «لكِنّ»، أجازه الكوفيون، وأنكر ذلك البصريون، وأولوه عدة تأويلات سيأتي بيانها مفصلاً.

التوضيح:

أجاز نحاة الكوفة[٤] دخول لام الابتداء في خبر «لكِنَّ»، وإليه ذهب الفراء

---

(١) المغني: ٥٥، ٥٦.

(٢) المقاصد الشافية: ٢/ ٣١٢.

(٣) هذا الشاهد النحوي لا يعرف له قائل، ولم يذكر صدره فيما اطلعتُ عليه -إلا ابن عقيل في شرحه للألفية، وعميد: من قولهم: عمده العشق، إذا انكسر قلبه من المحبة، أو: هدّه العشق. وينظر في الشاهد: في معاني القرآن: ١/ ٤٦٥، إصلاح الخلل ١٨٢، والإنصاف: ١/ ٢٠٩ الرواية في هذه المصادر الثلاثة «لكميد»، شرح الجمل لابن عصفور: ١/ ٤٣٠: شرح ابن عقيل: ١/ ٣٦٥، شرح التسهيل: ٢/ ٢٩، شرح الجمل: ابن خروف ١/ ٤٥٧، المغني لابن هشام: ٣٠٧، ائتلاف النصرة للزبيدي: ١٧٢، شرح الأشموني: ١/ ٥٥٩، خزانة الأدب: ١/ ٣٦٣.

(٤) ينظر في إجازة الكوفيين لذلك في المصادر التالية: إصلاح الخلل: ١٨٢، الإنصاف: ١/ ٢٠٩، =

بقوله لدى حديثه عن «لكِنَّ»: «وإنما نصبت العرب بها إذا شُدِّدَتْ نونُها ؛ لأن أصلها: إنَّ عبد الله قائم، فزيدت على «إنّ» لام وكاف فصارتا جميعًا حرفًا واحداً ؛ ألا ترى أن الشاعر قال: «ولكنني من حبها لعميد»، فلم تدخل اللام إلا لأن معناها إنَّ»(١).

من أدلة الكوفيين على الجواز السماع والقياس، ومن السماع الوارد في هذا الباب الشاهد النحوي السابق، وأما القياس فقد ذكروا أنه يجوز العطف على موضع «إنَّ» بالرفع والنصب، نحو: إنَّ زيداً قائمٌ وعمراً وعمروٌ، فكذلك الأمرُ مع «لكِنَّ» دون بقية أخواتها(٢).

وكما جاز دخول لام الابتداء على خبر «إنَّ» فكذلك يجوز دخولها على خبر «لكِنَّ» قياسـًا.

ونحاة الكوفة مع إجازتهم دخول لام الابتداء على خبر الحرف الناسخ «لكنّهم» متفقون مع نحاة البصرة على تأويل هذا الشاهد النحوي، ويمكن ذكر تأويلاتهم على التفصيل التالي:

التأويل الأول: أجاز نحاة الكوفة دخول لام الابتداء في خبر «لكِنَّ» ؛لأنها عندهم مركبة ليست بسيطة ثم اختلفوا في تقديرها على أقوال:

أولها: إن «لكِنَّ» أصلها «إنَّ» زيدت عليها اللام والكاف، وإليه ذهب أكثر الكوفيين، وفي مقدمتهم الفراء، جاء ذلك في قوله لدى حديثه عن الحرف الناسخ «لكِنَّ»: «إنما نصبت العرب بها إذا شددت نونها لأن أصلها: إنِّ عبد الله قائمٌ فزيدت

=

شرح التسهيل: ٢/ ٢٩، ارتشاف الضرب: ٢/ ١٢٦٧، المقاصد الشافية: ٢/ ٣٤٦، المغني: ٣٨٤، توضيح المقاصد: ١/ ٣٤٣، شرح ابن عقيل: ١/ ٣٦٣، همع الهوامع: ٢/ ١٧٥.

(١) معاني القرآن ١/ ٤٦٦-٤٦٥.

(٢) الإنصاف: ١/ ٢١٧، شرح الكافية للرضي: ٤/ ٣١٨ تحقيق: إميل يعقوب.

على «إنَّ» لام وكاف فصارتا جميعـًا حرفـًا واحداً»[١].

وقال صاحب الإنصاف عند بيان مذهب نحاة الكوفة: «الدليل عند الكوفيين النقل والقياس... وأما القياس فلأن الأصل في «لكِنَّ» هو «إنَّ» زيدت عليها «لا»، و«الكاف» فصارتا جميعـًا حرفـًا واحداً»[٢].

ثانيها- ذهب بعض النحاة إلى أنّ الحرف الناسخ «لكِنَّ» أصلها كما قال ابن عصفور[٣]: لكِنْ إنّي» فنقلت حركة همزة «إنَّ» إلى نون «لكِنَّ» على حد نقلها في «قَدَ افلح» فصار «لكنني»، ثم أدغم نون «لكِنَّ» في النون الساكنة من «إني» إجراء للمنفصل مجرى المتصل كما قالوا في: جَعَلَ لك، جعلَّك.

ثالثها- ذهب ابن مالك إلى أن أصلها «ولكِنْ إنني» ثم حذفت همزة «إنني» ونون «لكِنْ»، وجيء باللام في الخبر لأنه خبر «إنَّ»[٤].

ووافقه ابن هشام في هذا التوجيه، ويظهر ذلك في قوله: «الأصل: «لكِنْ إنني» ثم حذفت الهمزة تخفيفـًا، ونون «لكِنْ» للساكنين»[٥].

رابعها- ذكر بعض الكوفيين أنَّ «لكِنَّ» مركبة من «لا»، و«أنَّ»، والكاف زائدة، والهمزة محذوفة»[٦].

خامسها- قال بعض النحاة: «إنها مؤلفة من «لا» و«كأنَّ»، والكاف للتشبيه، و«أنَّ» على أصلها، ولذلك وقعت بين كلامين لما فيها من نفي لشيء، وإثباتٍ

---

(١) معاني القرآن: الفراء ١/ ٤٦٥.

(٢) الإنصاف: ١/ ٢٠٩.

(٣) شرح الجمل لابن عصفور: ١/ ٤٣٠.

(٤) شرح التسهيل: ٢/ ٢٩.

(٥) المغني: ٣٨٥.

(٦) ارتشاف الضرب: ٢/ ١٢٣٨.

لغيره، وَكُسِرَتْ الكاف لتدل على الهمزة المحذوفة»[١].

التأويل الثاني: ذهب كثير من البصريين إلى أن اللام في قول الشاعر «لعميد» هي لام زائدة، وليست لام الابتداء، ومن أبرز النحاة الذين ذهبوا إلى هذا التأويل ابن يعيش، وقد جاء ذلك في قوله[٢] لدى حديثه عن الشاهد الشعري: «يجوز أن تكون اللام هنا زائدة مثل إنشاد بعضهم:

مَرُّوا عجالى فقالوا كيف صاحبكم فقال الذي سألوا أمسى لمجهودا

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إلاَّ أنّهم ليأكلون الطعام﴾[٣] بفتح «أنّ» في قراءة سعيد بن جبير[٤]، فاللام هنا زائدة بمنزلة الباء مع الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[٥].

وقال ابن عصفور[٦]: «ويمكن أن تكون اللام زائدة كما زيدت في خبر «إنَّ» المفتوحة في قراءة من قرأ: ﴿إلاَّ أَنّهم ليأكلون الطعام﴾».

وممن قال بهذا التأويل ابن مالك[٧]، وابن هشام[٨]، والأشموني[٩].

التأويل الثالث: ذكر جمهور نحاة البصرة[١٠] أن اتصال اللام بخبر «لكِنَّ» في

---

(١) ارتشاف الضرب: ٢/ ١٢٣٨.

(٢) شرح المفصل: ٤/ ٥٣٥.

(٣) الفرقان ٢٠.

(٤) ينظر في قراءة سعيد بن جبير في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٣/ ١٣.

(٥) سورة الفرقان: ٣١.

(٦) شرح الجمل لابن عصفور: ١/ ٤٣٠.

(٧) شرح التسهيل: ٢/ ٢٩.

(٨) المغني: ٣٨٥.

(٩) شرح الأشموني: ١/ ٥٥٩.

(١٠) شرح الكافية: ٤/ ٣٨٢، تحقيق: إميل يعقوب.

قول الشاعر «ولكنني من حبها لعميد» شاذ لا يقاس عليه، وإليه أشار صاحب الإنصاف بقوله:

«هو شاذ لا يؤخذ به لقلته وشذوذه»[١]، وقال ابن خروف وهو يتحدث عن «لكِنَّ» في الشاهد السابق: «والأكثر الأعرف ألا تدخل لتضمنها معنى الاستدراك واتصالها بما قبلها من طريق المعنى»[٢].

وقال ابن مالك: وأما «ولكنني من حبها لعميد»، فلا حجة فيه لشذوذه»[٣].

وممن قال بالشذوذ ابن يعيش[٤]، وابن الحاجب[٥]، والشاطبي[٦].

الترجيح:

في ضوء ما ذكرته مفصلاً عن هذه المسألة النحوية أرى أن الراجح فيها ما قاله نحاة البصرة ومن وافقهم: إن دخول اللام في خبر «لكِنَّ» لا يجوز، ولا يقاس عليه ؛ وذلك لما يلي:

١- مااستدل به الكوفيون على الجواز بقول أحدهم: «لكنني من حبها لعميدُ» فهو شاذ لا يؤخذ به لقلته وشذوذه ؛ ولهذا لا يكاد يعرف له نظير في كلام العرب وأشعارهم، ولو كان قياساً مطردا لكان ينبغي أن يكثر في كلامهم وأشعارهم كما جاء في خبر «إنَّ»[٧].

كذلك فإن هذا الشاهد النحوي كما قال ابن مالك: «لا يعلم له تتمة، ولا

---

(١) الإنصاف: ١/ ٢١٤.

(٢) شرح جمل الزجاجي لابن خروف: ١/ ٤٥٧.

(٣) شرح التسهيل: ٢/ ٢٩.

(٤) شرح المفصل لابن يعيش: ٤/ ٥٣٤، تحقيق إميل يعقوب.

(٥) شرح كافية ابن الحاجب: ٤/ ٣٨٢.

(٦) المقاصد الشافية: ٢/ ٣٤٧.

(٧) الإنصاف: ١/ ٢١٤.

قائل، ولا راوٍ عدل يقول: سمعت ممن يوثق بعربيته، والاستدلال بما هو هكذا في غاية من الضعف»[١].

وللشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد تعقيب على هذا الشاهد لا يمكن قبوله، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا ندري أرواية الصدر على هذا الوجه مما نقله الشارح العلاَّمة[٢]، أم وضعه من عند نفسه، أم مما أضافه بعض الرواة قديماً لتكميل البيت غير متدبر لما يجره هذا الفعل من عدم الثقة، وإذا كان الشارح هو الذي رواه فمن أي المصادر؟»[٣].

فقوله: «أم وضعه من عند نفسه» فهو قول مردود لأن ابن عقيل كان قاضياً مشهوراً، ومن أبرز صفات القاضي الصدق والعدل والأمانة، وهذا ما ذكره العلماء الذين ترجموا سيرته.

٢- جاز دخول لام الابتداء في خبر «إنَّ»؛لأن هذه اللام للابتداء[٤]، وهي تحقق وتقوي معنى الابتداء، وأما «لكِن» فهي «لا تغير معنى الابتداء، لأن معناها الاستدراك، والاستدراك لا يزيل معنى الابتداء والاستئناف»[٥].

٣- إن العطف على موضع اسم «إنَّ» جائز، لأنها لا تغير معنى الابتداء خلافاً للحرف الناسخ التي تفيد معنى الاستدراك كما سبق بيانه.

٤- القول بأن «لكِنَّ» مركبة قول ضعيفٌ، وذلك لأن الأصل في الكلمات

---

(١) شرح التسهيل: ٢/ ٢٩.

(٢) أي: ابن عقيل، شارح الألفية.

(٣) منحة الجليل: ١/ ٣٦٤، ٣٦٣.

(٤) شرح اللمع للأصفهاني: ١/ ٣٧٢، وينظر في: الجمل في النحو للزجاجي: ٥٤، ٥٣، المفصل للزمخشري: ٢٩٤، شرح المفصل: ٤/ ٥٣٢، تحقيق: إميل يعقوب.

(٥) الإنصاف: ١/ ٢١٧، وينظر في شرح الجمل لابن عصفور: ١/ ٤٣١.

الإفراد[١]، والتركيب خلاف الأصل، ومن ثم كان الالتفات إلى الأصل أفضل وأحسن، كما أنه يحفظ من الوقوع في تلك التأويلات والتوجيهات المتكلفة التي ذكرها النحاة لدى حديثهم عن أصلها، فقد اختلفوا في بيان أصلها اختلافًا كبيراً كما مضى ذكره، يعسر إقامة دليل على صحتها، إنما هي من باب الفرضيات والتخمينات.

٥- القول بأن اللام في «لعميد» ليست لام الابتداء، إنما هي لام زائدة فقول وتأويل مقبول قياسًا على زيادتها في قراءة سعيد بن جبير (إلاَّ ليأكلون الطعام)[٢]، وقول الشاعر «أمسى لمجهودا».

المسألة السادسة

هل تدخل «لا» النافية للجنس على الاسم العلم؟

أرى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ نَكِدْنَ ولا أميةَ في البلاَدِ[٣]

العرض المركز:

موضع الشاهد في البيت قوله «ولا أمية»، فقد دخلت «لا» النافية للجنس على اسم عَلَمٍ معرفةٍ، وهو قوله: «أمية»، وهذا غير جائز عند جمهور النحاة ؛ لأن من شروط إعمالها[٤] عَمَل «إنَّ» أن يكون اسمها نكرة، فلجأوا إلى تأويله.

---

(١) توجيه اللمع: ابن الخباز، ص١٤٩.

(٢) شرح التسهيل: ٢/ ٢٩.

(٣) البيت لعبد الله ابن الزَّبير الأسدي، يهجو به عبد الله بن الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نكِدنْ: أي اشتد العيش وتعسر ينظر في البيت في: الكتاب: ٢/ ٩٧ المقتضب ٤/ ٣٦٢ أمالي ابن الشجري ١/ ٢٣٩ شرح التسهيل ٢/ ٦٧، شرح الكافية الشافية ١/ ٥٢٩.

(٤) ينظر في هذه الشروط مفصلاً في: الكتاب: ٢/ ٢٩٧، المقتضب ٤/ ٣٦٢، أوضح المسالك ١/ ٢٧٤ ومابعدها.

التوضيح:

ذهب جمهور البصريين[١] إلى منع دخول «لا» النافية للجنس على الاسم العلم، قال أبو حيان:

«الإجماع من البصريين على أن «لا» لا تعمل في المعرفة[٢]، والشاهد النحوي مؤول عندهم بأحد تأويلين:

أولهما: أنه على حذف مضاف، والتقدير: لا مثلَ أميةَ في البلاد، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه وهو ينويه، وسبب تقديرهم «مثل» كونها موغلة في الإبهام.

وإلى هذا التأويل ذهب المبرد، جاء ذلك في قوله لدى حديثه عن «لا» النافية للجنس: «ولا تعمل إلا في نكرة ألبتة... فإن قلت فما قوله:

أرى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ نَكِدْنَ ولا أميةَ في البلاَد

فقد عملت في «أمية» وكذلك قوله: «لا هيثمَ الليلةَ للمطي»، فليس كما قال؛ لأن الشاعر، إنما أراد: لا أمثال أمية، ولا من يسدُّ مَسَدَّها، والمعنى: ولا ذا فضلٍ، فدخلت «أمية» في هؤلاء المذكورين، وكذلك لا هيثم الليلة، أي لا مُجريَ ولا سائق كسوق هيثم»[٣].

وقال ابن خروف في شرح الجمل: «قوله - أي الزجاجي-لا تعمل في المعارف صحيح، فإن قيل: وقد قالت العرب: لا هيثم الليلة للمطي... ولابصرة لكم وأشباهه فإنه في نية التنكير؛ لأن المعنى وإن كان اللفظ لفظ المعرفة فالمراد:

---

(١) المساعد على تسهيل الفوائد: ١/ ٣٤٥ ومابعدها.

(٢) ارتشاف الضرب: ٣/ ١٣٠٦.

(٣) شرح جمل الزجاجي لابن خروف: ١/ ٩٨٤.

لامثل البصرة..»[١].

وإلى هذا التأويل ابن هشام[٢]، وابن عقيل[٣]، والمالقي[٤]، والصبان[٥]، وآخرون.

التأويل الثاني: أنَّ العلم المعرفة «أمية» جاء بنية النكرة، والتقدير: ولا مسمَّى بهذا الاسم لها، إذ المراد من «أمية» شخص، أي شخص مسمى بهذا الاسم، كأنه اسم جنس موضوع لإفادة ذلك المعنى، لأن معنى «ولا أمية في البلاد»، أي: لا قاضي للحاجات في البلاد، وممن ذهب إلى هذا التأويل سيبويه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتحدث عن «لا» العاملة عمل «إنَّ»: «اعلم أن المعارف لا تجري مجرى النكرة في هذا الباب ؛ لأن «لا» لا تعمل في معرفة أبداً.. وأما قول الشاعر: «لا هيثم الليلة للمطي»، فإنه جعله نكرةً كأنه قال: «لا هيثم من الهيثمين...» وقال ابن الزبير:

أرى الحاجاتِ عند أبي خبَيْبٍ نَكِدْنَ ولا أميةَ في البلاَد

وتقول: قضيةٌ ولا أبا حسنٍ، تجعله نكرة، قلتُ فكيف يكون هذا، وإنما أراد علياً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال[٦]: «لأنه لا يجوز لك أن تعمل «لا» في معرفة، وإنما تعملها في النكرة، فإذا جعلت أبا حسنٍ نكرة حَسُن على أن تعمل «لا»، وعلم المخاطب أنه قد دخل في هؤلاء المذكورين عليٌّ»[٧].

---

(١) شرح جمل الزجاجي لابن خروف: ١/ ٩٨٤.

(٢) أوضح المسالك: ١/ ٢١٠، ٢١١.

(٣) شرح ابن عقيل: ١/ ٣٩٤.

(٤) رصف المباني: ٣٣٢، ٣٣٣.

(٥) حاشية الصبان على الأشموني: ١/ ٥٠٤، البابي الحلبي.

(٦) في هامش الكتاب أي: قال الخليل.

(٧) الكتاب: ٢/ ٢٩٦، ٢٩٧.

وممن قال بهذا التأويل: ابن هشام[١]، وابن عقيل[٢]، والرضي[٣]، والسيوطي[٤] والبغدادي[٥] وغيرهم.

وتحدث ابن مالك عن مسألة دخول (لا) النافية للجنس على الاسم العلم مفصلاً»، والوجه عنده في هذا الاستعمال كما قال: «أن يكون على قصد لا شيءَ يصدقُ عليه هذا الاسم كصدقه على المشهور به، فضمنَ العَلَم هذا المعنى، وجرد لفظه مما ينافي ذلك»[٦]، وإليه أشار بقوله في المنظومة[٧]:

وإنْ أتاك عَلَمٌ وهو اسم «لا» فكنْ له بشائعٍ مُؤولا
كقولهم في رَجَــزٍ مرويّ «لا هيثم الليلة للمطي»

وقال في الألفية[٨]:

عَمَلَ إنَّ اجعلْ لِلاَ في نَكِرِهْ مُفْردةً جاءتْكَ أو مُكَرَّرَهْ

الترجيح:

بعد عرض آراء النحاة مفصلاً في هذه المسألة يترجح عندي القول بجواز دخول «لا» النافية للجنس على الأعلام المشهورة؛ وذلك لما يلي:

١- وردت شواهد في النثر والشعر تدل على جواز إعمال «لا» النافية للجنس في الاسم العلم، منها قول الرسول ﷺ في حديث صحيح أخرجه البخاري: «إذا

---

(١) أوضح المسالك: ١/ ٢١١.
(٢) شرح ابن عقيل: ١/ ٣٩٤.
(٣) شرح الرضي على الكافية: ٢/ ٢٢٦.
(٤) همع الهوامع: ١/ ٥٢٤.
(٥) خزانة الأدب٤/ ٦١ ومابعدها.
(٦) شرح الكافية الشافية: ١/ ٥٣٢.
(٧) شرح الكافية الشافية صـ٥٢٠.
(٨) الألفية على شرح ابن عقيل: ١/ ٣٩٣.

هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لَتُنْفَقَنَّ كنوزهما في سبيل الله»[١]، والشاهد فيه أن «لا» دخلت على «كسرى» و«قيصر» وهما اسمان علمان.

ومنها قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد عُرضت عليه خصومة: «قضيةٌ ولا أبا حسنٍ لها»[٢]، ومن الشواهد النثرية قول أبي سفيان يوم أحد : إنَّ لنا عُزَّى ولا عُزَّى لكم[٣]»، وقوله يوم فتح مكة المكرمة، «لا قريشَ بعد اليوم»[٤]، «والشاهد فيهما دخول «لا» على «عُزَّى» و«قريش»، وهما اسمان علمان مشهوران، كذلك ورد عن العرب قولهم، أمَّا البصرةَ فلا بصرةَ لكم»[٥].

ومن السماع الوارد في الشعر العربي قول عبد الله بن الزبير الأسدي:

أرى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ نَكِدْنَ ولا أميةَ في البلاَد

ومنه قول رجل من بني دبير:

لا هيثم الليلةَ للمَطيِّ ولافتى مِثْلُ ابنِ خيبريّ[٦]

والشاهد فيه قوله: «لا هيثم» حيث دخلت «لا» على «هيثم»، وهو علم على رجلٍ بعينه، فهو معرفة بالعلمية.ولورود إعمال «لا» في الاسم العلم المعرفة فإن

---

(١) صحيح البخاري صـ٥٩٦، كتاب فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ «أحلت لكم الغنائم».

(٢) استشهد به سيبويه في الكتاب: ٢/ ٢٩٧، والمبرد في المقتضب: ٤/ ٣٦٣.

(٣) شرح التسهيل: ٢/ ٢٦٧.

(٤) شرح شذور الذهب ٢١٠.

(٥) الكتاب: ٢/ ٢٩٦، ارتشاف الضرب: ٣/ ١٣٠٧.

(٦) ينظر في الشاهد في الكتاب: ٢/ ٢٩٦، المقتضب: ٤/ ٣٦٢، شرح جمل الزجاجي لابن خروف ١/ ٩٨٤، شرح عيون الإعراب: ١١٩، شرح الكافية الشافية: ١/ ٥٢١، المقاصد الشافية: ٢/ ٤١٥، وهيثم اسم رجل كان حسن الحداء للإبل، وابن خيبري هو جميل بن عبد الله بن معمر، وكان شجاعاً يحمي أدبار الإبل من الأعداء.

الكوفيين أجازوا ذلك خلافًا للبصريين، ولم يؤولوا تلك الشواهد النثرية والشعرية، قال أبو حيان: «أجاز الكوفيون بناء الاسم العلم، سواء أكان مفرداً نحو: لا زيدِ، ولا عمرَو، أو مضافًا لكنية، نحو: لا أبا محمدٍ، ولا أبا زيدٍ»(١).

وقال السيوطي لدى حديثه عن شروط إعمال «لا» وأن يكون مدخولها نكرة: «وخالف الكوفيون في هذا الشرط، فأجاز الكسائي إعمالها في العلم المفرد نحو: لا زيد، والمضاف لكنية نحو: لا أبا محمدٍ، أو للهِ، أو الرحمنِ أوالعزيز نحو: لا عبد اللهِ، ولا عبدَ الرحمنِ، ولا عبدَ العزيزِ»(٢).

٢-رد بعض النحاة التأويلات التي ذكرت في توجيه تلك الشواهد النثرية والشعرية، وأوردوا عليها اعتراضات، ومنهم ابن مالك، وقد أطال الحديث في مناقشته للنحاة المؤولين في كتابه شرح الكافية الشافية، وشرح التسهيل، فبعد أن أورد تأويل النحاة لتلك الشواهد على تقدير: إضافة «مِثل» إلى العلم ثم حذفه، وقيام المضاف إليه مقامه جعله قولاً غير مرضي، وأنه تأويل فاسد، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويدل على فساده أمران:

أحدهما: التزام العرب تجرد المستعمل ذلك الاستعمال من الألف واللام، ولو كانت إضافة «مثل» منوية لم يحتج إلى ذلك.

الثاني: إخبار العرب عن المستعمل ذلك الاستعمال بـ «مثل» كقول الشاعر:

تُبكِّي على زيدٍ ولا زيدَ مثلُهُ بريءٌ من الحُمَّى سليمُ الجوانِح

فلو كانت إضافة «مثل» منوية لكان التقدير: ولامثْلَ زيدٍ مثله، وذلك فاسد»(٣).

---

(١) ارتشاف الضرب: ٣/ ١٣٠٦.

(٢) همع الهوامع: ٥٢٣.

(٣) شرح الكافية الشافية: ١/ ٥٣٠.

أما التأويل الثاني الذي ذكره النحاة وهو على تقدير لا واحد من المسميات هذا الاسم، فقد قال عنه ابن مالك[١]: «ضَعْفُهُ بيِّن، لأنه يستلزم ألا يُسْتَعَمَل هذا الاستعمال إلا عَلَمٌ مشترك فيه كزيد، وليس ذلك لازمًا لقولهم: لابصرةَ لكم، ولاقريشَ بعد اليوم، ولقول النبي ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده».

والتأويل المقبول عنده «أن الوجه في هذا الاستعمال أن يكون على قصد: لاشيء يصدق عليه هذا الاسم كصدقه على المشهور به»[٢].

والذي أرتضيه في هذه المسألة ماذهب إليه الكوفيون والكسائي من إجازة دخول «لا» النافية للجنس على الأعلام شرط أن تكون مشهورة، ولاداعي لتلك التأويلات والتقديرات التي ذكرها كثير من النحاة، ولكن هل يقاس على تلك الشواهد السابقة؟

الراجح عندي أن الاسم العلم إذا اشتهر بصفة حميدة، أو خصلةٍ سيئةٍ في أي عصرٍ من العصور، جاز استعماله كما في الشواهد النثرية والشعرية السابقة.

---

(١) المرجع السابق ١/ ٥٣١، ٥٣٢.

(٢) المرجع السابق: ١/ ٥٣٢.

الخاتمة

في ضوء هذه الدراسة عن (ظاهرة التأويل في إعراب الشواهد الشعرية النحوية في باب إنَّ وأخواتها) يمكنني أن أجمل النتائج والتوصيات التي توصلت إليها بما يأتي:

١- أثبت البحث أن نحاة البصرة في حال اصطدام النص الشعري بقواعدهم النحوية يقوم منهجهم في معظم الأحيان على التأويل، وأن نحاة الكوفة يقوم مذهبهم النحوي على السماع في تقعيد القواعد النحوية، ونادراً ما يلجأون إلى التأويل، والدليل على ذلك أن البصريين في ستّ مسائل نحوية وردت في البحث عمدوا إلى تأويل أربع منها، وهي المسألة الثانية، والرابعة، والخامسة، والسادسة، على حين لجأ الكوفيون إلى التأويل في مسألة واحدة فقط، وهي المسألة الأولى.

٢- أما الوصية التي يمكنني أن أسجلها في خاتمة البحث فهي دعوة الباحثين والمشتغلين بالدراسات النحوية إلى تيسير مسائل علم النحو لطلابنا في مختلف المراحل الدراسية، ومنها المرحلة الجامعية، وذلك بإبعادهم عن المسائل الخلافية المتصلة بالشواهد الشعرية التي تقوم في معظم الأحيان على الضرورة أو القلة والندرة، وقصر ذلك على طلاب الدراسات العليا، لاسيما إذا علمنا أن الطلاب عمومـًا في عالمنا العربي يعانون ضعفـًا شديداً في علمي النحو والصرف، واستبدال الشواهد الشعرية بنصوص من القرآن الكريم والحديث الشريف والمنثور من كلام العرب، وتوظيف تلك النصوص في الدرس النحوي.

والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

١- ارتشاف الضرب: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: د.رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ.

٢- إعراب القرآن: النحاس، تحقيق: د- زهير غازي زاهد، القاهرة، ١٤٠٥هـ.

٣- ألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل: مطبعة السعادة، القاهرة، ط١٤، ١٣٨٤هـ.

٤- أمالي ابن الشجري: دار المعرفة، بيروت.

٥- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٦، ١٩٨٠م.

٦- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، مطابع النصر الحديثة، الرياض، بدون.

٧- البيان في غريب إعراب القرآن: ابن الأنباري، تحقيق: د.طه عبد الحميد طه، الناشر دار الكاتب العربي، القاهرة ١٣٨٩.

٨- توضيح المقاصد والمسالك: المرادي، د.عبد الرحمن سليمان، مكتبة الكليات الأزهرية، ط٢.

٩- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٠- الجمل في النحو: الزجاجي، تحقيق: د.علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٨هـ.

١١- حاشية الخضري على ابن عقيل: محمد الخضري، بدون.

١٢- حاشية الصبان على الأشموني: الصبان، تحقيق: محمود الجميل، مكتبة

الصفا، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٣- الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل: البطليوسي، تحقيق: سعيد عبد الكريم سَعُّودي، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٠م.

١٤- ديوان بشر بن أبي خازم: تحقيق د.عزة حسن، دمشق، ١٩٦٠.

١٥- ديوان النمر بن تولب: صنعة د.نوري القيسي، بغداد، ١٩٦٨.

١٦- رصف المباني في شرح حروف المعاني: د.أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٠٥ه.

١٧- سر صناعة الإعراب: ابن جني، تحقيق د.حسن هنداوي، دار القلم.

١٨- شرح التسهيل: ابن مالك، تحقيق: د.عبد الرحمن السيد ود.محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، بدون.

١٩- شرح التصريح على التوضيح: الأزهري، دار إحياء الكتب العربية، مصر، بدون.

٢٠- شرح جمل الزجاجي: ابن خروف، تحقيق ودراسة: د. سلوى محمد عرب، نشر معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ

٢١- شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور، تحقيق: د.صاحب أبو جناح، طبع وزارة الأوقاف العراقية، ١٤٠٠هـ.

٢٢- شرح شذور الذهب: ابن هشام الأنصاري، بدون.

٢٣- شرح الشنتمري لشواهد الكتاب: الشنتمري، طبع بهامش كتاب سيبويه، بولاق، ١٣١٦هـ.

٢٤- شرح الكافية الشافية: ابن مالك، تحقيق: د.عبد المنعم الهريدي، نشر مركز البحث العلمي ودار إحياء التراث الإسلامي- مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢ه.

٢٥- شرح المفصل: ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، بدون.

٢٦- شرح شواهد التوضيح والتصحيح: ابن مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عالم الكتب، بيروت.

٢٧- شرح عيون الإعراب: أبو الحسن المجاشعي، تحقيق: حنا جميل حداد، مكتبة المنار، الأردن، ط١ ١٤٠٦.

٢٨- الشعر: أبو علي الفارسي، تحقيق: د.محمود الطناحي، مطبعة المدني، مصر ط١ ١٤٠٥.

٢٩- صحيح البخاري: بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ.

٣٠- صحيح مسلم: دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣١- ابن الطراوة النحوي: تحقيق ودراسة د.عياد الثبيتي، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ط١ ١٤٠٣هـ.

٣٢- طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي، شرح محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٤.

٣٣- الكتاب: سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

٣٤- الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب، مؤسسة الرسالة، تحقيق: د.محيي الدين رمضان، ط٢، ١٤٠١هـ.

٣٥- مجالس ثعلب: تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر ط٢، ١٣٧٥هـ.

٣٦- مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب، دراسة وتحقيق حاتم الضامن، منشورات وزارة الإعلام العراقية.

٣٧- المنهاج في شرح جمل الزجاجي: يحيى بن حمزة العلوي، تحقيق د.

هادي عبد الله ناجي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ ١٤٣٠هـ.

٣٨- المسائل البصريات: أبو علي الفارسي، تحقيق ودراسة: د.محمد الشاطر أحمد، مطبعة المدني، مصر، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٩- المساعد على تسهيل الفوائد: ابن عقيل، تحقيق: د.محمد كامل بركات، نشر مركز البحث العلمي، مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ.

٤٠- معاني القرآن: الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

٤١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د.مازن المبارك وزميله، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٩٧٩م.

٤٢- المقاصد الشافية: الشاطبي، نشر جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مركز إحياء التراث الإسلامي.

٤٣- المقتضب: المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، بدون.

٤٤- المقرَّب لابن عصفور، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٤٥- منحة الجليل: تحقيق شرح ابن عقيل: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط١٤، ١٣٨٤هـ.

٤٦- النحو الوافي: عباس حسن دار المعارف، مصر، ط٥.

٤٧- هداية السالك إلى أوضح المسالك: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٦، ١٩٨٠م.

٤٨- همع الهوامع شرح جمع الجوامع: السيوطي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية مصر.

The Phenomenon of Syntactic Interpretation Analysis of Poetry Examples in Arabic Syntax

Muhammad Abd al-Qadir Hanadi
Assusite Professor
Syntax and Morphology.
King Abd al-Aziz University, College of Humanity

Abstract

This research concerns itself with the attitude of Arabic grammarists towards poetry examples (shawahid) which contradict grammar of (Inna wa akhawatiha). The research proves that Basra grammarists resort to put a construction on these examples to fit grammar. However, instead of adhering these examples to the grammar Kufa grammarists used every single example to forge a new grammar.

Key words

The phenomenon of syntactic interpretation, Analysis of poetry examples in Arabic syntax.

ابن حذام بين الوهم والحقيقة

د.عبد الحق حمادي الهواس

أستاذ الأدب المشارك في جامعة طيبة

infohawas@yahoo.com

تاريخ التحكيم: ٤/ ٥/ ١٤٣٦ تاريخ الإجازة: ٧/ ٨/ ١٤٣٦

المستخلص:

تذهب الروايات التاريخية عن العصر الجاهلي إلى وجود شاعر سبق امرأ القيس بن حجر الكندي في البكاء بالديار واسمه ابن حذام وإليه يرجع هذا الفن، وعنه أخذ امرؤ القيس بكائية الديار، ولكن هذه الروايات لا تثبت أمام النقد فهي تبدو ملفقة قلقة تشوبها روح القصص الشعبي، فضلاً عن غياب شعر بكائي لهذا الشاعر.

هذا البحث ينفي أن يكون هذا الشاعر قد فرش لامرئ القيس طريق البكاء في الديار والدمن، ويكشف عن التناقض في الروايات وضعفها، ويرى أن البيت الذي أشار به امرؤ القيس إليه:

عوجا على الطلل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابنُ حذامِ

لا يكفي دليلاً للقول بهذا؛ كما أن الادعاء أن الأبيات الخمسة الأولى من معلّقة امرئ هي لابن حذام لا يمكن فصلها عن المعلّقة.

الكلمات المفتاحية:

ابن حذام – سبق امرأ القيس في البكاء بالديار – عوجا على الطلل – كما بكى ابن حذام – الأبيات الخمسة الأولى من معلقة امرئ القيس لابن حذام - أعاريب كليب.

أسباب اختيار البحث:

كان من أهم أسبابه الكشف عن حقيقة ما يروى عن الشاعر المعروف بـ(ابن حذام) وحقيقة وجوده، وهل التقى امرأ القيس بن حجر ورافقه، وأغار الأخير على شعره وادعاه ؛ ثم ما يقال عن أول من بكى الديار، وأسس للشعراء مذهب البكاء على الأطلال والديار.

مشكلة البحث:

يبدو الإشكال في البحث في هذا الموضوع في عدة وجوه:

أ- غياب الدليل أو الحجة على وجود شاعر باسم ابن حذام وغياب شعره، إلاّ أبياتـًا تنسب إليه لا تقدم ما يتمناه الباحث.

ب- لا تتوافر القناعة في تصديق أن الأبيات الخمسة الأولى من معلقة امرئ القيس له، وأن امرأ القيس ادعاها، ثم إن بنية المعلقة لا تصدق ذلك، وكذلك فإن أسلوب الشاعر يشي بتهافت هذه الرواية.

ج- اضطراب الرواية التي تذهب إلى أنه كان يرافق امرأ القيس في تنقله مع صعاليك على الغدران، وأنه سافر معه إلى القيصر، فلم تكن لهما منه قافلة.

د- اضطراب الاسم وتعدده، ثم استعماله لدى شعراء آخرين في العصر الجاهلي، لمعنى قد يكون امرؤ القيس بن حجر أراده ليس إلاّ.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في عدة نقاط:

١- أنه يكشف عن قضية مهمة في تاريخ الشعر العربي اختلف فيها الباحثون قديما وحديثـًا.

٢- أنه يكشف عن صاحب الأثر الأصيل في أسلوب البكاء في الدمن والديار، ويحدد الأسباب الموضوعية لهذا البكاء.

٣- أنه يحدد الأسس الفنية لبنية القصيدة العربية في العصر الجاهلي، وينسبها لمبدعها مما يفتح الطريق للبحث عن الأسباب الموضوعية والذاتية وراء بنية القصيدة الجاهلية، أو ما يعرف بالبناء الفني للقصيدة العربية.

٤- أنه يؤسس لدراسة علمية عن تطور الشعر العربي، ويدعو إلى التفريق بين تطويل الشعر وتقصيده.

٥- يحاول البحث تلمس أسلوب عملي في البحث في تراثنا الشعري من خلال نقد الرواية ومقابلة النصوص ودراسة أساليب الشعراء، واستعمالاتهم اللغوية والمعنوية.

المقدمة

لعل رأي الجاحظ في تاريخ الشعر الجاهلي بمئة وخمسين أو مئتي سنة هو تاريخ لنضج هذا الشعر واستوائه[١]، أما بداياته فهي لا شك موغلة في القدم، وقد طوتها رمال الجزيرة العربية وعفت عليها الأيام، ومما لا شك فيه أن الشاعر امرأ القيس بن حجر الكندي[٢] من أوائل الشعراء الذين أرسوا قواعد هذا الشعر في نضجه، ولا سيما أسس بنائه نحو البناء الفني للقصيدة الجاهلية بشكلها الهندسي المعروف[٣].

لكن هناك من يذهب إلى وجود شاعر آخر نازع امرأ القيس هذا الشرف، واسمه امرؤ القيس ابن حُذام أو ابن حِمام أو ابن خِذام.

وعليه لا يكون رأي ابن سلام في الطبقات عن امرئ القيس في أنه أول من وقف واستوقف وبكى واستبكى دقيقاً؛ وذلك استناداً إلى رأي من يقول: إن ابن حذام هو أول من بكى بالديار وإياه عنى امرؤ القيس بقوله:

عوجا على الطلل المُحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن حِذامِ

بل إن الأبيات الخمسة الأولى من معلقة امرئ القيس بن حجر هي لهذا

---

(١) يقول الجاحظ: «وأما الشعر فحديث الميلاد صغير السن أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام مئة وخمسين عاماً، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمئتي عام». الحيوان: ١/ ٧٤ للجاحظ عمرو بن بحر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٣٥٧ هـ.

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الملك بن عمرو المقصور الذي اقتصر على ملك أبيه بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن مُرتّع. ينظر شرح القصائد العشر: ١٩ صنعة الخطيب التبريزي تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

(٣) ينظر الشعر العربي من الأبيات إلى القصيد: ١/ ٢٣٣ د. عبد الحق الهواس. دار الأندلس الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ.

الشاعر انتحلها الكندي وادعاها من غير وجه حق.

وتذهب هذه الروايات إلى أن هذا الشاعر كان يرافق امرأ القيس، وينتقل معه بين الغدران، وأنه رافقه في رحلته إلى القيصر، وهو يحاول استعادة ملك أبيه.

وفي اسم هذا الشاعر اختلاف، وفي نسبه كذلك، وفي حياته اضطراب أشد، وفي شعره قلة تجعله لا يستجيب للدرس والتحليل، ولا يوافق على كون صاحبه أول من بكى الديار والدمن.

إننا نحاول في هذا البحث أن نكشف عن حقيقة وجود هذه الشخصية، وحقيقة آثارها على شتى الأصعدة، وغايتنا هو البحث عن بدايات البناء الفني للشعر العربي، وظهور الشكل المألوف للقصيدة الجاهلية، ومن ثم إظهار الأسباب الموضوعية والذاتية وراء ابتداع هذا الشكل ونسبة هذا الإبداع إلى صاحبه مما نؤسس به لبحث آخر يفرق بين تطويل الشعر وتقصيده.

نسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير، وأن يكون عملنا خالصاً لوجهه الكريم، ومكملاً لجهود من سبقنا في هذا المضمار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ابن حذام بين الوهم والحقيقة

ولد ابن حِذام من بيت شعر لامرئ القيس بن حجر، وأصبح تاريخاً وقضية في شعرنا الجاهلي. ومنذ أن خرج من قريحة امرئ القيس، والرواة يطاردونه في كل مكان وزمان، فلا يعودون منه بشيء مقنع، وكلما جدّوا في طلبه ابتعد عنهم أكثر، وتشتت في اسمه ونسبه ووجوده وشعره، وعادوا منه خالين الوفاض يدورون حول قول امرئ القيس:

عوجا على الطلل المُحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن حِذامِ

فيقفون عند قول ابن سلام الشهير متزيدين فيه: «وهو رجل من طيّئ لم نسمع شعره الذي بكى فيه ولا شعراً غير هذا البيت الذي ذكره امرؤ القيس»(١).

وحتى هذا البيت لم يسلم من الاختلاف في بعض ألفاظه، فقالوا، بل قال:

يا صاحبي قفا النواعج ساعةً نبكي الديار كما بكى ابن حِذامِ

وقال آخرون بل قال:

يا صاحبي قفا النواعج ساعةً نبكي الديار كما بكى ابن حُمامِ

لكن آخرين رووه:

عوجا على الطلل المُحيل لعلنا نبك الديار كما بكى ابن حُمامِ

وكبر الاختلاف في اسمه، فقالوا: ابن حِذام وابن جَذام، وابن خِذامِ، وابن حُمام، وابن الحُمام.

ويروون عن ابن الكلبي أنه قال:

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ١/ ٣٩ ابن سلام الجمحي. تحقيق محمود محمد شاكر دار المعارف، مصر ١٩٧٤ م.

«أول من بكى الديار امرؤ القيس بن حارثة بن الحُمام، وإياه عنى امرؤ القيس»[١].

وفي المعمَّرين يرد اسمه بين الذين تراخى بهم العمر المديد «امرؤ القيس بن حُمام بن عبيد بن هُبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد الله بن رُفيدة»[٢].

والاختلاف في اسم الشاعر ولقبه ووجوده سمة بارزة في كتب التراث العربي ؛ لكنه لا يضيّع شاعراً ووجوده كما نراه في هذه القضية، ففي جمهرة أشعار العرب: «قيل لأبي عبيدة: هل قال الشعر أحد قبل امرئ القيس: قال نعم. قدم علينا عشرون رجلاً من بني جعفر بن كلاب من أهل البادية، فكنا نأتيهم ونكتب عنهم ما قالوا، ونسألهم عنه وعن قائليه، فقالوا: من ابن حذام؟ قلنا ما سمعنا به قالوا: بلى قد سمعنا به ورجونا أن يكون عندكم منه علم، لأنكم أهل أمصار، ولقد بكى قبل امرئ القيس، وهو الذي ذكره امرؤ القيس في شعره الذي يقول فيه:

عوجا خليليَّ الغداة لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حِذامِ[٣]

ويلاحظ أن أهل البادية أضاعوه، وراحوا يلتمسون أخباره عند أهل المدن، وليس بين أيديهم أية وثيقة تثبت وجوده سوى قول امرئ القيس مع تغيير آخر في ألفاظ البيت (خليلي، والغداة) ويتساءل المرء كيف ضاع هذا الشاعر الذي فرش لامرئ القيس طريق البكاء في الديار بدموعه؟!!! ويرد هذا الخبر في كتاب ما يقع فيه

---

(١) الشعر والشعراء: ٥٢ لابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم، دار صادر طبعة ليدن ١٩٠٢ م.

(٢) المعمرون والوصايا: ٧١ لأبي حاتم السجستاني. تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦١م .

(٣) جمهرة أشعار العرب: ١/ ١٨٥ لأبي زيد القرشي تحقيق الدكتور محمد علي الهاشمي، وينظر شرح ما يقع فيه التصحيح والتحريف: ٢١١ لأبي احمد العسكري ت عبد العزيز أحمد.

التصحيف والتحريف للعسكري على الوجه الآتي: قال أبو عبيدة: «ورد علينا وفدٌ لبني جعفر بن كلابٍ، فيهم أبو الوثيق أحدُ بني سَلْم بن مالك بن جعفر بن كلابٍ، فسألناه فقال قدّرنا أنّ علم ذلك بالحضر، ما نعرفه إلا ابن خِذام. قلنا فمن هو؟ قال لا أدري! قلنا: متى بكى الديار؟ قال: لا أدري! وما يعلم منه إلاّ كلمة امرئ القيس فهذا ما عند البصريين»(١).

وعن أبي الحسين محمد بن القاسم التميمي النسابة أنه قال: إن الأصمعي يرويه خِدام، ويرويه أبو عبيدة خِذام.

وعن عمر بن شبة أن أبا عبيدة قال: وأنشدنا الوثيق لابن خِذام بيتًا واحداً:

كـأني غـداة البـين يـوم تحمَّلـوا لدى سَمُرات الحيِّ نـاقف حنظـلِ

وهذا البيت يروى في قصيدة امرئ القيس(٢). وهو البيت الذي تحدث فيه امرؤ القيس عن الرحلة ودل على أنه لم يكن موجودا ساعة سقوط المملكة، وأن كندة لم ترحل رحيلا منظما كما هو أيام السلم، وإنما هربت على غير هدى تحت وقع سيوف بني أسد الذين ثاروا عليها، فاكتفى به.

وفي جهد متميز للدكتور محمد شفيق البيطار في حلّ هذه الإشكالية العويصة ارتضى نسبه كالآتي:

«هو امرؤ القيس بن حُمام – واسمه الحارثة بن عبيدة بن هبل الشاعر ابن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة»(٣).

وتتبع الباحث في بعض كتب التراث تلك الاختلافات الواسعة حول اسمه،

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيح والتحريف: ٢١٢.

(٢) المصدر السابق ٢١٢ – ٢١٣.

(٣) ديوان شعراء بني كلب بن وبرة: ١/ ٣٧ صنعة الدكتور محمد شفيق البيطار.

واسم أبيه، واسم جده وأنه ذُكر مرةً باسم عمرو بن حِذام، وأخرى أنه ابن حارثة بن الحمام، أو أن حارثة هو نفسه الحُمام، وأنه لا يوجد معاوية بعد الحُمام الذي ذكره ابن قتيبة في الشعر والشعراء، وجاء في نهاية الأرب أن اسمه هُمام بيد أنّ الباحث انتهى أن اسمه (ابن حُمام)[١] خلافاً لما تذكره أو تشير إليه معظم المصادر بأن اسمه (ابن حذام) مع اختلاف في التعجيم، ويقول الباحث في قول بن سلام بأنه من طيّئ: «وليس بمستبعد أن تكون كلمة طيّئ محرفة عن (كلب)»[٢]. متجاهلاً أن جميع المصادر القديمة التي نقلت نص ابن سلام قد أجمعت على كلمة طيئ، ثم يقف الباحث عند إشارة ابن حزم في جمهرة أنساب العرب أن بعض الناس يقولون: إنه من بكر بن وائل، فيقول: «كما وليس بمستبعد أيضاً أن يكون هذا القول ناتجاً عن تحريف (كلب وبرة) إلى (بكر بن وائل)»[٣].

وفي أخبار هذا الشاعر اضطرب شديد ؛ فنراه ممن رافقوا امرأ القيس بن حجر مع مجموعة الصعاليك الذين كان ينتقل بهم بين غدران العرب حيث يذبح لهم وتغنيهم قيانه، وأنه أحد من رافقوه في رحلته إلى القيصر ولم تكن لهم قافلة منه، كما أنه ابن أخي الشاعر زهير بن جناب الكلبي، أو ابن ابن عم زهير، وكان يغير معه فأغار معه على بني تغلب، فقتلوا رجلين منهم:

جابراً وصنبلاً وأدركهم المهلهل، فأصاب ابنَ حُمام وهو قوله:

لمَّا توعّر في الكُلابِ هجينُهُمْ هلهلت أثأر جابراً أو صُنبلا

---

(١) ديوان شعراء بني كلب بن وبرة: ١/ ٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ٧٧١.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ٧٣، وينظر جمهرة أنساب العرب ٤٥٦ لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ٣٨٤-٤٥٦ دار الكتب العلمية، طبعة ثالثة بيروت.

والهجين هو امرؤ القيس بن حُمام لأنّ أباه عربي، وأمَّه أمة[١]. ويروى البيت في العمدة[٢]، على النحو الآتي:

لما توعر في الكُلاب شريدهم هلهلت أثأر جابراً أو صنبلا

بينما تذهب رواية أخرى لحمزة الأصفهاني، وأبي أحمد العسكري عن أبي الحسين: أن امرأ القيس بن حُمام كان يغزو مع مهلهل[٣].

ويذهب ابن الكلبي إلى أنه من المعمَّرين، وأنه عاش مئتي سنة، وقد تنبه الدكتور محمد شفيق البيطار إلى هذه المبالغة المعروفة عن ابن الكلبي. فقال. «ولا يخفى أن في تحديد عمره بمئتي سنة مبالغة»[٤].

وقد ذكره أبو حاتم في المعمَّرين[٥] لكنه لم يحدد عمره، وإنما استشهد له بثلاثة أبيات تدل على طول عمره، وهي قوله:

إن الكبير إذا طالتْ زمانتهُ فإنما حَملُهُ جِنازةً عارُ

ومن يعش زمنًا في أهله خرفًا كَلاً عليهم إذا حلّوا وإن ساروا

يذمُم مرارة عيشٍ كان أوَّلُهُ حُلواً وللدهرِ إحلاءٌ وإمرارُ

ولا ندري كيف رافق امرأ القيس، وهو خرف، أو بهذا العمر المديد؟استنادا إلى أن حياته انتهت في أرض الروم؟!!

ثم إن الاضطراب لحق بشعره، فمنهم من قال بأنه درس، ولم يبق منه شيء،

---

(١) المصدر السابق ١/ ٧٨.

(٢) العمدة في صناعة الشعر ونقده: ١/ ٧٨ لابن رشيق القيرواني بـ٤٥٦ تحقيق محمد محيي الدين دار الجليل بيروت طـ ٤ – ١٩٧٢م .

(٣) ديوان شعراء بني كلب بن وبرة: ١/ ٧٨.

(٤) المصدر السابق: ١/ ٧٨.

(٥) المعمرون والوصايا: ٧١.

ومنهم من قال بأن امرأ القيس قد نحله لنفسه، فأكثر شعره لابن حُمام وغلب عليه، وآخرون رووا له ستة أبيات، منها الأبيات الثلاثة التي في المعمرين، وثلاثة أخرى هي[1]:

لآل هنـــد بجنبـــي نفنـــفٍ دارُ ... لـم يمـحُ جـدتها ريـحٌ وأمطـارُ

إمّا تريني بجنب البيت مضطجعًا ... لا يطّبنـــي لـــدى الحيّـــين أبكـــارُ

فـربَّ نهـبٍ تصـمُّ القـومَ رجتُـه ... أفأتـــه إنّ بعـــض القـــوم عـــوارُ

ولا شك أنّ القارئ سيقول إنّ هذه الأبيات ليست بكائية، وليست لشاعرٍ بكَّاء وعندئذٍ تجيب الرواية على هذا التساؤل بأنّ الأبيات التي بكى بها ابن حذام أو خدام أو حُمام أو الحُمام هي الخمسة الأولى من معلقة امرئ القيس (قفا نبك) إلى قوله: وقوفًا بها صحبي.

والرواية عن ابن الكلبي أيضًا «وكان هشام بن محمد بن السائب الكلبي يقول: سمعت رواة أعاريب كلب والعلماء منهم يذكرون أبياتًا من أول (قفا نبك....) لابن خَذام».

وربما يتنبه قارئ نابه إلى قولهم بأنه عُمّر، ومن ثم يربط ذلك بحياة امرئ القيس الذي قضى شطراً كبيراً منها هاربًا متنقلاً بين القبائل حتى انتهى به المطاف هالكًا في بلاد الروم، فيخرج بنتيجة بسيطة هي أنّ الباقي أو الحي هو الذي يغير على شعر الميت وليس العكس، ثم إن حياة امرئ القيس لا تسمح له بالإغارة والانتحال، وإنما تسمح للذي رزق وقتًا كافيًا من الراحة، وهل كان امرؤ القيس في حال تسمح له بالتفكير بانتحال شعر غيره طلبًا للشهرة، وهو يتوارى من مطاردة طالبيه وعلى رأسهم المنذر بن ماء السماء، ثم هل كانت هذه الأبيات الخمسة هي

---

(١) ديوان شعراء بني كلب بن وبرة: ١/ ٧٨.

كل شهرة امرئ القيس وتقدمه؟!!

ومن أجل سدِّ هذه الثغرات تأتي الرواية لتجعله مرافقـًا لامرئ القيس إلى القسطنطينية، ثم تعمد على تغييبه هناك حتى يموت الشاهد وأهله، والمتهم وجريرته!! ولإعطاء نوع من التأكيد الباهت تذهب الرواية إلى أنه لم يكن وحده في هذه الرحلة، وإنما كان معه أيضـًا قِنان بن سلامة بن عبد الله بن عليم بن جناب[١].

وقد تنبه الدكتور محمد شفيق إلى أن أحداً لم يصدق ولن يصدق بأن الأبيات الخمسة الأولى من معلقة امرئ القيس هي لابن حمام أو حذام، فقال: «وكان ابن حُمام ممن يرافق امرأ القيس بن حجر، وهذا لا يمنح الباحث الدليل القاطع على كون الأبيات الخمسة الأولى من معلقة امرئ القيس لابن حُمام[٢]. بيد أنه أضاف «ولكنه يؤكد أن له شعراً انتحله امرؤ القيس، أو نحله الناس إياه»[٣].

لكن الثابت عندنا أن العلماء وثقوا شعر امرئ القيس، وهو شعر محدود الكم وأشاروا إلى الشعر المنحول بأنه لا يشاكل شعره لهلهلته وضعفه، ويقول ابن رشيق: «وكان امرؤ القيس مقلاً كثير المعاني لا يصح به إلاّ نيف وعشرون شعراً بين طويل وقطعة، ولا ترى شاعراً يكاد يلفت من حبائله، وهذه زيادة في فضله وتقديمه»[٤].

ثم إني بحثت في ديوان زهير بن جناب الكلبي فلم أعثر له على ذكر، وإنما وقفت على قوله[٥]:

---

(١) ديوان شعراء بني كلب بن وبرة: ١/ ٧٩.

(٢) ديوان شعراء بني كلب بن وبرة: ١/ ٨٠.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ٨٠.

(٤) العمدة: ١/ ١٠٥.

(٥) ديوان شعراء بني كلب وبرة: ١/ ٨١.

إذا قالــت حــذام فصــدقوها فـإن القـول مـا قالـت حـذامِ

وحذام بنت جسر[١] وهي التي تضرب -العرب بها المثل في الحكمة، ولهذا يبدو لي أنَّ القصص الشعبي وادعاء السبق في الأشياء كانا وراء تلفيق قصة ابن حذام وأظن أنّ امرأ القيس لم يرد به شخصـاً معينـاً، وإنما أراد أن يقول: تعالا نبك الديار بكاء عارف بها أو بكاء ابنها الذي عاشها عامرة وخاوية، أو بكاء حكيم له عبرة في بكائها كما يقال ابن بجدتها أي العارف بها[٢] وليس كما ذهبت الروايات إلى شخص لم تجد له اسمـاً محدداً ولا شعراً يطمأن له، ويظهر ذلك من خلال دراسة الأبيات التي ورد فيها هذا الاسم وهي منافرة بين امرىء القيس وسبيع الذي جاء طالبا نوال امرىء القيس فلم يعطه شيئا فهجاه فرد عليها بالمثل.فقد جاء لفظ ابن حذام في البيت الرابع، وكان امرؤ القيس يردُّ فيه على سبيع بن عوف أحد بني طهية الذي هجاه لعدم إعطائه شيئـاً، وهو قوله[٣] أعني سبيعـاً:

إذا مــا نزلــت دار آل معــزّزٍ بليــلٍ فــلا يُخلــف عليهــا الغمــامُ

مغــرَّز أبكــار اللقــاح إذا شــتا وضــيفك جــارُ البيــت لأيــاً بنــامُ

أما أبيات امرئ القيس فإنها تشع بالفخر وذكريات الماضي في الوطن والنسب، وكأنما يصور فيها حياة كندة قبل سقوطها، فيقول:

لمــن الــديار غَشــيتها بِســحامِ فعمــايتين فَهَضْــب ذي أقــدامِ

---

(١) ينظر مجمع الأمثال: ٢/ ٤٩٩ لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل بيروت لبنان ١٤٠٧هـ ١٩٨٧.

(٢) المصدر السابق: ١/ ٣٤ وينظر أدب الكاتب: ٥٢ لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، اعتنى به الدكتور درويش جويدي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤ م.

(٣) شرح ديوان امرئ القيس: ١٩٩ حسن السندوبي.

فصفا الأطيط فصاحتين فغاضرٍ تمشي النعاج بها مع الأرآمِ
دارٌ لهندٍ والرباب وفرتنى ولميسَ قبل حوادثِ الأيامِ

ويلاحظ أن الشاعر قد بدأ باستفهام المنكر العارف، وهو ما يعبر عنه إنكاره لما أتى به سُبيع، ثم راح يتعرف على الأماكن ويفيض في ذكرها ليقول: إنها مهجورة بدليل وجود الحيوانات فيها، وتلك صيغة يحرص الشعراء الجاهليون عليها، وهي بديل الإنسان إذا رحل، وعندها يقرر بأنها دار لهند، وهند في دلالات الشعراء رمز للقبيلة أو الاجتماع، ثم يضيف الرباب وفرتنى ولميس وهن رموز لجواري القبيلة فيؤكد بها الماضي العامر والحاضر المقفر بقوله: قبل حوادث الأيام، ليكون سببًا في قوله:

عوجا على الطلل المُحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن حِذامِ

وهو ما يوافق سنةً على اختفائه في جبال طيئ، ومما يؤكد أن القصيدة قيلت بعد سقوط مملكة كندة قوله:

وأنا الذي عرفَت معدٌّ فضلَهُ ونشدتُ عن حجر بن أمِّ قَطامِ

ورغم وضوح البيت وهو حديثه عن جهوده في طلب ثأر أبيه حجر واستعادة ملك كندة. فإن البيت الذي يليه يزيده وضوحًا وأن الشاعر بلا وطن يقطع الأرض فاراً من ملاحقة أعدائه، وهو ما يوافق سيرة حياته بعد سقوط كندة، فيقول:

وإذا أُذيت ببلدةٍ ودّعتها ولا أقيم بغيرِ دار مُقامِ

وما تقدم يجعلنا نذهب إلى أن ابن حذام ليس شخصًا بعينه، وفي الأدنى ليس كما تصوره الروايات القلقة، وإذا نظرنا إلى قول ابن الأثير الذي نقله صاحب الخزانة أيضًا أن ابن حذيم شاعر في قديم الدهر يقال إنه كان طبيبًا حاذقًا يضرب به المثل في الطب، فيقال: أطب بالكي من ابن حذيم فإننا سنقف على المعنى الذي أراده امرؤ القيس، ثم إن معاني الحذم اللغوية: السيف القاطع، ومن الرجال الحاذق

بالشيء... والحذيم: من السيوف ونحوها: القاطع[١] وقد استعمل الشعراء هذا اللفظ بتلك المعاني ومنهم أوس بن حجر، وعنترة بن شداد، فقال أوس:

فهــل لكــمُ فيهــا إلــيَّ فــإنني طبيبٌ بما أعيا النِّطاسيُّ حذْيما[٢]

ويريد أنه أعلم بحاله من الآخرين ؛ بصير بها بما أعيا النطاسيِّ ابن حذيم.

ويقول يعقوب بن السكيت: «حذيم رجل من تيم الرباب وكان متطلباً عالماً».

وقال عنترة في المعنى نفسه:

ولقد كررت المهرَ يدمى نحرُه حتى اتقتني الخيل بابني حِذْيمِ[٣]

وثمة أمر آخر وهو ما قيل حول الأبيات الخمسة من معلقة امرئ القيس فإن أيّ دارس للأدب أو متذوق للشعر لا يمكن له أن يفصل هذه الأبيات عن المعلقة، وهي في حقيقتها تصور سقوط مملكة كندة، فالحبيب هو كندة، والمنزل هو مملكتها، وكما يقول أبو عبيدة: «إن هذه الديار التي ذكرها (يعني امرأ القيس) في شعره ديار بني أسد بن خزيمة»[٤] أي حيث كان أبوه ملكاً.

---

(١) المعجم الوسيط: مادة حذم: ١٦٣.

(٢) ديوان أوس بن حجر: ٩٤.

(٣) ديوان عنترة ٢٢١، محمد سعيد مولوي، تحقيق ودراسة، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

(٤) جمهرة أشعار العرب: ١/ ٢١٨.

الخاتمة

فهل لنا أن نستنتج أنَّ لبساً قد حصل عند الرواة بأن الشاعر من طيّئ ذلك أن امرأ القيس كان مختفياً هناك وقد أمضى سنة كما يذكر في بيت الشعر، ثم إن الشاعر اسمه امرؤ القيس بن حذام في خلط واضح بين المكان واسم الشاعر، ومعنى بيت الشعر، وثمة أمرٌ أخير ندعه في ذمة التصحيف والرواة فقد ورد في ديوان امرئ القيس بيت شعر واحد قيل إنه هجا به محمد بن حمران، وألصق به لأول مرة لقب شويعر، وهو قوله(١):

أبلغـا عنـيَ الشـويعر أني عمدُ عين نكبتهنَّ حزيما

والبيت يروى على اختلاف في عدد من المصادر، فإذا صح لدينا هذا نكون قد وقفنا على استعمالين أي لعل تصحيفاً أصاب الذال فأصبحت زاياً، رغم أن المعنى لا يختلف بين الحزم والحذم، وبهذا يكون امرؤ القيس قد أتى به مرة بصيغة (ابن حذام) وأخرى بصيغة (حذيم) وهو ما أرجحه.

إن ما يدعو للعجب أن هذا الشاعر الذي لم يتفق الرواة حول اسمه أو نسبه، ولم يعرفوا له شعراً، ثم نراهم يجعلون عمره مئتي سنة، يراد منا أن نصدق أنه ابتدع للشعراء أسلوب البكاء في الديار والدمن والأكثر عجباً أنهم لم يرووا لنا شيئاً من هذه البكائية. يقول الدكتور عادل البياتي: «لا يوجد ما يدل على اهتمام بهذه القضية، ولم تستوعب الذاكرة الشعرية إلاّ اسما واحدا فقط ورد في بيت لامرئ القيس هو الشاعر (بن خذام) الذي اختلفوا في اسمه... ومع ذلك فإن شعر هذا الشاعر القديم

---

(١) ديوان امرئ القيس: ٢٠٧، وينظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢/ ٢٣٤ للعلامة السيوطي.

ابن حذام لو وصل إلينا لما نفعنا بشيء كثير أو قليل»[١].

لقد قيّدت هذه القضية دراستنا لتاريخ الشعر العربي وتطوره من الأبيات إلى القصيدة، وقد آن لنا أن نذهب مذهبـًا آخر في دراستنا نفرق به بين تطويل الشعر وتقصيده، وأن ننسب فضل إبداع بنية القصيدة العربية إلى مبدعه حقـًا؛ ليكون لنا مسارٌ واضح في دراسة شعرنا العربي وأسباب هذا التطور.

وأن ننظر إلى أن البكاء في الأطلال هو بكاء على وطن مفقود، وليس قضية حيوية بسيطة تتعلق بتنقل القبائل في مضاربها، فهناك كثير من القبائل كانت متوطنة وبكى شعراؤها على الأطلال في تطلعٍ واضح نحو إقامة وطن موحد.

---

(١) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام: ٢٤ وينظر مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي: ٧٨.

المصادر والمراجع

١- أدب الكاتب: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري – تحقيق: دكتور درويش جويدي المكتبة العصرية – صيدا- بيروت ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢- تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام د. نوري حمود القيسي، ود. عادل جاسم البياتي. ود. مصطفى عبد اللطيف، ساعادت جامعة بغداد على نشره، الطبعة الأولى ١٩٨٤ م.

٣- جمهرة أشعار العرب، تأليف أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي توفي في أوائل القرن الرابع، حققه وعلّق عليه وزاد في شرحه الدكتور محمد علي الهاشمي، نشر دار القلم (دمشق) الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤- الحيوان، لأبي عثمان، عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٣٥٧ هـ.

٥- ديوان أوس بن حجر، شرحه وضبط نصوصه وقدم له الدكتور عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.

٦- ديوان امرئ القيس، حسن السندوبي.

٧- ديوان شعراء بني كلب بن وبرة، صنعة الدكتور محمد شفيق بيطار دار صادر، الطبعة الأولى.

٨- ديوان عنترة، محمد سعيد مولوي، تحقيق ودراسة، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م.

٩- شرح القصائد العشر – الخطيب التبريزي – تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

١٠- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، لأبي أحمد الحسن العسكري، تحقيق: عبد العزيز أحمد.

١١- الشعر العربي من الأبيات إلى القصيد، د. عبد الحق حمادي الهواس. دار الأندلس – الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ.

١٢- الشعر والشعراء لابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم، دار صادر، مطبعة ليدن ١٩٠٢م.

١٣- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف مصر ١٩٧٤ م.

١٤- العمدة في صناعة الشعر ونقده، لابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجليل – بيروت – ط الرابعة – ١٩٧٢ م.

١٥- مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الجيل – بيروت ١٩٨٧ – ١٤٠٧ هـ.

١٦- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وزملاؤه القاهرة – مجمع اللغة العربية.

١٧- المعمرون والوصايا – لأبي حاتم السجستاني – تحقيق: عبد المنعم عامر – القاهرة ١٩٦١.

Abstract

Historical novels go to a poet who had been come before Imria Al-Qayss Bin Hegir Al- Kindy in ruins crying his name is Ibin Hutham for him returned this art and from him Imria Al-Qayss took ruins crying.

But these Novels couldn't stand in front of criticism, they look fabricated, worried and filled with public stories spirit.

This research refuses if this poet mulched for Imria Al-Qayss the way of crying at ruins, and this discover the contradiction in Novels,and it sees that verse which Imria Al-Qayss pointed it is not enough to be an evidence to say about this, also this claiming that show the first five verses from Mualaqah of Imria can not be separated from Mualaqah and attributed to Ibin Hutham.

Key words:

Ibin Hutham – He was before Imria Al-Qayss in crying at runis – veered on ruins – As Ibin hutham cried – the first five verses from Mualaqah of Imria Al- Qayss.

تشكيل الحدث والشخصيات
دراسة فنية في رواية (سلمى) لـ:(غازي القصيبي)

د. أمل عبد الله زين العابدين أحمد برزنجي

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية

كلية الآداب والعلوم والإنسانية

جامعة طيبة

haamees@msn.com

تاريخ التحكيم: ١٤/ ١٠/ ١٤٣٥ تاريخ الإجازة: ٢٨/ ١٢/ ١٤٣٥

المستخلص:

يتناول هذا البحث دراسة فنية للحدث والشخصيات في رواية (سلمى) لكاتبها (غازي القصيبي)، وهي رواية ذات مضمون سياسي تتم معالجته تاريخيًا، وطبقًا لهذا المضمون الشائك يتناول البحث دراسة الحدث والشخصيات الثلاث المهمة والمتداخلة في تشكيله وبنائه وتميزه، وتعالق هذه الشخصيات الفني فيما بينها، ومن ثم تعالقها مع الحدث، في سبيل تحقيق غايات الروائي الفنية والموضوعية بأبعادها الذاتية والجماعية(١).

---

(١) استقيتُ مفهوم التعالق الفني من التمعن في مفهوم التناص الذي يشير إلى دخول عدة نصوص في شبكة من العلاقات وينص على: «تعالق(الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة» راجع التعريف في: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية =

وقد اخترتُ الإفادة من جملة مناهج منها: (النفسي والتاريخي والبنيوي...)، وتقوم هذه الدراسة على مبحثين:

المبحث الأول: دراسة أساليب سرد الحدث وأنساق بنائه وتقنياته الحديثة.

المبحث الثاني: دراسة الشخصيات وتداخل أدوارها في بناء الحدث: (البطل، الروائي، الراوي).

وانتهت الدراسة إلى نتائج من أبرزها:

-تميُّز الحس الفني لدى الروائي الذي يظهر في تمكنه من استغلاله أدوار الشخصيات المختلفة وإحداث نوع من التبادل فيما بينها عبر مراحل الحدث؛ وذلك للتعبير عنه بأكثر من منظور ودعم رؤى الروائي وآرائه السياسية بالمشهد والمضمون والنتيجة.

-بروز أغلب جماليات هذا النص من خلال تشكيل الروائي لثلاثية درامية عبر توظيف ودمج الشخصيات الثلاثة: (البطل، الروائي، الراوي)؛ وقد استطاع هذا التشكيل والتوظيف تصوير أزمة الإنسان المعاصر ووقوعه في فخ الصراع الحضاري وما يلقيه من ظلال مختلفة على حياتنا الواقعية.

-لجوء الروائي القصيبي إلى حيل فنية تتكفل بدعم هدف مهم من أهداف روايته ألا وهو الجمع بين الحلم والواقع والتاريخ في سياق سردي غني بمضمونه

=

التناص)/ د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي- بيروت، ط٣، ١٩٩٢م، ص١٢١، فإذا حدث ذلك بين مجموعة عناصر بنائية ارتأيتُ تسميته بالتعالق الفني لأن غاية هذا التداخل العلائقي لابد أن تكون غاية فنية، وتستخدم الباحثة مصطلح التعالق الفني للتعبير عن تداخل العناصر المشكلة للحدث السردي في علاقات معقدة وبطرق مختلفة متضادة أحيانـًا ومتوافقة أحيانـًا أخرى لتحقيق فنية العمل السردي.

وأبعاده؛ حتى بدا النص متفوقًا على ذاته واعيًا بحالته الرمزية وبأعرافه الأدبية أيضًا، وهذا مدعاة للبحث ومحل نظر.

الكلمات المفتاحية:

أدب، الرواية السعودية، رواية (سلمى)، غازي القصيبي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقـــدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على من بعثه ربنا بالحق بشيراً ونذيراً وبعد:

فإن البناء الروائي من أكثر الأشكال الفنية دقة وصعوبة نظراً لاتساع القضايا التي يُعالجها، وتعدد عناصره؛ وفي هذا ما يُشير إلى معاناة الروائي المستمرة في تعامله مع هذا البناء حيث سعيه المستمر في التحكم بسلسلة الترابط الدرامي بين شتى العناصر على كثرتها وتنوعها، فهو مُطالب بتسخير أدواته كفنان وأديب، وإخضاع صوت الراوي، وتكوين الشخصية ودلالاتها لخدمة هذا البناء، وتزداد هذه المهمة حدة وصعوبة حين يلتقي البناء الروائي مع المضامين الروائية الشائكة كالمضمون السياسي، أو الديني، وما شابههما.

ولعله من أهم تلك الأدوات التي ينبغي للروائي تملكها وحسن توظيفها فنية التعامل مع صوت الراوي في العمل السردي، على اعتباره صاحب الرأي الجريء المسخر ضمنيـًا لخدمة الروائي في أمثال هذه المضامين، فإنه وبدون شك مرغم على تحقيق التوازن بين رؤيته كروائي وبين الراوي، حتى لا يجني أحدهما على الآخر فتخرج الرواية عندئذ إما صوتـًا ناقمـًا ناقداً معمي البصيرة بحماسته بعيداً عن جماليات المواربة والرمزية الفنية، وإما شكلاً فنيـًا مترهل الفكر خاوي المعنى.

كما أن تشكيل الشخصية الرمزية من الأهمية بمكان حيث يتطلب وضعها التقنين، والتلاؤم، والانسجام الفني، مع آراء الروائي وصوت الراوي إضافة إلى الحدث بوجه عام؛ ومن ثم يمكنها تحقيق تأثيرها ودورها بالإيحاء الأمثل والأجدى في بناء الرواية.

وهكذا يظهر أن التعالق الفني بين الروائي والراوي والشخصية في مسيرة

مساهمتهم في تشكيل الحدث الدرامي لرواية (سلمى) هو الإشكالية التي يسعى البحث لمناقشتها، وكشف جوانب التئامها، وتنافرها في السرد، وإبراز علامات الإخفاق أو النجاح لدى الأديب في التعامل معها وتوجيهها وربطها بإحكام؛ وصولاً إلى ما يفيد في تقييم عدد من الأعمال السردية التي تخوض تجارب مماثلة أو مقاربة فكريـًا وفنيـًا، وعليه فقد كان عنوان البحث هو: (تشكيل الحدث والشخصيات، دراسة فنية في رواية (سلمى) لغازي القصيبي)[١].

(١) صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر -بيروت، ط٤، ٢٠٠٦م.

وتكمن **أهمية هذا البحث** في عدّة نقاط من أبرزها:

أولاً-أن رواية (سلمى) بها امتزاج ظاهر للجوانب الفنية والفكرية مما يجعلها مثالاً لائقـًا للالتقاء الحاد والتداخل الدرامي بين مجمل تلك الشخصيات والحدث، وكنت قد أفردت بحثـًا سابقـًا لدراسة المضمون والرؤية السياسية والتاريخية والمعالجة فنيـًا في هذه الرواية[١] مما ساعدني على إدراك الصعوبات الفنية والفكرية الجمة التي واجهها الروائي من أجل إخراج هذا العمل وتحقيق فاعليته في التعبير عن واقعه وهمومه الذاتية والجماعية.

ثانيـًا-أن نجاح واتساق المضمون في هذا العمل سيظهر من خلال دراسة عناصر البناء فنيـًا، وتجلية مكوناته الدرامية وأساليب الروائي لتحقيق ذلك، إذ من خلال الروائي وبتحليل اختياراته المتبعة في البناء تتبين مقدرته وبراعته، بل يمكننا أيضـًا إدراك حجم هذه البراعة وأسباب تلك الاختيارات في مجالي الإدارة السياسية والإبداع الفني معـًا؛ وهما -كما يبدوان- أمران يندر اجتماعهما، فكيف إذا كان هذا الروائي من المتهمين بمناصرة المنهج الليبرالي![٢] وهذه الندرة دون شك أمر

---

(١) بين الرؤية السياسية والمعالجة التاريخية في رواية (سلمى) لغازي القصيبي، قراءة وتحليل للمضمون/ بحث منشور بمجلة كلية التربية-جامعة كفر الشيخ/ مصر، العدد ٤- السنة الثالثة عشر ٢٠١٣م.

(٢) الليبرالية: «مذهب فكري يركز على الحرية الفردية، ويرى وجوب احترام استقلال الأفراد، ويعتقد أن الوظيفة الأساسية للدولة هي حماية حريات المواطنين مثل حرية التفكير، والتعبير، والملكية الخاصة، والحرية الشخصية وغيرها. ولهذا يسعى هذا المذهب إلى وضع القيود على السلطة، وتقليل دورها»، ومن أهم أسباب الغموض والخلط في مفهوم الليبرالية غموض مبدأ الحرية»، وقد حصل التنازع بين اتجاهات الليبرالية في تكييف (الحرية)، والبرامج المحققة لها، ومن هذا المنطلق جاء المفهوم السلبي، والمفهوم الإيجابي للحرية»، ويعيش الليبراليون عادة في دوائر منفصلة عن واقعهم ومجتمعاتهم ويعانون حالات من التشتت =

مشوق يستحق الدرس والتأمل لمعرفة كيفية تحقيق (القصيبي) للموازنة الفكرية والعملية الخاصة بين الإبداع والعمل السياسي ومعتقداته الفكرية، ليس لدى الروائي السعودي وحده، بل لدى مجتمع بأكمله لازال يجهل الطريق للتعامل مع المبدعين من بني جلدته.

ووفقـًا لما سبق فقد حددت **أهدافـًا لهذا البحث** تتلخص فيما يلي:

أ-تعرية بنية الرواية من خلال دراسة أساليب سرد الحدث، وأنساق بنائه، والتقنيات الفنية التي تدعم وجوده الدرامي وعلاقاته بالعناصر السردية الأخرى، وكل ذلك ليس من الأهمية بمكان مالم يرتبط بكشف اختيارات الروائي وتقييمها وإبراز أهدافه الفنية والمضمونية.

ب-دراسة التعالق الفني والفكري بين كل من الروائي والراوي والشخصية من جهة وبينهم وبين الحدث الدرامي من جهة أخرى، إذ تعتبر تلك العلاقات أساسية في بنية النص السردي لتحقيق غاياته الفنية والمضمونية.

جـ-الوقوف على أوجه الاختلاف بين الروائي والراوي والشخصية بتحديد دور كل منهم في السرد وتأثيره في القارئ وبذلك يمكن إدراك أهمية التلاقي بينهم، وضرورة التوجيه الفني لكل منهم وفق احتياجات الحدث ومتطلبات المضمون المراد طرحه من خلال العمل الأدبي للتأثير سلبـًا أو إيجابـًا في المتلقي.

=

والضياع والانفصام الفكري والنفسي المستمر، راجع: موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة/ إعداد مجموعة باحثين تحت إشراف: الشيخ علوي عبد القادر السقّاف، المطلب الثاني عشر: الليبرالية، موقع الدرر السنية- مرجع علمي موثق على منهج أهل السنة والجماعة:

http://www.dorar.net/enc/mazahib/239

تمت الزيارة بتاريخ: ٢٢-١٢-١٤٣٥هـ.

وقد جاءت هذه الدراسة **في مبحثين يسبقهما مقدمة فتمهيد**، وتقفوهما **الخاتمة**، والمبحثان هما:

- **المبحث الأول: دراسة أساليب سرد الحدث وأنساق بنائه وتقنياته الحديثة** التي اختارها الكاتب لتفجير الطاقة الدرامية في مضمونه السياسي التاريخي، وفيه ثلاثة مطالب:

-المطلب الأول: أساليب سرد الحدث

-المطلب الثاني: أنساق بناء الحدث

-المطلب الثالث: تقنيات سرد الحدث

- **المبحث الثاني: دراسة الشخصيات وتداخل أدوارها في بناء الحدث**، وفيه مطلبان:

-المطلب الأول: الشخصية المحورية-البطل-

-المطلب الثاني: بين شخصيتي الروائي والراوي

حيث يهتم (القصيبي) بطرق توجيه كل شخصية منهم بما يتوافق مع بنية الحدث وخصوصيته وتلبية احتياجات السرد فنياً وموضوعياً، مع ذكر نوعية العلاقات والتداخلات التي سنها هذا النص بين الشخصيات من جهة وبينهم وبين الحدث من جهة أخرى، ثم تأتي:

***الخاتمة**، تليها:

***قائمة المصادر والمراجع**.

وأما المنهج الذي سرتُ عليه فهو يمزج بين **عدة مناهج منها: النفسي والتاريخي والبنيوي**؛ غير مستغنية عن أدوات التحليل والدرس والنقد والتمثيل قدر الإمكان من نصوص الرواية المطروحة التي استدعت هذه الدراسة ودعت إليها.

تمهيـد

أهمية الحدث الرئيس والمضمون

يبدو الحدث الرئيس الذي بُنيت عليه درامية رواية (سلمى) متمركزاً حول نقطة مهمة وهي المقارنة بين الماضي والحاضر من الناحية السياسية والفكرية في حياة الأمة العربية، ويتحقق هذا الهدف بالتقاط عدة مشاهد في هيئة أحلام تراود البطلة؛ وتمثل هذه المشاهد لقطات ووقائع فاصلة في تاريخ العروبة تلتقي مع الواقع الحاضر في جوانب كثيرة كما تتصادم معه في جوانب أخرى.

تتولى (سلمى) دور البطولة في كافة المشاهد؛ فتساهم بقوة في الانتصارات التاريخية، أما الهزائم فقد حاولت أن تكون سببـاً لتفاديها بتفانيها وإخلاصها لأمتها، والروائي في كل ذلك يغير مجرى الأحداث التاريخية الأصلية، ويُخرجها على نحو يخدم رغبات البطلة المؤطَّرة برغباته وآرائه من تقويم ونقد ومراجعة لغالبية تلك المواقف والأحداث التاريخية الحاسمة في حياة العرب للإفادة منها في الحاضر والمستقبل.

أما النهاية فتكون في كل مشهد وحلم إرضاءً لـ(سلمى) ولاحتفائها الكبير والعميق بالتاريخ العربي، ذاك الزمن الذي تُبدي في كل سلوكياتها وأفكارها وذكرياتها تمسكها الصادق بقوته واقتناعها بجدارته لأن يكون جذراً متينـاً ينهض من خلاله حاضر الأمة المؤلم؛ فهي تجد حياتها الحقيقية في أحلامها مع المجد القديم لأمتها، تتنكر لواقعها المخزي، وحاضرها المتناقض، مع قناعتها بالماضي، إنها ببساطة تعتبر «التاريخ هو الواقع الوحيد»[1]، ولا ريب إذن أن نعتبر (سلمى) رمزاً للعروبة في هذه الرواية.

---

(١) الرواية ص ٧٢-الصفحة الأخيرة-.

وتظهر الحاجة للتعمق في ثنايا الحدث الدرامي لهذا العمل الذي يصور استثمار الروائي لخبرته العملية والفكرية والفنية في تعميق الصراع الفكري والنفسي والسياسي في روايته؛ وحتى يتجلى هذا الاستثمار لزم أن نتتبع ملامحه وتأثيراته على العناصر التي تلاصقت عن قرب مع الحدث والروائي ووجدناها هي الأمثل في تفعيل بنية الرواية ألا وهي شخصية الراوي وشخصية البطل، وفي المقابل آثرت أن أركز في دراسة الحدث على أساليب سرده وأنساقه وطرق تطويره دراميًا؛ حتى تتكشف التعالقات المعقدة والقوية بين الحدث وبين الشخصيات محل الدراسة، بل بين الشخصيات بعضها ببعض.

المبحث الأول

أساليب سرد الحدث وأنساق بنائه وتقنياته الحديثة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

أساليب سرد الحدث

استخدم (القصيبي) عدة أساليب لسرد الحدث منها أسلوب السرد المباشر القائم على وصف الأحداث وتقديم الشخصيات في إطارها الزماني والمكاني في تتابع منطقي، وهو الأسلوب التقليدي لسرد الأحداث، ويمكن تطعيمه بأساليب أخرى لتحقيق التنويع والتجديد[1]، كما سيتضح بعد قليل في هذه الرواية.

ويأتي استخدام الروائي لهذا الأسلوب في مواضع متكررة وذلك غالباً في مقدمات المشاهد والأحلام التي تُراود البطلة (سلمى) ليكون سرده بمثابة تمهيد تقريري وتحفيزي لبداية المغامرات وتشويقاً وتهيئة لفكر ونفسية القارئ:

«تعبث أصابع العجوز بالراديو وتمتلئ غرفة النوم بالأصوات. تنتقل أصابع العجوز، وتتغير الأصوات، تقف عند برنامجها المفضل «نافذة على التاريخ». تروي الحلقة قصة سقوط بغداد في يد التتار والمجازر التي أعقبت دخول هولاكو عاصمة الخلافة، تصاب العجوز بالذهول، سقوط بغداد؟! دخول هولاكو؟! ماذا حدث لهذا الراديو؟!» (ص٤٠).

---

(١) الأدب وفنونه/ د.عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي- القاهرة، ط٧، ١٩٧٨م، ص١٧٨، بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية/ د.عبد الفتاح عثمان، مكتبة الشباب- القاهرة، ط١٩٨٢م، ص ٢٧٠-٢٧١.

«كان صوت عبد الوهاب الرخيم يعانق شعر شوقي الرقيق، وكانت سلمى تبحر في موجة من السعادة، تصورت نفسها وقد أصبحت ولّادة، وتصورت شوقي وقد أصبح ابن زيدون، طارت إلى القصر الأندلسي، تقف على الشرفة، ويقف تحت الشرفة ابن زيدون/ شوقي/ عبد الوهاب يشكو إليها مرارة الفراق:

مـرّ مـن بعـدك مـا روّعـني أتـرى يـا حلـو بُعـدي روعـك

كـم شـكوت البـين بالليـل إلـى مطلع الفجر.. عسى أن يُطلعك» (ص٥٩).

وقد عمد الروائي أيضـاً لهذا الأسلوب التقريري إما اختصاراً لبعض المشاهد أو تمهيداً لظهور شخصيات جديدة والتعريف بها حيث تتشارك مع (سلمى) المواقف وردود الأفعال خلال المشاهد:

«يرفع الرئيس جمال عبد الناصر رأسه من الأوراق التي تكتظ بها طاولته الصغيرة، في مكتبه، في منشيّة البكري. يُشرق وجهه عندما يرى سلمى واقفة أمامه» (ص٩).

«كانت جواسيس سلمى يحيطونها علمـاً بتحركات هولاكو، جاءتها تقارير تُؤكد أن ماريا، زوجة هولاكو المسيحية، لا تُطيقه، وأنها مستعدة للتعاون في أي مسعى يؤدي إلى القضاء عليه، بدأت المراسلات السرية بين سلمى وماريّا، عندما اقترب هولاكو من بغداد، كانت خطة سلمى قد اكتملت، وكان أفراد الفرقة جاهزين للتحرك» (ص٤٣).

إلا أن الغالب في هذه الرواية استخدام أسلوب تيار الوعي في السرد، وهو من أحدث الأساليب الفنية الكاشفة عن دوافع الشخصية وراء انفعالاتها المختلفة والمتناقضة أحيانـاً في المشاهد المختلفة المترددة ما بين الواقع والحلم؛ وهو الأسلوب الأعمق والأمثل لتصوير العالم الداخلي للشخصيات في القالب اللغوي؛ فالنفس الإنسانية خاصة في عصرنا الحضاري المادي باتت أسيرة الصراعات

الداخلية المستمرة نتيجة صراعات متناقضات خارجية من مختلف الجوانب الحياتية[١].

وبرأيي أن الروائي قد أحسن بداية في اختيار واستخدام أسلوب تيار الوعي في هذا النص؛ إذ نجده يمضي في سرد الحدث السياسي الشائك ذي الرؤية التاريخية من خلال هذا الأسلوب متلمساً بصدق أزمة الإنسان العربي المعاصر بأغلب أبعادها وزواياها الفردية والجماعية، وتلك الأزمة بلا شك تنشأ وتتنامى مع الزمن في ظل تصاعد الحاضر بالتمزقات على نحو يُفقد الإنسان القدرة على التوازن النفسي والاجتماعي والفكري، فنرى ملامحه ليست إلا ضروباً من التوتر والقلق والانفصام، وتردداتٍ ما بين النجاح والفشل، والأمل واليأس، والصمود والانهيار.

أضف إلى ذلك أن أسلوب تيار الوعي كما أرى هو: (نهج سردي لوصف الوعي واللاوعي في ذهن الشخصية مع إيهام القارىء بنبوع هذا المحتوى من الشخصية فور إحساسها به، وبذلك تبرز مجافاته للمنطقية والتنظيم والاتساق ليس في سلوكيات ومشاعر الشخصية فحسب؛ بل حتى في جانب اللغة التي تنطقها الشخصية وتعبر بها)[٢]؛ ومادام الحلم هو السياق الكلي للمشاهد والأحداث التي تمثلها الشخصيات أو تصفها في هذه الرواية؛ فإن قدراً كبيراً من هذه العبثية الحالمة في الأوصاف واللغة سيكون لائقاً ومؤثراً بل متضخماً دراميا بتضخم نوعية الشخصية الناطقة المتحركة في ظله بعد تشكيلها تشكيلاً خاصاً من جهة أبعادها

---

(١) البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة، دراسة نقدية تحليلية/ د.نصر محمد عباس، دار العلوم – الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ص٩٤-٩٧.

(٢) مفهوم خاص بالباحثة استعانت فيه بكتاب: جماليات اللغة في القصة القصيرة، قراءة لتيار الوعي في القصة السعودية (١٩٧٠-١٩٩٥م)/ أحلام حادي، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء،، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٩-١١.

النفسية والفكرية المتناقضة.

ويمكن أن نؤكد ذلك من خلال الإشارة لعدة أساليب تندرج تحت تيار الوعي اختارها الروائي ووظفها بكثرة في هذه الرواية لإبراز نوع من الفوضوية الفنية في تحليل عالم الشخصيات متخيراً في ظلها اللغة الملائمة والمنسجمة مع هذه المجافاة وهذا التناقض مع المنطق والنظام في اللغة والرواية بوجه عام ؛ فقد ركز (القصيبي) في هذا الجانب على أسلوب (الدراما الذهنية) مبتعداً بشكل ظاهر عن أسلوب (المونولوج المباشر) على لسان الشخصيات، وعن (الانطباعية الحسية) لديها خلال المشاهد المحيطة بها؛ بل نجده يعتمد على (الدراما الذهنية) ويتخذها أسلوباً رئيساً في قص الأحداث الروائية وتحليل الشخصيات وهي في حالة لاوعيها؛ كيف لا وهي عبارة عن «تقديم موضوعي للحياة الذهنية للشخصية وهي في حالة هيستيريا، مما يجعل العمليات لديها أكثر اضطراباً وفيضاناً مما هي عليه عادة»[(١)]، أما في حالة تقديم الروائي لعالم الشخصيات في ظل وعيها بمحيطها ومنطقيتها في معالجة الحوارات واللغة فقد تركزت اختيارات الروائي على أسلوب

---

(١) جماليات اللغة في القصة القصيرة، قراءة لتيار الوعي في القصة السعودية/ ص٥٠، أما المونولوج المباشر فهو: الحوار الداخلي غير الواعي للشخصية دون تدخل الروائي، ويختلف عن المونولوج غير المباشر وهو: نقل الروائي لذلك الحوار دون تفسيره الخاص، أما المناجاة فهي: حوار داخلي يفسره الكاتب ويوضحه، والتحليل الداخلي: هي تفسير الروائي لعالم الشخصية الداخلي دون نقل حوار الشخصية، وهي جميعاً من الأساليب التي يستخدمها الكاتب للكشف عن العالم الداخلي العميق لدى الشخصية، السابق ص٤٠-٧٧، والانطباعية الحسية تعني: «تسجيل الانطباعات والتأثيرات التي تبعثها في الحواس مشاهد العالم الخارجي في مملكة الظلال والألوان» السابق ص٤٧.وقد آثرت تأجيل الحديث تفصيلاً عن الدراما الذهنية وتوظيفها إلى موضع مناقشة التقنيات الفنية الدرامية كونها مسيطرة على الهيكل البنائي للسرد بشكل عام في هذه الرواية، راجع هذا البحث ص٦٥٦-٦٥٨.

(التحليل الداخلي) لعالم الشخصية على لسانه، مستغنياً به عن أسلوب (المناجاة الداخلية) الذي تحلل فيه الشخصية بذاتها عالمها الداخلي[١]، وقد وجد (القصيبي) في أسلوبي (الدراما الذهنية في سياق الحلم، والتحليل الداخلي) متسعاً من الحرية في تسخير الشخصيات لرؤاه وغاياته الفنية والفكرية؛ بل إن كلاً منهما يتيح له التحكم في توجهات القارئ تبعاً لتحكمه بشخصيات عمله الدرامي، وليس من ريب أن ذلك شاهد على وعي الروائي بطبيعة مضمون عمله السياسي التاريخي الذي كان ولا يزال يُعد موضوعاً ذا خطر له محاذيره وخطوطه الاجتماعية والفكرية، ونراه بهذا التحكم يدقق في تشكيل وتوجيه الخطاب السياسي الشائك ذي المضمون التاريخي على لسان شخصيات مختلفة، إضافة إلى شخصيته، وهي شخصيتي الراوي والبطلة، محافظاً في كلٍ على المصداقية والواقعية النقدية التي ينتهجها في التعامل مع صراعه الذاتي والجماعي، وهو في مظلة تلك الخطورة يفرغ محتوى فكره ورؤاه وينسج عملاً أدبياً -العمل الروائي بشكل عام- هو الآخر (من أرقى وأعلى المستويات الأدبية ألا وهو العمل الروائي -الدرامي-)[٢].

ومن جهة أخرى تبدو لي اختيارات (القصيبي) ناجحة في الدمج بين وعي الشخصية ولا وعيها، بين المنطق والتنظيم آن، وبين الفوضى والتحرر من القواعد آن آخر، في إطار سعيه لقصّ الأحداث الروائية بفاعلية وفنية؛ فكأن تلك المزاوجة اختصرت على الروائي طرق التوفيق بين طرفي الحدث للعام للرواية المبني على المواجهة والتصادم بين نقيضين أحدهما مقبول مبرر ومنطقي وهو (ماضي العرب

---

(١) سبق تعريف هذه الأساليب مع مثيلاتها في الهامش السابق ليتضح الفرق بينها ولاشتراكها جميعاً في تحليل العالم العميق للشخصيات.

(٢) الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية/ د. عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية – القاهرة، ط ٥، ١٩٩٤م، ص٢٣٩.

وتاريخهم المجيد)، والآخر مرفوض ومشوش لا منطق في فهمه أو لقبوله وهو (حاضر الأمة العربية السياسي والفكري)، وهي الرؤية الخاصة المدروسة التي يبثها الروائي عبر عمله ويسخر لها أحداثه وشخصياته باستمرار.

فمن مواضع استخدام أسلوب التحليل الداخلي في هذه الرواية تعليق جاء على لسان الراوي خلال محاولة (سلمى) فهم أسباب ضيق العلاقة بينها وبين حماتها في حلم راودها حول كونها زوجة البطل (محمد أبي عبد الله الكبير) أحد أواخر ملوك الطوائف في الأندلس، وفي السياق تفسير لما يدور في ذهن البطلة وما يتعاركها من صراع فكري ونفسي بحثاً عن مبررات سوء العلاقة بينها وبين حماتها التي اختارتها بنفسها زوجة للابن الأمير:

«كانت سلمى مسكونة بأحلام المجد العربي القديم. كانت سلمى تطمع أن يكون زوجها محمد، أبو عبد الله، البطل الذي يعيد فتوحات الخليفة الداخل والناصر. وكانت سلمى ترى أن الفرصة لم تفلت بعد، وأن دولة بني الأحمر تستطيع أن تقود الانطلاقة التي تجمع الشمل، وتوحد الصف، وتقف في وجه الأعداء...

وفي الجانب الآخر لم تكن فاطمة مسكونة بشيء سوى الغيرة والحقد وهموم السلطة الصغيرة. كانت تريد أن يحل ابنها محل أبيه مهما كان الثمن...، وجد محمد نفسه ممزقاً بين الأم التي تدفعه دفعاً إلى الانقضاض على أبيه، وبين الزوجة التي تحثه، بعنف، على إعادة الوئام إلى الأسرة» (ص٢٥).

وفي إطار كشف وفهم طبيعة العلاقة بين (سلمى) وحماتها (فاطمة) تظهر تحليلات الروائي لتغطي كثيراً من فجوات التفكير التي اقتضاها الغوص مع التحليلات المركزة في المقاطع السابقة فيقول:

«لا تذكر سلمى، بالضبط، متى بدأ نزاعها مع حماتها فاطمة... إلا أن الأمور

بين المرأتين سرعان ما أخذت تنحدر إلى هوّة الكراهية المتبادلة. لا! لم تكن القضية الخلاف التقليدي بين الحماة والزوجة، لم تكن القضية المنافسة المعتادة على قلب الرجل الحائر بين أمه وزوجته. كان الخلاف بين المرأتين عميقاً عمق المأساة التي عاشتها الأندلس في عصر ملوك الطوائف» (ص٢٥).

«ما كادت الأمور تهدأ لأبي الحسن، حتى بدأت فاطمة دسائسها ضده، ولم يكن ابنها سوى مخلب قِط لا حول له ولا قوة. فشلت سلمى في إقناع زوجها بالوقوف وراء أبيه وتجاهل مكائد أمه. كان زوجها ريشة في مهب الريح يصغي بعقله إلى زوجته، ويصغي بقلبه إلى أمه...» (ص٢٧).

الروائي هنا يفسر ويعلل علاقة الكره بين البطلة وحماتها؛ ويوظف تلك المبررات لتنمية الروح الدرامية في المشهد العام والجزئي معاً، فسبب كراهية الحماة لزوجة ابنها الأكبر (سلمى) هو الصراع على السلطة ورغبتها في الانتقام من زوجها ومحظيته الأجنبية، و(سلمى) هي العائق المستمر أمام تحقيق هذه الرغبات حيث تسعى تلك الزوجة البارّة المخلصة سعياً حثيثاً للم شمل العائلة الحاكمة، وتوحيد الصفّ أمام الأعداء، فالحماة لها همومها الذاتية الشخصية التي تتصادم وتتعارض تماماً مع هموم (سلمى) العربية الطامحة لمعالجة هموم دولة بأكملها؛ فهمها الوحيد وشغلها الأعمق المصلحة العامة والتغلب على مكائد الأعداء ضماناً لبقاء الأندلس عربية سليمة معافاة في عهد انقسامها إلى طوائف واتباعها لنظام الحكم الجمهوري في الأقاليم[١]، ذلك العهد الذي يُعدّ في الحقيقة التاريخية عهد الازدهار والتسابق الحضاري في ميادين العلم والأدب، لكنه من وجهة أخرى كان بداية النهاية المؤلمة للفردوس العربي في الأندلس؛ بل هو آخر عصور القوة العربية هناك.

---

(١) عصر الدول والإمارات في الأندلس/ د.شوقي ضيف، دار المعارف-القاهرة، ط١٩٩٤م، ص٣٥.

أليست تلك الأطماع والأهواء الخاصة التي تمثلها (حماة سلمى) هي السبب الرئيس في تشتيت العرب في الأندلس وضعفهم أمام العدو!؟و(سلمى) العروبة تحلم لو أنها كانت هناك في اللحظة والمكان المناسبين من التاريخ لتقوم بدورها في تلافي أسباب السقوط والانهيار الذي لازلنا نبكيه كلما ذكرنا الأندلس، كل هذه المعاني والآراء السياسية يبثها الكاتب وينفخ فيها روح الدراما عبر توظيفها خلال تحليله اليقظ لعالم الشخصيات الداخلي.

ومن استخدام الروائي المتكرر الموجَّه لأسلوب التحليل الداخلي ما يُورده باستمرار من تعليقات وتفسيرات منطقية واعية على حالة الشخصية خلال أحلامها غير الواعية المتعددة والممتدة على طول الزمن السردي، ومن الظاهر أن الإنسان في لحظات الحلم يفقد قدرته على الوعي وتسيطر عليه حالة من اللاوعي العبثي المشبع بتراكمات الصراع وتداخلات الذاكرة في الأزمنة والأمكنة المختلفة، ومن مثل ذلك تعليق الراوي على مشهد حلم (سلمى) بكونها معشوقة أمير الشعراء الذي تربطها به علاقة غرامية مميزة، وتتفتق لقطات ذلك الحلم برفقة غناء عذب لـ(أم كلثوم) يتهادى كأنه فاصل طيفي يجذب عاطفة وتركيز القارئ:

«كان شوقي يحبها حباً يختلط فيه العشق بشيء من حنان الأبوّة. كان عبد الوهاب يحبها بأذنه، بقدر ما يحبها بقلبه. وكانت تعشق شوقي شاعراً ولا تحبه رجلاً. كما كانت تعجب بعبد الوهاب مغنياً ولا تميل إليه بمشاعرها الأنثوية... كانت سلمى تبتسم، وتغني، وتنشد الشعر، وتهمس، وتعاتب، وتشجع، وتشعل في قلبي الرجلين المزيد من نيران الشوق»(ص٥٧).

«في هذه اللحظة بدأت أم كلثوم تغني:

سلوا كؤوس الطلا هل لامست فاها واستخبِروا الراح هل مسّت ثناياها

شعرت سلمى بهزة تجتاح كيانها، وارتعشت مع اللحن، ومع الصوت، ومع

الذكرى. توقفت أم كلثوم حتى هدأ التصفيق العاصف الذي قابل البيت الأول، ثم واصلت الإنشاد:

باتت على الروض تسقيني بصافية لا للسُّـــلاف ولا للــورود ريّاهــا

ما ضر لو جعلـت كأسـي مراشـفها ولو سقتني بصافٍ من حميّاها؟» (ص٦٢).

إنه تحليل لمشهد خيالي حالم رقيق لكنه في ذات الوقت مغذى برؤى للروائي حول بعض جوانب الصراع الحضاري الفكري والفني؛ فـ(سلمى) ترى في الحلم نفسها امرأة قد شغلت بال الشعراء والموسيقيين ونالت إعجابهم، هي شغف (أحمد شوقي) وحلم جميل يتمنى أن يصل إليه (عبد الوهاب)؛ كيف لا وهي العروبة بجمالها وأصالتها؛ بل هي العروبة في هيئة امرأة، ولنستمع لها خلال الحوار: فهي لا تحب شهرة الرجلين ولا فحولتهما أو وسامتهما ولا تحب وفق أنوثتها؛ بل هي متعلقة بشعر (شوقي) العربي البديع وبغناء (عبد الوهاب) الأصيل وموسيقاه العربية، وهما في نظرها عنوانان من عناوين الحضارة الفنية العربية، وهي إذ تحلم بكل ذلك فهي ترصد من خلال الحلم جزءاً من معاناة العرب نتيجة امتزاجهم بالغرب، وذلك وجه واحد من أوجه الصراع المحتدم بين معسكر الشرق والغرب، يشعر به ويعاني منه حتى ذوو الموهبة والوعي الفكري والشعوري العميق كالشعراء والموسيقيين حيث يجدون أنفسهم محاصرين ذاتيًا وجماعيًا بفكرة الامتزاج بالغرب، محاصرين بين الضرورة والمحظور:

«...وكان عبد الوهاب يحدثها عن طموحه، عن مشروعه الكبير في تطوير موسيقى من نوع جديد هي مزيج من الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية. كان عبد الوهاب يرى أن الموسيقى هي تراث البشر جميعًا، وأنه من غير الطبيعي أن تمتزج الشعوب وتبقى موسيقاها منفصلة. شكى -شكا- عبد الوهاب لها العناء الذي يلاقيه من معسكر الموسيقيين التقليديين ومن معسكر الموسيقى الغربية، على

حد سواء... كان عبد الوهاب يكرر أمامها أنه لولا تشجيع شوقي المتواصل لما استطاع أن يواصل مسيرته»(ص٥٦).

إن اختيار (القصيبي) لبعض أساليب تيار الوعي وتوظيفها دون غيرها جاء من منطلق رغبته في التحكم الفني في التعليقات والتفسيرات المختلفة لعالم الشخصيات الداخلي؛ فهو بذلك يتمكن من توجيه الأحداث وفق أهدافه الموضوعية والفنية؛ ويتمكن باستمرار من تضخيم أزمات الشخصيات الداخلية ومضاعفة توترها وشحنها دراميًا وكل ذلك غالبًا يُرجعه إلى الأوضاع السياسية والذكريات التاريخية أي إلى الظروف الخارجية المحيطة بالشخصيات.

و(القصيبي) كما يبدو يستخدم من أساليب تيار الوعي ما يضمن له التحكم في تعليقات وتفسيرات الراوي لعالم الشخصيات؛ ليستطيع توجيه الأحداث وفق أهدافه الموضوعية والفنية من وراء السرد، وهو في الوقت نفسه يستثمر ذلك أيضًا لتضخيم أزمات الشخصيات الداخلية وتوترها النفسي ويرجعهما غالبًا إلى عوامل سياسية وأوضاع فكرية خارجية تحيطها وتأججها باستمرار.

المطلب الثاني
أنساق بناء الحدث

يُظهر تتبع أنساق بناء الحدث الدرامي في هذه الرواية إلى اتخاذ نسقين متوافقين لتشكيل مزيج منسجم فنيًا مع نوعية محتوى هذا العمل، وهما: نسق التناوب ونسق التضمين، واجتماع هذين النسقين في العمل الروائي يكاد يكون اعتياديًا وطبيعيًا، لذلك سوف نتجه للبحث عن تميز (القصيبي) في تطويرهما وتطويعهما لتغذية بناء روايته دراميًا.

(والنسق هو النظام البنائي للأحداث حيث ترتيبها وفق تتابع زمني سببي)[١]، وهي بهذا التتابع تعد متناً حكائياً يختلف بالتأكيد عن المبنى الحكائي الذي ينظمه الروائي ويتخيره لهذا المتن[٢]؛ هكذا قد يتشابهان أو يختلفان في ترتيب الأحداث دون نوعيتها، ويسمى نسق اتفاقهما بـ(التتابع)[٣] لاتفاق المبنى الروائي مع أصل الحكاية في المتن في الانسياق المنطقي المتدرج زمنياً صعوداً، أما إذا خالف المبنى المتنَ الأصلي للحكاية مبتعداً عن التتابع المنطقي فسوف تظهر الأحداث وفق نسقين: (التضمين) أو (التناوب) أو كليهما معاً، ومن مزيجهما نظم (القصيبي) المبنى الحكائي لروايته (سلمى)؛ فلابد أن لهذا الاختيار أهدافاً وغاياتٍ فنيةً وموضوعية، كما أن هذا المزيجَ إنما يُوضع لخدمة بناءِ الأحداث وشخصياتها دراميًا.

النسق الأول/ نسق التناوب:

يقتضي هذا النسق عادة تشكيل البناء الروائي من خلال تجميع عدد من القصص بأزمنة وأمكنة مختلفة؛ غير أنه يلزم تشارُك الشخصية نفسها أو عدد منها في تلك القصص[٤]، بل تحتاج أن تتلاقى تلك القصص فيما بينها لتتوازى في بنائها

---

(١) أركان القصة/ أ.م.فوستر، ترجمة: كمال عياد، مراجعة: حسن محمود، تقديم: د.ماهر فريد، تحرير: د.محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ط٢٠٠١م، ص٥٠، البناء الفني في الرواية السعودية، دراسة نقدية تطبيقية/ د.حسن الحازمي، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٧٥.

(٢) نظرية الأدب/ رينيه وليك- آوستن وآرن، ترجمة: د.عادل سلامة، دار المريخ - الرياض، ط٣، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.ص٢٩٥-٢٩٦.

(٣) نظرية الأدب/ ص ٣٠٠-٣٠١.

(٤) ويمكن أن يُوجد الروائي وفق هذا النسق أكثر من زمن أو مكان للقصة الواحدة؛ انظر السابق ص٣٠١، ٣٠٧، البناء الفني في الرواية السعودية- دراسة نقدية تطبيقية/ ص ٨٠٤.

الحكائي؛ بحيث لا يظهر اهتمام الروائي بإحداها على حساب الأخرى داخل هذا النسق.

ويبدو أن رواية (سلمى) بُنيت بقوة على أساس كسر التتابع المنطقي الاعتيادي في بناء الأحداث؛ فهي تضم سبع قصص مستلهمة من التاريخ، تتناوب في الظهور مع أحداث حياة (سلمى) الحقيقية وهي القصة الثامنة في الرواية، بل إن (سلمى) هي التي تُلوّن هذا التناوب وتتشاركه من خلال تنقلها ما بين تلك القصص وبين واقعها. ومن الروابط الأساسية بين تلك القصص مشاركة (سلمى) بدور البطولة في كل تلك القصص؛ ومنها أيضـاً علاقة التضاد والتناقض بين تلك القصص الماضية ومواقف واقعية حاضرة يلمح لها الروائي في موضعها تارة وفي زوايا الرمز التاريخي تارة أخرى تحقيقـاً لرؤاه السياسية والفكرية.

(سلمى) إذن رابط مهم بين القصص، تتنقل من زمن إلى آخر ومن مكان إلى مكان، في كل قصة متعايشة مع مجد الأمة في مواقف حاسمة من تاريخها؛ فنجدها مثلاً تشارك (جمال عبد الناصر) في إدارته وآرائه السياسية بظهورها في هيئة رئيسة للمخابرات المصرية، وهي من منطلق منصبها تُحسن النصح والمشورة لرئيس مصر الذي لن يُنسى-(جمال عبد الناصر)-؛ بل تبدو من خلال المشهد الجزئي والكلي لهذه القصة وهي تدعم هذه السياسية الناصرية، وتحث قائدها على القيام بثورة عربية جديدة تنجح في إيقاظ الأمة وتقوية موقفها العصري أمام أعدائها ومنافسيها:

«-سيادة الرئيس! هذا موضوع مصيري، هناك مؤامرة خطرة جداً تُدبر ضدك، وضد مصر.

-يبتسم جمال عبد الناصر، ويقول:

-هذا كل ما هنالك؟ كل يوم هناك مؤامرة خطرة جداً تدبر ضد مصر،

وضدي...

-تهز سلمى رأسها بعنف، وتقول:

-لا! لا! لا! لا أتكلم عن المؤامرات اليومية العادية. أتحدث عن خطر داهم، عن تواطؤ دولي محكم ضدك.

-عدوان ثلاثي جديد؟!

-أخطر، يا ريّس، أخطر بكثير...» (ص١١).

الروائي هنا يسخر (سلمى) لاستفزاز شخصية (عبد الناصر) بهدف إظهار كافة الجوانب الإيجابية والناجحة في سياسة وإدارة هذا الرجل، وهو على ما يبدو لي تبرير فني يفسر سبب اختيار هذه الشخصية التاريخية السياسية بالذات:

«-لن أسمح لأحد باستدراجي إلى معركة أعرف أني غير مستعد لها...

-أقصد أنك حين تجد نفسك مضطراً أمام الجماهير العربية التي تعشقك وتعشقها إلى اتخاذ عمل فسوف تتخذه، كما فعلت يوم قبلت...» (ص١٥-١٦).

«-...سلمى! لقد صمدت مصر أمام العدوان الثلاثي. لماذا تتوقعين أن تنهار مصر الآن، وبهذه السهولة؟

-...التاريخ لا يعيد نفسه، والأوضاع تغيرت تماماً. قواتنا غير مستعدة. ولن يقف معنا أحد» (ص١٩-٢٠).

«-وماذا تريدين أن أفعل؟

تخرج سلمى ورقة من الملف...ويقول الرئيس ضاحكاً:

-سلمى! تريدين باختصار ثورة جديدة؟!...

-...تأكدي أنني سوف آخذ معلوماتك بمنتهى الجدية. أما عن الثورة الجديدة فأرجو أن تنسيها وتمزقي الورقة...

-...قمت بواجبي، والباقي عليك. كان الله في عون مصر، وفي عونك» (ص٢١-٢٢).

وفي جانب آخر تظل (سلمى) متنقلة بين واقع أمتها-وهو واقعها هي أيضـًا- السياسي والفكري وبين ماضيها لتتبدى المفارقة الدرامية في أوج اشتعالها تاركة سيلاً من ملامح التنافر والتضاد على الأزمنة والأمكنة والشخصيات المرافقة لها في كل قصة؛ فنراها تستيقظ من النوم بعد الحلم لتغفو من جديد وتستلهم قصة جديدة استدعتها من عالم الحلم لتعايشها بتفاصيل الصراع على مرأى الواقع الذي لا ينفك عنها، وهكذا دواليك حتى تتزامن وفاتها في الحقيقة مع وفاتها في الحلم أيضـًا عبر إحدى القصص، إنها نهاية مشوار طويل قضته البطلة متنقلة بين القصص والأزمنة والأمكنة المختلفة بإشعاعات تاريخية ماضية تضيء ظلمة الحاضر:

«... تصحو العجوز، تستمع إلى كلام غريب: "... وقد جاءت الضربة القاصمة صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ عندما قامت الطائرات الإسرائيلية بهجوم شامل مفاجئ"... تدهش وتقفل الراديو بغضب. أي ضربة...ألم تحذر الرئيس..؟! ألم يصدقها؟!» (ص٢٢-٢٣).

لقد تشكلت معظم أحداث القصة التاريخية هذه من أحداث تاريخية حقيقية غيّر الروائي بعض مجرياتها ليستثمرها في مضاعفة حدة الصراع وتقوية فكرته القائمة على التضاد والانفصال التام بين الماضي والحاضر، فهنا الإشارة إلى ثورة ٢٣ يوليو ونكسة ٦٧ وما كان من حماس وعزيمة لدى (عبد الناصر) وحرص مميز على كرامة وعزة وطنه وأمته العربية.

ويأتي التغيير في مجريات الأحداث التاريخية كما يبدو من خلال مشاركة (سلمى) فيها لتنطق بصوتها أو بصوت الراوي الخارجي بتبريرات الكاتب لهذه الأحداث؛ فعلى سبيل المثال يبرر لنكسة مصر والعرب تباعـًا (سنة ١٩٦٧م)

ويبحث عن شيء يخفف من وصمة الفشل على سيرة شخصية يحبها ويؤيدها وهي شخصية (جمال عبد الناصر) بإلقاء اللوم على الخداع السياسي المشهور عن (روسيا)، و(القصيبي) كان من أشد المعجبين والمعاصرين (للناصرية)، وورد في مواضع متعددة من سيرته مشاركته في تأييد ثورة ٢٣ يوليو من خلال أشعاره وآرائه حيث كان بمصر في تلك الفترة، ونراه هنا يؤكد من خلال قصة (سلمى) مع (عبد الناصر) وطريقة سردها وتضمينها كجزء في روايته على الدور القيادي الفذ لذلك الرجل الذي امتلأ حماساً نادراً لوطنه وقوميته العربية، ولعل هذا التأييد ما هو إلا تعبيرٌواضحٌ من الروائي عن انتمائه (للناصرية) كمذهب سياسي واعتبار قائدها رمزاً من رموز الكرامة العربية وتحررها من الإملاءات الخارجية، وهذا التعبير لم يأتِ من منطلق معاصرة (القصيبي) لتلك الحقبة التاريخية ومشاركته فيها فقط؛ بل جاء كذلك من منطلق خبرته وتمرسه بالعمل السياسي والإداري لفترات ممتدة مع عمله بالتدريس في هذا المجال، مما جعله يبدو متأكداً ومصراً على صحة رأيه في (الناصرية) وقائدها وسلامة موقفه منها واستمرار دعوته إليها مقارنة بسياسات أخرى عاصرها الكاتب من بعد وناهضها بعد تلمّس الفروق فيما بين هذه وتلك في حفظ الأوطان وإعزاز الأمة ومالها من دور في تبني روح الحماسة والعزم والقوة والتضحية في سبيل تكريمها بين الأمم.

وتظهر كافة القصص الأخرى التي دبجها الروائي في بنية الرواية واستلهمها لتشكيل الحدث متضخمة بأمثال هذه المفارقات والتناقضات الزمانية والمكانية عبر التنقل بين الماضي والحاضر، وبين الحاضر والماضي، وعبر معايشة أجواء كل قصة بحيثيات بيئتها وبعض ملامح مكانها، ومما يؤكد ذلك تنوع الشخصيات المختارة في كل قصة وعناصر تشكيلها الفكرية والنفسية، فنجد الروائي وقد بذل الجهد للربط بينها رغم اختلافاتها مع دعم تلاحمها بالأحداث الجزئية والعامة.

وليس ذلك غريباً فالرابط الذي أوجده الروائي بين مجمل القصص المضمنة في روايته يأتي عبر تداخل هذه القصص في أحلام (سلمى)، ومشاركة (سلمى) في المقابل في بطولة كل قصة بعد تغيير منظور الأحداث وفق ما يبرز ثنائية الصراع في هذه الرواية القائم على التناقض الكبير بين ماضي الأمة وحاضرها، بين الحلم والحقيقة، كما أن هناك تناقضاً بارزاً بين أدوار (سلمى) في شبابها وجهودها الضخمة والناجحة في خدمة الأمة والمساهمة في عزتها وذاك حسب ما تصوره أحلامها، وبين واقعها الحاضر كعجوز بائسة تلازم الفراش وأقصى ما يمكنها فعله التعليق على ما تسمعه في الإذاعة عبر جهاز الراديو من تشويه وتزوير للتاريخ العربي وسقوط وذل لأمتها.

لقد وفّر الروائي مزيداً من الحيوية بكسر التحرك الاعتيادي للأحداث والتتابع المنطقي المعهود باستخدامه لنسق التناوب مستعيناً في ذلك ببعض التقنيات الفنية القوية التأثير كالاسترجاع والمونتاج الزماني والمكاني الذي وفره تنقل (سلمى) بين الماضي والحاضر في أزمنة وأمكنة مختلفة[1]؛ متعاركةً في كل مرة

---

(١) العودة للماضي مهما طالت أو قصرت في زمن السرد هي استرجاع، والاسترجاع نوعان بحسب علاقته بزمن السرد: استرجاع خارجي بالعودة إلى ماضٍ سابق بعيد عن زمن الأحداث المعروضة، واسترجاع داخلي بالعودة إلى زمن سابق قريب وملاحق لبداية زمن الأحداث السردية، كما أن هذا الاسترجاع قد يطول أو يقصر تبعاً لمساحته من زمن السرد، وهو في كلٍ يعرض معلومات الماضي باختيار السارد الجيد من أحداثه مما له علاقة بتطوير الحدث والشخصية في البناء، وتوفير الوحدة العضوية لجزئيات الأحداث، فقد تُبنى القصة أو الرواية على الاسترجاع ويكون جزءاً أساسياً من تقنيات خروج السرد عن مساره المنطقي التقليدي كما في رواية (سلمى)، أو يكون جزئياً على مدار بعض الأحداث، راجع تعريف وتفسير هذه التقنيات في: فن القصة القصيرة عند نجيب محفوظ/ د.حسن البنداري، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.، ص٧٨، ٢٩٦، والمونتاج الزماني يقوم على =

مع شخصيات متباينة الأبعاد الفكرية والنفسية، مختلطة بحوادث وقصص من عوالم أخرى تُضاف لواقعها.

ولاريب أن هذا النسق بتقنياته من جهة أخرى مكّن الروائي من استفزاز القارئ وجذبه لإعادة ترتيب القصص والأحداث خلال التناوب المستمر ما بين الحلم واليقظة في الرواية، والربط بين تلك القصص بالبحث عن نقاط التلاقي واكتشاف المفارقات؛ تلك التناقضات البعيدة المدى التي تكدست تباعاً في مجموع هذه القصص المختلفة للتأثير في فكره وعاطفته وجعلته يتصور نفسه في موقف (سلمى) التي تتجول بأمنيات ورغبات جماعية ما بين عالم الأحلام والواقع المغاير، فنراه يقف على كل ذلك بانتهاء الحدث العام بعد أن ارتحل باجتهاده عبر مبنى حكائي مميز وكأنه إحدى شخصياته.

النسق الثاني/ نسق التضمين:

جمع (القصيبي) مع نسق التناوب نسق التضمين الخارجي في تشكيل أحداث هذه الرواية وبنائها؛ وهو أن يضمن الروائي روايته قصصاً مستقلة مستوحاة من خارج محيط البناء السردي لكنها مرتبطة بموضوعه، وعادة ما يتم الاستناد في مثل هذا الأسلوب على الموروث الأسطوري كما في النادر من الروايات العربية، أو على

=

تجميع الصور المستقلة في صور مركبة خلال تثبيت المكان وتحرك الشخصية خلاله زمانياً، أما المونتاج المكاني فيقوم بتجميع تلك الصور حال استقلالها وانفرادها في كل مركب عبر تثبيت عنصر الزمن السردي وتحرك الشخصية وتنقلها مكانياً، وهكذا تنشأ المفارقة الدرامية في البناء السردي عبر العلاقة المتبادلة المتداخلة بين عنصر الزمان والمكان، بواسطة تحريكهما وتثبيتهما من خلال التصوير الذي يحتل أهمية كبيرة في المونتاج وما يقوم به من إثراء القوة الدرامية في السرد، انظر السابق ص٣٢٣-٣٣٣، الأدب وفنونه/ ص١٩٥.

الموروث التاريخي[١] كما يظهر في رواية (سلمى).

ومن سمات هذا النسق في تشكيل الأحداث الدرامية أنه لا ينفرد أبداً ببنائها؛ فالغالب أن يأتي في أعطاف نسق آخر كنسق التناوب كما يظهر في هذه الرواية، أو نسق التتابع المنطقي المتمثل والمعهود في عدد كبير من الأعمال القصصية والروائية ومنها رواية (سلمى)؛ ويكون الهدف منه عندئذ مساندة تلك الأنساق الرئيسة لتحقيق قدر وافر من الحيوية والتنويع والتشويق في بناء الحدث؛ مع ما يقدمه من متعة وعظة وحكمة منشؤها استحضار الموروث ذي القيمة المعنوية واللفظية والرمزية في نفس المتلقي.

لقد وردت في أعطاف رواية (سلمى) عدة قصص مستوحاة بجملتها من التاريخ القديم والحديث كما أسلفنا؛ الأولى تتحدث عن الإدارة والسياسة (الناصرية) وتدعو لإحيائها كدعوة لتقوية وتحفيز الأمة، والثانية تتحدث عن سقوط الأندلس وأثره في انحسار المجد العربي وضموره في شمال أفريقيا، ثم تجيء القصة التي تستثمر حياة (المتنبي) للإشارة إلى عمق قصص التاريخ وخفاء أو ضياع وتزييف أجزاء كبيرة منها، فهذه الشخصية على شهرتها الأدبية فيها جوانب عسكرية وحربية كثيراً ما يجهلها القارئ وفي تبيانها وبحثها إنصاف لحقيقة هذا الرجل وأمثاله ممن جهلناهم رغم شهرتهم، تليها قصة مستلهمة من زمن سقوط بغداد وأسبابه كضعف الخلفاء والقادة وانشغالهم بما لا يجدي، بعدها نرحل بفخر في أعماق بطولات وأمجاد (صلاح الدين الأيوبي)، ونعبر منها مباشرة للعصر الحديث حيث رموز عربية جديدة في مجال الشعر والغناء العربي-(أحمد شوقي، محمد عبد الوهاب)- مع عرض معاناتهم العصرية والصراع الفكري والثقافي المستمر بين معسكري الشرق والغرب، ونقف أخيراً مع قصة طالت في واقع الأمة ولم تنتهِ إلا في

---

(١) نظرية الأدب/ ص٣٠٦.

أحلام (سلمى) العربية، حكاية الظلم والعدوان الإسرائيلي في أراضي القدس، إنها خاتمة ضخمة محتوى وشكلاً، تلملم الحلول والأمنيات التي هي بدورها جزء من قرارات أكبر ينبغي أن تُتخذ وتُنفذ ليس لتحرير فلسطين فقط؛ بل لتخليص العرب من سجل ومسيرة معاناة طويلة ومعلقة في حلقات الزمن.

وهكذا نجد حياة (سلمى) العجوز الملازمة للفراش المحبة للتاريخ المثقفة به تشتعل وتتقد عبر الذاكرة حين تغوص في كل مرة في منامها مع قصة من تلك القصص بتفاصيلها وأحداثها وشخوصها، لتستيقظ مع آثار كل حكاية منها على واقع أمتها الحالي في الضعف والنكوص والعجز، تتردد (سلمى) ما بين الماضي والحاضر، وما بين الحلم والحقيقة الواقعية بواسطة مثير خارجي بسيط وهو (المذياع) تلك الآلة الناطقة التي تستفز البطلة فترميها في العمق السحيق للماضي، وتدفعها لاستعادة الوعي وترتيب معرفتها ومعلوماتها التاريخية عن كل واقعة؛ فلا عجب إن ثارت (سلمى) بعدها إما لأن النهاية لم تكن لصالح أمتها، فتلجأ للحلم لتعديلها وتبرير هزائمها قدر الإمكان، وإما للتزييف الثقافي الذي يشوه تاريخ أمتنا عبر وسائل الإعلام الحديثة؛ بل يخدع المواطن العربي بتاريخ أمته فيوهمه بما يشاء ويهيئه ليفقد ثقته بالماضي التليد.

ففي المشهد حول سقوط الأندلس مثلاً تبدأ الأحداث على نحو ظاهر باستفزاز (سلمى) لتعود بذاكرتها التاريخية إلى الأحداث التمهيدية السابقة لذلك السقوط:

«تعبث أصابع العجوز...وتجيء محطة بعد محطة... وهي تغفو وتصحو. ثم تتنبه فجأة. حديث عن آخر أيام العرب في الأندلس...

تنتفض العجوز كالملسوعة. أي مُلْك مُضاع؟!...هذا الراديو الروسي لا يعرف شيئًا عن التاريخ الحقيقي لواحد من أعظم أبطال المسلمين، زوجها محمد،

أبي عبد الله الكبير»(ص٢٤-٢٥).

«كانت سلمى مسكونة بأحلام المجد العربي القديم. كانت تطمع أن يكون زوجها محمد... البطل الذي يعيد فتوحات الداخل والخليفة الناصر... وأن دولة بني الأحمر تستطيع أن تقود الانطلاقة التي تجمع الشمل، وتوحد الصف... الجرم الأعظم الذي ارتكبه ملوك الطوائف كان تحالفهم مع الأسبان ضد إخوانهم المسلمين»(ص٢٥-٢٦).

ومن هنا تبدأ البطلة بتخيل نفسها في ذلك العهد كزوجة لهذا القائد، تشاركه أحداث حياته وهموم عصره وتعرفنا عن بطولته وشجاعته والصورة الحقيقية للمؤامرات والدسائس الداخلية والخارجية التي تعرض لها؛ بل نرى (سلمى) تؤمن بانتصاره على الإسبان وتؤجل السقوط وتنسبه لمن جاؤوا من بعده[1].

وفي قصة حياة (المتنبي) تظهر البطلة أيضـًا في صورة زوجته تتداخل معه في حوارات عميقة غير منتهية هدفها الظاهر الكشف عن أبعاد عميقة وخفية في شخصية (المتنبي) والبحث في أسرار حياته التي قد تكون ظلت رهينة فكره وتصوراته الداخلية وذلك بالطبع كما تخيلها (القصيبي)، وهي كما يبدو جوانب لم يعتنِ بها غالبية من أرَّخوا لحياة أبي الطيب أو حللوا شخصيته النادرة، والسبب في هذا التداخل على رأي الروائي إما إخفاق المؤرخين في فهم هذا الرجل، أو أسرار نفسية وسياسية وسمات فكرية خاصة بـ(المتنبي) نفسه تحيط حياته بكثير من الشكوك والشبهات، فنجده يظهر متحدثـًا في أحد المشاهد لزوجته (سلمى):

«-...وما قيمة حياتي بلا أسرار؟ في اللحظة التي تنكشف فيها أسرار حياتي تنتهي الأسطورة...أتحول أنا إلى شاعر عادي بين آلاف الشعراء وتنتهين أنت، تصبحين زوجة عادية...

---

(١) انظر ص (٢٦-٣٠) من الرواية.

...ما يهم هو أن يبقى المرء في ذاكرة التاريخ ما بقي التاريخ...

-ولكنك لم تقل فيّ شعراً كما قلت في.....

-كنت تقصدني حين تكلمت عن الغزالة الكاعب...

-وقصدتني حين قلت: «سقانا وحيانا بك الله...».

-لم أقصد سواك...» (ص٣٣-٣٤).

«كان الملوك الأرانب يعرفون أنني بمجرد أن أعلن نسبي الحقيقي، بمجرد أن أعلن ولادة الدولة العلوية العربية الحقيقية، لن يبقى-يبقَ-منهم عبد أو حرّ على عرشه...

-...لا تتحدثي الآن عن كافور، أو عن سيف الدولة، أو عن عضد الدولة، أو عن بقية الأوثان البشرية التافهة.

ليس لأحد منهم شرف النسب ولا شرف الطموح الذي يمكن أن يعيد الخلافة إلى الحياة.

-الخلافة؟! لكنك لم تخبرني أنك كنت تطمع أن تكون الخليفة.

-لم أرد أن أكون خليفة مهزلة. كنت أريد أن أكون خليفة حقيقيـًا، على رأس خلافة حقيقية، تقضي على الدويلات التعسة وتكتسح الدنيا بأسرها»(ص٣٦-٣٧).

وتأتي خاتمة القصة مؤكدة على الهدف من استلهامها وعرض الحقائق الخفية عن حياة (المتنبي) وفق تصورات ورؤية (القصيبي):

«-سلمى! ضحيت كثيراً من أجلي والآن أريد منك التضحية الكبرى.

-ولكن...

-سلمى! هل تريدين أن تكوني زوجة رجل فرّ من الميدان؟

تُشهر سلمى سيف زوجها من غمده، وتضعه على صدره، وتضغط، وتسمع

الشهقة.

يتكلم الراديو عن الموقعة التي قتل فيها المتنبي، وتبتسم العجوز وهي تستمع إلى الهراء، لا يعرف الراديو أن المتنبي سقط صريع مؤامرة كبرى شارك فيها كل ولاة عصره... لا يعرف الراديو شيئـًا عن حياة المتنبي الحقيقية، أو نهايته الحقيقية، أو امرأته الحقيقية. تتقلب العجوز، ثم تغفو، وهي منبسطة الأسارير» (ص٣٨-٣٩).

هذه النماذج ومثيلاتها في الرواية من قصص مضمنة في جسد البناء السردي تتحدث عن (سلمى)-رمز الأمة العربية-المسكونة بالمجد العربي وعشقها للتاريخ وحرصها على المساهمة في تصحيح حاضر الأمة، وتأتي جميع هذه القصص لأهداف محددة وفاعلة وموظفة بعناية وفنية لائقة بخبرة (القصيبي) السياسية والأدبية؛ فبعضها-كما بدا لي- يشير تأكيداً إلى ضياع المجد العربي وخفوت الحماس والحمية لدى أبنائه وحاجتهم لليقظة ولصحوة حقيقية تمكنهم من استعادة كرامة الأمة كما يظهر في القصص المستلهمة عن سقوط بغداد والأندلس؛ بل إن بعض تلك القصص جاء تفسيراً من الروائي لبعض الحقائق التاريخية والهزائم التي تعرضت لها أمتنا تفسيراً مشحونـًا في معظمه بمعاني العظة والعبرة وضرورة الإفادة بنتائج تلك القصص ووضعها في الاعتبار عند التفكير في اتخاذ الخطوات اللازمة لاستعادة مجد الأمة أو عند ترتيب سياق المجتمع العربي الحاضر وأبعاده في إطار علاقاته الدولية، وذلك مما يتضح في الحديث عن (نكسة ٦٧) (وثورة ٢٣ يوليو) والأماني في استعادة فلسطين ومعاناة الشعراء والمفكرين.

ولا ريب أن تضمين هذه القصص في كلٍ جاء خلاصة للصراع الذي يعانيه الروائي وتصوره لنا (سلمى) نيابة عنه، وتعانيه الأمة في حاضرها بجميع أبعاده الفكرية والسياسية والنفسية إما بسبب أعدائها، أو بسبب واقعها المؤلم المخزي

الذي تتنكر له؛ بدليل حضور مواقف حاسمة ومهمة من تاريخها في الذاكرة السردية في إشارة ذكية من الروائي إلى أبعاد هذا المضمون، وتشعبات ذلك الصراع الكبير من خلال خليط القصص والتقائها في بؤرة الصراع في الرواية.

إنها قصص تعكس جوهر الصراع في الرواية بكافة جوانبه، وفي طيات كثير منها استشراف فني من الروائي السياسي الإداري المحنك ببعض النهايات المحتملة لهذه المعاناة، وهو استشراف وتنبؤ مليء بالأمل والتفاؤل على عكس ما يبديه ظاهر السرد؛ فرغم المرارة والحسرة المستقاة بجرعات متتالية من حضور القصص التاريخية وتعارضها وتناقض بنيانها الكبير مع الواقع إلا أن هناك أملاً وفسحة رجاء ممتدة يُهيئها الروائي للقارئ من خلال رؤياه وحماسته الخفية، فهو لا ينفك يشير إلى هموم وضرورات ينبغي علينا مشاركتها معـًا والاتحاد لأجلها، كما أنه يلح في استحضار أزمنة اليقظة والثورة والحماسة العربية ثقة في قدرة العرب على تعدي الأزمات وتخطي العواصف وإيصال الأمة لمكانة تليق بها كما عُهد عن أسلافهم.

ويظل توظيف الرمز التاريخي واستلهام القصص المختلفة من أزمنة وأمكنة متباينة من أهم التقنيات الفنية التي عالج بها (القصيبي) أحداث رواية (سلمى) دراميـًا؛ فهي بالفعل من الوسائل المطورة في المعالجة الأدبية للنصوص التي من شأنها أن تعمد إلى كثير من المداخلات الزمانية والمكانية فيما يخص علاقة الفرد بالجماعة من خلال الموروث التاريخي والأدبي، هذا إضافة إلى إدراك الكاتب لقيمة تحريك الأحداث السردية في مسبار الزمن التاريخي وفي خطوط رمزية أفقية وعرضية تتقد بإيحاءاتها العميقة كافةَ العناصر الأخرى في جسد الرواية خاصة تلك التي تلتف عميقـًا حول الحدث، ويمكن تأكيد ذلك عند الحديث عن عنصر الشخصية فيما يلي من هذه الدراسة.

المطلب الثالث

التقنيات الفنية لمعالجة الحدث الروائي

تمكن (القصيبي) من تحويل الأحداث البسيطة والمعتادة إلى أحداث عميقة التشكيل والتأثير بواسطة تقنيات متعددة منها: توظيف الرمز التاريخي، والدراما الذهنية، الحلم ويتداخلان معـًا وتنبثق كل منهما من إطار اعتماده على منهج تيار الوعي في السرد، ثم هناك نوع من الإيقاع السردي المميز الذي أوجده الروائي عبر تنسيقه لبنية الحدث الدرامي.

وكما يظهر فإن هذه التقنيات المختارة من الروائي إنما جاءت تجسيداً وتحليلاً لأعماق الذات الإنسانية في بعديها الخاص والعام وفي حالاتها المتضادة المختلفة، حتى إننا وجدنا مكنونات النص السردي تطفو مع حكاية كل حدث وفي كل مشهد، وهذه من أبرز آثار استخدام تقنيات الدعم الدرامي للحدث(١).

وهدف الروائي من استخدام تلك الوسائل لم يقف عند حدود الارتقاء بالمضمون والفكرة وتفسير العالم الداخلي؛ بل تعداه إلى تغذية النص وإشباع عناصره بالدراما التي تعني السلوك والحوار المتقابل مع ذلك العالم، وما ينطوي عليه من فكر وشعور(٢)؛ وهي إذ تتسع لتشمل الحدث أو الفعل تتطلب وجود الصراع ماثلاً في المفارقات والتصادمات، وهذا باختصار كل ما يلزم الروائي لتحقيق درامية الحدث في العمل السردي.

ووفقـًا لهذه الرؤية الفنية وجدت (القصيبي) يجتهد في شحذ الحدث العام

---

(١) راجع الحديث عن بعض هذه التقنيات وأثرها في: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحـًا نقديـًا معاصراً/ د.ميجان الرويلي- د.سعد البازعي، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠م، ص١٩٨.

(٢) نظرية الأدب/ ص٣٠٩.

والأحداث الجزئية لروايته بأنماط وأوجه مختلفة للفكر الدرامي مضيفاً إليها السلوك الظاهر في عدد كبير من المشاهد التي تمثلها الشخصيات والتي تفيض بتحريرها من تأزمات عالمها الداخلي مع تحليل الروائي له، وهكذا يتطور الحدث الروائي نامياً في ظل نبضات مستمرة من الروح الدرامية المساندة لأهداف (القصيبي) الفنية والموضوعية من بنائه السردي في رواية (سلمى)، ولعل أبرز التقنيات التي يركز عليها هذا البحث هي:

التقنية الأولى/توظيف معطيات الرمز التاريخي:

تتضح أوجه توظيف الروائي للرموز التاريخية في المشاهد المختلفة المشكلة للرواية في سياق الحلم وهو سلوك ملازم للبطلة-(سلمى)-يرحل بها عادة من الواقع إلى ظلال مواقف حاسمة من تاريخ أمتها، والحدث التاريخي يعد أحد أكثر الرموز والأحداث إيحاءً وحيوية لدى الشخص؛ بل إن توظيفه في النص يعتبر استثماراً عميقاً ومكثفاً لرمزيته التي لا تكف عن إشعال روح الدراما في الأحداث والشخصيات التي بدورها تنقل هذا الاشتعال والتشبع الدرامي إلى شعور القارئ وفكره.

ويستوقفني في هذا النص الروائي ما قام به (القصيبي) من تطوير الأسماء والمواقف التاريخية التي غدت معتادة في ذاكرة القارئ من كثرة ترديدها عليه عند قراءته للتاريخ العربي، فنجد الروائي يخرج كثيراً منها من دائرة الاعتياد والنمطية إلى دائرة الحداثة الأكثر تشعباً واتساعاً، وكأنه يجددها في الفكر والذاكرة لتنهض معها همومه الذاتية والجماعية وتجرف في طريقها القارئ ممتلأ بالحيوية واليقظة والدهشة إضافة إلى الشغف واستشفاف العظة المتلازمين مع حضور الحدث التاريخي برموزه المختلفة.

ولنقرأ مثلاً هذا المشهد الوصفي الذي ينقل القضية الفلسطينية من سباتها إلى

عالم الأحداث المشتعلة الحية في ذاكرة ووجدان القارئ؛ مع أن طول المعاناة في هذه المأساة مع انعدام الحلول لها لسنوات وسنوات جعلها تنتقل تلقائيـاً إلى بؤرة الاعتياد والركود في فكرنا وذاكرتنا، خاصة أنها معاناة أورثتنا كثيراً من نيران الحقد، والغضب، المطفأين بيأس وإحباط!!:

«يبدأ شارون حديثه: «كلما زرت وحدة في قوة الدفاع شعرت أني أزور بيتـاً يسكنه أفراد من أسرتي..... هذا المصهر سوف يبقى اليهود غرباء في موطنهم التاريخي...

يسرح ذهن سلمى. تستعرض تاريخ القاتل الذي يتحدث، الآن إلى القتلة، تم أمام عينيها صور تاريخه الملطخ بالدماء العربية... تسيطر سلمى بصعوبة على مشاعرها الغاضبة، وتجبر نفسها على العودة إلى الوحدة...» (ص٦٦).

«من جديد تفر أفكار سلمى من الوحدة، تمر أمام عينيها صور الانتفاضة الأولى، والانتفاضة الثانية، صور الأطفال... النساء الفلسطينيات الحوامل... صور الآلاف من الجرحى. صور الآلاف من المقعدين. صور الآلاف من الجثث المثقوبة بالرصاص...» (٦٨-٦٩).

«-...هل تسمح لي بتقبيلكَ؟...

تدنو سلمى، وتطوق بيدها اليمنى عنق الجنرال ويدها اليسرى تضغط على الزر. قبل أن يتوقف قلب سلمى عن النبض، ترى جسد السفّاح يتناثر...» (ص٦٩-٧٠).

هنا فقط وفي لحظة مغيبة عن جسد الواقع لائقة بمنطق الحلم الدرامي وتعرجاته تموت (سلمى)، ولكن موتها لم يكن دون معنى، بل تضحية وانتقامـاً يرضي بحثها عن العدالة والانتصار:

«يصافح الدكتور رشيد...سليم ويقول:

-أحسن الله عزاءك، كانت سيدة عظيمة...

-كانت تقرأ وتكتب، ألّفت أربعة كتب...

كانت كلها عن التاريخ... اسمها «مواقف حاسمة من التاريخ».

-آه: التاريخ والأدب، التاريخ والشعر، التاريخ والسياسة، كانت هذه الأشياء محور حديثها.

-إلا أن التاريخ كان حبها الأول والأخير...» (ص٧٠-٧١).

إن القضية الفلسطينية -بعد هذه المشاهد وتلك المرافقة الواعية لعدد من الأحداث الدامية التاريخية والمجازر المقيتة في حياة شعبها- تعود لتتصدر واجهة الأحداث وذاكرة المتلقي ومشاعره، وكأنها تقفز وتنبعث من عالم الخمول والتراجع والضمور إلى عالم اليقظة والحاضر الحي الشائك؛ فتتركنا للتفكير الممزوج بالانفعال لاهثين خلف حماس منقطع النظير يفتش عن حلول وتدابير بدلاً من البكاء والاتكاء والكبت!

إنه ليس تحريضـاً إرهابيـاً من الروائي، كما أنه ليس دعاية بائسة لهذه القضية الحية الميتة، إنما هو بحث وتفتيش في دفاتر التاريخ التقط خلاله الروائي المنعطفات الزلقة والمشاهد الأكثر إيلامـاً وضرراً في نفس العرب، وهو مشهد الحقد والكبت الملازم لمعظم العرب المسلمين بسبب عدم حل هذه القضية وتعسرها رغم مرور السنين، وتفاقم الأزمة، وتغير الأزمنة، وتوالي الحكومات والأزمات؛ فكان المشهد الانتحاري الذي مثلته (سلمى) في حلمها ما هو إلا تفريغٌ للمكبوت الجماعي وتصالحٌ مع العجز العام يقدمه (القصيبي) كعزاء لكل عربي مسلم، إن فلسطين هي الجرح العربي الذي لا يسلمنا للموت والراحة أو للحياة بعزة واطمئنان؛ إنها نقطة باقية متكررة في صفحات التاريخ العربي تنتظر أن يتهجاها أبناؤها بصدق وعزيمة بعيداً عن المصالح والبرجماتية العصرية.

التقنية الثانية/ الدراما الذهنية:

الدراما الذهنية هي تقنية مساعدة لدعم الأساليب الرئيسة في تيار الوعي الذي اختير لسرد الحدث الروائي هنا، ونقصد بهذه الأساليب: المونولوج، التحليل الداخلي، المناجاة الداخلية، وقد سبق الحديث عنها(١).

ومما يؤكد كون الدراما الذهنية ليست أسلوبـًا رئيسـًا بل داعمـًا ومساعداً أن أسلوب الروائي في الدراما الذهنية عادة ما هو إلا تصوير من قبله لمسيرة الحدث في لحظات اضطراب وهذيان الشخصية عبر المونولوج أو التحليل أو المناجاة، وتلك اللحظات هي اللحظات التي تبلغ فيها الشخصيات ذروة التضخم والتعقيد مع صراعها لاهثة خلفه مسافات كبيرة مبتعدة عن واقعها وعقلانيتها، ومن هنا يلزم أن يكون تصوير الروائي لعالمها الداخلي بطريقة موضوعية واعية تظهر الكامن خلف الهذيان وتفسر تعقيداته، وفي الوقت نفسه تضمن للحدث التنامي الدرامي وتضاعف التأثير في المتلقي.

غير أن (القصيبي) في هذه الرواية اعتمد على الدراما الذهنية اعتماداً أساسيـًا لتشكيل الحدث الروائي السياسي/ التاريخي الشائك الذي يسعى لطرحه ومناقشته من خلالها؛ فالبعد السياسي والفكري والنفسي للتناقض بين ماضي الأمة وحاضرها لن يبدو قويـًا بارزاً ممتد الأثر وفاعلاً في النفوس والأذهان إلا إن أُخرج في قالب بنائي يستوعب صعوبة الصراع الذي يمثله على الفرد والمجتمع.

وهل يعقل أن يتحول تاريخ عظيم وعريض للأمة العربية إلى واقع ضعيف متخاذل! هل يُسمح لفرد أي كان بمناقشة قضاياه العالقة وانهزاميته في بعض منعطفاته!! لابد إذن أن يكون هناك حلم يسوّغ كل ذلك، حلم يخبرنا بأن هناك

---

(١) راجع هذا البحث ص٦٢٩-٦٣٨.

فوارق ما بين التاريخ والحاضر، وأن الحقيقة ليست هي الحقيقة، وأن الواقع ليس هو الواقع، بل هو شيء آخر يخالف ما نتمناه ونرجوه، الحلم يمكننا من خلاله تقبل أي نتيجة والحقيقة الواقعية مرّة وشاهد عيان يدفعنا للبحث في الأحلام والذكريات عن مخرج، الحلم بوسعه أن يحور ويعدل واقعنا وفق طموحاتنا ورغباتنا الفردية والجماعية ولو لسويعات لا يتسع لها غير الحلم جالباً معه القليل من الراحة.

وكيف يمكن لروائي وأديب سياسي محنك يتألم لأمته، ويريد تسخير أدبه لخدمتها، أن يتخلص من وطأة الحاضر، ويرتقي في أبراج الرؤيا للفوقية التي تنقذه من الخذلان والضعف، إن لم يلجأ إلى استعادة ومضات مسجلة في تاريخ أمته، للتسلق عليها، وتجاوز الصراع الذاتي والجماعي الذي يحاصره! وكيف يصبح التاريخ في فورة التصادم والتناقض الفكري والنفسي لدى الروائي والقارئ معاً حاضراً ماثلاً؛ متملكاً لكل وسائل القوة التي تمكنه من التحكم بالنص وبما هو خارج النص وإدارتهما أيضاً إلا باستخدام تقنية الحلم! فعبر الحلم يمكن تفويض كل المشاريع وكل الآمال والأمنيات إلى قدرات هذه النعمة العظيمة التي يدرك جميع البشر فائدتها وضرورتها ومردودها الإيجابي على الفكر والنفس، كما يعي كل روائي درامي دورها المميز في تهيئة المفارقة الجادة في مواقف الشخصيات من واقعها ومن ذواتها، ودورها تباعاً في تصعيد الحركة الدرامية للأحداث السردية؛ خاصة مع توافر محيط بيئي زماني ومكاني تتشارك فيه شخصيات الحلم والواقع مواقف الحياة ومشاهد وأنماط صراعاتها المتعددة.

وجود الحلم إذن ضرورة لكشف التناقضات والتقابلات غير المتوازية في أحداث وشخصيات هذه الرواية، ومن هنا جاءت فكرة الروائي لقص الحدث من خلاله، فالرواية عبارة عن مشاهد أحلام تراود (سلمى) حول مواقف مهمة من تاريخ أمتها، وهذه الأحلام بمثابة نماذج وإشارات فقط تلتقط مواقف مختارة هي

من وجهة نظر الروائي مشاهد غيرت مسار التاريخ ولن تتكرر، إما لنجاحها النادر في عبور أزمات سابقة للأمة، أو لقصورها في المحافظة على استمرارية هذا النجاح، وشخصياتها قيمة مميزة نطمح لمثيلاتها في واقعنا العصري على أن تتهيأ لظهورها أوضاع سياسية وفكرية تسمح لها بالعبور مع أمتها إلى ساحة المجد المرتقب، تلك الأمة التي تمثلها (سلمى) في هذه الرواية كرمز، و(سلمى) أيضـًا هي التي تقوم بدور البطولة في كل حلم بل في كل قصة تاريخية تدور حولها تلك الأحلام، ثم يأتي قص تلك الأحلام على لسان الراوي بمثابة إشعاع حيوي ينثر الثنائية في تفاصيل الأحداث وبقية الشخصيات وفي الفكر والشعور معـًا؛ ويعضد مسار الحدث بقدر عال من الدراما المشوقة المعبرة والهادفة في الوقت نفسه.

التقنية الثالثة/ توظيف الحلم:

بدأ تفعيل (القصيبي) لتقنية الحلم في تحقيق أهدافه الفنية والموضوعية للرواية من خلال استخدامها كوسيلة رئيسة لحكاية الحدث تحت إطار أسلوب تيار الوعي-كما أسلفنا-فكافة المشاهد التاريخية تظهر في السرد في سياق الحلم المغذَى برؤى الكاتب حول الحاضر ومقارنته بالماضي، مع التحوير في بعض المجريات التاريخية وفق ما يجده باعثـًا للأمل محفزاً للنجاة من اليأس والغضب اللذين يطغيان على القارئ في ظل تلك التصادمات الزمانية والمكانية.

ثم انطلق (القصيبي) لاستخدام تقنية الحلم في مواضع جزئية لأغراض يبدو بعضها بارزاً بيّنـًا والآخر منطويـًا تحت أجنحة الحدث والشخصيات؛ فمن ذلك توظيف مشهد الحلم لتفسير الأحداث الراهنة والتلميح لمساوئ ومنزلقات متكررة في الحاضر من خلال الماضي:

«كان الفجر يقبل وجنتي بغداد، وكان المستعصم مع مجموعة من ندمائه يصغي إلى غناء القيان. دخلت سلمى المقصورة وقالت لزوجها بصوت حاولت أن

تخفي منه نبرة الاحتقار:

-يا أمير المؤمنين! انتصر جيشك على جيش التتار. قم! قم وتقبل تهنئة المسلمين بانتصارك العظيم.

بقيت أصابع العجوز بالراديو، وهي بين اليقظة والنوم تستمع إلى قصيدة طويلة عن صلاح الدين الأيوبي، وعن تحرير بيت المقدس، وعن حطين، تبتسم وتغفو» (ص٤٤-٤٥).

ومنها الاستعانة بالحلم لبعث القوة في نفس الشخصيات وتحفيزها على المضي في الحياة رغم معاناتها القائمة الماثلة في الحاضر-حاضر زمن الحلم-:

«تذرع سلمى خيمتها وهي في حالة قريبة من الجنون متأرجحة بين الخوف والأمل. هي لا تشك أن زوجها الشجاع، صلاح الدين، قادر على هزيمة الفرنجة في حطين. إلا أنها تعرف قوة العدو..... تتوقف سلمى، وتتدافع الذكريات في رأسها. تقعد على البسط وتستسلم لطوفان الذكرى...» (ص٤٥).

تقوم سلمى، وتذرع الخيمة من جديد. التفاصيل لا تهم ما يهم أنها عادت بمعلومات دقيقة عن العدو...مكنت زوجها من الانتصار...تصحو سلمى من ذكرياتها...تركض لتستقبل الجيش العائد. في المقدمة، رأت زوجها مبتسماً، ومخضباً بالدماء كالعادة. بمجرد رؤيته أدركت سلمى أن معركة حطين انتهت بانتصار صلاح الدين»(ص٥١).

ومنها كذلك استخدام هذه التقنية لاستشراف المستقبل وتوقع المنتظَر في ظل انعدام التوازن بين الماضي والحاضر لأمته، وفي ظل فقدان أفرادها القدرة على التصالح مع الحاضر واحتواء قوة الماضي لبعثها من جديد في ذواتهم وفي واقع الأمة:

«-تبدو الخطة جنونية، يا سيادة الرئيس. ولكن الذين وضعوها أنفقوا الكثير

من الوقت والجهد في التخطيط. لن يشك أحد في وجود مؤامرة...وحتى عندما ينتهي كل شيء قد لا يشك أحد...صدقني! هناك سلسلة من الإجراءات يجب أن تتخذها على الفور. الآن!

-أن أُعلن استعدادي للصلح مع إسرائيل؟!

-الصلح مع إسرائيل هو الهدف النهائي للخطة...ما يهم الآن هو أن تُبادر إلى إنقاذ مصر من الهزيمة.....

-سلمى! أشكرك!...أما عن الثورة الجديدة فأرجو أن تنسيها وتمزقي القائمة...

تصحو العجوز، وتستمع إلى كلام غريب: «وقد جاءت الضربة القاصمة صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧...تدهش وتقفل الراديو بغضب... ألم تحذر الرئيس جمال عبد الناصر من المؤامرة الشريرة؟! ألم تحذره بنفسها؟!...تتقلب العجوز، وتعود إلى النوم»(ص٢٠-٢٣).

ويجيء الحلم في هذه الرواية وسيلة للكشف عن العالم الداخلي المعقد لإنسان العصر المأزوم الذي تمثله كافة شخصيات النص: (الروائي، البطلة-سلمى-، الراوي، القارئ)؛ ففي الحلم تجد كل شخصية منهم حرية التعبير الجريء عما يخفيه ويعانيه هذا الإنسان في عقله الباطن من طموحات وآلام واحتياجات، وتوقعات لفرص التكيف والتصالح في حياته الحضارية، إما عبر تحقيق التوازن مع ذاته وجماعته أو تحقيقه بين ماضي أمته وحاضرها:

«...وكان عبد الوهاب يحدثها عن طموحه. عن مشروعه الكبير في تطوير موسيقى من نوع جديد هي مزيج من الموسيقى الشرقية والغربية. كان عبد الوهاب يرى أن الموسيقى هي تراث البشر جميعاً... شكى عبد الوهاب لها العناء الذي يلاقيه من معسكر الموسيقيين التقليديين ومن معسكر الموسيقى الغربية، على حد

سواء»(ص٥٦).

«تعبث أصابع العجوز بالراديو، وتتوالى الإذاعات، تغفو العجوز وتستيقظ، وتغفو وتستيقظ، فجأة يشد انتباهها خبر، يردده الراديو بصوت متهدج: «وقد قتل خلال الغارة الجوية الليلية على غزة عشرة أشخاص بينهم ثمانية أطفال، وجرح أكثر من مئة وخمسين شخصـًا معظمهم من الأطفال والنساء، هذا وقد هنأ رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون قواته المسلحة مشيداً بهذا الإنجاز...» تتجهم ملامح العجوز. تظل تتقلب وتتقلب وتغفو. وتستيقظ.

تقف سلمى في زي نقيب في قوة الدفاع الإسرائيلية تثرثر مع زملائها...يمر رئيس الوزراء آرييل شارون...يقف أمام سلمى، ويبتسم، وتبادله سلمى الابتسامة!!...» (ص٦٤-٦٥).

ويظهر هنا تأكيد الروائي على المفارقة الشاسعة بين الماضي والحاضر في نفس البطلة حيث الإشارة إلى اختلاط الأزمنة عليها ما بين الواقع والحلم! ولعلها إشارة هادفة تنبئ عن ارتباط التاريخ في نفس الإنسان بقضية مهمة في حياته وهي قضية الجذر والأصل، وهي إشكالية مستمرة الحضور في الزمنين الماضي والحاضر مهما تعانق الإنسان مع حاضره، وغرق في ظلاله وتعرجاته المعقدة:

«ينظر سليم إلى العجوز دون أن يعرف هل تداعبه، كما تفعل أحيانـًا، أم أن الأمور التبست عليها، كعادتها أحيانـًا أخر، ويقول:

-نعم، يا أمي.

تبتسم العجوز، وتقول:

-وهل ينقل الحقائق فقط، أم يكذب عليّ مثلما تكذب أنت يا سليم؟...

تعبث أصابع العجوز بالراديو الروسي الجديد. تجيء محطة بعد محطة، ولغة بعد لغة، وأغنية بعد أغنية. وهي تغفو وتصحو. ثم تتنبه فجأة...يقول الراديو:

«...ولا يزال الإسبان حتى أيامنا هذه يطلقون على الجبل الذي ألقى منه أبو عبد الله الصغير نظرته الأخيرة على غرناطة «شهقة العربي الأخيرة»...».

تنتفض العجوز كالملسوعة. أي مُلْك مضاع؟!...هذا الراديو الروسي لا يعرف شيئًا عن التاريخ الحقيقي لواحد من أعظم أبطال المسلمين...» (ص٢٣-٢٥).

«قررت سلمى أنه لا يفل الحديد إلا الحديد، ولا تفل المؤامرة إلا المؤامرة...بعد ذلك كان على سلمى أن تقنع السلطان أن الظروف تقتضي أن يتنازل لأخيه...ووافق السلطان...نجحت سلمى، بمفردها في خلق جبهة عائلية متماسكة في غرناطة، جبهة يقودها أخوان متحدان.

ثم جاء الفصل الثاني من خطة سلمى. نجحت بمعونة السلطان الزغل من الدخول متنكرة إلى زوجها في سجنه...» (ص٢٨-٢٩).

ثم جاء الفصل الثالث من خطة سلمى. بعد عودتها قالت للسلطان الزغل أن زوجها سوف يجيء على رأس جيش جرار...أوضحت سلمى للسلطان أن السبيل الوحيد... هو أن يعترف...بابن أخيه حاكمـًا شرعيـًا...» (ص٣٠).

«تسرح سلمى مع ذكرياتها، تعود إلى الخطر الذي كانت تعيش معه ليل نهار، تتذكر كيف أتقنت مع المران، فن التنكر: إخفاء نفسها في ثياب غلام فرنجي...ولم ينكشف أمرها قط... نجحت في خديعة الفرنجة...» (ص٤٧).

إن التعرض للحديث عن موضوع الخديعة في الحرب وأسلوب الجاسوسية والدعوة إلى وحدة الصف أمام العدو الأجنبي والإشارة إلى انشغال الحكام العرب بأمورهم ومتعهم الشخصية وتزييف الإعلام للحقائق، كل ذلك ظهر في الأحلام وهو في حقيقته عبارة عن إشارات رمزية عميقة إلى ضرورات تحتاجها الأمة وتحتاج تشاركها فيما بين أعضائها للنهوض والانتصار، إنها عناوين لإدارات

وسياسات يمكن الاستعانة بها لاسترجاع المجد، إرشادات لبعض نواحي الضعف، ومكامن القصور في الإدارات السياسية العربية الحالية. وهنا تحديداً نلمح التداخل الكبير بين ثقافة الراوي وإبداع الروائي اللذين دمج بينهما (القصيبي) موفقًا بين تينك الشخصيتين بحس درامي عالي المستوى؛ تارة بالرمز والإشارة التاريخية واستلهام مواقف ماضية، وتارة بالإشارة الواعية المبطنة إلى علامات ونتوءات بارزة في سياسات بعض الحكومات العربية المخفقة في تأدية أدوارها وواجباتها تجاه الأمة.

والتعبير عن هذه الآراء والإشارات الجريئة والرغبات والطموحات الصريحة هو غالبًا مخاطرة كبيرة من الروائي العربي المحاط بحدود السياسة المتوعّدَة المهدّدَة؛ بل مخاطرة بسمعته وأمانه الاجتماعي على الأصح، فمعظم الدول العربية تتبع سياسة القمع تجاه أي معارضة لسياسة الحكومة إلا أن هذا لم يثنِ (القصيبي) الكاتب المتمكن من استخدام وسيلة فنية تمكنه من اختراق العالم المكبوت، ومعالجته في روايته، والذي يتمثل في التحسر على التاريخ العربي وأبطاله مقارنة بأقرانهم في الحاضر، وما يُرجى من الاقتداء بالأوائل في حماستهم وجدهم لإعداد مستقبل واعد لأمتهم ومعايشته في الواقع بدلاً من الاكتفاء بقراءته في كتب التاريخ والمرور به عبوراً عبر أروقة الذاكرة الحالمة باستعادة الماضي البعيد.

التقنية الرابعة/ الإيقاع الروائي:

يبدو أن إتقان الروائي لتوظيف تقنية الحلم في النص الروائي قد أضاف للنص أيضـًا سمة جمالية فنية هي إيجاد نوع من الإيقاع في جسد الأحداث! نعم هناك إيقاع نابض ومؤثر يعمل عمل المهدئ حينـًا والمحفز حينـًا آخر، يلازم الفكر والإحساس ويستحضر الدراما استحضاراً داخليـًا وخارجيـًا إلى أجواء الحدث والشخصيات ويبعثها تباعـًا في المتلقي في شيء من التردد ما بين العفوية والإتقان

الفني الذي أظهره (القصيبي).

فعلى سبيل المثال في المشهد الانتحاري الذي تحلم فيه (سلمى) بالقضاء على رئيس قوة الدفاع الإسرائيلي، يتركنا الروائي نمضي في تيارات الارتجاف والتردد والترقب مع استحضار أعمق مكنونات الصراع الداخلي في البطلة، فهي تمور موراً بين ذاكرتها الحزينة المتأججة غضباً على الفلسطينيين وبين تبجح هذا الرئيس في حديثه عن مملكة تلم شمل اليهود مهما كان الثمن، والثمن مصور أمام عينيها حيث ترى شريط القتلى من نساء وأطفال على مذابح الأراضي الفلسطينية باستمرار، وفي فجاءة تقرر البطلة وتنفذ وتتناثر، إن هذا التناثر الجسدي المرعب المفاجئ الذي صوره الحلم ترافق تماماً مع لحظة لفظ (سلمى) العجوز لأنفاسها الأخيرة ؛ بل يترافق أيضاً مع انتهاء الزمن السردي في الرواية معلناً تراكب الأحداث المتخيلة غير المتوقعة على حدث حقيقي متوقع هو موت العجوز -بسبب مرضها وتقدمها في السن يكون متوقعاً-، وها نحن ما بين سكون ورعب، وبين قصد وعفوية، في مشهد واحد، نتردد مع الحدث وممثلته، وكذلك يتكرر الأمر كلما بدأت قصة حلم ينهيها الواقع بهذه النمطية من التناقض على مستوى الحدث وردود أفعال البطلة(١).

ويتلمس القارئ بسهولة شيئاً من هذا الإيقاع في تقطيع المشاهد المشكلة للرواية في صيغتين متضادتين متتاليتين باستمرار، لا ينفك ينتهي من إحداها حتى تتلقاه الأخرى ولا ينتهي من الدوران بينهما حتى يعود إلى الوتيرة نفسها مرة أخرى بينهما، حلم وماض جميل محفز ثم يقظة وواقع مؤلم ومحبط، استغراق مع الماضي في الذاكرة ثم حضور مع الواقع الحي، انتقال زماني ومكاني مطمئن بين أرجاء التاريخ القريب والبعيد ثم عودة مفزعة إلى جوهرية الحاضر بأجوائه الزمانية

(١) الرواية ص ٦٤-٧٢.

والمكانية المفعمة بأشكال الصراع.

إن هذا الإيقاع الناتج عن التردد بين الحلم والواقع يبدو كتقنية مقصودة أو غير مقصودة من الروائي؛ وقد ارتأيت تضمينها ضمن التقنيات هنا لما لها من أثر بيّن في إحداث وقع درامي خاص بمضمون وشكل هذه الرواية، إنها فعلاً تقنية من نوع خاص تنتج إيقاعـًا فكريـًا ونفسيـًا واقعيـًا وخياليـًا في آن معـًا، مما يستلزم من القارئ الارتباط بتفاصيل المشاهد وتتبعها جزءاً جزءاً، لعقد المقارنات بين تلك المتناقضات ورصدها بين الأزمنة وتجميع الحلقات المفقودة بين الماضي والحاضر التي تؤثر في فكره ونفسيته تأثير اليقظة ووقعها بعد الحلم؛ ليدرك في نهاية الأحداث حجم الفجوة العميقة بين زمنين قائمين في ذاكرته وواقعه الحالي، من ذلك مثلاً هذا المشهد الانتقالي بين الحلم والواقع ثم الحلم والواقع، وهو بهذه التكرارية المنسقة يعتبر كقالب من قوالب صب الحوادث وتفريغ بواطن الشخصية ووصفهما معـًا:

«كان الفجر يقبّل وجنتي بغداد، وكان المستعصم مع مجموعة من ندمائه يصغي إلى غناء القيان. دخلت سلمى المقصورة وقالت لزوجها بصوت حاولت أن تخفي منه نبرة الاحتقار:

-يا أمير المؤمنين! انتصر جيشك على جيش التتار. قم! قم وتقبّل تهنئة المسلمين بانتصارك العظيم.

بقيت أصابع العجوز بالراديو، وهي بين اليقظة والنوم تستمع إلى قصيدة طويلة عن صلاح الدين الأيوبي، وعن تحرير بيت المقدس، وعن حطين، تبتسم وتغفو.

تذرع سلمى خيمتها وهي في حالة قريبة من الجنون متأرجحة بين الخوف والأمل. هي لا تشك أن زوجها الشجاع، صلاح الدين، قادر على هزيمة الفرنجة في

حطين، إلا أنها تعرف قوة العدو» (ص٤٤-٤٥).

إنها المفارقة الدرامية في الموقف يسندها شيء من السخرية المبطنة في حلم البطلة من واقع في الحلم هو حقيقة تاريخية في اليقظة وهو كونها زوجة (المستعصم) أحد الذين استهتروا وانشغلوا بالترف والرفاهية وسمحوا للحكم العربي بالانتهاء على يد التتار، وهنا تهرب (سلمى) العجوز و(سلمى) الحالمة أيضاً من هذا الموقف إلى حلم آخر يبدد حزنها إلى ما يمكن أن تتفق فيه الحقيقة التاريخية ونتائج الموقف التاريخي مع مسارات الحدث الخيالي وانتهائه في حلمها، وهنا كانت البطلة زوجة (صلاح الدين الأيوبي) وشريكته في انتصاراته المخلدة في الذاكرة وعلى الصفحات.

وقد أشرنا مراراً إلى تردد المشاهد بين الحلم واليقظة لدى البطلة (سلمى) بواسطة استخدام تقنيتي المونتاج الزماني المكاني والاسترجاع، ومن شأن هذه التقنيات تهيئة الأجواء الروائية للروائي والقارئ معاً ليتمكنا من ملاحقة وحبك الترابط بين أجزاء الحدث النامي دراميًا رغم تردده المستمر بين الأزمنة والأمكنة المتضادة والمختلفة في بناء السرد.

ويستثمر الروائي عبر هذا الإيقاع بعض العناصر الصغيرة المشكلة لحوار الشخصيات ومشاهدها لشحن القارئ وإعمال فكره خلال معايشة ذلك الإيقاع، كالإشارة المتكررة إلى تزييف الإعلام لحقائق الأوضاع وما تسعى من خلاله بعض الدول والحكومات إلى التحكم في فكر الشعوب وتوجهاتها، إما مراعاة لمصالحها المشتركة مع الغرب أو تغافلاً عن أخطار مستقبلية تبعاً للبرجماتية العصرية، ونرى الروائي غالباً في بداية الحلم أو عند انتهائه يرمز إلى ذلك المحتوى عبر الإشارة إلى ماركة الراديو التي تستمع إليه (سلمى) العجوز فينقلها من الحاضر للماضي ومن الواقع للحلم، من ذك قول الروائي:

«تتلقّى العجوز الراديو الضخم، وتسأل مستغربة:

-لماذا جئت لي براديو لا أستطيع حمله إلا بصعوبة؟

-هذا إنتاج روسي، ماركة مشهورة، تستطيعين اعتبارها من أحسن الماركات في العالم.

-روسي؟!...

-وهل ينقل جميع الإذاعات؟...» (ص٢٣).

ثم يجيء تقييم هذه الماركة وفي طياته التلميح إلى القوى الروسية وتسلطها، فهي إحدى أعظم القوى التي تتنازع السلطة وتطمح للتحكم في العالم:

«تعبث أصابع العجوز بالراديو الروسي الجديد. تجيء محطة بعد محطة، ولغة بعد لغة، وأغنية بعد أغنية. وهي تغفو وتصحو. ثم تتنبه فجأة...يقول الراديو: «...ولا يزال الإسبان حتى أيامنا هذه يطلقون على الجبل الذي ألقى منه أبو عبد الله الصغير نظرته الأخيرة على غرناطة «شهقة العربي الأخيرة»...».

تنتفض العجوز كالملسوعة. أي مُلْك مضاع؟!...هذا الراديو الروسي لا يعرف شيئًا عن التاريخ الحقيقي لواحد من أعظم أبطال المسلمين...»(ص٢٣-٢٥).

«...يتحدث الراديو عن الملك الصغير ويشوّه حقائق التاريخ، تقرر سلمى أن الراديو الروسي هو أكذب راديو عرفته في حياتها، تقرر أن تتخلص منه...تتقلب طويلاً ثم تغفو.

تعبث أصابع العجوز بالراديو الجديد، ويقف المؤشر، هناك حديث عن أوبريت جديدة وضعها الفنان منصور الرحباني عن أبي الطيب المتنبي...»(ص٣٠-٣١).

«تتأمل العجوز الراديو...وتقول:

-أرجو ألا يكون ماركة روسية.

-ماركة هولندية يا أمي.

-هولندية؟!

-فيلبس، الماركة المشهورة

-فيلبس؟! كان عندي...كنت أستمع إلى خطب جمال عبد الناصر خلاله...

-هل أنت متأكد أن هذا الراديو ماركة فيلبس؟...

-وهل تظن أنه سيبث خطب جمال عبد الناصر؟...

تعبث أصابع العجوز بالراديو الجديد وتمتلئ غرفة النوم بالأصوات...تروي الحلقة قصة سقوط بغداد...تصاب بالذهول، سقوط بغداد؟! دخول هولاكو؟! ماذا حدث لهذا الراديو؟!» (ص٣٩-٤٠).

ويبدو أن (القصيبي) وجد أيضـاً في الحديث عن ماركة الراديو وزيفها ورغبة البطلة في تجديدها باستمرار مسوغـاً فنيـاً ناضجـاً لانتقال الشخصية المتردد المستمر بين حالتين عقليتين مختلفتين، وطريقة للإعلان عن بدء دخول الشخصية إلى منطقة مشوشة قبيل الولوج إلى عالم الأحلام أو بعد الخروج منه بزمن يسير، فالإشارة إلى الزيف هنا وسيلة للتشكيك في الحدث والشخصية؛ فهل هذا التاريخ فعلاً حلم أم مجرد وهم اختلقه العقل بسبب الزيف؟ وهل الشخصية حالمة فاقدة لوعيها أم أنها واعية تغيّب نفسها في الشتات النفسي بسبب الصراع؟ إنني أجد هذه الإشارة-رغم بساطتها-تفسيراً جيداً للتناقض بين حالة الشخصية وانفعالها المتضاد مع الماضي ومع الحاضر، وبين الحدث التاريخي والحدث الواقعي المعيش.

وفي كلٍ فإن هذا الإيقاع وهذه التقنية الناجحة ما هي إلا نتاج تداخل وسائل مختلفة في معالجة الحدث والشخصية والزمان والمكان؛ فهي حصيلة تشكيل بناء سردي متوافق مع نوعية محتواه، تتنامى فيه الصلات الفنية بين عناصر السرد ليلاحق خطا الروائي المبدع نحو إظهار براعته الفنية المسخرة لإبراز رؤاه السياسية والتاريخية وتحقيق غاياته الحضارية ذاتية كانت أم جماعية.

المبحث الثاني
الشخصيات وتداخل أدوارها في بناء الحدث

عرّف الفلاسفة الشخصية على أنها «الذات الواعية لكيانها المستقلة في إرادتها»[١]، فالشخصية هي مجموعة من الصفات المميزة للشخص عن غيره[٢]، وفي المعجم الأدبي يتفق تعريفها مع ما سبق ذكره حيث تُحدّد بأنها: «عنصر ثابت في التصرف الإنساني، وطريقة المرء العادية في مخالفة الناس والتعامل معهم ويتميز به عن الآخرين»[٣]؛ ووفقاً لذلك فإن تطور الشخصية الإنسانية في تصرفاتها ومميزاتها يتم تدريجياً بسبب النضج الحاصل عن تجاربها في الحياة.

وفنياً تحتل الشخصية مكانة مهمة في الآثار الأدبية؛ فهي عامل أساسي يمنح تلك الآثار خصوصية ظاهرة من حيث تصوّر الروائي المميز لموضوعاته وطريقة تنفيذها وأسلوبه في ذلك؛ المهم أن تعريفات الشخصية المتعددة تتفق على أمرين مهمين: أنها تُطلق على التصرف الإنساني والتصورات الفكرية التي دفعت إليها، وأن تلك التصورات والسلوكيات تميز صاحبها عن جماعته التي يُشبهها في الأصل وينتمي إليها، فيكون لديه أسلوبه المختلف في التعامل مع تجاربه الخاصة[٤].

ويبدو دور الشخصية بارزاً في الأعمال القصصية والروائية؛ لأنها باختصار هي القائمة بتصوير وتمثيل الحدث الذي هو أساس القصة أو الرواية، فأمام كل

---

(١) المعجم الوسيط/ إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات وآخرون، المكتبة الإسلامية –استانبول، ط٢، ١٩٧٢م، ج١، ص٤٧٥، مادة (شَخَصَ).

(٢) السابق الصفحة نفسها.

(٣) المعجم الأدبي/ جبور عبد النور، دار العلم للملايين-بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص ١٤٦-١٤٧.

(٤) السابق ص١٤٦.

حدث نحن نتساءل عن كيفية وزمن وقوعه، وعن سبب نشـــأته أصلاً، ومن هنا تبدأ عملية الكشف عن الدوافع وراءه، والدوافع بالطبع تؤدي إلى شخص أو مجموعة أشخاص قاموا بناءً عليها بتنفيذ الأحداث، بل إن أولئك الأشخاص هم المسؤولون عن وقوع الحدث بطريقة معينة، تبعـًا لخصوصية دوافعهم وسلوكهم[١]، فكيف ينمو الحدث ويتطور عبر مراحله وينحدر نحو العقدة ثم إلى الحل، دون وجود شخصية أو مجموعة شخصيات تنفعل معه وترسم مواقفه وآثاره عبر سلوكها ومشاعرها!، ودون تمثيل أفعال الشخصية ومشاعرها يُعد الحدث مجرد خبر؛ فوحدة الحدث وتكاملها تعتمد على تلاحمه التام مع الشخصية[٢].

وإذا كان الصراع هو القاعدة الأولى التي تقوم عليها الأعمال الدرامية[٣]؛ فإن الشخصية هي العنصر الأول القائم بعبء تجلية ذلك الصراع بأبعاده المختلفة، والعمل على موازنته وإنهائه بالطريقة التي تُقارب بين احتياجات الفرد وواقعه وظروفه؛ وهكذا تحدث المصالحة الناضجة مع الصراع في المواقف المختلفة للأشخاص المعنيين به في الحياة[٤].

إن الشخصية هي أهم عناصر القصة والرواية؛ لأنها في ملخص بليغ تمثل أفكار الروائي، كما أن بناء الشخصية السردية بأبعادها المختلفة «يُسهم في تحقيق هدف الرواية وينير فكرتها»[٥]. والشخصية الروائية تعد عنصراً مهمـًا ليس لأنها فقط

---

(١) فن القصة القصيرة/ د.رشاد رشدي، مكتبة الأنجلو- القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م، ص٢٩-٣٠.

(٢) السابق ص٤٠-٤١، وانظر البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة/ ص ١٩.

(٣) المسرح بين الفن والفكر/ د.نهاد صليحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ط١٩٨٦م، ص٢١، البناء الدرامي/ د.عبد العزيز حمودة، دار البشير- الأردن، ط١٩٨٨م، ص١٦.

(٤) البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة/ ص٢٦.

(٥) البناء الفني في الرواية السعودية/ ص٢٠٦.

هي القائمة بعبء التمثيل وتنفيذ الحدث وتصويره من خلال سلوكها وأفكارها ومشاعرها تحقيقاً للغاية وإبرازاً للمضمون؛ بل لأنها فوق ذلك تمثل بأبعادها الداخلية والخارجية جزءاً كبيراً من قيمة النص المضمونية والفنية، وتمسك بزمام الدراما باتجاه النمو والحيوية على مدار السرد محققة قدراً كبيراً من الترابط والاتساق مع بقية عناصر البناء السردي.

على الروائي إذن أن يُلائم بين طريقة بنائه لشخصياته وبين أهدافه وأفكاره من جهة، وبين طريقته تلك وبين إمكاناته من جهة أخرى؛ فإن «قوة الخلق الفني لشخصية قصصية لا تكون فقط في حياتها المتدفقة النابضة داخل القصة نفسها، بل في حياتها خارج القصة، في حياتها الممكن استمرارها على وجوه أخرى في رؤوس الناس»[(١)]، كما يحتاج الروائي لدعم الموضوعية في عمله السردي إلى عدم السيطرة على شخصياته بتحميلها أفكاره وإلزامها بنقل رغباته، بل عليه أن يجعل لها كيانها المستقل، الذي تنبع فيه سلوكياتها من واقع خلفيتها النفسية المحددة لها[(٢)]، وأن يصفها قدر المستطاع من الداخل قبل الخارج؛ بتعميق بعدها النفسي قبل الاهتمام بأبعادها الخارجية؛ فذلك أدق تعبيراً وأكثر فاعلية في تصويرها[(٣)].

واتفاقاً مع ما سبق ذكره أستخلصُ مفهوماً مناسباً للشخصية في العمل السردي، وهو أنها (العنصر الأساسي والحيوي والفعّال في البناء الدرامي، الذي يتآزر ويتضافر مع سائر العناصر الأخرى لنقل فكرة الروائي ورؤيته، وطرح وجهة نظره من خلال ما

---

(١) فن الأدب/ توفيق الحكيم، القاهرة، ط١، د.ت، ص٢٢٦، نقله د.نصر عباس في: البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة، ص٢٦.

(٢) دراسات في القصة والمسرح/ محمود تيمور، المطبعة النموذجية-القاهرة، ط١٩٤٥م، ص١٠٥.

(٣) فن القصة/ د.محمد نجم، سلسلة الفنون الأدبية- لبنان، ط١٠، ١٩٨٩م، ص١٠٠.

تمارسه من أفعال وأحداث نامية تكون هي محور ارتكازها والموجّه الرئيسي لها؛ والشخصية على ذلك هي العنصر القائم بتمثيل السلوك الإنساني المـُعبِّر عن العوالم الداخلية والخارجية لكل شخصية مماثلة في الواقع، في إطار يسمح بنموها وتدرجها وفق سنن الحياة الإنسانية وطموحاتها، وبالكيفية التي تُظهر براعة الروائي في تقمّص تجارب الآخرين ومزجها بتجاربه ثم نقلها من خلال شخصياته المستقلة في هيئة نابضة ومقبولة للقارئ)، وهنا لا بد من التأكيد على ضرورة تلاحم عنصر الشخصية مع بقية العناصر في البناء الدرامي، بعد سبكها بقوة وإتقان، ووفق ما تقدّم من لوازم وصفها؛ لتكتمل لهذا البناء سمات الوحدة والتأثير(١).

ولكي يظهر في هذه الرواية دور الشخصية الفاعل في كشف العلاقات الناجحة بين الروائي ونصه وقارئه، ارتأيت الوقوف على ثلاث شخصيات بارزة تكفلت كل منها بدور له أهميته وخصوصيته في السرد وهي ثلاثية درامية كما أسلفت تُظهر وتنير الحدث من عدة أوجه وتلقي بالضوء على أزمة الإنسان المعاصر(٢)؛ مما يؤيد أن الشخصية الدرامية هي محور أصيل من محاور الارتكاز ليس في هذا العمل وإنما في أي عمل سردي؛ وفي مقدمة هذه الشخصيات الثلاثة (الشخصية المحورية-البطل) التي بدورها تمثل جانبًا مهمًا وكبيراً من شخصية (الروائي=القصيبي) المتخفي تحت ردائها بأفكاره وسلوكه وانفعالاته وكينونة كاملة، وهناك (الراوي) أيضًا الذي يحاول تعزيز وجود هذا المزيج بين الشخصية المحورية وشخصية الروائي، ويرافق شخصية البطل ويلازمها عبر تأييدها أو معارضتها وتفسير عوالمها ودوافعها وما إلى ذلك وكأنه الوجه الآخر للروائي في النص، وهكذا يتطلب الحديث عن العلاقة بين الشخصيات بعضها البعض وعلاقتها بالحدث **مطلبين**:

---

(١) يُراجع: فن كتابة القصة/ حسين القباني، دار الجيل- بيروت، ط٣، ١٩٧٩م، ص٦٩-٧٠.

(٢) انظر مستخلص هذا البحث ص٣.

المطلب الأول
الشخصية المحورية- البطل

وهي الشخصية الرئيسة شخصية ذات ثقل ولها الدور الأكبر في تمثيل الحدث، ويركز الروائي أو القاص على أقوالها وأفعالها من جهة كونها مركزاً تلتف حوله الأحداث بل هي مناط معظم المعاني والدلالات والأهداف، وتسمى بشخصية البطل(١).

تمثل هذه الشخصية في الرواية محل الدراسة البطلة (سلمى) ولها ملامح داخلية وخارجية متفردة تؤهلها للتعبير عن الفوارق والتصادمات بين التاريخ والواقع العصري، فتصور ذلك كله تباعـًا من خلال الذاكرة والحلم ومن خلال الإسقاطات التاريخية والرمز التاريخي الموظف كعنصر رئيس لمعالجة المضمون السياسي الجريء.

(سلمى) عجوز في الثمانين تصارع أعراض الشيخوخة في مقابل معاناتها مع شغفها بالتاريخ؛ فهي لا تفقد شهيتها الصادقة المليئة بالولاء له ولأمتها وتظل تعيشه وتحلله وتتأمله ولو من خلال أحلامها في المنام وعبر انفلات الذاكرة المشتتة بين الماضي والحاضر، وقد جسدت ذلك التعلق بالتاريخ في سلسة كتب ألفتها منذ سنوات بعنوان (مواقف حاسمة في التاريخ)!

ولـشخصية (سلمى) ثلاثة أوجه تبعـًا لاعتبارات وجودها واستحضارها في النص؛ فباعتبار واقع الرواية وزمنها هي -كما أسلفنا- عجوز تعانق التاريخ حتى آخر لحظة من حياتها مغمورة بحبه وفية لقصصه وأشخاصه المميزين ترتبط بهم عبر جهاز الراديو طول السرد حتى ينتهي الحدث بمفارقتها للحياة في الواقع والحلم معـًا

(١) موقع الراوي في البنية السردية-مقاربة في المفهوم والوظيفة والنمط/ د.جميل عبد الغني، مجلة كلية اللغة العربية-المنصورة، ع٣١، ج١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ص١٤٠.

تحقيقـًا للموازاة الدرامية في النص.

أما من وجهة نظر الراوي -وهي وجهة نظر هيأها القصيبي مسبقـًا- فهي تمثل دور البطولة في كل مقطوعة تاريخية تستلهم لعقد المقارنات بين الواقع العصري للأمة وتاريخها؛ وهي الشخصية المحورية التي يركز عليها الراوي متتبعـًا حالاتها وعالميها الداخلي والخارجي وانفعالاتها مستوقفـًا لها حينـًا، ومترجمـًا لدواخلها متسائلاً معها أحيانـًا كثيرة عن أسباب همومها الذاتية والجماعية المتفجرة عند ملامسة التاريخ العربي في تلميح لائق ومعبر عن مكنونات النص السردي الروائي.

أما (سلمى) عند الروائي فلها وجوه: فهي رمز للعروبة وتاريخها، تنتعش به، وتمتلئ حياة وحيوية وتتصدر قائمة المهام وتتقدم على بقية العناصر الروائية للتعبير عن تناقض الماضي التاريخي الخيالي في أحلامها مع الحاضر السياسي الواقعي في عالمنا، و(سلمى) اسم عربي أصيل وفي أصالته ارتباط بالجذور القوية التي تعيدنا للتاريخ عبر الحلم والخيال، بل إن (البطلة) تنمو وتتطور بواسطته دراميـًا فكريـًا ونفسيـًا فهو المثير الأكبر الذي يبرر ويؤثر فيها داخليـًا وخارجيـًا.

و(سلمى) خارج السرد صورة تتماهى مع الوجود الواقعي لحفيدة (القصيبي) الحقيقية (سلمى)؛ تلك العربية اليانعة التي وجه لها إهداءً خاصة في مقدمة الرواية، هذه الحفيدة هي التي تعيش الحاضر المفكك البئيس لأمتها وتحتاج أن تُعرّف بشيء من تاريخها الأصلي وجذورها العربية؛ ليس ليلحقها اليأس وتتحطم مع انزوائه وضعفه حاليـًا؛ بل لتنظر للمستقبل-الذي ترمز له هي وكل طفل عربي-نظرة فيها من التوازن والإيجابية ما هو كفيل بجعلها ورفقائها وسيلة لنهضة الأمة وإعادة هيكلة موقعها على خارطة العالم الجديد.

وتبدو الصورة الأخرى لـ(سلمى) باتخاذها مفتاحـًا للولوج لعوالم فكرية

وفنية يبثها الروائي في طيات الأحداث وتفوح عبر صور (سلمى) المختلفة المتعددة داخل السرد وخارجه وفي واقع الزمن الحكائي وفي تتبعات الراوي لها، والروائي وفقاً لهذا يحور بعض الأحداث الجزئية ليجعل من (سلمى) بطلة نافذة البصيرة، بل إنها نافذته يطل منها متقنعاً بقناع الراوي للعبور مسافات ممتدة من التناقض بين الماضي والحاضر، بين الخيال والواقع، بين الحلم واليقظة، لكن هذا التحوير لا يأتي عشوائياً بل تبرره غالباً أغراض الروائي من جهة، وملامح وأبعاد شخصية (سلمى) ذاتها واعتباراتها في النص من جهة أخرى؛ فاستلهام مشاهد من التاريخ ومشاركة (سلمى) فيها-مثلاً-جاء متوافقاً مع حبها له وارتباطها به في يقظتها وواقعها وفي أحلامها وخيالاتها، فنراها ألّفت فيه سلسلة من الكتب، ونجده يسيطر عليها في وعيها ولا وعيها، ويبدو استغراقها في الأحلام واستحضارها له في سني عجزها ومحورة أحداثه عبر هذه الأحلام مبرراً بشيخوختها وتقدمها في السن، والشتات الذي تبديه والتردد بين زمنين متناقضين وتغيير مشاهد بعض المقاطع التاريخية يُعزى إلى ضعف ذاكرتها التي لا تتذوق الاستقرار طول الزمن السردي بل تقضيه مجهدة ومتأثرة ما بين الواقع والحلم.

فمن أمثلة هذا التحوير أن تظهر (سلمى) مديرة للمخابرات المصرية في عهد (جمال عبد الناصر)!ومن خلال محاورتها له في مجال السياسة والإدارة والمشاورات المستمرة بينها وبينه يلقي الروائي الضوء على الجوانب الناجحة التي ميزت السياسة الناصرية وشخصية هذا القائد الثوري العظيم. كذلك في إعادة هيكلة سيرة (المتنبي) وتناولها من الجانب السياسي والفكري؛ تظهر البطلة في دور زوجته التي أعانته على إنهاء حياته بشجاعة في الميدان بقتله وفق رغبته، وهذا بالطبع يُخالف ما يُعرف عن وفاة (المتنبي) المثبتة تاريخياً[1]، ويبدو سبب هذا التحوير

(١) قتل المتنبي سنة ٣٥٤هـ على يد فاتك الأسدي بالنعمانية من أعمال العراق، راجع موازنة بين =

ظاهراً في محاولة الكاتب التوفيق بين الرغبات السياسية التي طالما طمح لها هذا الشاعر لخدمة أمته العربية –كما رسمها (القصيبي)–وبين نهاية تليق بعظمة وسمو ذلك الطموح؛ فإما أن ننقذها ونحميها أو نموت فداها.

إن تحوير مشاهد التاريخ عبر أحلام البطلة والمبرر بشيخوختها من جهة، وارتباطها وشغفها الصميم به من جهة أخرى، جاء متوازياً مع حب (القصيبي) هو الآخر لتاريخ أمته وحرصه عليها؛ بل تعبيراً عن رغبته في بث إشارات ضمنية عبر صور التاريخ ورموزه بالنقد أو التوجيه للتاريخ والحاضر معاً من أجل استقاء العظة والعبرة والإفادة من كليهما في المستقبل، وفي هذا توافق تام بين رغبات الروائي وطموحاته وأهداف سرده، وبين أمنيات بطلته وأحلامها التي هي أحلام كل عربي أيضاً بأن يكون له دور فاعل ناجح ومسجّل ووجود بصير وواعي في مشهد من تاريخ أمته يشعره بالفخر ويحفزه باستمرار لتطويع المستقبل للتوازي مع عظمة وجلال ذلك التاريخ ومغالبة نواقص ومعاناة الحاضر.

المطلب الثاني
بين شخصيتي الروائي والراوي

اهتمت كثير من الدراسات بشخصية الراوي في العمل السردي واعتبره أغلب الدارسين عنصراً مهماً له كينونة وبناء متميزان في النص؛ فقاموا بتصنيفه في فئات وأنواع وتعداد أنماط تواصله مع القارئ، كما عددوا إلى جانب ذلك كله وظائفه المتشعبة والمتداخلة لإتمام عملية الحكي وتحقيق أهدافها الفنية والمضمونية التي

=

الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري/ د.هدى الخواجا، دار الأصالة- الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ، ص٤١.

يهدف لها الروائي ؛ فالراوي معادل موضوعي للروائي في النص السردي وهو قناع شكلي للصوت والمغزى الذي يطمح إليه في روايته، ولعله من المهم النظر إلى شخصية الراوي على أنها شخصية محددة فنتعامل معه بطريقة معينة مقننة، ماذا نتوقع منه؟ ما هي تطلعاته واحتمالات أدواره في السرد؟ وهذه كلها أسئلة محكومة بالأعراف الأدبية التي في ضوئها يرتبط الراوي بنصه وبنوعية ذلك النص، لذلك نحن نقايس شخصيته من خلال وجوده المعروف المتعارف عليه في السرد؛ لندرك مدى تطابقه معها أو خروجه عنها(١).

إن السرد هو تحويل الحكاية إلى قصة، ويتكون من (الراوي، المنظور الروائي، ترتيب الأحداث)(٢)، والراوي هو القائم بفعل القص المنتج للعمل الدرامي، سواء كان الفعل حقيقياً أو خيالياً ثمرته الخطاب، ويبدو لي فعلاً أن شخصية الراوي تختلف تماماً عن شخصية الروائي من عدة نواحٍ سأفصلها في موضعها بعد قليل.

وتتشكل العلاقة بين الراوي والمروي له في السرد عبر عدد من الأسئلة التي يطرحها الأول باستمرار خلال القص، وعبر الاستفزازات التي يجتهد فيها بصورة صريحة أو متوارية ضماناً لإنصات المروي له وإعمال ذهنه بالوقوف على تلك الأسئلة وإبداء الرأي تجاهها معارضة أو تأييداً مع محاولته الدائمة للبحث عن إجابات لغالبية تلك التساؤلات المطروحة خارج سياق السرد وليس بداخله فقط(٣)، ولا يعني ذلك أن الراوي هو الذي يختار نوعية الأسئلة والاستفزازات

---

(١) دليل الناقد/ ص١٧٨.

(٢) الراوي والنص القصصي/ د.عبد الرحيم كردي، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص٩٥-٩٧.

(٣) موقع الراوي في البنية السردية-مقاربة في المفهوم والوظيفة والنمط/ ص١٦٦.

الفكرية والنفسية المطروحة في النص؛ بل تلك وظيفة الروائي الذي يضخ مخزوناً مختلطاً من تجاربه ورغباته في بنية السرد ويحملها على لسان الراوي ليحقق -الروائي- جزءاً خفياً من درامية الحدث الروائي.

فأما عن علاقة الراوي بالروائي من خلال النظر إلى زمن السرد في رواية (سلمى) فقد اختار (القصيبي) للراوي الدمج بين نوعين من السرد هما: المتداخل والمضاد، فالأول هو الذي تتقاطع من خلاله أزمنة سردية متعددة فهو مزيج من الماضي والحاضر والمستقبل، ومن نماذجه هذا المقطع:

«يتكلم الراديو عن الموقعة التي قتل فيها المتنبي، وتبتسم العجوز وهي تستمع إلى الهراء. لا يعرف الراديو أن المتنبي سقط صريع مؤامرة كبرى شارك فيها كل ولاة عصره...ولا يعرف الراديو أن قصيدة الهجاء البذيئة عن «ضبّة وأمه الطُرطُبه» لم تكن من شعر زوجها. لا يعرف الراديو شيئاً عن حياتي المتنبي الحقيقية، أو نهايته الحقيقية، أو امرأته الحقيقية. تتقلب العجوز، ثم تغفو وهي منبسطة الأسارير»(ص٣٨-٣٩).

الراوي هنا يصف لنا مشهداً تتداخل فيه عدة أزمنة، فالموقعة التي قُتل فيها (المتنبي) تمثل الماضي، وابتسامة العجوز واستماعها لقصة مقتله عبر الراديو تمثل الحاضر في زمن السرد، ويأتي تقاطع الماضي مع الحاضر معززاً الأسئلة والمناوشات الفكرية التي ولدت لدى المروي له لتكون هي المعزز الأكبر لزمن المستقبل في السرد؛ حيث سيتوقف المروي له عند حقيقة موت (المتنبي) وقصة طموحه السياسي الحقيقية وهمومه الجماعية وغيرها من تفاصيل سيرته التي ظلت حبيسة التاريخ مائة عام ولم يبحث في أسرارها إلا القلائل.

أما السرد المضاد فهو الذي يعارض فيه زمن السرد نفسه لتبديد وهم مرجعي لدى القارئ وظفه الروائي لإيهامه بأن الرواية تنتمي لعالم الحقيقة والواقع وليس

الخيال، فيما نجد أن الروائي يدفعه دفعاً لإعادة إنتاج جديدة لهذا الواقع قابلة للحدوث بمجرد تحفيز وتجنيد فكره ومشاعره لها.

وهكذا يجعل (القصيبي) الراوي يهيئ للمروي له واقعية العالم التاريخي رغم استحضاره في إطار الحلم الذي يراود الشخصية، والهدف طبعاً ليس إثبات واقعية التاريخ من عدمها بل لفت الانتباه لعقد المقارنات بين التاريخ الماضي والواقع الحاضر في أمتنا.

فمن أمثلة ذلك حديث الراوي عن صراعات داخلية تتعاركها البطلة مع ذاتها حين قيامها بمهمة لمناصرة أمتها وزوجها في الحلم-(صلاح الدين الأيوبي)-، وهي مؤامرة تحيكها ضد العدو وتنفذها من قلب مخيمات (ريتشارد قلب الأسد) قائد الخصم:

«تسرح سلمى مع ذكرياتها، تعود إلى الخطر الذي كانت تعيش معه ليل نهار، تتذكر كيف أتقنت مع المران، فن التنكر: إخفاء نفسها في ثياب غلام فرنجي...ولم ينكشف أمرها قط. وماذا كان ممكن أن يحدث لو بان سرها وعرف الأعداء أنها زوجة صلاح الدين؟...إلا أنها نجحت في خديعة الفرنجة...»(ص٤٧).

«...تحاول سلمى الآن أن تطرد الذكرى كما طردتها، كلما أطلت عبر السنوات الماضية إلا أنها تفشل. تلح الذكرى وتلح، تعيدها إلى تلك الليلة التي أخفت أمرها عن السلطان، أخفت أمرها عن الجميع، ونجحت أو كادت في إخفاء أمرها عن نفسها. تلك الليلة التي قضتها في خيمة ملك الفرنجة، ملكهم الشجاع يسمونه (قلب الأسد)» (ص٤٨).

ويبدو جلياً من هذه المقاطع أن القارئ سوف يميل بالفعل للتوهم بواقعية الانفعالات المرافقة للأحداث رغم ورودها في طيات الحلم؛ والهدف هو نقله لما هو أبعد من الواقعية، حيث يبحث فيما وراء هذه الانفعالات والتساؤلات التي

تصارعها البطلة، والتي هي في حقيقتها مزيج معبأ بتراكمات الموقف من رغبة في نصر الأمة ترافقها مخاوف من التسلل لمواقع العدو، تريث مشبوب بحمى الوجل من الفشل وتردد متفاوت الدرجات قبيل التفكير في لحظات الجرأة والشجاعة التي أثمرت عزيمة على خوض غمار المغامرة مهما كانت الخسائر، أليست هذه التوليفة الإنسانية من المشاعر والانفعالات وردود الأفعال هي التي يلمح الروائي إلى ضرورة تواجدها تأثيراً في أبناء الأمة لإعانتها وإنقاذها؟! إنه المزج بين السرد المضاد والسرد المتداخل، والمزج بين مجموعة أزمنة متناقضة يتحد بقوة مع الإيهام بالواقعية ليظهر للقارئ أن هناك تضاداً تامـًا في توقعاته عن المغزى الحقيقي للمشهد وواقعيته، وكل ذلك متعلق بعنق زجاجة السرد الروائي ملتفـًا بالكثير من حبال الدراما المؤثرة وتحت تصرف وتحكمات الروائي.

إن هذه النوعيات من السرد -المتداخل والمضاد- إنما وجهها الروائي في سرده ليسند للراوي مجموعة وظائف إضافية إلى وظيفته الأصلية في السرد وتوصيل الحكاية[١]؛ فالراوي عادة يسمح له خلال هذه الوظيفة بأمور منها: انتقاء الأحداث والأسلوب التعبيري والترتيب الزمني للسرد، فزمن السرد الأصلي موجود في ذهن الروائي لكنه يتحول من خلال راويه إلى زمن سردي[٢]، على أن ذلك كله مرده وارتباطه مرهون بجمالية التعبير وفاعليته في تحقيق أهداف الروائي من التأثير في القارئ والنقد الضمني للواقع وإتقان الحبكة الفنية في الرواية؛ بل إن ذلك يجيء في سياق السرد على لسان الراوي مؤطراً برؤيته معلِّمـًا بمنظوره الخاص عن وجود فجوة مرعبة مليئة بالمفارقات بين واقع الأمة وتاريخها سياسيـًا وفكريـًا واجتماعيـًا،

---

(١) معجم مصطلحات نقد الرواية/ د.لطيف زيتوني، دار النهار-بيروت، ط٢٠٠٢م، ص١٠٥-١٠٦.

(٢) نظرية الأدب/ ص ٣١٠.

وهذه الرؤية تجتمع إلى أمنيات أخرى خارج نطاق السرد نلمحها في أبعاده الخاصة كالأمل في تهيئة جيل جديد يرمم الواقع، والبحث عن نماذج قيادية وتحفيزها وإرشادها لاختيار طرق ناهضة إدارياً وسياسياً تسهم في نهضة الأمة العربية ذات التاريخ العظيم.

ولم يكتف (القصيبي) بإسناد هذه الوظائف وحدها للراوي بل يجيء إدراكه الواعي بقيمة وفاعلية شخصية الراوي في البناء السردي عبر إسناد وظائف أخرى لهذا الراوي ذات قيمة فنية في مساندة الحركة الدرامية للرواية، منها وظيفة الشرح والتفسير والتعليل للأحداث والحكاية، ووظيفة التقويم بمناقشة اختيارات الشخصية ومساعدتها في اتخاذ القرار عبر تأييدها أو معارضتها في مواضع مختلفة من الرواية، منها هذا النموذج:

«كان القرار الذي يواجه سلمى قراراً صعباً دامياً إلا أنه لم يكن لديها خيار؟ لا يمكن أن تستقر الأمور في دولة بني الأحمر، وفاطمة على قيد الحياة تنفث المزيد من سمومها. قررت سلمى... أنه لا يفل المؤامرة إلا المؤامرة.. المؤامرة. في لقاء طويل مع أبي زوجها شرحت سلمى للسلطان دور زوجته في كل ما حدث، واقتنع السلطان بخطورة فاطمة التي سرعان ما توفيت، غير مأسوف عليها، مقتولة في ظروف غامضة»(ص٢٨).

«كانت سلمى أيامها، في أوج علاقتها الغريبة بأحمد شوقي وبمحمد عبد الوهاب، بأمير الشعراء وبمطرب الملوك والأمراء..... وكانت سلمى حريصة على أن تُبقي كلاً من العاشقين متعلقاً بها، دون أن تبادل أحداً منهما مشاعره، ودون أن تتصرف على نحو يمكن أن يفضح سرّ المثلث الغريب.

كان إخفاء السرّ لا يخلو من صعوبة. كان عبد الوهاب يسكن في قصر شوقي بصفة شبه دائمة...كان على سلمى أن تنتقي بعناية أماكن لقائه بشوقي، بحيث لا

يعرف عبد الوهاب...»(ص٥٣-٥٤).

فالراوي هنا يتجه لتأييد (سلمى) وتحفيزها على ما قررته من فضح مؤامرة حماتها ورغباتها الخاصة ضد الدولة والأمة بوجه عام، وهذا القرار ليس من السهولة بمكان، نظراً لعلاقة القرابة ومخاوف التكذيب والتعتيم، وقد عانقت البطلة تساؤلاتها محللة محتسبة النتائج الممكنة فترة طويلة من الزمن عادت خلالها إلى مراحل بدء زواجها؛ إلا أن الوضع اليوم يختلف والموقف شائك فقومها يتعرض لاعتداءات العدو بصفوفه المفككة وانقسامات أبنائه الداخلية، هكذا وجدت نفسها ملزمة بحسم الأمور ليظهر قرارها الذي سبقها إليه الراوي بإرشادها إليه؛ كونه قراراً مصيرياً لابد منه مع شرحه للأسباب والدواعي الملزمة بهذا القرار والمعبرة عن قيمته وضرورته، وكأن الراوي هو الذي يؤيد البطلة في قرارها مع أنه في الحقيقة هو الذي هيأها لهذه الخطوة باتخاذ هذا القرار في هذا التوقيت تحديداً.

ومن وظائف الراوي البارزة في هذه الرواية أيضاً وظيفة التوثيق وهي ظاهرة في إدراج عدد من القصص التاريخية المستلهمة لتجلية وكشف مفارقات الحاضر المعاصر من خلال أحلام (سلمى) الشخصية المحورية في الرواية، ونذكر منها مجدداً توثيق قصة سقوط بغداد، وانتصارات صلاح الدين، والعدوان الإسرائيلي، وغيرها كل هذه القصص وثقها الراوي عبر وصفها وتحليلها ونقدها في مشاهد الرواية، وقد تكررت الأمثلة النصية عليها في جل مواضع البحث.

كما تظهر ببراعة الوظيفة الأيديولوجية للنص على لسان الراوي وهي إنما تدعو إلى خطاب سياسي واجتماعي وفكري موجه صنعه الروائي من خلال تجربته في حقول الإدارة السياسية والاتصال الاجتماعي المستمر والتفاعل مع جماعات وقيادات مهمة وذات خطر داخل مجتمعه وخارجه[1]، ولا داعي لأن نكرر أن مفاد

---

(١) الوظيفة الأيديولوجية: وهي وظيفة متصلة بالخطاب التربوي والأخلاقي وتعنى بالاتجاه =

هذا الخطاب في المجمل كما تشير رموز وإيحاءات المضمون وطريقة معالجته يُعنى بضرورة تفعيل قيم التاريخ في الحاضر بالإفادة من دروسه ونماذجه، وخلق صورة جيدة مستقبلية للتوازي من خلاله مع الواقع المعاصر للأمة تتجه لمغالبة النواقص الحالية والماضية لإنجاح المستقبل العربي، وبهذا تتحد رؤى (القصيبي) وهمومه الذاتية والجماعية.

وتظهر الوظيفة الجمالية ضمن وظائف الراوي في رواية (سلمى)؛ حيث يحول صور الحياة التاريخية والواقعية إلى لقطات فنية مؤثرة ومعبرة من خلال صوته ورؤياه وتفسيراته وتلميحاته، فمن المقاطع المعبرة عن هذه الوظيفة بدقة مقطع يصف فيه الراوي مشهد الحفل الغنائي الذي يجمع نماذج لأقطاب الإبداع العربي الشعري والموسيقي، وذلك في معرض مناقشة الروائي لقضية التصادم الفكري والفني بين الشرق والغرب، والربط بين مبدعي التاريخ ومبدعي العصر؛ وهنا نجد (القصيبي) يحاول كعادته في الرواية كشف العلاقات بين التاريخ والحاضر وإثباتها تأكيداً على ترابطهما الزمني التام في حلقات تاريخ الأمة العربية:

«كان شوقي لا يبعد عينه عن عنها، وكان عبد الوهاب يحاول أن يحصل على نظرة منها، وكانت أم كلثوم تبحث، بلا جدوى، عن بادرة اهتمام من أمير الشعراء أو

=

الفكري للرواية، انظر: موقع الراوي في البنية السردية-مقاربة في المفهوم والوظيفة والنمط/ ص١٧٢، والحس الإيديولوجي لدى الروائي يقصد به» مجموع خبرته وتوجهاته الفكرية وقناعاته وتأملاته ومنطقه في النظرة لقوانين وسنن هذا العالم»، راجع: نحو سيميائيات للأيديولوجيا/ سعيد بنكراد، دار الأرمان – الرباط، ط١٩٩٦م، ص٣٣، أما نشاطات (القصيبي) وسلم وظائفه وتدرجه في حقول العمل السياسي والاداري وتفاصيل تلك النشاطات وأدواره الاجتماعية خلالها قد عرضتها بشكل شبه شامل في بحث: (بين الرؤية السياسية والمعالجة التاريخية في رواية (سلمى) لغازي القصيبي) قراءة وتحليل للمضمون، ص٢٨٧-٢٨٩.

من مطرب الملوك والأمراء...

تصورت نفسها وقد أصبحت ولّادة، وتصورت شوقي وقد أصبح ابن زيدون. طارت إلى القصر الأندلسي، تقف على الشرفة، ويقف تحت الشرفة ابن زيدون/ شوقي/ عبد الوهاب يشكو إليها مرارة الفراق...

عادت سلمى إلى «كرمة ابن هاني». شعرت بكفّ شوقي تضغط على يدها...» (ص٥٨-٦٠).

وقبل أن نختم الحديث عن وظائف الراوي التي اختارها الروائي في هذه الرواية يجدر بنا أن نشير إلى وظيفته المهمة في نقل الأحداث التاريخية برؤية جديدة -رؤية (القصيبي)- تتلوّن فيها الإشارات والرموز مع كثير من العمق والإيحاء وهي وظيفة (التغريب)؛ وبما أن رؤية الروائي الأولى والأهم وأهدافه الأكبر تتجه نحو التاريخ في الرواية كان عليه أن يستثمر قيم هذا التاريخ بما فيه من إيحاءات وتلميحات عميقة بطريقة تنعقد برحابة وعفوية مع فكر ونفس المتلقي؛ وهو استثمار نجح فيه الروائي وجاد عليه بالتمكن من إخضاع نصه الدرامي إلى أهدافه الفنية والمضمونية المختلفة، وقد أشرنا لكثير من ذلك عند الحديث عن توظيف الروائي لمعطيات الرمز التاريخي[1]، وهذا مقطع من الرواية يصبح فيه التاريخ بؤرة ارتكاز جادة ينطلق منها الراوي للتأمل في سماوات من التناقض بين التاريخ وواقع الأمة في حاضرها:

«يسرح ذهن سلمى. تستعرض تاريخ القاتل الذي يتحدث، الآن إلى القتلة، تم أمام عينيها صور تاريخه الملطخ بالدماء العربية...استراتيجيته الوحيدة ترويع الأبرياء وقتل النساء والأطفال. تسيطر سلمى بصعوبة على مشاعرها الغاضبة، وتجبر نفسها على العودة إلى الوحدة...

---

(١) راجع هذا البحث ص٦٥٣-٦٥٥.

يشرد ذهن سلمى من جديد، تمر أمام عينيها صور المجزرة الرهيبة في صبرا وشاتيلا. مئات النساء. مئات الصغار. مئات الشيوخ والعجائز. هل كان بين هؤلاء إرهابي واحد؟ هل كان بينهم مقاتل واحد؟...

من جديد، تفرّ أفكار سلمى من الوحدة، تمر أمام عينيها صور الانتفاضة الأولى، والانتفاضة الثانية، صور الأطفال الفلسطينيين والجنود الإسرائيليين يكسرون أيديهم. صور النساء الفلسطينيات الحوامل والجنود الإسرائيليين يطلقون عليهن النار. صور الآلاف من الجرحى. صور الآلاف من المقعدين. صور الآلاف من الجثث المثقوبة بالرصاص...» (ص٦٨-٦٩).

إنها القضية الفلسطينية وانعكاساتها وتراكماتها على واقع الأمة العربية، صراع الحضارات وصدام الإنسان العصري مع ذاته بسبب انهيار القيم العليل والقاعدة القوية التي طالما تجاهلتها الأمة ألا وهي حقائق التاريخ وعظمته، لذلك فقط ينتصر الروائي على هذا الصراع بإيجاد نقطة التقاء بين حزنه ورغباته وتفريغ شيء من حمم الكبت القابعة في ذاته وفكره؛ وليس أسهل ولا أنسب مع بناء الرواية في هذا الموضع من إبداع حلم تقتل فيه البطلة (شارون) وتنتقم لمئات اللحظات ولملايين المظلومين وتحقق شيء من العدالة المنعدمة في الحقيقة وفي واقع الأمة العربية:

«تدنو سلمى، وتطوّق بيدها اليمنى عنق الجنرال ويدها اليسرى تضغط على الزرّ. قبل أن يتوقف قلب سلمى عن النبض، ترى جسد السفّاح يتناثر قطعاً في الهواء، ومعه قطع من جسدها»(ص٧٠).

إن الراوي في رواية (سلمى) للقصيبي أُسندت له وظائف متعددة كلها جاءت فاعلة في موضعها من السرد، وقد شهدناه في معظمها متمتعاً بقدرة تفوق قدرة الشخصيات الأخرى ليبدو بمظهر الراوي العالم بكل شيء دون الإشارة إلى مصدر معلوماته ومدركاته المختلفة؛ فهو كالطير السابح بحرية يتجول بين الأزمنة

والأحداث المتناقضين دون أدنى معاناة؛ وهذا ما يعرف بالراوي كلي العلم الذي يسرد برؤيته من وراء الأحداث والشخصيات.

ويشدد عدد من النقاد والدارسين على انتقاد هذا النوع من الوجود للراوي في النص السردي بسبب تنقله المستمر في أجوائه دون مبرر وما قد يخلفه ذلك من تفكك في بنية السرد[1]؛ غير أننا وجدنا (القصيبي) قد تجاوز هذا المنزلق ووفّر للراوي عوامل النجاح للقيام بهذا الدور والتزام هذا النمط من الرواية في بناء شخصيته؛ إذ لا نلحظ وجود الراوي المتفوق على الشخصية شاذاً أو قلقـاً أو ضعيفـاً في مختلف مقاطع السرد؛ بل وجدناه يتعامل بحرفية متميزة وأريحية ظاهرة مع المشاهد التاريخية والإشارات وقوالب اللغة وتحليل ومتابعة الشخصيات والأحداث والتنقل المستمر ما بين صيغ الواقع والحلم، فلا الأزمنة والأمكنة المتناقضة تخل بحكمته في القيام بوظائفه السابقة، ولم تطغَ عليه حتى حماسة الروائي وشغف بطلته (سلمى) في معانقتهما للتاريخ، كما نلمس في شخصيته الهدوء والدعة، ونسمع صوته الخفيض المركّز المؤثر وكأنه صوت النفس في هديرها لصاحبها في أوج لحظات الصراع، وهو مع ذلك قادر على خوض غمار المناطق الشائكة والقيمة في بؤرة المشاعر، والولوج إلى مناطق محظورة لدى الشخصيات وتجاوز حدود المسافات بين الواقع والخيال في هذه الرواية.

وفوق كل ذلك كشف لنا اختيار الروائي لنوعية الراوي ووظائفه عن براعة (القصيبي) في إخفاء نفسه في الرواية فظهرت وكأنها تحكي نفسها، نشهد الحدث لحظة بلحظة، ونرقب انفعال الشخصيات به في حالة وعيها ولا وعيها وردود أفعالها تجاه أي منهما، وتُتاح لنا فرصة التأمل وإبداء الرأي في حالتها وفكرها ومن ثم الحكم عليها، فـ(القصيبي) هنا هو الروائي الغائب الذي يسمح للقارئ بالمشاركة في

(١) بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ/ د.سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب- مكتبة الأسرة-القاهرة، ط٢٠٠٤م، ص١٨٦.

فهم وتحليل المواقف والشخصيات ويُشرّع نوافذ الرواية لتتاح الرؤية المباشرة للحدث بأزمنته وأمكنته وشخوصه كأجزاء من كلٍ، وفي إطار الجو العام للسرد الدرامي الذي أبدعه.

لقد كانت هذه الرواية جديرة بالوقوف على التداخل الفني الجيد فيها بين شخصيتي الروائي والراوي؛ ولم يكن هذا الحكم دون مبررات فقد ظهر كما أشرنا سابقـًا جهد الأول في التقنع والتخفي خلف الراوي، كما بدا نجاح الثاني في إتمام وظائفه ومهامه القيّمة في النص، ولعل الإشارة إلى الفروق بين هاتين الشخصيتين في عموم النصوص كفيل بتأكيد حكمنا على إتقان (القصيبي) للدمج بين شخصيته وشخصية راويه في هذا العمل، لتسند له مزية جديدة تباعـًا وهي موهبته في الحد من تأثير هذه الفوارق على الانسجام والتناغم بينهما على مدار بنائه السردي الدرامي.

وتنبع هذه الفروق بين الشخصيتين بداية من استقلال كل منهما بوجود مختلف وخاص، فالروائي له وجود مستقل خارج النص وداخله، أما الراوي فله وجود وحيد داخل بناء النص بل وجوده مرتبط بوجود النص السردي ومقيد به.

والروائي شخصية حقيقية واقعية وجودها سابق على ظهور النص له حرية الظهور في السرد أو التخفي خلف الراوي، إلا أن الظهور الفني الناجح له غالبـًا يكون جزئيـًا وليس كليـًا طاغيـًا مهيمنـًا على السرد؛ فإن هذه الهيمنة مما يفقد النص متعته نتيجة المواربة الفنية ويجعله صورة ساذجة ونسخة مقروءة بجمود عن رغبات وأهداف الروائي. وفي المقابل نجد الراوي شخصية سردية تخييلية وُجدت بوجود النص لتقوم بمهمة السرد وتحويل الحكاية إلى عمل سردي مخصوص: قصة أو رواية فنية وكل ذلك مقيد بالطبع ومحكوم برغبات الروائي صاحب الوجود الحقيقي؛ فحكم الراوي في النص كحكم بقية الشخصيات والعناصر لدى الروائي وهو وحده المختص بنسج المنظور الروائي وتشكيله وقولبته داخل جسد سردي واحد ثم إحالة مهمة الحكاية فيه إلى الراوي، وهنا كما يبدو تكمن مقدرة وبراعة

الروائي على الإبداع الفني في البناء الدرامي؛ بل إنه بالموازنة والمواربة والذكاء في تعديل وتبديل الأدوار بينه وبين الراوي حسب مقتضيات النص سيصول الروائي ويجول معتزاً في ميدان الإتقان الفني للنسيج الدرامي(١).

إن الانسجام بين شخصية (القصيبي) وراويه في هذه الرواية لا يمنع من اختصاص كل منهما بصورة مميزة إلا أن الموازنة الدقيقة التي أجراها الروائي بينه وبين الراوي فكريـًا ونفسيـًا هي التي توهمنا باتحادهما، وهو حين يسلم للراوي قيادة الحكاية والقيام بعدة وظائف متداخلة-كما سبق-لا يشعرنا ولو لحظة بذوبان شخصيته في شخصية ومهام ذلك الراوي، فهما موجودان في النص معـًا، لكل منهما بصمات ومتعلقات يستدل بها على وجوده الخاص ونوعيته؛ وليس هناك خلط أو اشتباه بين الشخصيتين بل تنظيم وحسن تقسيم للمهام ومواضع الظهور والأدوار في جوهر النص وشكله الخارجي، ولهذا كان من الطبعي أن يواجه القارئ خلال تتبعه لهذه الرواية شخصيتين متمكنتين من التأثير فيه، تتناوشانه فكريـًا ونفسيـًا، مع إدراكه التام والمسبق بوجود رابط قوي بينهما رغم اختلاف وجودهما ومرافقتهما باستمرار له، فأحدهما هو الصوت المرشد والإشارة الجريئة وهو (الراوي)، والآخر هو الرؤية والصورة والمضمون وهو (الراوئي).

---

(١) هناك فوارق أخرى بينهما تتعلق بالمتلقي، فالراوي يرتبط بعلاقة مع (المروي له)، وهو المقابل الخيالي للراوي قارئ مضمر افتراضي «يتحدد وجوده داخل النص من خلال آليات وحيل معينة» وتعتبر شخصية مثل بقية شخصيات العمل الأدبي ومسؤوليته تظهر في كونها أحد أهم الوسائط بين القارئ والمؤلف، وتختلف هذه الشخصية عن شخصية (القارئ) الحقيقي سواء كان (المستهدف أم جمهور المؤلف) فهو ذلك «الشخص الحقيقي الذي يأمل المؤلف أن يقرأ النص» مع العلم أن وجوده دائمـًا يفترض بأن يكون خارج النص ويتحدد بفحص التفاعل المتداخل بين النص والسياق فهو قارئ مضمر سياقي ويرتبط بالروائي وليس بالراوي، دليل الناقد/ ص١٩١-١٩٢.

الخـاتمة

أولاً/ إن هذه الدراسة في مجملها أظهرتْ عدداً من الحقائق العميقة التي بطنها السرد في رواية (سلمى) وكان لها خطورتها وجوهريتها في النص الدرامي ككل، وهي من وجه آخر بدتْ مُقايسة لعدد من تلك الحقائق والظواهر السردية من واقع مدروس وعبر ممارسة متدربة تسعى بحب وشغف لقراءة ما وراء النص وما وراء الإبداع عند المبدعين، والحقيقة أن هذه القراءة استهدفت منذ البدء إبداء رؤية متعددة الزوايا عن التداخل النفسي والفكري في شخصية (القصيبي) التي مزجت بين الخبرة في مجال العمل الإداري والسياسي والإبداع الأدبي الفني، على أن تستمد هذه الرؤية شعلتها من النظر والتأمل والتدارس مع عناصر القالب الروائي المختلفة وجمع الشتات وإبراز التوازن والترابط القوي في بنائها لرواية (سلمى).

ثانياً/ بروز الدلائل على تميز الحس الفني لدى (القصيبي) في جانب واضح من هذا العمل السردي؛ فقد تمكن من استغلال تبدل الأدوار وتبادل الأحلام ما بين الروائي وصوت الراوي الشخصية للرمز إلى رغبته في تقديم الحدث بأكثر من منظور ودعم معتقداته وآرائه السياسية بالمشهد والمضمون والنتيجة، خاصة أنه يقولبها روائياً مهموماً بواقعه متمرغاً بحسه الأيديولوجي الناضج من خلال بوابة التاريخ العميقة ومساحاتها الزمانية والمكانية ذات البعد الدلالي المحافظ على قيمته رغم اتساع الفجوة الزمنية بين الأجيال؛ وهو برأيي في حسه هذا يبدو قريباً من التسامح الذي يختلف في أجزاء منه عن الحس الأيديولوجي المعهود لدى معظم الأدباء، حيث يرتكز عند (القصيبي) إلى العقل والنقد والمراجعة، ويرفض احتكار الحقيقة المطلقة، ويقبل التعديل وتغيير وجهة النظر.

ثالثاً/ من جماليات السرد في هذه الرواية تلك الثلاثية الدرامية التي بدت

موجهة دون انقطاع نحو تنمية وبناء الحدث الدرامي للحدث من خلال الحلقة المتماسكة التي تجمع بين: (رؤية الروائي وصوت الراوي ونظرته ورمزية الشخصية المحورية)، فكل ما يصدر عن أي منهم تجد أثره فاعلاً في تشكيل المشاهد والأحلام وتصويرها، وتحليل وتفتيش العالم الداخلي للإنسان العصري المأزوم بسبب واقع حضاري تتكدس فيه الصراعات السياسية والفكرية والدينية، وتجره في ظلال أبعادها النفسية والاجتماعية إلى ما وراء الحقيقة والواقع المعيش.

رابعاً/ إن الزاوية العميقة من إبداعات هذا النص تؤكد أهمية وفاعلية شخصية الراوي فيه؛ فقد وجدناها تتهيأ بصدق لتكون معادلاً موضوعياً للروائي في النص، وترتدي قناعها الشكلي الممثل لصوت ومغزى (القصيبي) وطموحاته؛ بل لمسنا كيف حول الروائي بفنية ومهارة أدوار الراوي الاعتيادية إلى أدوار مؤثرة تتدخل حتى في الأحداث وفي إحباط التوقعات والاحتمالات المرتبط عادة بوجوده في السرد، وقد أقنعنا (القصيبي) فعلاً عبر راويه ورغم غرابة هذا النص الروائي مضموناً وشكلاً بأن الرواية بكاملها حقيقية أو قريبة جداً من الحقيقة المحضة، وذلك بيّن في لجوئه للحيل الفنية المتكفّلة بتأكيد ذلك الهدف ودعمه ألا وهي الجمع بين الحلم والواقع والتاريخ، وكأن النص السردي هنا قد تفوق على ذاته وأصبح على وعي بحالته الرمزية وبأعرافه الأدبية في نفس الوقت، بل إن النص الروائي هذا ظهر في هيئة فنية قادرة على احتواء القارئ وإضفاء نوع من الطبيعية على شخصية الراوي المميز في هذه الرواية مع إعطائه سلطة أقوى وأكبر مما تصورنا، فالراوي في رواية (سلمى) هو بالفعل ممثل الدراما، والروائي هو الصورة والرؤية المرسومة من خلال سلوك وحوار ذلك الراوي الدرامي.

خامساً/ أن عدداً من المبدعين والأدباء نادراً ما ينجون إذا ما خاضوا غمار الميدان الإداري والسياسي إلا أن (القصيبي) لم يكن واحداً منهم؛ فقد أثبت أنه

شبيه بالمعادلة الصعبة، تشهد له بذلك جهوده في هذا العمل كاشفة عن دقته وإبداعه في المزج الناجح بين خبرته في كلا المجالين، وترجمة هذا المزج المتناغم في قالب الدراما المؤثر الممتع الذي يعد أعلى صورة من صور الإبداع الفني، فقد رأينا حسن انتقائه لأساليب السرد وطرق بناء الجسد الروائي المعقد، متنقلاً هنا وهناك وفي يده منجل الانتقاء الفني البديع يحصد به الصور والرموز والأفكار ويلقيها في خدمة أهدافه الجماعية قبل الذاتية.

سادساً/ إن أي باحث موضوعي بإمكانه الكشف عن حقيقة (ليبرالية القصيبي) المزعومة من خلال أعماله التي منها هذه الرواية؛ فهي تؤكد على توازن هذا الاتجاه لديه-إن صح وجوده-؛ إذ لم يجعله في فصام ومعاداة للدين والعقيدة، كما أنه لم يدخله في صدام وانعزال فكري ونفسي عن هموم أمته وقضاياها وشؤونها الكبرى في الماضي والحاضر، وذلك لا شك نادر عند معتنقي هذا الاتجاه الذين يتيهون غالباً بعقولهم وفكرهم في عوالم غريبة معزولة عن شعوبهم وعقائدهم؛ وإن كانت هذه ليبرالية عند (القصيبي) من وجهة نظر البعض فأهلاً بها لكثير من المبدعين الذين يستطيعون المضي في مضمار الأدب والفن غير عابئين بتبعات وخطورة العمل وفق المصداقية والواقعية الفاعلة في خدمة المجتمعات والأمة العربية.

قائمة المصادر والمراجع

- **مصادر نصية:**

١- رواية (سلمى)/ غازي القصيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط٤، ٢٠٠٦م.

- **مراجع إجرائية نقدية:**

٢- الأدب وفنونه/ د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي - القاهرة، ط٧، ١٩٧٨م.

٣- أركان القصة/ أ.م.فوستر، ترجمة: كمال عياد، مراجعة: حسن محمود، تقديم: د.ماهر فريد، تحرير: د.محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ط٢٠٠١م.

٤- البناء الدرامي / د.عبد العزيز حمودة، دار البشير- الأردن، ط١٩٨٨م.

٥- بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية/ د.عبد الفتاح عثمان، مكتبة الشباب-القاهرة، ط١٩٨٢م.

٦- بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ/ د.سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب- مكتبة الأسرة-القاهرة، ط٢٠٠٤م.

٧- البناء الفني في الرواية السعودية- دراسة نقدية تطبيقية/ د.حسن حجاب الحازمي، ط١، ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م.

٨- البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة، دراسة نقدية تحليلية/ د.نصر محمد عباس، دار العلوم - الرياض، ط١، ١٤٠٣ه - ١٩٨٣م.

٩- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)/ د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي- بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.

١٠- جماليات اللغة في القصة القصيرة، قراءة لتيار الوعي في القصة السعودية (١٩٧٠-١٩٩٥م)/ أحلام حادي، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، ، ط١،

٢٠٠٤م.

١١- دراسات في القصة والمسرح/ محمود تيمور، المطبعة النموذجية – القاهرة، ط١٩٤٥م.

١٢- الراوي والنص القصصي/ د.عبد الرحيم كردي، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٣- الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية/ د. عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية – القاهرة، ط ٥، ١٩٩٤م.

١٤- عصر الدول والإمارات في الأندلس/ د.شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، ط١٩٩٤م.

١٥- فن القصة/ محمد نجم، سلسلة الفنون الأدبية –لبنان، ط١٠، ١٩٨٩م.

١٦- فن القصة القصيرة/ د.رشاد رشدي، مكتبة الأنجلو- القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

١٧- فن القصة القصيرة عند نجيب محفوظ/ د.حسن البنداري، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.

١٨- فن كتابة القصة/ حسين قباني، دار الجيل – بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.

١٩- المسرح بين الفن والفكر/ د.نهاد صليحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ط١٩٨٦م.

٢٠- موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري، د.هدى الخواجا، دار الأصالة-الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ.

٢١- نحو سيميائيات للأيديولوجيا/ سعيد بنكراد، دار الأرمان – الرباط، ط١٩٩٦م.

٢٢- نظرية الأدب/ رنيه وليك-آوستن وآرن، ترجمة: د.عادل سلامة، دار المريخ-الرياض، ط٣، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

- **المعاجم والموسوعات:**

٢٣- دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً/ د.ميجان الرويلي- د.سعد البازعي، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠م.

٢٤- المعجم الأدبي/ جبور عبد النور، دار العلم للملايين-بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

٢٥- معجم مصطلحات نقد الرواية/ د.لطيف زيتوني، دار النهار-بيروت، ط٢٠٠٢م.

- **البحوث المنشورة:**

٢٦- (بين الرؤية السياسية والمعالجة التاريخية في رواية (سلمى) لغازي القصيبي) قراءة وتحليل للمضمون/ بحث منشور بمجلة كلية التربية-جامعة كفر الشيخ/ مصر، العدد ٤- السنة الثالثة عشر ٢٠١٣م.

٢٧- موقع الراوي في البنية السردية-مقاربة في المفهوم والوظيفة والنمط/ د. جميل عبد الغني، مجلة كلية اللغة العربية-المنصورة، ع٣١، ج١، ١٤٣٣ه-٢٠١٢م.

- **مراجع الكترونية:**

٢٨- موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة/ إعداد مجموعة باحثين تحت إشراف: الشيخ علوي عبد القادر السقّاف، المطلب الثاني عشر: الليبرالية، موقع الدرر السنية- مرجع علمي موثق على منهج أهل السنة والجماعة:

http://www.dorar.net/enc/mazahib/239

تمت الزيارة بتاريخ: ٢٢-١٢-١٤٣٥هـ.

The Formation of the Event and the Characters in the Novel Technical Study (Salma) to (Ghazi Al-Gosaibi)

BARZANJI, AMAL ABDULLAH Z, Ahmed

Abstract

This research is about an artistic study for the novel (Salma) for (Ghazi Alqussaibi). It has a political content has been treated historically. According to this difficult content, the research discusses a study of the event and three connected characters in the form, structure and uniqueness. On the other hand, also to study of the artistic connection between it and the event in order to achieve the artistic and objective goals of the author with its collective and self- dimensions.

The Integrative approach is used with inductive and deductive tools for data analysis as main approach. This current study depends on two topics as follows:

First topic: studying of narrating methods of the event, and arranging the structure and its modern techniques.

Second topic: studying of the characters and characters interactions in event structure: (major actor – narrator – novelist).

This study summarized the following:

- Artisticsense of the novelist is characterized by his using

different characters and changes them through event stages to express about them with many perspectives and support his views and political opinion of the scene, content and results.

- As aesthetics of this text, the novelist formed dramatic trilogythat image the crisis of modern humans and how he occurred in the trap of Cultural Conflict and that led him into different shadows in his real life.

- The novelist resortedinto artistic tricks that support important goal of his novel goals which are combining fantasy and reality and history in suitable narrative context, even the context became eclipsing on itself and aware of its avatar and his literary conditions.

Key words:

Literature, Novel in Saudi Arabia, (Salma) novel, Ghazi Al-Gosaibi.

تحقيق نسبة «كتاب التاج» إلي الجاحظ- مقاربة مورفولوجيّة

د. عماد محمود أبو رحمة

أستاذ الأدب والنقد المساعد

كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بينبع

imadaburahmeh@yahoo.com

تاريخ التحكيم: ٢٢/ ٦/ ١٤٣٥ تاريخ الإجازة: ١٠/ ٩/ ١٤٣٥

المستخلص:

يبذل المحقّقون لكتب التراث جهوداً كبيرة في تدقيق نصوص تلك الكتب، وتصحيح نسبتها إلى أصحابها، ولكنْ مع ذلك تظلّ سُحب من الشكّ معترضة في سماء تلك الكتب، وتظلّ في حاجة إلى آليّة أخرى، بالإضافة إلى الآليّات التي يستعملها المحقّقون التقليديّون، والتي يهيّؤها لهم المنهج التاريخي. هذه «الدراسة الخارجيّة» -إن صحّ التعبير- لا تبدو كافية بالنسبة إلى بعض الكتب التي لا تُسعف الشهادات التاريخيّة في تحقيق نسبتها إلى أصحابها، وتظلّ في حاجة إلى آليّة أخرى، تتمثّل في «دراسة النصّ من الداخل»، والكشف عن منهجه وخصائصه، ثمّ مقارنتها بمنهج مَن تُنسَب إليهم تلك الكتب وخصائصهم، بعد استقرائها من جملة المؤلّفات التي ثبتت نسبتها إليهم.هذا ما نتطلّع إلى إنجازه في هذه الدراسة مع كتابٍ من كتب التراث، ما زال الدارسون إلى اليوم مختلفين في صاحبه، وهو كتاب «التاج في أخلاق الملوك» المنسوب إلى الجاحظ.

إذن، فالغاية التي تسعى إليها هذه الدراسة هي محاولة تبيّن ما إذا كان في الإمكان إثبات صحّة نسبة كتاب «التاج في أخلاق الملوك» إلى الجاحظ، أو نفيها، بالاعتماد على ما سنجلّيه من ملامح منهج الرجل في التأليف، وخصائص أسلوبه في الكتابة، ومرجعيّاته، ومنطلَقاته الفكريّة... إلخ.

الكلمات المفتاحيّة:

أدب الجاحظ، كتاب «التاج في أخلاق الملوك»، تحقيق نصوص التراث.

المقدّمة

يُعدّ تحقيق نسبة الكتاب إلى صاحبه من أهمّ الأعمال التي لا بدّ للمحقّق من إتمامها؛ فتراه –في سبيل ذلك– يفزع إلى كتب التراجم وكتب الأدب وغيرها من الكتب، لعلّه يعثر فيها على طرَف خيط يقوده إلى مبتغاه، ولكنّ الواقع أنّه لا يظفر دائمـًا بطلبته في تلك الكتب؛ فلا يجد من الشهادات التاريخيّة الموثوقة ما يمكّنه من إطلاق حكم يطمئنّ إليه. هنا يصبح في حاجة إلى منهج أو آليّة تتجاوز الدراسة التاريخيّة «الخارجيّة» للنصّ، آليّةٍ تلج إلى النصّ نفسه، لتستفتيه في هذه المسألة، اعتماداً على طريقة صاحبه في تأليفه، وأسلوبه في الكتابة، ومرجعيّاته ومنطلقاته الفكريّة.

وقد كان من الكتب التراثيّة التي أشكل على المحقّقين نسبتها إلى أصحابها بالاعتماد على المنهج التاريخيّ التقليديّ وحدَه «كتاب التاج في أخلاق الملوك» المنسوب إلى الجاحظ؛ من أجل ذلك رأينا أن نصطنع هذا المعيار «الداخليّ» في تحقيق نسبة هذا الكتاب.

ولعلّه يجدر بي أن أُلمح هاهنا إلى شيء من تلك الدراسات التي استندت إلى المنهج التاريخيّ في المقام الأوّل، سواء منها ما جاء في مقدّمات التحقيقات المتعدّدة للكتاب –أعني: كتاب «التاج»–، أو ما ورد في عُرض بحثٍ تناول فيه صاحبه هذه المسألة، وإلى موقف كلٍّ منهم إزاءها:

–مقدّمة تحقيق أحمد زكي باشا للكتاب (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، وهو فيها يؤيّد نسبة الكتاب إلى الجاحظ.

–مقدّمة تحقيق فوزي عطوي (١٩٧٠)، وهو –أيضـًا– يؤيّد صحّة هذه النسبة.

–دراسة شارل بلّا «الجاحظ في البصرة وبغداد وسامرّاء» (الترجمة العربيّة،

١٩٦١م)، وهو يقف من هذه المسألة -كما يقول- «موقف الحيطة والحذر»[١]؛ بسبب «نقص الوثائق»[٢] المتّصلة بها.

-مقدّمة تحقيق جليل العطيّة للكتاب (٢٠٠٣م)، وكذلك مقدّمة تحقيقه لكتاب «آداب الملوك» لعليّ بن رزين الكاتب (٢٠٠١م)، وهو ينفي نسبة الكتاب إلى الجاحظ، وينسبه إلى محمد بن الحارث الثعلبيّ؛ ذلك أنّه وقف في كتاب «آداب الملوك» المذكور آنفاً على نصوص من كتاب «أخلاق الملوك»، أسندها مؤلّف الكتاب صراحةً إلى محمّد بن الحارث الثعلبيّ. وهذا دليل قويّ حقّاً، وجدير بالاعتبار في تحقيق نسبة هذا الكتاب، ولكنّه لا يغضّ في شيء من قيمة بحثنا هذا، بل مِن شأنه أن يؤكّد أنّ المسار الذي نسلكه فيه لا يناقض في نتائجه المسار التقليديّ في التحقيق إذا أسعفته الشواهد التاريخيّة، ولكنْ إذا عزّت هذه الشواهد أو أعيى المحقّق استنطاقُها فليس أمامه إلّا الدراسة الداخليّة للنصّ، التي نحاول أن نقدّم نموذجاً لها في هذا البحث، ولربّما نكون قد سُبقنا إلى النتيجة عينها من طرق أخرى؛ فإنّ قيمة البحث لا تكمن في النتيجة التي يوصِل إليها بقدْر ما هي كامنة في المنهج المتّبَع ومدى اتّساقه مع تلك النتيجة.

والذي قوّى من عزمنا على إجراء هذه الدراسة أنّا وجدنا من الدارسين المعاصرين مَن تخفّف من تلك الحيطة التي أبداها شارل بلّا تجاه هذا الكتاب، وتعامل معه وكأنّه مسلَّم بصحّة نسبته إلى الجاحظ، وبنى على ذلك نتائج خطيرة، سواء في دراسة تاريخ الأخلاق كما فعل الدكتور محمد عابد الجابري، أو في استكشاف بنية الآداب السلطانيّة كما فعل الدكتور عزّ الدين العلّام؛ فأمّا الجابري فقد عدّ الجاحظ -استناداً إلى هذا الكتاب، كتاب «التاج»- مروّجاً لقِيَم الاستبداد

(١) بلّا، شارل، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامرّاء، ص١١٧.

(٢) نفس المرجع والصفحة.

الفارسيّة التي تؤلّه الملوك، وتفرض طاعتهم المطلقة، في الثقافة العربيّة الإسلاميّة[١]. وأمّا الدكتور علّام فإنّه لا يتردّد في إدراج هذا الكتاب في قائمة «نصوص» الآداب السلطانيّة التي يؤكّد استقراؤها «وحدةَ الفكر السياسيّ السّلطانيّ... وانتظامه داخل بنية موحَّدة المعالم»[٢]؛ ذلك أنّ هذا الكتاب – أعني: «كتاب التاج»- لا يتأبّى على الغرض من الدراسة التي تقوم على «صياغة تصوّر سياسيّ سلطانيّ نموذجيّ، تجد فيه كلّ الكتابات السلطانيّة -مهما اختلفت أمكنتُها وأزمنتها- صورتَها»[٣].

فأردت أن أُسهم بهذا الجهد المتواضع في الكشف عن وجه الحقّ في نسبة هذا الكتاب، خدمةً للدارسين، وسدّاً لهذه الثغرة في مكتبة الجاحظ.

وممّا يُسعفنا في هذه المهمّة أنّنا أمام كاتب يَعدّه بعض الباحثين أكثر كتّاب العربيّة تفرّداً على اختلاف عصورها. يقول شارل بلّا - وكان شديد العناية بدراسة حياة الجاحظ وتراثه-: «إنّه ليس هناك كاتب معاصر أو لاحق يشبه الجاحظ، وإنّ جميع التحليلات التي نقوم بها، لنكشف أوجه شبه بينه وبين غيره، مصيرها الإخفاق

---

(١) الجابري، محمّد عابد، العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليليّة نقديّة لنُظم القِيَم في الثقافة العربيّة، ص١٦٧-١٧٠

(٢) العلّام، عزّ الدين، الآداب السلطانيّة: دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسيّ، ص٢٥.

(٣) العلّام، عزّ الدين، الآداب السلطانيّة، ص٢٦، وانظر أيضـًا ص٧٣ حيث ينقل رأيـًا لكمال عبد اللطيف يعدّ فيه كتاب «التاج» للجاحظ (هكذا!) بمنزلة «النصّ المولِّد» لغيره من النصوص السلطانيّة في الأدب العربي، ويعقّب علّام على هذا الرأي بقوله: «وهذه ملاحظات صحيحة، أقصد أنّ وقائع التاريخ تثبتها، والنصوص السلطانيّة تؤكّدها». هذا مثال آخر على «النتائج الخطيرة» التي قلنا إنّ الدارسين المعاصرين أخذوا يبنونها بعد أن سلّموا بصحّة نسبة الكتاب إلى الجاحظ وأهملوا «الحيطة والحذر».

المحتّم؛ لأنّ أوجه التباين تُطيح بأقوى وجوه المماثلة»[١]؛ فأسلوبه واضح السِّمات، بيّن المعالم، غير خافٍ على مَن تصفّح كتبه، ناهيك بمن درسها دراسة؛ من أجل ذلك اخترنا هذا المعيار، رجاء أن نبلغ به ما نروم من تحقيق نسبة هذا الكتاب.

ومنهجنا في هذه الدراسة يقوم –في الأساس– على إجراء تحليل لهذا الكتاب، يشمل عنوانه، ومقدّمته، ونظامه أو ترتيبه، وصياغته، ثمّ المرجعيّات والمنطَلقات الفكريّة التي ينبني عليها. وبعد ذلك، عقد موازنة بين هذه المكوّنات وما يُناظرها فيما بين أيدينا من كتب الجاحظ ورسائله التي لا يعتري نسبتها إليه شكّ؛ فدراستنا – على هذا الوصف– دراسة نصّيّة مقارنة.

(١) بلّا، شارل، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامرّاء، ص٢.

الفصل الأوّل

«كتاب التاج» والبنية «المورفولوجيّة» لكتب الجاحظ

تعني كلمة «مورفولوجيا»: دراسة الأشكال، ومجالها الاصطلاحيّ الأصليّ هو علم النبات، وهي –هناك– تُطلق على النشاط العلميّ المتّجه إلى دراسة بنية النبتة[١]، ثمّ جاء «فلاديمير بروب» فنقل هذه الكلمة من مجال دراسة النبات إلى مجال دراسة القصّة، وخاصّة الخرافيّة منها، بهدف الكشف عن الملامح أو المكوّنات الثابتة فيها، وجعل موضوع دراسته – بالتحديد– الخرافة الروسيّة، منطلِقـًا من أنّ «دراسة الأشكال ووضْع القوانين التي تحكم البنية أمرٌ ممكن في ميدان القصّة الشعبيّة والفولكلوريّة، وبنفس الدقّة التي تضاهي مورفولوجيا التشكيلات العضويّة»[٢].

ولست أدري إذا كان في الإمكان الحديث عن «بناء مورفولوجي» لكتب الجاحظ! مبدئيّـًا، لا نجد ما يمنع من ذلك؛ لأنّ الجاحظ يتّبع في كتبه ورسائله تقاليد شكليّة ثابتة. وعلى أيّة حال، فلا بأس في أن نفترض وجود هذا «البناء النموذجيّ»، ثمّ نرى: هل يثبته البحث أو ينفيه. فإذا ثبت وجود مثل هذا النموذج اتّخذنا منه قاعدة أو معياراً نقيس عليه هذا الكتاب الذي نحن بصدد تحقيق صحّة نسبته، فإن وافق الكتابُ المعنيّ هذا المعيار كان ذلك واحداً من الأسباب التي تقوّي نسبته إلى الجاحظ، وإن خالفه كانت هذه المخالفة من الأسباب التي تُوْهِن هذه النسبة وتقدح فيها.

وسنعتمد في إقامة هذا «البناء الشكليّ» على طائفة من المكوّنات التي هي بمنزلة الأركان الأساسيّة للناحية الشكليّة في كتب الجاحظ، وهي: العنوان، والمقدّمة، ونظام التأليف، أي طريقة ترتيب المحتوى، أو المنطق الداخليّ الذي

---

(١) بروب، فلاديمير، مورفولوجيا القصّة، ص١٥.

(٢) نفس المرجع والصفحة.

يحكم تنسيق هذه الكتب، وما يتّصل بذلك من خصائص أسلوب الجاحظ في الكتابة.

أوّلاً: العناوين

يُثبت الجاحظ في أوّل كتاب الحيوان أسماء طائفة من كتبه، ليكون ذلك –كما يقول ابن الأخشاد[1]– بمنزلة الفهرس لها. وإليك هذه الأسماء على الصورة التي ذكرها بها:

كتاب حيَل اللصوص/ كتاب غشّ الصناعات/ كتاب الـمُلَح والطُّرَف/ كتاب احتجاجات البخلاء/ القول في الفَرْق بين الصدق والكذب/ الفرق بين الغَيْرة وإضاعة الحُرْمة/ كتاب الصُّرَحاء والهُجَناء/ مفاخرة السُّودان والحُمْران/ موازنةُ ما بين حقّ العمومة والخؤولة/ كتاب الزرع والنخل والزيتون والأعناب/ أقسام فضول الصناعات ومراتب التجارات/ كتاب فضل ما بين النساء والرجال/ كتاب القحطانيّة/ كتاب العدنانيّة في الردّ على القحطانيّة/ كتاب العرب والموالي/ كتاب العرب والعجم/ كتاب الأصنام/ كتاب المعادن/ كتاب فرق ما بين هاشم وعبد شمس/ كتاب فرق ما بين الجنّ والإنس/ كتاب الأوفاق والرياضات/ رسائله الهاشميّات/ كتاب في خلْق القرآن/ كتاب في الردّ على الـمُشَبِّهة/ كتاب في القول في أصول الفتيا والأحكام/ كتاب في الاحتجاج لنَظْم القرآن/ كتاب في معارضة الزيديّة وتفضيل الاعتزال/ كتاب في الوعد والوعيد/ كتاب في الردّ على النصارى واليهود/ جملة كتب في المعرفة: كتاب الجوابات، كتاب المسائل، كتاب أصحاب الإلهام، كتاب الحُجّة في تثبيت النبوّة، كتاب الأخبار، كتاب الردّ على الجهميّة في الإدراك،

(١) الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ص٢١١٥.

كتاب الفرق ما بين النبيّ والمتنبّي/ كتاب العثمانيّة/ كتاب العبّاسيّة[١].

ولم يكن غرضنا من إثبات هذا الـمَسْرَد لكتب الجاحظ أن نفتّش فيه عن كتاب «التاج»؛ لأنّ هذا المسرد لم يأت جامعـًا لكتب الجاحظ كافّة، ولم ينحُ فيه صاحبه منحى الاستقصاء[٢]؛ ولأنّ الجاحظ صنّف بعده كتبـًا ورسائل لم يشملها. وإنّما كان الغرض، أن نتبيّن أسلوب الجاحظ في تسمية كتبه.

إنّ أبرز ما يلفت النظر في هذه العناوين هو صراحتها، بمعنى: أنّ الجاحظ لا يلجأ إلى استعمال ألفاظ مجازيّة في عناوين كتبه، على سبيل الاستعارة أو الكناية أو أيّة صورة من صور الاستعمال المجازيّ للألفاظ، كدأْب فريق من المصنِّفين، وإنّما يعمد إلى الألفاظ الدالّة دلالة حقيقيّة واضحة على مضمون الكتاب أو الرسالة، ويكتفي بها، هذه سمة واضحة في العناوين التي سقناها جميعـًا. للجاحظ –كما لغيره من المؤلّفين– ذوق خاصّ في تسمية كتبه، أساس هذا الذوق –كما بدا لنا– هو التصريح بمحتوى الكتاب بعيداً عن أيّ استعمال مجازيّ للألفاظ.

وبعدُ، فهل نحن في حاجة إلى إتمام القول في هذه الجزئيّة، والتصريح بأنّ عنوان كتاب «التاج» لا يتلاءم وعناوينَ كتب الجاحظ كما رأيناها، وأنّ ذوق صاحب «التاج» في انتقاء اسم كتابه لا يتّفق وذوق الجاحظ، وأنّ انفراد كتاب «التاج» بهذه الخاصيّة يُخرجه من هذه الناحية– من «قائمة» كتب الجاحظ؟

ولكنْ، حتّى لو صحّت هذه النتيجة، فإنّ عنوان الكتاب وحدَه، وذوق صاحبه

---

(١) ولا علينا أنْ لا يكون هذا الثبت لكتب الجاحظ كاملاً، بل هو –بالتأكيد– غير كامل؛ لأنّ المحصين لكتب الجاحظ يذهبون بعددها إلى أضعاف ما اشتمل عليه هذا المسرَد (انظر كتاب الحيوان للجاحظ، مقدّمة المحقّق، ص٥-٦). ولكنّها –على أيّة حال– تظلّ محتفظة بدلالة مفيدة فيما نحن بصدده، لا سيّما أنّها تمثّل ما يشبه «العينة» العشوائيّة بالنسبة إلى الباحث.

(٢) انظر التعليق السابق..

في اختياره، لا ينهضان دليلاً على إثبات أو نفي نسبة الكتاب. فلننتقل -إذن- إلى جزئيّة أخرى، لعلّها تقدّم لنا حُجّة أقوى في إحدى هاتين السبيلين، سبيل النفي والإثبات.

ثانياً: المقدّمات

وهنا سنستعرض مقدّمات ما وصل إلينا من كتب الجاحظ، وخاصّة الطِّوال منها، لكون هذا الكتاب ينتمي إلى هذا الصنف من تراث الرجل، ونقف عند مكوّناتها الأساسيّة، وهي -كما سيتّضح فيما بعد-: الاستهلال، والإهداء، وبيان الخُطّة التي سيجري عليها الكتاب، وما يتّصل بها من ملامح منهجيّة وتنويهات تخصّ ترتيب الكتاب وتنسيقه أو محتواه ومضمونه. ثمّ نعمد إلى عقد موازنة بين ما وصلنا إليه وما نجده في مقدّمة كتاب «التاج» ممّا يتعلّق بهذه المكوّنات نفسها؛ لنرى مقدار ما بينهما من تشابه أو اختلاف.

يقول الجاحظ -في تقديمه لكتاب الحيوان-: «جنّبك الله الشُّبْهة، وعصمك من الحَيْرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسَبًا، وحبّب إليك التثبّت، وزيّن في عينك الإنصاف... ولَعمري لقد كان غير هذا الدعاء أصْوب في أمرك، وأدلّ على مقدار وزنك، وعلى الحال التي وضعتَ نفسك فيها، ووسمت عِرضك بها، ورضيتَها لدِينك حظًّا، ولمروءتك شِكلاً؛ فقد انتهى إليّ ميلك على أبي إسحق [النظّام]، وحمْلك عليه... ثمّ عِبتَني بكتاب حِيَل اللصوص، وكتاب غِشّ الصناعات، وعبتني بكتاب الـمُلَح والطُّرَف... ثمّ قصدتَ إلى كتابي هذا بالتصغير لقدْره، والتهجين لنَظْمه، والاعتراض على لفظه، والتحقير لمعانيه... على أنّه كتاب معناه أَنْبَهُ من اسمه، وحقيقته آنَق من لفْظه، وهو كتاب يحتاج إليه المتوسّط العامّيّ، كما يحتاج إليه العالِم الخاصّيّ... وهذا كتاب تستوي فيه رغبة الأمم، وتتشابه فيه العُرب والعَجم؛ لأنّه وإن كان عربيًّا أعرابيًّا، وإسلاميًّا جماعيًّا، فقد أخذ من طُرَف

الفلسفة، وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة، وأشرك بين علم الكتاب والسنّة، وبين وِجدان الحاسّة وإحساس الغريزة... وقلتَ: وما بال أهل العلم والنظر، وأصحاب الفكر والعِبَر، وأرباب النِّحَل، والعلماء وأهل البصر بمخارج المِلَل، وورَثة الأنبياء، وأعوان الخلفاء –يكتبون كتب الظرفاء والمُلَحاء، وكتب الفُرّاغ والخُلَعاء، وكتب الملاهي والفكاهات، وكتب أصحاب الخصومات..؟! وهذا كتاب موعظة وتعريف، وتفقّه وتنبيه... وقد غلّطك فيه بعضُ ما رأيت في أثنائه من مزْح لم تعرف معناه، ومن بَطالة لم تطّلع على غَوْرها، ولم تدْرِ لمَ اجتُلبت، ولا لأيّ عِلّة تُكُلِّفت... ولم تدر أنّ المزاح جِدّ إذا اجتُلب ليكون علّة للجِدّ، وأنّ البَطالة وقار ورزانة إذا تُكُلِّفت لتلك العاقبة...؛ لأنّه إن حملْنا جميع مَن يتكلّف قراءة هذا الكتاب على مُرّ الحقّ، وصعوبة الجِدّ، وثِقل المؤونة، وحِلْية الوقار، لم يصبر عليه –مع طوله– إلّا مَن تجرّد للعلم، وفهم معناه...»[1].

نسجّل بعض التعليقات قبل أن ننتقل إلى مقدّمة كتاب آخر من كتب الجاحظ:

١- أنّ المقدّمة تبدأ بالدعاء، ومن الواضح أنّ هذا الدعاء ليس موجَّهـًا إلى مَن يُهدي إليه الجاحظ كتابه، وهو الوزير محمّد بن عبد الملك بن الزيّات[2]، وإنّما إلى ناقد متخيَّل لهذا الكتاب ولما سبقه مِن كتب الجاحظ. أمّا أنّه ليس موجَّهـًا للمُهدَى إليه، فيدلّ عليه ما أَعقبه به مِن لومه لنفسه على أنّه بادره بالدعاء، مع أنّ غير الدعاء أصْوب في أمره، وأدلّ على وزنه. وأمّا أنّ الدعاء موجَّه إلى بعض النقّاد، فيدلّ عليه ما أورده مِن مطاعن على كتبه السالفة. والأرجح أنّ هذا الناقد وهميّ، تخيّله

(١) الجاحظ، كتاب الحيوان، ١/ ٣-١٠٦.

(٢) الجاحظ، كتاب الحيوان، مقدّمة التحقيق، ١/ ٢٥؛ والبيان والتبيين، مقدّمة التحقيق أيضـًا، ١/ ١٥.

الجاحظ ليكون سببًا لتعداد كتبه، وصنع فهرس لها، والردّ على ما يبلغه من انتقادات الناس لكتبه أو ما يتوقّعه هو من انتقادات، وتعليلٍ لبعض جوانب منهجه فيها. والذي يحملنا على ترجيح أنّه مجرّد «نموذج» لناقد متخيَّل ما كان يتمتَّع به الجاحظ من نفوذ في الساحة الثقافيّة لعصره، وما بسطته عليه الدولة مَن حماية، لكونه ناطقًا بلسانها، ومعبِّراً عن سياستها[١].

٢- أنّ اسم الـمُهدَى إليه غير مصرَّح به في هذه المقدّمة.

٣- اشتملت المقدّمة على إشارة إلى المتلقّي للكتاب أو الفئات المقصودة به، وهي فئات واسعة جدّاً؛ إذ -كما قال صاحبه فيما نقلناه آنفًا- «تستوي فيه رغبة الأمم، وتتشابه فيه العُرْب والعَجم».

٤- أشارت المقدّمة إلى المصادر أو المرجعيّات التي سيعتمد عليها الجاحظ في كتابه، وهي مرجعيّات شديدة التنوّع، واسعة النطاق، بقدْر اتّساع ثقافة الجاحظ وتنوّعها: عربيّة وإسلاميّة ويونانيّة.

٥- اشتملت المقدّمة على استطراد طويل، خرج فيه الجاحظ من رواية المطاعن -المحتمَلة- على كتبه، إلى الحديث عن أساليب الناس في معاملة المسيء، واتّخذ من ذلك سببًا لرواية جملة من أشعار العرب في هذه المعاني، ثمّ أفضى به الحديث إلى ذكْر الإبل وما كانت تفعله العرب لدفع الحسد إذا كثرت إبلها، وأدّاه هذا إلى الحديث عن البقر وثورها والنحل ويعسوبها، ثمّ عرّج على قصّة قتل لقمان بن عاد لنسائه وابنته، وقاده هذا إلى قصّة «سِنِمّار»، ثمّ رجع ليتمّ ما انتهى إليه قبل هذا الاستطراد. وأطولُ منه اسطراده إلى تقريظ الكتب عامّة، وبيان

---

(١) بلّا، شارل، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامرّاء، ص٤٠٤؛ والجاحظ، كتاب الحيوان، مقدّمة المحقّق، ١/ ١٢.

محاسنها، والحضّ على اتّخاذها... إلخ[1]. وحتّى هذا الاستطراد الأخير نفسه تخلّله عدّة استطرادات.

٦- الضمير الشائع في المقدّمة هو ضمير المخاطَب.

٧- أخيراً، تضمّنت المقدّمة إشارات إلى المنهج العامّ للكتاب، وقوامه الاستطراد والتنويع، وخلط الجِدّ بالهزْل.

يقول الجاحظ –مقدّماً لكتاب البخلاء-: «تولّاك الله بحفظه، وأعانك على شكره، ووفّقك لطاعته، وجعلك من الفائزين برحمته. ذكرتَ - حفظك الله- أنّك قرأت كتابي في تصنيف حِيَل لصوص النهار، وفي تفصيل حِيَل سُرّاق الليل... وذكرتَ أنّ قدْر نفعه عظيم، وأنّ التقدّم في درسه واجب... وقلتَ: اذكر لي نوادر البخلاء، واحتجاج الأشحّاء، وما يجوز في ذلك في باب الهزْل، وما يجوز منه في باب الجِدّ؛ لأجعل الهزْل مستراحاً، والراحة جَماماً؛ فإنّ للجِدّ كدّاً يمنع من معاودته... وذكرتُ مُلَح الحرامي، واحتجاج الكندي، ورسالة سهل بن هارون، وكلام ابن غزوان، وخُطبة الحارثي، وكلّ ما حضرني من أعاجيبهم وأعاجيب غيرهم. ولمَ سمَّوا البخل إصلاحاً والشّح اقتصاداً، ولمَ حامَوا على المنع ونسبوه إلى الحزم... ولمَ... ولمَ... وقلتَ: ولا بدّ من أن تعرّفني الهَنات التي نمّت على المتكلّفين، ودلّت على حقائق المتوهّمين، وهتكت عزّ أستار الأدعياء، وفرّقت بين الحقيقة والرياء... وسألتَ أن أكتب لك علّة «خبّاب» في نفي الغَيْرة... وعلّة «الجهجاه» في تحسين الكذب في مواضع، وفي تقبيح الصدق في مواضع... ومذهب «صحصح» في تفضيل النسيان على كثير من الذكر، وأنّ الغباء في الجملة أنفع من الفطنة في الجملة... ولولا أنّك تجد هذه الأبواب وأكثر منها مصوَّرة في كتابي الذي سُمّي كتاب المسائل لأتيت على كثير منه في هذا الكتاب. فأمّا ما سألتَ من احتجاج

(١) الجاحظ، كتاب الحيوان، ١/ ٣٨-١٠٢.

الأشحّاء ونوادر أحاديث البخلاء، فسأوجدك ذلك في قصصهم-إن شاء الله تعالى- مفرَّقـًا، وفي احتجاجاتهم مجملاً؛ فهو أجمع لهذا الباب من وصف ما عندي دون ما انتهى إليّ من أخبارهم على وجهها؛ وعلى أنّ الكتاب أيضـًا يصير أقصر، ويصير العار فيه أقلّ. ونبتدئ برسالة سهل بن هارون ثمّ بطُرَف أهل خراسان؛ لإكثار الناس في أهل خراسان. ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء: تَبيُّن حجّة طريفة، أو تعرّف حيلة لطيفة، أو استفادة نادرة عجيبة. وأنت في ضحك منه إذا شئت، وفي لهو إذا مِلت الجِدّ... وأنا أزعم أنّ البكاء صالحٌ للطبائع، ومحمود المغبّة إذا وافق الموضع ولم يجاوز المقدار... فما ظنك بالضحك الذي لا يزال صاحبه في غاية السرور إلى أن ينقطع عنه سببه؟... وهذا كتاب لا أغُرّك منه، ولا أستر عنك عيبه؛ لأنه لا يجوز أن يكمُل لما تريده، ولا يجوز أن يوفَّى حقّه كما ينبغي له؛ لأنّ هنا أحاديث كثيرة متى أطلعنا منها حرفـًا عُرف أصحابها، وإنْ لم نسمّهم ولم نُرِد ذلك بهم... منهم الصديق والوليّ المستور والمتجمّل، وليس يفي حُسن الفائدة لكم بقبح الجناية عليهم... وقد كتبنا لك أحاديث كثيرة مضافة إلى أربابها، وأحاديث كثيرة غير مضافة إلى أربابها؛ إمّا بالخوف منهم وإمّا بالإكرام لهم. ولولا أنك سألتني هذا الكتاب لما تكلّفته، ولما وضعتُ كلامي موضع الضيم والنقمة؛ فإنْ كانت لائمةٌ أو عجزٌ فعليك، وإنْ كان عذرٌ فلي دونك»(١).

بعد الاعتذار عن طول النّقل -على الرغم من محاولة الاختصار- نسجّل هذه الطائفة من النتائج التي أمكن استخلاصُها منه:

١- يستهلّ الجاحظ مقدّمته بالدعاء لمن يُهدي إليه كتابه، أو ربّما لقارئ الكتاب، ويدفعنا إلى ترجيح أنّ هذا الدعاء -وسائر المقدمة- ليس موجَّهـًا إلى

---

(١) الجاحظ، البخلاء، تحقيق طه الحاجري، ص ١-٨.

مُهدى إليه بعينه، تلك العبارةُ التي ختم بها المقدّمة، وهي قوله: «فإنْ كانت لائمةٌ أو عجر فعليك، وإنْ كان عذرٌ فلي دونك»؛ فنستبعد أن يعمد الجاحظ إلى مواجهة من يُهدي إليه كتابه بهذه العبارة، ولا سيّما إذا علمنا أن الجاحظ دأب على أن يخصّ بإهداء كتبه رجال الدولة وأصحاب النفوذ(١).

٢- لا يصرّح الجاحظ في مقدمته باسم من يُهدي إليه كتابه.

٣- تتضمّن المقدمة بيانـًا لبعض ملامح المنهج الذي سيسير عليه المؤلف، ولا يكتفي الجاحظ هنا بتقرير هذه الملامح، حتّى يشفعها بالعِلل الكاشفة عن أسبابها؛ فهو سيجمع في كتابه بين قصص البخلاء واحتجاجاتهم؛ لأنّه «أجمع لهذ الباب من وصف ما عندي دون ما انتهى إليّ من أخبارهم على وجهها؛ وعلى أنّ الكتاب – أيضـًا– يصير أقصر، ويصير العار فيه أقل»، وسيخلط فيه بين الحيلة اللطيفة، والنادرة العجيبة، والحجّة الطريفة؛ أي أنه سيجمع بين الجِدّ والهزْل؛ لأنّ «البكاء صالح للطبائع ومحمود المغبّة»، وكذلك «الضحك الذي لا يزال صاحبه في غاية السرور إلى أن ينقطع عن سببه». ولا ينسى، وهو يُوقف قارئه على معايب الكتاب أن يشرح له أسبابها، مثل اضطراره إلى كتم أسماء أصحاب بعض نوادره، وأنّ ذلك يذهب بكثير من ملاحتها. إذن، فكلّ اختيار منهجيّ مقرونٌ بعلّته التي دفعت إليه.

٤- اشتملت المقدّمة على استطراد طويل في محاسن البكاء والضحك.

٥- الضمير الغالب على المقدّمة هو ضمير المخاطَب.

بقيت مقدمة كتاب «البيان والتبيين»، وقد جاءت غايةً في الاختصار، اقتصر فيها الجاحظ على الدعاء لنفسه، وقد جاء الدعاء بصيغة الجمع؛ لذا فمن المحتمل أن يشمل بالإضافة إلى المتكلّم عمومَ القرّاء. وهي تجري على هذه الشاكلة:

«اللهمّ إنّا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، مقدمة المحقق، ١/ ١٥.

التكلّف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العُجب بما نحسن، ونعوذ بك من السلاطة والهذر، كما نعوذ بك من العِيّ والحصَر»[١].

ثمّ يستطرد إلى الحديث في هذين العيبين من عيوب البيان، وهما العيّ والحصر، ومنهما ينطلق إلى ذكر عيوب أخرى، ثمّ يشرع في باب البيان.

ولا نستطيع أن نستخلص من هذه المقدّمة القصيرة الكثير من النتائج، ولعلّ أوضح ما فيها:

١- الابتداء بالدعاء، وإن لم يكن هذه المرّة للقارئ/ الناقد وحده، وإنّما شرك نفسه فيه.

٢- أنّه لم يصرّح باسم صاحب الإهداء.

ولعلّه في الإمكان أن نجبر هذا النقص في (العيّنة) بإضافة «نصّ» آخر من نصوص الجاحظ، نستعيض به، ونتّخذه بدلاً من هذا الكتاب. وقد وقع الاختيار بعد ترداد النظر في مؤلّفات الجاحظ على رسالة له عنوانها «المعاش والمعاد»، والذي بعث على اختيار هذه الرسالة أنّها شديدة المِساس بذلك النوع من الأدب الذي ينتمي إليه كتاب «التاج»، وهو الأدب السلطانيّ[٢]؛ فلعلّه أن يكون لهذا أثرٌ مفيد في صحة الموازنة، وصدق نتائجها.

يقول الجاحظ في مقدّمة هذه الرسالة:

«حفظك الله، وأمتع بك... وإنّي عرفتك -أكرمك الله- في أيّام الحداثة، وحيث سلطان اللهو الـمُخْلِق للأعراض أغلب على نظرائك، وسُكْر الشباب والجِدَة المتحيّفَين للدين والمروءة مستولٍ على لِداتك... فاستعبدتهم الشهوات

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٣.

(٢) انظر محاولة عزّ الدين العلّام تعريف الآداب السلطانيّة في كتابه «الآداب السلطانية»، مرجع سابق، ص ٨-٩.

حتى أعطَوها أزمّة أديانهم، وسلّطوها على مروءاتهم، وأباحوها أعراضهم... وخرجتَ نسيجَ وحدك، أوحديّاً في عصرك؛ حكّمتَ وكيل الله عندك -وهو عقلك- على هواك، وألقيت إليه أزمّة أمرك؛ فسلك بك طريق السلامة، وأسلمك إلى العاقبة المحمودة... وكان من تمام شكري لربّي وليّ كلّ نعمة، والمبتدئ بكلّ إحسان، الشكرُ لك والقيام بمكافأتك بما أمكن من قول وفعل... فرأيتُ أن أجمع لك كتاباً من الأدب، جامعاً لعلم كثير من المعاد والمعاش، أصف لك فيه عِلل الأشياء، وأخبرك بأسبابها... وقد أجمعت الحكماءُ أنّ العقل المطبوع والكرم الغريزيّ لا يبلغان غاية الكمال إلا بمعاونة العقل المكتسَب... فألّفتُ لك كتابي هذا إليك، وأنا واصفٌ لك فيه الطبائع التي رُكّب عليها الخلق، وفُطرت عليها البرايا كلّهم... ثمّ مبيّن لك كيف نفترق بهم الحالات، وتفاوَتُ بهم المنازل، وما العِلل التي يوجب بعضها بعضاً... وراسمٌ لك في ذلك أصولاً، ومبيّن لك مع كلّ أصل منها علّته وسببه... وقد علمت أنّ في كثير من الحقّ مشبَّهات، لا تُستبان إلا بعد النظر... فلم أدعْ من تلك المواضع الخفيّة موضعاً إلا أقمتُ لك بإزاء كل شبهة منه دليلاً، ومع كلّ خفيّ من الحقّ حجّة ظاهرة، تَستنبط لها غوامض البرهان، وتستبين بها دقائق الصواب...

واعلم أنّ الآداب إنّما هي آلات تصلح أن تُستعمل في الدين وتُستعمل في الدنيا؛ وإنّما وُضعت الآداب على أصول الطبائع، وإنّما أصول أمور التدبير في الدين والدنيا واحدة...»[(١)].

يُستفاد من هذه المقدّمة فيما نحن بصدده:

١- على الرغم من إطالة الحديث عن مَنْ يُهدي إليه الجاحظ هذه الرسالة فإنه لم يصرح باسمه.

---

(١) الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ١/ ٩١-٩٩.

٢- افتُتحت الرسالة بالدعاء للمُهدَى إليه.

٣- رسمت المقدمة منهج الرسالة القائم في أساسه على التأصيل والتعليل وإقامة الدليل لاسيّما في مواضع الشبهة، وقياس أمور الدنيا على الآخرة.

٤- لا يُخلي الجاحظ مقدّمته للرسالة من استطراد؛ فبعد أن يُقرّ بفضل مَنْ يهدي إليه رسالته هذه يخرج إلى سَوْق الشواهد والأدلّة التي تؤكّد وجوب شكره له، وأنّ شكره له من تمام شكره لربّه.

٥- الضمير الشائع في المقدّمة هو ضمير المخاطَب.

الآن، وقد فرغنا من تحليل مقدّمات الكتب التي صحّت نسبتها إلى الجاحظ، يلزمنا أن نقف على جملة المكوّنات أو الخصائص المشتركة بينها؛ حتّى نتّخذ منها معياراً نعرض عليه مقدّمة الكتاب المشكوك في صحّة نسبته، أعني كتاب «التاج»:

١- افتُتحت مقدّمات الكتب صحيحة النسبة إلى الجاحظ كلّها بالدعاء، إمّا لمن يُهدي إليه كتابه، وإمّا للقارئ/ الناقد، وإمّا لكليهما.

٢- أَغفلت المقدّمات جميعها اسم الشخصيّة التي أُهدي إليها الكتاب.

٣- تضمّنت المقدّمات كافّة إشارات إلى المنهج الذي سيسلكه المؤلّف والمسوِّغات أو العِلَل التي بعثت على اختيار هذا المنهج أو جوانب منه، وكان من أبرز هذه الجوانب: مراعاة اختلاف أحوال المتلقّين، والجمع بين الجِدّ والهزْل، وتنوّع المصادر والمرجعيّات، والبحث في أصول الظواهر وأسبابها العميقة(١).

٤- تخلّلت المقدّمات كلَّها استطراداتٌ طويلة، امتدّت أحيانًا عشرات الصفحات.

---

(١) نكتفي -هنا- بالإشارة إلى هذه الملامح المنهجيّة باعتبارها بعض العناصر المكوّنة لمقدّمات كتب الجاحظ، على أنّنا سنقف عندها وقفة متمهّلة في الفصل القادم من هذا البحث، إن شاء الله.

٥- الضمير الغالب على هذه المقدّمات هو ضمير الخطاب.

ننتقل الآن إلى كتاب «التاج»، فنستعرض مقدّمته، ونتحقق من مدى اشتمالها على هذه العناصر أو المكونات:

يقول صاحب الكتاب في مقدّمته:

«الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة، وهو الحكيم الخبير.

أحمده على تتابع آلائه، وتواتر نعمائه، وترادف مِنَنه، وأستهديه، وأستوفقه لما يُرضيه ويرضى فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لا شبيه له ولا نظير؛ الذي جلّ عن الأجزاء والتبعيض، والتحديد والتمثيل، والحركة والسكون، والنُّقْلة والزوال، والتصرّف من حال إلى حال. لا إله إلا هو الكبير المتعال.

وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأمينه ونجيّه. ابتعثه على فترة من الرسالة، وطموس من الهداية...؛ فصدع بأمر ربّه وجاهد في سبيله، ودعا إلى معالم دينه... فصلّى الله عليه وعلى جميع المرسلين، وخصّه بصلاة من غوافله دون العالمين، وعليه السلام ورحمة الله وبركاته.

أما بعد، فإنّ الذي حدا على وضع كتابنا هذا معانٍ: منها أنّ الله عَزَّوَجَلَّ لـمّا خصّ الملوك بكرامته، وأكرمهم بسلطانه، ومكّن لهم في البلاد، وخوّلهم أمر العباد، أوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيرهم وتقريظهم، كما أوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع لهم... ومنها أن أكثر العامّة وبعض الخاصّة، لـمّا كانت تجهل الأقسام التي تجب لملوكها عليها -وإنْ كانت متمسّكة بجملة الطاعة- حصرنا آدابها في كتابنا هذا لنجعلها قدوةً لها، وإماماً لتأدُّبها... ومنها أنّ سعادة العامّة في تبجيل الملوك وطاعتها، كما قال أردشير بن بابك: ... ومنها أنّا ألّفنا كتاباً

قبل كتابنا هذا فيه أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة... وأحرى أن نصرف عنايتنا إلى ما يجب للملوك من ذِكر أخلاقها وشِيَمها... قال تعالى حكايةً عمّن مضى منهم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا﴾[1]... فرأينا -إذْ أخطأنا في تقديمنا أخلاق أهل البَطال-... أنْ نتلافى ما فرط منّا بوضع كتاب في أخلاق الملوك وخصائصها التي هي لها في أنفسها، وأن نخصّ بوضع كتابنا هذا الأمير الفتح بن خاقان مولى أمير المؤمنين.

وبالله التوفيق والإعانة»[2].

وبعدُ، فما الذي يمكن أن يُستخَلص من هذه المقّدمة؟

١- استُهلّت المقدّمة بالتحميد، والشهادتين، والصلاة والسلام على الرسول ﷺ.

٢- انتقلت المقدّمة من هذا الاستهلال إلى بيان أسباب تأليف الكتاب، ويمكن إجمالها في: تذكير العامّة بحقوق ملوكها، التي يَعدّ المؤلّف مراعاتها من أسباب سعادتها، بل سببها الرئيس. ومنها تدارك ما فرط منه حين ألّف كتاباً في أهل البَطالة قبل الملوك.

٣- ذكرت المقدّمة صراحة اسم الـمُهدَي إليه، وهو «الفتح بن خاقان».

٤- اختُتمت المقدّمة بعبارة «وبالله التوفيق والإعانة»، ثمّ كُرّرت في نهاية الفقرة التي سمّاها المحقّق «الفاتحة».

٥- اشتملت المقدّمة على طائفة من ألفاظ الفلاسفة والمتكلّمين، من مثل: «الأجزاء والتبعيض، والتحديد والتمثيل، والحركة والسكون، والنقلة والزوال، ....».

٦- الضمير الغالب على المقدّمة هو ضمير الغائب.

---

(١) سورة الأحزاب: ٦٧ .

(٢) الجاحظ، كتاب التاج، ص١-٥.

بقي علينا أنْ نتبيّن وجوه الاتّفاق ووجوه الاختلاف بين مكونات هذه المقدّمة، وما وقفنا عليه من الخصائص والمكونات المشتركة في مقدّمات كتب الجاحظ:

تتمخّض هذه الموازنة عن النتائج الآتية:

١- يختلف افتتاح مقدّمة كتاب «التاج» عن مقدّمات كتب الجاحظ؛ فإنّ كتب الجاحظ افتُتحت بالدعاء، في حين أنّ مقدّمة كتاب «التاج» افتُتحت بالتحميد.... الخ.

٢- صرّحت مقدّمة كتاب «التاج» باسم صاحب الإهداء، في حين أنّ مقدّمات كتب الجاحظ لم تفعل، بل كتمته.

٣- تضمّنت مقدّمات كتب الجاحظ إشارات إلى المنهج الذي سيتّبعه فيها، وتفسيراً لبعض ملامح ذلك المنهج، ويكاد جانبان منه يكونان مطّردين فيها، وهما: الموالاة بين الجِدّ والهزل، والبحث عن الأصول والعِلل، وفي المقابل نجد مقدّمة كتاب التاج لا تشير إلى أيّ ملمح منهجيّ من قريب أو بعيد.

٤- تعتري مقدّمات كتب الجاحظ استطراداتٌ تطول أحيانـًا طولاً بيّنـًا، ولكنّ مقدّمة كتاب التاج تخلو من هذه الظاهرة.

٥- الضمير الغالب على مقدّمات كتب الجاحظ هو ضمير الخطاب (الكاف والتاء)، في حين أنّ الضمير المستعمل في مقدّمة «التاج» هو ضمير الغائب، حتّى حين يتحدّث صاحبه عن الشخص الذي يُهدي إليه كتابه يتحدث عنه بضمير الغيبة، وهذا يخالف تمامـًا ما دأب عليه الجاحظ في مقدّماته.

٦- مقدّمات كتب الجاحظ –كما يظهر منها– موجَّهةٌ إلى قارئ أبرزُ سمةٍ فيه أنّه «ناقد»، لا ينفكّ يوجّه سهام نقده إلى كتب المؤلّف السابقة وإلى الكتاب الذي هو آخذ في التقديم له، سواء بسواء؛ ولذلك تجد الجاحظ يخصّص جزءاً كبيراً من مقدّماته في التعليل والتسويغ، سواء لمنهج كتابه أو لمحتواه. أمّا صاحب «التاج» فقارئه هو «العامّة»؛ ولذلك لا يحتاج إلى أيّ تفسير أو تسويغ. واضحٌ أنّ شخصيّة

المتلقّي في مقدّمات كتب الجاحظ تختلف عنها كثيراً في مقدّمة كتاب «التاج».

٧- لا يستعمل الجاحظ في أواخر مقدّماته أيّة عبارات ختاميّة، على سبيل اللازمة، في حين أنّنا رأينا صاحب «التاج» يستعمل عبارة «وبالله التوفيق» في آخر المقدّمة، وكذلك في آخر الفِقَر التي تلتها، والتي سمّاها المحقّق «الفاتحة»؛ ممّا يدلّ على أنّها سمة أسلوبيّة له.

٨- لا يستعمل الجاحظ في مقدّماته الألفاظ «الفنّيّة» المتخصّصة؛ لأنّه –وهذا من أهدافه العامّة- يسعى من وراء تلك الكتب إلى أنْ يعمّم المعرفة، وأن يوسّع دائرة الثقافة، بحيث تضمّ فئات اجتماعيّة واسعة ومتنوّعة، وبحيث يُدخل فيها أكبر قدْر من معارف العصر، بعد أن يجرّدها من جفافها، ويحكّم فيها نزعته الفنيّة، وأوّلُ وسيلة لتبرئتها من هذا الجفاف هو تجنّب المصطلحات «التقنيّة» في هذا النوع من الكتب.

٩- إذا كانت الأحكام الذوقيّة المبنيّة على الخبرة مقبولة في هذا الصدد، فإنّني أستطيع–بعد معاشرة صالحة لكتب الجاحظ- أن أقول: لقد اشتملت مقدّمة كتاب «التاج» على عبارات يصعب التسليم بأن تكون قد صدرت عن قلم الجاحظ، لأنّها لا تتلاءم البتّة مع مذهبه في اختيار الألفاظ ونظْمها. خذ مثلاً على هذا قول المؤلّف في تحميده الذي استهلّ به مقدّمته: «وأستوفقه لما يُرضيه ويرضى فيه»[١]، وتأمّل في ثِقل كلمة «أستوفقه» على اللسان، وما يبدو في صياغتها من تكلّف، وفي هذا الجناس المفتعَل بين «يُرضيه» و«يَرضى فيه». وكذلك قوله بُعيدها: «الذي جلّ عن الأجزاء والتبعيض، والتحديد والتمثيل، والحركة والسكون، والنُّقْلة والزوال، والتصرّف من حالٍ إلى حال، لا إله إلا هو الكبير المتعال»[٢]، انظر فيه إلى هذه العبارة الأخيرة

(١) المصدر نفسه، ص١.

(٢) نفس المصدر والصفحة..

التي ألحقها بالكلام إلحاقًا من أجل إتمام السجعة لا أكثر. وقد كرّر هذا الأسلوب في موضع آخر، حيث يقول: «ودروسٍ مِن شرائع الأنبياء والمرسلين، ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[١]»[٢]؛ فليس خافيًا أنّه جلب الآية ليقيم السجعة، أو أنّه كتب العبارة الأولى وهو يفكّر في الآية، والنتيجةُ في الحالتين واحدة، وهي تكلّف السّجع، الذي لا يمكن أن يُنسَب إلى الجاحظ. وأخرى لا يمكن أن تُنسَب إلى الجاحظ، وهي ما يظهر في موسيقى بعض العبارات من «نشاز» ناشئ عن التنافر بين أصواتها وأوزان ألفاظها، على نحوٍ لم نعهده في أسلوب الجاحظ القائم على الانسجام والتناغم بين الألفاظ والحروف[٣]. من هذا الطراز قولُ صاحب «التاج» في مقدّمته: «وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأمينه ونجيّه»[٤].

ثالثاً: نظام التأليف وما يتّصل به من خصائص الأسلوب

ونقصد به الطريقة التي يتّبعها الجاحظ في تنسيق كتبه؛ فإنّه يبدو لقارئ تلك الكتب أنّ ثمّة طائفة من الملامح المشتركة للنسَق الذي تجري عليه؛ لأنّ ثمة منطقًا واحداً يقف وراء هذا النسَق؛ فالمؤلف –وإن تعدّدت كتبه– فإنّك تظلّ تلمح فيها خيطًا منطقيّا واحداً ينتظمها جميعًا ويتحكّم في بنائها الداخليّ.

وسنحاول في هذه المرحلة من البحث أن نقف على أبرز ملامح طريقة الجاحظ في تنظيم كتبه وتنسيقها، ثمّ نوازن بينها وبين ما نجده في كتاب «التاج»؛ لنتبين ما إذا كان هذا الأخير يشتمل على تلك الملامح ويصدر عن نفس المنطق أو لا.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الجاحظ يسهّل علينا أحيانًا تلمّس هذه الملامح

---

(١) سورة يس: ٧٠.

(٢) نفس المصدر والصفحة..

(٣) ضيف، شوقي، الفنّ ومذاهبه في النثر العربي، ١٦٩-١٧٢.

(٤) الجاحظ، كتاب التاج، ص١.

حين يصرح بها، على أنّنا لن نأخذ تصريحاته مأخذ الحقائق إلا حين نجده يطبّقها في الواقع.

وسنورد هذه الملامح مجملةً، ثمّ نفصّل القول فيها، تمهيداً لإجراء الموازنة المشار إليها آنفـًا:

١- خلط الجِدّ بالهزل.

٢- الاستطراد والتنويع واختلال النظام.

٣- المناظرة والجدل.

٤- النزعة النقديّة.

١- خلط الجِدّ بالهزْل:

تقدّمت الإشارة -في أثناء تحليلنا لمقدّمات كتب الجاحظ- إلى ما صرّح به مِن عزْمه على توشيح الجِدّ بالهزْل، وبيان الأسباب الداعية له إلى اختيار هذه الطريقة في التأليف. وهو لا يكتفي بتلك التصريحات، بل لا يزال يؤكّد ملازمته لهذه الخُطّة في أثناء كتبه، ويكرّر شرح الحكمة منها، حتّى يستقرّ في أذهان القرّاء أنّها سمة أساسيّة من السمات التي تطبع طريقته في التأليف. ولعلّ من أسباب ذلك التكرار - كما سبق أن أشرنا- أنّ الجاحظ دائمـًا يستشعر وجود ناقد يتصيّد له الأخطاء ويُحصي عليه العيوب، وقد رأيناه يوجّه حديثه صراحةً إلى ذلك الناقد شارحـًا أسباب خلطه الجِدّ بالهزْل، في مقدّمة كتاب الحيوان.

أمّا أسباب هذا الخلط بين الجِدّ والهزْل فهي -على كثرة تكرارها في كتبه، واختلاف الألفاظ المعبّرة عنها- لا تعدو سببين اثنين:

١- دفع الملل عن القارئ، وتنشيطه للمضيّ في قراءة الكتاب وتحصيل فوائده.

٢- التخفيف من وطأة الجِدّ إذا طال على القارئ.

يُرى هذان السببان واضحَين -بالإضافة إلى ما أشرنا إليه في مقدّمة

«الحيوان»- في مثل قوله في أوّل الجزء الثالث من الكتاب نفسه: «وإن كنّا قد أمللناك بالجِدّ والاحتجاجات الصحيحة والممزوجة[١]... فإنّا سننشّطك ببعض البَطالات، وبذكر العِلل الظريفة، والاحتجاجات الغريبة»[٢].

وحتّى في رسائله التي تبدو قصيرة يالنسبة إلى كتبه، نجد الجاحظ لا يتخلّى عن هذه السمة، ولا ينسى أن يسوق العِلل الداعية إليها، وهي –على أيّة حال- تدور في فلَك العلّتين اللتين ذكرناهما آنفـًا، مِن ذلك قوله –في رسالة «الشارب والمشروب»-: «فخلطتُ لك جِدّاً بهزْل، وقرنت لك حُجّةً بمُلْحة، ليخفّ مؤونة الكتاب على القارئ، وليزيد ذلك في نشاط المستمع؛ فجعلتُ الهزْل بعد الجِدّ جَمامـًا، والـمُلْحة بعد الحُجّة مستراحـًا»[٣]. ويقول كذلك –في رسالة «النساء»-: «وليس ينبغي لكتب الآداب والرياضات أن يُحمَل أصحابها على الجِدّ الصِّرْف، وعلى العقل المحض، وعلى الحقّ الـمُرّ، وعلى المعاني الصعبة التي تستكدّ النفوس وتستفرغ المجهود. ولِلصبر غاية، وللاحتمال نهاية. ولا بأس أن يكون الكتاب موشّحـًا ببعض الهزْل. وعلى أنّ الكتاب إذا كثُر هزْله سخُف، كما أنّه إذا كثُر جِدّه ثقُل. ولا بدّ للكتاب من أن يكون فيه بعض ما ينشّط القارئ، وينفي النعاس عن المستمع. فمن وجد في كتابنا هذا بعض ما ذكرنا، فلْيعلم أنّ قصدنا في ذلك إنّما كان على جهة الاستدعاء لقلبه، والاستمالة لسمعه وبصره»[٤].

فالهزْل عنده ليس غاية، وإنّما هو وسيلة للوصول إلى غاية؛ وبذلك يصبح

---

(١) أوردها المحقّق في الحاشية نقلاً عن بعض المخطوطات التي اعتمد عليها في تحقيق الكتاب، واختار عليها في المتن «المروَّجة». و«الممزوجة»: ضدّ الصحيحة أو التي اختلط فيها الصواب بالخطأ، ورأيُنا أنّها أَلْيق بالعبارة: معنى وإيقاعـًا.

(٢) الجاحظ، كتاب الحيوان، ٣/ ٥.

(٣) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ٤/ ٢٨١.

(٤) المصدر نفسه، ٣/ ١٥٣.

الهزْل جِدّاً؛ إذ كان هو الوسيلة المؤدّية إليه.

إنّ نظرةً عجلى في فهارس محتويات كتب الجاحظ -أو تصفّحاً سريعاً لها- تكفي للتحقّق من أنّه كان يتمثّل تلك الخاصّيّة أصدق تمثُّل؛ ولا أدَلّ على ذلك مِن أنّه بنى إحدى رسائله على المواءمة بين رُكْنَي هذه الثنائيّة، ثنائيّة (الجِدّ/ الهزْل)، وأعني بها رسالة «الجِدّ والهزْل»[١].

ولا نريد أن نطيل الحديث في ثنائيّة (الجِدّ/ الهزْل) عند الجاحظ، وأسبابها، ودرجة وجاهة تلك الأسباب، ومدى اقتناعنا بها؛ وإنّما أردنا فقط أن نُلمّ بهذه الخاصيّة من خصائص طريقته في تأليف كتبه، وبحرصه الدائم على تأكيدها في أثناء كتبه كما يؤكّدها في مقدّماتها، وبمقدار التزامه بها في الواقع.

٢- الاستطراد والتنويع واختلال النظام:

الاستطراد سمة واضحة من سمات طريقة الجاحظ في تأليف كتبه؛ فتراه «يبدأ الكلام في قضيّة من القضايا، ثمّ يدعها في أثناء ذلك ليدخل في قضية أخرى، ثمّ يعود إلى ما أسلف من قبل»[٢]. وقد أشرنا إلى مثالٍ على هذه السمة في تحليلنا لمقدّمة كتاب الحيوان[٣]. مثالٌ آخر على هذا الاستطراد نلحظه -في الكتاب نفسه- بعد صفحات قليلة من الاستطراد الذي سبقت الإشارة إليه؛ فإنّ الجاحظ بعد أن شرع في موضوع كتابه، فتحدّث عن «أقسام الكائنات»، و«تقسيم النامي»، و«أقسام الطير»، و«تقسيم الحيوان إلى فصيح وأعجم»، ومباحث أخرى غيرها تخصّ الحيوان، رجع إلى الحديث عن منهج الكتاب وخصائص طريقته في تأليفة؛ ومن ذلك «مزج الجِدّ بالهزل» وبيان العّلة في هذا المزج، ثمّ خرج من ذلك إلى مدح

(١) المصدر نفسه، ١/ ٢٣١-٢٧٨.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، مقدّمة المحقّق، ١/ ٦.

(٣) الجاحظ، كتاب الحيوان، ١/ ١٣-٢٤.

الكتب عامّة وبيان محاسنها، وروى في أثناء هذا الحديث ما عنّ له من أشعار وأقوال، وساقه هذا الحديث إلى حديث في «ضرورة الاجتماع» وأنّ «البيان ضروري للاجتماع»... وهكذا، حتى نبلغ ما يقارب ربع المجلّد الأوّل وهو ما يزال يتكلّم في المنهج، يخرج منه ثمّ يعود إليه؛ فنجده في الصفحة الثالثة والتسعين يشرح لنا بعض ملامح طريقته في التأليف، والعلّة الداعية إليها[١]. بهذه الطريقة يمضي الجاحظ في الكتاب كلّه وفي سائر كتبه الطوال.

وسِمة الاستطراد مرتبطة عند الجاحظ بسمة أخرى يصعب فصلها عنها، هي التنويع أو تداعي الأفكار، وهي سمة بارزة في كتبه، تنبّه عليها القدماء والمحدثون[٢]. وهي –في قسط منها– مقصودة، ويمكن أنْ تُعَدّ مكمّلة لسمة المزج بين الجِدّ والهزْل، ومتّحدة معها في الغرض، وهو دفع الملل والسآمة عن القارئ، وتنشيطه للمضيّ في الكتاب، وتخفيف ثقله عليه، لا سيّما إذا كان من الكتب الطِّوال، ككتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين.

يقول الجاحظ –في التنويه بهذه السمة وبيان العلّة من ورائها، في كتاب «البيان والتبيين»–: «وجهُ التدبير في الكتاب إذا طال أن يداوِي مؤلّفه نشاط القارئ له، ويسوقه إلى حظّه، بالاحتيال له: فمن ذلك أنْ يُخرجه من شيء إلى شيء، ومن باب إلى باب، بعد أنْ لا يخرجه من ذلك الفنّ، ومن جمهور ذلك العلم»[٣].

ولكنّ ترك النفس على سجيّتها في التأليف، والاسترسالَ مع التنويع والخروجِ من باب إلي باب، قد يؤدّيان إلى اضطراب التأليف واختلال النسق وفساد

---

(١) المصدر نفسه، ١/ ٩٣ –٩٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٤/ ٤٧؛ وشوقي ضيف، الفنّ ومذاهبه في النثر العربي، ص١٦٦–١٦٩.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ٣/ ٣٦٦.

نظام الكتاب، وهذا ما حصل في تصانيف الجاحظ، وخاصة الطِّوال منها، وقد شعر هو نفسه بذلك واعتذر عنه مراراً. يقول في كتاب الحيوان: «فإن وجدتَ فيه خللاً من اضطراب لفظ، ومن سوء تأليف، أو من تقطيع نظام، ومن ووقوع الشيء في غير موضعه– فلا تنكرْ، بعد أن صوّرتُ عندك حالي التي ابتدأتُ عليها كتابي»(١).

٣- المناظرة والجدل:

لعلّ إلمامة سريعة بفهارس محتويات كتب الجاحظ وعناوين رسائله تكون كافية للكشف عن درجة حضور هذا الفنّ في أدب الرجل كلّه؛ فهو يُناظر –في رسائله– بين صاحب الجواري وصاحب الغِلمان(٢)، وبين العداوة والحسد(٣)، وبين النُّبْل والتنبُّل والكِبْر(٤)، وبين الرجال والنساء(٥)، وبين النطق والصمت(٦)، وبين التجارة وعمل السلطان(٧)، وبين هاشم وعبد شمس(٨)، وبين البطن والظهر(٩). ويناظر –في كتبه– بين صاحب الكلب وصاحب الديك(١٠)، وبين البعير والفيل(١١)، وبين العرب والشعوبيّة(١).

---

(١) الجاحظ، كتاب الحيوان، ٣/ ٢٠٨ – ٢٠٩.

(٢) الجاحظ، الرسائل، ٢/ ١٧٣-٢٢٦.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ٣٣٢-٣٧٤.

(٤) المصدر نفسه، ٤/ ١٦٩-١٩٠.

(٥) المصدر نفسه، ٣/ ١٣٧-١٦٠.

(٦) المصدر نفسه، ٤/ ٢٢٨-٢٤٢.

(٧) المصدر نفسه، مقدّمة المحقّق ١/ ١٠.

(٨) المصدر نفسه، مقدّمة المحقّق ١/ ١٣.

(٩) المصدر نفسه، ٤/ ١٥٥-١٦٨.

(١٠) الجاحظ، كتاب الحيوان، ١/ ٢٢٢ إلى آخر الجزء، والجزء الثاني بتمامه..

(١١) المصدر نفسه، ٧/ ٢١٣.

وربّما يكون اعتماد الجاحظ على هذا الفنّ في عرْض موضوعاته المتنوّعة قائمـًا على نظرته الثنائيّة إلى الأشياء؛ فهو لا يكاد يرى الشيء إلا في مقابل نقيضه، وهو يَعدّ هذا التضادّ أو التقابل في الأشياء سمةً أساسيّة في الوجود ذاته، وشرطـًا من شروط بقاء الحياة وصلاحها. يقول –في شرح هذه النظرة-: «واعلم أنّ المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدّتها امتزاجُ الخير بالشرّ، والضارّ بالنافع، والمكروه بالسارّ، والضعَة بالرِّفْعة، والكثرة بالقِلّة؛ ولو كان الشرّ صِرْفـًا هلك الخَلق، أو كان الخير محضـًا سقطت المِحنة...»(٢).

أمّا منشأ هذه النظرة إلى الأشياء، وهذا المذهب في تناول الموضوعات، فلعلّه راجع إلى أنّ الجاحظ هو أحد كبار المعتزلة في عصره، والاعتزالُ فرقة كلاميّة، بل هي مِن أبرز –إن لم تكن أبرز- فِرَق المتكلّمين في عصر الجاحظ، ومعروفٌ أنّ المتكلّمين عامّةً كانوا يتّخذون من المناظرة وسيلةً لإثبات آرائهم، ودحض آراء خصومهم، والمناظرةُ –في أصلها- قائمة على الجدل بين صاحبَي رأيَين مختلفَين؛ فالجدل والمناظرة هما بعض سمات ذلك العصر، ولكنّ الجاحظ ينقلهما من مجال الدين إلى مجال الأدب، ويجعلهما وسيلتين طيّعتين لعرض مختلف القضايا الاجتماعيّة والخلُقيّة التي يتناولها في كتبه.

وعلى أيّة حال، وبصرف النظر عن أسباب هذه الظاهرة الأسلوبيّة في أدب الجاحظ، فإنّها تظلّ إحدى الظواهر الشائعة في مؤلّفاته، والغالبة على منحاه في الرؤية والمعالجة.

٤- النزعة النقديّة:

=

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٤٠٩، ٣/ ٥-١١٣ .

(٢) الجاحظ، كتاب الحيوان، ١/ ٢٠٤.

ولست أقصد هنا «النقد الأدبيّ» وإنْ كان هذا النقد يمثّل شعاعـًا من الأشعة الصادرة عن هذه النزعة، ومظهراً من مظاهرها، ولكنّني أقصد النقد الموجَّه إلى بعض فئات المجتمع، وإلى بعض التصرّفات والسلوكات، وإلى بعض الآراء الدينيّة والسياسيّة والعلميّة... إلخ.

ولا يخفى أنّ ما أسلفناه في موضوع «المناظرة والجدل» يتّصل من بعض جوانبه بهذه النزعة؛ فإنّ المناظرة والجدل، كما يسعيان إلى إثبات رأيٍ ما وإقامة الدليل عليه، فإنّهما يرميان إلى إبطال الرأي المقابل وتفنيد براهينه، وليس الإبطال والتفنيد إلا صورة من صور النقد.

الجاحظ معتزليّ، يعتدّ بعقله، ويعتمد عليه في فهم النصوص، واستنباط الأدلّة، وتقرير الأحكام. وعندما يرى طوائف من مدّعي العلم في عصره يهجرون العقل، ويّتخذون التقليد أصلاً للتشريع، يُقيمون عليه أحكامهم، فإنّه لا يملك أن يحبس قلمه عن تفنيد آرائهم ونقض الأساس الذي بنَوها عليه، وإقامة الأسس التي يراها أحقّ بأن يرتفع عليها بناء الشريعة. فنجده يعلن صراحةً كراهته «تقليد المختلف من الآثار، دون التأمّل والاعتبار، بأنّ ظلام الشكّ لا يجلوه إلا مفتاح اليقين»[١]، ويأبى أن يُتَّخذ هذا التقليد سبيلاً إلى تمييز الحلال من الحرام، ويُزري على أولئك المقلّدين «حَيْدهم عن التفتيش، ومَيْلهم عن التنقير، وانحرافهم عن الإنصاف»[٢]. حتّى لو كان التقليد تقليداً لأهل مدينة الرسول ﷺ؛ فإنّ «عِظَم حقّ البلدة لا يُحلّ شيئـًا ولا يحرّمه»[٣]. ويقرّر –في المقابل– أنّه «إنّما يُعرَف الحلال والحرام بالكتاب الناطق، والسنّة المجمَع عليها، والعقول الصحيحة، والمقاييس

(١) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ٤/ ٢٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ٤/ ٢٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ٤/ ٢٧٧.

المصيبة»[١]. ثم يبيّن أنّ الاستناد إلى هذه المصادر هو المخرج الوحيد من تعارُض الأحكام، وتضارب الآراء المبنيّة على التسليم للروايات المختلفة، دون تدقيق أو تمحيص؛ «فمَن هذا المهاجريّ أو الأنصاريّ الذي روَوا عنه تحريم الأنبذة، ثمّ لم يروُوا عنه التحليل؟!... وأهل المدينة، وإنْ كانوا جلدوا على الريح الخفيّ [ريح الخمر]، فقد جلدوا على حمل الزقّ الفارغ؛ لأنّهم زعموا أنّه آلة الخمر، حتّى قال بعض مَنْ ينكر عليهم: فهلّا جلدوا أنفسهم؟ لأنّه ليس منهم إلا ومعه آلة الزنى! وكان يجب –على هذا المثال– أنْ يُحكم بمثل ذلك على حامل السيف والسكّين والسمّ القاتل، في نظائر ذلك؛ لأنّ هذه كلّها آلات القتل»[٢].

ثمّ لا يلبث الجاحظ أنْ يخرج من هذه المسألة إلى ما هو أعمّ؛ فيقرّر أنّ أهل المدينة هم –في النهاية– بَشر، تؤثّر فيهم النوازع والأهواء والشهوات التي تؤثّر في غيرهم، وليس كلّ ما يُحمل عنهم دِين واجب الاتّباع، وليس من الحقّ ولا من الفهم لوقائع التاريخ وطبائع النفوس أنْ يُسبَغ عليهم ثوبٌ من القداسة والتنزيه؛ وعليه، فإنّ اتّخاذ «عمل أهل المدينة» أصلاً من أصول التشريع خطأ في رأي الجاحظ، وأمرٌ يستدعي النقد والإنكار. يقول –متمّماً الردّ على الذين حرّموا شرب الأنبذة احتجاجاً بعمل أهل المدينة–: «وبعدُ، فأهل المدينة لم يخرجوا من طبائع الإنس إلى طبائع الملائكة، ولو كان كلّ ما يقولونه حقّاً وصواباً، لجلدوا مَنْ كان في دار مَعْبَد والغَريض وابن شُرَيح ودَحمان وابن مُحْرِز وعَلُّويه وابن جامع ومخارق وشُرَيك ووكيع وحمّاد وابراهيم، وجماعةَ التابعين والسلف والمتقدّمين؛ لأنّ هؤلاء –فيما زعموا– كانوا يشربون الأنبذة التي هي عندهم خمر، وأولئك كانوا يعالجون الأغاني –التي هي حِلّ طِلْق– على نقر العيدان والطنابير والنايات والصَّنج

(١) المصدر نفسه، ٤/ ٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ٤/ ٢٧٧.

والزَّنج والمعازف التي ليست محرّمة ولا منهيّاً عن شيء منها»[١].

في هذا النصّ يتجلّى معظم خصائص النزعة النقديّة عند الجاحظ، كالحرّيّة والجرأة والاعتماد على القياس المنطقيّ في استخراج الأدّلة.

وليس المقلّدون من الفقهاء والمحدّثين هم وحدَهم الذين أنحى عليهم الجاحظ بنقده، بل ثمّة طائفة أخرى شبيهة بهؤلاء لم تكن في منجى من سهام نقده، وهي طائفة من المفسّرين الذين كانوا يجلسون للعامّة، يُفتونهم في كلّ أمر، ويجيبونهم في كلّ مسألة، لا يرجعون في ذلك إلى فهم صحيح لنصوص الدين ولا إلى معرفة عميقة بلغة العرب ومجاري كلامها، بل غاية ما يسعون إليه هو الإغراب على الناس؛ لأنّ ذلك يضخّمهم في أعينهم ويرفع من مكانتهم عندهم. ولا يتردّد الجاحظ في أن يصرّح بأسماء نفرٍ من هؤلاء المفسّرين، عائباً عليهم صنيعهم، ومحذّراً المتعلّمين من الانخداع بهم، غير آبه بمنزلتهم الزائفة وصيتهم الكاذب. يقول -على لسان أستاذه النظّام-: «لا تسترسلوا إلى كثير من المفسّرين، وإنْ نصبوا أنفسهم للعامّة، وأجابوا في كلّ مسألة؛ فإنّ كثيراً منهم يقول بغير رواية، على غير أساس، وكلّما كان المفسّر أغرب عندهم [عند العامّة] كان أحبّ إليهم. وليكنْ عندكم عِكرمة والكلبيّ والسُّدّي والضحّاك ومقاتل بن سليمان وأبو بكر الأصمُّ - في سبيل واحدة»[٢].

وكما وجّه الجاحظ نقده إلى معاصريه من الفقهاء والمحدّثين والمفسّرين، نراه يوجه هذا النقد إلى القدماء من أهل العلم والفلسفة، إذا وجد في آرائهم ما يستدعي النقد، مهما عَلَت مكانتهم وارتفع شأنهم؛ فلا يُحجم عن نقد بعض ما يُروَى عن أرسطو في طبائع بعض الحيوانات، كما في قوله -بعد أنْ أورد خبراً يُنسَب

(١) المصدر نفسه، ٤/ ٢٧٧-٢٧٩.

(٢) الجاحظ، كتاب الحيوان، ١/ ٣٤٣.

إلى أرسطو في إمكان التلاقح بين السباع المختلفة في الجنس والصورة: «وقد سمعنا ما قال صاحب المنطق من قبلُ، وما نظنّ بمثله أن يخلّد على نفسه في الكتب شهادات لا يحقّقها الامتحان، ولا يعرف صدقَها أشباهه من العلماء، وما عندنا في معرفة ما ادّعى إلا هذا القول»(١).

تظهر النزعة النقديّة عند الجاحظ أيضـاً في نقده للوضع الاجتماعيّ للمرأة في عصره، عند بعض الفئات –على الأقلّ–؛ فقد رأى «ناسـاً يُزرون عليهنّ [أي: النساء] أشدّ الزراية، ويحتقرونهنّ أشدّ الاحتقار. ويبخسونهنّ أكثر حقوقهنّ»(٢)؛ فوضع رسالة يذكر فيها بعض فضائل المرأة، وما تمتاز به على الرجل، ويبيّن فيها أنّه من قلّة الإنصاف أن يكون السبيل إلى حفظ حقوق الرجل هو هدْر حقوق المرأة، وأنّه «مِن العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والأعمام إلا بأنْ ينكر حقوق الأمّهات والأخوال»(٣)، «وكذلك الإخوة والأخوات، والبنون والبنات»(٤).

لعلّه يبدو أنّنا أطلنا في شرح هذه السمة من سمات أسلوب الجاحظ أو هذا الملمح من ملامح طريقته في التأليف، ولكنّ المتصفّح لكتب الجاحظ يعلم أنّ هذا قليل من كثير؛ فالنقد ممتزج بمباحث الجاحظ وفِقره امتزاجـاً. بالإضافة إلى ما أسلفنا من أنّ مناظراته التي تشغل حيّزاً واسعـاً في كتبه ورسائله تمُتّ بسبب وثيق إلى هذه النزعة النقديّة.

بعد هذا الإلمام بخصائص أسلوب الجاحظ، وملامح طريقته في تأليف كتبه،

---

(١) الجاحظ، كتاب الحيوان، ١/ ١٨٥؛ وانظر قول أرسطو الذي يعلّق عليه الجاحظ ص ١٨٣ – ١٨٤ من الجزء نفسه.

(٢) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ٣/ ١٥١.

(٣) المصدر نفسه، ٣/ ١٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ٣/ ١٥٧.

يأتي لنا أن نسأل: أين يقع كتاب التاج من هذا كلّه؟ وهل يقف فيه القارئ على شيء من هذه الملامح وتلك الخصائص؟

أمّا خلط الجِدّ بالهزْل، فلم يتضمّن الكتاب من أوّله إلى آخره طُرْفة أو نادرة، أو شيئًا يمتّ إلى الهزْل أو المزاح أو الفكاهة أو الدعابة بصلة، وإنّما الكتاب جِدّ كلّه، لا يحفل صاحبه بما قد يجرّه ذلك على القارئ من ملل أو سآمة أو كدّ، بل من الواضح أنّه لا يعبأ كثيراً بالحالة النفسيّة للمتلقّي برّمتها، ولم تكن هذه إحدى مشاغلة، ولا غرضـًا من أغراضه؛ وإنّما غرضه أن يستوفي الحديث في الموضوع الذي حدّده لكتابه، ويُلمّ بما يراه لازمـًا لإتمامه، لا أكثر، ولا عليه بعد ذلك مِن القارئ -ولا سيما غير المتمرّس- أنْ يكلّ أو يملّ أو يناله ما يناله وهو يتنقّل بين أخلاق الملوك.

وأمّا الاستطراد والتنويع، فليس في الكتاب شيء من ذلك، وإنّما يجري على نسق محكَم، وجادّة مستقيمة، لا يحيد عنها يمينـًا ولا شمالاً، وليس إلا أنْ يذكر الخلق من أخلاق الملوك، ويسوقَ ما يلائمه من روايات وأخبار عن ملوك الفرس وملوك العرب، ثمّ ينتقل إلى الخلُق الذي يليه، وهلمّ جراً.

وأما الجدل والمناظرة، فلا أثر لهما في الكتاب، ولكنّ صاحبه ينزع فيه نحو التقرير، ويظلّ الصوت الواحد هو السمة الغالبة عليه، أعني: صوت المؤلّف، بما يسجّله من قوانين، وما يستشهد به عليها من أخبار وروايات.

وأمّا روح النقد فهي في هذا الكتاب خافتة إلى أبعد حدّ، مع أنّ كثيراً من المواطن في الكتاب جديرة بأن تستثيرها، لو كان لها أصلٌ عند صاحبه؛ ولا نتخيّل الجاحظ يمرّ بكثير من الروايات التي اشتمل عليها الكتاب دون أن يعقّب عليها بما ينقدها به. ولكنّ النزعة التقريريّة - كما أسلفت- هي المستحوذة على الكتاب، وهذه النزعة تتنافى بطبيعتها مع الميل إلى النقد والجدل. وهل تتصوّر أنّ الجاحظ

يسجّل هذا الخلُق من «أخلاق آل ساسان من الملوك وأبنائهم»[١]، حيث يقول -في «باب الدخول على الملوك، وفيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه» -: «إنْ كان الداخل من الأشراف والطبقة العالية، فمن حقّ الملك أن يقف منه بالموضع الذي لا ينأى عنه ولا يقرُب منه، وأنْ يسلّم عليه قائمـًا. فإن استدناه قرُب منه، **فأكبّ على أطرافه يقبّلها**»[٢]، وحيث يقول: «وإنْ كان الداخل من الطبقة الوسطى... فإن استدناه دنا خُطى وهو مطرق، ثمّ رفع رأسه. فإن استدناه دنا خُطى أيضـًا، ثمّ رفع رأسه، حتّى إذا أمسك الملك عن إشارة أو حركة وقف في ذلك الموضع الذي يقطع الملك فيه إشارته قائمـًا، فإن أومأ إليه بالقعود **قعد مُقعيـًا أو جاثيـًا**»[٣]. أقول: هل تظنّ أنّ الجاحظ يسجّل هذا القانون من قوانين ملوك الفرس ثمّ لا يعلّق عليه؟! وهو الذي يقول في تقرير المصادر التي يأخذ عنها الأحكام والآداب -في مقدّمة «كتاب الحيوان»، في سياق الردّ على مَن تنقّص كتبه وعابه بها-: «فإن كنّا أسأنا في التقريع والتوقيف، فالذي لم يأخذ فينا بحُكم القرآن، ولا بأدب الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولم يفزع إلى ما في الفِطَن الصحيحة، وإلى ما توجب المقاييس المطّردة، والأمثال المضروبة، والأشعار السائرة- أولى بالإساءة، وأحقّ باللائمة.

وهذا حُكم الله تعالى، وآداب رسوله، والذي أُنزل به الكتاب، ودلّ عليه حُجج العقول»[٤].

هذا النصّ يقودنا إلى الحديث عن المرجعيّات والمنطلَقات الفكريّة، التي ستكون محور الفصل التالي من هذه الدراسة إن شاء الله.

---

(١) الجاحظ(؟)، التاج في أخلاق الملوك، ص٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٧.

(٤) الجاحظ، كتاب الحيوان، ص ١٦.

الفصل الثاني
المُنطلَقات الفكريّة والمرجعيّات

أوّلاً: الشعوبيّة

لماذا الحديث عن الشعوبيّة في هذه الدراسة؟ وما جدواه في إثبات صحّة نسبة كتاب «التاج» إلى الجاحظ أو نفيها عنه؟

المسوّغ لهذا الحديث هو أنّ صاحب كتاب التاج -كائنًا مَن كان- يعتمد فيه اعتماداً كبيراً على التراث الفارسيّ، جاعلاً مِن سِيَر ملوك الفرس، ابتداءً بأردشير - مؤسّس الدولة الساسانيّة[1]- وانتهاءً بيزدجِرد، مروراً بسابور وقباذ وأنوشروان وغيرهم، معياراً ومثلاً أعلى للسياسة الحكيمة التي لا بدّ لمن تلاهم من الملوك - والكتابُ موجَّهٌ إلى الخلفاء العبّاسيّين- أن يلتزموها إذا ما أرادوا أن يحفظوا مُلكهم، ويُحسنوا تدبير دولهم، ويضمنوا لأنفسهم خلود الذكر وحسن الأحدوثة.

وصاحبُ مثل هذه المرجعيّة -وسنتحدّث عن المرجعيّات بمزيد من التفصيل في موضع آتٍ من هذا البحث-، والساعي إلى تحقيق هذا الغرض خليقٌ بأن يتعرّض لهذه التهمة، أعني: تهمة الشعوبيّة.

يقول محمد عابد الجابري في بيان مقدار إسهام هذا الكتاب -كتاب «التاج»- في جلب القِيَم الكسرويّة من التراث الفارسيّ، ومحاولة غرسها في الثقافة العربيّة الإسلاميّة، لعصره: «إنّ الملِك عنصر أساسيّ وضروريّ في الأخلاق الكسرويّة، وطاعته هي القيمة المركزيّة في هذه الأخلاق. ولتعزيز منزلته وُظِّفت كتب ونُسجت أساطير، لتخليد هذه القيمة في وجدان الفرس وفي ثقافتهم القوميّة. مِن ذلك «كتاب

(١) عهد أردشير، تحقيق إحسان عبّاس، مقدّمة المحقّق، ص٧.

التاج في أخلاق أنوشروان» الذي ضاع أصله، والذي لا شكّ أنّ الجاحظ (؟)[١] قد استفاد منه في كتابه «أخلاق الملوك»، الذي نُشر بعنوان «كتاب التاج في أخلاق الملوك»، وهو كتاب يرسم أخلاق الملوك في إيوانهم، مع حاشيتهم وندمائهم»[٢]. «هذه الصفات المعنويّة، الخارقة للعادة، نقرؤها مشخَّصةً حسّيّةً عبر مشاهد يقدّمها لنا الجاحظ (؟) في كتابه»[٣].

---

(١) علامة الاستفهام في هذا الموضع وما شاكله في سائر النصّ المنقول عن الجابري هي من لدن الباحث وليست في الأصل.

(٢) الجابري، العقل الأخلاقي العربي، ص١٦٧.

(٣) الجابري، العقل الأخلاقي العربي، ص١٦٧. واللافت للنظر أنّ الجابري يبدو -في الشطر الأوّل من دراسته- شديد الثقة بصحّة نسبة الكتاب إلى الجاحظ، بل إنّه يتعمّد التعبير عن هذه الثقة بكثرة ترداد اسم «الجاحظ» مقرونـاً باسم الكتاب تارةً ومنفصلاً عنه تارةً أخرى، ويتحرّز من أن يصدر عنه ما قد يوحي بأنّ نسبة هذا الكتاب محلّ خلاف. ثمّ بعد أن يفرغ من هذا الشطر من دراسته، ويطمئنّ إلى أنّه أرسى فكرته القائمة على تأكيد دور الجاحظ –بما له من قيمة رمزيّة في الأدب العربيّ، بل في التراث العربيّ كلّه- تعرِض منه لمحة خاطفة إلى هذا الاختلاف أو الشكّ في نسبة الكتاب، مع أنّ العادة في البحث تقتضي خلاف ذلك؛ إذ كان الأحرى أن تكون هذه الإشارة في أوّل ذكْر لكتاب «التاج»، وليس بعد مضيّ عشرات الصفحات (ما بين الصفحة ١٦٧ والصفحة ٢٠٦)، وبعد ترداده مرتبطـاً باسم الجاحظ مراراً وتكراراً، وبعد اتّخاذ ذلك دعامة أساسيّة يقوم عليها جانب كبير من فرضيّة البحث برمّته. وعجيبٌ حقّـاً ذلك الأسلوب الذي استعمله الجابري عند ذكره الكتاب في الموضع الذي ألمح فيه إلى الشكّ في نسبته، والذي يوحي بأنّه يُحيل عليه للمرّة الأولى؛ فقد جاءت عبارته على هذا النحو: «وهذا [نظام القيم الذي يصدر عنه ابن قتيبة في كتابه «عيون الأخبار»] بعينه هو النظام الاجتماعيّ الذي كرّسته الدولة الساسانيّة منذ أردشير، وانتقل إلى الدولة العبّاسيّة مع الموروث الفارسيّ، وهو نفسه النظام الذي عرضه وأشاد به معاصر لابن قتيبة –مؤلّف «كتاب أخلاق الملوك» المنسوب إلى الجاحظ (تارة باسم كتاب «التاج»)-» (العقل الأخلاقي العربي، ٢٠٦).

لعلّه قد اتّضح الآن أنّ صاحب هذا الكتاب، إنْ لم يكن شعوبيّاً صِرْفاً، فإنّه -على أقلّ تقدير- متأثّر بالفكر الشعوبيّ المتطلّع إلى نشر القِيَم الفارسيّة المتعلّقة بالـمُلك ورسومه في الدولة العبّاسيّة. فهل كان الجاحظ شعوبيّاً؟ أو كان ذا صلة بمشروع نقل القِيَم الكسرويّة هذا إلى الثقافة العربيّة؟ أو كان له أيّ ميل صريح أو ضمنيّ إلى الثقافة الفارسيّة، أو -في المقابل- ازورار عن الثقافة العربيّة؟

سنترك الإجابة عن هذا السؤال للجاحظ نفسه أوّلاً، وللدارسين للحضارة الإسلاميّة وتاريخ الأدب العربيّ وللجاحظ وتراثه ثانياً.

أمّا الجاحظ فإنّه يربط في قول مشهور له -في» كتاب الحيوان»- بين الشعوبيّة والزندقة ربط سببٍ بنتيجة؛ فيقول: «إنّ عامّة من ارتاب بالإسلام إنّما كان أوّل ذلك رأي الشعوبيّة والتمادي فيه وطول الجدال المؤدّي إلى القتال؛ فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله، وإنْ أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، وإذا أبغض تلك الجزيرة أحبّ من أبعض تلك الجزيرة؛ فلا تزال الحالات تنتقل به حتّى ينسلخ من الإسلام؛ إذْ كانت العرب هي التي جاءت به، وكانوا السلف والقدوة»[1].

وإذا كانت الشعوبيّة تقتضي الزندقة على هذا النحو، فإنّ التبرُّؤ من إحداهما يقتضي البراءة من الأخرى، وقد غمز الجاحظ الزنادقة في غير موضع من كتبه، وعاب منحاهم في تأليف كتبهم، وما يضمّنونه إيّاها من أمور لا تنفع في معاش ولا معاد، بأسلوب ساخر سخرية لاذعة، وذلك في مقابل طريقته هو في التأليف. من ذلك قولُه في كتاب الحيوان: «ليس في كتبهم مثَل سائر، ولا خبر طريف، ولا صنعة أدب، ولا حكمة غريبة، ولا فلسفة، ولا مسألة كلاميّة، ولا تعريف صناعة، ولا استخراج آلة، ولا تعليم فلاحة، ولا تدبير حرب، ولا مقارعة عن دين، ولا مناضلة عن نِحْلة. وجُلّ ما فيها ذِكْرُ النور والظلمة، وتناكُح الشياطين، وتسافُد العفاريت،

(١) الجاحظ، كتاب الحيوان، ٧/ ٢٢٠.

وذِكْر الصنديد، والتهويل بعمود السنخ، والإخبار عن شقلون، وعن الهامة والهمامة، وكلُّه هذْر وعِيّ وخرافة، وسخرية وتكذُّب، لاترى فيه موعظة حسنة، ولا حديثًا مونِقًا، ولا تدبير معاش، ولا سياسةَ عامّةٍ، ولا ترتيب خاصة. فأيّ كتاب أجهلُ، وأيّ تدبير أفسد من كتابٍ يوجب على الناس الإطاعة، والبخوع بالديانة، لا على جهة الاستبصار والمحبّة، وليس فيه صلاح معاش ولا تصحيح دين؟!(١).

وأمّا الدارسون والباحثون فليس بينهم خلاف في نفي صفة الشعوبيّة عن الجاحظ، بل إنّ معظمهم يذهب -على النقيض من ذلك- إلى وصفه بالتعصّب للعرب والعروبة، وانبرائه مدافعًا عنهما ضدّاً على الشعوبيّة ودعاتها.

يصف أحمد أمين في كتابه «ضحى الإسلام» موقف الجاحظ من الشعوبيّة؛ فيقول: «والجاحظ -بوجه خاصّ- من الصعب عدّه شعوبيًّا؛ فقد انبرى في كتابه «البيان والتبيين» للردّ على مطاعن الشعوبيّة، وسفّه رأيهم، بما يدلّ على إخلاصٍ فيما يقول»(٢). وألّف «كتاب العصا»(٣) للردّ على الشعوبيّين الذين «عمدوا إلى مزيّة العرب الظاهرة التي يعتزّون بها، وهي البلاغة وقوّة الخطابة وحضور البديهة، فأخذوا ينتقصونهم في ذلك من نواحٍ مختلفة(٤)، كالإشارة بالأيدي والمخاصر والعصيّ.... الخ(٥).

ويُؤيد شارل بلّا في سياق حديثه عن الشعوبيّة والزندقة في البصرة في كتابه «الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء» ما وصف به أحمد أمين موقف الجاحظ من

---

(١) الجاحظ، كتاب الحيوان، ١/ ٥٧ -٥٨، وانظر الصفحتين السابقتين لهذا الموضع في وصف «حرص الزنادقة على تحسين كتبهم» من الناحية الشكليّة.

(٢) أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ١/ ٧٩.

(٣) بابٌ في كتاب «البيان والتبيين»، يفتتح به الجزء الثالث.

(٤) أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ١/ ٨٤.

(٥) نفس المرجع والصفحة.

الشعوبيّة؛ فيقول: «ولكنّ العرب عمدوا –عندما استطاع الأعاجم ترجيح الكفّة نحوهم في القرن الثالث– إلى شنّ هجوم معاكس بقيادة كتّاب أشهرهم الجاحظ وابن قتيبة»(١). فهو لم يكن بعيداً عن الفكر الشعوبيّ فحسب، بل كان مناهضاً لذلك الفكر ومدافعاً لأصحابه. يؤكّد هذا نصٌّ آخر لشارل بلّا يقول فيه: «اجتمع [الجاحظ] أيضاً [في بغداد] بطائفة من الرجال، منهم رجلان شعوبيّان مشهوران، هما سهل بن هارون (ت ٢٤٤هـ)، الذي أوحى للجاحظ ببعض الأبحاث في الدفاع عن العرب، ومحمد بن الجهم البرمكيّ مترجم «خداي نامه»، وهو الذي انصبّت عليه نقمة الجاحظ ونقده»(٢). ويقول في نفي أيّ تعارض بين تعصّب الجاحظ للعرب ورجوعه إلى أصل غير عربيّ: «وهو، وإنْ لم يتميّز بتحدّره من عِرق عربيّ، فهو قد اندمج بالعرب من قديم، وهذا ما يُتيح له التكلّم باسمهم، وأنْ يناضل ضدّ تدخّل الأعاجم في الدولة»(٣).

ولا يخرج شوقي ضيف في هذه المسألة عن الإطار الذي رسمه أحمد أمين وشارل بلّا من قبل، بل إنّه يبدو شديد الحماس في شرح موقف الجاحظ في محاربة التيّار الشعوبيّ لعصره، والدفاع عن العرب وتراثهم الحضاريّ. ولا يخطر بباله أصلاً أن يقرن الجاحظ بالشعوبيّة، حتّى يشعر بالحاجة إلى تبرئته منها أو خوضِ دفاعٍ عنه لا يرى له مسوّغاً من أساسه. وهو يتجاوز النصوص التي ينحو فيها الجاحظ على الشعوبيّة بالذمّ صراحةً إلى تأويل بعض النصوص التي ربّما يُخفي ظاهرُها ارتباطها بهذا الموضوع، كتلك المناظرة بين صاحب الكلب وصاحب الديك التي شغلت حيّزاً واسعاً في «كتاب الحيوان»، والمناظرة الأخرى بين الجمل

---

(١) بلّا، شارل، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامرّاء، ص٣١١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٠٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٩٢-٣٩٣.

والفيل، وحتّى «كتاب الزرع والنخيل» يحمله على هذا المحمل[١].

والحقّ أنّ شوقي ضيف توسّع هنا في بسط فكرة سبقه إليها شارل بلّا، في سياق حديثه عن المشاغل الفكريّة لمثقّفي بغداد، التي يُسمَع صداها في «كتاب الحيوان»[٢].

وبعدُ، فهل يمكن الجمع بين العداوة للشعوبيّة والتعصّب للعرب وتراثهم وبين الإسهام الكبير في نقل القِيَم والرسوم الفارسيّة المتعلّقة بالسياسة والـمُلك إلى الدولة العربيّة، حتّى تنطبع بطابع الفرس في هذه الناحية الأساسيّة من نواحي الدولة؟!

إذا كان الجاحظ قد اشترك في «معركة الكتب» كما يسمّيها هملتون جيب[٣]، التي نشأت بين فئة الكتّاب الحاملين للفكر الشعوبيّ والمروّجين له بترجمة الكتب الفارسيّة بما تشتمل عليه مِن قِيَم أدبيّة واجتماعيّة وثقافيّة ونظُم إداريّة وسياسيّة- إلى العربيّة، وبين المدافعين عن الثقافة العربيّة والإسلاميّة، فإنّ الجانب الصحيح الذي ينبغي أن يوضَع فيه الجاحظ ليس الجانب الأوّل، وإنّما الثاني المناوئ له.

ثانياً: المرجعيّات

نظرةٌ سريعة في الفهارس التي صنعها عبد السلام هارون وغيره من محقّقي كتب الجاحظ تكفي لتكوين فكرة واضحة عن مرجعيّاته: القرآن، والحديث،

---

(١) ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ٥٩٨-٦٠١؛ وكذلك ص٩٨ في وصف جهد الجاحظ في الدفاع عن العرب في كتاب «البيان والتبيين».

(٢) بلّا، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامرّاء، ص ٤٠١.

(٣) الجابري، العقل الأخلاقي العربي، ص١٩٧، نقلاً عن هملتون جيب، دراسات في حضارات الإسلام.

وأشعار العرب، وأمثالها، وأخبارها، بالإضافة إلى فلسفة اليونان، وقليل من أخبار الفرس وحِكمهم، وكذلك تجاربه الشخصيّة، وما يرويه من تجارب معاصريه وغيرهم، وأيضـاً ما يقوده إليه عقله من قياس واستدلال. هذه هي جملة مرجعيّات الجاحظ[١]، وهي -كما ترى- مرجعيّات عربيّة إسلاميّة بالدرجة الأولى، دون إهمال للثقافات الأجنبيّة، ولكنْ -في المقابل- دون أن تطغى هذه الثقافات على الثقافة العربيّة. ولو أردنا أن نوازن بين ما يستعيره الجاحظ من الثقافتين اليونانيّة والفارسيّة، لَوجدنا كفّة اليونانيّة هي الراجحة.

وسنقف -فيما يأتي- عند بعض المواضع التي يصرّح فيها الجاحظ بالمصادر التي يستمدّ منها في كتبه ورسائله، ثمّ نَعرض لآراء بعض الدارسين المحدَثين في هذه المسألة، وأخيراً نعقد موازنة بين ما كشفه لنا البحث من مصادر الجاحظ، ومصادر صاحب كتاب «التاج» التي اعتمد عليها في كتابه، لنرى مدى الاتّفاق أو الاختلاف في هذه الناحية.

يعدّد الجاحظ المصادر التي استقى منها مادّة رسالته في «النساء» ؛ فيذكر «الكتاب الناطق، والخبر الصادق، والشاهد العدل، والمثل السائر»[٢]، ويعلّل اعتمادَه على هذه المصادر بحرصه على أن «يخرج الكتاب عربيّـاً أعرابيّـاً، وسنّيّـاً جماعيّـاً»[٣]. ويقول -في «كتاب الحيوان»، في أثناء المناظرة التي عقدها بين صاحب الكلب وصاحب الديك، مشيراً إلى المصادر التي يستقي منها مادّة هذه المناظرة-: «بالأشعار المشهورة، والأحاديث المأثورة، وبالكتب المنزَّلة، والأمثال السائرة،

---

(١) تحرّى عبد السلام هارون هذه المرجعيّات في تقديمه لكتاب الحيوان، ص١٨-٢٤.

(٢) الجاحظ، الرسائل، ٣/ ١٥٢، وبالألفاظ نفسها تقريبـاً يذكر مصادره في «كتاب الحيوان»، ١/ ١١.

(٣) المصدر نفسه ٣/ ١٥٢.

وعن تجربة الناس لها وفراستهم فيها وما عاينوا منها»[١].

وليس ثمّة مجال للخلاف بين الدارسين في مرجعيّات الجاحظ؛ فإنّ الأمر أبْيَن مِن أن يقع فيه خلاف، ولكنْ لا بأس في الاستئناس بطرَف من أقوالهم في هذا الشأن؛ فإنّها قد تتضمّن بعض اللمحات المفيدة؛ فعلى سبيل المثال نجد هذا البحث في المرجعيّات يدفع شارل بلّا «إلى التساؤل عمّا إذا كان في استطاعة الجاحظ –إلى جانب الكتب المترجمة– قراءة الفهلويّة في نصوصها»[٢]، ويجيب عن هذا التساؤل: «نحن لا نعتقد بذلك شخصيّاً، على الرغم من أنّه عرف الفارسيّة الدارجة بشكل يفوق معرفة معاصريه لها»[٣]، ولا يلبث أن يضيف في تفصيل جوابه: «وأغلب الظنّ –ولا مجال هنا للتأكيد– أنّ الجاحظ قد أشبع رغبته بمطالعة الكتب المترجمة عن الفارسيّة التي وصلت إليه، ولم تكن هذه عديدة، ولكنّها كانت كافية لإعطائه معلومات عامّة عن تاريخ الفرس... إنّ نقص الوثائق يدعونا إلى الوقوف من هذه القضيّة موقف الحيطة والحذر»[٤].

ولئن كان شارل بلّا يقف من مسألة معرفة الجاحظ باللغة الفهلويّة معرفةً تمكّنه من قراءة كتبها «موقف الحيطة والحذر» –كما يقول–، فإنّه يبدو في غاية الثقة بصدد المصادر التي استند إليها الجاحظ في مصنَّفاته، سواء عليه أكان بإمكانه القراءة في الفهلويّة أم لم يكن؛ إذ تُظهر الموازنة بينه وبين أوائل الناثرين «أنّ الناثرين الأوّلين يستوحون جزءاً كبيراً من آثارهم من مصادر أجنبيّة، وليس لآثارهم من العربيّة إلا اللغة...، أمّا الجاحظ فكان على نقيض هؤلاء؛ فقد جهد في جمع عناصر الأدب

---

(١) الجاحظ، كتاب الحيوان، ١/ ٢٢٣.

(٢) بلّا، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامرّاء، ص١١٦.

(٣) المرجع نفسه، ص١١٦.

(٤) بلّا، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامرّاء، ص١١٧.

القديم وتعميمها؛ فهيّأ بذلك مادّة [بديلة] للكتّاب الذين استهوتهم الثقافة الفارسيّة كثيراً»(١).

ويؤكّد شارل بلّا هذا الموقف المتناقض بين الجاحظ وبين كثير من سابقيه ومعاصريه من الناثرين، في موضع آخر، يتضمّن زيادة في تفصيل فكرته، حيث يقول: «تعاطى النثر في القسم الأكبر منه جماعةٌ من الأعاجم الذين حاولوا بعد عبد الحميد الكاتب وابن المقفّع إدخال العنصر الإيرانيّ في الإسلام؛ فترجموا ووَفّقوا بين الأدبين الفارسيّ والعربيّ، وبكلمة أوضح: أسبغوا الشكل العربيّ على فكرٍ وأبحاث أجنبيّة... وعندما ظهر الجاحظ، فهو -كغيره من الكتّاب- استعمل النثر، ولكنّه استمدّ معلوماته البحثيّة من التراث الأدبيّ والدينيّ العربيّ، ذلك التراث الذي شُغل معاصروه البصريّون بجمع عناصره المبعثَرة، وقد حاول الجاحظ ذاته أن ينتخب من بين هذه الكتل من الموادّ، لكي يفرض أحسنها على كتّاب الدواوين الذين اعتمدوا على الثقافة الإيرانيّة»(٢).

وفي مجال الموازنة بين الحيّز الذي شغلته الثقافة الفارسيّة والآخَر الذي شغلته الثقافة اليونانيّة في كتب الجاحظ ورسائله يقول شارل بلّا: «لم يفسح الجاحظ في مؤلّفاته سوى مجال محدود للثقافة الإيرانيّة، إلا أنّه يقبل بكلّ طيبة التأثير الهيليني الذي تراءى له أنّه لا يشكّل خطراً مباشراً على العرب؛ لأنّ اليونان لم يختلطوا -كالفرس- بالعرب»(٣).

ونرى شوقي ضيف يؤيّد ما ذهب إليه شارل بلّا في هذه المسألة، مِن اعتماد الجاحظ على التراثَين العربيّ والإسلاميّ في مؤلّفاته، ومِن قيام هذه المؤلّفات في

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٠٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٩٢-٣٩٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٩٣، تعليق١.

مواجهة الكتب التي كانت تؤلَّف وتترجَم بغرض الترويج للثقافة الفارسيّة؛ مِن ذلك أنّه جعل سبب تأليف الجاحظ لكتاب «البيان والتبيين» هو الردّ على دُعاة الشعوبيّة؛ «إذ خصّصه لعرض الثقافة العربيّة الخالصة في صورها المختلفة من الخطابة والشعر والأمثال؛ كي يرَوا رؤية العين ما في هذه الثقافة من قِيَم بلاغيّة وجماليّة»(١).

والآن، فلْندع كتب الجاحظ وثيقةَ النسبة إليه، ولْنلتفت إلى كتاب «التاج»، لنفتّشَ عن مصادره ومرجعيّاته. والحقُّ أنّ الوقوف على مصادر صاحب «التاج» التي متح منها مادّة كتابه لا يحتاج إلى كبير عناء؛ فهي أوضح من أن تحتاج إلى تنقير أو أن تكون محلًّا للخلاف، وبحسبنا أن نجد صاحب الكتاب نفسَه يعلن صراحةً -في أوّل الباب الخاصّ بأخلاق الملوك مع ندمائهم- أنّه سيبدأ «بملوك الأعاجم؛ إذ كانوا هم الأوّل في ذلك، وعنهم أخذنا قوانين الملك والمملكة، وترتيب الخاصّة والعامّة، وسياسة الرعيّة، وإلزام كلّ طبقة حظَّها والاقتصارَ على جديلتها»(٢).

فمن المنتظَر -والحالة هذه- أن يكون الفرس وثقافتهم، بما فيها من قوانين ملوكهم، هي المصدر الأوّل والرئيس للكتاب كلّه، وأن يرفعها صاحبه إلى منزلة «النواميس والشرائع»(٣).

صحيحٌ أنّ الكتاب يشتمل على أخبار عن «ملوك» الأمويّين والعبّاسيّين، يأتي بها المؤلّف في المرتبة الثانية بعد ملوك الفرس، ولكنْ ليس على سبيل استفادة قانون منها، وإنّما لتقييم درجة امتثال أصحابها لقوانين أساتذتهم من الفرس.

ويكفي أن تعلم أنّ الكتاب بتمامه -فيما عدا المقدّمة- لا يكاد يشتمل على ما يبلغ أصابع اليد الواحدة من النصوص التي تنتمي إلى حقول الثقافة العربيّة الخالصة

---

(١) ضيف، العصر العباسي الثاني، ص٩٨.

(٢) الجاحظ(؟)، التاج، ص٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص٧.

أو الثقافة الإسلاميّة؛ فلا شعر ولا مثَل ولا قرآن ولا حديث ولا أيّ شيء من هذا القبيل. ولست أدري، هل كان بإمكان الجاحظ أن يؤلّف كتاباً في حجم هذا الكتاب -أو أصغر منه- دون أن يجري قلمه بقدْر صالح من ذلك؟ لا جرم أنّه كان سيتكلّف عناء شديداً في ضبط نفسه! وقد رأينا كيف عدَل الجاحظ عن الحديث في موضوع برمّته في «كتاب الحيوان»؛ لأنّه لم يجد فيه ما يُسعفه من حقول الثقافة العربيّة الخالصة[1].

ثالثاً: الاعتزال

من شأن الحديث عن الشعوبيّة والمرجعيّات أن يقودنا -على نحوٍ ما- إلى الحديث عن الاعتزال، لكونها جميعاً منطلَقات فكريّة، يصعب تناول موقف الجاحظ أو غيره من أحدها بمنأى عن البقيّة.

ولزيادة توضيح الصلة بين الاعتزال والشعوبيّة ننقل هذا النصّ لشارل بلّا، وفيه يعلّل اعتناق الجاحظ لمذهب الاعتزال؛ يقول: «وقد اعتنق الجاحظ مذهب الاعتزال دفعة واحدة، وحضر انتصاراته المؤقّتة، وكان يشعر دوماً بدور الاعتزال التحريريّ، وحيويّته في محاربة الإلحاد الناشئ في قلب الإسلام من جهة، والتأثيرات الإيرانيّة الخبيثة من جهة أخرى»[2].

فإعداد العُدّة اللازمة للردّ على الشعوبيّة، ممثَّلة في «التأثيرات الإيرانيّة الخبيثة»، كان السبب الرئيس في انتساب الجاحظ إلى الاعتزال، وهو الأصل الذي منه يتفرّع السبب الأوّل؛ لأنّه حتّى «الإلحاد الناشئ في قلب الإسلام» يمكن إرجاع قدْر كبير منه إلى تلك التأثيرات. لقد كان الاعتزال يمثّل -بآليّاته الفكريّة المتقدّمة في

---

(١) الجاحظ، كتاب الحيوان، ٦/ ١٦.

(٢) بلّا، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامرّاء، ص١٢٢.

ذلك الحين- خطّ الدفاع الأوّل للعروبة والإسلام في وجه الشعوبيّة. وأهمُّ سلاح تسلّح به الناهضون بهذه المهمّة كان الثقافة العربيّة الخالصة، ورديفتها اللصيقة، أعني: الثقافة الإسلاميّة. وعليه، فليس من الممكن، أو الجائز في العقل، التفريقُ بين الاعتزال والعروبة والإسلام عند الجاحظ.

ولسنا معنيّين هنا بالبحث في حقيقة انتماء الجاحظ إلى هذا المذهب من مذاهب المتكلّمين؛ لأنّ هذا البحث سيكون ضربـًا من تحصيل الحاصل[١]، وإنّما الذي يعنينا هو تبيّن آثار اعتزال الجاحظ في كتبه، ثمّ التفتيش عن نظير ذلك في كتاب «التاج».

وكما أنّ حديث الاعتزال لا ينفصل عن حديث الشعوبيّة وحديث المرجعيّات، فإنّ مظاهر الاعتزال أو آثاره في أعمال الجاحظ لا تنفصل عمّا سبق أنْ عرضنا له في مباحث سالفة من هذه الدراسة، ألقينا فيها الضوء على منهجه وخصائص أسلوبه في التأليف والكتابة؛ فالجدل والمناظرة مظهران من مظاهر الاعتزال، والنقد الحرّ القائم على الاستدلال العقليّ وامتحان المسلّمات التي تحملها الروايات والأخبار مظهرٌ من مظاهر الاعتزال، والاحتفال بعناصر التراثَين العربيّ والإسلاميّ مظهرٌ من مظاهر الاعتزال.

إذا أخذنا هذا كلّه في الحسبان علمنا أنّه كان للاعتزال آثار واضحة في أدب الجاحظ، وحتّى لو لم نكن نعرف من كتب «الملل والنِّحَل» وكتب «طبقات المعتزلة» وكتب «تاريخ الأدب» أنّ الجاحظ معتزليّ، فإنّ آثار الاعتزال في كتبه ستقودنا إلى هذه النتيجة عينها.

فما هو الشأن من هذه الناحية مع كتاب «التاج»؟ هل نجد من جملة ما أسلفنا من آثارٍ شيئـًا في هذا الكتاب يدلّ على اعتناق صاحبه للاعتزال واتّخاذه له أصلاً في

(١) نفس المرجع والصفحة.

التفكير والتأليف؟

فيما عدا بضع كلمات اشتملت عليها فاتحة الكتاب، تشير إلى فكرة تنزيه الله عن الشبيه والمثيل التي قال بها المعتزلة -في مقابل أصحاب التجسيد-[١]؛ فيما عدا هذه الإشارة، لا يعكس الكتاب أيّ أثر من آثار الاعتزال التي تبدو واضحة في كتب الجاحظ كما سبق أن بيّنّا. فهل يكفي نفي صاحب «التاج» التشبيهَ عن الذات الإلهيّة -الذي اتّخذه مقدّمةً لتنزيه الملك عن الشبيه والنظير، بما يحمله هذا من تناقض لا يُسيغه عقلٌ كعقل الجاحظ؛ فإنّ نفي التشبيه عن الله وعن الملِك في الوقت نفسه يعني إثبات الشبه بين الله وبين الملك من هذه الناحية- دليلاً على أنّ صاحب الكتاب معتزليّ؟ وأنّ هذ المعتزليّ هو الجاحظ دون غيره؟

(١) الجاحظ(؟)، التاج، ص٥.

الخاتمة

وهكذا، يبدو المنهج التقليديّ في التحقيق، الذي يعتمد على الشواهد والأدلّة التاريخيّة، غيرَ كافٍ وحدَه في التحقّق من صحّة نسبة كتابٍ إلى هذا المؤلّف أو ذاك، بل يحتاج –بالإضافة إليه– إلى منهج آخَر يؤازره في عمله، منهجٍ يبحث في الكتاب من داخله، ثمّ يوازن بين نتائج هذا البحث وما تنطق به كتب أخرى أكيدة النسبة إلى المؤلّف الذي يُنسَب إليه الكتاب الأوّل على سبيل الظنّ، شريطة أن يكون هذا البحث متأنّيًا وشاملاً لكثير من ملامح «مورفولوجيا» كتب المؤلّف، وخصائص أسلوبه في الكتابة، ومرجعيّاته ومنطلَقاته الفكريّة.

هذا ما حاولناه في هذه الدراسة مع كتاب «التاج في أخلاق الملوك» المنسوب إلى الجاحظ، وكانت النتيجة التي أوصل إليها البحث استبعاد صحّة هذه النسبة؛ فلا طريقة التأليف، ولا خصائص الأسلوب، ولا المرجعيّات والأسس الفكريّة– تؤيّد صحّة هذه النسبة.

بقي أن نؤكّد دعوة محقّقي كتب التراث إلى إيلاء هذا المنحى في الدراسة العناية التي يستحقّها، وأن يفسحوا له مجالاً إلى جانب الطريقة التاريخيّة المحضة؛ فإنّ لهذا المنحى ثمرات، أرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع قد أسهم في الإبانة عن نفعها في هذا الميدان.

والحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر:

- القرآن الكريم.
- أردشير. عهد أردشير، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧.
- الثعلبي، محمّد بن الحارث. أخلاق الملوك، تحقيق جليل العطية، ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٣.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ). البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨.
- الجاحظ. رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ.
- الجاحظ. كتاب التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، المطبعة الأميريّة بمصر، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م.
- الجاحظ. كتاب التاج في أخلاق الملوك، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، ١٩٧٠.
- الجاحظ. كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٥.
- الجاحظ. المحاسن والأضداد، عُني بتصحيحه محمد أمين الخانجي، ط١، ١٣٢٤هـ.
- الحموي، ياقوت (ت٦٢٢ه). معجم الأدباء، تحقيق إحسان عبّاس، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣.
- ابن رزين الكاتب، أبو الحسن عليّ. آداب الملوك، تحقيق جليل العطية، ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠١.

- المسعودي، أبو الحسن عليّ بن الحسين (ت٣٤٦هـ). مروج الذهب، مطبعة السعادة، ١٣٦٧هـ.

المراجع:

- أمين، أحمد. ضحى الإسلام، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مكتبة الأسرة، ١٩٩٧.

- بروب، فلاديمير. مورفولوجيا القصّة، ترجمة عبد الكريم حسن وسميرة بن عمّو، ط١، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٦.

- بلّا، شارل. الجاحظ في البصرة وبغداد وسامرّاء، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار اليقظة العربيّة للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٦١.

- الجابري، محمد عابد. العقل الأخلاقيّ العربيّ: دراسة تحليليّة نقديّة لنظُم القِيَم في الثقافة العربيّة، ط١، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ٢٠٠١.

- ضيف، شوقي. العصر العبّاسيّ الثاني، ط١٢، دار المعارف، بدون تاريخ.

- ضيف، شوقي. الفنّ ومذاهبه في النثر العربيّ، ط٩، دار المعارف، بدون تاريخ.

- العلّام، عزّ الدين. الآداب السلطانيّة: دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسيّ، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير ٢٠٠٦.

An attitude to the Attribution of At-Taj to Al- Jahiz

Abstract

Investigators of heritage books made great efforts in auditing the texts of such books and the correct attribution of them to their authors. Nevertheless; there remain many doubts about the true attribution of those books to their authors that still create the need of another mechanism in addition to the mechanisms used by the traditional investigators, which is made available to them by the historical approach of invistigation. This external traditional invistigation method, roughly speaking, does not seem enough for some books, which their historical evidence does not help in their attribution to their authors. These books need some other mechanism, which is to study the text from the inside by detecting its methodology and characteristics, and then by comparing the methods in such books to the approaches of their attributed authors and their characteristics. This could happen after extrapolating their methodolgy from their other authentic books. This study is an attempt to investgate this issue with one of these heritage books, At-taj fi Akhlaq Al Mulook, which is attributed to Al-Jahiz, and which scholars are still in depate about its author.

Therfore, the expected result of this study is attempt to show whether it is possible to validate the attribution of At-taj to Al-Jahiz or to negate that by reffering to what we understand and conclude from Al-Jahiz's methodology and the characteristics of

his style of writing, his references, and his intellectual perspictives...etc.

Keywords

Literature of Al-Jahiz, the book "At-taj fi Akhlaq Al Mulook", investigating texts heritage.

ثالثًا:

الدراســات الاجتماعية

نقط الاستقرار العمرانية في حوض وادي الرمة الأدنى دراسة تصنيفية لدرجة خطورة الفيضان المائي

أ. د. مساعد بن عبد الرحمن الجخيدب

جغرافية حضرية – قسم الجغرافيا/ جامعة القصيم

jukaideb@hotmail.com

تاريخ التحكيم: ٢٥/ ٦/ ١٤٣٦ تاريخ الإجازة: ١٠/ ١٠/ ١٤٣٦

المستخلص:

يتلخص هدف الدراسة في تصنيف الاستخدامات العمرانية المتوطنة بالقرب أو المحاذية لمجرى وادي الرمة في مستويات عند حدوث الفيضان. وخلصت الدراسة إلى وجود ٩٩ نقطة عمرانية في مواضع خطرة وعالية الخطورة؛ حيث إنها تقع في منسوب أقل من ٣م عن مجرى الوادي، كما سجلت دراسة علاقة منسوب مجرى الوادي بالكتلة العمرانية للنقاط (٠,٠٦٦). وهي بذلك أقرب إلى الصفرية في قيمتها، وهذا يوحي بالعشوائية، وربما عدم العناية بقضية الجريان أو حتى الفيضان.

الكلمات المفتاحية:

القصيم، خطورة الفيضان، نقط الاستقرار، وادي الرمة، الكتلة العمرانية.

مدخل:

وهب الله –سبحانه وتعالى– منطقة القصيم شريانـًا من الحياة متمثلاً بجريان وادي الرمة في أراض قد تغطي أكثر من ٨٥٪ من مساحة المنطقة بروافده المتعددة. وكان التعايش مع وادي الرمة قبل التنمية – في التسعينيات الهجرية وما قبلها – مقبولا وشبه متكافئ، ثم بدأ يطغى جانب التوسع بالتنمية تجاه مجرى وادي الرمة؛ ومن ذلك زيادة نقط الاستقرار على ضفافه. وتُعد دراسة وتوصيف الوضع القائم للنقاط العمرانية (نقط الاستقرار البشرية) ضرورة يمكن من خلالها تحديد وتصنيف حجم المخاطر التي تكتنف هذه النقاط عند جريان وفيضان وادي الرمة.

أولا: الإجراءات المنهجية

١-١ أهداف الدراسة:

تتشعب محاور دراسة وادي الرمة نظرا لاتساع التخصصات التي تخدم تفاعله بمحيطه الطبيعي والبشري، ولتقليص هذا الميدان الواسع فقد تم حصر هدف هذه الدراسة في: **تصنيف درجة خطورة فيضان الوادي على النقاط العمرانية القريبة أو المحاذية لمجراه**. وسيتبلور عن هذا الهدف عمل قاعدة بيانات لتحديد ارتفاعات المستوطنات العمرانية عن مجرى الوادي، كما ستكون من مخرجات هذا الهدف قاعدة بيانات ترصد حجم الكتلة العمرانية في كل نقطة عمرانية، وأيضا تصنيف لأبعاد النقط العمرانية عن مجرى الوادي، وستخلص الدراسة في النهاية إلى وضع بعض الاستراتيجيات لحماية المستوطنات من طغيان المياه عليها. ولقد تم بالفعل رصد مجموعة كبيرة من النقط العمرانية المحاذية للمجرى بلغت أكثر من ٦٥٤ نقطة، وتم الاقتصار على النقط التي احتواها الفيضان في عام ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م)، والبالغة ٢١٣ نقطة امتدت على مسافة تصل إلى ١٢٥كم.

١-٢ مشكلة الدراسة:

تظهر آثار ارتفاع منسوب المياه في حوض وادي الرمة الأدنى على مجموعة من المستوطنات أو النقط العمرانية التي نمت في فترة التنمية (١٣٩٠-١٤٣٠هـ) وبالتحديد تلك التي شيدت في فترة ما بعد عام الفيضان الواسع عام ١٤٠٢هـ، حيث كان من الأولى أن تكون حدود الفيضان الذي حصل في تلك السنة خطا أحمر لا يمكن تجاوزه والتوسع فيما دونه من منسوب في جميع الأنشطة الاقتصادية، وأهمها العمران الحضري أو الريفي الذي استحدث بعد تلك الفترة ١٤٠١/ ١٤٠٢هـ.

ويعتقد أغلب المنتفعين بموارد وادي الرمة أن البعد عن المجرى يضمن لهم سلامة الاستغلال الاقتصادي أو الاستقرار البشري وهذا مخالف لمبدأ تباين المناسيب الأرضية، فلربما تجد مستوطنات على ضفاف المجرى تكون محمية من تبعات الفيضان، في حين تجد أن مستوطنات تبتعد أكثر من ٣كم من مجرى الوادي وتكون مهددة بالفيضان المائي بسبب تقارب موضعها مع منسوب مجرى الوادي في الارتفاع، ومثال على الأولى مدينة النور -١٥٠م عن المجرى - وما يقابلها قرية البويطن جنوب الوادي التي تبعد ٥ , ٢كم عن المجرى.

وإن الاستيطان السكني على جنبات مجرى وادي الرمة - في مناسيبها الدنيا - تؤكد عظم الجهل بالمتغيرات الجغرافية المناخية التي تتابع كل ثلاثة عقود، كما أن بعض التغيرات البيئية النباتية التي حلت بمجرى الوادي يمكن أن تكون لها انعكاسات سلبية في رفع منسوب المياه عند الفيضان، ومن ذلك وجود نبات القصبا في بطن الوادي مشكلة سدا طبيعيا للمياه، حيث يسهم في تعثر انسيابية الصبيب في المناطق الشرقية من القصيم. ويتبلور التساؤل الرئيس في المحور العمراني بـ:

هل الاستخدامات العمرانية المتوطنة بالقرب أو المحاذية لمجرى الودي متوازية في مستوى الخطر؟

١-٣ الفرضيات:

-يكون حجم وتركز المستوطنات بالاتجاه نحو مصب الوادي (موضع انطماس المجرى).

-لا توجد علاقة قوية بين حجم الكتلة السكنية للنقاط العمرانية ومنسوبها عن مجرى وادي الرمة عند مستوى دلالة ٠,٠٥.

-لا توجد فروق جوهرية بين حجم الكتلة السكنية والبعد عن مجرى الوادي عند مستوى دلالة ٠,٠٥.

١-٤ الدراسات السابقة:

درس الجعيدي (١٤٢٦هـ)، استخدام صور الاستشعار عن بعد الرقمية عالية الوضوح المكاني لتحديد امتداد فيضانات السيول في سهل الخرج، وكان الهدف من وراء تلك الدراسة توظيف المرئيات الفضائية في معرفة المناطق الأكثر عرضة للفيضان عبر التغير الذي يحصل للتربة المحاذية للمجاري المائية في تشبعها بالمياه لفترتين إحداهما قبل الفيضان والأخرى بعد الفيضان. واستطاعت الدراسة وضع خريطة موضوعية للمناطق التي غمرها الفيضان عام ١٤٢٤هـ. ولعل الدقة ارتبطت باتساع الفاصل الزمني الذي استخدمت فيه المرئيات (أكثر من ٥٠ يوما) والناتج عن مؤثرات الجو وإمكانية مرور القمر الصناعي على المنطقة، الأمر لا يتاح أحيانا بشكل يستطيع رصد الحدث مباشرة مما ينتج عنه ارتفاع كفاءة التحديد من عدمها.

وقام علي أحمد الحميد (١٤٣٠هـ) بدراسة علمية حول حماية محطة التوليد المركزية بالقصيم من آثار فيضان وادي الرمة، وقد حدد صور التعامل مع الكوارث الطبيعية (الفيضان) وفق أربع مراحل تبدأ بالإجراء الوقائي قبل الإنشاء، ثم الوقائي التصحيحي بعد الإنشاء، وبعدهما الإجراء الوقائي قبيل حدوث الكارثة، وأخيرا إجراءات الوقاية بعد وقوع الكارثة. ودرس موقع محطة التوليد بالنسبة لمجرى

الوادي فيما يخص المسافات والمناسيب، خاصة أن المحطة تقع إلى الشمال الغربي من السد المقام على الوادي. وقد خلصت الدراسة إلى بعض الحلول القادرة على تقليص آثار الفيضان لدرجة كبيرة بالنسبة لمحطة توليد الطاقة الكهربائية.

وقامت مشاعل آل سعود (١٤٣١هـ)، بوضع خريطة مخاطر الفيضانات والسيول في مدينة جدة عبر دراسة تلت الفيضانات التي تعرضت لها المدينة في نوفمبر ٢٠٠٩م، وكان الهدف الرئيس إنتاج خريطة لبيان المناطق التي هي عرضة لمخاطر السيول في جدة، ومن أبرز نتائجها تحديد المناطق السكنية في دائرة الخطر بحدود ٧٤,٨كم٢، وإن نسبة ٢٢,٦٪ من تلك المساحة تقع تحت الخطر الكبير بمساحة مقدارها ١٦,٩٥كم٢. وتعد هذه الدراسة بادرة صحوة علمية يمكن بها الركون إلى الدراسات الجغرافية في تتبع الآثار الناجمة عن السيول في المنشآت السكنية والاقتصادية المتاخمة للأودية.

وتبنت هيئة المساحة الجيولوجية السعودية (١٤٣٢هـ)، دراسة أصدرتها في كتيب تبين مخاطر السيول في المملكة العربية السعودية باستعراض عام بدأ بالعوامل المؤثرة في كمية الأمطار، وبيان أنواع السيول، والعوامل المسببة لمخاطر السيول، وعرض نماذج لبعض المدن التي تعاني من مخاطر السيول.

وقدم النشوان (١٤٣٤هـ) دراسة مكتملة حول درء السيول في حوض شعيب أبو صوير في مركز حرمة بمحافظة المجمعة، واستخدم لحساب كمية التدفق نموذج سنايدر Snauder's model، وخلصت الدراسة إلى أن كميات مياه الفيضان تتركز في الشمال الشرقي من حرمة (النشوان، ١٤٣٤هـ، ص٥٠).

١-٥ منهج وأساليب الدراسة:

يتلاءم المنهج الاستقرائي مع ظاهرة تصنيف نقط الاستقرار العمراني المحاذية لمجرى وادي الرمة، من حيث معرفة الخصائص التوزيعية وعلاقة ذلك

بتباين المناسيب والبعد والقرب من المجرى. كما أن هذا المنهج يستطيع وضع مقارنة بين أعداد المساكن حسب منسوبها عن المجرى. ويعتمد هذا المنهج على أسلوب التصنيف الفئوي الخماسي الرامي إلى مناقشة موضوع المشكلة في شكل مجموعات نقط استقرار عمراني تتشابه في المناسيب، وبهذا يمكن إبراز العلاقات الارتباطية وعقد المقارنات المكانية، كما يسهم التصنيف في تمثيل بعض البيانات كارتوجرافيا كأداة للتحليل والتفسير الجغرافيين.

ويعد تصنيف البيانات الإحصائية عن الظاهرة الجغرافية المدروسة في أي بحث علمي من الأمور المهمة في تحديد وتحليل اتجاهات تلك الظواهر والحكم عليها إحصائياً. وتتوقف دقة هذا الحكم على درجة دقة النتائج التي يعطيها المقياس المختار والمستخدم في هذا التصنيف. واعتمدت الدراسة على التصنيف الفئوي الخماسي الرامي إلى تقسيم النقاط العمرانية إلى فئات حسب منسوبها الطبوغرافي، ويتحدد ذلك وفقاً لحدود أربعة يرمز لها بالرموز: (ح١، ح٢، ح٣، ح٤). وتستخرج هذه الحدود بالصيغ التالية:

$$ح١ = \frac{مج\ س \times ١}{\frac{(ن+١) \times ن}{٢}}$$

$$ح٢ = \frac{(س- - ح١) + ح١}{٢}$$

$$ح٣ = \frac{(ح٤ - س-) + س-}{٢}$$

$$ح٤ = ح١ \times ن$$ (الحميدي، ١٤١٤هـ، ص١٥).

حيث: **مج س**: مجموع القيم ن: عدد القيم.

س-: متوسط مجموع القيم.

ح١: حد التطرف الأدنى. ح٤: حد التطرف الأعلى.

وقد دُعم البحث في منهجيته ببعض المعاملات الإحصائية في حساب المعدلات والارتباطات والتوزيعات لتحقق هدف البحث، واختبار فرضياته؛ ولتعطي لبعض الأحكام نوعـًا من التأييد، كما استخدمت بعض برامج الرسم الحاسوبية في تمثيل العلاقات بين المتغيرات.

ثانيا: التحليل والمناقشة

٢-١: الوضع العام للاستقرار العمراني المحاذي للمجرى

تتشكل خطورة الاستقرار العمراني على ضفاف وادي الرمة في الحوض الأدنى الذي يمتد من نفود الثويرات شرقا حتى منطقة الدرع العربي غربا وبالتحديد شمال مدينة الرس. وهذا الامتداد الكبير لمجرى الوادي خلف وراءه صورا من الاستيطان العمراني. وتعد دراسة الأوضاع العامة وسيلة يمكن أن تكون تمهيدا للتفصيل المكاني فيما بعد حول حدود وآثار فيضان ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، وتتلخص الأوضاع في التالي:

١) يكون تركز نقط الاستقرار العمراني في منطقتين إحداهما في الشمال من محافظة عنيزة والأخرى في الجزء الجنوبي والجنوبي الغربي من مركز الخبراء ومحافظة رياض الخبراء. ويبدو أن هذا التركز كان وليد الاستثمار للبيئة الزراعية في وقت مبكر، إلا أن زيادة الاستثمار غير الواعي باتجاه مجرى الوادي - في الآونة الأخيرة - بسبب ندرة الجريان لسنوات طويلة كان السبب الرئيس وراء هذا التركز العمراني في الوقت الراهن.

٢) تم رصد قرابة ٦٥٤ نقطة استقرار عمراني شكل (١)، ما بين الثويرات شرقا وبدايات الدرع العربي شمال مدينة الرس غربا بطول ١٢٥كم تقريبا، وبمعدل يصل

إلى ٢,٥ نقطة استقرار/كم. وتتشكل تلك النقاط ما بين أجزاء من مخططات عمرانية معتمدة ونقط استقرار زراعية متناهية الصغر قد لا تزيد على غرفة واحدة. واعتمد تحديد هذه المستوطنات على منسوب لا يزيد على ٥م من ارتفاع مجرى الوادي من نقطة العمران التي وقع عليه الرصد في الاتجاه المتعامد مع الوادي، تمهيدا لإسقاط هذه النقاط على مسار الفيضان الذي حدث في عام ٢٠٠٨م.

٣) تتراوح أحجام النقاط العمرانية فيما يخص الكتلة السكنية (وحدات سكنية) ما بين ١-٤٠٠ وحدة، وبمعدل ٧,١ وحدة، وتشكل نسبة نقط الاستقرار التي يبلغ حجمها ٣ مبان سكنية – وهي الأكثر – ١٨,٨٪ من مجموع نقط الاستقرار بواقع ١٢٣ نقطة.

٤) تقع نقط الاستقرار ما بين ارتفاع يصل في شرق المنطقة إلى ٥٧٣م فوق سطح البحر، ٦٥٨م في غرب المنطقة، وبهذا فإن فرق المناسيب يصل إلى ٨٥م. وعليه يكون الميل قرابة ٠,٧ م/كم. وهذا الميل البسيط أعطى للوادي إمكانية افتراش أرض تبعد عن مجراه مسافات تصل في أقصى حدودها إلى ١٠كم، كما هو الحال في جنوب شرق مدينة رياض الخبراء.

٥) يكون منسوب نقط الاستقرار عن مجرى وادي الرمة متباينا مابين خطورة عالية جدا، وخطورة عالية، وخطورة متوسطة، وخطورة محدودة شكل (١). وتم تحديد معيار إحصائي لفرز وتصنيف نقط الاستقرار حسب درجات الخطورة حسب فيضان ٢٠٠٨م. وقد بلغ عدد نقاط الاستقرار التي غمرها الفيضان عام ٢٠٠٨م ٢١٣ نقطة عمرانية.

٦) تأخذ أبعاد النقاط العمرانية عن مجرى وادي الرمة أبعادا تتراوح ما بين ٩٠- ١٠٢٠٠م ومعدل الأبعاد للنقاط يصل إلى ٢٧٦٦م. ويغلب على أبعاد النقاط

التي تقع شرق طريق بريدة عنيزة الجديد[١] المسافة التي لا تزيد على ١٠٠٠م من مجرى الوادي.

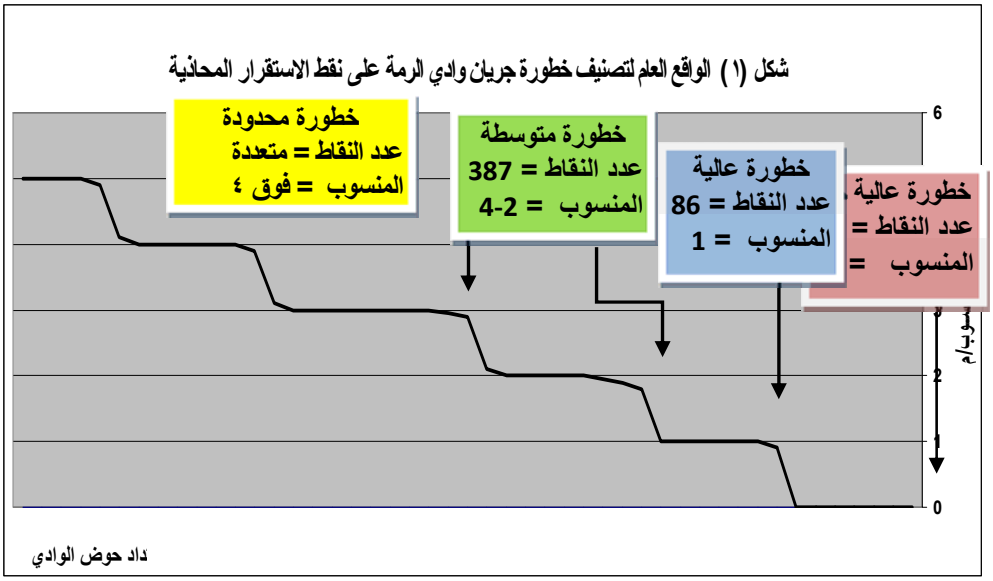

٧) تشكل الطرق الزراعية والرئيسة أداة لمضاعفة الاستقرار البشري في حوض وادي الرمة؛ فهي أشبه ما تكون بالشريان الذي يغذي نمو تلك النقط، ويجعلها كأنها في مأمن من الفيضان، ويبلغ معدل بعد النقاط عن الطرق المعبدة ٤٩٥م.

٨) تتركز نقط الاستقرار التي تم رصدها في جنوب مجرى الوادي بنسبة ١ : ٢ عن شمال المجرى، وهذا ربما خلفته البدائل المتاحة في الاستثمار الزراعي الموجودة شمال الوادي مقارنة بجنوبه، وهذا ما يجعل الاستثمار بمحاذاة شمال مجرى الوادي أقل مما عليه جنوب مجرى الوادي. ويعد التصاق محافظة عنيزة وقربها من الوادي سببا في التركز العمراني؛ لكونها لا تفصله عنها أي مظاهر

---

(١) يقصد بذلك امتداد الطريق الدائري الغربي لبريدة، الذي يربطها بمدينة عنيزة من الغرب بعد أن يقطع وادي الرمة، ويأخذ الرقم ٤٢٥ في تصنيف الطرق بمنطقة القصيم.

طبوغرافية ذات عائق في استثماره بالأنشطة الاقتصادية التي نشأ عنها استقرار عمراني مصاحب.

٩) لا يمثل مجرى الوادي في بعض مساراته الواقع الفعلي لارتفاع المجرى، وهذا بسبب التجريف الذي أصاب الوادي إبان النهضة الزراعية التي تهيأت في بداية القرن الحالي (١٤٠٠-١٤١٠هـ)، والتي تم فيها نقل عشرات الآلاف من أطنان الطين المتراكمة في المجرى لاستصلاح أراض زراعية في نفود الغميس وأجزاء من الشقيقة [١]، وظهرت صور ذلك في انخفاض المجرى بشكل غير متوافق مع ما دونه من مناسيب؛ فمثلا عند منسوب ٦٣٨م وجد أن مجرى الوادي في هذا القطاع منخفض عن القطاع الشرقي لهذا المنسوب بمقدار متر، وأحيانا بمقدار مترين، وربما يوهم هذا الانخفاض – غير الحقيقي- المستثمرين الذين يرغبون في الاستثمار الزراعي بمحاذاة تلك القطاعات من الوادي.

١٠) يغلب على طبيعة النمط العمراني لنقط الاستقرار البناء البسيط المشكل من صاج الحديد والبلوك، ويوجد بعض النقط التي تأخذ شكل عمران عالي الجودة ممثلا بالفيلات التي تقع في مخططات مدن، أو مراكز كبرى، كالبدائع، ورياض الخبراء، والنبقية.

٢-٢: النقاط العمرانية الواقعة في إطار فيضان ٢٠٠٨م

انغمر في فيضان ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م ٢١٣ نقطة عمرانية، بلغ عدد المساكن المتاحة فيها ٧٣٦ وحدة سكنية، بمعدل يصل إلى ٣,٥ وحدة/ نقطة. ويتطلب بيان خصائصها الجغرافية تصنيفها إلى فئات حسب معايير متعددة ومنها:

- التصنيف على أساس حجم الكتلة العمرانية للنقاط العمرانية.
- تصنيف النقاط العمرانية على أساس المنسوب المقارن مع مجرى الوادي.
- تصنيف النقاط العمرانية على أساس البعد عن مجرى الوادي.

٢-٢-١: التصنيف على أساس حجم الكتلة العمرانية للنقاط العمرانية

بلغ متوسط عدد الوحدات في النقاط العمرانية ٣,٥ وحدة/ نقطة، إلا أنها تختلف فيما بينها في الحجم، وهذا ما يحسن معه تصنيفها على أساس الحجم لتقدير حجم الخطورة، وبالتالي أولية المعالجة. ويحدد جدول (١) تصنيف حجم الكتلة السكنية في النقاط التي غمرها فيضان١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، والذي يتجلى فيه بعض الخصائص الجغرافية ومنها:

١) اتضح أن هناك ثماني نقط يوجد بها ٨٦ وحدة سكنية، بمعدل ١١ وحدة سكنية/ نقطة، وتأخذ هذه الفئة كثافة عمرانية عالية جدا حسب التصنيف الخماسي، وهذه الوحدات قادرة على استيعاب سكاني معين، وبمعادلة بسيطة يمكن حساب تقريبي للحجم السكاني في تلك الوحدات أو المباني؛ وتتمثل بقرابة ٦٠٠ نسمة. وتعد النقطة رقم (٤٩) ذات الإحداثيات ٠٤ً ١٦َ ٢٦ْو ٢١ً ٠٥َ ٤٤ْ أعلى تجمع سكني بحجم ١٨ وحدة سكنية، وهي عبارة عن مجموعة استراحات شكل (٢).

جدول (١) تصنيف حجم الكتلة السكنية في النقاط العمرانية التي غمرها فيضان ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

فئات حجم المساكن	عدد النقاط العمرانية	حجم الوحدات السكنية/ مسكنا	التصنيف العمراني
صفر < ٠,٠٠٣	-	-	كثافة عمرانية منخفضة جدا
٠,٠٠٣ < ١,٧٤	٤٢	٤٢	كثافة عمرانية منخفضة
١,٧٤ < ٥,١٦	١٣٧	٤٣١	كثافة عمرانية متوسطة
٥,١٦ < ٨,٨٧	٢٦	١٧٧	كثافة عمرانية عالية
٨,٨٧ <	٨	٨٦	كثافة عمرانية عالية جدا
الإجمالي	٢١٣	٧٣٦	-

المصدر: حساب الباحث استنادا على بيانات ملحق: ١.

شكل (٢) طبيعة توزيع حجم النقط العمرانية المحاذية لأحد القطاعات المكانية بوادي الرمة

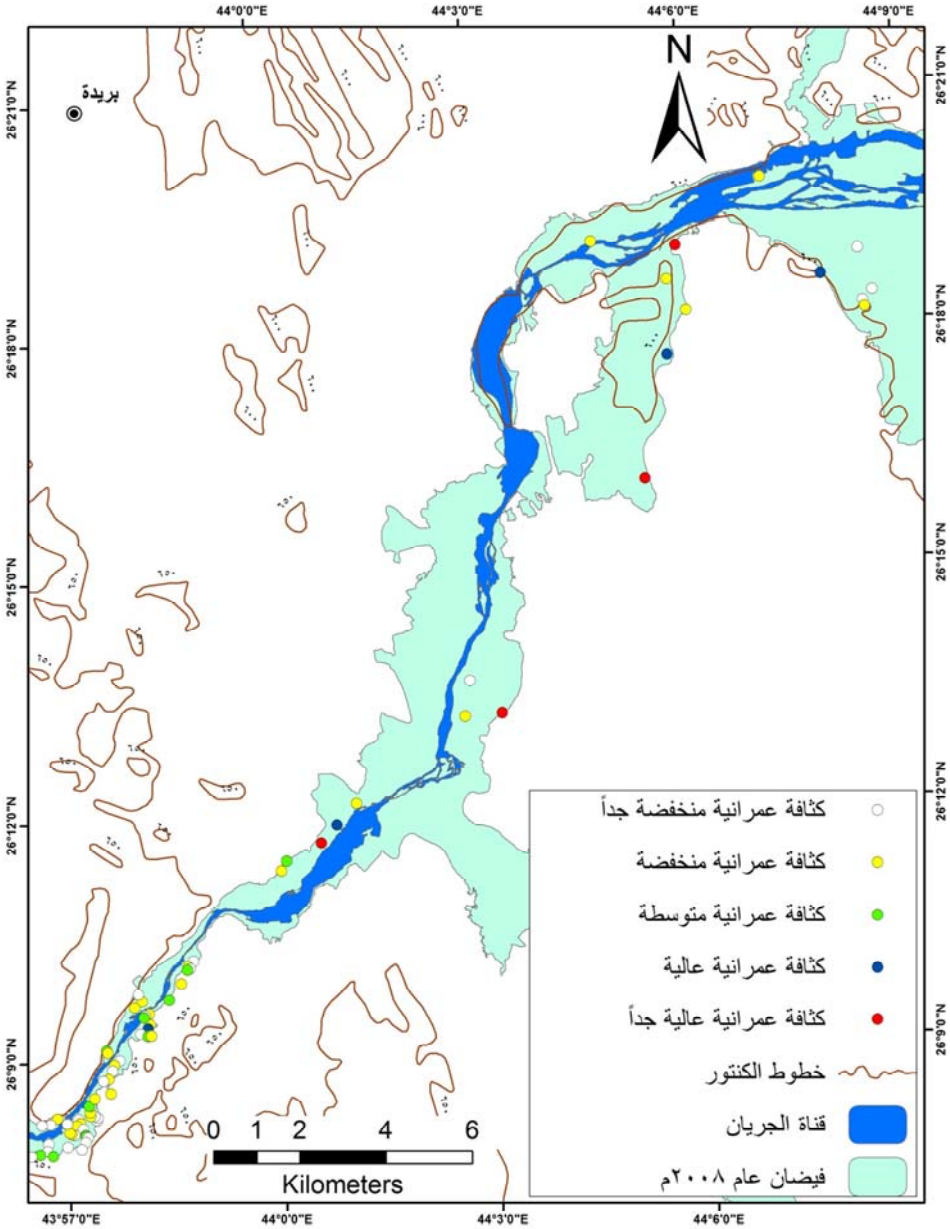

٢) يوجد ٢٦ نقطة غمرت بمياه الفيضان عام ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م بنسبة ١٢،٢٪ من مجموع النقاط المغمورة بالمياه، ويبلغ مجموع حجم الوحدات السكنية ١٧٧ وحدة بمعدل ٧ وحدات / نقطة عمرانية، وهذا ما جعلها ذات كثافة عالية. وهذه النقاط قادرة على إيواء قرابة ١٢٤٠ نسمة. وتتوزع النقاط العمرانية بشكل غير منتظم بطول المجرى ومن أمثلتها النقاط ٢٨/ ١٢٠/ ٢٨٥/ ٣٣٢/ ٤٠٠/ ٦٤٤.

٣) تكون السيادة للنقاط ذات الكتلة العمرانية المتوسطة، وبنسبة ٦٤،٣٪ من مجموع النقاط التي غمرت في الفيضان المذكور. ويتراوح حجم الكتلة السكنية لهذه النقاط ما بين ٢- ٥ وحدة سكنية/ لكل نقطة. وتستوعب هذه النقاط ما يربو على ٣٠٠٠ نسمة. ربما لأنها مأوى لبعض الأيدي العاملة التي تعمل في المزارع التي تتوطن بها تلك النقاط، كما يمكن أن تكون مأوى لعمالة - غير زراعية – ترغب في السكن في تلك النقاط لانخفاض أجرة السكن فيها، خاصة أنها قريبة من مدن كبرى، كمدن بريدة، وعنيزة، والبدائع.

٤) تسجل أدنى كتلة سكنية في ٤٢ نقطة بمعدل مسكن واحد لكل نقطة عمرانية، وغالب تلك النقاط عبارة عن غرف أو مستودعات داخل المزارع. وتعد تلك النقاط أقل خطورة لكون – أغلبها - قد لا تمثل سكنا بقدر ما تمثله من استخدامها غرفة لمضخة أو محول كهربائي لغطاس. ولكن على أساس إمكانية استيعابها للسكن فإنها تستطيع إيواء ما يقرب ٢٩٠ نسمة.

٢-٢-٢: تصنيف النقاط العمرانية على أساس المنسوب المقارن مع مجرى الوادي

نمت النقاط أو المستوطنات العمرانية على مناسيب متباينة من مجرى

الوادي شكل (٣)، حيث تحكم الطبوغرافية التي يتربع فيها حوض الوادي هذا الاختلاف. وقد قصرت الدراسة تحديد النقاط العمرانية على أساس ارتفاع بيني لا يزيد على خمسة أمتار من مجرى الوادي، بغرض قصر المشكلة على تلك النقاط العمرانية التي غمرها الفيضان، أو النقاط المهددة بالفيضان بشكل أكبر. ويحدد جدول (٢) مناسيب النقاط العمرانية التي غمرها فيضان ١٤٢٩/ ٢٠٠٨م، والتي يمكن من خلاله تحديد أبعاد الخطورة على النحو التالي:

جدول (٢) تصنيف النقاط العمرانية المغمورة بالفيضان على أساس المنسوب المقارن مع مجرى الرمة

فئات المناسيب/ م	النقاط الواقعة تحت هذا المنسوب	النسبة٪	حالة المنسوب
صفر< ٢	٥٠	٢٣,٥	منسوب عالي الخطورة
٢ > ٣	٤٩	٢٣	منسوب خطر
٣ > ٤	٥٢	٢٤,٥	منسوب متوسط الخطورة
٤ > ٥	٣١	١٤,٥	منسوب محدود الخطورة
٥	٣١	١٤,٥	منسوب أقل خطورة
الإجمالي	٢١٣	١٠٠	-

المصدر: حساب الباحث استنادا على بيانات ملحق: ١.

١) سجلت ٥٠ نقطة عمرانية - بنسبة ٢٣,٥٪ من إجمالي النقاط التي غمرها الفيضان عام ١٤٢٩هـ - مناسيب متدنية وقريبة جدا من مجرى الوادي، بل إن هناك ١٥ نقطة منها تكون بنفس منسوب مجرى الوادي، والبقية على ارتفاع متر واحد عن

المجرى، وهذا يعني إمكانية انجراف تلك النقاط العمرانية في حالة قربها المكاني من المجرى من جهة، وارتفاع منسوب الغمر المائي إلى قرابة ثلاثة أمتار مقارنة ببقية النقاط الأخرى المغمورة من جهة أخرى. وقد تم تصنيفها إلى نقاط تسجل مناسيب عالية الخطورة، مما يعني استحالة السكن فيها، وهذا يستلزم منع إتاحة السكن فيها مطلقا، لأن جميع البنى التحتية لهذه المساكن أو الوحدات لن تصبح صالحة بعد ما غمرها الفيضان.

٢) تقع ٤٩ نقطة عمرانية في منسوب لا يزيد على ثلاثة أمتار عن مجرى الوادي، وهي بهذا تكون في منسوب خطر. ولكونها غمرت بفيضان عام ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م فإنه سيتكرر عليها تتابع غمر الفيضان بتتابع الجريان، وبالتالي لن تكون صالحة للاستخدام السكني المدائم.

٣) يمكن للنقاط العمرانية التي تقع في منسوب يربو على أربعة أمتار، والبالغ غددها ٦٢ نقطة - والتي تصل نسبتها إلى ٢٩٪ من إجمالي النقط المغمورة بالمياه - أن تكون صالحة للسكن في حالة إدخال بعض التعديلات الموضعية، ومنها وضع حزام ترابي يحيط بالنقطة العمرانية، وهو إجراء يتوافق مع ما وصل إليه منسوب المياه في عام ١٤٢٩هـ. ولا شك أن طبيعة النمط العمراني للنقاط له قيمة في ديمومة سكن تلك النقاط من عدمه؛ فالمساكن المسلحة ربما تكون أقدر على مقاومة آثار الفيضان من المساكن الشعبية أو الطينية إن وجدت.

شكل (٣) تصنيف درجة خطورة تباين مناسيب النقط العمرانية لقطاع محاذٍ لمجرى الرمة

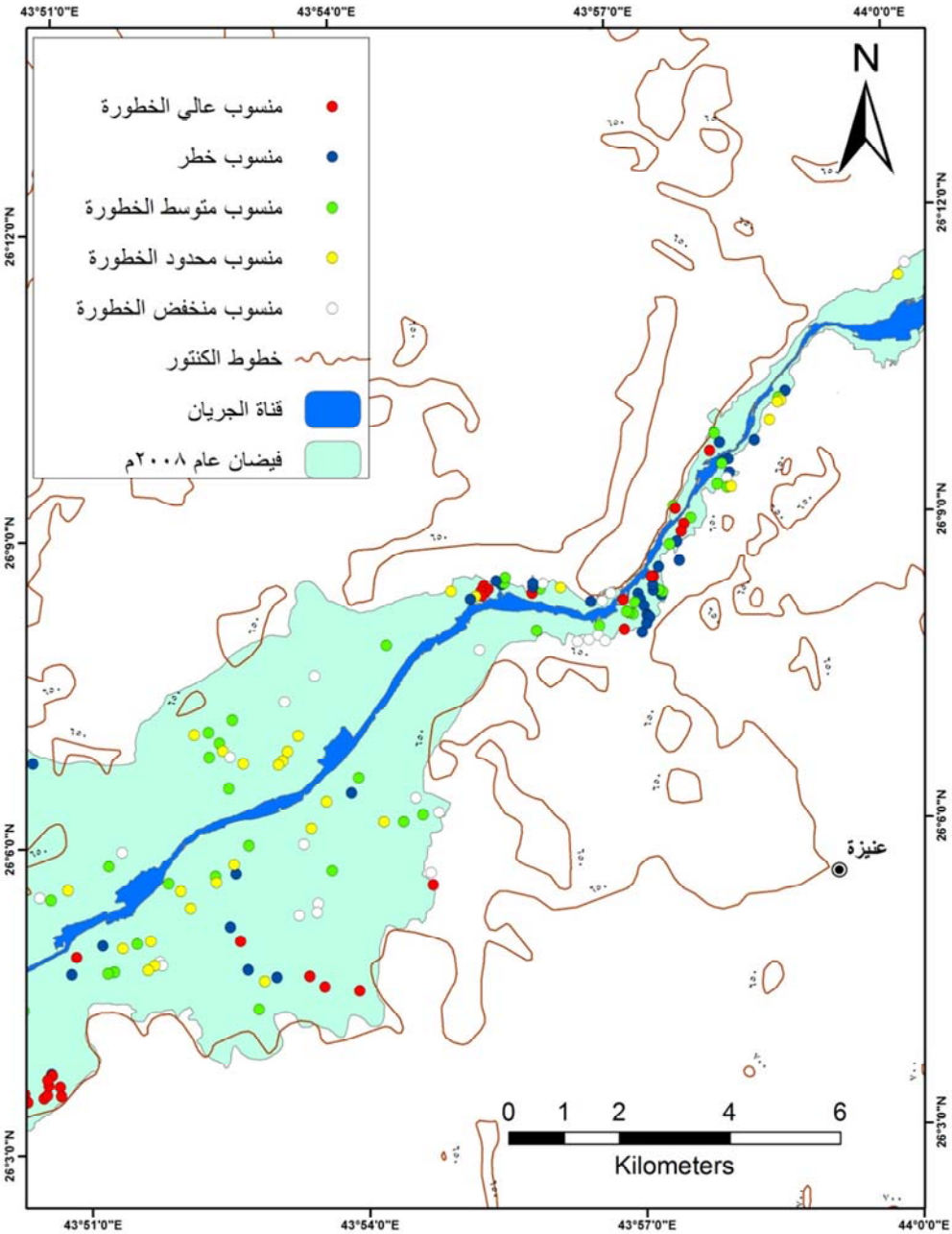

وبدراسة علاقة المنسوب بحجم الكتلة العمرانية للنقاط التي تم افتراضها في بداية البحث، وجد أنها أقرب إلى الصفرية في قيمتها، حيث بلغت العلاقة بينهما (٠,٠٦٦). وهذا يوحي بالعشوائية، وربما عدم العناية المطلقة بقضية الجريان أو حتى الفيضان، وبهذا فإن الدراسة أثبتت قبول فرضية العدم. ويعد عدم العناية بقيمة منسوب الموضع الذي أقيمت فيه التجمعات العمرانية. راجع إلى أسباب من أبرزها:

١) جهل عامة المستثمرين لحوض وادي الرمة، خاصة في المجال الزراعي لمناسيب الأراضي، مما جعل بناء المساكن أو المستودعات أو حتى حظائر الحيوانات في مواضع غير آمنة من الفيضان، وهذا بسبب ضعف خلفيات هؤلاء للمواضع التي سبق أن غمرها الفيضان عام ١٤٠٢هـ.

٢) تباعد فترات الجريان أسهم في عدم الاكتراث بتبعات ما يمكن أن يحصل من ارتفاع منسوب المياه، فوادي الرمة في أغلب صور الجريان يبدأ بقوة، ثم يتقاصر في قوته، ليتوقف الجريان بعد عبوره الدرع العربي، وذلك في المنطقة الواقعة بين البدائع، ورياض الخبراء، والرس. ولعل الجريان الذي تم قبل ثلاثة عقود (عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) كان الأوسع، عندما غطى مساحات من النفود إلى النفود، وبعدها انقطع لمدة تربو على ثلاثين سنة في الحوض الأدنى مما جعل البعض يشك في إمكانية الجريان، فضلا عن الفيضان الذي حل بالفعل في عام ١٤٢٩هـ.

٣) أضيفت متابعة التنمية العمرانية الريفية والقروية إلى البلديات بعد عام ١٤٠٠هـ، ولكنها لم تفعل من قبل البلديات في كل المحاور، واقتصر الدور على تقديم الخدمات العامة (طرق/ إنارة/ نظافة/ .....)، بينما بقيت – في بداية التكليف– مسألة إقامة المباني واستحداثها في المزارع بعيدة عن الدور الإرشادي

الذي يفترض للبلديات تقديمه، وهذا بسبب إحاطتها بالأسوار أو العقوم التي تحقق لأصحابها الخصوصية، وهي بذلك حالت دون الوصول إليها، والإشراف على رخص تشييدها. وهذا بالطبع أسهم في وجود نسيج ونمط عمراني ريفي يحيط بحوض الرمة بشكل متباين تحكمه الاجتهادات الفردية للمستثمرين.

٢-٢-٣: تصنيف النقاط العمرانية على أساس البعد عن مجرى الوادي

تتمركز النقاط العمرانية التي غمرها فيضان ١٤٢٩هـ على أبعاد متفاوتة من مجرى الوادي وتتراوح هذه الأبعاد ما بين ٧٧م إلى ٨٣٤٤م، وبمعدل يصل إلى ١٤٨٠م. وهذه الأبعاد تم تصنيفها في جدول (٣) على فئات - استنادا إلى التصنيف الخماسي- لبيان الحالة المكانية للنقاط العمرانية المتوطنة في حوض وادي الرمة، والتي يظهر فيها:

جدول (٣) تصنيف النقاط العمرانية المغمورة بالفيضان على أساس البعد عن مجرى الوادي

فئات الأبعاد/ م	أعداد النقاط العمرانية	النسبة٪	حالة البعد المكاني
صفر < ١٥	-	صفر	-
١٥ < ١٠٦٠	١٢٤	٥٨،٢	مسافة قريبة
١٠٦٠ < ٢٢١٥	٤٢	١٩،٧	مسافة متوسطة
٢٢١٥ < ٢٩٤٥	١٤	٦،٦	مسافة بعيدة
٢٩٤٥ <	٣٣	١٥،٥	مسافة بعيدة جدا
الإجمالي	٢١٣	١٠٠	-

المصدر: حساب الباحث استنادا على بيانات ملحق: ١.

١) يتركز ٥٨،٢٪ من النقاط العمرانية في مسافة لا تزيد على ١٠٦٠م، ويقع أغلبها في المنطقة المحصورة بين خطي طول ٣٠,٠٠ً ٥٧َ ٤٣ْ و ٣٠ً ٥٣َ ٤٣ْ شمال غرب مدينة عنيزة (جنوب المباركية) وبطول ٧،٥كم تقريبا شكل (٤).

وتسود في هذا القطاع ملكيات زراعية صغيرة (مخطط اليحيا الزراعي)، وبالتالي أصبح العمران سمة لها بسبب تعدد المستثمرين الزراعيين في هذا المخطط. كما نمت إلى جنوب وشرق جسر المباركية مجموعة من الاستراحات الصغيرة التي أصبحت نقطا عمرانية غمر بعضها الفيضان عام ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. وكلما تقلص حوض الوادي في عرضه كان الاقتصار على النقاط القريبة جدا شكل (٤)، والعكس صحيح.

٢) تقع الفئة الثالثة على بعد لا يزيد على ٢٢١٥م من مجرى الوادي، بنسبة ١٩،٧ ٪ من مجموع النقاط العمرانية المغمورة في عام ١٤٢٩هـ. وترتبط هذه الأبعاد بخصائص ميل المجرى الذي يقدر بقرابة ٠،٧ م/كم، فالميل الضعيف يجعل للعوائق الطبيعية أو البشرية قدرة على انحراف المياه وانسيابها نحو الحوض؛ وبالتالي ارتفاع المياه إلى مناسيب توازي ارتفاع العوائق مشكلة مساحات تغطى أرضـاً واسعة على جنبات حوض وادي الرمة سواءٌ من الجنوب أو الشمال.

٣) أسفر التحديد المكاني للنقاط العمرانية المسقطة على حدود الفيضان عام ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م عن وجود ١٥،٥٪ من إجمالي النقاط العمرانية تقع على أبعاد تزيد في أغلبها على ٣٠٠٠م، وهذه حالة يحسن العناية بها، ويصدق عليها المقولة أن القرب من مجرى الوادي لا يعني دائما خطورة الفيضان، كما أن البعد عن المجرى لا يعني الأمان من الفيضان، كما في حالة تلك النقاط العمرانية التي يبلغ عددها ٣٣ نقطة غمرت بمياه الفيضان الأخير.

شكل (٤) تصنيف أبعاد النقاط العمرانية التي غمرت بالفيضان عام ٢٠٠٨م عن مجرى الرمة

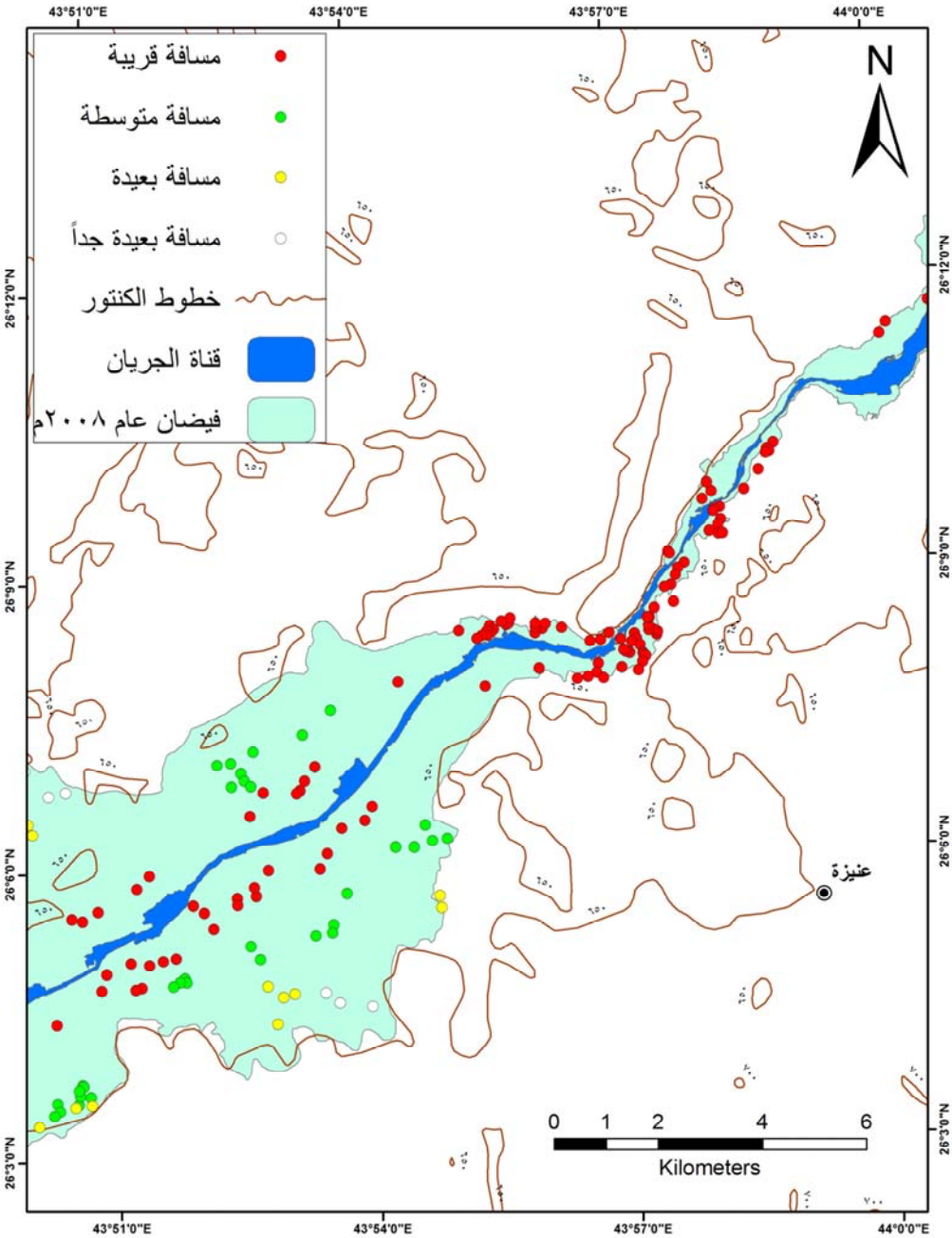

ويعد اتساع المدى المسافي بين مجرى الوادي والنقاط العمرانية التي غمرها فيضان عام ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م مسألة جديرة بالاهتمام والعناية، ولاسيما وأن هناك اقتراحات لوضع حرم للوادي بعرض لا يزيد على بضع مئات من الأمتار، وهذه الاقتراحات قد لا تتوافق مع اتساع هذا المدى المسافي في أجزاء من مجرى الوادي، ويمكن وضع بعض البدائل التي يمكن من خلالها الحد من آثار الفيضان ويمكن أن تستند إلى:

❖ بيانات رقمية واسعة عن ارتفاع منسوب المياه في الإحداثيات (النقاط العمرانية) التي رصدتها الدراسة أثناء ذروة الفيضان.

❖ إذا كانت تلك البيانات لا تصل فيها ارتفاعات الفيضان عن ٥٠سم في أجزاء واسعة، فإنه من الممكن بناء قناة اسمنتية بطول المجرى الذي تفترش فيه مياه الفيضان وبنفس عرض الحرم المقترح للوادي، لمنع الافتراش الذي يؤثر على النقاط العمرانية.

❖ يعد اعتراض مكشف طبقة الساق وقطعها لمجرى الوادي في المنطقة الموالية لنهايات صخور الدرع العربي على خط طول ١٠ً ٣٥َ ٤٣ْ تقريبا هو من مسببات افتراش مياه الفيضان لمساحات واسعة من الأراضي الموالية للبدائع، ورياض الخبراء، والخبراء، حيث أصبح أشبه ما يكون بالسد الأرضي الذي يرفع منسوب المياه إلى الغرب منه. وهناك مقترح لحفر مكشف الساق في هذا القطاع لمنع الافتراش المائي، وهذا المقترح يحتاج لمزيد من الدراسات المورفومترية لمعرفة الآثار التي قد يجلبها تصريف هذه المياه التي كانت تفترش الأرض فيما إذا توجهت بنفس كمياتها إلى القطاع الأدنى من حوض الوادي.

❖ يؤثر ميل وانحدار مجرى الوادي كثيرا في اتساع مدى الفيضان عن المجرى؛ فالميل الذي يبلغ ٠٫٧ م/كم ساهم في ترنح المياه وانسيابها إلى بقاع واسعة على

جنبات الوادي، وليس أدل على ذلك غمر النقطة ٦٣٥ الواقعة على إحداثيات (٥٢ً ٠٠َ ٢٦ْ ٤٢ً ٣٢َ ٤٣ْ) التي تبعد ٨٣٤٤م من مجرى الوادي.

وعن علاقة بعد النقاط عن مجرى وادي الرمة بحجم الكتلة العمرانية (عدد المساكن) في النقاط ذاتها وجد أنها ليس بالقوة حيث بلغت (٠،١٢) عند مستوى دلالة ٠,٠٩، وهذا بخلاف المتوقع وهو زيادة عدد المساكن في النقاط العمرانية كلما ابتعد عن المجرى والسبب ربما تحكمه مجموعة متغيرات تفسر هذا وهي:

❖ أن الوحدات السكنية مهما بلغ حجمها في أغلب النقاط العمرانية مبنية على أساس الاستخدام المساند للاستثمار الأساس وهو الزراعة؛ سواء في إيواء العمالة أو خزن الأعلاف أو تربية الماشية، وبالتالي لا تمثل قيمة لدى من يقيم تلك المنشآت العمرانية أو الوحدات السكنية.

❖ يعد السهل الفيضي لوادي الرمة في كلا الاتجاهين غير مناسب لإقامة الوحدات السكنية المتعددة مهما كان الابتعاد عن مجرى الوادي، بسبب رخاوة الأرض، وبالتالي التشققات التي يمكن أن تتصدع فيها البنايات السكنية.

❖ لا يزال كثير من أهالي المنطقة – خاصة لمن أعمارهم فوق الأربعينات حاليا – يذكرون حدود الفيضان الواسع الذي عم وادي الرمة عام ١٤٠٢هـ، وبالتالي هناك تخوف من وادي الرمة والبناء في فيضه السهلي مهما كان البعد عن المجرى. ولقد قامت آنذاك لجنة مشكلة من إمارة القصيم ووزارة الزراعة والمحاكم لتحديد مجرى وادي الرمة تجاوبا مع خطاب إمارة القصيم رقم ١٩٠٠٥ وتاريخ ٧/ ٩/ ١٤٠٢هـ، وبدأت فعلا أعمالها في ١٩/ ١١/ ١٤٠٢هـ بداية من جسر النبهانية باتجاه الشرق. ولقد استندت في تحديدها على تتبع المجرى وفق زوايا اتجاهات الجريان. وهذا التحديد منع أي استخدام بما فيه البناء السكني.

❖ أثر مد شبكات الكهرباء المجانية في بداية خطة التنمية الثالثة في محاور تنمية

العمران بالبعد عن المجرى، فلم تكن الشركة – آنذاك – بعد الفيضان الكبير عام ١٤٠٢هـ راغبة في تعريض خطوط نقل الطاقة الكهربائية – البسيطة – إلى أخطار الفيضان القريب من الوادي، أو حتى الهامشي البعيد منه. واقتصرت خطوط النقل على جنبات الطرق الزراعية وبعض النقاط العمرانية المحدودة في تلك الفترة. وبعد انتهاء مناقصة مد الشبكة الكهربائية – المحدودة بعقد معين – أصبحت عملية إمداد النقاط العمرانية الجديدة بالكهرباء بسعر التكلفة على صاحب المنشأة المستثمر، وهو ما لم يستطع معه المستثمرون توسيع الرقعة العمرانية في وادي الرمة.

❖ تستند استخدامات الحيازات الزراعية إلى جعل الظهير الزراعي الإنتاجي في الجهة المحاذية لمجرى وادي الرمة، بينما الاستخدامات السكنية المساندة داخل الحيازات تكون في الاتجاه البعيد من المجرى؛ لتكون قريبة من طرق النقل الممهدة أو المعبدة.

ثالثا: استراتيجيات كفيلة بحماية النقط العمرانية المغمورة بفيضان عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

أبانت الصور الفضائية المعالجة أن الفيضان قد غطى ٢١٣ نقطة عمرانية في فيضان ١٤٢٩هـ، وهذه النقاط قادرة على إيواء ما يربو على ٥٠٠٠ نسمة. ورغم هذا فلا يمكن أن تتساوى صور الضرر في كل النقاط التي غمرت بذلك الفيضان لاعتبارات جغرافية تحكمها الطبوغرافية، ومستوى الارتفاع والانخفاض عن مستوى قناة الجريان (الشح)، والبعد والقرب من المجرى. وهذا الواقع يجعل هناك ضرورة لوضع استراتيجيات يمكن معها التوصيف الدقيق لحالات الفيضان ومنها:

١) طمس وإزالة العقوم الترابية التي تعترض مجرى الوادي، باعتبارها سببـاً في تشكيلة امتداد الفيضان الذي ربما يطغى على مناطق لا يمكن أن يصلها الفيضان في

حالة عدم وجود مثل هذه العقوم، وبهذا يمكن الوصول إلى حدود حقيقية للفيضان تبدأ معه القياسات الفعلية لأي تغطية مائية في المستقبل.

٢) بعد الخطوة السابقة تظهر أهمية وضرورة قياس ارتفاع الفيضان عند كل نقطة عمرانية حسب الإحداثيات الفلكية المسجلة لكل نقطة. وهذا الإجراء بحاجة إلى تشكيل فرق مساحية في كل بلدية تكون مهمتها قياس ذلك عند حدوث الفيضان اللاحق في منطقة إشراف كل بلدية. كما يحسن في السياق ذاته توسيع دائرة القياس في نقاط بعيدة عن النقاط العمرانية - كمرحلة استقرائية – بغرض إمكانية إعطاء رخص فسح البناء المستقبلي في تلك المواقع من عدمه.

٣) يمكن انطلاقا من النقطة السابقة رسم خارطة تحدد فيها مناسيب ارتفاع مياه الفيضان، ويستمر تحديثها بعد كل فيضان على أساس اختلاف كميات تصريف حوض وادي الرمة من فترة إلى أخرى، وبالتالي اختلاف ارتفاع منسوب الفيضان عند هذه النقاط، وهذا سيجعل لدى الجهات التنفيذية مجموعة خرائط تحدد مناسيب الفيضانات المتتالية للاستفادة منها في التعويضات إن وجدت، أو التوعية ومنع الإحداثات العمرانية.

٤) سبر حركة مياه الفيضان عند كل النقاط العمرانية، فلربما تتولد حركة لمياه الفيضان عند النقاط العمرانية القريبة من مجرى الوادي، وهذا ما يشكل خطورة أعلى؛ ربما تصل إلى جرف مساكن النقاط العمرانية تلك، مقارنة بالنقاط التي يكون فيها ركود تيار مياه الفيضان واضحا.

٥) يمكن بعد تكرار القياسات السابقة وضع معيار لإزالة النقاط العمرانية القائمة عند انطباق شرطين من الشروط الثلاثة الموضحة بالشكل رقم (٥):

شكل (٥) معايير مقترحة لإزالة النقط العمرانية الملاصقة لمجرى وادي الرمة وفق متغيرات جغرافية

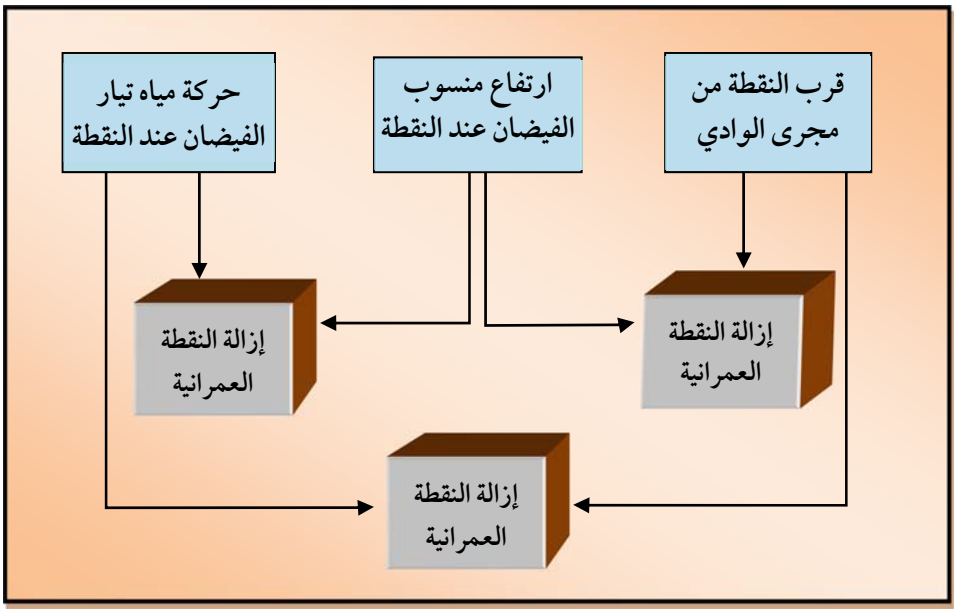

رابعا: التوصيات الكفيلة بحماية نقط الاستقرار العمراني

تظل عمليات استحداث نقط استقرار جديدة على ضفاف مجرى وادي الرمة متعينة ومستمرة حسب طبيعة الاستثمار الاقتصادي الذي يحتم ملازمة الاستقرار العمراني له. وقضية العمران بمحاذاة مجرى وادي الرمة تنقسم إلى قسمين أحدهما عمران قائم، والآخر عمران مستقبلي. وتختلف المعايير والاستراتيجيات التي يمكن بها حماية الواقع الراهن واستشراف المستقبل، ولهذا سيتم إلقاء الضوء على ذلك في محورين:

٤-١ معايير راهنة:

يوجد بالقرب من وادي الرمة ما يربو على ٦٥٠ نقطة استقرار عمراني قائمة، وهي مهددة من حين إلى آخر بفيضان يطمس معالمها، وربما يزيلها عن الوجود، في

حالة تقارب المنسوب الطبوغرافي، ووجود حركة لمياه الفيضان حولها، ولمعالجة وحماية تلك النقط العمرانية فإنه يتعين التالي:

١) وضع قواعد معلومات أو بيانات لجميع تلك النقط تشمل المتغيرات نفسها التي عولجت في الدراسة (البعد عن المجرى/ منسوب النقطة/ منسوب المجرى/ أقرب طريق/ عدد المباني) إضافة إلى بيانات عن حجم السكان تتمثل في تحديد التركيب العمري والنوعي، وأرقام الاتصال الهاتفي وغيرها.

٢) وضع أحمية ترابية حول النقاط العمرانية متدنية المنسوب بمقدار متر على أقل تقدير، ويحسن أن تكون تربة جيرية تضمن مقاومة المياه وتذبذبها لمدة أطول.

٣) إزالة المتراكم من المخلفات حول المساكن التي ربما تحملها المياه، وتكون معولاً لهدم البيوت، أو إعاقة جهود الإنقاذ عند الضرورة.

٤) إلزام شركة الكهرباء تركيب حساسات عالية الجودة في عدادات الكهرباء الخاصة بالمساكن ضماناً للسلامة في حالة طغيان الماء على تلك المساكن.

٥) الاستمرار بحملات تنظيف مجرى وادي الرمة من العوائق التي تتراكم أو تنمو مشكلة مصدات طبيعية للمياه الجارية.

٦) تسجيل ما أمكن من أرقام الهواتف المحمولة لسكان تلك النقاط لدى الدوائر المعنية؛ تمهيدا للإنذار المبكر من قبل إدارات الأمن والسلامة برسائل نصية.

٧) ربط مجموعة السكان بحزم اتصال جماعي (روابط التواصل الاجتماعي المتاحة) تضمن الإنذار المبكر في حالة ضعف جدوى الهاتف المحمول.

٨) وضع صفارات إنذار بالقرب من النقاط العمرانية الكثيفة، في حالة جريان الوادي.

٩) إنشاء قواعد موزعة لهبوط الطائرات المروحية – شبيهة بتلك الموجودة بالمستشفيات – لتسهل عمليات الإخلاء الجوي عند فشل عمليات الإخلاء الأرضي.

١٠) رصف الطرق بين نقط الاستقرار والطرق الفرعية أو الرئيسة، لضمان عبور المركبات في بدايات الفيضان، ورفع منسوبها بمقدار لا يقل عن نصف متر، وتكون تلك الطرق مستقيمة ما أمكن، ووضع علامات تحدد حرم الطريق.

١١) وضع نوافذ علوية للمساكن تكون مخارج للطوارئ؛ في حالة غمر المساكن بالمياه وعند صعوبة فتح الأبواب بسبب تراكم الطمي.

١٢) تصميم سلالم تصل إلى سطح المساكن لتكون وسائل إنقاذ في حالة صعوبة وصول فرق الطوارئ للموقع.

١٣) عمل مسح ميداني للمساكن القائمة في النقاط العمرانية القائمة لمنع السكن في الآيل للسقوط منها، خاصة المباني الطينية أو الشعبية التي مر على تشييدها سنوات عديدة، وغمرت بفيضان ١٤٢٩هـ.

٤-٢ معايير استشرافية:

يمكن لنقط الاستقرار أن تنمو وتتزايد بمحاذاة مجرى وادي الرمة؛ ولاسيما وأن الوادي يقع حوضه الأدنى بين أكبر التجمعات العمرانية الكبرى بمنطقة القصيم، التي يعتمد نسبة من سكانها في استثمار الوادي بالأنشطة الاقتصادية المختلفة، وبالتالي يصبح حوض الوادي هامشاً لبعض التفاعلات البشرية والاقتصادية. وإزاء هذا يجب على الجهات المعنية وضع بعض المعايير والاستراتيجيات التي تعالج الأخطاء التي غُفِل عنها في السابق عند تشييد كثير من النقاط العمرانية في المرحلة السابقة. ويمكن تلخيص هذه الاستراتيجيات بالتالي:

١) وضع إدارة معنية - بكل بلدية لها نطاق تخديم باتجاه الوادي - تسمى إدارة التنمية العمرانية بوادي الرمة، ويندب لها الصلاحيات الكفيلة بشروط التشييد والإعمار. ويحدد قبل ذلك النطاق الذي تخدمه الإدارات تلك على مستوى منطقة القصيم منعا للتداخل أو وجود هوامش بينية غير مخدومة.

٢) تسند للإدارة السابقة مواصفات مكانية وهندسية تضمن السلامة الدائمة لسكان هذه النقاط العمرانية المراد تشييدها، ومن أبرزها:

❖ منع التشييد العمراني في المناطق التي تكون مناسيبها موازية لمنسوب مجرى الوادي، وإرشاد المستفيدين بالبحث عن المنسوب الأعلى عند اختيار أماكن التشييد والبناء من قبل صاحب المزرعة أو المنشأة.

❖ وضع منسوب ٥م فما فوق عن منسوب مجرى الوادي للنقطة العمرانية المراد إنشاؤها - عبر ردم الموقع في شكل جزيرة – ويمكن أن يكون الردم مثلا أقل من ٢م في حالة ارتفاع المنسوب الطبيعي عن المجرى بمقدار ٣م.

❖ إمداد البلدية لصاحب المسكن بإنجيلة طبيعية تكون مبطنة للموقع من الخارج لضمان وتقليص جرف الماء للجزيرة الترابية التي يقع عليها المسكن. ويمكن التبطين بالخرسانة أو الحصى عند عدم رغبة المستفيدين للإنجيلة الطبيعية التي لا يرغب فيها البعض، خوفا من انتشارها في الموقع.

❖ قيام إدارة الطرق برفع منسوب الطريق الموصل إلى النقطة العمرانية.

❖ الحرص على النمط المعماري المسلح، ومنع البناء بالطين مطلقا.

❖ اختيار البناء في المناطق الأكثر صلابة بالنسبة للتربة، والبعد عن المناطق الرخوة التي تتأثر حين التشبع بالمياه، وتكون آيلة للسقوط.

٣) وضع قائمة معلومات مكانية لكافة النقاط العمرانية المستحدثة لتسجيل البيانات الرئيسة المتمثلة بحجم النقطة العمرانية، ومنسوبها الطبوغرافي، وبعدها عن مجرى الوادي، وأيسر طريق للوصول إليها وغيرها، وبرمجة تلك على خرائط الكترونية لمعرفة أولويات المتابعة حالة حدوث جريان فيضي.

المصادر والمراجع

-آل سعود، مشاعل محمد، (١٤٣١هـ)، خريطة مخاطر الفيضانات والسيول في مدينة جدة، **بحوث جغرافية**، عدد ٩١، الجمعية الجغرافية السعودية، الرياض.

-الجعيدي، فرحان حسين، (١٤٢٦هـ)، استخدام صور الاستشعار عن بعد الرقمية عالية الوضوح المكاني لتحديد امتداد فيضانات السيول في سهل الخرج، **بحوث جغرافية**، عدد ٧١، الجمعية الجغرافية السعودية، الرياض.

-الحميد، علي أحمد، (١٤٣٠هـ)، **حماية محطة التوليد المركزية بالقصيم من آثار فيضان وادي الرمة**، إدارة الأمن الصناعي، المنطقة الوسطى.

-الحميدي، عبد الله عبد العزيز، التصنيف الفئوي الخماسي للبيانات الإحصائية المستخدمة في التطبيقات الجغرافية، بحث مقدم **للندوة الخامسة لأقسام الجغرافيا بجامعات المملكة العربية السعودية** المنعقدة في جامعة الملك سعود في الفترة ١٥-١٧/ ١١/ ١٤١٤هـ، الرياض.

-النشوان، عبد الرحمن عبد العزيز، (٢٠١٤م)، درء أخطار السيول في حوض شعيب أبو صوير في مركز حرمة، **مجلة الجمعية الجغرافية العربية**، الجمعية الجغرافية المصرية، عدد٦٤، القاهرة.

-هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، (١٤٣٢هـ)، **مخاطر السيول في المملكة العربية السعودية**، الرياض.

ملحق (١) الرفع الميداني لمواقع المستوطنات العمرانية على ضفاف وادي الرمة للنقاط المغمورة في فيضان ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م*

م	رقم النقطة	ارتفاع الموضع/ م	عدد المساكن	ارتفاع الوادي/ م	فرق المنسوب/ م	بعدها عن الوادي/ م	مرتبطة بطرق	الوصف العام
١	0016	٥٩٣	٥	٥٩٦	٣	١٢٥٠	١٥٢٠	مستودعات وسكن مزرعة
٢	0017	٥٩٧	٢	٥٩٣	٤	٢١٠٤	٦٣٠	مسكن
٣	0019	٥٩٥	٥	٥٩٣	٢	١٤٢٩	٧٤٨	سكن زراعي ومستودعات
٤	0020	٥٩٦	٢	٥٩٣	٣	١٥٧٠	١٠٢٥	سكن زراعي
٥	0021	٥٩٤	٢	٥٩٦	٢	٣٤٥٦	٢٦٧٤	مستودعان زراعيان
٦	0024	٥٩٦	١	٥٩٤	٢	١١٧٥	٨٦٥	مستودع
٧	0025	٥٩٨	٢	٥٩٥	٣	٢٥٣٠	١٨٠٥	مستودع ومبنى
٨	0026	٥٩٩	١	٥٩٦	٣	٢٩٠٩	٢٠٢٠	مبنى إدارة مشروع زراعي
٩	0027	٦٠٥	٤	٥٩٥	١٠	٢٩٩٠	٢٢١٧	مستودعات وورش
١٠	0028	٦٠١	٧	٥٩٦	٥	١٩٧٥	١٣٥٠	مستوطنة سكنية
١١	0031	٥٩٣	٥	٥٩٧	٣	٥٥١٥	٣٦٣٠	مساكن زراعية
١٢	0034	٦٠٠	٣	٦٠٠	٠	٤٧٥	٣٠٠	مستودعان ومسكن
١٣	0036	٦٠٨	٤	٦٠٣	٥	١٩٢٠	٠	فيلاتان واستراحة ومسجد
١٤	0037	٦٠٣	٣	٥٩٥	٨	١١٢٤	٤٨٥	مستودعات زراعية
١٥	0038	٦٠١	٩	٥٩٧	٤	٤٤١	٠	مجمع خردوات وسكراب
١٦	0039	٦٠٢	٣	٦٠١	١	٤٦٥	٤٨٥	أحواش ماشية
١٧	0040	٦٠٢	٧	٦٠٢	٠	٣٨١١	١٣٥٠	مساكن ومستودع في مزرعة
١٨	0049	٦٠٩	١٨	٦٠٦	٣	٣١٣٦	٦٩٠	مجموعة استراحات تحت الإنشاء
١٩	0069	٦١٢	١	٦١٠	٢	٣٦٩	١٠٦٠	مستودع
٢٠	0070	٦١٣	٩	٦١٠	٣	١٢٥٥	٢١٥	مساكن زراعية ومستودعات

م	رقم النقطة	ارتفاع الموضع/ م	عدد المساكن	ارتفاع الوادي/ م	فرق المنسوب/ م	بعدها عن الوادي/ م	مرتبطة بطرق	الوصف العام
٢١	0071	٦١٣	٣	٦١١	٢	٢٥٦	١٧٠	مسكن زراعي
٢٢	0072	٦١٨	٣	٦١٤	٤	١١٥	٠	سكراب لبيع المعدات
٢٣	0073	٦١٤	٧	٦٠٩	٥	٩٠	٠	مخازن
٢٤	0074	٦١١	٩	٦٠٥	٦	١٠٤	٢٠	قرية لمساكن طينية وشعبية
٢٥	0075	٦١٤	٥	٦١٩	٥	١٢٥	١٥	مساكن طينية
٢٦	0076	٦١٥	٣	٦١٩	٤	١٣٦	٧٠	مساكن طينية
٢٧	0096	٦٣٢	٢	٦٣٠	٢	٢٥٨	٧٢	مسكنان زراعيان
٢٨	0097	٦٣٣	٣	٦٣٠	٣	١٩٥	١٢٦	مسكن ومستودع
٢٩	0098	٦٣٤	١	٦٣٠	٤	٢٤٨	٧٧	مستودع
٣٠	0099	٦٣٤	٥	٦٣٠	٤	٢٣٠	١٣٢	مساكن زراعية
٣١	0100	٦٣٤	٤	٦٣٠	٤	٣٢٢	١٤٠	مسكن ريفي كبير وملحقاته
٣٢	0112	٦٣٤	٥	٦٣٢	٢	١٩٨	١٩٥	مسكن ومرافقه الريفية
٣٣	0119	٦٣٧	٣	٦٣٥	٢	١٥٤	٣٥٤	مستودعات وحظائر
٣٤	0120	٦٣٨	٨	٦٣٣	٥	٤٠٢	١٤٢	مساكن متجمعة
٣٥	0122	٦٣٥	٣	٦٣٣	٢	١٥٥	٣٦٦	مسكن ومستودعات
٣٦	0123	٦٣٥	١	٦٣٣	٢	١٧٩	٣٨٧	مسكن
٣٧	0124	٦٣٦	٦	٦٣٣	٣	٢٩٠	٣٦٣	أربعة مساكن ومستودعات
٣٨	0125	٦٣٥	٣	٦٣٣	٢	١٥٤	٦٩٠	مسكن ومستودعات
٣٩	0126	٦٣٧	٢	٦٣٤	٣	٣٨٥	١٢٧٠	مسكن
٤٠	0127	٦٣٦	٤	٦٣٥	١	٢٣٥	١١٠٥	مسكن ومستودعات
٤١	0129	٦٣٧	١	٦٣٤	٣	٢٦٥	١٩٥	مسكن منفرد
٤٢	0130	٦٣٧	٥	٦٣٤	٣	٤٥٩	٢٠	مسكن وسكراب
٤٣	0131	٦٣٧	٣	٦٣٣	٤	٥١٨	١٠	مسكن ومستودعان

م	رقم النقطة	ارتفاع الموضع/ م	عدد المساكن	ارتفاع الوادي/ م	فرق المنسوب/ م	بعدها عن الوادي/ م	مرتبطة بطرق	الوصف العام
٤٤	0151	٦٣٩	١	٦٣٦	٣	٧٧	٣٢١	مستودع طويل
٤٥	0153	٦٣٩	٦	٦٣٦	٣	٢٠٢	٣٠٣	مسكن ومستودعان وحظيرة
٤٦	0154	٦٣٧	٣	٦٣٦	١	١٤٥	٣٣١	مسكن وحظائر
٤٧	0155	٦٣٧	٣	٦٣٦	١	١٦٤	٣١٧	مسكن وحظائر
٤٨	0156	٦٣٧	٢	٦٣٦	١	٢٥٩	٢٣٦	مسكن
٤٩	0157	٦٣٨	٣	٦٣٦	٢	٢٥٥	١٩٦	مسكن وحظائر
٥٠	0158	٦٣٩	١	٦٣٦	٣	١٤٥	١٢٨	مسكن
٥١	0159	٦٣٨	٤	٦٣٦	٢	٤٥٧	١٠	استراحة
٥٢	0176	٦٤٠	٢	٦٣٨	٢	٥٤٣	٨٩	مسكن ومستودع
٥٣	0177	٦٤١	٢	٦٣٨	٣	٥٢٣	٣٩	مستودع
٥٤	0178	٦٤١	٢	٦٣٨	٣	٤٤٣	٩٣	مسكن مستودع
٥٥	0180	٦٤٠	٣	٦٣٨	٢	٣٦٧	١٠	استراحة
٥٦	0181	٦٤٠	٤	٦٣٨	٢	٢٩٧	١٩٤	مسكن ومستودع وحظائر
٥٧	0182	٦٣٩	٢	٦٣٨	١	٢٠٨	١٧٢	مسكن
٥٨	0183	٦٣٩	٦	٦٣٨	١	١٨٠	٢٠٩	مسكن وملاحق داخل مزرعة
٥٩	0184	٦٤٠	٤	٦٣٨	٢	١٨٣	٥٥	مساكن ومستودع
٦٠	0185	٦٤٠	٢	٦٣٨	٢	١٨٨	١٣٦	مسكن ومستودع
٦١	0186	٦٤٠	٤	٦٣٨	٢	٢٩٩	١٠	أربعة مساكن
٦٢	0187	٦٤٠	٤	٦٣٧	٣	٢٧٧	١٠	مساكن ومرافق
٦٣	0188	٦٤٠	١	٦٣٨	٢	٤٣٤	١٤٥	مسكن
٦٤	0189	٦٤٠	٥	٦٣٨	٢	٥٨٣	٢٦٦	مساكن متلاصقة
٦٥	0190	٦٤٠	٦	٦٣٨	٢	٦٠٧	٦٤١	كتلة مساكن
٦٦	0191	٦٤٠	٢	٦٣٨	٢	٦٧٦	٣٤٦	مسكنان

م	رقم النقطة	ارتفاع الموضع/ م	عدد المساكن	ارتفاع الوادي/ م	فرق المنسوب/ م	بعدها عن الوادي/ م	مرتبطة بطرق	الوصف العام
٦٧	0192	٦٤١	١	٦٣٨	٢	٦٩١	٤٠٨	غرفة في مسكن غير مكتمل
٦٨	0193	٦٤١	٢	٦٣٨	٢	٧٦٠	٢٣٠	مسكنان ومرافق
٦٩	0194	٦٣٩	٢	٦٣٨	١	٤٩٩	٧٣	مسكن قديم
٧٠	0195	٦٤١	٢	٦٣٨	٣	٤٠٠	١٩٠	مسكن ومستودع
٧١	0196	٦٤١	٤	٦٣٨	٣	٣٣٦	١٢٣	نمط سكني
٧٢	0197	٦٤١	٣	٦٣٨	٣	٢٨١	٩٣	مسكن ومرافقه
٧٣	0198	٦٣٩	٢	٦٣٨	١	٨٩	١٢٠	مسكن ومستودع
٧٤	0199	٦٤٥	٤	٦٣٨	٧	١٤٦	٣٨٨	مسكن وغرف مجاورة
٧٥	0200	٦٤٣	١	٦٣٨	٥	١٧٦	١٨٥	مسكن صغير
٧٦	0201	٦٤٠	١	٦٣٨	٢	٢٢٠	٣٩	مسكن شعبي
٧٧	0203	٦٤٠	٤	٦٣٦	٤	٣٩٥	١٢١	مستودع ومرافق
٧٨	0204	٦٣٩	٢	٦٣٦	٣	٢٣٥	١٦٠	مسكن ومستودع
٧٩	0205	٦٤٢	٢	٦٣٦	٦	٣٩٤	٣٢٤	مستودعان على مسافة ٢٥
٨٠	0206	٦٤١	٥	٦٣٦	٥	٤٤٥	٤٨٥	مسكن ومستودع
٨١	0207	٦٤٣	٦	٦٣٦	٧	٥٢٤	٢٧٩	غرف متناثرة
٨٢	0223	٦٤٣	٢	٦٣٨	٥	٤٩٩	١٣٩	مستودعان
٨٣	0225	٦٤١	١	٦٣٨	٣	٤٥٤	٢١٦	مستودع
٨٤	0226	٦٤١	٤	٦٣٨	٣	٣١٦	٤٠٠	غرف ومستودع في مزرعة
٨٥	0227	٦٣٩	٣	٦٣٨	١	٢٢١	٥٧٧	مسكن لمزرعة محميات
٨٦	0228	٦٤٠	٢	٦٣٨	٢	٢٩٤	٢٦٠	غرفة ومستودع
٨٧	0229	٦٤٣	٢	٦٣٨	٥	٤١٧	٣٠١	مسكن ومستودع
٨٨	0240	٦٤٠	٢	٦٣٨	٢	٣٨٦	٤٥٦	غرفة ومستودع
٨٩	0243	٦٤٠	٢	٦٣٨	٢	٣٦٧	١١٢	مسكن ومستودع

م	رقم النقطة	ارتفاع الموضع/ م	عدد المساكن	ارتفاع الوادي/ م	فرق المنسوب/ م	بعدها عن الوادي/ م	مرتبطة بطرق	الوصف العام
٩٠	0244	٦٤١	٢	٦٣٨	٣	٣٨٤	١٧٣	مستودع وحظائر
٩١	0245	٦٤١	١	٦٣٨	٣	٤٨٩	١٠	مستودع
٩٢	0246	٦٤٠	٢	٦٣٨	٢	٤٢٥	٢٧	غرفة ومستودع
٩٣	0278	٦٣٩	٣	٦٣٨	١	٣٦٧	١١٦٧	غرفة ومستودع
٩٤	0279	٦٣٨	٥	٦٣٨	٠	٢٨٢	١١٣٧	مسكن ومستودع ومرافق
٩٥	0280	٦٣٩	٥	٦٣٨	١	٢٣٠	١٢٤٧	استراحة
٩٦	0281	٦٣٩	٢	٦٣٨	١	٢٨٣	١٢٨٣	مستودعان
٩٧	0282	٦٣٩	٣	٦٣٨	١	٢٠٤	١٢٩٥	مسكن ومستودع وحظائر
٩٨	0283	٦٤٢	٤	٦٣٨	٤	٢٢٢	١٣٦٥	مسكن ومرافق ومستودع
٩٩	0284	٦٤٠	١	٦٣٨	٢	٢١٠	١٤٧١	مستودع
١٠٠	0285	٦٤٥	٧	٦٣٨	٧	٥٧٢	٣٥١	مستودعات وحظائر
١٠١	0286	٦٤٢	١	٦٣٨	٤	٥٤٦	١٠٢٢	مستودع
١٠٢	0287	٦٤١	٢	٦٣٨	٣	٥٢٧	٨٨٦	مستودع وحظيرة
١٠٣	0288	٦٤٤	٦	٦٣٩	٥	١٢٩١	١٠	مسكن ومستودع وحظائر
١٠٤	0289	٦٤٢	٢	٦٣٨	٤	٧٩١	٣٣٥	مسكن ومستودع
١٠٥	0290	٦٤٢	٣	٦٣٨	٤	٧٦٨	٤٠٧	مسكن ومستودع
١٠٦	0291	٦٤٣	٤	٦٣٩	٤	٧٢٥	٤٦٨	مسكن ومستودع
١٠٧	0292	٦٤٤	٣	٦٤٠	٤	٧٥١	٤٦٥	مسكن مستودع
١٠٨	0293	٦٤٤	٢	٦٣٩	٥	١٤٢٠	٣٥	مستودع
١٠٩	0294	٦٤٤	٢	٦٤١	٣	١٨٩١	٦٧١	مسكن وحظائر
١١٠	0304	٦٤٥	١	٦٤١	٤	١٦٩١	٦٥٢	مسكن
١١١	0305	٦٤٤	٨	٦٤١	٣	١٦٢٩	٥٨٢	مسكن وغرف متناثرة
١١٢	0306	٦٤٤	٢	٦٤١	٣	١٢٠١	١٥٩	مسكن ومستودع

م	رقم النقطة	ارتفاع الموضع/ م	عدد المساكن	ارتفاع الوادي/ م	فرق المنسوب/ م	بعدها عن الوادي/ م	مرتبطة بطرق	الوصف العام
١١٣	0307	٦٤٢	٢	٦٣٩	٣	١٥٦٣	٣٢٢	مسكنان
١١٤	0308	٦٤٣	١	٦٣٩	٤	١٤٤٩	١٩٠	مستودع
١١٥	0309	٦٤٤	٦	٦٣٩	٥	١١٧١	١٥	مسكن ومسجد ومستودع وحظائر
١١٦	0310	٦٤٣	٥	٦٣٩	٤	١٠٥٩	١٥٠	مسكن ومرافق لمشروع دواجن
١١٧	0311	٦٤٢	٣	٦٣٩	٣	٥٢٧	٤٩٧	مسكن ومستودع لمشروع دواجن
١١٨	0312	٦٤٣	٣	٦٣٩	٤	٣٥٢	٦٩٠	مسكنان ومستودع
١١٩	0313	٦٤٢	٦	٦٤٠	٢	٦١٠	٦٨٠	مسجد ومسكن وحظائر
١٢٠	0314	٦٤١	١	٦٣٨	٣	٥٢٧	١١٠٢	مسكن
١٢١	0315	٦٤٣	١	٦٣٨	٥	١٤٩٣	١٤٠	مستودع
١٢٢	0316	٦٤٣	٤	٦٣٨	٥	٢٠٠٨	٣٧	مسكن ومستودع وحظائر
١٢٣	0326	٦٤٥	٢	٦٤٠	٥	٢٦١٦	٦٣	حظائر ومستودع
١٢٤	0328	٦٤٤	٢	٦٤٣	١	٢٨٦٣	١٠٧	مسكن ومستودع
١٢٥	0329	٦٤٣	٦	٦٤٠	٣	١٨٨٧	٢٠	فيلا وملحقاتها ومستودع
١٢٦	0330	٦٤٣	٨	٦٤٠	٣	١٦٨٠	٨٩	ملاحق منتظمة
١٢٧	0331	٦٤٣	١	٦٣٩	٤	١٤٣٩	١٥	مسكن
١٢٨	0332	٦٤٣	٧	٦٣٩	٤	٦٣٠	٢١٧	ثلاثة مساكن وأربعة مستودعات
١٢٩	0333	٦٤٣	١	٦٣٨	٥	٨٠٠	٢٠	مستودع
١٣٠	0334	٦٤١	٢	٦٣٨	٣	١٤٨٩	٧١٠	مستودع وحظيرة
١٣١	0335	٦٤٣	٢	٦٣٨	٥	١٧٩٧	٢١١	مسكن ومستودع في مزرعة السريع
١٣٢	0336	٦٤٣	٢	٦٣٨	٥	١٩٤٣	٣٠	مستودع وحظيرة
١٣٣	0337	٦٤٣	٥	٦٣٨	٥	١٩٠٣	١٥	محطة الحرمين
١٣٤	0348	٦٤٣	٥	٦٤٣	٠	٤١٣٠	١١٢٧	مسكنان ومستودعات
١٣٥	0349	٦٤٤	٤	٦٤٣	١	٣٥٧٧	١٢٤٠	مسكنان ومستودعات

م	رقم النقطة	ارتفاع الموضع/ م	عدد المساكن	ارتفاع الوادي/ م	فرق المنسوب/ م	بعدها عن الوادي/ م	مرتبطة بطرق	الوصف العام
١٣٦	0350	٦٤٣	٨	٦٤٣	٠	٣٢٠٦	١٠٠٥	مجموعة وغرف سكنية ومستودعات
١٣٧	0355	٦٤٣	٣	٦٤٢	١	١٨٦٠	٢٠٤	ثلاث فلل تحت الإنشاء
١٣٨	0356	٦٤٣	٧	٦٤١	٢	٢٧٧٤	٩٦٣	مجموعة مساكن وحظائر متعددة
١٣٩	0357	٦٤٣	٨	٦٤١	٢	٢٧٠١	٣٩٢	مساكن شعبية
١٤٠	0358	٦٤٥	٩	٦٤١	٤	٢٩١٢	١٠	ورشة ومساكن لمشروع الجبري
١٤١	0359	٦٤٤	٣	٦٤١	٣	٢٢٩٢	١٢٣	فلا ومستودع وحظائر
١٤٢	0360	٦٤٣	٢	٦٤١	٢	١٥٤٠	٧٩	مسكن
١٤٣	0361	٦٤٣	٢	٦٤١	٢	٩٦٢	٤٠١	مستودعان
١٤٤	0362	٦٤٤	١	٦٤١	٣	٥٣٧	٥٠	مستودع
١٤٥	0363	٦٤٥	٦	٦٤١	٤	٧٨٧	٢٤٥	مجموعة مساكن
١٤٦	0364	٦٤٣	٥	٦٤٠	٣	٨٤٤	٢٩٩	مسكن ومستودعات
١٤٧	0365	٦٤٤	١	٦٤٠	٤	٩٢٠	٤٢٠	مستودع
١٤٨	0366	٦٤٥	٣	٦٤٠	٥	٨١٩	٨٤	مسكن ومستودع
١٤٩	0367	٦٤٦	٣	٦٤٣	٣	٨١٧	٣٥	مسكن مستودع
١٥٠	0368	٦٤٣	٥	٦٤٠	٣	٢٠٠	٤٨	مرافق ومستودعات وحظائر
١٥١	0369	٦٤٤	١	٦٤٠	٤	٤٥٨	٥٨	فيلا
١٥٢	0370	٦٤٤	٣	٦٤٠	٤	٧٩١	٢٠	فيلا ومستودع واستراحة
١٥٣	0373	٦٤٥	١	٦٤٠	٥	١٠٩٧	٢٨٨	مستودع
١٥٤	0374	٦٤٥	٢	٦٤٠	٥	١١٩٠	٣٤٤	مسكن ومستودع
١٥٥	0375	٦٤٥	٤	٦٤١	٤	١١٠٥	٣٣٧	مسكن ومستودع وحظائر
١٥٦	0376	٦٤٥	٥	٦٤١	٤	١١٢٦	٣٨١	مسجد ومسكن ومستودع وحظائر

م	رقم النقطة	ارتفاع الموضع/ م	عدد المساكن	ارتفاع الوادي/ م	فرق المنسوب/ م	بعدها عن الوادي/ م	مرتبطة بطرق	الوصف العام
١٥٧	0377	٦٤٥	٤	٦٤١	٤	٦٩١	٨٧	مسكن ومسجد ومستودع
١٥٨	0378	٦٤٤	٣	٦٤١	٣	٦١٨	٩٤	مسكن ومستودع
١٥٩	0379	٦٤٥	٤	٦٤١	٤	٥٩٠	٥١	فيلا ومسكن طيني قديم ومستودع
١٦٠	0380	٦٤٥	٣	٦٤٣	٢	٤٢٧	١٦٦	مستودعات وحظائر
١٦١	0381	٦٤٦	٤	٦٤٣	٣	٩٥٨	٣١٢	استراحة
١٦٢	0382	٦٤٦	٤	٦٤٣	٣	٨٦٧	٣١٢	استراحة
١٦٣	0383	٦٤٧	٥	٦٤٣	٤	٧٤١	٩٧	فيلا ومساكن ومستودع
١٦٤	0384	٦٤٦	٤	٦٤٣	٣	٧٦٩	٥٩	مستودع ورشة ومساكن
١٦٥	0385	٦٤٨	٥	٦٤٣	٥	٩٠٢	٢٣٤	مسكن ومستودعات وحظائر
١٦٦	0386	٦٤٤	١	٦٤٣	١	٢٦٦٣	٩٧	مستودع
١٦٧	0387	٦٤٤	٢	٦٤٣	١	٢٨٦٩	٦٤	مستودعات لمشاريع دواجن
١٦٨	0388	٦٤٣	٣	٦٤٣	٠	٣١٩٥	٤٠	مستودع ومنشأة لمشروع دواجن
١٦٩	0389	٦٤٥	١	٦٤٣	٢	٣١٠٣	٤٧١	مستودع لمشروع دواجن
١٧٠	0390	٦٤٣	١	٦٤٣	٠	٣٢٢١	٤٠	مستودع
١٧١	0393	٦٤٨	١	٦٤٣	٥	٣٨١٩	٥٠	مستودع
١٧٢	0394	٦٤٧	١	٦٤٥	٢	٢٨٢	٤٥٦	مستودع لمشروع دواجن
١٧٣	0400	٦٤٥	٨	٦٤٤	١	٢٦٥	٣٤	مسكن ومستودعات وحظائر
١٧٤	0401	٦٤٤	٢	٦٤٢	٢	٤٥٨	٢٢٤	مستودع وحظائر
١٧٥	0402	٦٤٧	٢	٦٤٤	٣	٥٨٠	٢٥	مسكن ومستودع
١٧٦	0403	٦٤٦	٢	٦٤٤	٢	١٩٢٩	٣٠	مسكن ومستودع
١٧٧	0404	٦٤٦	٣	٦٤٦	٠	١٩٥٥	٣٠	مسكن ومستودع
١٧٨	0405	٦٤٥	٥	٦٤٦	١	٢١٥٧	١٠	مسكن ومستودع وحظائر

م	رقم النقطة	ارتفاع الموضع/ م	عدد المساكن	ارتفاع الوادي/ م	فرق المنسوب/ م	بعدها عن الوادي/ م	مرتبطة بطرق	الوصف العام
١٧٩	0406	٦٤٧	٣	٦٤٦	١	٢٣١٥	٤٩	ثلاثة مساكن
١٨٠	0407	٦٤٦	٣	٦٤٦	١	٢٢٩٨	١٥	مسكن شعبي ومستودع
١٨١	0408	٦٤٦	٢	٦٤٦	٠	٢٢١٢	١٠	مستودعان
١٨٢	0409	٦٤٥	٢	٦٤٦	١	١٩٨٨	١٧٩	مستودع وحظائر
١٨٣	0410	٦٤٦	٣	٦٤٦	٠	١٩٨٦	١٣٧	مسكن ومستودع
١٨٤	0411	٦٤٧	١	٦٤٦	١	٢٠١٤	٥٠٧	مستودع
١٨٥	0412	٦٤٧	٣	٦٤٦	١	٢١١٩	٣٢٨	مسكن ومستودع
١٨٦	0413	٦٤٧	١	٦٤٦	١	٢١٤٥	٢٩٦	مستودع لمشروع زراعي
١٨٧	0414	٦٤٧	٥	٦٤٦	١	٢٣٢٩	٥٥	مسكن ومستودعات
١٨٨	0416	٦٤٨	٣	٦٤٨	٠	٦٠٥	١٥	مستودعات
١٨٩	0418	٦٥٠	٣	٦٤٧	٣	٧٢٦	١٣٦	مسكن ومستودعات
١٩٠	0424	٦٤٨	١	٦٤٧	١	٥٢٩	١٤٥٨	غرفة
١٩١	0425	٦٤٩	١	٦٤٧	٢	٤١٥	١٧٨٦	غرفة وحظائر
١٩٢	0497	٦٥١	٧	٦٤٩	٢	٤٥٩٦	١٧١٤	مسكن وغرف محيطة ومستودع
١٩٣	0498	٦٥١	٥	٦٤٩	٢	٥٠٧٨	١٣٤٩	أحواش متناثرة
١٩٤	0499	٦٥٢	١٤	٦٥١	١	٥٧٨٣	٨٦٢	تجمع سكاني في مزرعة
١٩٥	0538	٦٤٩	١	٦٤٨	١	٥٠٨٦	١٥٤٠	محطة ضخ الصرف الصحي
١٩٦	0611	٦٥٣	١	٦٥١	٢	٤١٤٥	٦٣٠٧	مستودع لمزرعة
١٩٧	0635	٦٥٣	٣	٦٥٠	٣	٨٣٤٤	٢٣٨٠	مستودع وحظائر
١٩٨	0636	٦٥٤	٢	٦٥٤	٠	٧٨٩٩	٨٨٧	مستودعان
١٩٩	0637	٦٥٣	١	٦٥٥	٢	٧٢٨٠	١٣١١	مستودع
٢٠٠	0638	٦٥٥	١	٦٥٦	١	٥٢٦٦	٣٤٣٧	مستودع
٢٠١	0639	٦٥٤	٢	٦٥٦	٢	٧٨٧٦	٩٨	مسكن وحظيرة

م	رقم النقطة	ارتفاع الموضع/ م	عدد المساكن	ارتفاع الوادي/ م	فرق المنسوب/ م	بعدها عن الوادي/ م	مرتبطة بطرق	الوصف العام
٢٠٢	0640	٦٥١	٥	٦٥٣	٢	٥٥٦١	١٨١٧	مسكن وغرف
٢٠٣	0641	٦٥٤	١	٦٥٣	١	٥٧٩١	١٧٧	مستودع
٢٠٤	0642	٦٥٦	٣	٦٥٣	٣	٥٦٠٦	١٣١	مستودع ومسكن
٢٠٥	0643	٦٥٤	٦	٦٥٥	١	٤٤٥٦	٩٨	مستودعات
٢٠٦	0644	٦٥٥	٧	٦٥٥	٠	٥٥٣٩	٤٨٩	قرية صغيرة
٢٠٧	0645	٦٥٨	١	٦٥٥	٣	٥٣٤٤	٤٦٥	منشأة خدمية
٢٠٨	0646	٦٥٦	٩	٦٥٥	١	٤٦٦٨	٦١٧	مخطط في بداية التعمير
٢٠٩	0647	٦٥٣	١	٦٥٣	٠	٣٣٧٩	٢٠١٣	بيت قديم
٢١٠	0648	٦٥٥	٤	٦٥٣	٢	٤١٠٦	١٧٦٢	أربعة مساكن متفرقة
٢١١	0649	٦٥٣	٢	٦٥٣	٠	٣٨٦٨	١٥٦٢	مسكنان
٢١٢	0650	٦٥٦	٧	٦٥٣	٣	٣٠٥٠	٣٠٠	مجمع سكني في شكل استراحات
٢١٣	0651	٦٥٦	٩	٦٥٣	٣	٢٨٤٥	١٢٢	محطة بنزين ومستودعات

المصدر: استقصاء الباحث للنقط العمرانية المحاذية لمجرى وادي الرمة ١٤٣٤هـ. وعدد النقط التي تم حصرها ٦٥٣ نقطة، وكان عدد النقط التي غمرها الفيضان عام ٢٠٠٨م ٢١٣ نقطة.

The Urban points stability in Al-Rummah valley near basin

Taxonomic study of the degree of seriousness of the flood water

Musaed Al-Jukaideb
Prof in Department of Geography
College of Arabic Language and Social Studies
Qassim University

jukaideb@hotmail.com

Abstract:

The aim of the study in the classification of urban uses in Near or adjacent of AL-Rummah valley in the levels of flood. The study concluded to there are of 99 urban point in dangerous and high-risk positions; where Located in less than 3m of Al-Rummah valley, the study recorded the relationship between valley stream and urban points (0,066). It is closer to zero in the value, this is suggests random, maybe Lack of care of the fluxion or flood.

Key words:

Qassim, dangerous flood, stability points, AL- Rummah valley, urban mass.

التأثير الاقتصادي لنشاط السياحة في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٤م-٢٠١٠م

د. عنبره بنت خميس بلال

أستاذ الجغرافية الاقتصادية المُشارك

كلية الآداب- قسم الجغرافيا

aassaod@ksu.edu.sa

anbaraenergy@hotmail.com

تاريخ التحكيم: ٣٠/ ٤/ ١٤٣٦ تاريخ الإجازة: ٢٢/ ٨/ ١٤٣٦

«تم دعم هذا البحث من قبل مركز بحوث الدراسات الإنسانية، عمادة البحث العلمي، جامعة الملك سعود».

المستخلص:

الهدف من هذا البحث هو تتبع التأثير الاقتصادي للنشاط السياحي في المملكة العربية السعودية خلال الفترة من ٢٠٠٤م إلى ٢٠١٠م. ولتحقيق هذا الهدف تم استخدام منهج حساب السياحة الفرعي كأداة رئيسة للبحث. وقد دلت النتائج على أن النشاط السياحي قد أحدث تأثيراً اقتصادياً وبصورة إيجابية، وقد تبين ذلك من خلال مسيرة القيمة المُضافة لهذا النشاط في إجمالي الناتج المحلي للمملكة، التي تراوحت قيمتها بين ٢,٧ ٪ و٤٪. كما كان للنشاط السياحي تأثير إيجابي أيضاً من خلال القيمة المُضافة له التي تراوحت بين ٥,٩٪ و٧,٦٪ الخاصة بمساهمته في إجمالي الناتج المحلي للقطاع غير النفطي، وما بين ٥,٩٪

إلى ٣, ١٢٪ بالنسبة لمساهمته في القطاع الخاص.

الكلمات المفتاحية

جغرافية السياحة، التأثير الاقتصادي، منهج حساب السياحة الفرعي، الإنفاق السياحي، السياحة الداخلية، السياحة الخارجية، القيمة المُضافة للسياحة، الجداول العشر بمنهج حساب السياحة الفرعي، نظام حسابات السياحة، المؤشرات العامة لقطاع السياحة، (ماس).

مقدمة

تُغطي الحسابات الوطنية في المملكة العربية السعودية – كما هو الحال في غيرها من الدول- القطاعات الاقتصادية وذلك وفقًا لتصنيف الأنشطة والمنتجات الزراعة والصناعة والتعدين والنقل.... الخ. وحيث إن السياحة ظاهرة مكانية ترتبط بعملية الطلب فمن الضروري قياس الأهمية الاقتصادية لظاهرة السياحة وإبراز هذه الأهمية الاقتصادية في شكل مؤشرات واضحة يُمكن مقارنتها مع إسهامات القطاعات الاقتصادية الأخرى. «ومن أجل تقديم مقاييس دقيقة لحجم قطاعات السياحة من حيث طبيعة الطلب والعرض السياحي والمساهمة المباشرة للسياحة بالنسبة لإجمالي الناتج المحلي والتوظيف»، يتم استخدام منهج حساب السياحة الفرعي Tourism Satellite Account TSA[١]. ومن هذا المنطلق قامت الهيئة العامة للسياحة والآثار السعودية باستخدام هذه المنهجية العلمية لقياس السياحة ومتابعتها بصفة مستمرة[٢]. إن أساس استخدام هذا المنهج التحليلي يقوم على توفير كم من بيانات إحصائية مُحددة وتكون موزعة على عشرة جداول أساسية تُعرف أيضًا بالمؤشرات السياحية. وتتعلق جميع هذه البيانات المطلوبة بتفاصيل عمليات النشاط السياحي من حيث مدى إسهامه في إجمالي الناتج المحلي للدولة. ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام المنهج الاستقرائي الاستنتاجي حتى نتمكن من تحليل البيانات الإحصائية الخاصة بالمؤشرات السياحية ونتوصل إلى نتائج تصف مدى التأثير الاقتصادي لنشاط السياحة بصفة عامة، وتحديد أكثر المؤشرات الاقتصادية هيمنةً وبروزاً بالنسبة لبقية المؤشرات السياحية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة من ٢٠٠٤م إلى ٢٠١٠م.

---

(١) Blake and Others: 2

(٢) الهيئة العامة للسياحة، ١٤٣٢هـ: ٨.

موضوع البحث:

منهج حساب السياحة الفرعي هو المعيار الدولي الرئيس المُعترف به من قبل منظمة السياحة العالمية، وذلك لتلبية أغراض قياس التأثير الاقتصادي لنشاط قطاع السياحة في الدول، وقد تم تبني هذا المنهج من قبل هذه المنظمة منذ سنة ٢٠٠٠م. وقد جاء في تقارير منظمة السياحة العالمية أن الأساس الذي يرتكز عليه هذا المنهج هو بناء عشرة جداول لبيانات إحصائية أساسية تدور حول محورها الرئيس وهو الأنشطة السياحية المتنوعة التي تتعلق بجانبي العرض والطلب السياحيين. وتتم عملية مراقبة وتقييم لنشاط السياحة على كل من قطاع السياحة نفسه من جهة، وعلى القطاعات الأخرى من جهة ثانية، عن طريق جمع البيانات الإحصائية لإجمالي قيم ما يُسمى بإنفاق استهلاك الزائر Visitor consumption expenditure VCE، وهو مؤشر يُمثل المحتوى الرئيس لإجمالي الطلب السياحي. وقد تم تعريف هذا المصطلح بأنه: «إجمالي إنفاق الزائر أو من ينوب عن هذا الزائر على رحلته وأثناء رحلته وبقائه في الوجهة»[١]. ولهذا المؤشر وهو إنفاق الزائر أهمية كبيرة تتمثل في أنه يعتبر المقياس الأساسي لتقدير الجذب السياحي كنشاط اقتصادي في بلد الوجهة السياحية[٢]. وكما يذكر[٣]، فإنه ينجم عن عملية الإنفاق اليومي على مختلف السلع والخدمات المتنوعة التي يحتاجها السياح والزوار خلال فترة سياحتهم توفير جزء من العملات الأجنبية التي كان من المحتمل أن يتم إنفاقها على سياحتهم خارج دولتهم. ولذلك فإن من شأن إنفاق السياحة المحلية أن يُؤثر أيضاً

---

(١) World Tourism Organization, 1995: 5, Laimer and Weib 2006: 4, Lew and others, 2008: 26

(٢) Ibid. 26

(٣) الخولي، ١٤٢١هـ: ١٥.

وبشكل إيجابي في ميزان المدفوعات المحلي Local Balance of Payment وهو الأمر الذي تسعى الدول السياحية إلى رفع قيمته عن طريق تطبيق إجراءات التحسين المستمر على مستوى الخدمات السياحية المتنوعة التي تقدم للسياح[١]. أما منظمة السياحة العالمية[٢] فإنها تُقسم عملية الإنفاق السياحي إلى ثلاث مراحل وهي: الإنفاق قبل الرحلة ثم أثناء الرحلة وأخيراً الانفاق بعد انتهاء الرحلة كما يظهر في الشكل (١). ويتكون إجمالي الإنفاق على السياحة الداخلية Inbound Tourism Expenditure من مصدرين أساسيين الأول وهو جملة الإنفاق على السياحة المحلية Local Tourism Expenditure وهو ما يتم عن طريق المواطنين والمقيمين داخل الدولة، والثاني وهو جملة ما ينفقه السياح الوافدون من خارج دولة الوجهة السياحية. وتشتمل عملية الإنفاق المالي السياحي الإنفاق على بنود عدة يأتي في مقدمتها الإنفاق على مقر الإيواء الذي يُفضل السايح السكن فيه خلال فترة إقامته في بلد الوجهة السياحية كفندق، أو شقة مفروشة، أو منتجع بحري، أو منتجع جبلي. وفي بعض الأوقات قد لا يحتاج السايح إلى الإنفاق المالي لتأمين مقر إيواء له بسبب توفر مقر إقامة خاص به أو بأقاربه أو بأحد الأصدقاء. وبالإضافة إلى كل ما تقدم توضيحه حول بنود الإنفاق السياحي فإنه يُلحق بهذه العملية أيضـاً الإنفاق على كل من وسائل النقل والمواصلات والأطعمة والترفيه.

والتسوق وعلى الرحلات السياحية التي يقوم بها السائح داخل بلد الوجهة السياحية كالإنفاق على تذاكر زيارة المعالم كالجامعات، ودخول المتاحف، والمسارح، ودور العرض، والمصانع، وبعض الحدائق، والمتنزهات. ويُضاف إلى كل ما سبق في قائمة إنفاق السياحة «قيمة المشتريات التي يقوم المسافر بشرائها قبل

---

(١) هارون، ١٤٢٧هـ: ١٣٣.

(٢) Tourism Organization, 1995: 5

عملية المغادرة مباشرة مثل دفع قيمة وقود السيارة، وكذلك الإنفاق على متطلبات عملية العودة من الرحلة مثل: الإنفاق على عملية التنظيف الجاف للملابس التي تم استخدامها في الرحلة وغيرها»(١).

الشكل ١: مراحل الإنفاق التي يقوم بها السياح

المصدر: الباحثة

أهداف البحث:

١. ابراز وتتبع جوانب التأثير الاقتصادي لنشاط السياحة في المملكة العربية السعودية خلال فترة الدراسة الممتدة من ٢٠٠٤م إلى ٢٠١٠م.

٢. الكشف عن المؤشرات السياحية التي تُبرز التأثير الاقتصادي لنشاط السياحة في المملكة العربية السعودية.

تساؤلات البحث:

١- هل ثمة تأثير اقتصادي لنشاط السياحة في المملكة العربية السعودية خلال فترة الدراسة؟

٢- ما هي المؤشرات السياحية التي يُستدل بها على التأثير الاقتصادي للنشاط السياحي في المملكة العربية السعودية؟

---

(١) Lew and others, 2008: 26

أولاً – الإطار النظري

١ – أهمية البحث:

يهتم المتخصصون في فروع الجغرافيا الاقتصادية وكذلك المتخصصون في فروع العلم غيرهم بدراسة الأنشطة البشرية التي تقوم في الأساس على استثمار الموارد الطبيعية وغير الطبيعية وتحويلها إلى قوائم متنوعة من السلع والخدمات التي تُشبع الاحتياجات الضرورية للإنسان وتلبي رغباته الاستهلاكية المتنوعة في أي مكان يسكن فيه. بل حتى كذلك من أجل الحصول على عوائد مكانية مالية ترفد إجمالي الناتج المحلي عامة، وكذلك من أجل أن تعينه على تحسين مستوى الإنتاج والارتقاء بمستواه المعيشي والاقتصادي. ويستمد قطاع السياحة أهميته من كونه أحد القطاعات الرئيسة التي تقوم في الأساس على عملية الإنفاق المتواصل على استثمار الموارد الطبيعية والبشرية والثقافية التي يتذوقها السياح من جهة، ويزداد طلبهم عليها من جهة أخرى. ولذلك فإن التنمية السياحية تساعد على التنمية الإقليمية من جهة وعلى إعادة توزيع مصادر الدخل على جميع مناطق الدولة بدلاً من تمركز الدخل الوطني على المناطق الحضرية الكبرى(١).

وتبرز أهمية دراسة التأثير الاقتصاد للنشاط السياحي من خلال أهمية الأدوار التي يحققها هذا القطاع والتي تم تناولها وإبرازها في الدراسات السابقة في شكل مؤشرات سياحية نقدية وغير نقدية. فالقيمة المُضافة لقطاع السياحة، وقيمة الإنفاق السياحي الداخلي، هي مؤشرات نقدية تصب في نهاية المطاف في قيمة إجمالي الناتج المحلي للدولة، وتُبرز في الوقت نفسه الأهمية الاقتصادية للقطاع السياحي. وفي الجانب الآخر توجد قائمة من المؤشرات السياحية غير النقدية تتمثل في عدد

---

(١) هارون، مرجع سابق: ١٣٥.

الرحلات السياحية، وعدد الوظائف التي تتطلبها القطاعات السياحية الثانوية، وعدد المؤسسات السياحية، وعدد مقرات إيواء السياح، إضافة الى عدد الخدمات الضرورية الأخرى ذات العلاقة بالمأكل والمشرب والنقل والمواصلات وغيرها.

مما يُلاحظ أن عمل قطاع السياحة يرتبط بعدد من القطاعات الإنتاجية الأخرى كالزراعة والصناعة والبنوك والمصارف، ومن ثم فمن المتوقع أنه كلما ازدادت عمليات النشاط السياحي وتنوعت زاد تبعاً له الحركة الإنتاجية في القطاعات الاقتصادية ذات العلاقة، وكل ما سبق يؤدي إلى ارتفاع مستويات الدخول الفردية ومستويات المعيشة ومن ثم ارتفاع القيمة المُضافة للنشاط السياحي، وازدياد قيمة إجمالي الناتج المحلي للدولة تبعاً لهذه الزيادة. وأخيراً فان الارتباط الوظيفي والتكاملي بين قطاع السياحة وبين القطاعات الاقتصادية الأخرى يزيد من أهمية القطاع السياحي التي تزداد سنة بعد أخرى بل إن هذه الأهمية الاقتصادية ستنسحب بالتالي على كافة الأنشطة الاقتصادية التي ترتبط به.

٢- الدراسات السابقة:

تناولت (عليوة، ٢٠١٤م) في بحثها «تقييم أثر النشاط السياحي في النمو الاقتصادي في مصر» دراسة موضوع التأثير الاقتصادي للسياحة في مصر، وقد بينت الباحثة أن ثمة عدداً من الأمور التي تعكس دور النشاط السياحي، كما بينت تأثر النشاط السياحي بالأوضاع السياسية غير المستقرة التي تؤدي إلى انخفاض الإنفاق السياحي في الدول المتضررة بتلك الأوضاع حيث انخفضت قيمة الإنفاق السياحي الوافد إلى مصر أثناء الحرب الكويتية العراقية سنة ١٩٩١م نتج عنه تراجع قيمة الإنفاق على الواردات في تلك السنة.

أما (البقمي، ٢٠٠٤) (Albaqami,-) فقد هدف في دراسته تتبع التأثير الاقتصادي لقطاع السياحة في الاقتصاد السعودي، كما هدف أيضاً الى دراسة تأثير

إنفاق السياح على المخرجات النهائية وذلك بدراسة حالتي كل من قطاعي التوظيف والدخل. ومن أجل تحقيق أهداف بحثه فقد استخدم البقمي أنموذج المدخلات والمخرجات ومضاعفاتها لسنة ١٩٩٧م كأداة لدراسته. وقد خلُص البقمي في النهاية إلى وجود تأثير واضح لقطاع السياحة، وكان ذلك من خلال زيادة كل من المخرجات النهائية وعدد الموظفين وكذلك زيادة الدخل في عدد من القطاعات الاقتصادية ذات العلاقة بقطاع السياحة كقطاع النقل والمواصلات والخدمات.

أما (السحيباني١٤٢٩هـ) فقد قام في دراسته المعنونة بحساب السياحة الفرعي التجربة السعودية باستعراض وتوضيح لماهية منهج حساب السياحة الفرعي وعلاقته بالحسابات القومية، كما قام الباحث بشرح الخطوات الرئيسة التي توصل إلى بناء الجداول العشر لهذا المنهج، كما بيَّن السحيباني أن عدم إدراج المعلومات الخاصة بالجدول رقم ٩ يرجع سببه الى أن معظم الإنفاق الدولي يأتي من الحجاج والمعتمرين وفي الوقت نفسه فإن المملكة العربية السعودية لا تنظر إلا أنها مسئولة عن الإنفاق على قطاع الحج وعلى كل ما يعمل على تذليل الصعاب أمام الحجاج والمعتمرين. وفي ندوة الأثر الاقتصادي للسياحة مع تطبيقات على المملكة التي كان عنوانها الأهمية والأثر الاقتصادي لتنمية قطاع السياحة: حالة المملكة العربية السعودية قدم (السجيني، ٢٠٠١م) ورقة العمل شرح فيها السجيني أن استخدام منهج حساب السياحة الفرعي يعتبر أحدث النظم الهادفة إلى تقدير الأهمية الاقتصادية للسياحة في اقتصاديات الدول وأن هذا الاستخدام يعتبر أهم أنواع التحليل الاقتصادي على مستوى العالم، لأن هذا النظام يُركز على التعرف على نصيب قطاع السياحة في الناتج القومي الاجمالي وفي الإنفاق.

أما في دراسة (Stynes)، ودراسة (Hall and Page, 2000:)، ودراسة

(Lew & Others) وعنوانها: جغرافية العالم للسفر والسياحة منهج إقليمي فقد تمت الإشارة إلى الدور الريادي الذي قام به المحاسبون الفرنسيون بصفة أنهم أول من اكتشف طرقاً لتحليل سمات الاقتصاد الوطني الذي لم يتم تمثيله بشكل كافٍ داخل نظام الحساب القومي System of National Account SNA. ومن أجل ذلك فقد طوروا ما يُعرف في وقتنا المعاصر بحسابات الأقمار الصناعية التوابع والتي عُرفت بحساب السياحة الفرعي، لأن الحسابات الخاصة بقطاع السياحة على وجه الخصوص تدور في مجال أو فضاء أكبر وهو مجال الحسابات القومية للدولة.

وفي التقرير النيوزيلندي الخاص بحساب السياحة الفرعي: (Statistics New Zealand 2010, Tourism satellite account: 2010) ورد توضيح مفاده أن حساب السياحة الفرعي يُكامل بين البيانات الإحصائية لكل من العرض والطلب على كل من السلع والخدمات السياحية في تركيبة واحدة، كما أن هذا الحساب أيضاً يُقدم وفي الوقت نفسه قياساً سريعاً للمساهمة التي يقدمها قطاع السياحة لكل من قطاعي الإنتاج والتوظيف بشكل متسق ومتكامل مع الحسابات القومية لنيوزيلندا، ويضمن هذا الأمر أن تتم عملية قياس أهمية القطاع السياحي وفهمه في سياق اقتصاد نيوزيلندا ككل. كما تم التوضيح بأن حساب السياحة الفرعي يقوم بقياس إنفاق كل من السياح المقيمين في نفس الدولة وغير المقيمين وهم الذين يقدمون من خارج الدولة بغرض السياحة، وعليه فهو يعطي صورة عن الحجم الكلي لصناعة السياحة التي تتضمن إسهامها في إجمالي الناتج المحلي والتوظيف.

٣- منهجية البحث:

تم اعتماد المنهج الاستقرائي في إنجاز هذا البحث، وتحقيق أهدافه، حيث إن استخدام هذا المنهج قد مكننا من تتبع وإبراز جوانب التأثير الاقتصادي لنشاط

السياحة في المملكة العربية السعودية، وكذلك سهل عملية إبراز المؤشرات السياحية من خلال جمع البيانات الإحصائية من مصادرها الأولية التي يعتبر كل مؤشر منها شاهداً بحد ذاته على أن النشاط السياحي في المملكة قد أحدث تأثيراً اقتصاديـًا وبشكل إيجابي في إجمالي الناتج المحلي. لذلك فإن دخول منهج حساب السياحة الفرعي هنا يأتي لاعتباره أداة بحثيةً رئيسة أعانتنا على إجراء هذا البحث وتحقيق الأهداف الرئيسة له ومن ثم الإجابة عن التساؤلات البحثية.

٤- أدوات البحث:

يتكون منهج حساب السياحة الفرعي كما هو نُص عليه في الأساس من عشرة جداول رئيسة يُستخدم كل جدول منها كمؤشر اقتصادي مستقل بذاته ليُعبر ويكشف هذا المؤشر أيضـًا عن مدى الثقل الاقتصادي للنشاط السياحي الذي يصل تأثيره في نهاية المطاف إلى التأثير في إجمالي الناتج المحلي للدولة من خلال ما يُعرف بالقيمة المُضافة للسياحة أو إجمالي الناتج المحلي للنشاط السياحي. وقد تم جمع البيانات الرقمية التي تلزمنا لعملية بناء هذه الجداول العشرة من المصادر الأولية الآتية:

٤-١-التقارير التي أصدرها مركز المعلومات والأبحاث السياحية بالهيئة العامة للسياحة والآثار (ماس). وهي تقارير حساب السياحة الفرعي للمملكة العربية السعودية من العام ٢٠٠٥م وحتى العام ٢٠٠٨م. وتقرير أهم مؤشرات الحركة السياحية لعام ٢٠٠٩م. وكذلك تقرير أهم المؤشرات المتعلقة بقطاع السياحة ٢٠٠٤م – ٢٠١٠م. كما تم أيضـًا استخدام التقارير الأخرى التي أصدرها هذا المركز من المعلومات بالإضافة إلى الرجوع الى الأبحاث السياحية التي أصدرتها الهيئة العامة للسياحة نفسه.

٤-٢-التقارير السنوية التي أصدرتها مؤسسة النقد العربي السعودي خلال الأعوام من ١٤٢٦هـ إلى ١٤٣٥هـ وتتضمن بيانات عن عدد من المؤشرات السياحية.

ثانياً - التحليل والمناقشة

٢-١-التعريف بمنهج حساب السياحة الفرعي:

هو إطار منهجي أوصت به منظمة السياحة العالمية World Tourism Organization WTO التابعة للأمم المتحدة، وهذا المنهج عبارة عن: «مصطلح تم تطويره عن طريق الأمم المتحدة من أجل قياس حجم القطاعات الاقتصادية التي لم تُحدد كصناعات في الحساب القومي. ويعتبر منهج حساب السياحة الفرعي نتاج ثمرة تعاون جاد بين ثلاث منظمات دولية هي: منظمة السياحة العالمية، والمكتب الإحصائي للاتحاد الأوروبي Statistical Office of the European Union Eurostats، ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية Organization for Economic Cooperation and Development OECD، ويستخدم هذا المنهج كأداة إحصائية جديدة تم تصميمها لقياس السلع والخدمات طبقـًا لمعايير دولية من المفاهيم التصنيفات والتعريفات التي ستُمكن من إجراء مقارنات صحيحة مع صناعات أخرى»[١].

ويُعد المحاسبون الفرنسيون أول من اكتشف طرقـًا لتحليل سمات الاقتصاد الوطني الذي لم يتم تمثيله بشكل كاف داخل نظام الحساب القومي System National Account SNA ومن أجل ذلك طوروا ما يُعرف بحسابات الفرعية[٢]. ولا تزال عملية تطبيق واستخدام منهج حساب السياحة الفرعي في مهدها في دول العالم كافةً. فعلى الرغم من أنه قد تم الإعلان عن هذا المنهج التحليلي منذ سنة ٢٠٠٠م إلا أنه وحسبما ورد في تقارير منظمة السياحة الدولية التابعة للأمم المتحدة، فإن عدد الدول التي طبقت هذا المنهج التحليلي لم يتجاوز

---

(١) http://www.unwto.org/statistics/tsa/project/concepts.pdf

(٢) Lew & Others, Op. Cit

ستين دولةً من بينها أربع دول عربية فقط، هي المملكة العربية السعودية، ومصر، وعُمان، والمغرب[١]. في حين ما تزال توجد مجموعة كبيرة من الدول التي لم تطبق هذا المنهج التحليلي حتى الآن. كما تُعد المملكة العربية السعودية أيضـًا أول دولة عربية طبقت هذا الحساب على النحو المتوافق مع توصيات منظمة السياحة العالمية[٢].

٢-٢-مكونات منهج حساب السياحة الفرعي:

إن استخدام هذا المنهج كأداة بحثية تتطلب في الأساس عملية بناء عشرة جداول رئيسة -كما سبق ذكره- يحتوي كل جدول من هذه الجداول العشرة على أنواع محددة من البيانات الإحصائية وذات العلاقة بالمواضيع الرئيسة الثلاثة لقيم الإنفاق السياحي التي تتضمن كلاً من الإنفاق الداخلي والمحلي والخارجي التي تظهر في الجدول (١). كما تتضمن هذه الجداول العشرة أيضـًا تلك البيانات الإحصائية الأخرى التي تتعلق بكيفية إبراز جوانب التأثير الاقتصادي لنشاط السياحة من خلال مؤشرات أخرى، كمؤشر حجم التوظيف في قطاع السياحة نفسه، ومؤشر قيمة إجمالي تكوين رأس مال النشاط السياحي. وبالإضافة إلى كل ما تقدم ذكره فإن منهج حساب السياحة الفرعي يتضمن أيضـًا بناء جداول خاصة بالبيانات الإحصائية للمؤشرات السياحية غير النقدية التي تشمل كلاً من حجم الرحلات السياحية، ومقرات الإيواء، والمؤسسات ذات العلاقة بهذا النشاط، وحجم التوظيف فيها. ومما يجدر التنويه به في هذا السياق والمتعلق بالانتهاء من عملية بناء هذه الجداول العشرة، أنه ليس هناك أية دولة حتى الآن قد انتهت تمامـًا من عملية توفير هذه البيانات الإحصائية الخاصة بكل هذه الجداول العشرة بحيث تكون

---

(١) WTO, 2010: 2

(٢) ماس، ١٤٣١هـ: ٨.

جاهزة ومتاحة لمستخدمي ومنفذي عمليات الدراسات التحليلية المتنوعة للتأثير الاقتصادي للنشاط السياحي.

جدول ١ : الجداول العشر لمنهج حساب السياحة الفرعي كما بينته منظمة السياحة العالمية

الجدول	موضوع البيانات الإحصائية للجدول
١	تقدير قيم إنفاق السياحة الداخلية.
٢	تفصيلات إنفاق السياحة المحلية وهو جزء من إجمالي الاستهلاك المحلي.
٣	إنفاق السياحة الخارجية.
٤	الاستهلاك النهائي للسياحة الداخلية: الجدولين ١ و٢
٥	حسابات الإنتاج من الصناعات السياحية وغيرها.
٦	الإنتاج المحلي والاستهلاك الداخلي حسب المنتج: الجدولان ٤ و٥ وهما نواة حساب السياحة الفرعي.
٧	حجم التوظيف في الصناعات السياحية.
٨	إجمالي تكوين رأس المال السياحي.
٩	الاستهلاك السياحي الجماعي حسب وظائف ومستويات الحكومة.
١٠	مؤشرات غير نقدية: الرحلات، الليالي، السكن، المؤسسات والتوظيف.

المصدر:

Statistics South Africa(2007): Tourism Satellite Account, Linking Government Strategies and the Tourism Satellite Account in South Africa, p: 4

ثالثاً - نتائج تحليل البيانات السياحية للمملكة خلال الفترة ٢٠٠٤م -٢٠١٠م حسب منهج حساب السياحة الفرعي:

على الرغم من أن عملية استخدام منهج حساب السياحة الفرعي تقوم في الأساس على توفر البيانات الإحصائية الخاصة بكل جداوله العشرة التي ظهرت في

الجدول السابق رقم (١)، إلا أننا وجدنا وبحسب المصادر المحلية الخاصة بحساب السياحة الفرعي أن ثمة نقصاً، حيث لم يتم إنتاج جميع الجداول العشرة، وأنه لا تتوفر سوى البيانات التي تخص الجداول: ١، ٢، ٣، ٥، ٧، ١٠[١]. وهذا يعني أن النقص يخص فقط الجداول ذات الأرقام ٤ و٦ و٨ و٩ على وجه التحديد. وبناءً على ما ظهر من توضيحات في تقارير منظمة السياحة العالمية، والتي ذُكر فيها أن عدم إدخال البيانات الإحصائية الخاصة بالجدولين ٥ و٦ في التحليل لا يمنع من المضي قدماً في الدراسة التحليلية التي تهدف إلى إبراز التأثير الاقتصادي لنشاط السياحة في موقع جغرافي معين وإن كان هذا الأمر بالذات يُضعف هذه الدراسات[٢]. وقد بيَّن السحيباني، أن السبب في عدم إدراج المعلومات الخاصة بالجدول رقم ٩ يرجع سببه إلى أن معظم الإنفاق الدولي مصدره من الحجاج والمعتمرين، وفي الوقت نفسه فإن المملكة العربية السعودية لا تنظر إلا أنها مسئولة عن الإنفاق على قطاع الحج، وعلى كل ما يعمل على تذليل الصعاب أمام الحجاج والمعتمرين. ولتحقيق الأهداف في هذه الدراسة البحثية فقد تم الاعتماد على البيانات الإحصائية الموجودة في التقارير السنوية لمنهج حساب السياحة الفرعي في المملكة من سنة٢٠٠٥م إلى ٢٠٠٨م التي أصدرتها (ماس) كما سبق توضيح ذلك.

٣-١-تحليل المؤشرات النقدية للنشاط السياحي:

٣-١-١- إنفاق السياحة الداخلية: Expenditure of inbound tourism

إن مصدر هذا الإنفاق هو إجمالي الأموال التي ينفقها السياح على جميع

---

(١) ماس، ٢٠٠٧م: ٢٧-٣١.

(٢) UNWTO

متطلبات رحلتهم السياحية التي تتضمن الإنفاق على كل من مقر الإيواء، والطعام، ووسائل التنقل، والسفر، والترفيه، والتسوق، وزيارة أماكن التراث، والترفيه الأخرى بحسب تفضيلهم لذلك وغيرها. ويُعد إنفاق السياحة الداخلية أحد الروافد الرئيسة لإجمالي الناتج المحلي والتي تعمل على انتعاش الدخل المحلي وعدم اعتماده على مصادر محددة وثابتة كالقطاع النفطي.

وبعد تحليل البيانات الإحصائية لجملة إنفاق السياح من الأفراد أو المجموعات على السواء الذين قدموا من خارج المملكة العربية السعودية للسياحة في أراضيها خلال فترة الدراسة من ٢٠٠٤م إلى ٢٠١٠م، تبين للباحثة وجود تذبذب واضح في قيم إنفاق السياحة الداخلية بشكل عام، حيث انخفضت قيم الإنفاق السياحي خلال ٢٠٠٥م و٢٠٠٦م على التوالي غير أنها ما لبثت أن ارتفعت سريعاً في السنتين التاليتين ٢٠٠٧م و٢٠٠٨م، كما يظهر في الشكل (٢). وقد زادت قيمة إنفاق السياح خلال سنة ٢٠٠٧م إلى.٤٥٠ مليون ريال سنة ٢٠٠٨م لتأتي تلك الزيادة معاكسةً لوضع الأزمة المالية العالمية Financial Economic Crisis، التي بدأت منذ منتصف ٢٠٠٧م واستمرت حتى أواخر سنة ٢٠٠٨م تقريباً، كما أجمعت على ذلك المصادر العلمية ذات العلاقة. وعليه فإن الوضع الخاص بإنفاق السياحة الداخلية لا يتوافق مع وضع الأزمة الاقتصادية المذكورة هنا إلا في عملية الانخفاض التي حدثت بعد ذلك، أي خلال السنتين التاليتين ٢٠٠٩م و٢٠١٠م. أي أن هناك احتمالية بأن يكون الصدى السلبي لهذه الأزمة الاقتصادية لم يظهر واضحاً ولم يُؤثر في الدخول الفردية إلا بعد وقوع الأزمة.

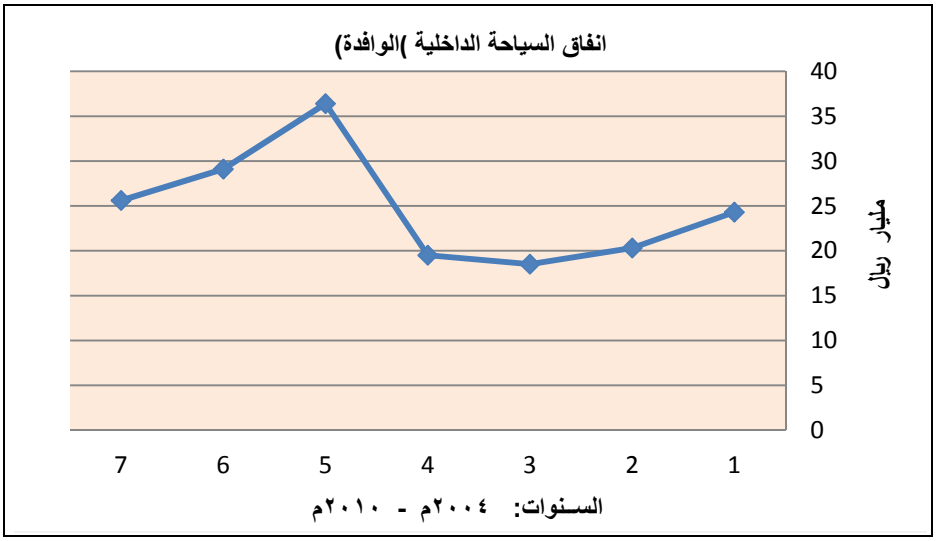

شكل ٢: التغير في قيمة إنفاق السياحة الداخلية –الوافدة–

المصدر: الباحثة

٣-١-٢- إنفاق السياحة المحلية: Expenditure of domestic tourism

شكلت قيم إنفاق كل من السياح المواطنين والسياح المقيمين في المملكة العربية السعودية مجتمعةً المصدر الرئيس لهذا الإنفاق السياحي، الذي يتكون من جملة المبالغ المالية التي تم إنفاقها على العمليات المتعددة وذات العلاقة بالاستهلاك السياحي. وقد دلت نتائج تحليل البيانات الإحصائية لهذه القيم على أن حالة الإنفاق السياحي المحلي في هذا القطاع قد ظهرت متأرجحة بين الارتفاع والانخفاض، ولذلك فهي تشبه إلى حد كبير حالة إنفاق السياحة الداخلية، فما أن ترتفع قيمة الإنفاق في سنة ما حتى يتبعها انخفاض ملحوظ في السنة التالية مباشرةً. ويظهر في الشكل (٣) أن قيمة إنفاق السياحة المحلية قد انخفضت من ٣٦,٣٢٠ مليون ريال سنة ٢٠٠٤م إلى ٣١,٩٦٨ مليون ريال سنة ٢٠٠٥م، وعلى الرغم من ارتفاع تلك القيمة بعد ذلك الانخفاض إلى ٣٢,٢٦٢ مليون ريال سنة ٢٠٠٦م إلا

أنها انخفضت مباشرة لتصل إلى ٣١,٧٧٠ مليون ريال سنة ٢٠٠٧م ثم تقفز هذه القيمة إلى الأعلى لتحقق أعلى قيمة لاستهلاك السياحة المحلية في سنة ٢٠٠٨م ٣٧,٥٩٠ مليون ريال، ثم ما تلبث أن تنخفض إلى ٣٥,٣٩٨ و٣١,٣٢٤ مليون ريال خلال السنتين ٢٠٠٩م و٢٠١٠م على التوالي.

ولا شك في أن سمة التذبذب التي تظهر عليها قيم إنفاق السياحة المحلية تعكس في واقع الأمر عدة أمور ذات علاقة من بينها الحالة التي تظهر عليها منتجات العرض السياحية الداخلية مثل تنوع هذه المنتجات سواء الطبيعية منها أم البشرية. كما تظهر أيضاً الدور الذي تحققه عملية توفر فرص استغلال تلك الموارد في زيادة حركة السياح نحو مناطق وجودها، وفوق كل هذا مدى جودة الخدمات السياحية التي تُقدم داخل قطاعات النشاط السياحي، والكفاءة الوظيفية التي تتصف بها جهات عرض تلك الموارد السياحية ومدى قدرتها على مواجهة عملية المنافسة التي تأتي من مصادر العرض السياحي الخارجية سواء الإقليمية منها أو الدولية. فالسياح في المملكة العربية السعودية لم يعودوا منغلقين على موارد السياحة المحلية التي تتوزع على جميع المناطق الجغرافية، بل على العكس تماماً من هذا الأمر حيث إن نسبة لا بأس بها أصبحت ذات معرفة وخبرات متعددة بجغرافية الوجهات السياحية الخارجية. وقد كان للتسهيلات الالكترونية عبر شبكة الاتصال العنكبوتية دور فاعل ومتزايد في تمكين السايح من إنهاء معظم متطلبات رحلته السياحية وما يتبعها من عمليات التسوق السياحي الالكترونية من خلال الدخول إلى المواقع العالمية المتخصصة في تقديم الخدمات المتنوعة للسفر والسياحية والترفيه، كعمليات حجز رحلات الطيران الخارجية والداخلية على السواء، والحجز المُسبق لمقر الإيواء، بل إنه أصبح بإمكان السياح كذلك إنهاء جميع متطلبات الرحلة السياحية الترفيهية كحجز تذاكر الدخول لعدد كبير من أنشطة

السياحة والترفية في الوجهات الدولية على وجه الخصوص وفي وقت قياسي يزداد وينقص تبعاً للخبرات الذاتية المكتسبة في هذا المجال الاستهلاكي الواسع. والأمر الأكثر أهمية في هذا الصدد، هو أن عمليات التسوق السياحي الالكترونية قد فتحت أبواباً عريضة ومتعددة من فرص الاختيار المتنوعة، التي يقوم السائح في النهاية وبعد الاطلاع عليها باختيار ما يُحقق له الرضى الاستهلاكي بحسب المستوى الاقتصادي له في وجهته السياحية أياً كانت.

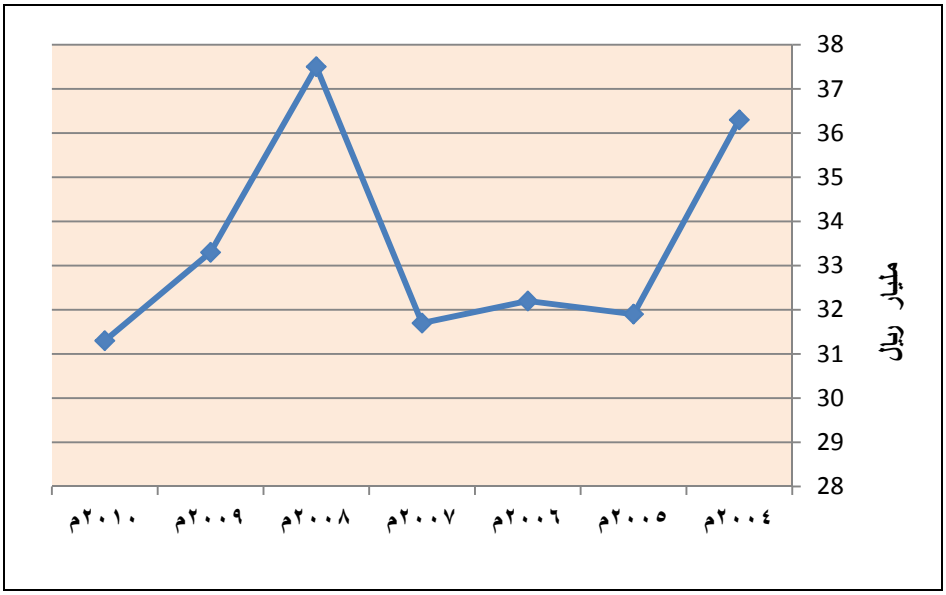

شكل ٣: التغير في قيم إنفاق السياحة المحلية للملكة العربية السعودية

المصدر: إعداد الباحثة

٣-١-٣- إنفاق السياحة الخارجية: Expenditure of outbound tourism

أظهرت قيم إنفاق السياحة الخارجية خلال فترة الدراسة زيادة مستمرة كما يظهر هذا في الشكل (٤). وتدل هذه الزيادة في قيم هذه الأموال التي أنفقها السياح

خارج السعودية على وجود أسواق خارجية تعرض لهم الموارد والسلع والخدمات السياحية المختلفة بشكل يلبي تنوع الحاجات والرغبات والأذواق السياحية من جهة، وفق أشكال من أشكال العرض والتسويق المتنوعة والمنافسة التي تتفوق على ما يُقدم في سوق العرض السياحي المحلي. وقد ارتفعت النسبة المئوية لقيمة الأموال التي تم إنفاقها بغرض السياحة الخارجية ٢٠,٧٪ سنة ٢٠٠٤م و٢٧,٨٪ سنة ٢٠٠٩م، من إجمالي الأموال السعودية التي تم إنفاقها على النشاط السياحي. أي أن هذه القيمة قد تعدت ١/ ٤ قيمة الإنفاق المالي للسياحة السعودية.

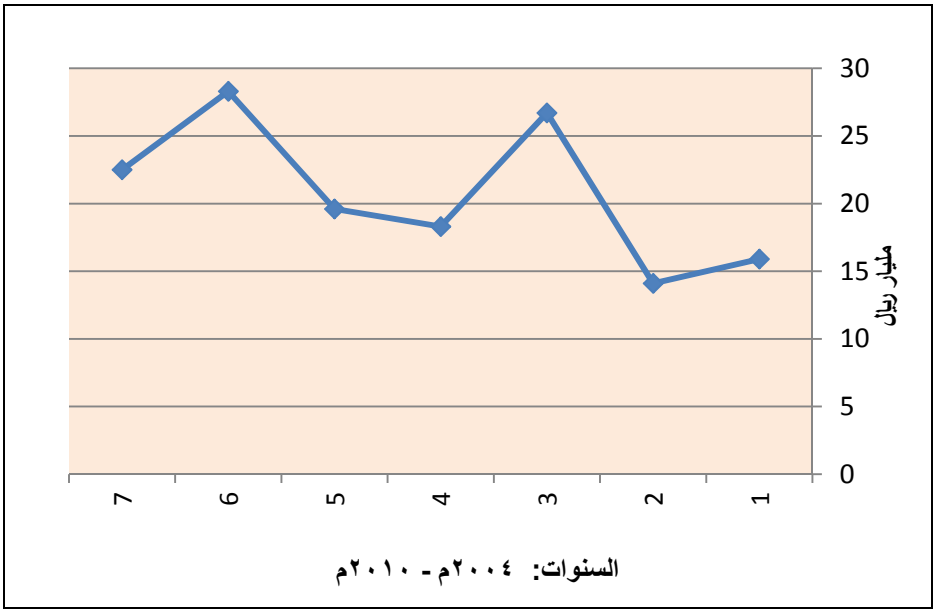

الشكل ٤: قيم الإنفاق على السياحة السعودية الخارجية

مصدر البيانات: - مؤسسة النقد العربي السعودي، التقارير السنوية ٤٢ -٤٦ (١٤٢٧هـ-١٤٣٠هـ).

- الهيئة العليا للسياحة، مركز المعلومات والأبحاث السياحية (١٤٣٢هـ) أهم المؤشرات المتعلقة بقطاع السياحية ٢٠٠٤م-٢٠١٠م. بيانات سنة ٢٠١٠م أولية.

وقد يرى البعض في أن خروج قرابة ١/ ٤ قيمة الإنفاق المالي للسياحة السعودية الوطنية إلى الأسواق السياحية الخارجية أمر غير مثير للقلق، إلا أنه وعند

الأخذ بوجهة النظر الوظيفية والاقتصادية لقطاع السياحة على وجه الخصوص، والقطاعات الإنتاجية ذات العلاقة على وجه العموم، وهي قطاعات النقل والمواصلات والزراعة والصناعة والخدمات، فإنه لابد أن ينظر إلى ما يعنيه هذا الأمر أي أنه وبمعنى أكثر وضوحـًا، لا بد في أن تُفكر جميع الجهات الخاصة والعامة ذات العلاقة بجانبي العرض والطلب السياحي وبشكل ملي وبشيء من المسئولية في النتائج الاقتصادية التي ستنجم وتترتب عن خروج هذا المقدار من الأموال الوطنية إلى خارج البلاد ألا وهو حرمان الدخل القومي منها. وقبل كل هذا فهي تعمل على تقليل الفرص الوظيفية وتبطئ من مشاريع التنمية الاقتصادية في المناطق الجغرافية المختلفة التي توجد فيها موارد العرض السياحي الطبيعية والبشرية. وقد لوحظ أن انخفاض قيمة إنفاق السياحة الخارجية في سنة معينة قد قابله وبشكل بين ارتفاع في قيمة إنفاق السياحة المحلية.

٣-١-٤-تحليل قيم الاستهلاك النهائي للسياحة الداخلية:

Final consumption of internal tourism

يتم حساب قيمة هذا المؤشر من جمع قيم إنفاق كل من السياحة الداخلية أو الوافدة وإنفاق السياحة المحلية معـًا. ولهذه القيمة الإجمالية مصدران رئيسان، المصدر الأول منهما هو إجمالي الأموال التي تم إنفاقها من قبل كل من السياح السعوديين ومن السياح المقيمين في المملكة، والذين قد قدموا جميعهم من مختلف المناطق الجغرافية للمملكة العربية السعودية. أما المصدر الثاني لإجمالي قيم الاستهلاك النهائي للسياحة الداخلية، فقد أتى من جملة المبالغ المالية التي أنفقها السياح الوافدون Inbound Tourists، أي السياح الذين وصلوا من خارج المملكة العربية السعودية على عمليات الطلبات الاستهلاكية من مختلف الأنشطة السياحية التي قاموا بها داخل الوجهات السياحية التي قصدوها. وقد هيمنت قيم

إنفاق السياحة المحلية على إجمالي قيم الاستهلاك النهائي للسياحة الداخلية معاً (المحلية والوافدة). وكما يظهر في كل من الجدول (٢) ومن الشكل (٥)، فقد تراوحت قيمة الأهمية النسبية لهيمنة السياحة المحلية ما بين ٥٠,٦ ٪ في سنة ٢٠٠٨م إلى ٦٣,٥ ٪ في سنة ٢٠٠٦م. ولعل في سهولة الإجراءات الإدارية الخاصة بعملية السفر والتنقل داخل المملكة ما يُفسر زيادة قيم إنفاق السياحة المحلية على الداخلية، حيث لا تتطلب عملية تنقل السايح بين مناطق الوجهات السياحية سوى حمل بطاقة الأحوال المدنية للمواطن ومرافقيه، أو حمل إقامة سارية للمقيمين في المملكة. وهذا الأمر يختلف تماماً فيما يتعلق بالسياح الذين يقدمون من الخارج إلى داخل المملكة، حيث تقابلهم عدد من المتطلبات ذات العلاقة بالإجراءات الأمنية اللازمة لدخول الدولة وحصول السائح الوافد من خارج المملكة على تصريح رسمي بالدخول والإقامة فيها VISA لمدة محددة داخل الوجهة وكما هو مطبق في معظم دول العالم.

ومما تقدم عرضه في كل من الجدول الجدول (٢) ومن الشكل (٥)، تبين وجود تذبذب واضح وكما ذكرنا سابقاً في قيم إنفاق السياحة الداخلية Internal Tourism، (المحلية والوافدة) على السواء خلال فترة الدراسة. وفي واقع الأمر فإن هذا التذبذب يبدو أمراً طبيعياً لأسباب عديدة هامة منها حداثة عهد المملكة العربية السعودية بعملية تسجيل البيانات الإحصائية السياحية، التي لم تبدأ إلا في سنة ٢٠٠٠م[١]. ثم يأتي تأثير أمر الموارد السياحية أو ما يعرف بموارد العرض السياحي أو المنتجات السياحية أو السلعة السياحية التي تشكل في الوقت نفسه عوامل الجذب نحو منطقة الوجهة السياحية. وتذبذب إجمالي قيم الإنفاق يدل على مرونة الطلب Demand Elasticity، على منتجات وموارد العرض

(١) الهيئة العامة للسياحة، مرجع سبق ذكره.

السياحية بين مناطق المملكة المختلفة، وهذه المرونة هي ردة فعل الطلب السياحي تجاه التغيرات التي تطرأ على كل ماله علاقة بعرض المنتج السياحي. وعلى سبيل التوضيح لكيفية حدوث المرونة، فإن حالة تراجع الطلب على السلعة السياحية تقع حينما يرتفع سعره السلعة أو يقل حجم العرض منها، وخاصة في حالة توفر البديل الذي يعمل على جذب المستهلكين باتجاهه.

الجدول ٢: حالة الاستهلاك النهائي للسياحة الداخلية (مليار ريال سعودي/ السنة)

المصدر	٢٠٠٤م	٢٠٠٥م	٢٠٠٦م	٢٠٠٧م	٢٠٠٨م	٢٠٠٩	٢٠١٠*
السياحة الداخلية	٢٤,٣	٢٠,٣	١٨,٦	١٩,٦	٣٦,٤	٢٩,١	٢٥,٦
السياحة المحلية	٣٦,٣	٣١,٩	٣٢,٢	٣١,٧	٣٧,٥	٣٣,٣	٣١,٣
المجموع	٦٠,٦	٥٢,٢	٥٠,٨	٥١,٣	٧٤,٠	٦٢,٥	٥٦,٩
٪	٥٩,٩	٦١,١	٦٣,٥	٦١,٧	٥٠,٦	٥٣,٢	٥٥

المصدر: الهيئة العليا للسياحة، مركز المعلومات والأبحاث السياحية (١٤٣٢هـ) أهم المؤشرات المتعلقة بقطاع السياحية ٢٠٠٤م-٢٠١٠م. بيانات سنة ٢٠١٠م أولية.

ومن الأمور الأخرى التي تُفسر هذا التذبذب الملحوظ في قيم إنفاق طرفي السياحة الداخلية الوافدة والمحلية، هو تلك المنافسة التي يواجهها القطاع السياحي السعودي على المستويين الإقليمي والدولي، حيث تتمتع الكثير من الدول المجاورة بوفرة في عدد الموارد التي تم استثمارها بناءً على الإمكانات السياحية الجاذبة، وكذلك بناءً على ارتفاع مستوى الكفاءة الوظيفية التي يتم عرض تلك الموارد السياحية بواسطتها، «مما يستدعي الاستمرار في تطوير السياحة الداخلية وتحسين بنيتها الأساسية وخدماتها»[١]. وحيث أنه سيتحقق من جراء تنفيذ هذه

(١) خطة التنمية التاسعة: ٢٤٢.

التحسينات على مستوى وكفاءة المنتجات السياحية المحلية أمور إيجابية عديدة من بينها جذب مزيد من الحركة السياحية صوب الموارد والمنتجات.

السياحية الطبيعية والبشرية ومن ثم زيادة قيمة الإنفاق السياحي، وكل هذه الأمور ستسهم في توفير الفرص الوظيفية وتنويع مصادر الدخل المحلي ومن ثم إنعاش الاقتصاد المحلي وخاصة في المناطق الجغرافية للعرض السياحي. وعليه فإننا نقترح بل نقول أنه قد حان الوقت للتفكير وبشكل جدي من قبل المستثمرين وأصحاب القرار في ضرورة التنويع والتوزيع الجغرافي لموارد العرض السياحي بشقيها الطبيعي والبشري التي ينبغي استثمارها مستقبلاً والاهتمام وعلى وجه الخصوص بتلك الموارد السياحية التي توجد في المناطق النائية من المملكة كالقرى والمدن الصغيرة.

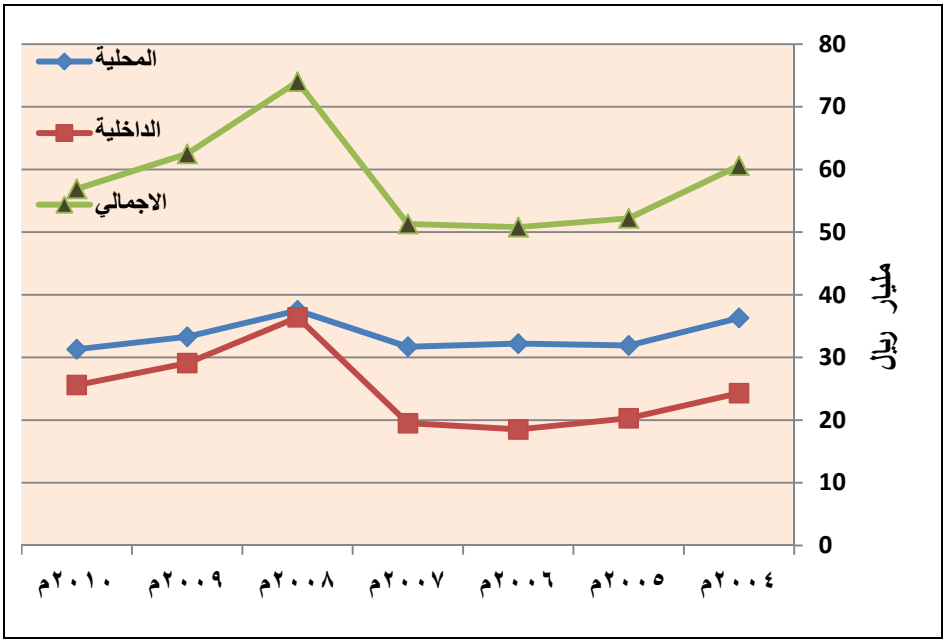

الشكل ٥: قيم الاستهلاك النهائي –إنفاق السياحة الداخلية (المحلية والوافدة)

المصدر: الباحثة اعتماداً على البيانات في الجدول ٢

٣-٢- تحليل المؤشرات السياحية غير النقدية:

يتضمن هذا الجزء من الدراسة استخدام البيانات الإحصائية في الجدول رقم (١٠)، وهو الجدول الأخير من جداول منهج حساب السياحة الفرعي. ويختص الجدول العاشر بتحليل المؤشرات غير النقدية للنشاط السياحي، حيث إنه يختص بالبيانات الرقمية التي تتعلق بعدد الصناعات السياحية الفرعية التي تتبع لهذا القسم من المؤشرات العامة لنشاط السياحة. وتتضمن هذه الصناعات الفرعية على كل من عدد الرحلات والليالي السياحية كل على حدة، كما تتضمن أيضـًا أعداد كل من مقرات الإيواء وكذلك عدد المؤسسات السياحية وأعداد الوظائف التي فتحت في القطاع السياحي. وبعد إجراء الدراسة التحليلية لهذه البيانات الإحصائية توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

٣-٢-١- الرحلات السياحة:

٣-٢-١- الرحلات السياحة الداخلية:

تتكون الرحلات السياحية الداخلية من مجموعة الرحلات السياحية المحلية (القادمة من داخل المملكة)، ومجموعة الرحلات السياحية الوافدة من خارج المملكة العربية السعودية. وقد لُوحظ حدوث ارتفاع في عدد هذه الرحلات السياحية الداخلية. وخلال فترة الدراسة ظهرت هيمنة خمسة مناطق إدارية على إجمالي عدد الرحلات السياحة بصفة كونها وجهات سياحية رئيسة. وهي كل من مكة المكرمة والمنطقة الشرقية والمدينة المنورة وعسير والباحة، وبلغت نسبة هيمنتها ما يتراوح بين ٧٣٪ إلى ٨٠٪ من مجموع عدد الرحلات المحلية إلى جميع الوجهات السياحية في المملكة العربية السعودية الجدول (٣).

جدول (٣): التوزيع النسبي (٪) لعدد الرحلات السياحة الداخلية حسب الوجهات السياحية الخمس في المملكة

الوجهة (المنطقة)	٢٠٠٤م	٢٠٠٥م	٢٠٠٦م	٢٠٠٧م	٢٠٠٨م	٢٠٠٩م	٢٠١٠م
مكة المكرمة	٤٣,٠٠	٣٩,٠٠	٤٠,٣٠	٣٨,٢٨	٣٨,٠٠	٤٠,٠٠	٤٤,٠٠
الشرقية	١٢,٢٢	١٣,١٥	١٣,٣٠	١٢,٠٠	١٣,٢١	١٣,٢٠	١٣,٠٠
المدينة المنورة	٩,٠٠	٩,١٣	٨,٤٠	١٣,٠٠	١٢,١٢	٩,٠٠	١٢,٠٠
عسير	٦,٤٦	٨,٠٣	٩,٠٠	١١,٣٨	٩,٠٠	١٢,٠٠	٧,١٣
الباحة	٢,٠٠	٢,٣٢	٣,٠٠	٥,٢٧	٤,٣١	٣,٠٠	٤,٠٠
المجموع (٪)	٧٣,٠٠	٧٣,٠٠	٧٤,٠٠	٨٠,٠٠	٧٧,٠٠	٧٧,٢٠	٨٠,١٣
المملكة	٣٤٩٤٧	٣٠٢٣٦	٢٧٠٨٠	٢٨٥٤٩	٢٨٧٧٦	٣٢٠١٤	٢٢٧٨٠

المصدر: إعداد الباحثة اعتماداً على التقارير السنوية لمؤسسة النقد العربي السعودي:

التقرير السنوي ٤٨(١٤٣٣هـ)، جدول رقم (١٣-٢)، ص ١٣٠

التقرير السنوي ٤٥(١٤٣٠هـ)، جدول رقم (١٣-٢)، ص ١٧٧

التقرير السنوي ٤٤(١٤٢٩هـ)، جدول رقم (١٣-٢)، ص ١٦٧

وقد تصدرت منطقة مكة المكرمة هذه القائمة بنسبة تراوحت بين ٣٨٪ و٤٤٪، ولا غرابة في هذا الإستحواذ الذي يُفسره وقوع مدينة مكة المكرمة داخل هذه المنطقة الإدارية، ووجود المسجد الحرام فيها، وتزايد المكانة الدينية المقدسة لها داخل قلوب المسلمين الذين لا تنفك أفئدتهم تهفو اليها فيقصدون هذه المدينة المُقدسة طوال العام من كل مكان في العالم لأداء مناسك العمرة أو خلال فترة أداء مناسك الحج كما فرضها الله سبحانه وتعالى علينا معشر المسلمين. وبالإضافة إلى التأثير الايجابي لوجود مدينة مكة المكرمة في هذه المنطقة الإدارية، فإن القرب المكاني بين مدينة مكة المكرمة نفسها وبين مدينة جُدة البوابة الجوية والبحرية لهذه المدينة المقدسة التي تبلغ مسافته ٧٠ كم وسهولة الوصول يُفسر أيضـاً هذه الهيمنة التي تحتلها منطقة مكة المكرمة بالنسبة لعدد الرحلات السياحية الداخلية. فمدينة جُدة تمتلك عدداً من المقومات الطبيعية والبشرية مما يجعلها تظهر في قائمة

الوجهات السياحية السعودية، فهناك الشواطئ المُطلة على البحر الأحمر وامتداد الواجهة البحرية التي قامت عليها المنتجعات البحرية، ناهيك عن مراكز التسوق التجارية الكبرى وخدمات المطاعم والخدمات التجارية الأخرى وغيرها كثير. وقد وجد بأن كثيراً من رحلات الحج والعمرة تلبي الرغبات الشخصية لهؤلاء الحجاج والزوار، حيث تأخذهم في جولات سياحية في مدينة جدة مستمتعين بالتنزه والتسوق، التي يتحقق من خلالها الانتفاع المكاني لمدينة جده نفسها من خلال الأموال التي يتم إنفاقها على عمليات الاستهلاك السياحي المتنوعة. أما المركز الثاني فقد كان للمنطقة الشرقية التي تضم داخلها العديد من مقومات الجذب السياحي الطبيعية والبشرية ناهيك عن قرب المنطقة الشرقية من دولة البحرين وسهولة الوصول اليها عبر جسر الملك فهد البحري الذي يصل ما بين هاتين الدولتين.

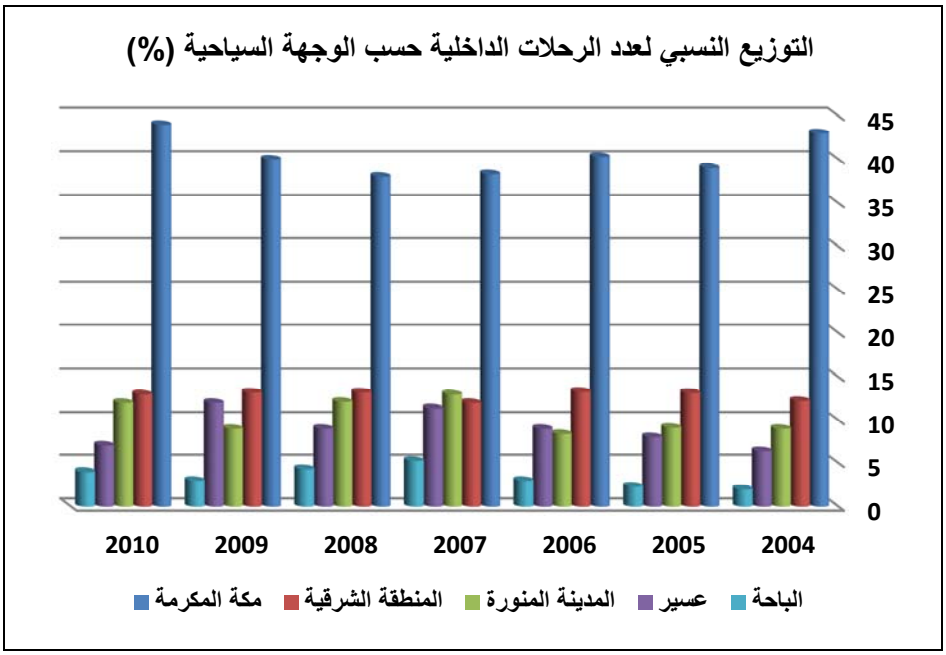

الشكل (٦)

المصدر: إعداد الباحثة اعتماداً على الجدول (٣)

٣-٢-٢- الرحلات السياحة المغادرة:

توزعت الرحلات السياحية التي غادرت السعودية على سبع وجهات جغرافية رئيسة، وقد عُرف بأن كل واحدة من هذه الوجهات السبع تمتلك خصائص سياحية مميزة. وقد تنافست كل من منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي وجنوب آسيا على المراكز الثلاثة الأولى. وكما يظهر في الجدول رقم (٤) والشكل (٨) فإن دول الشرق الأوسط قد حققت لنفسها المركز الأول، وجاءت دول مجلس التعاون الخليجية في المرتبة الثانية، وأخيراً حققت دول جنوب آسيا المرتبة الثالثة. وقد هيمنت هذه المناطق الثلاث مجتمعةً على مايتراوح بين ٩٠,٦٪ سنة ٢٠٠٥م و٨٧,٨٪ سنة ٢٠١٠م من مجموع عدد الرحلات السياحية التي غادرت المملكة خلال فترة الدراسة. وقد بلغت النسبة المئوية لحجم الرحلات التي غادرت إلى دول الشرق الأقصى ما يتراوح بين ٤٦٪ و٥١٪، أما النسبة لدول مجلس التعاون للخليج العربي فتراوحت بين ٣٢٪ و٣٧٪، أما دول منطقة جنوب آسيا فتراوحت قيمة الأهمية النسبية بين ٤٪ و١٠٪. ومن الأمور التي يُمكن أن تُفسر من خلالها أسباب ارتفاع الثقل النسبي في عدد الرحلات السياحية المغادرة التي تخص هذه المناطق هو أولاً أن كل منطقة من هذه المناطق الثلاث على وجه الخصوص تضم داخلها مجموعة من الدول لا يقل عددها عن خمسة دول، والأمر الثاني هو خاصية القرب المكاني وخاصة بين المملكة وبين دول مجلس التعاون الخليجي واشتراكهم جميعـًا في كل من اللغة والدين والعادات والتقاليد، فلا يشعر السايح باغتراب ولا يواجه أيضـًا أية حواجز تنغص عليه أمر الاستمتاع برحلته السياحية إلى هذه الدول. وفوق كل هذا فإن هذه الدول قد توفرت لها العديد من مقومات صناعة السياحة سواء الطبيعية منها أو البشرية، حيث تُعد كل منها وجهة سياحية تُنافس

الدول المتقدمة ذات السمعة الرائدة في صناعة السياحة، مثل الولايات المتحدة الأمريكية ومثل الدول الأوروبية، كبريطانيا وفرنسا وايطاليا وسويسرا وأسبانيا وألمانيا. كما أن سهولة إجراءات الدخول إلى معظم هذه الدول وعدم فرض رسوم دخول كما هو المعمول به في بقية مناطق الوجهات السياحية الأخرى يُفسر ازدياد عدد الرحلات السياحية إلى هذه المناطق السياحية على وجه التحديد.

الجدول رقم (٤): التوزيع الجغرافي لعدد الرحلات السياحية المغادرة المملكة (٪)

م	الوجهة السياحية/ الدولة	٢٠٠٥م	٢٠٠٦م	٢٠٠٧م	٢٠٠٨م	٢٠٠٩م	٢٠١٠م
١	الشرق الأوسط	٥٠,٥	٤٧,٤	٤٨,٧	٤٦	٤٧,٨	٤٧,٢
٢	الخليج العربي	٣١,٥	٣٢	٣٤,٦	٣٥,١	٣٤,٩	٣٧,١
٣	جنوب آسيا	٨,٦	٩,٩	٣,٩	٤,٤	٥	٣,٥
٤	أوروبا	٢,٥	٣,١	٣,٩	٥	٢,٨	١,٨
٥	أفريقيا	٢,٣	٢,٥	١,٩	٤,٣	٣	٢,٤
٦	شرق آسيا والمحيط الهادئ	٤	٤,٧	٥,٧	٣,٧	٦	٧,٤
٧	أمريكا الشمالية والجنوبية	٠,٣٤	٠,٣	٠,٨٤	١,١	٠,٢٩	٠,٢٨
المجموع		٩٩,٧٤	٩٩,٩٠	٩٩,٥٤	٩٩,٦	٩٩,٧٩	٩٩,٦٨

المصدر: إعداد الباحثة اعتماداً على التقارير السنوية لمؤسسة النقد العربي السعودي:

التقرير السنوي ٤٨(١٤٣٣هـ)، جدول رقم (١٣-٢)، ص ١٣٠

التقرير السنوي ٤٥(١٤٣٠هـ)، جدول رقم (١٣-٢)، ص ١٧٧

التقرير السنوي ٤٤(١٤٢٩هـ)، جدول رقم (١٣-٢)، ص ١٦٧

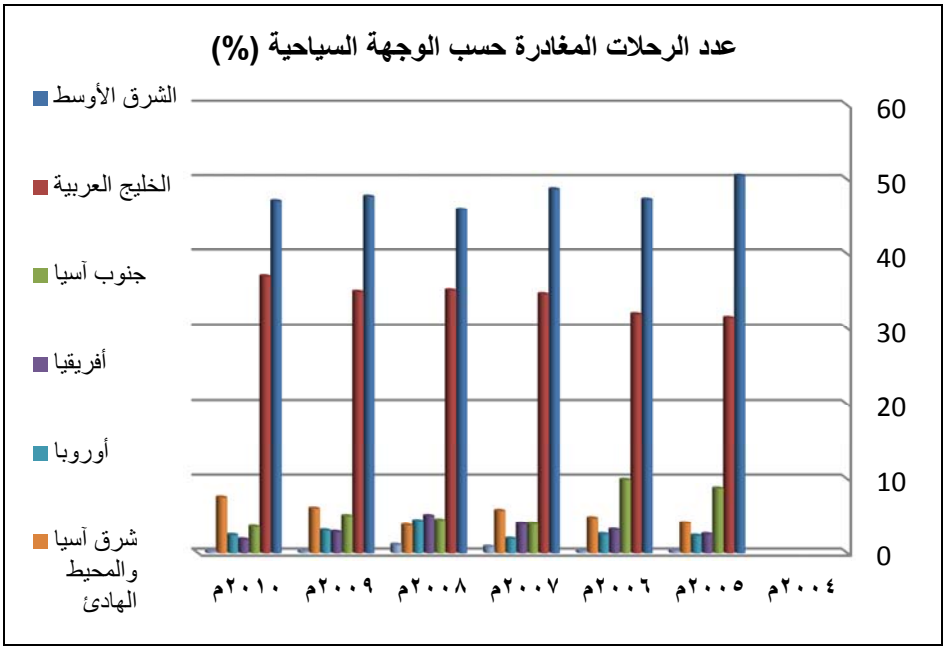

الشكل (٨)

المصدر: إعداد الباحثة اعتماداً الملحق (٣)

وعلى الرغم من حدوث ارتفاع بسيط في عدد الرحلات السياحية الخارجية التي غادرت المملكة العربية السعودية خلال فترة الدراسة، ما بين سنة ٢٠٠٤م (٣,٨ مليون رحلة)، وبين سنة ٢٠٠٩م (٥,٧ مليون رحلة)، الا أن هناك تذبذباً واضحاً ملاحظاً في عدد هذه الرحلات المغادرة. فهي تنخفض سنة ثم ما تلبث أن ترتفع في السنة التالية بعدها كما يظهر في الشكل (٧). وكمتفائلين بالأهمية الاقتصادية لقطاع السياحة، فإننا ننظر إلى أن عملية التذبذب في عدد الرحلات المغادرة ستكون في صالح الميزان السياحي الوطني حيث أن من الأحداث المحتمل وقوعها أن تتحول أنظار شرائح من المتذوقين للسياحة الخارجية باتجاه أسواق العرض السياحي المحلية والتي تعرض مختلف المنتجات والموارد السياحية المحلية الطبيعية والبشرية المُتاحة، مما سيؤدي إلى تحويل مسار إنفاق

أموال هذه الشرائح إلى الداخل ويسهم في التشجيع والتسريع للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في مناطق عرض الموارد السياحية، والزيادة من عدد فرص الاستثمار المالية ومن وتنوعها في الوقت نفسه، ويوفر عدداً من الفرص الوظيفية للأيدي العاملة المحلية.

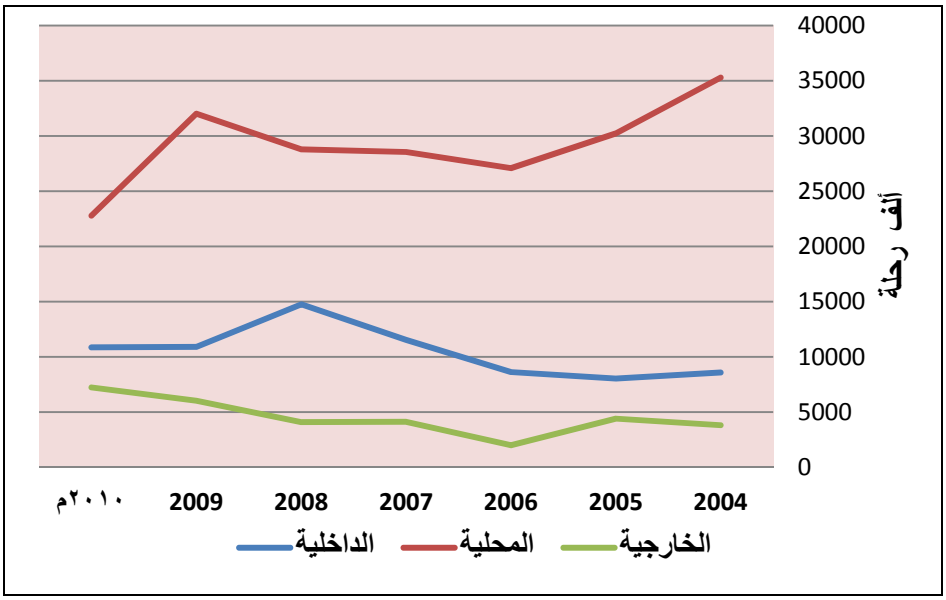

شكل (٧): عدد الرحلات السياحة في المملكة العربية السعودية

المصدر: إعداد الباحثة اعتماداً على الإحصاءات السياحية ٢٠١٠م، ماس ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص: ١٤

٣-٢-٢- الليالي السياحية:

يُعبر هذا المصطلح عن عدد الليالي السياحية التي يقضيها السياح في مناطق الوجهات السياحية وفقاً لتذوقهم ورغباتهم وتفضيلهم السياحي. ولعدد الليالي السياحية علاقة وثيقة في زيادة أو انخفاض قيمة الإنفاق السياحي، بحيث أنه كلما زاد عدد الليالي السياحية، زادت تبعاً له قيمة ما يُنفقه السياح على متطلبات عملية المبيت في تلك المقاصد السياحية. فالرحلة السياحية مهما بلغت مدتها تتطلب

الإنفاق على عدد من البنود الرئيسة، وهي السكن والغذاء وعمليات التنقل من مقر السكن إلى الوجهات السياحية المختلفة مثل المتاحف والقلاع والترفيه والتسوق وغيرها. ومن الشكل (٧) يظهر تفوق عدد الليالي السياحة المحلية على كل من السياحة الداخلية والخارجية معـًا خلال فترة الدراسة، على الرغم من أن هذا العدد بالذات قد عانى من عملية التراجع سنة بعد أخرى خلال فترة الدراسة. كما لُوحظ من الشكل السابق أيضـًا، بأن عدد ليالي السياحة الداخلية قد اتسم بالزيادة المستمرة وخاصة خلال السنوات من ٢٠٠٥م إلى ٢٠٠٨م. أما ما لُوحظ على سلوك ليالي السياحة الخارجية التي قضاها السياح السعوديون والمقيمون في المملكة، فهو الزيادة المتواصلة خلال السنوات الثلاث الأخيرة فقط: ٢٠٠٨م وحتى ٢٠١٠م. وليس ثمة ما يبرر ما ساد حركة الليالي السياحية من تذبذب سوى أنه كان يعكس الواقع الراهن لسوق العرض السياحي للمملكة العربية السعودية، الذي يتسبب في تراجع عدد السياح في بعض السنوات. كما أن زيادة عدد الليالي السياحة الخارجية خلال السنوات الأخيرة يظهر وجود مصادر سياحة خارجية نافست المصادر المحلية ومن ثم فازت دول تلك الوجهات السياحية بأن تصب عمليات الإنفاق السياحي داخل خزائنها المالية، ومن ثم سيكون لذلك الإنفاق دور فعال في رفع قيمة ميزان المدفوعات خاصتها. وكل ما تقدم يملي على أصحاب القرار والسياسة المحلية ضرورة الاستعجال في عملية دعم مشاريع السياحة القائمة وتوفير متطلبات استثمار الموارد الطبيعية والبشرية التي تنتشر في المناطق الجغرافية المختلفة للمملكة العربية السعودية.

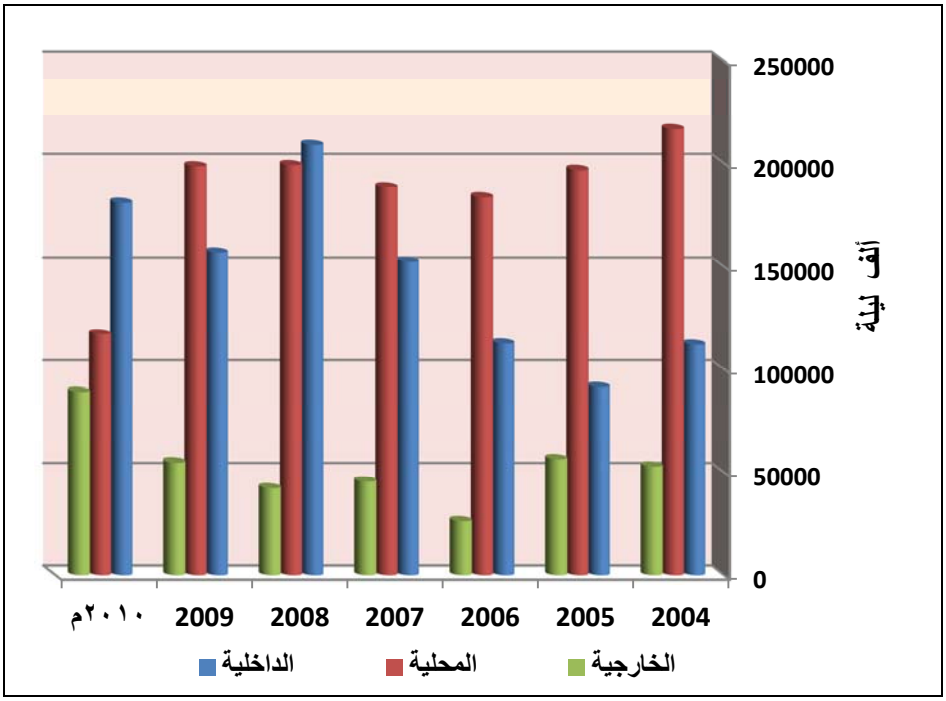

شكل ٧: عدد الليالي السياحية

المصدر: إعداد الباحثة اعتماداً على الإحصاءات السياحية ٢٠١٠م، ماس ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص: ١٤

٣-٢-٣- مقر الايواء:

تفوق عدد الشقق المفروشة على إجمالي عدد أنماط السكن المعروفة والتي قصدها السياح خلال فترة الدراسة على وجه التحديد، وقد بلغت النسبة المئوية لإجمالي عدد الشقق المفروشة ٩٤,١ ٪ و٩٤,٨٪، الشكل (٨). وعلى ما يبدو فان هذا العدد المهيمن يعكس وجود التفضيل الاستهلاكي لدى السياح تجاه هذا النمط السكني والذي يوفر للسايح الخصوصية والحرية الشخصية. ثم أتت الوحدات السكنية في المرتبة الثانية إذ بلغت النسبة المئوية لإجمالي هذا النمط السكني سنة ٢٠٠٤م ٤٪، كما أنه لم يطرأ على هذا النسبة أي تغير بالزيادة أو النقص سنة ٢٠١٠م. وجاءت الفنادق في المرتبة الثالثة وبنسبة مئوية تراوحت بين

٧, ١٪ سنة ٢٠٠٤م، و١٪ سنة ٢٠١٠م. أما النمطان الأخيران وهما بيوت الطلبة وبيوت الشباب فقد بلغت النسبة المئوية التي تم شغلها من قبلهما ٠٣, ٠٪ و٠١٩, ٠٪ سنة ٢٠١٠م، ويرجع سبب تراجع النسبة المئوية لعدد هذين النمطين إلى كونهما يخصصان في الأساس لاستقبال الأفراد من الذكور فقط وعدم تخصيصها لاستقبال العائلات.

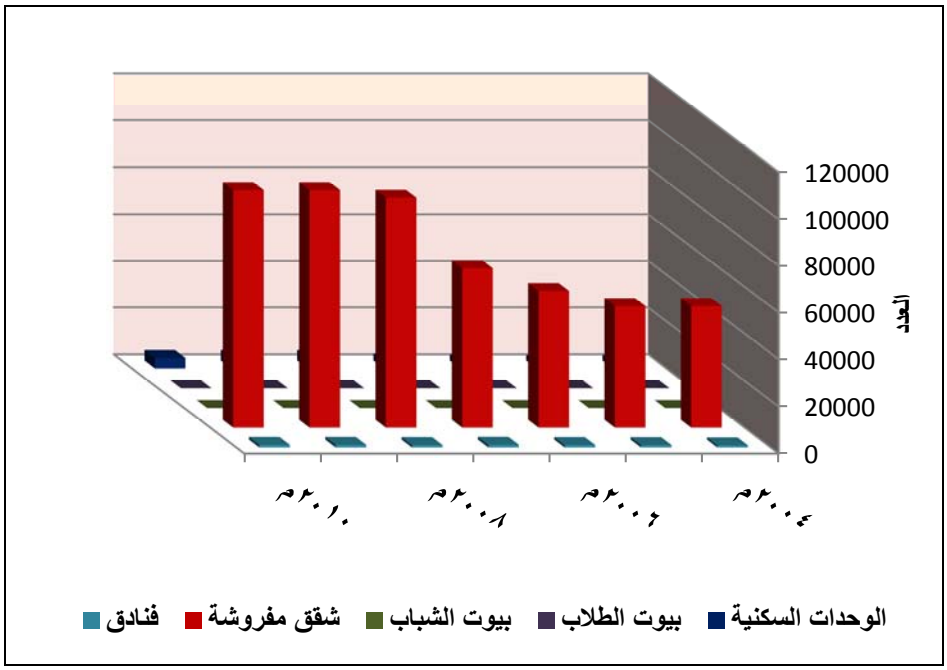

شكل ٨: التوزيع النوعي لمقر الإيواء في المملكة العربية السعودية.

المصدر: الباحثة اعتماداً على البيانات الإحصائية لماس ١٤٣١هـ.

٣-٢-٤- المؤسسات السياحية:

يقدم هذا النوع من المؤسسات الأعمال ذات العلاقة بالأنشطة السياحية المتنوعة، وفي واقع الأمر فإن المؤسسات السياحية تُشكل مجالاً رحباً أمام أصحاب رؤوس الأموال لاستثمار رؤوس الأموال المحلية في سوق العرض السياحي، كما تكون مصدراً من مصادر توفير فرص العمل للقوة العاملة المحلية

والوافدة على السواء. وسيعمل هذا الأمر على توفير مصدر للدخل الفردي ورفع المستوى المعيشي العائلي لمن سيلتحق بتلك الوظائف. لذلك تعتبر هذه المؤسسات السياحية أحد المؤشرات الهامة التي يُستدل بها على مدى تأثير القطاع السياحي في إجمالي الناتج المحلي للدولة. ويتبين من الشكل (٩) زيادة في عدد المؤسسات السياحية من ٢٩ ألفاً سنة ٢٠٠٤م إلى ٤٤ ألف مؤسسة سياحية سنة ٢٠١٠م، بنسبة نمو ٥١,٧٪. ومما يُذكر أن عملية فتح المؤسسات المتخصصة في أعمال النشاط السياحي تساعد على إنعاش وتنمية المناطق المحلية التي يتم افتتاحها فيها من خلال ما تم ذكرها سابقاً.

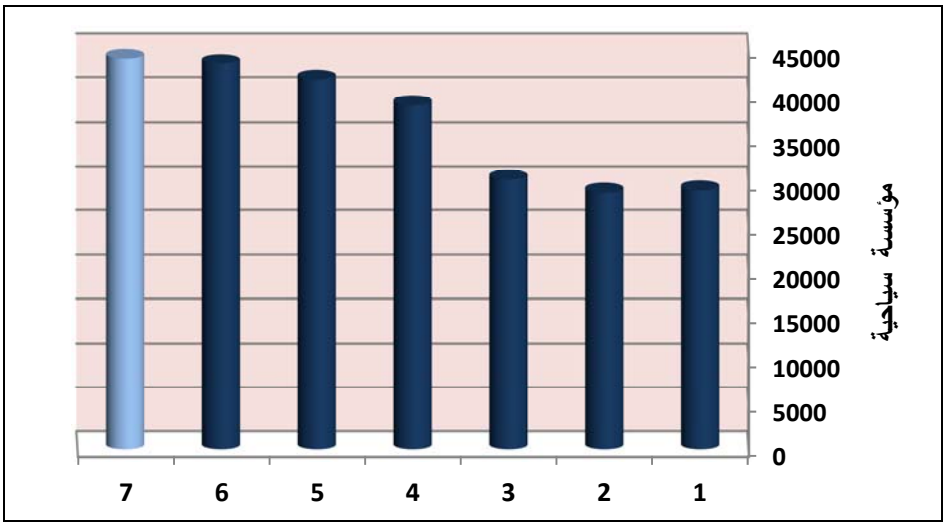

شكل ٩: عدد المؤسسات السياحة في المملكة خلال الفترة من ٢٠٠٤م إلى ٢٠١٠م.

المصدر: الباحثة اعتماداً على الهيئة العليا للسياحة، مركز المعلومات والأبحاث السياحية (١٤٣٢هـ)، أهم المؤشرات المتعلقة بقطاع السياحية ٢٠٠٤م-٢٠١٠م. بيانات سنة ٢٠١٠م أولية.

٣-٢-٥- التوظيف:

يشكل قطاع السياحة مجالاً رحباً وجديداً من مجالات استقطاب الأيدي العاملة المحلية والوافدة على السواء، تلك الأيدي التي ستتحمل مسئولية تأدية وتوفير المتطلبات الوظيفية المتعددة على نحو نوعي داخل هذا القطاع. ولذلك فإن النشاط

السياحي بكافة فروعه الثانوية يقدم لهم وباستمرار الفرص الوظيفية المتنوعة. وقد ورد في التقرير السادس والأربعين لمؤسسة النقد العربي السعودي سنة ١٤٣١هـ، أن القطاع السياحي العالمي يوظف نحو ١٠٪ من إجمالي القوى العاملة. ولا يقتصر توفير الفرص الوظيفية في القطاع السياحي نفسه، بل أنه يعتبر عاملاً مساعداً في توفير الفرص الوظيفية، كذلك في جميع القطاعات الإنتاجية التي ترتبط وظيفياً بالقطاع السياحي التي تختص بإنتاج وتأمين جميع متطلبات واحتياجات السياح من السلع والخدمات السياحية، وفقاً لتنوع أذواقهم الاستهلاكية وحسب إمكانياتهم وقدراتهم الشرائية.

٣-٢-٥-١- حجم التوظيف:

أظهر تحليل البيانات الإحصائية لهذه الظاهرة حدوث زيادة متواصلة في عدد الوظائف التي قدمها قطاع السياحة خلال فترة الدراسة، حيث تبين أن هذه الوظائف قد تم شغلُها من قبل الأيدي العاملة الوطنية والوافدة، كما لوحظ زيادة عدد إجمالي هذه الوظائف من ٣٣٣,٥٢١ سنة ٢٠٠٤م إلى ٦٣٢,٩٣٨ وظيفةً سنة ٢٠١٠م، ولم يُستثن من هذه الزيادة سوى التراجع الطفيف الذي حدث في عدد الوظائف الذي بلغ ١٢٤٦ وظيفة سنة ٢٠٠٥م الشكل (١٠). وكما هو الحال في أي قطاع اقتصادي آخر فإن مساهمة قطاع السياحة في طرح عدد من الوظائف داخل سوق العمل المحلية من جهة وزيادة العدد السنوي لهذه الوظائف المطروحة من جهة أخرى لهو خير شاهد على التأثير الاقتصادي الإيجابي الذي يحققه قطاع السياحة داخل اقتصاد الدولة أو بمعنى آخر يعتبر أحد المؤشرات الاقتصادية الرئيسة التي تُمكن من قياس حجم التأثير الاقتصادي لقطاع السياحة على مستوى المجتمع أو الدولة. فتوفر وظيفة لأي فرد وفي أي قطاع سيوفر أيضاً مصدراً للدخل الفردي، ولذلك سيتمكن ذلك الموظف الذي التحق بالقطاع السياحي على وجه التحديد سواء المواطن أو الوافد من إنفاق ذلك الدخل الشهري على سد احتياجاته المعيشية وإشباع رغباته الاستهلاكية المختلفة وستنعكس هذه الأمور من دون شك وبشكل

ايجابي ومتواصل على المستوى المعيشي له وسيبقى ذلك الفرد بإذن الله بمنأى عن البطالة التي من شأنها أن تتسبب في حدوث عدد من المشكلات الاجتماعية والنفسية، بل وحتى الصحية للعاطلين عن العمل.

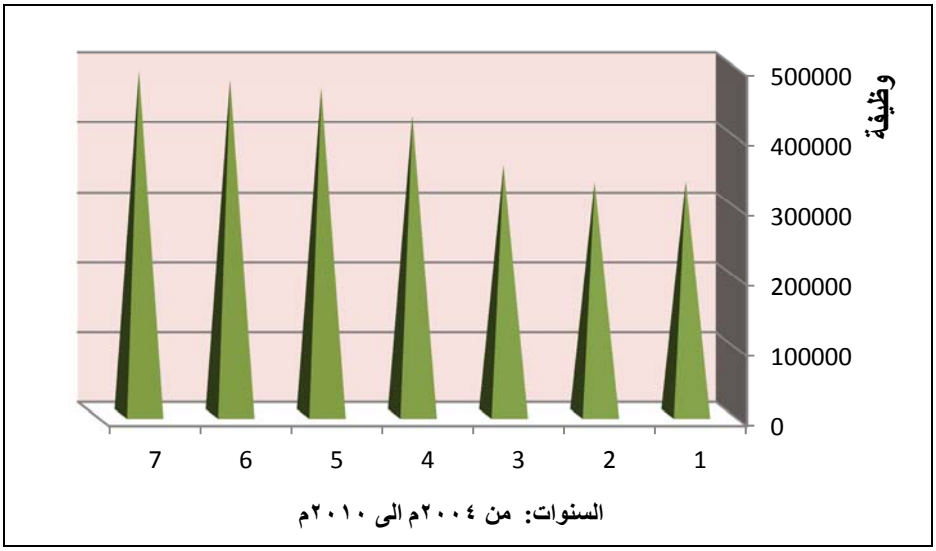

شكل ١٠: تطور عدد الوظائف في القطاع السياحي خلال السنوات من ٢٠٠٤م إلى ٢٠١٠م.

المصدر: الباحثة.

٣-٢-٥-٢- التركيب النوعي للوظائف:

بينت نتائج تحليل البيانات الإحصائية الخاصة بأنواع الوظائف التي تم طرحها في سوق عرض الوظائف السياحية، أن قطاع السياحة قد كان له مساهمة واضحة نتج عنها زيادة في عدد هذه الوظائف خلال السنوات ٢٠٠٨م و٢٠٠٩م و٢٠١٠م كما يظهر في الجدول رقم (٣). وقد بلغت نسبة الزيادة في عدد هذه الوظائف إلى إجمالي عدد الوظائف في كل من القطاعين الخاص والعام قد بلغت ٦,٦٪، بل أن أهمية مساهمة القطاع السياحي في القطاع الوظيفي قد برزت أهميتها أيضـاً في مجال المقارنة بالنسبة إلى لإجمالي عدد الوظائف في القطاع الخاص حيث

بلغت ٧,٥٪ من إجمالي عدد الوظائف التي بلغت ٦ ٢٢١ ألف وظيفة[١]. كما أظهرت عملية تحليل بيانات التركيب النوعي لعدد الوظائف السياحية أيضًا وجود تباين واضح في التوزيع بين القطاعات الفرعية العامة لقطاع السياحة وهو ما يظهر في كل من الجدول (٣) والشكل (١١).

الجدول ٣: التوزيع النوعي في عدد الوظائف المباشرة في قطاع السياحة في المملكة (الصناعات السياحية)

الوظائف	٢٠٠٨م	٢٠٠٩م	٢٠١٠ م	الوظائف في ٢٠١٠م (٪)
الفنادق والمنتجعات	٤٦ ٣٦٢	٤٧ ٥٩٦	٨٥ ٠٣٦*	١٣,٤
الشقق المفروشة	٢٣ ٧٣٧	٢٤ ٢٥٦		
المطاعم والمقاهي	٢٣١ ٩٨٧	٢٣٧ ٩٨٢	٣٠٤ ٧٤٥	٤٨,١
وكالات السفر والسياحة	٨ ٦٨٩	٩ ١٥٣	٦٥ ٥٠٥	١٠,٣
خدمات نقل المسافرين**	١٠٠ ٥٠٩	١٠٣ ٤٣١	١٦٥ ٥٤٤	٢٦,١
الخدمات الترفيهية	٣٤ ٤٧١	٣٥ ٢٤٠	١٢ ٠٨١	١,٩
خدمات غير مدفوعة الأجر	٣٤ ٥٨٣	٣٥ ٥٠٧	غير موجود	-
المجموع	٤٨٠ ٣٣٨	٤٩٣ ١٦٥	٦٣٢ ٩٣٨	٩٩,٨

المصدر: مؤسسة النقد العربي السعودي، (١٤٣١هـ): التقرير السادس والأربعون. جدول رقم ١٣-٩، ص ١٦٦ (النسخة الالكترونية).

مؤسسة النقد العربي السعودي، (١٤٣٣هـ): التقرير الثامن والأربعون. جدول رقم ١٣-٧، ص ١٣٢ (النسخة الالكترونية).

** يشمل نقل المسافرين الخطوط الجوية والسكك الحديدية وشركات النقل الجماعي، تأجير السيارات ولا يشمل سائقي سيارات الأجرة.

إن الهيمنة الواضحة على هذا التوزيع النوعي من قبل قطاع المطاعم والمقاهي معًا، وكذلك من قطاع خدمات نقل المسافرين على إجمالي عدد الوظائف التي وفرتها الأنشطة السياحية في المملكة على وجه العموم تبدو واضحة،

(١) الهيئة العامة للسياحة والآثار ١٤٣٢هـ: ٩.

فقد بلغت النسبة المئوية لنصيب هذين القطاعين ٤٨,١٪ و٢٦,١٪ على التوالي لكل منهما في السنتين ٢٠٠٨م و٢٠١٠م. ويعد استحواذ كل من قطاع المطاعم والمقاهي معـًا، وكذلك قطاع خدمات نقل المسافرين على إجمالي عدد الوظائف المباشرة في قطاع السياحة دليلاً واقعيـًا على أولوية وضرورية الخدمات التي يعرضها هذان القطاعان لشرائح السياح المختلفة، كما يعتبر أيضـًا دليل على تنوع الخدمات التي يُقدمانها للسياح، إضافةً الى أنه ليس بإمكان السياح تحقيق رغباتهم المتعلقة بالتنقل من وجهة إلى وجهة سياحية أخرى في ظل غياب وسيلة النقل، كما أنه كذلك لا يُمكن الاستغناء أبداً عن تناول الأطعمة والمشروبات التي أصبحت جزءً رئيسـًا في جدول الترفيه والاستمتاع بتذوق الأطعمة وخاصة الجديدة على السايح والتي يجدها في وجهته السياحية.

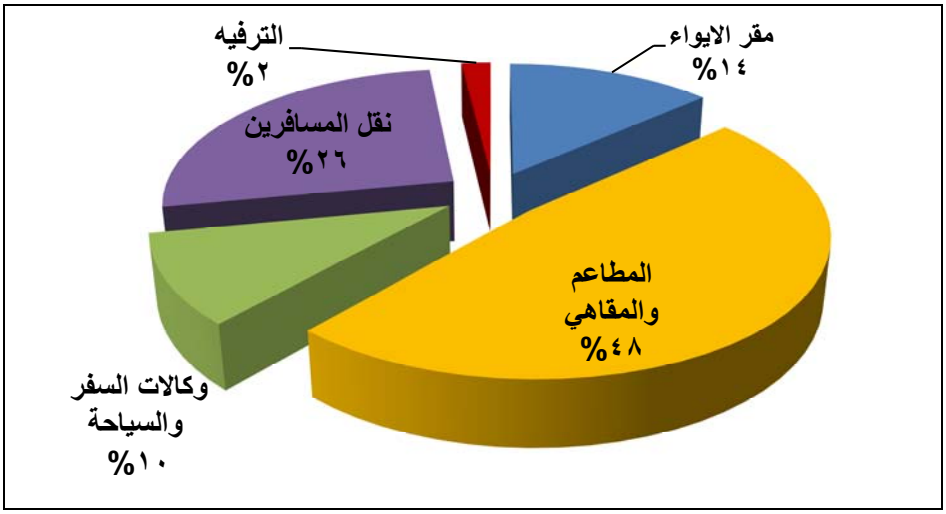

شكل ١١: التوزيع النسبي لعدد الوظائف داخل القطاعات الفرعية من النشاط السياحي سنة ٢٠١٠م.
المصدر: الباحثة بناءً على الجدول رقم ٣

٣-٣- المؤشرات العامة للنشاط السياحي:

يحتوي الجدول (٤) على المؤشرات العامة التي تلخص في مجملها

التأثيرات الاقتصادية لنشاط السياحة في المملكة العربية السعودية، وتتضمن هذه المؤشرات الآتي: إجمالي الوظائف المباشرة التي طرحها النشاط السياحي، وإجمالي الناتج المحلي أو ما يُعرف بالقيمة المضافة لقطاع السياحة، والنسبة المئوية لمساهمته في إجمالي الناتج المحلي للمملكة خلال فترة الدراسة. وقد دلت البيانات الإحصائية التي نشرها مركز المعلومات والأبحاث السياحية (ماس) سنة ١٤٣٢هـ، أن المسيرة العامة لقيم هذه المؤشرات العامة للنشاط السياحي للمملكة العربية السعودية قد مضت في صالح الاقتصاد السعودي في معظم فترة الدراسة أو بمعنى آخر لقد كان للنشاط السياحي تأثير اقتصادي ظهر بصورة ايجابية. فمن ناحية عدد الوظائف وجدنا أنه قد زاد عدد الوظائف التي قدمها قطاع السياحة لسوق العمل السعودي من ٣٣٣ ألف وظيفة في سنة ٢٠٠٤م إلى ٤٩١ ألف وظيفة سنة ٢٠١٠م والتي تم شغلُها عن طريق الأيدي العاملة الوطنية والوافدة، وقد تراوحت نسبة نصيب القوة العاملة السعودية من إجمالي عدد هذه الوظائف ما بين ١٩٪ إلى ٢٦٪. ومن المفروغ منه القول بأن ثمة تأثيراً إيجابياً لمن توافرت لهم هذه الفرص الوظيفية، حيث سيحصل الموظف أو العامل على مصدر شهري للدخل الذي يستعين به في تحقيق متطلبات المعيشية المتنوعة، ولذلك سيعمل هذا المصدر للدخل على تحسين المستوى المعيشي بشكل تدريجي. كما سيعمل على الارتقاء بمستوى الأداء المهني[١].

---

(١) مؤسسة النقد العربي السعودي، ١٤٣١هـ: ١٦٣.

الجدول ٤ : المؤشرات العامة لأنشطة قطاع السياحة في المملكة خلال الفترة من ٢٠٠٤م إلى ٢٠١٠م

السنة	الوظائف المباشرة في قطاع السياحة إجمالي الناتج المحلي للسياحة				إجمالي الناتج المحلي للسياحة		القيمة المُضافة نسبة إسهام السياحة في إجمالي الناتج المحلي ٪		
	إجمالي الوظائف	عدد الموظفين السعوديين ٪	إسهام قطاع السياحة *	إسهام قطاع السياحة **	الناتج المحلي (بليون ريال)	إيراد المؤسسات السياحية	الناتج السياحي	القطاع غير النفطي	القطاع الخاص
٢٠٠٤م	٣٣٣ ٥٢١	٢٠,٠	٦,٢	٧,٢	٣٤,٤	٥٧,٣	٣,٩	٧,٢	١١,٣
٢٠٠٥م	٢٣٢ ٢٧٥	١٩,٥	٥,٤	٦,٢	٣٦,٥	٥٩,١	٣,١	٦,٦	١٠,٥
٢٠٠٦م	٣٥٥ ٥٥٥	٢٢,٠	٥,٦	٦,٤	٣٥,٥	٦٠,٠	٢,٧	٥,٩	٩,٥
٢٠٠٧م	٤٢٦ ٥٦١	٢٢,٠	٦,٤	٧,٣	٤٥,٤	٧٥,٥	٣,٢	٧,١	١١,٢
٢٠٠٨م	٤٦٦ ٥٢٣	٢٠,٢	٦,٦	٧,٥	٥١,٦	٨٤,٥	٢,٩	٧,٥	١١,٧
٢٠٠٩م	٤٧٨ ٩٧٩	٢٥,٧	٦,١	٦,٩	٥٥,١	٩٠,٣	٤,٠	٧,٦	١٢,١
٢٠١٠م	٤٩١ ٧٦٨	٢٦,٠	٦,١	٦,٩	٥٨,٩	٩٦,٦	٣,٦	٧,٥	١٢,٣

المصدر: الهيئة العامة للسياحة والآثار، مركز المعلومات والأبحاث السياحية (١٤٣٢هـ): الإحصاءات السياحية ٢٠١٠م، الملخص الإحصائي: ١٤

* النسبة المئوية لإسهام قطاع السياحة بالنسبة لإجمالي العاملين في المملكة

** النسبة المئوية لإسهام قطاع السياحة بالنسبة لإجمالي العاملين في القطاع الخاص

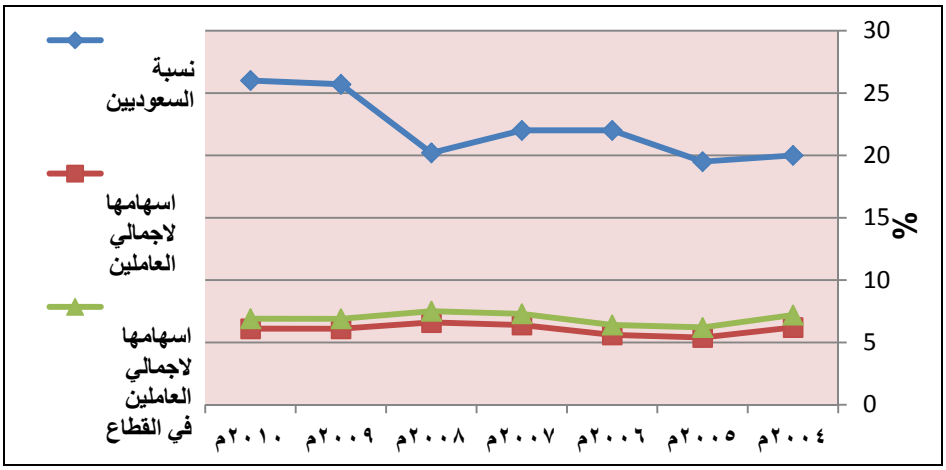

شكل ١٢ : الأهمية النسبية لمساهمة القطاع السياحي في عدد الوظائف المفتوحة.

المصدر: الباحثة اعتماداً على الجدول رقم ٤

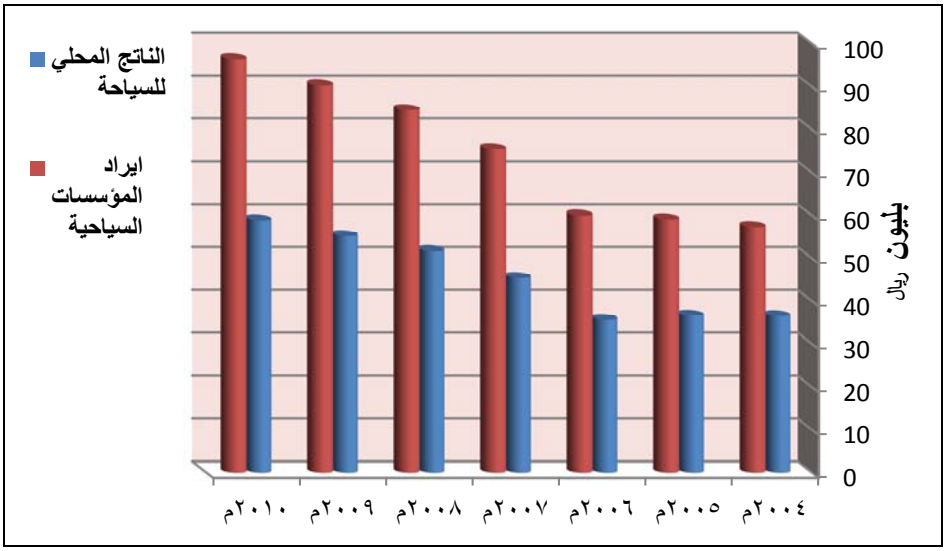

شكل ١٣: تطور قيمة الإيرادات المالية للمؤسسات السياحية في المملكة من ٢٠٠٤م الى ٢٠١٠م.

المصدر: الباحثة اعتماداً على الجدول رقم ٤.

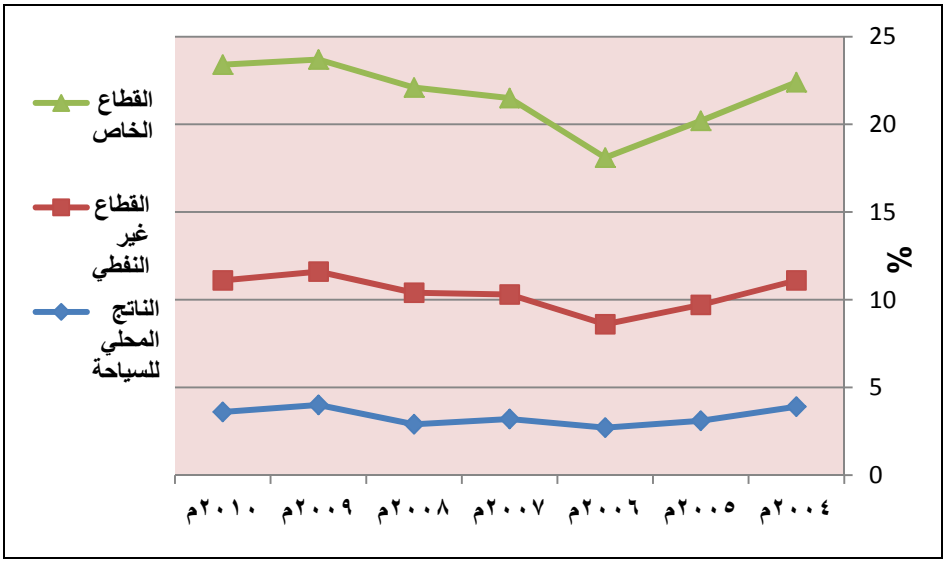

شكل ١٤: تطور قيمة الإيرادات المالية للمؤسسات السياحية في المملكة.

المصدر: الباحثة اعتماداً على الجدول رقم ٤

وفي الختام فإن عمليات عرض وتحليل البيانات الإحصائية لقيم المؤشرات السياحية في هذا البحث دلت على أن القطاع السياحي في المملكة العربية السعودية

قد أحدث تأثيراً اقتصادياً إيجابياً، وأن هذا التأثير الاقتصادي قد برز من خلال عدد من المؤشرات السياحية التي تم عرضها من قبل في هذا البحث. كما نؤكد على أن مسيرة القيمة المُضافة للنشاط السياحي طوال فترة الدراسة قد بينت أن ثمة فرصاً واعدة أمام هذا القطاع الإنتاجي وأن القيمة المُضافة له سوف تزداد تباعاً، خاصة إذا ما تم توزيع المشاريع الاستثمارية جغرافياً وأحيطت المناطق البعيدة بالرعاية والاهتمام فيما يتعلق بتجهيزات البنية الأساسية التنموية، لأن هذه المشاريع ستكون سبباً في زيادة الدخل الوطني للمناطق المستثمرة، كما ستحقق ارتفاعاً في المستوى المعيشي لسكان تلك المناطق بإذن الله تعالى لجدول (٥) والشكل (١٥).

جدول (٥) القيمة المُضافة للنشاط السياحي السعودي خلال فترة الدراسة (٪)

	٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠	التغير(٪)
الناتج الاجمالي المحلي	٣,٩	٣,١	٢,٧	٣,٢	٢,٩	٤	٣,٦	٠,٣-
القطاع غير النفطي	٧,٢	٦,٦	٥,٩	٧,١	٧,٥	٧,٦	٧,٥	٠,٢-
القطاع الخاص	١١,٣	٩,٥	٩,٥	١١,٢	١١,٧	١٢,١	١٢,٣	٠,٢

المصدر: http://www.mas.gov.sa/ar/news/NLArchive/Pages/tsnewsletter.aspx

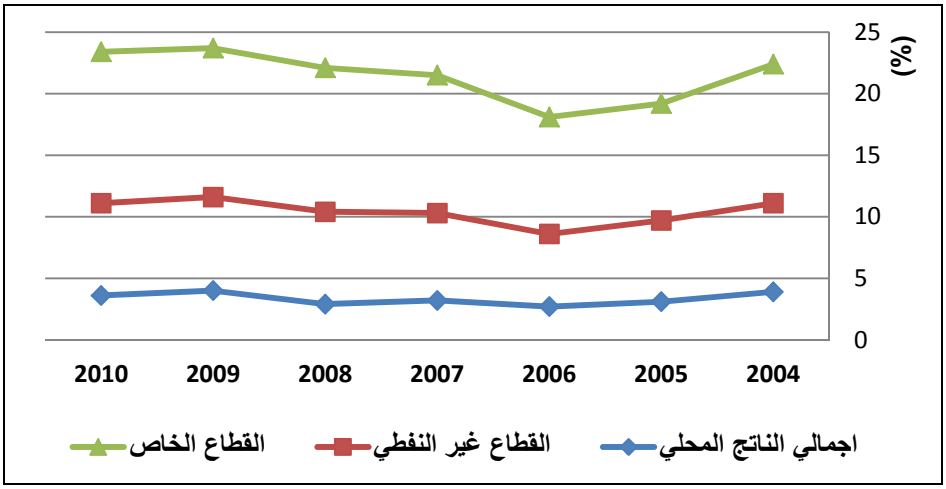

الشكل (١٥): القيمة المُضافة للنشاط السياحي في السعودية

المصدر: اعداد الباحثة اعتماداً على الجدول (٥)

الخاتمة والتوصيات

١- على الرغم من أن الإعلان العالمي عن منهج حساب السياحة الفرعي قد تم منذ سنة ٢٠٠٠م، وعلى الرغم من أن هذا المنهج قد أصبح هو المعيار الدولي الرئيس والمُعترف به من قبل منظمة السياحة العالمية بغرض استخدامه في قياس التأثير الاقتصادي لنشاط السياحة، إلا أن عدد الدول التي قامت بالتطبيق الفعلي لهذا المنهج وذلك حسبما ورد في تقارير منظمة السياحة العالمية لم يتعدَّ ستين دولةً، وقد كان من بين هذه الدول أربع دول عربية فقط هي المملكة العربية السعودية ومصر وعُمان والمغرب وهذا يعني أنه ما تزال هناك مجموعة كبيرة من الدول التي لم تطبق بعد هذا المنهج التحليلي.

٢ – تُعد المملكة العربية السعودية هي الدولة العربية الأولى التي طبقت منهج حساب السياحة الفرعي وبشكل يتوافق مع التوصيات الخاصة بالتقارير السنوية التي أصدرتها المنظمة العالمية للسياحة، إلا أنها ما تزال حديثة عهد بعملية تسجيل البيانات الإحصائية السياحية- والتي لم تبدأ إلا في سنة ٢٠٠٠م وذلك كغيرها من الدول الأخرى التي طبقت هذا المنهج التحليلي، فالمملكة العربية السعودية ما تزال تعاني من عدم اكتمال عمليات بناء بعض الجداول، حيث أنه تتوفر في الوقت الحالي البيانات للمؤشرات السياحية الخاصة بكل من الجداول ١و٢و٣و٤و٥و٧و١٠فقط، أما بالنسبة لبقية لجداول وهي ٦و٨و٩ فهي لم تظهر وتُعلن حتى الآن.

٣- اتسمت خاصية التوزيع الجغرافي للرحلات السياحية الداخلية بهيمنة خمسة مناطق إدارية، وهي على التوالي كل من: مكة المكرمة والمنطقة الشرقية والمدينة المنورة وعسير والباحة، على ما يتراوح بين ٧٣٪ إلى ٨٠٪ من مجموع عدد

الرحلات السياحية المحلية، بوصفها وجهات سياحية رئيسة في قائمة الوجهات المحلية سياحيًا ويقصدها السياح بالدرجة الأولى مقارنة مع بقية الوجهات السياحية لهذه الرحلات خلال فترة الدراسة، وقد تصدرت منطقة مكة المكرمة هذه القائمة نظراً لوجود الحرم المكي والكعبة المشرفة قبلة المسلمين في كل أنحاء العالم حيث يقصدونها مرة كل عام لتأدية فريضة الحج كما يزورنها طوال العام لتأدية العمرة.

٤- احتلت منطقة الشرق الأوسط المرتبة الأولى في قائمة الوجهات السياحية للرحلات المُغادرة بنسبة بلغت ٤٧,٧ ٪، تلتها في المرتبة الثانية دول الخليج العربي بنسبة ٣٥,٤٪، وكانت دول جنوب آسيا تحتل المرتبة الثالثة بنسبة ٤,٨٪ من إجمالي عدد الرحلات السياحية التي غادرت المملكة العربية السعودية خلال فترة الدراسة. وتعتبر الوحدة في كل من الدين واللغة والقرابة والعادات والتقاليد، من عوامل الجذب الهامة إضافة إلى عامل القرب المكاني بين السعودية وبين دول الخليج العربية وبعض الدول العربية الأخرى مثل مصر ولبنان والأردن وسوريا، إضافةً إلى وجود المقومات السياحية المتنوعة سواء الطبيعية أو البشرية على حد سواء.

٥- تعكس ظاهرة التذبذب التي رافقت حالات إنفاق السياحة الداخلية الوافدة والمحلية الوضع الراهن لعمليات عرض الموارد السياحية من جانب كفاءتها وقدرتها على تحقيق متطلبات شرائح السائحين الذين جالوا مناطق المملكة بحثاً عن تلك الموارد السياحية. كما تعكس أيضاً أن قطاع السياحة في المملكة يتعرض للمنافسة من قبل قطاعات السياحة على المستويين الإقليمي والدولي، الأمر الذي سيحرم ميزان المدفوعات في المملكة العربية السعودية من وصول هذه الأموال

إليه، كما سيحرم أيضـاً برامج التنمية المحلية لمناطق المنتجات السياحية نفسها من الحصول على تلك الأموال للإنفاق على متطلبات تلك البرامج التنموية.

٦- أظهر عرض وتحليل البيانات الرقمية للمؤشرات العامة للنشاط السياحي، سواء تلك المؤشرات النقدية أو غير النقدية وجود تأثير اقتصادي إيجابي واضح لهذا النشاط بصفة عامة حتى وإن علت سمة التذبذب واضحة على تلك القيم من سنة لأخرى. فقد حدثت زيادة في عدد الوظائف التي تم طرحها في القطاع السياحي والتي تمثل فرصـاً وظيفية للأيدي العاملة كما حدثت زيادة في النسبة المئوية لعدد السعوديين الذين تم توظيفهم في القطاع السياحي من ٢٠٪ إلى ٢٦٪، وكذلك أيضـاً ارتفع عدد المؤسسات السياحة التي تتولى الاستثمار أو إدارة المشاريع والصناعات السياحية المتنوعة وتوفر فرصـاً وظيفية متنوعة يتم طرحها في سوق عرض الطلب الوظيفي.

٧- دلت مسيرة القيمة المُضافة للنشاط السياحي سواء في اجمالي الناتج المحلي للمملكة أو في إجمالي الناتج المحلي للقطاع غير النفطي أو في إجمالي الناتج المحلي للقطاع الخاص طوال فترة الدراسة على أن ثمة فرصـاً واعدة أمام هذا القطاع الانتاجي، وأن القيمة المُضافة له سوف تزداد تباعـاً كلما ازدادت عمليات استثمار موارد السياحة، وخاصة كلما تم توجيه تلك المشاريع المقترحة وتوزيعها على جميع مناطق المملكة العربية السعودية لضمان تحقيق النتائج الايجابية وعلى رأسها تنويع وتوزيع مصادر الدخل المحلي والمساهمة في إنعاش عمليات التنمية المحلية خاصة والتنمية الإقليمية في المملكة عامة، وستصبح هذه المشاريع السياحية بمثابة الروافد الاقتصادية التي ستُخفف من الاعتماد الكلي على مصدر وحيد للإيرادات المالية والدخل القومي كاعتمادنا على الإيرادات المالية الناتجة

من تصدير الزيت الخام كما ستعمل على الرفع من مستويات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والصحية للمناطق الجغرافية التي تستثمر أو تخطط لاستثمار هذه الموارد أو المنتجات السياحية الطبيعية أو البشرية.

٨-وعلى ضوء هذه الخلاصة نورد التوصيات الآتية:

- ضرورة إسراع الجهات المعنية وعلى رأسها الهيئة العامة للسياحة والآثار باستكمال عملية بناء جداول منهج حساب السياحة الفرعي حتى تتحقق الغاية المنشودة من وراء عملية استخدام هذا المنهج التحليلي، وهو تتبع التأثير الاقتصادي للنشاط السياحي من جميع الجوانب، وحتى يتسنى للباحثين وأصحاب القرار في كل من القطاع العام والخاص الوقوف على المؤشرات العامة التي تعكس واقع التأثير الاقتصادي الحالي لنشاط السياحة في المملكة العربية السعودية.
- بناء جسور من التعاون بين كل من جهات العرض والطلب السياحية للعمل على تعزيز ودعم المكانة الوظيفية للموارد والمنتجات السياحية في المملكة بصفة ما تواجهه من منافسة شديدة على المستويين الإقليمي والعالمي.
- العمل على تكرار تطبيق استخدام منهج حساب السياحة الفرعي ولكن على المستويات الإقليمية أي في مناطق الصناعات السياحية الواعدة وغير التقليدية التي تحتضن داخل حدودها الإقليمية الموارد السياحية الطبيعية والبشرية على السواء، حتى يُعمل على تعزيز الدور والمكانة الاقتصادية المنشودة للنشاط السياحي، وحتى تبرز هذه المكانة الاقتصادية – التي تُقاس بإجمالي الإيرادات المالية له-جنبًا إلى جنب بقية القطاعات الاقتصادية التي تصب إيراداتها المالية في إجمالي الناتج المحلي للمملكة العربية السعودية.

- يتميز النشاط السياحي بأنه قطاع يرتبط ويعتمد في أدائه على العديد من القطاعات الإنتاجية الأخرى كالنقل والمواصلات والزراعة والصناعة والخدمات والأعمال، ولذلك فإنه يجب الاستمرار بالعمل على تنمية هذا القطاع الاقتصادي من خلال تطبيق مبدأ التنويع والتوزيع الجغرافي لفرص الاستثمار السياحي للموارد الواعدة، وخاصةً تلك الموجودة في المناطق البعيدة حيث سيعمل هذا الأمر على استمرارية نمو تلك القطاعات ذات العلاقة محققاً بذلك النمو ارتفاعاً متزايداً في إجمالي الإيرادات المالية في تلك القطاعات، وقبل كل ذلك فإنه سوف يؤدي إلى ارتفاع عدد فرص العمل ورفع المستوى المعيشي للقوى العاملة بشكل عام.

الملحق (١): المراحل التاريخية لظهور منهج حساب السياحة الفرعي

التاريخ (ميلادي)	الانجاز
١٩٨٣	تقديم منظمة السياحة العالمية «محددات أهمية السياحة كنشاط اقتصادي داخل إطار نظام الحساب القومي»
١٩٩١	المؤتمر الدولي في إحصائيات السفر والسياحة أوتاوا
١٩٩٢	منظمة التعاون الاقتصادي الأوروبي طورت حسابات اقتصاد السياحة.
١٩٩٣	تبني نظام الحسابات القومية SNA
١٩٩٤	- تبني منظمة السياحة العالمية والأمم المتحدة الخاص بإحصائيات السياحة. إعلان حساب السياحة الفرعي الأولى لكندا.
١٩٩٥	إصدارات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، الإرشادات الأولى لحساب السياحة الفرعي.
١٩٩٩	مؤتمر اينزو باسي العالمي لقياس التأثير الاقتصادي للسياحة في نيس.
١٩٩٩	تكوين سكرتارية فريق عمل منظمة السياحة العالمية
٢٠٠٠	تبني منظمة السياحة العالمية لمنهجية حساب السياحة الفرعي.
٢٠٠١	مؤتمر CTC حساب السياحة الفرعي فانكوفر

المصدر: http://www.unwto.org/statistics/tsa/project/concepts.pdf

الملحق رقم (٢): عدد الرحلات السياحية الداخلية في المناطق الخمس الأولى بالمملكة (ألف رحلة)

	الوجهة السياحية المنطقة الادارية	٢٠٠٤م	٢٠٠٥م	٢٠٠٦م	٢٠٠٧م	٢٠٠٨م	٢٠٠٩م	٢٠١٠م
١	مكة المكرمة	١٤ ٨٩٨	١١ ٧٧٦	١٠ ٩١٣	١٠ ٩٢٩	١٠ ٨٠٤	١٢ ٧٧٦	٩ ٩٦٦
٢	الشرقية	٤ ٢٧٢	٣ ٩٧٩	٣ ٦٠٤	٣ ٢٨٨	٣ ٨٠٣	٤ ٢٢٧	٢ ٩٢٨
٣	المدينة المنورة	٣ ٠٠٨	٢ ٧٦١	٢ ٢٧٥	٣ ٦٧٥	٣ ٤٨٩	٢ ٨٨٢	٢ ٦٨٧
٤	عسير	٢ ٢٥٩	٢ ٤٢٩	٢ ٣٤٢	٣ ٢٤٩	٢ ٥٤٣	٣ ٧٨٢	٦٢٥١
٥	الباحة	٥٦٣	٧٠٣	٧٣٠	١ ٥٠٥	١ ٢٤٣	٨٨٠	٨٣٠

المصدر: إعداد الباحثة اعتماداً على التقارير السنوية لمؤسسة النقد العربي السعودي:

التقرير السنوي ٤٨(١٤٣٣هـ)، جدول رقم (١٣-٢)، ص ١٣٠

التقرير السنوي ٤٥(١٤٣٠هـ)، جدول رقم (١٣-٢)، ص ١٧٧

التقرير السنوي ٤٤(١٤٢٩هـ)، جدول رقم (١٣-٢)، ص ١٦٧

الملحق رقم (٣): عدد الرحلات السياحية المغادرة المملكة (ألف رحلة)

	الوجهة السياحية الدولة	٢٠٠٤م	٢٠٠٥م	٢٠٠٦م	٢٠٠٧م	٢٠٠٨م	٢٠٠٩م	٢٠١٠م
١	الشرق الأوسط	البيانات غير متوفرة	٢٢٢٦	٩٤٨	٢٠١١	١٨٨٤	٣٠٢	٦٣١
٢	الخليج العربي		١٣٩١	٦٤١	١٤٣١	١٤٣٨	٢١٠٧	٦٦٣١
٣	جنوب آسيا		٣٨٠	١٩٨	١٦٥	١٨٣	٣٠٢	٦٣١
٤	أوروبا		١١١	٦٢	١٦٤	٢٠٦	١٧٢	٣٣٣
٥	أفريقيا		١٠٢	٥١	٨١	١٧٩	١٨٢	٤٣٣
٦	شرق آسيا المحيط الهادئ		١٧٩	٩٤	٢٣٩	١٥٢	٣٦٢	١٣٢٤
٧	أمريكا الشمالية والجنوبية		١٥	٦	٣٥	٤٥	١٨	٥٠
	المجموع		٤٤٠٤	٢٠٠٠	٤١٢٦	٤٠٨٧	٦٠٣١	١٧٨٢٦

المصدر: إعداد الباحثة اعتماداً على التقارير السنوية لمؤسسة النقد العربي السعودي:

التقرير السنوي ٤٨(١٤٣٣هـ)، جدول رقم (١٣-٢)، ص ١٣٠

التقرير السنوي ٤٥(١٤٣٠هـ)، جدول رقم (١٣-٢)، ص ١٧٧

التقرير السنوي ٤٤(١٤٢٩هـ)، جدول رقم (١٣-٢)، ص ١٦٧

الملحق (٤): الميزان السياحي للمملكة العربية السعودية خلال الفترة ٢٠٠٤م- ٢٠١٠م

عدد الرحلات الداخلية (مليون رحلة)							عدد الرحلات المغادرة (مليون رحلة)						
٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠	٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠
٤٣,٩	٣٨,٢	٣٥,٧	٤٠,١	٤٣,٦	٤٣,٧		٣,٨	٤,٣	٢,٠	٤,١	٤,٠	٥,٧	٧,٢

عدد الليالي السياحية الداخلية (مليون ليلة)							عدد الليالي السياحية المغادرة (مليون ليلة)						
٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠	٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠
٣٢٦,١	٢٨٨,١	٢٩٥,٦	٣٤٦,٨	٤٠٦,٩	٣٥٠,٩	٢٩٧,٨	٥٢,٩	٥٦,٠	٢٥,٩	٤٥,٤	٤١,٩	٥٢,٨	٨٩,٠

مجموع الإنفاق المالي للسياحة الداخلية (مليار ريال)							مجموع الإنفاق المالي للسياحة المغادرة (مليار ريال)						
٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠	٢٠٠٤	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	٢٠١٠
٦٠,٦	٥٢,٢	٥٠,٩	٥١,٤	٧٤,٢	٦٥,٤	٥٦,٩	١٥,٩	١٤,١	٦,٨	١٨,٣	٢٢,١	٢٥,٢	٢٢,٥

المصدر: - مؤسسة النقد العربي السعودي، التقارير السنوية: ٤٢-٤٧ (١٤٢٧هـ-١٤٣٢هـ)

- الهيئة العليا للسياحة، مركز المعلومات والأبحاث السياحية (ماس) أهم مؤشرات الحركة السياحية لعام ٢٠٠٩م (بيانات تقديرية).

- الهيئة العليا للسياحة، مركز المعلومات والأبحاث السياحية (ماس) نشرة الاحصاءات السياحية، العدد السادس، اكتوبر ٢٠١١م: ٨

http://www.mas.gov.sa/ar/news/NLArchive/Pages/tsnewsletter.aspx

المراجع

المراجع العربية:

- الخولي، سيد فتحي (١٤٢١هـ)، تخطيط وتنمية السياحة المستدامة في الدول العربية. مجلة جامعة الملك عبد العزيز الاقتصاد والإدارة، المجلد ١٤، العدد ١، ٣-٤٠ .
- الداوود، عبد الرزاق سليمان (١٤٢٣هـ)، تطور السياحة في محافظة جده: دراسة في الجغرافيا السياحية، *دراسات جغرافية*، الجمعية الجغرافية السعودية، ٨، ١-١٢٦.
- السجيني، اسماعيل ابراهيم (١٤٢٠هـ): الأهمية والأثر الاقتصادية لتنمية قطاع السياحة: حالة المملكة العربية السعودية. ورقة عمل الهيئة العليا للسياحة المُقدمة في ندوة الأثر الاقتصادي للسياحة مع تطبيقات على المملكة، أبها ١٩-٢١/ ٠٦/ ٢٠٠١م، ٤٨ صفحة.
- السحيباني، محمد إبراهيم (١٤٢٩هـ)، حساب السياحة الفرعي التجربة السعودية، ملتقى السفر والاستثمار السياحي السعودي ١٥-١٨ ربيع الأول ١٤٢٩هـ(٢٣-٢٦ مارس ٢٠٠٨م)، الهيئة العليا للسياحة، الرياض.
- عليوة، زينب توفيق السيد (٢٠١٤م)، تقييم أثر النشاط السياحي في النمو الاقتصادي في مصر، *بحوث اقتصادية عربية*، العدد ٦٥، ٦٧-٩٤
- هارون، علي أحمد (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، أسس الجغرافيا الاقتصادية، ط٥، دار الفكر العربي، القاهرة.
- منظمة السياحة العالمية (-)، فهم السياحة: مسرد المصطلحات الأساسية. http://www.unwto.org/statistics/wsd/glossary_ar.pdf
- مؤسسة النقد العربي السعودي، (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، التقرير السنوي الثالث والأربعون، الإدارة العامة للأبحاث الاقتصادية والإحصاء، النسخة

الالكترونية.

- مؤسسة النقد العربي السعودي، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، التقرير السنوي الرابع والأربعون، الإدارة العامة للأبحاث الاقتصادية والإحصاء، النسخة الالكترونية.

- مؤسسة النقد العربي السعودي، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، التقرير السنوي الخامس والأربعون، الإدارة العامة للأبحاث الاقتصادية والإحصاء، النسخة الالكترونية.

- مؤسسة النقد العربي السعودي، الإدارة العامة للأبحاث الاقتصادية والإحصاء (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، التقرير السنوي السادس والأربعين، النسخة الالكترونية.

- مؤسسة النقد العربي السعودي، الإدارة العامة للأبحاث الاقتصادية والإحصاء (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، التقرير السنوي التاسع والأربعين، النسخة الالكترونية.

- مؤسسة النقد العربي السعودي، الإدارة العامة للأبحاث الاقتصادية والإحصاء (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، الملحق الإحصائي لتقرير السنوي السابع والأربعين، النسخة الالكترونية.

- الهيئة العليا للسياحة، البرنامج الاقتصادي، الأهمية والأثر الاقتصادي لتنمية قطاع السياحة حالة المملكة العربية السعودية، ندوة الأثر الاقتصادي للسياحة مع تطبيقات على المملكة العربية السعودية، أبها ١٩-٢١/ ٦/ ٢٠٠١م. ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٠هـ (T1-6).

- الهيئة العليا للسياحة، الأمانة العامة، مشروع تنمية السياحة الوطنية للمملكة العربية السعودية (١٤٢٢-١٤٤١هـ).

- الهيئة العليا للسياحة، الأمانة العامة، الاستثمار السياحي في المملكة العربية

السعودية، ورقة عمل الهيئة العليا مقدمة في اللقاء السنوي الرابع عشر لجمعية الاقتصاد السعودية ١٥-١٤ صفر ١٤٢٣هـ الموافق ٢٨-٣٠أبريل ٢٠٠٢م، ٤١صفحة.

- الهيئة العليا للسياحة، الأمانة العامة (-)، الناتج المحلي الإجمالي للسياحة في المملكة العربية السعودية. (١- ٤)

- الهيئة العليا للسياحة، مركز المعلومات والأبحاث السياحية (-) أهم مؤشرات الحركة السياحية لعام ٢٠٠٩م.

- الهيئة العليا للسياحة، مركز المعلومات والأبحاث السياحية ماس (٢٠٠٧م): تطبيق حساب السياحة الفرعي في المملكة لعام ٢٠٠٥م قياس الأهمية الاقتصادية لقطاع السياحة، وتحديد حجم وطبيعة إسهاماته في الاقتصاد الوطني. الرياض.

- الهيئة العامة للسياحة والآثار، مركز المعلومات والأبحاث السياحية ماس (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م): حساب السياحة الفرعي ٢٠٠٦م. ط١. الرياض.

- الهيئة العامة للسياحة والآثار، مركز المعلومات والأبحاث السياحية ماس (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م): حساب السياحة الفرعي ٢٠٠٧م. ط١. الرياض.

- الهيئة العامة للسياحة والآثار، مركز المعلومات والأبحاث السياحية ماس (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م): حساب السياحة الفرعي ٢٠٠٨م. ط١. الرياض.

- الهيئة العليا للسياحة، مركز المعلومات والأبحاث السياحية (١٤٣٢هـ)، أهم المؤشرات المتعلقة بقطاع السياحة ٢٠٠٤-٢٠١٠م، جماد الأول.

- الهيئة العليا للسياحة، مركز المعلومات والأبحاث السياحية (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، الإحصاءات السياحية ٢٠١٠م.

المراجع غير العربية:

- Albgami, Raja (2004): **Economic impact of tourism sector on Saudi Arabian economy.** http://www.iioa.org/conferences/intermediate-2004/pdf/501.pdf
- Daniel J Stynes(1997): **Economic impacts of tourism: A handbook for tourism professionals.** Edited, Tourism Research Laboratory at the University of Illinois at Urbana-Champaign.
- Daniel J Stynes**, Approaches to estimating the economic impacts of tourism; Some examples,** (1999), Pp: 1-18.
- Hall, C.M and S.J. Page, **The geography of tourism and recreation environment, Place and space,** 3rd Ed, New York, Routledge, (2006).
- Laimer, Peter and Jurgen Weib(2006), **Data sources on tourism expenditurem The Austrian experiences taking into account the TBoP requirements**. INTERNATIONAL WORKSHOP ON TOURISM STATISTICS. Jointly organized by UN Statistics Division and UNWTO Department of Statistics and Economic Measurement of Tourism. UNWTO Headquarters, Madrid, Spain. 17-20 July 2006. Statistics Austria.
- Lew, Allan, C. Michael Hall and Dallen Timothy (2008), **World Geography of Travel and Tourism a Regional Approach.** 1ST. edition.
- Zortuk, Mahmut (2009), **Economic Impact of Tourism**

on Turkey's Economy: Evidence from Cointegration Tests, *International Research Journal of Finance and Economics*, issue 25, 1450-2887, ISSN © Euro Journals Publishing, Inc. http://www.eurojournals.com/finance.htm

- Morales, Juan Falconi (2003), **Tourism contribution to Gross Domestic Product (TGDP),** *Enzo Paci Paper*, vol. 3, World Tourism Organization.
- National Center for Tourism policy study (-): **First Steps for Tourism Satellite Account for the Republic of Ireland Executive Summary.** http://www.failteireland.ie/Information-Centre/Publications/Research-and-Statistics/First-Steps-Tourism-Satellite-Account-Project-Summ
- UNWTO Department of Statistics and Tourism Satellite Account TSA**, TSA Data around the World, Worldwide Summary,** Madrid, (2009)
- UNWTO Department of Statistics and Tourism Satellite Account (TSA)**: TSA Data around the World, Worldwide Summary,** Madrid, (2010)
- Visit Finland. **Tourism Balance 2002-2009,** www.mek.fi, www.visitfinland.com
- World Tourism Organization (UNWTO), Yearbook of Tourism Statistics Data 2003-2007. 2009 edition, Madrid, Spain.
- World Tourism Organization, Technical Manual N°2. **Collection of Tourism Expenditure Statistics, (1995)**
- United Nations and, World Tourism Organization

(UNWTO), **Tourism Satellite Account: Recommended Methodological Framework (2001).** ISBN 92-844-0437-1**.**

- World Tourism Organization (-): **Using TSA Data for Business and Policy Analysis.** Alian Dupeyras. Fifth UNWTO International Conference on Tourism Statistics. TOURISM: AN ENGINE FOR EMPLOYMENT CREATION. Bali, Indonesia, 30 March- 2 April 2009.
- http://www.unwto.org/statistics/bali/oecd_eng.pdf.
- World Travel and Tourism Council. Travel and Tourism Economic Impact 2011 Saudi Arabia. 14 February 2011. Pp: 1-20
- http://www.unwto.org/statistics/tsa/project/concepts.pdf
- http://unstats.un.org/unsd/publication/SeriesF/SeriesF_80E.pdf.
- http://www.tshwane.gov.za/documents/tourism/masterplan/section8.pdf. **Economic Impact of Tourist Expenditure in the City of Tshwane.**
- http://www.unwto.org/media/news/en/press_det.php?id=5361
- http://www.unwto.org/statistics/tsa_in_depth/index.htm
- http://www.unwto.org/statistics/**wsd/glossary**_ar.pdf
- http://www.oecd.org/document/2/0,3343,en_2649_34389_1826114_1_1_1_1,00.html
- www.mas.gov.sa
- http://www.mas.gov.sa/ar/news/NLArchive/Pages/tsnewsletter.aspx
- www.ine.es

The Economic Impact of Tourism Activity in Saudi Arabia During the Period 2004 -2010

Abstract

The goal of this research is to track the economic impact of tourist activity in the Kingdom of Saudi Arabia during the period from 2004 to 2010. To achieve this objective approach we used as a tool the tourism satellite account TSA. The results showed that tourist activity has an impact in a positive way and has been shown that during the course of the added value of this activity in the gross domestic product of the Kingdom where this value ranged between 2.7% and 4.0% Also the tourism activity has a positive impact through its added value to the gross domestic product of the non-oil sector which ranged between 5.9% and 7.6% and finally for its contribution private sector which ranged between 9.5% to 12.3%.

Key words:

Tourism geography, economic impact, tourism satellite account TSA, tourism expenditure, domestic tourism, outbound tourism, inbound tourism, the added value of tourism, ten tables approach, tourism accounts system, the general indicators of the tourism sector, (MAS).

رابعًا:

دراســـات

علم المعلومات

برمجيات الكلمات المفتاحية المتاحة على الانترنت ودورها في تحسين ترتيب مواقع الويب في صفحات نتائج محركات البحث: دراسة وصفية تحليلية

د. بدوية محمد البسيوني

أستاذ تقنية المعلومات المشارك بقسم المعلومات ومصادر التعلم

بجامعة طيبة

E.mail: dbadawia@hotmail.com

تاريخ التحكيم: ١٢/ ١٢/ ١٤٣٥ تاريخ الإجازة: ٢٥/ ٢/ ١٤٣٦

هذا البحث مدعم من قبل عمادة البحث العلمي بجامعة طيبة برقم ٨٩٥ لسنة ١٤٣٣هـ.

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى فحص وتحليل ١٢٢ برنامجاً من برمجيات الكلمات المفتاحية وتحديد أنواعها وخصائصها وإمكاناتها، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في تجميع برمجيات الكلمات المفتاحية المتاحة على الانترنت وتحديد أساليب الإفادة منها من قبل مدير الموقع. أظهرت الدراسة وجود أربع فئات من برمجيات الكلمات المفتاحية وكانت أكثر البرمجيات انتشاراً على شبكة الانترنت هي برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية التي تمثل ٤٧,٦٢٪ من إجمالي

البرمجيات موضوع الدراسة، تليها برمجيات تحليل كثافة الكلمات المفتاحية بنسبة ٣٣,٣٣٪، ثم برمجيات استخراج الكلمات المفتاحية بنسبة ١٤,٢٩٪، وأخيراً برمجيات تحديد المواقع المنافسة للكلمات المفتاحية بنسبة ٤,٧٦٪ من إجمالي البرمجيات موضوع الدراسة. أن٨٠,٠٠٪ من إجمالي برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية موضوع الدراسة تحدد عدد عمليات البحث التي تتم في محركات البحث لكل كلمة من الكلمات المفتاحية المقترحة، وتهتم ٤٣,٣٣ ٪ منها بعرض أعداد المواقع المنافسة، وحرصت جميع برمجيات تحليل الكثافة على استخراج كلمات مفتاحية مفردة من الموقع المراد تحليله، بينما حرصت ٧٦,١٩٪ من تلك البرمجيات على استخراج الكلمات المفتاحية التي تتكون من كلمتين أو أكثر، واهتمت ٤٢,٨٦٪ منها بتحديد موضع الكلمة المفتاحية. قدمت الدراسة مجموعة من التوصيات التي تسهم في تحديد كيفية الإفادة من برمجيات الكلمات المفتاحية في دعم وتحسين ترتيب مواقع الانترنت لدى محركات البحث.

الكلمات المفتاحية:

برمجيات استخراج الكلمات المفتاحية، محركات البحث، برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية، برمجيات تحليل الكثافة، الميتاداتا، تاج الكلمات المفتاحية، تيجان الميتاداتا.

أهمية الدراسة:

يعد اختيار الكلمات المفتاحية keywords أولى وأهم خطوات دعم المواقع لدى محركات البحث Search engine optimization وتتوافر على الانترنت العديد من البرمجيات التي تركز على كيفية اختيار وتقييم الكلمات المفتاحية الخاصة بالمواقع وتتوافر كذلك برمجيات تحدد لأصحاب المواقع معدلات استخدام الكلمات المفتاحية من جانب مستخدمي الانترنت حتى يتم استخدامها داخل الموقع وبالتالي يزداد ترتيبه في صفحات نتائج محركات البحث وهو ما تسعى إليه المواقع بكافة أنواعها، لذلك كان من الضروري إجراء دراسات تحصر تلك البرمجيات وتبين أنواعها وخصائصها وأساليب الإفادة منها وهو ما سوف تركز عليه الدراسة الحالية.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف هي:

١. تجميع وحصر برمجيات الكلمات المفتاحية المتاحة على الانترنت.
٢. توزيع برمجيات الكلمات المفتاحية عدديًا ونوعيًا.
٣. تحديد خصائص وإمكانات برمجيات الكلمات المفتاحية.
٤. تحديد أساليب إفادة مواقع الانترنت بمختلف أنواعها من برمجيات الكلمات المفتاحية.
٥. تحديد مدى مساهمة برمجيات الكلمات المفتاحية في دعم وتحسين ترتيب مواقع الانترنت لدى محركات البحث.
٦. اقتراح مجموعة من القواعد الإرشادية التي ينبغي مراعاتها عند إعداد تاج الكلمات المفتاحية Keyword Meta Tag بمواقع الانترنت.

تساؤلات الدراسة:

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما المقصود ببرمجيات الكلمات المفتاحية؟
- ما الأنواع المتاحة من برمجيات الكلمات المفتاحية على الانترنت؟
- ما أساليب إتاحة برمجيات الكلمات المفتاحية على الانترنت؟
- ما خصائص وإمكانات كل نوع من أنواع البرمجيات؟
- هل يؤثر استخدام برمجيات الكلمات المفتاحية في ترتيب المواقع بمحركات البحث؟
- كيف يمكن لمدير الموقع الاستفادة من برمجيات الكلمات المفتاحية على الانترنت؟
- كيف يمكن صياغة تاج الكلمات المفتاحية وتضمينه داخل الموقع؟
- كيف يمكن لمدير الموقع ضمان ضبط الجودة في صياغة تاج الكلمات المفتاحية لضمان استخدامه من قبل محركات البحث؟

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في حصر برمجيات الكلمات المفتاحية المتاحة على الانترنت وتحديد أنواعها وإمكاناتها وتحليل خصائصها وبيان دورها في دعم استرجاع المواقع، وتحديد أساليب الإفادة منها من قبل مدير الموقع.

مراحل الدراسة:

مرت الدراسة بثلاث مراحل أساس هي:

المرحلة الأولى: تجميع وحصر البرمجيات التي تتعامل مع الكلمات المفتاحية.

قامت الباحثة بالبحث عن برمجيات الكلمات المفتاحية بالأدلة البحثية ومحركات البحث في الفترة من ١/ ٦/ ٢٠١١م وحتى ٣٠/ ١٢/ ٢٠١١م، وكشفت عمليات البحث عن وجود ١٢٢ برنامجاً، كما يتضح من الجدول رقم (١):

الجدول رقم (١) التوزيع العددي لبرمجيات الكلمات المفتاحية

البرنامج	تعمل	متوقفة عن العمل	لا تفتح	بمقابل	تعتمد على أداة أخرى	مجرد رابط لأداة أخرى	الإجمالي
الاقتراح	٣٠	١٢	٤	١٠	٧	٥	٦٨
تحليل الكثافة	٢١	٢	٢	–	–	–	٢٥
الاستخراج	٩	٢	٢	١	٨	–	٢٢
المنافسة	٣	٤	–	–	–	–	٧
الإجمالي	٦٣	٢٠	٨	١١	١٥	٥	١٢٢
النسبة	٪٥١,٦٤	٪١٦,٣٩	٪٦,٥٦	٪٩,٠٢	٪١٢,٣٠	٪٤,١٠	٪١٠٠,٠٠

استبعدت الباحثة مجموعة من البرمجيات هي كالتالي:

- استبعاد البرمجيات المتوقفة عن العمل والتي وصل عددها إلى ٢٠ برنامجاً، بنسبة ١٦,٥٦٪ من إجمالي البرمجيات التي تم تجميعها، وهذه البرمجيات لها موقع على الانترنت وتسمح للمستفيد بالتعامل معها ولكنها لا تعطي نتائج، ومنها:

- Keyword Suggestion Tool: http://www.1-hit.com/all-in-one/php/tool.keywordsuggest.php (اقتراح)
- Keyword suggestion tool: http://www.clickfind.com.au/keyword-suggestion-tool.cfm (اقتراح)
- Promocioning:

http://www.promocioning.com/tools/keyword-competition.php (منافسة)

- Justsearchseo: http://www.justsearchseo.co.uk/tools/keyword-competition/ (منافسة)
- 1-Hit Keyword Analyzer: http://www.1-hit.com/all-in-one/keyword-generator.htm (استخراج)
- Page Keyword Analyzer: http://www.seocentro.com/tools/seo/page-keyword-analyzer.html (استخراج)
- Accent Keyword Extractor 1.00 Beta 2: http://www.softpedia.com/get/Others/Home-Education/Accent-Keyword-Extractor.shtml (استخراج)

- استبعاد البرمجيات التي تعتمد على أدوات وبرمجيات أخرى، والتي وصل عددها إلى ١٥ برنامجاً وسبب استبعادها هو أنها تعطي نفس النتائج التي تقدمها أدوات وبرمجيات أخرى بنفس واجهة الاستخدام، فقد استبعدت الدراسة ٦ أشكال مختلفة من برنامج الاستخراج Analogx، حيث ظهر البرنامج في ٧ مواقع مختلفة، وتم كذلك استبعاد كل من:

- Website Keyword Extractor: http://realworldbusiness.com/webmaster/tools/website-keyword-extractor.php
- Keyword Extractor. blurbpoint: http://www.blurbpoint.com/SEOTOOL/tools/keyword-extractor/

لأنهما عند التعامل معهما يعطيان نفس النتائج التي يقدمها برنامج الاستخراج Keyword Extractor، إلى جانب استبعاد ٧ برامج من برمجيات الاقتراح منها:

- Niche Finder (WordStream يعتمد على برنامج).
- Keyword Suggestion Generator Tool (seo keyword suggestion يعتمد على).
- Keyword Phrase Generator: (Overtrue يعتمد على برنامج).

وقد ظهرت هذه البرمجيات نتيجة إتاحة بعض البرمجيات إمكانية إضافتها داخل المواقع المختلفة من خلال الرابط Add this tool to your website.

- استبعاد البرمجيات غير المجانية وعددها ١١ برنامجاً وهي البرمجيات التي لا تتوافر لها نسخة تجريبية وإنما يتطلب استخدامها ضرورة الاشتراك بها ودفع مقابل مادي لذلك، وكان ٩٠,٩١٪ منها عبارة عن برامج اقتراح للكلمات المفتاحية.
- استبعاد البرمجيات غير المتاحة، التي وصل عددها إلى ٨ برمجيات بنسبة ٦,٥٦٪، وهي البرمجيات المتاح لها رابط في مواقع الانترنت وعند الضغط عليه لا يفتح أو عند الدخول لموقع البرنامج تظهر رسالة تفيد بأن الصفحة غير موجودة، ومن هذه البرمجيات:

- Keyword Generator: http://www.espotting.com/popups/keywordgenbox.asp (اقتراح)
- Build Great Keyword Research: https://tools.seogadget.co.uk/(اقتراح)
- e3KWD Check: Keyword Analysis Tool (استخراج) http://www.e3internet.com/keyword-analysis-tool/

- Keyword Extractor:
http://seo.ajitchoof.com/tools/keyword-extractor (تحديد كثافة)
- Keyword extractor mac software (تحديد كثافة) :
http://freedownloadmanager.org/downloads/keyword-extractor-mac-2197939.html

- استبعاد خمس برمجيات عبارة عن مجرد روابط تحيل لبرمجيات أخرى منها :

- Search Term Research (Keyword discovery رابط لبرنامج)
http://www.prioritysubmit.com/research.html
- Keyword Suggestion Tool: (Google Adwords Keyword Tool رابط لبرنامج)
http://tools.digitalpoint.com/suggestion.php
- Search Term Suggestion Tool: (Overtrue رابط لبرنامج)
http://inventory.overture.com/d/searchinventory/suggestion/

بعد عمليات الاستبعاد وصل العدد النهائي لبرمجيات الكلمات المفتاحية والتي اعتمدت عليها الدراسة وتناولتها بالوصف والتحليل ٦٣ برنامجاً.

المرحلة الثانية: فحص وتحليل برمجيات الكلمات المفتاحية.

قامت الباحثة في هذه المرحلة بالتعامل مع كل برنامج، واستخدامه، لتحديد نوعه، وأهم خصائصه، وأهم إمكاناته البحثية، والخدمات التي يوفرها للمستفيدين وكيفية الإفادة منه عند بناء المواقع.

المرحلة الثالثة: استخلاص النتائج وصياغة البحث.

تم في هذه المرحلة تحليل البيانات التي تم تجميعها إحصائيا للوصول إلى مؤشرات تسهم في الكشف عن نوعيات برمجيات الكلمات المفتاحية وكيفية

استثمارها في الوصول بالمواقع إلى ترتيب متقدم في نتائج محركات البحث.

الدراسات السابقة:

يمكن تقسيم الدراسات السابقة إلى فئتين هما:

١. الدراسات التي تركز على أدوات وبرمجيات الكلمات المفتاحية.
٢. الدراسات التي تركز على تاج الكلمات المفتاحية.

أولاً: الدراسات التي تركز على أدوات وبرمجيات الكلمات المفتاحية.

دراسة Stockwell التي هدفت إلى تحليل وتقييم ٢١ برنامجاً يتعامل مع الكلمات المفتاحية واستبعدت الدراسة البرمجيات المجانية التي تقوم بإعادة عرض نفس البيانات التي يوفرها برنامج اقتراح الكلمات المفتاحية Overture التابع لياهو، وقام الباحث باستخدام كل برنامج موضحاً أهم خصائصه وأهم مميزاته وعيوبه ومدى دقة الكلمات المفتاحية التي يعدها كل برنامج ومدى سهولة استخدامه ومدى دعمه للمواقع وتحسين ترتيبها بنتائج محركات البحث، وأوصى الباحث باستخدام برنامج Keyword discovery في إعداد الكلمات المفتاحية الخاصة بالموقع مع ضرورة مقارنة تلك الكلمات المفتاحية بنتائج برنامج WebSEO الذي يحدد أكثر الكلمات المفتاحية التي يتم استخدامها من قبل رواد الانترنت، وتمتاز بفاعلية ودقة الكلمات المفتاحية المعدة من خلالها[1].

دراسة Lemnitzer & Monachesi التي هدفت إلى إعداد برنامج لاستخراج extraction الكلمات المفتاحية من الكيانات الرقمية بثماني لغات مختلفة، وذلك بسبب اقتصار معظم البرمجيات على التعامل مع الكيانات الرقمية

---

(1) Stockwell, J. (2008). *keyword research tool.* Retrieved October 10, 2011, from http://www.keywordworkshop.com/categories/Keyword-Research-Articles/

المتاحة باللغة الانجليزية فقط، وقياس مدى قدرة البرنامج على تحديد الكلمات المفتاحية التي توفر أفضل وصف للموقع بشكل آلي، وتم مراعاة عدة عناصر عند تقييم الأداء منها لغة الكيان الرقمي والحد الأقصى لطول الجملة المفتاحية، وموضع الكلمة المفتاحية، ومكان ظهورها في الكيان الرقمي، وقد اعتمد الباحثان عند تقييم البرنامج على قياس معدلات الدقة والاستدعاء لكل لغة، وقياس مدى دقة البرنامج في تحديد الكلمات المفتاحية من خلال مقارنة الكلمات المفتاحية التي أعدها البرنامج بتلك التي قام المتخصصون بإعدادها لنفس الكيان الرقمي. أظهرت الدراسة أن معدل التوافق بين الكلمات المفتاحية التي تم إعدادها من خلال البرنامج ومن خلال العنصر البشري ٨٢ باللغة الانجليزية، وكان أقل معدل توافق هو ٥٨ وظهر في اللغة البرتغالية[١].

دراسة (Li, Xie, & Jiang, 2008) التي هدفت إلى إعداد خوارزمية جديدة لاستخراج الكلمات المفتاحية من الصفحات الصينية الإخبارية، اعتمادًا على عدة معايير منها العلاقة بين التواجد المتزامن co-occurrence للكلمات المفتاحية ومقارنته بمعدلات التكرار، وقام الباحثون بتجريب البرنامج على عينة عشوائية للصفحات الصينية على الويب لتحديد مدى جودة الكلمات المفتاحية المعدة من خلالها، توصلت الدراسة إلى أن برنامج استخراج الكلمات المفتاحية KELCC يستطيع التعامل مع المواقع الشخصية والصفحات الفردية المتاحة على الانترنت وبكفاءة عالية[٢].

---

(1) Monachesi, L. L. (2008). Extraction and evaluation of keywords from Learning Objects - a multilingual approach. *Proceedings of the Language Resources and Evaluation Conference*.

(2) Li, X., Xie, F., & Jiang, Z. (2008). *Keyword Extraction from the Web*. Retrieved May 22, 2011, from

=

دراسة (Nallapati, Allan & Mahadevan, 2007) التي هدفت إلى تحديد أهمية استخراج extraction الكلمات المفتاحية من قصص الأخبار News Stories التي تهتم بها كثير من النشرات العلمية والمجلات الإخبارية، واهتمت الدراسة بتحديد هوية الكلمات التي يتم استخراجها حتى تستفيد منها برمجيات استخراج الكلمات المفتاحية Keyword Extraction Software، حيث قامت الدراسة باستخراج الكلمات المفتاحية من ٩٧٤ قصة للأخبار تم توزيعها ضمن ٥٩ قطاعاً موضوعياً، وتوصلت الدراسة إلى تحديد أنواع الكلمات المفتاحية التي يمكن للبرمجيات الآلية استخراجها من قصص الأخبار وهي:

- الكلمات التي تمثل أسماء أشخاص أو هيئات تركز عليها قصة الأخبار.
- بعض الأفعال المفتاحية Key-Verbs التي تمثل أهمية خاصة داخل الموضوع الذي يتم معالجته في قصة الأخبار.
- الأسماء المفتاحية Key-Nouns التي تصف الأحداث المغطاة بقصة الأخبار.
- المواقع الجغرافية المفتاحية key-Location التي وردت في قصة الأخبار ولها علاقة بالحدث الذي تتم معالجته[1].

دراسة (Uzun, 2006) التي أبرزت أهمية اختيار الكلمات المفتاحية التي توفر مستوى عالياً من الوصف الدقيق للمحتوى، وأظهرت الدراسة مدى صعوبة إعداد تلك الكلمات يدوياً، وضرورة الحاجة إلى أدوات وبرامج تسهم في الاستخراج بشكل آلي، وعرضت الدراسة أساليب استخراج الكلمات المفتاحية

=

http://ymatsuo.com/papers/foafws04/jmori/foaf04_en.pdf

(1) Ramesh Nallapati, J. A. (2007). Extraction of Key Words from News Stories. *CIIR technical Report*, pp. 345- 352.

باستخدام برنامج naïve Bayesian classifier وكشفت الدراسة عن أن موضع الكلمة داخل الصفحة يعد من أهم العوامل المؤثرة على استخراج الكلمات المفتاحية، حيث يتم الاهتمام بالكلمات المفتاحية التي تظهر في بداية ونهاية الفقرات أكثر من الكلمات المدرجة داخل المتن[١].

ثانيًا: الدراسات التي تركز على تاج الكلمات المفتاحية.

توجد مجموعة من الدراسات التي ركزت على مدى توافر تاج الكلمات المفتاحية بالمواقع المختلفة، باعتبار أن هذا التاج هو أحد أوجه الإفادة من برامج الكلمات المفتاحية، ومن هذه الدراسات:

دراسة (Ardo, 2010) وهي دراسة إحصائية لتيجان الميتاداتا المتوافرة في عينة من صفحات الويب بلغ عددها ٤٠ مليون صفحة، وتم تحليل تيجان العنوان والمؤلف والكلمات المفتاحية والوصف واللغة لتحديد درجة الثقة في كل تاج من تلك التيجان. توصلت الدراسة إلى أن ٧٥٪ من إجمالي الصفحات اشتملت على ميتاداتا مفيدة، وكان تاج اللغة هو أكثر التيجان الموثوق في دقتها، أما باقي التيجان فقد اشتملت على درجة عالية من التكرار في محتواها مما يقلل من فائدتها[٢].

دراسة(Nowick, 2006) التي هدفت إلى تحليل تيجان الميتاداتا الواردة بجميع المواقع التي لها روابط في موقع University of Nebraska Agricultural Network Information Center (AgNIC) مع التركيز

---

(1) Uzun, Y. (2006). *Keyword Extraction Using Naive Bayes*. Retrieved October 7, 2011, from www.cs.bilkent.edu.tr/~guvenir/courses/CS550/Workshop/Yasin_Uzun.pdf

(2) Ardo, A. (2010). Can we trust web page metadata? *Journal of Library Metadata*, *10* (1), pp.58-74.

على تاج الوصف وتاج الكلمات المفتاحية، وذلك من خلال تحليل كود المصدرSource Code الخاص بتلك المواقع باستخدام متصفح Netscape وأظهرت الدراسة أن ٢٣٪ من إجمالي صفحات الويب موضوع الدراسة اشتملت على تاج الكلمات المفتاحية، بينما اشتملت ٢١٪ منها على تاج الوصف، وكانت المواقع التجارية المشتملة في المجال domain الخاص بها على.com هي أكثر المواقع المشتملة على تيجان الميتاداتا(١).

دراسة (Craven T. C., 2005) التي هدفت إلى تحديد مدى تأثير أدوات تحرير وإنشاء صفحات الويب على تكويد بيانات الوصف والكلمات المفتاحية، وذلك من خلال فحص ٢٠٤٨ من الصفحات المسترجعة بشكل عشوائي من محرك البحث ياهو لقياس مدى وجود تاج الوصف وتاج الكلمات المفتاحية وتحديد طول كل منهما، وأظهرت الدراسة عدم وجود ارتباط بين التكرار التام بين محتوى تاج الوصف والكلمات المفتاحية المدرجة بالموقع وتلك المدرجة بالنص المرئي visible text للموقع(٢).

دراسة (Alimohammadi, 2004) التي أظهرت مشكلات استرجاع المعلومات في البيئة الرقمية، وأهمية وجود تيجان الميتاداتا لاسترجاع المعلومات من الشبكة العنكبوتية العالمية، ودورها في مساعدة المؤلفين والناشرين والمكشفين في تحديد محتوى صفحات الويب، وهدفت الدراسة إلى قياس مدى وجود تيجان الميتاداتا في الصفحات الإيرانية على الانترنت، وقد حللت الدراسة ٣٤٦ موقعاً

---

(1) Nowick, E. A. (2006). Use of meta tags for internet documents. *Journal of Internet Cataloging*, *5* (1), pp.69-76.

(2) Craven, T. C. (2005). Web authoring tools and meta tagging of page descriptions and keywords. *Online Information Review*, *29* (2), pp. 129 – 138.

إيرانياً من إجمالي ٣٣٤٢ موقع إيراني متاح في دليل المواقع الإيرانية Iranhoo، وذلك من خلال تحليل كود المصدر Source code الخاص بتلك الصفحات لبيان مدى توافر تاج الوصف description meta-tag وتاج الكلمات المفتاحية keywords meta-tag بتلك المواقع. أظهرت الدراسة أن ٣١,٥٪ من إجمالي المواقع الإيرانية موضوع الدراسة توافر بها تاج الكلمات المفتاحية، وانخفاض أعداد المواقع الإيرانية المشتملة على تيجان الميتاداتا بالمقارنة بمواقع البلدان الأخرى(١).

دراسة (Craven, 2004) التي هدفت إلى تحليل تاج الكلمات المفتاحية Keyword meta tag وتاج العنوان Title tag من خلال تحميل الصفحات التي تغطي (١٩) لغة والتي احتلت ترتيباً متقدماً في نتائج محرك البحث جوجل لتحديد مدى اختلاف التاجيين بين تلك الصفحات وفقاً للغاتها. أظهرت النتائج تفاوتاً ملحوظاً في نسب وجود تاج الكلمات المفتاحية وفقاً للغات فكانت الصفحات الفرنسية والألمانية والهولندية هي أكثر الصفحات التي تواجد بها التاج، بينما كانت الصفحات الصينية والكورية هي أقل الصفحات، ظهرت الكلمات المفتاحية بمعدلات أكبر في الصفحات باللغات الصينية واليونانية والاندونيسية والتركية(٢).

يتضح من عرض الدراسات السابقة عدم وجود دراسات تحصر أدوات

---

(1) Alimohammadi, D. (2004). Measurement of the presence of keywords and description meta-tags on a selected number of Iranian Web sites. *Online Information Review*, *28* (3), pp.220-232.

(2) Craven, T. (2004). Variations in use of meta tag keywords by web pages in different languages. *Journal of Information Science*, *30* (3), pp. 268-279.

وبرمجيات الكلمات المفتاحية على الانترنت وتحديد خصائصها وأنواعها وكيفية الإفادة منها في إعداد تاج الكلمات المفتاحية، وهو ما سوف تركز عليه الدراسة الحالية.

للكلمات المفتاحية دور كبير بالنسبة لدعم الموقع داخل محركات البحث ودعم وصول المستفيدين إليه، لذلك ينبغي على مدير الموقع اتباع الخطوات التالية عند إعداد الكلمات المفتاحية:

١. عمل عصف ذهني Brainstorm لأهم الكلمات والجمل المفتاحية التي تعبر عن الموقع تتراوح ما بين (٥٠ – ١٠٠) كلمة، وأن تكون مستخدمة من قبل المستفيدين المستهدفين ويتم ذلك عن طريق فحص تاج الكلمات المفتاحية المدرج بالمواقع المثيلة والتي احتلت ترتيباً متقدما في محركات البحث، وينبغي الحرص على عدم نسخ تيجان الميتاداتا الخاصة بأي موقع[١].

٢. تنظيم قائمة الكلمات المفتاحية وتحديد الكلمات الأهم فالأقل أهمية.

٣. اختبار وتقييم الكلمات المفتاحية بعرضها على عدة أدوات وبرمجيات تتعامل مع الكلمات المفتاحية[٢].

يرى (Pascal, 2010) أنه ينبغي اختيار الكلمات المفتاحية الأكثر بحثاً من جانب مستخدمي الانترنت، وأقل منافسة بمعنى قلة عدد الصفحات والمواقع المستخدمة لهذه الكلمات، ولتحديد تلك الكلمات يمكن الإفادة من برمجيات

(1) Braniac, E. (2009). *How to Write Keyword Meta Tags*. Retrieved May 22, 2011, from http://www.ehow.com/how_2204767_write-keyword-meta-tags.html

(2) Kain, M. (2011). *Search: The Key(words) to Success*. Retrieved October 12, 2011, from http://www.targetmarketingmag.com/article/search-keyword-strategies-seo-ppc-paid-organic-sem/1#

اقتراح الكلمات المفتاحية المتاحة على الانترنت والتي توفر للمستفيد عدداً من الكلمات المفتاحية المقترحة وذات العلاقة بمحتوى الموقع، وفلترة هذه الكلمات بناءً على حجم استخدامها[١]، وتوصي (Anastasia Miles,2011) بضرورة استبعاد الكلمات المفتاحية التي تقل عدد عمليات البحث الشهرية الخاصة بها عن ١٠٠٠ عملية بحث[٢].

برمجيات الكلمات المفتاحية:

تتوافر على الانترنت مجموعة من البرمجيات التي تتعامل مع الكلمات المفتاحية، والتي يمكن تقسيمها إلى أربع فئات رئيسة هي:

- برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية.
- برمجيات تحديد المواقع المنافسة للكلمات المفتاحية.
- برمجيات استخراج الكلمات المفتاحية.
- برمجيات تحليل كثافة الكلمات المفتاحية.

وسيتم استعراض تلك البرمجيات بشيء من التفصيل لبيان كيفية التعامل معها وأهم خصائصها:

١. **برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية:** Keyword Suggestion Software

---

(1) Pascal, J. (2010). *Finding the Best Keyword Suggestion Tool.* Retrieved October 12, 2011, from http://ezinearticles.com/?Finding-the-Best-Keyword-Suggestion-Tool&id=3887970

(2) Miles, A. (2011). *How to make the right keyword analysis for your website*. Retrieved October 20, 2011, from http://www.1stwebdesigner.com/design/right-keyword-analysis-website/

هي البرمجيات التي تقوم باقتراح وتقديم كلمات مفتاحية ذات علاقة بالكلمة المفتاحية التي يبحث عنها المستفيد، وتعتمد تلك البرمجيات في عمليات الاقتراح للكلمات المفتاحية على عمليات البحث التي تتم بمحركات البحث المختلفة، حيث تعتمد آلية عمل تلك البرمجيات على قيام المستفيد بكتابة الكلمة المفتاحية التي يرغب بالحصول على مقترحات بشأنها، فتقوم تلك البرمجيات بإظهار الكلمات المفتاحية الأكثر بحثاً من خلال مستخدمي الانترنت والتي لها علاقة مباشرة بالكلمة المفتاحية التي يتم البحث عنها، كما يتضح من الشكل التالي:

- الدخول على موقع البرنامج وكتابة الكلمة المفتاحية:

- يقوم البرنامج بعرض كلمات مفتاحية لها علاقة بالكلمة التي تم البحث عنها وبيان حجم البحث اليومي لها ومقدار المنافسة الخاصة بها.

برمجيات تحديد المواقع المنافسة للكلمات المفتاحية: Keyword Competitors

هي البرمجيات التي تهدف إلى تحديد أهم المواقع المنافسة للموقع الذي يستخدم كلمات مفتاحية معينة، تعتمد آلية عمل تلك البرمجيات على قيام المستفيد

بإدراج الكلمة المفتاحية التي ينوي استخدامها في موقعه، فيقوم البرنامج بعرض أهم المواقع التي تنافسه في استخدام تلك الكلمات وتحديد مرات استخدامها بالموقع المنافس ومواضع استخدامها داخل الموقع، والشكل التالي يوضح كيفية التعامل مع هذه البرمجيات.

- يقوم المستفيد بكتابة الكلمة المفتاحية التي يرغب في تحديد المواقع المنافسة لها.

- يقوم البرنامج بعرض المواقع المستخدمة لتلك الكلمة، وتحديد ومرات ومواضع استخدامها داخل الموقع.

برمجيات استخراج الكلمات المفتاحية: Keyword Extractors

تقوم تلك البرمجيات باستخراج واستخلاص الكلمات المفتاحية الموجودة بمحتوى الموقع من خلال وضع محدد المصدر الموحد URL الخاص بذلك الموقع، تعتمد آلية عمل تلك البرمجيات على قيام المستفيد بإدراج محدد المصدر الموحد URL الخاص بالموقع المراد تحليله، ليقوم البرنامج باستخراج الكلمات

المفتاحية سواء كانت كلمات مفتاحية مفردة أو جملاً مفتاحية، كما يتضح من الشكل التالي:

- يقوم المستفيد بكتابة محدد المصدر الموحد URL الخاص بالموقع المراد تحليله.

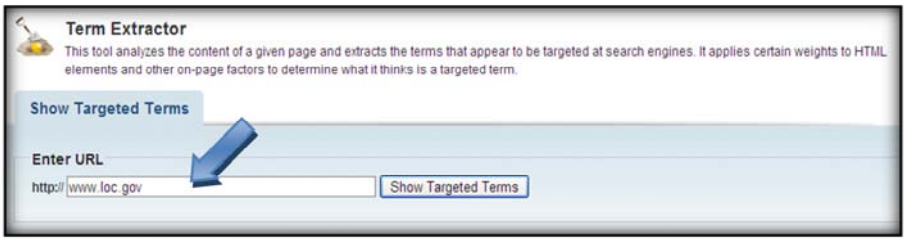

- يقوم البرنامج باستخراج الكلمات المفتاحية الموجودة بالموقع.

- تحدد بعض البرمجيات موضع وجود الكلمة داخل الموقع كما في الشكل التالي:

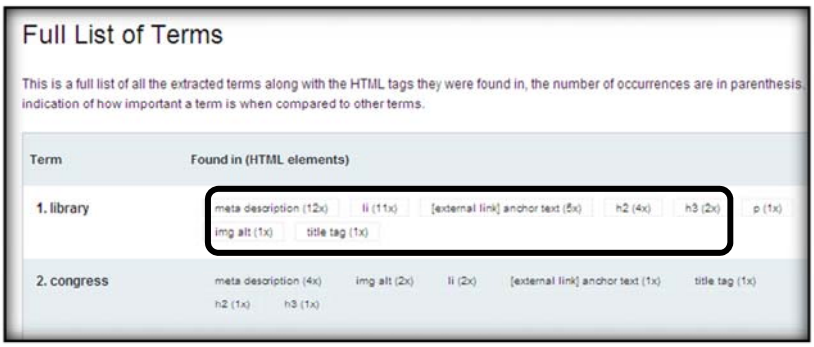

برمجيات تحليل كثافة الكلمات المفتاحية: Keyword Density Software

هي البرمجيات التي تقوم باستخراج الكلمات المفتاحية الموجودة بالموقع، كما تفعل برمجيات استخراج الكلمات المفتاحية، لكنها تقوم كذلك بحساب عدد مرات استخدام كل كلمة مفتاحية، وحساب كثافة استخدامها بالموقع من خلال المعادلة التالية: (عدد مرات استخدام الكلمة بالموقع/ إجمالي الكلمات المفتاحية بالموقع) × ١٠٠، وينبغي أن يحرص صاحب الموقع على التأكد من وجود كثافة عالية للكلمات المفتاحية المهمة بموقعه، والتي ينبغي ألا تقل بأي حال من الأحوال عن ٣٪: ٩٪، حتى يحتل الموقع ترتيباً متقدماً في نتائج محركات البحث، ويفيد تحديد نسبة الكثافة للكلمة المفتاحية أصحاب المواقع فيما يلي:

- تحديد كثافة استخدام كلمات مفتاحية معينة بالمواقع المنافسة.
- تحديد الكلمات المفتاحية التي ينبغي زيادة كثافتها داخل الموقع.

وتقوم بعض البرمجيات بتحديد موضع وجود الكلمات المفتاحية، وبالأخص في تاج الوصف والكلمات المفتاحية والعنوان والروابط وجسم الموقع، وتعتمد آلية عمل هذا النوع من البرمجيات على قيام المستفيد بإدراج محدد المصدر الموحد URL الخاص بالموقع المراد تحليله ليقوم البرنامج بتحليله وإظهار البيانات الرقمية التي تكون مصحوبة في كثير من الأحيان بعرض سُحب للكلمات المفتاحية Keyword Clouds.

سُحب الكلمات المفتاحية: Keyword Clouds: هي عبارة عن تصوير بصري للكلمات المفتاحية المستخدمة في موقع الويب، ويتم تصوير الكلمة المفتاحية ذات الكثافة العالية بخطوط ذات حجم أكبر. والأشكال التالية تبين كيفية التعامل مع برمجيات تحليل الكثافة.

- الدخول للموقع وكتابة محدد المصدر الموحد URL الخاص بالموقع المراد تحليله.

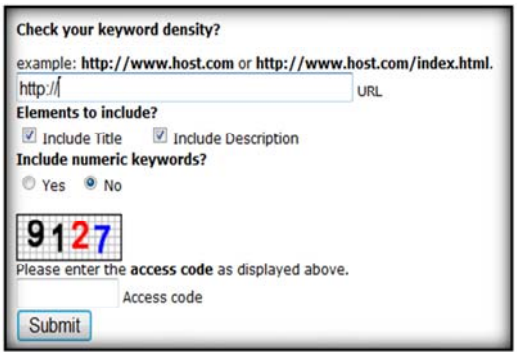

- يقوم البرنامج بعرض إجمالي الكلمات المفتاحية المستخدمة بالموقع والمدة المستغرقة في تحليله، وعرض سحب توضيحية للكلمات المفتاحية.

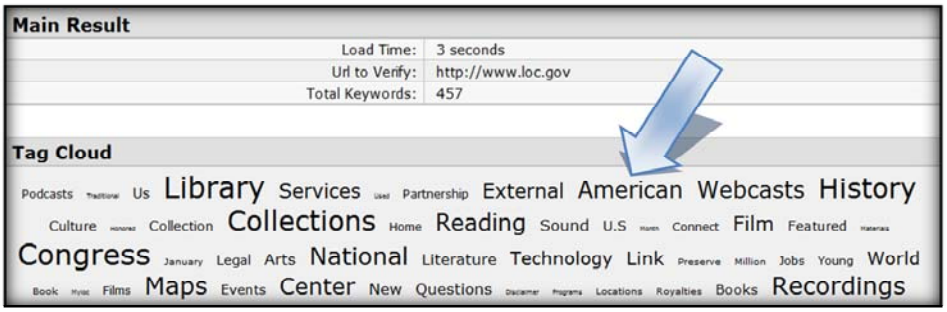

- يقوم البرنامج بعرض الكلمات المفتاحية المستخدمة بالموقع وعددها ونسبة كثافتها داخل الموقع.

Keyword Density

Keyword	Count	Percent	Keyword	Count	Percent	Keyword	Count	Percent
library	23	5.03%	external link	3	0.66%	librarians publishers researchers	1	0.22%
congress	7	1.53%	library more	2	0.44%	history travel back	1	0.22%
more	7	1.53%	sound recordings	2	0.44%	young peopleâ€™s literature	1	0.22%
collections	6	1.31%	presenting traditional	1	0.22%	external link disclaimer	1	0.22%
history	5	1.09%	e-mail blogs	1	0.22%	film series dylan	1	0.22%
national	4	0.88%	recordings film	1	0.22%	manuscripts topics american	1	0.22%
maps	4	0.88%	contact us	1	0.22%			

يمكن لصاحب الموقع أن يزيد من ترتيب موقعه في محركات البحث بوضع كلماته المفتاحية في ثمانية مواضع هي:

١. تاج العنوان.
٢. تاج الوصف.
٣. تاج الكلمات المفتاحية.
٤. العناوين الفرعية داخل صفحة الوب.
٥. نص الموقع (الكلمات الأولي في كل صفحة)[١].
٦. اسم الملف الذي يتم رفعه على الخادم.
٧. الروابط links الموجودة داخل الموقع.
٨. عنوان المجال / النطاق domain الخاص بالموقع[٢].

تاج الكلمات المفتاحية: Keywords Meta Tag

ظهر هذا التاج لأول مرة في صفحة إيطالية في ديسمبر عام ١٩٩٥ وفي عام ١٩٩٦ أعلن كل من Infoseek(Go) وAltavista دعمهما لتاج الكلمات المفتاحية، وبعد ذلك بعدة أشهر أعلن محرك البحث Inktomi دعمه لهذا التاج وفي عام ١٩٩٧ أعلن Lycos دعمه لهذا التاج، وبعدها توالى دعم باقي المحركات لهذا التاج واعتمادها عليه عند تكشيف صفحات الويب المشتملة عليه

(1) Tutorials, S. B. (2009). *How to Write Perfect Title, Description & Keyword Meta Tags For SEO*. Retrieved May 30, 2011, from http://website101.com/seo-search-engines/how-to-write-title-description-keyword-meta-tags/

(2) Norris, J. (2001). Don't Forget Meta Tags. *Canadian Musician*,23(3) pp.23: 39

وكانت تقوم بتكشيف أول ٢٥٠-١٠٠٠ تمثيلة من هذا التاج[١].

بمرور الوقت وبسبب بعض الممارسات السيئة من جانب بعض المسؤولين عن المواقع وقيامهم بكتابة العديد من الكلمات التي لا علاقة لها بمحتوى الموقع keyword Stuffing، قامت العديد من المحركات بالإعلان عن التخلي عن هذا التاج وعدم الاعتماد عليه في التكشيف حيث أعلن Fast عدم دعمه للتاج عام ١٩٩٨[٢]. وأعلن جوجل عدم اعتماده على تاج الكلمات المفتاحية في الترتيب في ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٩ ولكنه ما زال يكشف محتوى التاج لاحتمال استخدامه والإفادة منه في المستقبل، وفي يونيو ٢٠٠٢ أعلن ألتافيستا عن عدم دعمه للتاج وأصبحت معظم محركات البحث تتجاهل هذا التاج[٣].

ولا زالت محركات البحث Yahoo و Ask وTeoma وInktomi وGigablast تدعم هذا التاج وتعتمد عليه في الاسترجاع وترتيب النتائج، تعتمد خوارزمية تلك المحركات على القيام بمطابقة الكلمات المفتاحية الموجودة بالتاج وتلك الموجودة بالموقع فإذا لم يتطابقا فيؤدي ذلك إلى انخفاض ترتيب الموقع لدى محرك البحث[٤][١].

---

(١) البسيوني، بدوية محمد. (٢٠٠٩). تيجان الميتاداتا Meta tags ومدى تمثيلها في صفحات الويب: دراسة تطبيقية على مواقع التميز الرقمي العربية على الانترنت. الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات، ١٦(٣٢) ص ١٩٤-١٩٥.

(2) Sullivan, D. (2007). *Meta keywords tag 101: How to "legally" hide words on your pages for search engines.* Retrieved April 30, 2011, from (b). http://searchengineland.com/meta-keywords-tag-101-how-to-legally-hide-words-on-your-pages-for-search-engines-1209

(3) Web Page Mistakes. (2011). *Keywords Meta Tag*. Retrieved October 11, 2011, from http://www.webpagemistakes.ca/

(4) Yorzinski, B. (2007). *The importance of keywords meta tag in SEO.*
=

يحتاج تاج الكلمات المفتاحية إلى حذر شديد في استخدامه من قبل مدير الموقع، لأن المحركات تعاقب المواقع التي تسيء استخدامه وتمتنع عن تكشيفها[٢]. يرى محرك البحث ياهو أنه من الضروري الحرص على إعداد تاج الكلمات المفتاحية وأن يشتمل على الكلمات الأكثر استخداماً من قبل المستفيدين، وأن تظهر تلك الكلمات في عنوان الموقع وأن يتجنب مدير الموقع، تكرار تاج الكلمات المفتاحية لكل صفحة من صفحات الموقع، فينبغي أن يكون لكل صفحة التاج الخاص بها[٣]. لذا من الضروري مراعاة ما يلي عند صياغة التاج وهي:

الجوانب التي ينبغي مراعاتها عند صياغة تاج الكلمات المفتاحية:

- استخدام الفاصلة عند الفصل بين الكلمات أو الجمل المفتاحية ولا داعي لاستخدام المسافات.
- تجنب الأخطاء الإملائية misspellings.
- الحرص على استخدام المترادفات synonyms[٤].

=

Retrieved May 20, 2011, from http://www.searchenginejournal.com/the-importance-of-keywords-meta-tag-in-seo/6014/

(1) Sullivan, D. Op. Cit.

(2) West, J. (2011). *Meta Tags Explained*. Retrieved October 14, 2011, from http://www.webmarketingnow.com/tips/meta-tags-uncovered.html

(3) Yahoo Help. (2010). *How to Improve the Position of Your Website in Yahoo! Search Results*. Retrieved October 6, 2011, from http://help.yahoo.com/l/us/yahoo/search/indexing/ranking-02.html

(4) Wall, A. (2005). *Keyword phrases and the meta keywords tag*. Retrieved May 14, 2011, from http://www.search-

=

- عدم تكرار أية جملة مفتاحية ويمكن تكرار أية كلمة مفتاحية ما دامت في جملة مختلفة، مع الحرص على عدم تكرار الكلمة الواحدة أكثر من ٤ مرات في التاج.
- الحرص على إظهار تلك الكلمات المفتاحية في بداية التاج وفي متن الموقع وفي العنوان وفي الوصف وفي الروابط والعناوين الرئيسة والفرعية وإبرازها من خلال كتابتها بخط سميك Bold[١].
- استخدام الكلمات المفتاحية الانجليزية في صيغة الجمع كلما أمكن، حتى يتم استرجاع الموقع عند بحث المستفيد بالكلمة المفرد أو الجمع.
- ينبغي أن تتنوع الكلمات المفتاحية الانجليزية في طريقة كتابتها (بالحروف الكبيرة والصغيرة) واستخدام الأزمنة المختلفة وتجنب كتابة الكلمة بأكملها بالحروف الكبيرة[٢].
- استخدام كلمات مفتاحية ذات صلة بمحتوى الموقع وخاصة المصطلحات التي يتم استخدامها من قبل رواد الانترنت ويمكن الاستعانة ببعض البرامج التي تكشف عن الكلمات الأكثر استخداماً عند البحث في الانترنت.
- ينبغي ألا تزيد عدد التمثيلات المستخدمة في هذا التاج عن ١٠٠٠ وألا تقل عن ٣٧٠ تمثيلة[٣].

=

marketing.info/meta-tags/meta-keyword.htm

(1) Whalen, J. (2007). *Can Meta tags such as the keyword tag bring High Rankings to my site?*. Retrieved June 24, 2011, from http://www.searchengineguide.com/jill-whalen/can-the-meta-keyword-tag-bring-high-rankings-to-my-site.php

(2) Heng, C. (2008). *How to use Meta Tags in search engine promotion*. Retrieved June 12, 2011, from http://www.thesitewizard.com/archive/metatags.shtml

(3) Media Vue Inc. (2006). *Keyword Meta Tags*. Retrieved October 5,

=

يرى (Shannon, 2010) أنه ينبغي أن يتراوح عدد الكلمات المفتاحية من ٢٥- ٣٠ كلمة وأن تظهر الكلمات المهمة في بداية التاج[١].

يرى (Craig, 2002) أنه ينبغي أن لا يزيد تاج الكلمات المفتاحية عن ٩٠٠ تمثيلة أي حوالي ١٠- ٢٠ كلمة مفتاحية لكل صفحة[٢].

مناقشة النتائج:

توصلت الدراسة إلى وجود ٦٣ برنامجاً من برمجيات الكلمات المفتاحية، وغطت تلك البرمجيات أربعة أنواع من أنواع البرمجيات، والتي يوضحها الشكل رقم (١).

الشكل رقم (١) التوزيع العددي لبرمجيات الكلمات المفتاحية موضوع الدراسة.

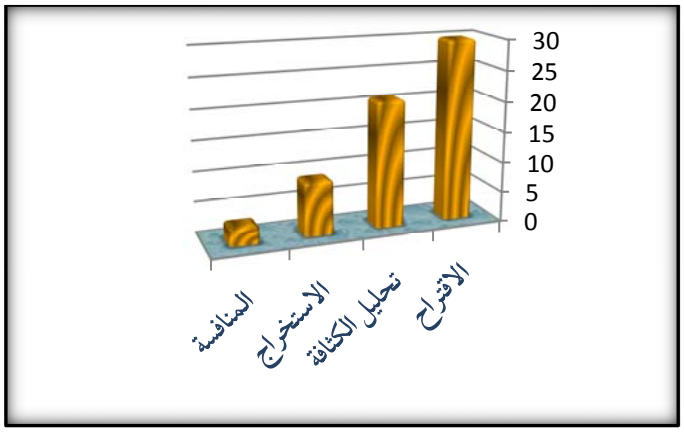

=

2011, from http://www.mediavue.net/searchEngineMarketing/keyword_meta_tags.html

(1) Shannon, R. (2010). *meta Tags: keywords, description, search engine optimization*. Retrieved October 11, 2011, from http://www.yourhtmlsource.com/promotion/metatags.html

(2) Craig, J. (2002). *An introduction to search engine optimization: Top Meta Tag Myths.* Retrieved May 22, 2011, from http://www.pandia.com/optimization/SEO-metatags.html

يتضح من الشكل رقم (١) أن أكثر برمجيات الكلمات المفتاحية انتشاراً على شبكة الانترنت هي برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية، حيث أظهرت الدراسة وجود ٣٠ برنامجاً بنسبة ٤٧,٦٢٪ من إجمالي البرمجيات موضوع الدراسة، تليها برمجيات تحليل كثافة الكلمات المفتاحية بنسبة ٣٣,٣٣٪، ثم برمجيات استخراج الكلمات المفتاحية بنسبة ١٤,٢٩٪، وأخيراً برمجيات تحديد المواقع المنافسة بنسبة ٤,٧٦٪ من إجمالي البرمجيات موضوع الدراسة.

١. **برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية:** Keyword Suggestion Software/ Tools

التوزيع النوعي لبرمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية:

توصلت الدراسة إلى ٣٠ برنامجاً من برامج اقتراح الكلمات المفتاحية بنسبة ٤٦,٨٨٪ من إجمالي البرمجيات موضوع الدراسة، وقامت الباحثة بتوزيع تلك البرمجيات نوعياً لتحديد أشكال إتاحتها وقيود الاستخدام المفروضة عليها، فجاءت النتائج كما يوضحها الشكل رقم (٢)

الشكل رقم (٢) توزيع برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية حسب الإتاحة وقيود الاستخدام

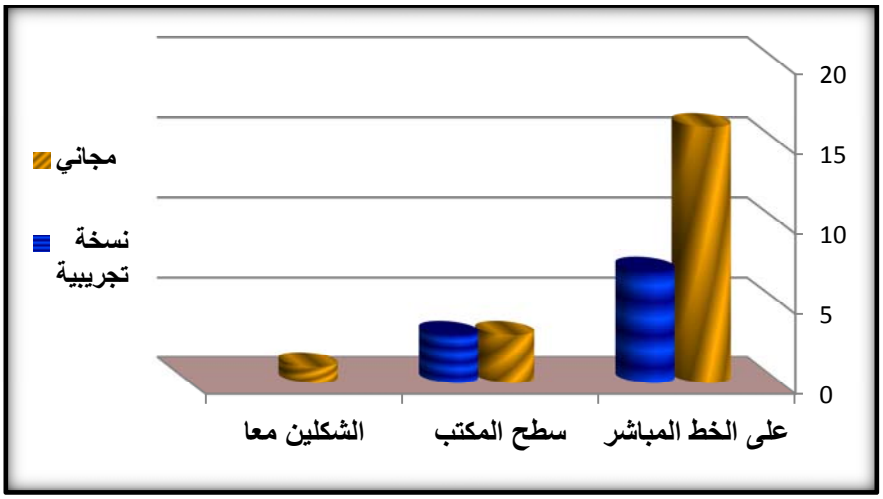

يتضح من خلال الشكل رقم (٢) أن أكثر برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية انتشاراً هي البرمجيات المتاحة على الخط المباشر والتي يتم استخدامها بمجرد الاتصال بالانترنت، حيث تمثل تلك البرمجيات ٧٦,٦٧٪ من إجمالي برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية، تليها برمجيات سطح المكتب والتي تحتاج من المستفيد تحميلها على جهاز الحاسب الآلي حتى يتسنى له استخدامها والإفادة منها، وتمثل ٢٠,٠٠٪ من إجمالي برمجيات الاقتراح وهذه البرمجيات هي:

١. Good Keywords
٢. keyword examiner
٣. Keyword Fisher
٤. keyword suggestion tool - Seo Administrator
٥. Keyword Tool Supercharger
٦. Meta Keywords Finder 1.1

أما برنامج Keyword Country فتوجد له إصدارة متاحة على الخط المباشر وأخرى متاحة لتحميلها على أجهزة الحاسب الآلي.

يتضح من الشكل رقم (٢) أن ٦٦,٧٦٪ من إجمالي برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية تعد من البرامج مفتوحة المصدر والمتاحة مجاناً على الانترنت، منها (١٦) برنامجاً متاحاً على الخط المباشر بنسبة ٨٠٪ من تلك البرمجيات، تليها برمجيات سطح المكتب بنسبة ١٥٪ ثم البرامج التي تتيح الشكلين معاً ويمثلها برنامج Keyword Country، ووصلت نسبة برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية التي يتوافر منها نسخة تجريبية ٣٣,٣٣٪ منها سبع برمجيات متاحة على الخط المباشر بنسبة ٧٠٪ من إجمالي تلك البرمجيات، وثلاث برمجيات تحتاج للتحميل على جهاز الحاسب الآلي بنسبة ٣٠٪ من إجمالي البرمجيات المتوافر منها نسخة تجريبية.

آلية وطبيعة عمل برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية:

أظهرت الدراسة التحليلية لبرمجيات الكلمات المفتاحية أن ٤٣,٣٣٪ من إجمالي برمجيات الاقتراح حددت محركات البحث التي اعتمدت عليها في اقتراح الكلمات المفتاحية التي يكثر البحث عنها من قبل مستخدمي الانترنت.

الشكل رقم (٣) محركات البحث التي تعتمد عليها برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية

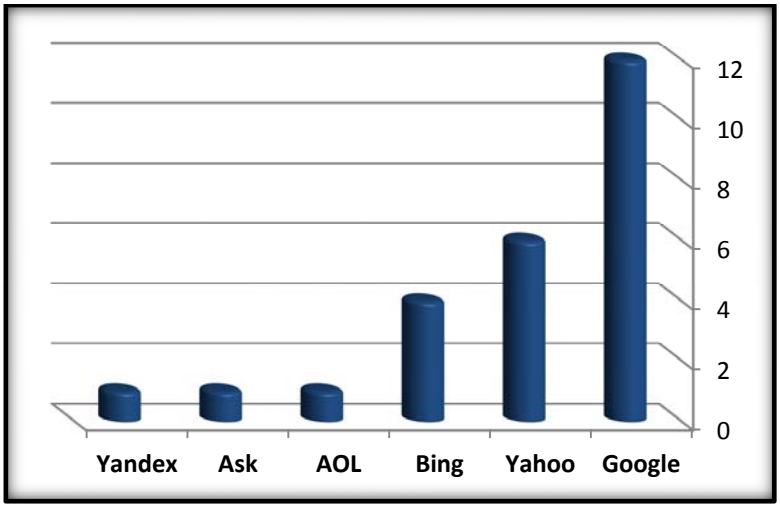

يتضح من الشكل رقم (٣) اعتماد ٩٢,٣١٪ من برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية (والتي حددت محركات البحث) على محرك البحث جوجل باعتباره أشهر وأهم محركات البحث، يليه محرك البحث ياهو بنسبة ٤٦,١٥٪، ثم محرك البحث Bing بنسبة ٣٠,٧٧٪، ثم محركات البحث AOL وAsk وYandex بنسبة ٧,٦٩٪ لكل منها.

يعتمد برنامجان من برامج اقتراح الكلمات المفتاحية على إصدارات لمحرك البحث جوجل وهما برنامج semrush الذي يعتمد على ١٠ إصدارات وبرنامج keyword eye الذي يعتمد على ٩ إصدارات والتي يوضحها الشكل رقم (٤).

الشكل رقم (٤) إصدارات جوجل التي يعتمد عليها برنامج semrush وبرنامج keyword eye

keyword eye **semrush**

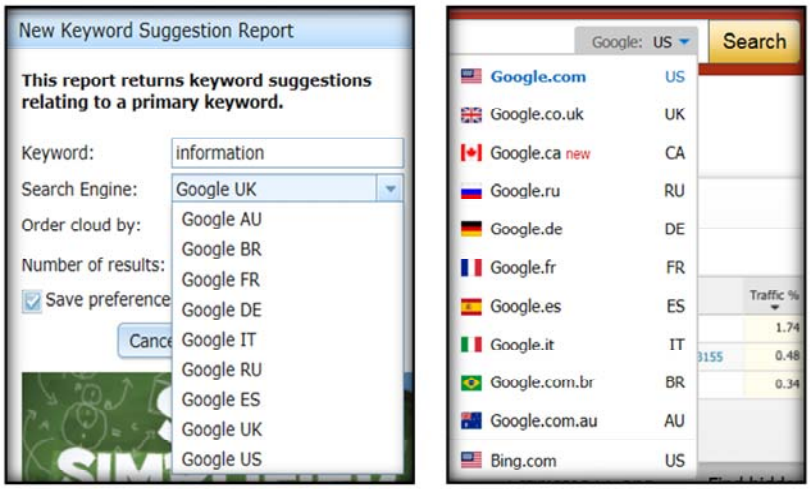

يتضح من الجدول رقم (٢) أن برنامج Keyword Discovery هو أكثر البرامج التي اعتمدت على عدد كبير من محركات البحث، حيث اعتمد على خمسة محركات هي جوجل وياهو وMSN وAOL وAsk، يليه برنامج keyword Suggestion tool - Seo Administrator الذي اعتمد على أربعة محركات، ثم برنامج Bad Neighborhood الذي اعتمد على ثلاثة محركات، يليه برنامج Keyword Suggestion Generator وبرنامج SEO Keyword Suggestion Generator، حيث اعتمد كل منهما على محركين من محركات البحث، أما بقية البرامج وعددها ثمانية برامج فاعتمد كل منها على محرك بحث واحد.

الجدول رقم (٢) آلية وطبيعة عمل برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية.

م	البرنامج	تحديد المحركات	عدد المحركات	المدى الزمني
1	Actual Keyword	√	١	-
2	Bad Neighborhood	√	٣	√
3	Free Keyword Niche Finder	-	-	√
4	Free Keyword Software	√	١	-
5	Good Keywords	-	-	-
6	Google Adwords Keyword Tool	√	١	√
7	Google Suggest Keyword Suggestion Tool	√	١	-
8	Keyword Country	-	-	-
9	Keyword Discovery	√	٥	√
10	keyword examiner	-	-	-
11	keyword eye	√	١	-
12	Keyword Fisher	-	-	-
13	Keyword Research	-	-	√
14	Keyword Suggestion Generator	√	٢	-
15	Keyword Suggestion Tool- myseotool	-	-	√
16	Keyword Suggestion Tool- selfseo	-	-	√
17	Keyword Suggestion Tool- submitexpress	-	-	-
18	keyword suggestion tool - Seo Administrator	√	٤	-
19	Keyword Tool Supercharger	-	-	√
20	keywordspy Tool	-	-	-

21	Meta Keywords Finder 1.1	-	-	-
22	Page Rank Keyword Suggestion	-	-	-
23	queryads	-	-	-
24	semrush	√	١	-
25	SEO Centro Keyword Suggestion Tool	-	-	-
26	SEO Keyword Suggestion Generator	√	٢	-
27	Übersuggest	√	١	-
28	Wordpot Keyword Finder	-	-	√
29	WordStream's Keyword Suggestion Tool	√	١	-
30	Wordtracker	-	-	-
	الإجمالي	١٣		٩
	النسبة المئوية	٪٤٣,٣		٪٣٠

يتضح كذلك من الجدول رقم (٢) ما يلي:

تحدد ٣٠,٠٠٪ من برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية الفترة الزمنية التي تمت فيها عمليات البحث، حيث حددت ثلاث برمجيات أن نتائجها تعتمد على عمليات البحث اليومية التي تتم لكل كلمة من الكلمات المفتاحية، وهذه البرمجيات هي:

- Keyword Suggestion Tool- selfseo
- Keyword Tool Supercharger
- Wordpot Keyword Finder

اعتمدت أربع برمجيات على أعداد عمليات البحث الشهرية التي تتم للكلمات المفتاحية، وهي:

- Free Keyword Niche Finder
- Google Adwords Keyword Tool

- Keyword Research
- Keyword Suggestion Tool- myseotool

الشكل رقم (٥) تحديد عدد عمليات البحث في برنامج Google Adwords Keyword Tool

أفكار الكلمات الرئيسية (١٠٠)

الكلمة الرئيسية	المنافسة	عمليات البحث الشهرية العالمية	عمليات البحث الشهرية المحلية
منتدى المعلومات	منخفضة	٧٤,٠٠٠	٦٠,٥٠٠
منتديات المعلومات	منخفضة	٧٤,٠٠٠	٦٠,٥٠٠
موقع المعلومات	منخفضة	٧٤,٠٠٠	٤٩,٥٠٠
تقنية المعلومات it	منخفضة	٤٩,٥٠٠	٢٢,٢٠٠
تقنية المعلومات	منخفضة	٤٩,٥٠٠	٢٢,٢٠٠
نظم المعلومات	منخفضة	٩٠,٥٠٠	٢٢,٢٠٠

يتضح من الشكل رقم (٥) اعتماد البرنامج على أعداد عمليات البحث الشهرية التي تتم لكل كلمة من الكلمات المفتاحية على النطاقين العالمي والمحلي.

اعتمد برنامج Bad Neighborhood على أعداد عمليات البحث التي تتم للكلمات المفتاحية كل ٣ أشهر، بينما اعتمد برنامج Keyword Discovery على عمليات البحث السنوية التي تتم لكل كلمة من الكلمات المفتاحية داخل محركات البحث.

إمكانيات البحث والاسترجاع التي توفرها برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية:

أظهرت الدراسة التحليلية لبرمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية أن٨٠,٠٠٪ منها تحدد عدد عمليات البحث التي تتم في محركات البحث لكل كلمة من الكلمات المفتاحية المقترحة، وتهتم ٤٣,٣٣ ٪ من إجمالي برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية بعرض أعداد المواقع المنافسة – المواقع التي تستخدم

تلك الكلمات المفتاحية – أمام كل كلمة مفتاحية، مما يفيد أصحاب المواقع في اختيار الكلمات المفتاحية التي تقل منافستها، حتى يتمكن الموقع من الحصول على ترتيب متقدم داخل محركات البحث.

الجدول رقم (٣) إمكانيات البحث والاسترجاع ببرمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية.

م	البرنامج	عدد عمليات البحث العالمي	أعداد المواقع المنافسة	اتجاهات البحث	ترتيب النتائج	تحديد لغات البحث	البحث حسب الدولة	أخرى
1	Actual Keyword	√	√	–	–	–	–	–
2	Bad Neighborhood	√	–	–	–	–	–	–
3	Free Keyword Niche Finder	√	–	–	–	–	–	–
4	Free Keyword Software	√	–	–	–	–	–	–
5	Good Keywords	√	–	–	–	–	–	–
6	Google Adwords Keyword Tool	√	√	√	√	√	–	–
7	Google Suggest Keyword	–	√	–	–	–	–	–
8	Keyword Country	√	√	–	–	–	–	–
9	Keyword Discovery	√	√	√	–	–	–	√
10	keyword examiner	√	√	–	√	–	–	–
11	keyword eye	√	√	–	√	–	√	√
12	Keyword Fisher	√	–	–	–	–	–	–
13	Keyword Research	√	–	–	–	–	–	–
14	Keyword Suggestion Generator	–	–	–	–	–	–	–
15	Keyword Suggestion Tool	√	√	–	–	–	–	–

16	Keyword Suggestion Tool	√	–	–	–	–	√	–
17	Keyword Suggestion Tool	√	–	–	–	–		–
18	keyword suggestion tool	√	–	–	√	–	–	–
19	Keyword Tool Supercharger	√	√	–	–	–	–	√
20	keywordspy Tool	–	√	√	–	–	–	–
21	Meta Keywords Finder 1.1	√	–	–	–	–	–	–
22	Page Rank Keyword Suggestion	√	–	–	–	√	–	–
23	queryads	√	–	–	–	–	–	–
24	semrush	√	√	√	–	–	√	–
25	SEO Centro Keyword	√	–	–	–	–	–	√
26	SEO Keyword Suggestion	–	–	–	–	–	–	–
27	Übersuggest	–	–	–	–	√	–	√
28	Wordpot Keyword Finder	√	–	√	–	–	–	√
29	WordStream's Keyword	–	√	–	–	–	–	–
30	Wordtracker	√	√	–	–	–	–	–
الإجمالي		٢٤	١٣	٥	٤	٣	٣	٦
النسبة المئوية		٨٠,٠	٤٣,٣	١٦,٧	١٣,٣	١٠,٠	١٠,٠	٢٠,٠

تحرص ١٦,٧٪ من إجمالي برمجيات الاقتراح على إظهار اتجاهات البحث عن الكلمة المفتاحية، من خلال الرسوم البيانية التي تحدد معدلات استخدامها خلال أيام الشهر أو خلال شهور السنة.

تحرص ١٣,٣ ٪ كذلك من إجمالي برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية

على إتاحة إمكانية ترتيب نتائج البحث بأكثر من طريقة، منها ترتيب النتائج حسب الصلة، أو حسب مرات البحث، أو عدد المواقع المنافسة كما يتضح من الشكل رقم (٦).

الشكل رقم (٦) خيارات ترتيب النتائج في برنامج Google Adwords Keyword Tool

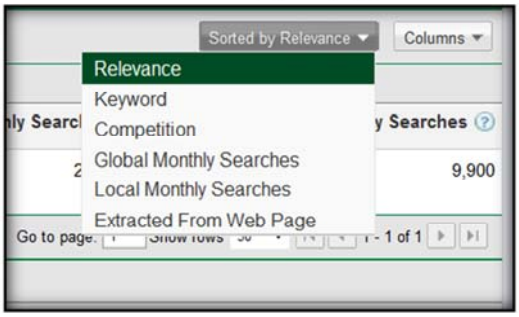

يتضح من الشكل رقم (٦) إتاحة برنامج Google Adwords Keyword Tool إمكانية ترتيب النتائج وفقاً للصلة أو حسب الترتيب الهجائي للكلمة المفتاحية أو حسب أعداد المواقع المنافسة أو حسب أعداد عمليات البحث الشهرية العالمية أو المحلية أو حسب صفحة الويب التي تم استخراج الكلمة المفتاحية منها.

تحرص ١٠ ٪ من إجمالي برمجيات الاقتراح على تحديد لغة البحث عن الكلمات المفتاحية، والسماح للمستفيد بالاختيار منها، حيث يتيح برنامج Google Adwords Keyword Tool إمكانية البحث عن الكلمات المفتاحية بـ ٣٠ لغة مختلفة من بينها اللغة العربية، بينما يتيح برنامج Übersuggest إمكانية البحث بـ ٢٤ لغة، وبرنامج Page Rank Keyword Suggestion يتيح الاختيار من ست لغات مختلفة ليس من بينها اللغة العربية.

توفر ١٠ ٪ من إجمالي برمجيات الاقتراح إمكانية استرجاع الكلمات المفتاحية التي يكثر البحث عنها في دولة معينة، كما يتضح من الشكل رقم (٧)

الشكل رقم (٧) البحث بالدولة في برنامج **Keyword Suggestion Tool- selfseo**

يتضح من الشكل رقم (٧) قيام البرنامج بإتاحة إمكانية الاختيار من ٢٠ دولة لاسترجاع الكلمات المفتاحية التي يكثر عنها البحث في تلك الدولة، مما يساعد مدراء المواقع في معرفة اتجاهات البحث داخل الدولة التي ينتمون إليها.

تتيح ٢٠,٠٠ ٪ من برمجيات الاقتراح إمكانيات بحثية أخرى مثل إتاحة الأشكال المختلفة من الكلمة المفتاحية كما في برنامج Keyword Discovery، والسماح للمستفيد بتحديد عدد الكلمات المفتاحية المسترجعة والتي يوفرها برنامج keyword eye وبرنامج Keyword Tool Supercharger، أو عرض كلمات مفتاحية ذات صلة Related Keywords بالكلمات المسترجعة كما في بقية البرامج وعددها ثلاثة برامج.

الخدمات الإضافية التي توفرها برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية.

توفر ٢٦,٦٧٪ من إجمالي برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية خدمات إضافية لمستخدميها، تمثلت في حرص ٢٠,٠٠٪ من إجمالي برمجيات الاقتراح بإتاحة إمكانية تصدير البيانات المسترجعة إلى ملفات إكسل Excel للاستفادة منها وإجراء العمليات الحسابية المختلفة عليها.

الجدول رقم (٤) الخدمات الإضافية التي توفرها برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية

البرنامج	تصدير البيانات في اكسل	إضافة البرنامج
Free Keyword Software	–	√
Good Keywords – Keyword Research	√	–
keyword examiner	√	–
Keyword Fisher	√	–
Keyword Research	√	–
Keyword suggestion tool – Seo Administrator	√	–
semrush	√	–
SEO Centro Keyword Suggestion Tool	–	√
الإجمالي	6	2
النسبة المئوية	20.00%	6.67%

يتضح من الجدول رقم (٤) قيام ٦,٦٧ ٪ من إجمالي برمجيات الاقتراح بإتاحة إمكانية إضافة البرنامج إلى المواقع الشخصية من خلال الرابط *Add the Keyword Suggestion Tool to your web site FREE* والذي يشتمل على كود يقوم المستفيد بنسخه ووضعه في صفحته الشخصية.

٢. **برمجيات تحديد المواقع المنافسة للكلمات المفتاحية:** Keyword Competitors

التوزيع النوعي لبرمجيات تحديد المواقع المنافسة للكلمات المفتاحية:

توصلت الدراسة إلى تحديد ثلاثة برامج من هذا النوع وهو ما يمثل ٤,٦٩٪ من إجمالي البرمجيات موضوع الدراسة، وعند توزيع تلك البرمجيات حسب فئاتها النوعية جاءت النتائج كما يوضحها الجدول رقم (٥).

الجدول رقم (٥) التوزيع النوعي لبرمجيات تحديد المواقع المنافسة للكلمات المفتاحية

البرنامج	محدد المصدر الموحد (URL)	مباشر	تحميل
Competitors Keywords and Adwords	http://www.keycompete.com/home.asp	✓	-
Keyword Competition Tool	http://eugie17.hubpages.com/hub/Keyword-Competition-Tool-for-SEO-analysis	-	✓
Niche watch keyword Competition tool	http://www.nichewatch.com	✓	-
الإجمالي		2	1
النسبة المئوية		66.67%	33.33%

يتضح من الجدول رقم (٥) أن ٦٦,٦٧٪ من إجمالي برمجيات تحديد المواقع المنافسة للكلمات المفتاحية هي برمجيات متاحة على الخط المباشر، والبرنامج الوحيد الذي يحتاج إلى تحميل على جهاز الحاسب هو برنامج Keyword Competition Tool، وتبين أن جميع برمجيات تحديد المواقع المنافسة للكلمات المفتاحية هي برمجيات مجانية فيما عدا برنامج Competitors Keywords and Adwords حيث يتوافر من هذا البرنامج إصدارة بمقابل وإصدارة أخرى مجانية بإمكانيات محدودة، حيث يقوم البرنامج بعرض أول خمسة مواقع منافسة فقط في النسخة المجانية.

خصائص وإمكانيات برمجيات تحديد المواقع المنافسة للكلمات المفتاحية:

أظهرت الدراسة التحليلية لبرمجيات تحديد المواقع المنافسة للكلمات المفتاحية ما يلي:

- أن جميع برمجيات تحديد المنافسة للكلمات المفتاحية تقوم بعرض المواقع المنافسة وتحديد مرات ورود الكلمة المفتاحية داخل كل موقع منافس،

وأن ٦٦,٦٧٪ من برمجيات المنافسة تحرص على ترتيب المواقع المنافسة من الأكثر منافسة إلى الأقل منافسة، كما يتضح من الشكل رقم (٨)

الشكل رقم (٨) الإمكانات التي توفرها برمجيات تحديد المواقع المنافسة للكلمات المفتاحية

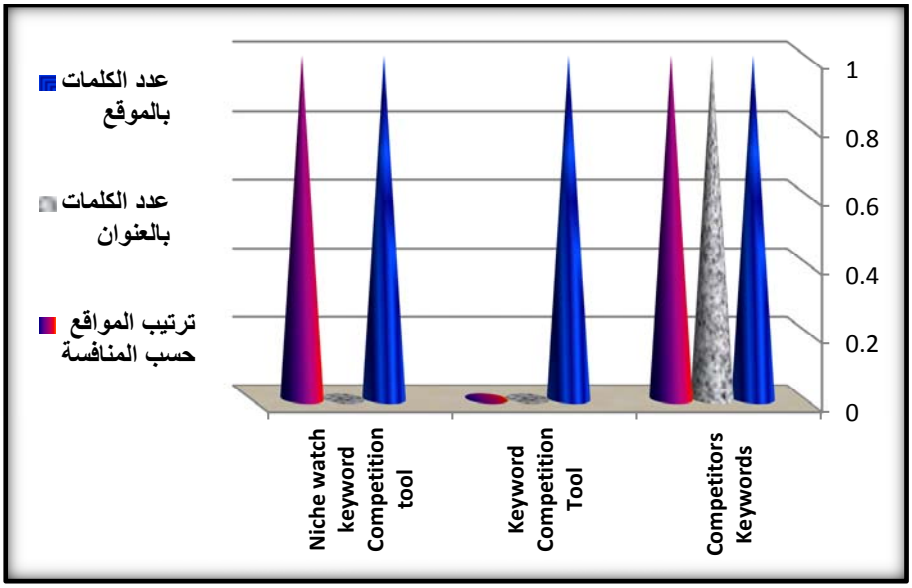

يتضح من الشكل رقم (٨) حرص ٣٣,٣٣٪ من برمجيات تحديد المواقع المنافسة للكلمات المفتاحية على تحديد أهمية الكلمة المفتاحية في الموقع المنافس من خلال تحديد عدد مرات استخدامها داخل عنوان الموقع المنافس، حيث يعتبر العنوان من أهم المواضع التي تشتمل على كلمات مفتاحية لها ثقلها بالنسبة لجميع محركات البحث.

٣. برمجيات استخراج الكلمات المفتاحية: Keyword Extractors

أظهرت الدراسة وجود (٩) برمجيات لاستخراج الكلمات المفتاحية بنسبة ١٤,٠٦٪ من إجمالي البرمجيات التي تتعامل مع الكلمات المفتاحية، وجميعها يعتمد على إدراج محدد المصدر الموحد URL الخاص بالموقع المراد تحليله

فيما عدا برنامج Keyword Terminology Extraction الذي يوفر إمكانية قيام المستفيد بوضع نص لتحليله أو وضع محدد المصدر الموحد URL الخاص بالموقع المراد تحليله.

التوزيع النوعي لبرمجيات استخراج الكلمات المفتاحية:

قامت الباحثة بتحليل برمجيات استخراج الكلمات المفتاحية وتحديد البرمجيات المتاحة منها على الخط المباشر وبرمجيات سطح المكتب فجاءت النتائج كما يوضحها الشكل رقم (٩)

الشكل رقم (٩) التوزيع النوعي لبرمجيات استخراج الكلمات المفتاحية

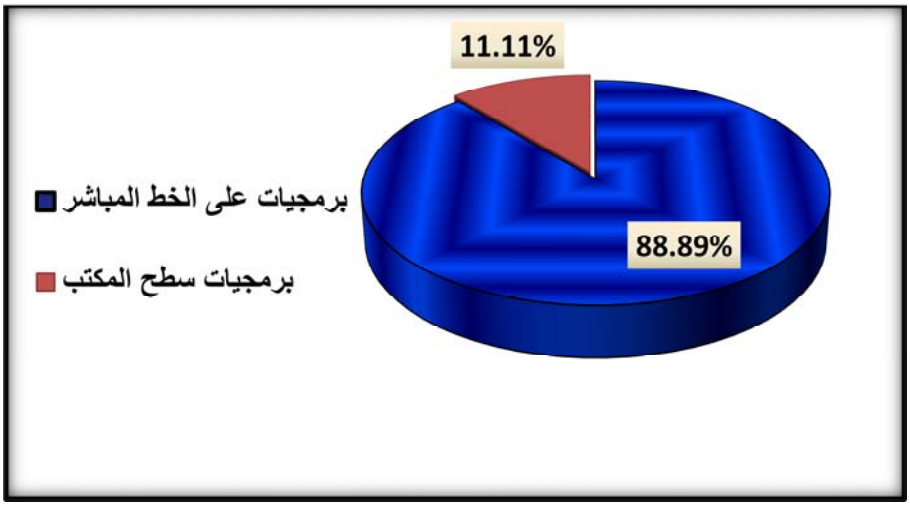

يتضح من الشكل رقم (٩) أن ٨٨,٨٩٪ من إجمالي برمجيات استخراج الكلمات المفتاحية هي برمجيات متاحة على الخط المباشر، أما برمجيات سطح المكتب فلم تمثل سوى ١١,١١٪ من إجمالي برمجيات الاستخراج، حيث يتاح برنامج RAGE, SEKeyword للاستخدام من خلال تحميله على جهاز المستفيد.

أظهرت الدراسة أن جميع برمجيات استخراج الكلمات المفتاحية هي برمجيات مجانية ولا تحتاج إلى تسجيل أية بيانات عن المستفيد، ويمكن لأي شخص استخدامها والإفادة منها.

الإمكانات التي توفرها برمجيات استخراج الكلمات المفتاحية:

أظهرت الدراسة التحليلية لبرمجيات استخراج الكلمات المفتاحية ما يلي:

- أن جميع البرمجيات موضوع الدراسة تستطيع استخراج الكلمات المفتاحية المفردة وكذلك الجمل المفتاحية التي تتكون من كلمتين أو ثلاث كلمات وذلك كما يتضح من الجدول رقم (٦).

الجدول رقم (٦) الإمكانات التي توفرها برمجيات استخراج الكلمات المفتاحية

البرنامج	محدد المصدر الموحد	كلمات مفردة	كلمتان	٣ كلمات	موضع الكلمة	إضافة للموقع	اقتراح كلمات
Free Meta Keywords Tool	http://www.apogee-web-consulting.com/tools/keyword_tool.php	✓	✓	✓	-	-	-
Keyword Terminology Extraction	http://www.alchemyapi.com/api/keyword/	✓	✓	✓	✓	-	-
Keyword Extractor	http://www.webmaster-tools.info/tools/keyword-extractor/	✓	✓	✓	-	-	-
Keyword Extractor Tool	http://www.searchenginegenie.com/multiple-site-keyword-extractor-tool.php	✓	✓	✓	-	✓	-
Keyword Suggestion	http://www.online-utility.org/webmaster/keyword_suggestion.jsp	✓	✓	✓	-	-	✓

-	-	-	✓	✓	✓	http://rage-sekeyword.en.softonic.com/mac	**RAGE, SEKeyword**
-	-	✓	✓	✓	✓	http://www.seomoz.org/term-extractor	**SEOmoz Term Extractor**
-	-	✓	✓	✓	✓	http://www.myseotool.com/free-seo-tools/term-extraction-tool.php	**Term Extraction Tool**
-	✓	-	✓	✓	✓	http://seoeh.com/webmaster-tools/keyword-extractor.php	**Webmaster Tools - Keyword Extractor**
1	2	3	9	9	9	الإجمالي	
11.1 %	22.2 %	33.3 %	100 %	100 %	100 %	النسبة المئوية	

- أن ٣٣,٣٣٪ من إجمالي برمجيات استخراج الكلمات المفتاحية تحدد موضع كل كلمة من الكلمات المفتاحية التي يتم استخراجها من الموقع، كما يتضح من الشكل رقم (١٠).

الشكل رقم (١٠) تحديد موضع الكلمات المفتاحية المستخرجة من برنامج Term Extraction Tool

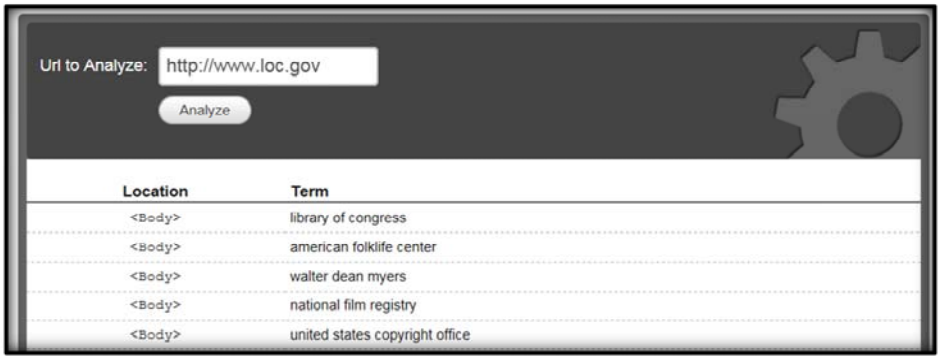

يتضح من الشكل رقم (١٠) قيام برنامج Term Extraction Tool بتحديد مكان وجود كل كلمة من الكلمات المستخرجة من الموقع، وكانت أهم المواضع التي حرصت البرمجيات على تحديدها هي مدى وجود الكلمة المفتاحية في تاج العنوان

Title Tag وتاج الوصف Description Meta Tag وتاج الكلمات المفتاحية Keyword Meta Tag والجسم Body أو النص المرئي للموقع.

- أن ٢٢,٢٢٪ من برمجيات استخراج الكلمات المفتاحية توفر إمكانية إضافة البرنامج في المواقع الشخصية، وهذه البرمجيات هي:

برنامج Keyword Extractor Tool وبرنامج Webmaster Tools - Keyword Extractor الذي يعطي كل منهما كوداً للبرنامج ليقوم المستفيد بنسخة وإضافته إلى كود المصدر Source Code الخاص بصفحته أو موقعه الشخصي.

- أن برنامج Keyword Suggestion هو البرنامج الوحيد الذي يقدم كلمات مقترحة إلى جانب الكلمات المستخرجة من الموقع، حيث يتيح البرنامج أمام كل كلمة مفتاحية مستخرجة المترادفات المختلفة والأشكال الأخرى للكلمة المفتاحية المستخرجة، كما يتضح من الشكل رقم (١١).

الشكل رقم (١١) الكلمات المفتاحية المستخرجة من برنامج Keyword Suggestion

Keywords suggestions :

Existing word	Synonyms - keyword suggestion
library	depository library , library , program library , subroutine library
collections	accumulation , aggregation , appeal , assemblage , assembling , collecting , collection , compendium , ingathering , solicitation
history	account , chronicle , history , story
congress	carnal knowledge , coition , coitus , congress , copulation , intercourse , relation , sex act , sexual congress , sexual intercourse , sexual relation , u.s. congress , united states congress , us congress
maps	correspondence , map , map out , mapping , represent

٤. برمجيات تحليل كثافة الكلمات المفتاحية: Keyword Density Tools/ Software

التوزيع النوعي لبرمجيات تحليل كثافة الكلمات المفتاحية:

بلغ إجمالي عدد برمجيات تحليل كثافة الكلمات المفتاحية ٢١ برنامجاً بنسبة ٣٣,٣٣٪ من إجمالي برمجيات الكلمات المفتاحية موضوع الدراسة.

أظهرت الدراسة التحليلية لبرمجيات تحليل الكثافة وجود ٩٠,٤٨٪ من

إجمالي تلك البرمجيات متاحة على الخط المباشر، بينما وصلت نسبة برمجيات سطح المكتب إلى ٩,٥٢٪ من إجمالي برمجيات تحليل الكثافة، وتمثلت في برنامجين هما: Analogx Keyword Extractor و Keyword Tool 1.

آلية وطبيعة عمل برمجيات تحليل كثافة الكلمات المفتاحية:

تعتمد جميع برمجيات تحليل كثافة الكلمات المفتاحية على قيام المستفيد بإدراج محدد المصدر الموحد URL الخاص بالموقع المراد تحليله ليقوم البرنامج بتحليله، وأضاف برنامج Find Keywords Analysis إمكانية قيام المستفيد بإضافة نص لتحليله وبيان كثافة الكلمات المفتاحية به قبل إدراجه بالموقع الشخصي للمستفيد.

حرصت جميع برمجيات تحليل الكثافة على استخراج كلمات مفتاحية مفردة من الموقع المراد تحليله، بينما حرصت ٧٦,١٩٪ من تلك البرمجيات على استخراج الكلمات المفتاحية التي تتكون من كلمتين أو أكثر.

الجدول رقم (٧) آلية وطبيعة عمل برمجيات تحليل كثافة الكلمات المفتاحية موضوع الدراسة

البرنامج	كلمات مفردة	جمل	عدد الكلمات	سحب	الكثافة	تحديد موضع الكلمة المفتاحية			
						تاج الوصف	تاج الكلمات	العنوان والجسم	الروابط
Analogx Keyword Extractor	√	√	√	–	√	√	√	√	–
Find Keywords Analysis Tool	√	–	√	–	√	–	–	–	–
Free Keyword Research Tool	√	√	√	–	√	–	–	–	–
Keyword Analysis Tool- seokeyword	√	√	√	–	–	–	–	–	–

Keyword Analysis Tool- webmaster	√	–	√	–	√	–	–	–	–
Keyword Analysis Tool- webmaster	√	–	√	–	√	–	–	–	–
Keyword Analyzer	√	√	√	√	√	√	√	√	–
Keyword Cloud - SEO Tools	√	–	√	√	√	–	–	–	–
Keyword Density Analyzer- seobook	√	√	√	–	√	√	√	–	–
Keyword density analyzer- ranks	√	√	√	√	√	√	√	√	√
Keyword Density Analyzer & META Tag Creator	√	√	–	–	√	–	–	–	–
Keyword density &K.w. frequency check	√	√	√	–	√	–	–	–	–
Keyword Density Check	√	√	√	–	√	–	–	–	–
Keyword Density Checker- bestseotools	√	√	√	–	√	–	–	–	–
Keyword Density Checker- iwebtool	√	–	√	–	–	–	–	–	–
Keyword Density Checker- gl2design	√	√	√	√	–	–	–	–	–
Keyword Density Checker- webconfs	√	√	√	√	√	√	–	–	–
Keyword Density Tool	√	√	√	–	√	√	√	√	√
Keyword Tool 1	√	√	√	–	√	√	√	–	–
SEO Centro Keyword Density Tool	√	√	√	√	√	√	–	–	–
SEO Tools - Keyword Density	√	√	√	–	√	√	√	–	–
الإجمالي	21	16	20	6	18	9	8	4	2
النسبة المئوية	**100**	**76.2**	**95.2**	**28.6**	**85.7**	**42.9**	**38.1**	**19.1**	**9.5**

يتضح من الجدول رقم (٧) حرص جميع برمجيات تحليل الكثافة على تحديد عدد مرات استخدام الكلمة المفتاحية داخل الموقع، فيما عدا برنامج Keyword Density Analyzer & META Tag Creator الذي لم يظهر العدد واكتفى بعرض نسبة وجود الكلمة داخل الموقع.

حرصت ٨٥,٧١٪ من إجمالي برمجيات تحليل الكثافة على عرض كثافة الكلمة المفتاحية، وحدد برنامج Keyword Density Checker-webconfs نسبة الكثافة المقبولة لمحركات البحث لا تقل عن (٣٪: ٧٪)، بينما حدد برنامج Keyword Analysis Tool- webmaster نسبة الكثافة المقبولة لمحركات البحث ينبغي أن لا تقل عن (٣٪: ٩٪).

اهتمت ٤٢,٨٦٪ من إجمالي برمجيات تحليل الكثافة بتحديد موضع الكلمة المفتاحية، وجميع تلك البرمجيات تحرص على تحديد مدى وجود الكلمة المفتاحية في تاج الوصف باعتباره من أهم تيجان الميتاداتا التي تدعمها محركات البحث ومن بينها محرك البحث جوجل[١].

حرصت ٨٨,٨٩٪ من إجمالي البرمجيات التي تحدد موضع الكلمة المفتاحية على تحديد مدى وجود الكلمة داخل تاج الكلمات المفتاحية، يليه حرص البرمجيات على تحديد موضع الكلمة في عنوان ومحتوى الموقع بنسبة ٤٤,٤٤٪، ثم مدى وجود الكلمة في الروابط الموجودة بالموقع بنسبة ٢٢,٢٢٪ من إجمالي البرمجيات التي تحدد موضع الكلمة المفتاحية.

---

(١) البسيوني، بدوية محمد. (٢٠١١). ضبط الجودة في صياغة تاج الوصف Meta Description Tag ومدى تأثيره على أداء محرك البحث جوجل. *أعلم*، (١٠).

الشكل رقم (١٢) موضع الكلمات المفتاحية في برنامج **Keyword density analyzer - ranks**

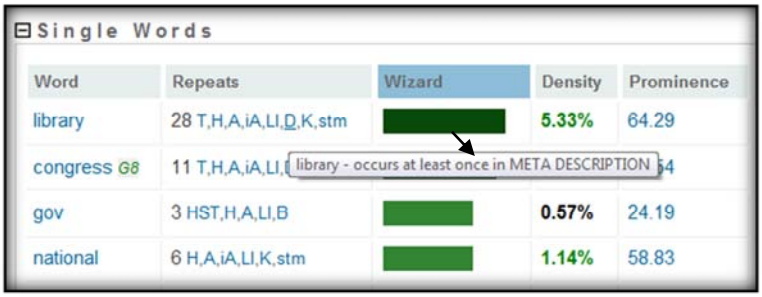

يتضح من الشكل رقم (١٢) قيام البرنامج بتحديد موضع ظهور كل كلمة ومرات تكرارها داخل الموقع، والدلالة على الموضع من خلال مجموعة من الأحرف الاستهلالية مثل D للدلالة على تاج الوصف، وK للدلالة على تاج الكلمات المفتاحية.

أتاحت ٢٨,٥٧٪ من برمجيات تحليل الكثافة موضوع الدراسة سحباً للكلمات المفتاحية التي توضح كثافة استخدام كل كلمة من الكلمات المفتاحية بالموقع، كما يتضح من الشكل رقم (١٣).

الشكل رقم (١٣) سحب الكلمات المفتاحية في برنامج **Keyword Cloud - SEO Tools**

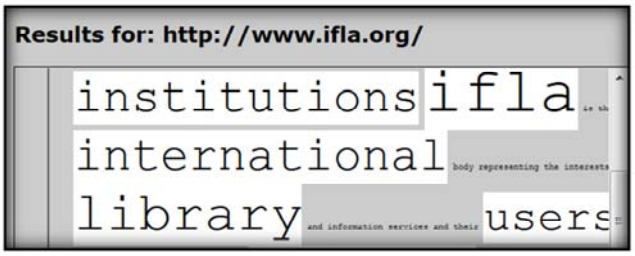

يتضح من الشكل رقم (١٣) قيام البرنامج بعرض الكلمات المفتاحية على شكل سحب تسهم بمجرد النظر في تحديد أكثر الكلمات استخداماً داخل الموقع.

الإمكانات البحثية التي توفرها برمجيات تحليل كثافة الكلمات المفتاحية:

أتاحت ٥٢,٣٨٪ من برمجيات تحليل الكثافة موضوع الدراسة إمكانات بحثية متعددة لمستخدميها تمثلت في قيام ٢٨,٥٧٪ من إجمالي برمجيات تحليل الكثافة إمكانية استبعاد كلمات معينة من الاسترجاع، وذلك بطريقتين إحداهما السماح للمستفيد باستبعاد كلمات معينة كما في برنامج SEO Centro Keyword Density Tool وبرنامج SEO Tools - Keyword Density، أو استبعاد الكلمات المفتاحية التي يقل طولها عن عدد معين من التمثيلات، والتي يقوم بتحديدها المستفيد كما في برنامج Find Keywords Analysis Tool وبرنامج Keyword Density Analyzer- seobook أو إظهار قائمة معدة سلفاً للكلمات التي يتم استبعادها عند التحليل للموقع كما في برنامج Keyword Analysis Tool- seokeyword وبرنامج Keyword Density Checker- webconfs.

الشكل رقم (١٤) الإمكانات البحثية التي توفرها برمجيات تحليل كثافة الكلمات المفتاحية موضوع الدراسة

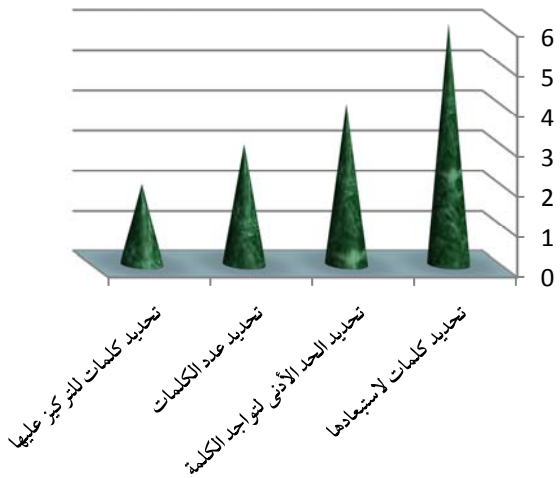

يتضح من الشكل رقم (١٤) أن ١٩,٠٥٪ من إجمالي برمجيات تحليل الكثافة أتاحت إمكانية قيام المستفيد بتحديد الحد الأدنى لوجود الكلمة داخل الموقع، بينما وفرت ١٤,٢٩٪ من إجمالي برمجيات تحليل الكثافة إمكانية قيام المستفيد بتحديد العدد المسترجع من الكلمات والجمل المفتاحية، وهذه البرمجيات هي:

- Keyword Density Analyzer & META Tag Creator
- Keyword density & Keyword frequency check
- SEO Tools - Keyword Density

الشكل رقم (١٥) الامكانات البحثية لبرنامج SEO Tools - Keyword Density

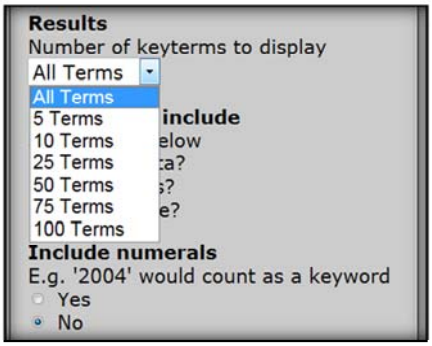

يتضح من الشكل رقم (١٥) قيام البرنامج بالسماح للمستفيد باختيار العدد المرغوب فيه من الكلمات والذي يتراوح ما بين ٥ – ١٠٠ كلمة مفتاحية، وكذلك إمكانية استبعاد الأرقام ككلمات مفتاحية.

أتاحت ٩,٥٢٪ من إجمالي برمجيات تحليل الكثافة إمكانية قيام المستفيد بتحديد كلمات معينة ليتم التركيز عليها في عملية التحليل كما في برنامج Keyword Analysis Tool- seokeyword وبرنامج Keyword density analyzer - ranks ، وتفيد هذه الإمكانية عندما يرغب المستفيد في معرفة مدى كثافة استخدام كلمة محددة داخل الموقع، حيث يقوم البرنامج باستخراج الكلمات والجمل المفتاحية المشتملة على تلك الكلمة فقط.

الخدمات الإضافية التي توفرها برمجيات تحليل كثافة الكلمات المفتاحية موضوع الدراسة:

أتاحت ٢٨,٥٧٪ من برمجيات تحليل الكثافة موضوع الدراسة إمكانية إضافة البرنامج إلى المواقع الأخرى من خلال مجموعة من الروابط مثل: *Add the ،Add Me Now ،Add this tool to your website Keyword Cloud to your web site FREE!* وإعطاء كود لوضعه في أي موقع ليظهر به البرنامج.

الجدول رقم (٨) الخدمات الإضافية التي توفرها برمجيات تحليل كثافة الكلمات المفتاحية موضوع الدراسة

البرنامج	إضافة البرنامج للمواقع	عدد مرات البحث عن الكلمة	ثقل الكلمة	ترتيب الموقع	حساب عدد الروابط	البحث بالمحركات
Analogx Keyword Extractor	-	-	√	-	-	-
Keyword Cloud - SEO Tools	√	-	-	-	-	-
Keyword density analyzer- ranks	-	-	-	√	√	-
Keyword density and frequency check	√	-	-	-	-	√
Keyword Density Check	√	-	-	-	-	-
Keyword Density Checker	√	-	-	-	-	-
Keyword Density Checker - Keyword	√	-	-	-	-	-
Keyword Density Tool	-	√	-	-	-	-
SEO Tools - Keyword Density	√	-	-	-	-	-
الإجمالى	6	1	1	1	1	1
النسبة المئوية	28.57%	4.76%	4.76%	4.76%	4.76%	4.76%

يتضح من الجدول رقم (٨) وجود أربعة برامج توفر خدمات إضافية أخرى وهذه البرامج هي:

- برنامج Keyword density analyzer - ranks الذي يبين ترتيب الموقع الذي يتم تحليله في جوجل وأليكسا، ويقوم كذلك بحساب عدد الروابط الداخلية والخارجية بالموقع.
- برنامج Analogx Keyword Extractor الذي يحلل المواقع ويحدد قيمة أو ثقل كل كلمة في الاسترجاع بطريقة تشبه آلية عمل محركات البحث.
- برنامج Keyword Density Tool الذي يعرض عدد مرات البحث لكل كلمة من الكلمات المفتاحية المستخرجة من الموقع، بذلك يقوم بوظيفة برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية ولكن بالاقتصار على الكلمات الموجودة بالموقع.
- برنامج Keyword density and frequency check الذي يتيح إمكانية تحديد موضع كل كلمة من الكلمات المفتاحية في نتائج محركات البحث من خلال توفير رابط للبحث في جوجل وياهو وMSN وAsk.

توصيات الدراسة

من خلال النتائج التي توصلت إليها الدراسة توصي الباحثة بما يلي:

لضمان الفاعلية والتأثير الإيجابي للكلمات المفتاحية في حصول مواقع الانترنت على ترتيب متقدم بصفحات نتائج محركات البحث، ينبغي على المسؤول عن الموقع المرور بثلاث مراحل أساس هي:

المرحلة الأولى: اختيار الكلمات المفتاحية:

في هذه المرحلة يقوم المسؤول عن الموقع بما يلي:

- تحديد الكلمات المفتاحية المهمة بالنسبة للموقع:

يتم تحديد الكلمات المفتاحية المهمة من خلال الاستعانة ببرمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية التي توفر للمسؤول عن الموقع كلمات مفتاحية متعددة، يمكنه استخدامها وبالأخص تلك البرمجيات التي توفر كلمات مفتاحية ذات علاقة Related Keywords مثل برنامج keyword suggestion tool - Seo Administrator وبرنامج Übersuggest وبرنامج Wordpot Keyword Finder والبرمجيات التي تتيح المترادفات أو الأشكال المختلفة للكلمة مثل برنامج Keyword Discovery.

- تحديد شهرة الكلمات المفتاحية:

لتحديد شهرة الكلمات المفتاحية يتم استخدام برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية، التي تحدد عدد مرات البحث عن الكلمة المفتاحية بالإنترنت، وبالتالي يمكن للمسؤول عن الموقع اختيار أكثر الكلمات بحثاً وشهرة على الانترنت، وينبغي استخدام البرمجيات التي تعتمد على عدة محركات بحث مثل برامج:

- Keyword Discovery
- keyword Suggestion tool - Seo Administrator

- Bad Neighborhood
- Keyword Suggestion Generator
- SEO Keyword Suggestion Generator

وعند إدراج كلمات مفتاحية باللغة العربية ينبغي استخدام برنامج Google Adwords Keyword Tool.

- تحديد الكلمات المفتاحية المستخدمة بالمواقع المنافسة:

بعد اختيار الكلمات المفتاحية الأكثر شهرة ينبغي أن يتم تحديد مدى المنافسة الموجودة للكلمات المفتاحية المختارة، ويتم ذلك من خلال الاعتماد على برمجيات اقتراح الكلمات المفتاحية التي تحدد أعداد المواقع المنافسة لكل كلمة مفتاحية وبالتالي تساعد المسؤول عن الموقع باختيار الكلمات المفتاحية التي تنخفض معدلات استخدامها بالمواقع الأخرى.

-ينبغي على المسؤول عن الموقع استخدام برمجيات تحديد المواقع المنافسة للكلمات المفتاحية لمعرفة تلك المواقع والمواضع التي تُستخدم فيها الكلمات المفتاحية.

-ينبغي على المسؤول عن الموقع استخدام برمجيات استخراج الكلمات المفتاحية لمعرفة كافة الكلمات المفتاحية المستخدمة في الموقع المنافس.

-ينبغي على المسؤول عن الموقع استخدام برمجيات تحليل كثافة الكلمات المفتاحية لتحديد موضع استخدام الكلمات المفتاحية بكل موقع منافس وتحديد كثافة استخدامها داخل الموقع للاسترشاد بها عند إدراج الكلمات المفتاحية بالموقع.

المرحلة الثانية: تضمين (إدراج) الكلمات المفتاحية بالموقع:

- تحديد موضع إدراج الكلمات المفتاحية بالموقع:

-ينبغي على المسؤول عن الموقع الاهتمام بإدراج الكلمات المفتاحية في عنوان الموقع والعناوين الفرعية وبدايات الجمل والروابط، وأن يتم تمييز تلك الكلمات ببنط أكبر داخل الموقع.

-ينبغي على المسؤول عن الموقع الاهتمام بإدراج الكلمات المفتاحية في تيجان الميتاداتا وبالأخص تاج العنوان وتاج الوصف وتاج الكلمات المفتاحية، وعند استخدام التاج الأخير ينبغي مراعاة استخدام الكلمات المفتاحية ومرادفاتها داخل التاج والتنويع بين الكلمات المفردة والجمل المفتاحية، وأن يكون لكل صفحة من صفحات الموقع تاج للكلمات المفتاحية خاص بها.

المرحلة الثالثة: اختبار وتقييم الكلمات المفتاحية المدرجة بالموقع.

-ينبغي على المسؤول عن الموقع التأكد من دقة توزيع الكلمات المفتاحية داخل الموقع وكذلك التأكد من أن الكلمات المفتاحية المهمة هي الأكثر كثافة، ويتم ذلك من خلال فحص الموقع باستخدام برمجيات تحليل الكثافة، وبالأخص تلك البرمجيات التي تحدد موضع تكرار الكلمة المفتاحية داخل الموقع مثل برامج:

- Keyword Analyzer.
- Keyword Density Analyzer- seobook.
- Keyword density analyzer - ranks.
- Keyword Density Checker- webconfs.
- Keyword Density Tool.
- Keyword Tool 1.

قائمة المراجع

1. Alimohammadi, D. (2004). Measurement of the presence of keywords and description meta-tags on a selected number of Iranian Web sites. *Online Information Review*, *28* (3), pp.220-232.
2. Ardo, A. (2010). Can we trust web page metadata? *Journal of Library Metadata*, *10* (1), pp.58-74.
3. Braniac, E. (2009). *How to Write Keyword Meta Tags*. Retrieved May 22, 2011, from http://www.ehow.com/how_2204767_write-keyword-meta-tags.html
4. Craig, J. (2002). *An introduction to search engine optimization: Top Meta Tag Myths.* Retrieved May 22, 2011, from http://www.pandia.com/optimization/SEO-metatags.html
5. Craven, T. C. (2005). Web authoring tools and meta tagging of page descriptions and keywords. *Online Information Review*, *29* (2), pp. 129 – 138.
6. Craven, T. (2004). Variations in use of meta tag keywords by web pages in different languages. *Journal of Information Science*, *30* (3), pp. 268-279.
7. Heng, C. (2008). *How to use Meta Tags in search engine promotion*. Retrieved June 12, 2011, from http://www.thesitewizard.com/archive/metatags.shtml
8. Kain, M. (2011). *Search: The Key(words) to Success*. Retrieved October 12, 2011, from http://www.targetmarketingmag.com/article/search-keyword-strategies-seo-ppc-paid-organic-sem/1#

9. Li, X., Xie, F., & Jiang, Z. (2008). *Keyword Extraction from the Web*. Retrieved May 22, 2011, from http://ymatsuo.com/papers/foafws04/jmori/foaf04_en.pdf

10. Media Vue Inc. (2006). *Keyword Meta Tags.* Retrieved October 5, 2011, from http://www.mediavue.net/searchEngineMarketing/keyword_meta_tags.html

11. Miles, A. (2011). *How to make the right keyword analysis for your website*. Retrieved October 20, 2011, from http://www.1stwebdesigner.com/design/right-keyword-analysis-website/

12. Monachesi, L. L. (2008). Extraction and evaluation of keywords from Learning Objects - a multilingual approach. *Proceedings of the Language Resources and Evaluation Conference*.

13. Norris, J. (2001). Don't Forget Meta Tags. *Canadian Musician*,23(3) pp.23: 39

14. Nowick, E. A. (2006). Use of meta tags for internet documents. *Journal of Internet Cataloging*, *5* (1), pp.69-76.

15. Pascal, J. (2010). *Finding the Best Keyword Suggestion Tool.* Retrieved October 12, 2011, from http://ezinearticles.com/?Finding-the-Best-Keyword-Suggestion-Tool&id=3887970

16. Ramesh Nallapati, J. A. (2007). Extraction of Key Words from News Stories. *CIIR technical Report*, pp. 345-352.

17. Shannon, R. (2010). *meta Tags: keywords, description, search engine optimization*. Retrieved October 11, 2011, from http://www.yourhtmlsource.com/promotion/

metatags.html

18. Stockwell, J. (2008). *keyword research tool.* Retrieved October 10, 2011, from http://www.keywordworkshop.com/categories/Keyword-Research-Articles/

19. Sullivan, D. (2007). *Meta keywords tag 101: How to "legally" hide words on your pages for search engines.* Retrieved April 30, 2011, from (b). http://searchengineland.com/meta-keywords-tag-101-how-to-legally-hide-words-on-your-pages-for-search-engines-1209

20. Tutorials, S. B. (2009). *How to Write Perfect Title, Description & Keyword Meta Tags For SEO*. Retrieved May 30, 2011, from http://website101.com/seo-search-engines/how-to-write-title-description-keyword-meta-tags/

21. Uzun, Y. (2006). *Keyword Extraction Using Naive Bayes*. Retrieved October 7, 2011, from www.cs.bilkent.edu.tr/~guvenir/courses/CS550/Workshop/Yasin_Uzun.pdf

22. Wall, A. (2005). *Keyword phrases and the meta keywords tag*. Retrieved May 14, 2011, from http://www.search-marketing.info/meta-tags/meta-keyword.htm

23. Web Page Mistakes. (2011). *Keywords Meta Tag*. Retrieved October 11, 2011, from http://www.webpagemistakes.ca/

24. West, J. (2011). *Meta Tags Explained*. Retrieved October 14, 2011, from http://www.webmarketingnow.com/tips/meta-tags-uncovered.html

25. Whalen, J. (2007). *Can Meta tags such as the keyword tag bring High Rankings to my site?*. Retrieved

June 24, 2011, from http://www.searchengineguide.com/jill-whalen/can-the-meta-keyword-tag-bring-high-rankings-to-my-site.php

26. Yahoo Help. (2010). *How to Improve the Position of Your Website in Yahoo! Search Results*. Retrieved October 6, 2011, from http://help.yahoo.com/l/us/yahoo/search/indexing/ranking-02.html

27. Yorzinski, B. (2007). *The importance of keywords meta tag in SEO*. Retrieved May 20, 2011, from http://www.searchenginejournal.com/the-importance-of-keywords-meta-tag-in-seo/6014/

٢٨. البسيوني، بدوية محمد. (٢٠٠٩). تيجان الميتاداتا Meta tags ومدى تمثيلها في صفحات الويب: دراسة تطبيقية على مواقع التميز الرقمي العربية على الانترنت. الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات، ١٦(٣٢) ص ص ١٩٤-١٩٥.

٢٩. البسيوني، بدوية محمد. (٢٠١١). ضبط الجودة في صياغة تاج الوصف Meta Description Tag ومدى تأثيره على أداء محرك البحث جوجل. *أعلم*، (١٠).

Abstract

The study aimed to examine and analyze 122 keywords tools and determine the types and characteristics of these tools, the study relied on descriptive analytical method in the access and analysis of them. The study showed that there are four categories of keywords tools and the more software prevalent on the Internet is Keyword Suggestion tools, which represents 47.62% of the total studied software, followed by Keyword Density tools by 33.33%, then Keyword Extractors, which represents 14.29%, Finally, Keyword Competitors, which represents 4.76% of the total software. 80.00% of the studied Keyword Suggestion tools determined the number of searches carried out in the search engines for each keyword and 43.33% of them display the number of Competitors. The study provided a set of recommendations that contribute to determine the extent of its contribution in supporting and improving the ranking of Web sites with search engines results.

Key words:

search engines optimization, Keyword Suggestion tools, Keyword Density tools, Keyword Competitors, Keyword Meta Tag, Metadata, Keyword Analyzer.

خامسًا:

دراســات

في الإعلام

اعتماد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الفضائية الإخبارية الناطقة بالعربية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية
دراسة مسحية على عينة من طلبة كليات الجامعة في مدينة مكة المكرمة

د. وديع محمد سعيد العزعزي

أستاذ مشارك – قسم الاعلام/ إذاعة وتلفزيون

جامعة أم القرى

wadeeazazi@yahoo.com

تاريخ التحكيم: ١٧/ ٥/ ١٤٣٦ تاريخ الإجازة: ١٠/ ١٠/ ١٤٣٦

المستخلص:

هدف البحث الى معرفة مدى اعتماد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الفضائية الإخبارية الناطقة بالعربية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية، وطبق على عينة عشوائية قوامها ٣٠٠ مفردة من طلبة كليات الجامعة في مدينة مكة المكرمة خلال العام الدراسي ٢٠١٤م/ ٢٠١٥م. وتوصل البحث الى عدة نتائج من أهمها ما يلي: أن (٧٥٪) من الشباب الجامعي يعتمد بدرجة متوسطة على القنوات الفضائية الناطقة بالعربية في متابعتهم للأحداث والقضايا السياسية، وأن أعلى نسبة مشاهدة للقنوات الاخبارية من قبل طلبة جامعة أم القرى كانت لقناة العربية.

الكلمات المفتاحية:

اعتماد طلبة جامعة أم القرى، القنوات الفضائية الإخبارية الناطقة بالعربية، متابعة الأحداث والقضايا السياسية.

مقدمة

يعد البث التلفزيوني الفضائي المباشر من أهم التطورات التكنولوجية في مجال الاتصالات في عقد التسعينيات، فقد أتاحت تكنولوجيا الاتصال الحديثة إمكانات هائلة في تطوير وسائل التوزيع والبث وبدء استخدام النظام الرقمي في البث الإذاعي والتلفزيوني وتعددت القنوات الفضائية مابين منوعة ومتخصصة. وتسنى للكثير من المشاهدين تلقي العديد من البرامج.

وفي مقابل ذلك شهدت المنطقة العربية تحولات إعلامية ملموسة لمواكبة هذه التطورات حيث عمل العرب على إطلاق قنوات إخبارية خاصة بهم، كما أطلقت جهات أجنبية قنوات إخبارية ناطقة بالعربية تبث على مدار الساعة. وأصبحت هذه القنوات أحد المصادر المهمة للمعلومات والأخبار لدى الجمهور العربي عامة والشباب خاصة.

وبما أن الأفراد يعتمدون على وسائل الإعلام باعتبارها مصدراً من مصادر تحقيق أهدافهم في الفهم والتوجيه والتسلية، ويزداد اعتماده على وسائل الإعلام في ظل التغييرات السياسية، والصراعات، والأزمات، ونظرا لتزايد وانتشار القنوات الفضائية الإخبارية، فقد أخذت تؤدي أدواراً مهمة في التأثير في المشاهد وعلى مفاهيمه وقيمه وعاداته، وأصبحت المحددات الرئيسة التي تشارك في تحديد ملامح سلوك المشاهدين.

ويعني الاعتماد على وسائل الإعلام درجة أهمية وسيلة بعينها للأفراد كمصدر للمعلومات عن الأحداث والقضايا السياسية المثارة، ونظراً لحاجة الأفراد بشرائحهم المختلفة الى الأخبار والمعلومات للإحاطة بما يجري في البيئة

المحيطة بهم سواء الداخلية أو الخارجية من أحداث وقضايا سياسية، وبما أن الشباب شريحة عريضة من سكان المجتمع السعودي ويشكلون نسبة تصل إلى أكثر من نصف السكان، ولذا فإن هذا البحث يهدف إلى التعرف على مدى اعتماد الشباب الجامعي السعودي بالتطبيق على طلبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة على القنوات الفضائية الإخبارية الناطقة بالعربية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية، التي تقوم بتحقيق أهدافهم، وتسهم في جعلهم على وعي بمجريات الأحداث، وذلك باستخدام مدخل الاعتماد على وسائل الإعلام.

المبحث الأول
الإطار المنهجي

١ – الدراسات السابقة:

أ- الدراسات العربية:

١ – دراسة (ليلى حسين السيد، ١٩٩٨م)[١]:

وهدفت إلى التعرف على دور وسائل الاتصال في إمداد طلاب الجامعات المصرية بالمعلومات عن الأحداث الجارية، وأجريت على عينة عشوائية قوامها ٣٠٠ مفردة من طلاب الجامعات، وتوصلت الى أن التلفزيون يحتل المرتبة الأولى بين مصادر المعلومات التي يعتمد عليها المبحوثون في معرفة الأحداث الجارية.

٢ – دراسة (محمد الفقيه، ٢٠٠٢م)[٢]:

هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين الاعتماد على القنوات الفضائية ومستويات المعرفة بالموضوعات الإخبارية في المجتمع اليمني، وأجريت على عينة تحليلية من نشرات الأخبار، وعينة بشرية قوامها ٤٦٢ مفردة من سن ٢٠ سنة فأكثر وتوصلت الدراسة الى عدة نتائج منها:

-جاء ترتيب المبحوثين للقنوات الفضائية التي يعتمدون عليها في اكتساب

---

(١) ليلى حسين محمد السيد، دور وسائل الاعلام في امداد طلاب الجامعات المصرية بالمعلومات عن الأحداث الجارية في اطار نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام، في كتاب المؤتمر العلمي الرابع لكلية الإعلام، جامعة القاهرة، ٢٥ مايو ١٩٩٨م، ص١٧٣ الى ص٢٠٨.

(٢) محمد عبد الوهاب الفقيه، العلاقة بين الاعتماد على القنوات التلفزيونية الفضائية ومستويات المعرفة بالموضوعات الإخبارية في المجتمع اليمني، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، ٢٠٠٢م.

المعرفــة بالشئون العامــة:

(الجزيرة-MBC – الفضائية اليمنية -LBC –أبوظبي- دبي- المصرية).

وكان ترتيب المصادر الإعلامية التي يعتمدون على المبحوثين (القنوات الفضائية العربية- الإذاعات العربية-الصحف العربية-الإذاعات الدولية-الإذاعات اليمنية-القنوات الفضائية الأجنبية –الانترنت-الأصدقاء)، وقد جاءت الآثار المعرفية ثم الآثار السلوكية ثم الآثار الوجدانية من الآثار التي يتأثر بها المبحوثون جراء اعتمادهم على القنوات الفضائية.

٣- دراسة (وليد فتح الله بركات، ٢٠٠٣م)[١]:

هدفت الدراسة إلى التعرف على اعتماد الشباب الجامعي الكويتي على وسائل الإعلام في المعرفة بالقضايا العربية والدولية، وأجريت على عينة قوامها ٥٠٠ مفردة من طلبة الجامعات، وتوصلت الدراسة الى أن قناة الجزيرة تصدرت جميع القنوات العربية من حيث اعتماد الشباب الجامعي عليها في معرفة القضايا العربية والدولية.

٤- دراسة (مها الطرابيشي وعبد العزيز السيد، ٢٠٠٤م)[٢]:

هدفت الدراسة إلى التعرف على تأثير التعرض للقنوات الفضائية العربية الإخبارية في الثقافة السياسية للجمهور المصري، وأجريت على ٣٠٠ مفردة من الجمهور المصري وتوصلت الى أن القنوات العربية الإخبارية المصدر الرئيس

---

(١) وليد فتح الله بركات، اعتماد الشباب الجامعي الكويتي على وسائل الإعلام في المعرفة بالقضايا العربية والدولية، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، العدد ١٨ يناير-مارس٢٠٠٣م، ص ٧٣.

(٢) مها محمد كامل الطرابيشي، وعبد العزيز السيد عبدا لعزيز، تأثير التعرض للقنوات الفضائية العربية الإخبارية على الثقافة السياسية للجمهور المصري، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، المجلد الخامس، يونيو-ديسمبر٢٠٠٤م، ص٢٨٧-ص٣٢٨.

للمعرفة السياسية، وأن قناة الجزيرة جاءت في مقدمة القنوات الإخبارية لدى أفراد العينة، تلاها قناة العربية، ثم قناة ANN، ثم قناة النيل الإخبارية، وكانت أهم مصادر المعلومات التي يعتمد عليها الجمهور هي القنوات الفضائية العربية الإخبارية ثم قنوات التلفزيون المصري.

٥- دراسة (محمود احمد مزيد، ٢٠٠٥م)[١]:

سعت الدراسة الى التعرف على مدى اعتماد المراهقين على القنوات الإخبارية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية، وطبقت على عينة قوامها٣٥٠ مفردة من المراهقين المصريين، وتوصلت الى عدة نتائج من أهمها: أن أهم مصادر المعلومات لدى المبحوثين عن الأحداث السياسية هي القنوات الإخبارية، ثم القنوات المصرية الأرضية، ثم القنوات الفضائية العامة، ثم شبكة الإنترنت وجاءت قناة الجزيرة في مقدمة القنوات الإخبارية التي رتبها المبحوثون، ثم قناة النيل ثم قناة العربية، ارتفاع مستوى تحقق أهداف الاعتماد على القنوات الإخبارية (الفهم – التوجيه – التسلية)، حدوث مجموعة من التأثيرات نتيجة اعتماد المراهقين على القنوات الإخبارية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية وقد تحددت في التأثيرات المعرفية والوجدانية والسلوكية.

٦- دراسة (هبه شاهين، ٢٠٠٦م)[٢]:

سعت الدراسة إلى التعرف على ملامح اعتماد الشباب الجامعي على

---

(١) محمود أحمد مزيد، اعتماد المراهقين على القنوات الإخبارية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، العدد الثاني يونيو-ديسمبر ٢٠٠٥م.

(٢) هبه شاهين، اعتماد الشباب الجامعي على المواقع الإذاعية والتلفزيونية الالكترونية للحصول على المعلومات السياسية، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام، الدار المصرية اللبناية، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٣٩٨.

المواقع الإذاعية والتلفزيونية الإلكترونية للحصول على المعلومات السياسية، واعتمدت على منهج المسح بالتطبيق على عينة من الشباب الجامعي المصري قوامها ٣٦٠ مفردة، وتوصلت إلى: أن موقع الجزيرة جاء كأهم المواقع العربية ثم موقع العربية، بينما كانت أهم المواقع الأجنبية التي يفضلها الشباب هي موقع CNN، BBC.

٧- دراسة (صفا محمود عثمان، ٢٠٠٧م)[١]:

سعت الدراسة إلى التعرف على حجم التغطية الإخبارية للأحداث السياسية الجارية وأساليب معالجتها واتجاهات النخبة المصرية نحوها وتقييمهم لأداء القنوات الفضائية، واعتمدت على منهج المسح من خلال تحليل مضمون مجموعة من النشرات والبرامج بقناتي النيل والعربية، ومسح آراء ٢٩٢ مفردة من النخبة المصرية، وتوصلت الى: أن القنوات الفضائية العربية جاءت في مقدمة القنوات التي تحظى بالمصداقية لدى النخبة، وتمثلت أهم القنوات في الجزيرة والعربية وأبوظبي، والنيل للأخبار.

٨- دراسة (إمام شكري ابراهيم، ٢٠٠٨م)[٢]:

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور القنوات الفضائية الإخبارية العربية في تنمية الوعي السياسي لدى طلاب الجامعة، واعتمدت على منهج المسح على عينة من البرامج السياسية في قناتي الجزيرة والنيل للأخبار، وبالتطبيق على عينة عشوائية من

---

(١) صفا محمود عثمان، دور قناة النيل الإخبارية في ترتيب أولويات القضايا السياسية لدى عينة من طلبة الجامعات، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاعلام، ٢٠٠٢م.

(٢) إمام شكري ابراهيم القطان، دور القنوات الفضائية الإخبارية العربية في تنمية الوعي السياسي لدى طلاب الجامعة.. دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، معهد الدراسات العليا للطفولة، قسم الإعلام وثقافة الطفل، ٢٠٠٨م.

الشباب الجامعي المصري قوامها ٤٠٠ مفردة موزعة بالتساوي بين الذكور والإناث. وتوصلت الى: أن قناة الجزيرة جاءت في مقدمة القنوات الفضائية الاخبارية العربية التي يحرص طلبة الجامعة على مشاهدتها ويليها قناة النيل للأخبار.

٩- دراسة (وديع العزعزي، ٢٠٠٨م)[١]:

وهدفت إلى التعرف على دور وسائل الإعلام في تشكيل الوعي السياسي للشباب اليمني، وطبقت الدراسة على عينة قوامها ٥٧٧ مفردة من طلبة الجامعات، وقد جاءت القنوات الفضائية العربية في المرتبة الأولى في قائمة المصادر التي يعتمد عليها الشباب الجامعي في الحصول على المعلومات السياسية (قناة الجزيرة ثم قناة العربية)، تلاها الإنترنت ثم الأصدقاء.

١٠- دراسة (محمد غريب، ٢٠١١م)[٢]:

هدفت الدراسة التعرف على اعتماد الجمهور المصري على القنوات الإخبارية باللغة العربية في الحصول على المعلومات حول الأحداث الجارية، واعتمدت منهج المسح على عينة قوامها٤٠٠ مفردة، وتوصلت الى: جاءت قناة الجزيرة في الترتيب الأول في تفضيلات المبحوثين للقنوات الاخبارية تلاها قناة النيل للأخبار، ثم قناة العربية، ثم قناة BBC، وجاء التعرف على ما يحدث في مصر والعالم العربي في مقدمة أسباب اعتماد المبحوثين على القنوات الفضائية الإخبارية وجاءت الآثار المعرفية في مقدمة الآثار الناتجة عن الاعتماد على القنوات الاخبارية

---

(١) وديع العزعزي، دور وسائل الإعلام في تشكيل الوعي السياسي للشباب الجامعي اليمني، صنعاء، مجلة شئون العصر، مركز الدراسات الاستراتيجية، المجلد١٢، العدد٣١، ٢٠٠٨م، ص٥-٥٣.

(٢) محمد علي غريب، اعتماد الجمهور المصري على القنوات الإخبارية باللغة العربية في الحصول على المعلومات حول الأحداث الجارية، القاهرة، المجلة العربية لبحوث الرأي العام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، أكتوبر٢٠١١م.

تلاها الآثار الوجدانية ثم السلوكية.

ب- الدراسات الأجنبية:

١- دراسة (Steven & Kasleen – ١٩٩٧م)[١]:

هدفت الدراسة الى التعرف على دور وسائل الاتصال في تنمية المعلومات السياسية للمراهقين، وأجريت الدراسة على عينة عشوائية قوامها ١٥٠٠ مفردة من ذكور وإناث، وتوصلت الدراسة إلى أن التلفزيون كوسيلة اتصال تلعب دوراً كبيراً في تنمية الوعي السياسي والمعلومات السياسية لدى المراهقين، وأن مستوى المعلومات السياسية كان مرتفعا لدى الإناث أكثر من الذكور.

٢- دراسة (Meshel Javis– ١٩٩٩م)[٢]:

هدفت الدراسة الى التعرف على تأثير وسائل الإعلام في السلوك السياسي للمراهق الأمريكي وتوصلت الى: أن التلفزيون يأتي في مقدمة وسائل الإعلام المؤثرة على قرار التصويت، وأن التلفزيون أكثر تأثيرا من الوسائل الأخرى في التعريف بالأحداث الجارية.

٣- دراسة (Jone Metchn– ٢٠٠١م)[٣]:

---

(١) Steven & Kasleen."The role of mass communication to develop political information for adolescence". Dissertaion Abstract international, Vol.34, No.7, Sep. 1997, p.562.

(٢) Mechel Javis,"The effects of mass communication of Political behavior to adolescence. Journalism Quarterly, Vol., 45, No.(5-6), Summer, 1999, pp.23-24..

(٣) Jone Metchn."The relationship between the use of local mass media and adolescents, social Sociolization and policy", Ph.D.University of California Los Angles, Description Abstract International, Vol.57, =

هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين وسائل الإعلام المحلية والمشاركة الاجتماعية والسياسية للمراهق، وأجريت على عينة قوامها ١٥٠ مفردة من المراهقين الذكور والإناث من طبقات اجتماعية واقتصادية مختلفة في المناطق الحضرية والريفية وتوصلت إلى: ارتفاع نسبة استخدام وسائل الإعلام المحلية في المناطق المتحضرة حديثاً، وأن المراهقين في المناطق الريفية كانوا أقل استخداما لوسائل الإعلام المحلية، ولكنهم أكثر تفضيلا واستخداما للراديو من أية وسيلة اخرى.

- **التعليق على الدراسات السابقة:**

رغم تعدد الدراسات التي تناولت اعتماد الجمهور والشباب على وسائل الإعلام بشكل عام والقنوات الفضائية بشكل خاص، إلا أنَّ الدراسات التي تناولت اعتماد الشباب الجامعي على القنوات الإخبارية الناطقة بالعربية قليلة بل منعدمة في حالة الشباب السعودي. وقد استفاد البحث من الدراسات السابقة في تأكيد حداثة الدراسة الحالية وتميز موضوعها، كما أفادت الباحث في تحديد المشكلة وأهدافها، وفي تصميم استمارة الاستبيان.

٢- مشكلة البحث:

مثلت القنوات الفضائية الإخبارية مصدراً مهماً من مصادر المعرفة في الحصول على الأخبار والمعلومات في ضوء تعددها، وتنوع خدماتها الإخبارية، وأساليب المعالجات للأحداث والقضايا السياسية، واختلاف الجهات التي تملكها. وساهمت نتائج الدراسات السابقة التي أفادت بزيادة التعرض للقنوات الإخبارية بدافع الحصول على المعلومات ومراقبة البيئة نظراً للإمكانيات الفنية والتقنية التي

=

NO.(59), Mar,2001, p.998.

تمتلكها من صورة حية وصوت طبيعي وبث مباشر وغيرها. وأهمية الدور الذي يمكن أن تؤديه المعلومات عن الأحداث والقضايا السياسية في إحاطة الشباب الجامعي بما يحدث في محيطهم الاجتماعي، مما يساعدهم على تحقيق أهدافهم النفسية والاجتماعية، وأيضا من احتمالية تأثرهم معرفيا ووجدانيا وسلوكيا.

وهو ما حفز الباحث على القيام بدراسة مدى اعتماد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الإخبارية الناطقة بالعربية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية، وتوضيح طبيعة علاقتهم بها، ونوعية القنوات المفضلة وأسباب اعتمادهم عليها، والأهداف التي تحققت لهم جراء متابعتهم للأحداث، والآثار المعرفية والوجدانية والسلوكية المنعكسة من التعرض للقنوات الإخبارية من قبل شريحة مهمة من شرائح المجتمع السعودي هي طلبة الجامعة، فقد شكل طلبة الجامعة مجالاً بشريـاً لعدة دراسات وبحوث في مختلف الميادين لأنهم قادة المجتمع في المستقبل المنظور، وعليهم سيقع العبء الكبير في تطوير المجتمع وتقدمه في مختلف المجالات، فضلا عن أنهم من أهم الفئات الاجتماعية تأثيراً وتأثراً بالتنمية والتحديث. وتأسيسـاً على ما تقدم يمكن طرح المشكلة في ضوء السؤال الرئيس الآتي: **ما مدى اعتماد طلبة جامعة أم القرى في مدينة مكة المكرمة على القنوات الفضائية الإخبارية الناطقة بالعربية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية؟**

ويسعى البحث للإجابة عن التساؤلات الفرعية الآتية: -

١. ما مدى مشاهدة طلبة جامعة أم القرى للقنوات الفضائية؟
٢. ما مدى مشاهدة طلبة جامعة أم القرى للقنوات الإخبارية؟
٣. ما معدل مشاهدة طلبة جامعة أم القرى للقنوات الإخبارية؟
٤. ما القنوات الإخبارية التي يفضل مشاهدتها طلبة جامعة أم القرى؟

٥. ما البرامج التي يفضل مشاهدتها طلبة جامعة أم القرى من القنوات الإخبارية؟

٦. ما درجة اعتماد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الإخبارية في الحصول على المعلومات عن الأحداث والقضايا السياسية؟

٧. ما أسباب اعتماد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الإخبارية في الحصول على المعلومات عن الأحداث والقضايا السياسية؟

٨. ما أهم مصادر المعلومات عن الأحداث والقضايا السياسية التي يعتمد عليها طلبة جامعة أم القرى؟

٩. ما أهم القضايا السياسية التي تتناولها القنوات الإخبارية من وجهة نظر طلبة جامعة أم القرى؟

١٠. ما الأهداف التي يتابع طلبة جامعة أم القرى من أجلها الأحداث والقضايا السياسية؟

١١. ما التأثيرات الناتجة عن متابعة طلبة جامعة أم القرى للقنوات الإخبارية؟

١٢. هل هناك فروق دالة إحصائيا بين طلبة جامعة أم القرى طبقا للمتغيرات الديموغرافية (النوع التخصص) بشأن درجة اعتمادهم على القنوات الفضائية الإخبارية في متابعتهم للأحداث والقضايا السياسية؟

١٣. هل هناك فروق دالة إحصائيا بين طلبة جامعة أم القرى طبقا للمتغيرات الديموغرافية (النوع التخصص) بشأن الأهداف التي تحققت لديهم جراء اعتمادهم على القنوات الاخبارية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية؟

١٤. هل هناك فروق دالة إحصائيا بين طلبة جامعة أم القرى طبقا للمتغيرات الديموغرافية (النوع – التخصص) بشأن الآثار الناتجة عن اعتمادهم على القنوات الاخبارية في متابعة القضايا السياسية؟

٣- أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهمية من خلال:

أ- أن الدراسات والبحوث الإعلامية السعودية -حول ثنائية الشباب (طلبة الجامعة)-القنوات الفضائية الإخبارية، محدودة وما زالت لا تفي بالحاجة معرفياً.

ب- كما أن هذا البحث يأتي ضمن إطار النهج الذي أوصى به اتحاد إذاعات الدول العربية (الأسبو) بالسعي لإنجاز دراسات لتقويم اختيارات الشباب العربي إزاء القنوات الفضائية وبرامجها، ، وهو ما سيمكن المؤسسات التلفزيونية العربية الإخبارية من محصول معرفي قد يساعد على إثراء التصور أو ينبه إلى مكامن النقص أو يلفت الانتباه إلى حاجات شريحة هامة هي طلبة الجامعة.

ج- أهمية الدور الذي تؤديه القنوات الفضائية الإخبارية في تشكيل الوعي السياسي والمعرفة لدى الشباب، وهي فئة عمرية مهمة، وأهمية المعلومات عن الأحداث والقضايا السياسية المختلفة التي تلعب دوراً مهما في تشكيل اتجاهاتهم، وتتيح لهم فرص التعرف على ما يدور حولهم من أحداث.

٤- أهداف البحث:

يسعى البحث في إطار المنهج والأساليب والأدوات البحثية المستخدمة فيها إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١) معرفة مدى مشاهدة طلبة جامعة أم القرى للقنوات الإخبارية.

٢) التعرف على معدل مشاهدة طلبة جامعة أم القرى للقنوات الإخبارية.

٣) التعرف على القنوات الإخبارية التي يفضل مشاهدتها طلبة جامعة أم القرى.

٤) معرفة درجة اعتماد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الإخبارية في

الحصول على المعلومات عن الأحداث والقضايا السياسية.

٥) التعرف على أسباب اعتماد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الإخبارية في الحصول على المعلومات عن الأحداث والقضايا السياسية.

٦) معرفة أهم القضايا التي تتناولها القنوات الإخبارية من وجهة نظر طلبة جامعة أم القرى.

٧) معرفة أهم مصادر المعلومات عن الأحداث والقضايا السياسية التي يعتمد عليها الشباب الجامعي السعودي.

٨) معرفة الأهداف (الفهم – التوجيه – التسلية) التي يتابع طلبة جامعة أم القرى من أجلها القنوات الإخبارية.

٩) التعرف على التأثيرات (المعرفية – الوجدانية- السلوكية) الناتجة عن متابعة طلبة جامعة أم القرى للقنوات الإخبارية.

١٠) التعرف على الفروق بين طلبة جامعة أم القرى طبقا للمتغيرات الديموغرافية (النوع التخصص) بشأن درجة اعتمادهم على القنوات الفضائية الإخبارية في متابعتهم للأحداث والقضايا السياسية.

والأهداف التي تحققت لديهم جراء اعتمادهم على القنوات الإخبارية، والآثار الناتجة عن اعتمادهم على القنوات الإخبارية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية.

٥- نوع البحث ومنهجه:

تعد هذه الدراسة من نوعية الدراسات الوصفية التي تستهدف اكتشاف ظاهرة معينة وإلقاء المزيد من الضوء عليها. وتبنت الدراسة منهج المسح – مسح جمهور وسائل الإعلام أحد فروع منهج المسح للتعرف على الخصائص الأساسية التي

يتميز بها جمهور طلبة جامعة أم القرى بمدينة مكة المكرمة، وأنماط ودوافع التعرض للقنوات الإخبارية وأهداف وتأثيرات هذا التعرض.

٦- مجتمع البحث وعينته:

تحدد مجتمع البحث طبقاً لأهدافه في طلبة كليات جامعة أم القرى الواقعة في مدينة مكة المكرمة، وتم اختيار عينة طبقية قوامها (٣٠٠) طالب وطالبة ممن يتعرضون للقنوات الفضائية الإخبارية الناطقة بالعربية.

و بالطريقة العشوائية تم اختيار كلية علمية (تطبيقية)، وكلية انسانية (نظرية)، بكتابة أسماء الكليات العلمية الواقعة في مدينة مكة المكرمة في ورق صغير، وبالقرعة اختيرت (كلية الهندسة والعمارة الاسلامية) من شطر الطلاب، وكلية العلوم الطبية التطبيقية)، كون أن الدراسة في كلية الهندسة تقتصر على الطلاب فقط. وبنفس الطريقة تم كتابة أسماء الكليات الانسانية الواقعة في مدينة مكة المكرمة في ورق صغير، وبطريقة القرعة اختيرت كلية واحدة هي (العلوم الاجتماعية)، ثم تم النزول الى أقسام كل كلية، وبتحديد عدد الشعب فيها ومن مستويات متعددة تم بطريقة القرعة اختيار شعبة واحدة من كل قسم، وتم توزيع الإستمارات فيها لجميع الطلاب والطالبات الذين يتعرضون للقنوات الإخبارية، وبعد جمع الاستمارات تم استبعاد (٣٠) استمارة لعدم صلاحيتها للتحليل، وعلى النحو الآتي:

جدول (١) عينة الدراسة وفقاً للكلية والتخصص والجنس

اسم الجامعة	الذكور	الإناث	العينة الكلية
كلية انسانية	٦٠	٧٢	١٣٢
كلية علمية	٧٠	٦٨	١٣٨
المجموع	**١٣٠**	**١٤٠**	**٢٧٠**

٧- أداة البحث:

تم جمع البيانات باستخدام استمارة استبيان وتضمنت الاستمارة في شكلها النهائي على ١٦ سؤالاً إلى جانب البيانات الشخصية. وقد قام الباحث بعرض مشروع استمارة الاستبيان على مجموعة من الأكاديميين في الإعلام[١]، لمراجعتها منهجياً وعلمياً بهدف التعرف على مدى تلبية الاستمارة في تحقيق أهداف الدراسة، وبعد إبداء بعض الملاحظات عليها، تم تعديل فقرات بعض الأسئلة لتصبح في شكلها النهائي صالحة للعمل الميداني. وقام الباحث بإجراء تجربة استطلاعية بهدف التعرف على مدى وضوح الأسئلة ومدى فهم العينة لتعليمات الإجابة على أسئلة الاستبيان إذ تم توزيع الاستمارة على عينة قوامها (٢٠) مفردة. ولم يتم تعديل في فقرات الاستبيان حيث تبين أن أفراد العينة يمكنهم الإجابة عن الاستبيان دون صعوبة. وللتأكد من ثبات الأداة، استخدم الباحث أسلوب إعادة اختبار، حيث تم توزيع الاستبيان على عينة عشوائية مكونة من (٢٠) مفردة من الذين كانوا ضمن أفراد العينة التي أجريت عليها الدراسة الميدانية، وذلك بعد أسبوعين من توزيع استبيان الدراسة. وبعد تحليل النتائج ومعالجة البيانات باستخدام معامل ارتباط بيرسون بين الاختبارين إذ بلغ معامل

---

(١) تم عرض استمارة الاستبيان على مجموعة من أساتذة الإعلام وهم حسب الترتيب الهجائي:

- د. الأمير صحصاح فائز، قسم الإعلام، جامعة أم القرى.
- أ.د. رحيم مزيد، رئيس قسم الإعلام بجامعة جيهان، أربيل، العراق.
- أ.د. عدنان الحربي، قسم الإعلام، جامعة أم القرى.
- أ.د. محمد غريب، قسم الإعلام، جامعة أم القرى.
- أ.د. نزهت الدليمي، رئيس قسم الصحافة، كلية الإعلام، جامعة بغداد.

الثبات (٠,٩٠) وهو معامل ثبات عال.

٨- حدود البحث:

لما كان من الطبيعي أن تقف كل دراسة علمية عند حدود معينة، على أساس أن الدراسة الواحدة لا تستطيع أن تحيط بكل المتغيرات والعوامل المختلفة، وتترك المجال لباحثين آخرين في استكمال دراسة هذه المتغيرات، فإن حدود هذا البحث هي:

أ- الحدود الموضوعية: يقتصر على دراسة اعتماد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الفضائية الإخبارية الناطقة بالعربية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية.

ب- الحدود المكانية: يقتصر على طلبة جامعة أم القرى الدراسيين في الكليات الواقعة في مدينة مكة المكرمة.

ت- الحدود الزمانية: يقتصر على المسجلين لنيل درجة البكالوريوس للعام الدراسي ٢٠١٤م-٢٠١٥م.

٩- تحديد المصطلحات:

أ. **الاعتماد على القنوات الفضائية الإخبارية** ويعني الدرجة أو المنزلة التي يعطيها طلبة جامعة أم القرى للقنوات الإخبارية كمصدر للمعلومات عن الأحداث والقضايا السياسية المثارة.

ب.**القنوات الإخبارية الناطقة بالعربية**: ويقصد بها القنوات الفضائية الإخبارية المملوكة لمؤسسات خاصة وحكومات عربية وتبث من المنطقة العربية، أو التي تملكها مؤسسات وحكومات أجنبية وتبث من خارج المنطقة العربية، وتقدم برامج ونشرات إخبارية تتناول الأحداث والقضايا السياسية.

ج. **المتابعة**: ويقصد بها كل ما يسعى الشباب الجامعي إلى معرفته من معلومات عن الأحداث والقضايا السياسية التي تجري من حولهم محليًا وعربيًا ودوليًا.

د. **الأحداث والقضايا السياسية**: ويقصد بها في هذه الدراسة المعلومات التي تعكس ما يجري في البيئة الاجتماعية وتتسم بالحالية والتغير المستمر عن مختلف الشئون العامة محليًا وعربيًا ودوليًا، وتخلق وظيفة مراقبة البيئة التي تنقلها القنوات الفضائية الإخبارية.

١٠- المعالجة الإحصائية للبيانات:

تتمثل الأساليب الإحصائية المستخدمة بالآتي:

١- التوزيع التكراري والنسب المئوية للإجابات عن أسئلة الاستبيان المفتوحة.

٢- المتوسطات الحسابية للإجابة عن السؤال السادس المعد وفقا لمقياس ليكرت الخماسي، والسؤال الثالث عشر المعد وفقا لمقياس ليكرت الثلاثي.

٤- اختبار Z test لتحليل الفروق بين التخصص من جهة والنوع الاجتماعي من جهة اخرى للأسئلة غير الاختيارية.

٥- التحليل العاملي factor analysis لتكوين مجموعة من الفقرات المتداخلة الخاصة بالسؤال الثالث عشر والسؤال السادس عشر.

وللحصول على نتائج دقيقة قدر الإمكان، تم استخدام البرنامج الإحصائي SPSS والذي يشير اختصاراً إلى الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية Statistical Package for Social Sciences المطلوبة في الدراسة.

المبحث الثاني
الإطار النظري

- **نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام:**

اتخذ الباحث من مدخل (الاعتماد على وسائل الإعلام) إطارا نظريا باعتباره يركز على الوسيلة ودرجة أهميتها لدى الفرد لكي يستقي معلوماته منها. وكما يوحي اسم النظرية فإن العلاقة الرئيسة التي تحكمها هي علاقة الاعتماد بين وسائل الإعلام والنظام الاجتماعي والجمهور، وقد تكون هذه العلاقات مع نظم وسائل الإعلام جميعها، أو مع أحد أجزائها مثل: الصحف – الراديو – التلفزيون. ومعنى هذه العلاقة يكمن في أن وسائل الإعلام عندما تقوم بوظائف جمع المعلومات التي نحتاج الى معرفتها وتنسيقها ونقلها بصورة مكثفة ومتميزة سوف يزيد من قدرتها على تحقيق أكبر قدر من التأثير المعرفي والعاطفي والسلوكي، وهذه القدرة سوف تزيد قوتها عندما يكون المجتمع في حالة عدم استقرار بنائي لوجود الصراع والتغيير[١]. وتقوم نظرية اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام على ركيزتين أساسيتن هما[٢]:

أ- الأهداف: أي ان هناك أهدافا للأفراد يسعون الى تحقيقها من خلال المعلومات التي توفرها وسائل الإعلام المختلفة سواء كانت هذه الأهداف شخصية أو اجتماعية.

ب- المصادر: تعد وسائل الاعلام نظاما معلوماتيا يسعى إليه الأفراد من

---

(١) حسن عماد مكاوي، وليلى حسن السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨م، ص٣١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣١٥.

أجل بلوغ أهدافهم، وتتحكم وسائل الإعلام في ثلاثة أنواع من مصادر المعلومات هي: جمع المعلومات عبر المندوبين والمراسلين، وتنسيق المعلومات ونشرها لكي تصل الى جمهور غير محدد.

ويعتمد الأفراد على وسائل الإعلام لتحقيق الأهداف الآتية(١):

١- الفهم: ويشمل معرفة ما يدور بالبيئة المحيطة والحصول على الخبرات، وبما يساعد على معرفة أشياء عن العالم الخارجي والمحلي وتفسيرها.

٢- التوجيه: حيث تقوم وسائل الإعلام بتوجيه الأفراد لاتخاذ القرارات المناسبة والمشاركة السياسية، وتوجيه تفاعلي تبادلي للحصول على دلالات عن كيفية التعامل مع المواقف الجديدة.

٣-التسلية: حيث تقوم وسائل الإعلام بتقديم التسلية التي تساهم في تحقيق الاسترخاء والتخلص من الملل والهروب من مشكلات الحياة.

ويحدد المدخل مجموعة من التأثيرات الناتجة عن اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام تتمثل فيما يلي(٢):

١-تأثيرات معرفية Cognitive Effects: وتتحدد في كشف الغموض، وتكوين الاتجاهات، وترتيب الأولويات، وتوسيع المعتقدات، والترويج للقيم والحفاظ عليها.

٢-تأثيرات وجدانية Affective Effects: وتتحدد في زيادة الخوف

---

(١) Werner J.Servin & James Wthankrd Jr."Communications Theories Origins, Methods and Uses in the Mass Media",3rd ed,(New York London: Longman,1992).p.263.

(٢) ملفين ل.ديفلير وساندرابول- روكيتش، نظريات وسائل الاعلام، ترجمة كمال عبد الرؤف، القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م، ص٤٢٥-ص٤٢٩.

والقلق، والفتور العاطفي وتزايد او نقص الشعور بالاغتراب.

٣-تأثيرات سلوكية Behavioral Effects: وتنحصر في سلوكين أساسيين هم التنشيط أي قيام الفرد بعمل ما نتيجة التعرض للوسيلة، وقد يكون سلوكـًا إيجابيـًا مفيداً أو سلبيـًا ضاراً.

وتقوم النظرية على عدة افتراضات رئيسة هي(١):

١- تؤثر درجة استقرار النظام الاجتماعي وتوازنه العام على زيادة الاعتماد أو قلته على مصادر أخبار ومعلومات وسائل الإعلام، وكلما زادت درجة الاستقرار الاجتماعي قل اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام والعكس.

٢- تزداد درجة الاعتماد على النظام الإعلامي السائد في المجتمع في حالة قلة قنوات الإعلام الأخرى ويقل الاعتماد عليه في حالة وجود قنوات بديلة للحصول على الأخبار والمعلومات.

٣- يختلف الأفراد في درجة اعتمادهم على وسائل الإعلام نتيجة اختلافهم على الأهداف والمصالح والحاجات الفردية.

المبحث الثالث
نتائج الدراسة الميدانية

السؤال الأول: هل يشاهد طلبة جامعة أم القرى القنوات الفضائية؟

حيث يوضح الجدول رقم (٢) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الأول وفق تقسيم العينة ونتائج اختبار Z test لتحليل الفروق بين الاجابات وكما يلي:

---

(١) Melvin L.Defleur & Sandra Ball, Rokeach." Theories of mass communication",op.cit,p.262-264.

جدول رقم (٢)

التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الاول وكذا نتائج اختبار Z test لتحليل الفروق بين الاجابات

الاجابة		الكليات الإنسانية		الكليات العلمية		نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عينتى التخصص فى الجامعة	
		ذكور	إناث	ذكور	إناث	قيم اختبار Z المحتسبة	مستوى الدلالة
دائمـًا		46.7	41.7	28.6	47.1	.514	.954
أحيانـًا		53.3	58.3	71.4	52.9		
لا		-	-	-	-		
نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عينتي النوع الاجتماعي في الجامعة	قيم اختبار Z المحتسبة	.286		1.086		.604	
	مستوى الدلالة	1.000		.189		.858	

يتبين لنا من الجدول أعلاه (٢) ارتفاع نسبة مشاهدة القنوات الفضائية عند طلبة جامعة أم القرى سواء بصفة دائما أو أحيانا وعند كلا الجنسين. كما تبين لنا نتائج الجدول رقم (٢) بأن (46.7٪) من إجمالي عينة الذكور في الكلية الإنسانية يشاهدون القنوات الفضائية بشكل دائم، و(53.3٪) يشاهدون أحيانا، بينما أجاب (28.6٪) من الذكور في الكلية العلمية بصفة دائمة، (71.4٪) يشاهدون أحيانا، وبالمقابل ذلك نجد أن (41.7٪) من إجمالي عينة الإناث في الكلية الإنسانية يشاهدن القنوات الفضائية بشكل دائم، و(58.3٪) يشاهدن أحيانا، في حين أن نسبة (47.1٪) من الإناث في الكلية العلمية يشاهدن بشكل دائم، (52.9٪) يشاهدن أحيانا. ويتضح للباحث بأن الذكور من الشباب الجامعي في الكلية العلمية بجامعة أم القرى أقل مشاهدة للقنوات الفضائية مقارنة بالإناث في نفس الكلية، فيما كان

الذكور أكثر مشاهدة من الإناث في الكلية الإنسانية إلا أن الفرق الظاهر فرق غير معنوي (غير جوهري)، وهذا ما تؤكده نتائج اختبار Z test حيث ظهرت مستوى دلالة الاختبار أكبر من مستوى الثقة (.05) في جميع المقارنات.

السؤال الثاني: هل يشاهد طلبة جامعة أم القرى القنوات الفضائية الإخبارية؟

حيث يوضح الجدول رقم (٣) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الثاني وفق تقسيم العينة ونتائج اختبار Z test لتحليل الفروق بين الاجابات وكما يلي:

جدول رقم (٣)

التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الثاني وكذا نتائج اختبار Z test لتحليل الفروق بين الاجابات

الاجابة		الكليات الإنسانية		الكليات العلمية		نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عينتى التخصص فى الجامعة	
		ذكور	إناث	ذكور	إناث	قيم اختبار Z المحتسبة	مستوى الدلالة
دائمـًا		16.7	5.6	14.3	11.8	.200	1.000
أحيانـًا		80.0	94.4	85.7	88.2		
لا		3.3	-	-	-		
نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عينتي النوع الاجتماعي في الجامعة	قيم اختبار Z المحتسبة	.636		.148		.559	
	مستوى الدلالة	.814		1.000		.913	

يتبين لنا من نتائج الجدول رقم (٣) بشأن إجابات أفراد العينة عن السؤال الثاني أن نسبة مشاهدة القنوات الإخبارية من قبل طلبة جامعة أم القرى كانت

متوسطة بصفة دائمة، وكبيرة بصفة أحياناً. ويتضح بأنه قد تراوحت النسب بين المشاهدة بصفة دائمة والمشاهدة أحيانا على مستوى الكليتين الإنسانية والعلمية وعلى مستوى النوع الاجتماعي حيث أجاب (16.7٪) من إجمالي عينة الذكور في الكليات الإنسانية بأنهم يشاهدون القنوات الإخبارية بشكل دائم، وأجاب (80.0٪) بأنهم يشاهدون أحيانا، بينما أجاب (14.3٪) من الذكور في الكلية العلمية بالمشاهدة بصفة دائمة، (85.7٪) يشاهدون أحيانا، وبالمقابل ذلك نجد أن (5.6٪) من إجمالي عينة الإناث في الكليات الانسانية بأنهن يشاهدن القنوات الفضائية بشكل دائم، (94.4٪) يشاهدن أحيانا، في حين أن (11.8٪) يشاهدن بشكل دائم من الإناث في الكليات العلمية، (88.2٪) يشاهدن أحيانا. يتضح للباحث أن النسب تتقارب في المشاهدة للقنوات الفضائية الإخبارية من قبل طلبة جامعة أم القرى على مستوى الكليات التخصصية والنوع الاجتماعي، وأن الفرق في نسبة المشاهدة بين الكليات التخصصية وبحسب النوع الاجتماعي كان فرقا غير معنوي (غير جوهري)، وهذا ما تؤكده نتائج اختبار Z test حيث ظهرت مستوى دلالة الاختبار اكبر من مستوى الثقة (.05) في جميع المقارنات، ومن عملية المقارنة في الإجابات بين السؤالين الأول والثاني وكما يلي:

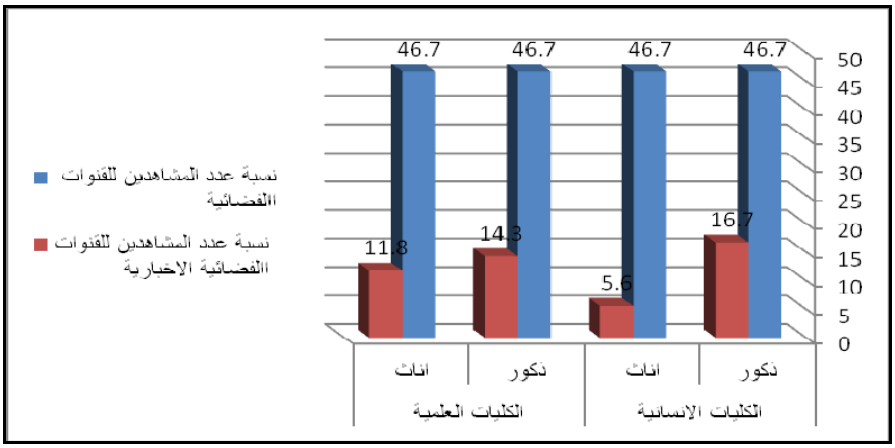

كما يتضح أن نسبة عدد المشاهدة للقنوات الإخبارية الناطقة بالعربية ظهرت صغيرة مقارنة بنسبة مشاهدتهم لبقية للقنوات الفضائية، وهذا يؤكد بأن أقل متابعة للقنوات الإخبارية مقارنة بالقنوات الفضائية المنوعة لاسيما القنوات الرياضية وقنوات MBC.

السؤال الثالث: كم ساعة يقضيها طلبة جامعة أم القرى في مشاهدة القنوات الفضائية الإخبارية يوميا؟

الجدول رقم (٤) يعرض التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة، وفق تقسيم العينة ونتائج اختبار Z test لتحليل الفروق بين الاجابات وكما يلي:

جدول رقم (٤)

التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الثالث وكذا نتائج اختبار Z test لتحليل الفروق بين الاجابات

الاجابة		الكليات الإنسانية		الكليات العلمية		نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عينتى التخصص في الجامعة	
		ذكور	إناث	ذكور	إناث	قيم اختبار Z المحتسبة	مستوى الدلالة
أقل من ساعة		66.7	75.0	74.3	70.6	1.061	.211
من ساعة الى ساعتين		30.0	22.2	17.1	5.9		
من ساعتين الى أربع ساعات		3.3	2.8	8.6	11.8		
أكثر من أربع ساعات		-	-	-	11.8		
نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عينتي النوع الاجتماعي في الجامعة	قيم اختبار Z المحتسبة	.477		.878		.586	
	مستوى الدلالة	.977		.423		.882	

يتبين لنا من نتائج الجدول رقم (٤) بشأن إجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الثالث أن معظم طلـــبة جامعة أم القرى سواء وفق التخصص أو النوع الاجتماعي يقضون أقل من ساعة في مشاهدة القنوات الإخبارية يوميـاً. ويتضح أن أعلى نسبة للذكور من الكليات الإنسانية الذين يشاهدون القنوات الإخبارية لأقل من ساعة (66.7٪) مقابل (74.3٪) من الذكور في الكليات العلمية، كذلك كانت نسبة الإناث (75.0٪) في الكليات الإنسانية من اللاتي يشاهدن أقل من ساعة أعلى من الإناث في الكليات العلمية (70.6٪)، ويتضح من النتائج بأنه تقل درجة المشاهدة عند زيادة عدد ساعات المشاهدة على مستوى التخصص وكذا على مستوى النوع الاجتماعي، كما يتضح بأن درجة الفروق في نسبة عدد ساعات المشاهدة للقنوات الإخبارية من قبل طلبة جامعة أم القرى لا تختلف جوهريا وفق التخصص وكذا لا تختلف وفقا للنوع الاجتماعي على مستوى التخصص الواحد أو في كلا التخصصين بدليل أن مستوى دلالة الاختبار كانت أكبر من مستوى الثقة (.05).

السؤال الرابع: ما الأوقات التي يفضلها طلبة جامعة أم القرى في مشاهدتهم للقنوات الفضائية الإخبارية؟

يعرض الجدول رقم (٥) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الرابع وفق تقسيم العينة وكما يلي:

جدول رقم (٥)

التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الرابع

الإجابة	الكليات الإنسانية		الكليات العلمية		لكلا التخصصين	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
الصباح	6.7	22.2	8.6	11.8	7.7	17.1
الظهيرة والعصر	16.7	13.9	20.0	11.8.	18.5	12.9
المساء	26.7	30.6	8.6	38.2	16.9	34.3
الفترة الليلية	10.0	13.9	28.6	11.8	20.0	12.9
في أوقات مختلفة	50.0	50.0	51.4	52.9	50.8	51.4

يتبين لنا من نتائج جدول رقم (5) بشأن إجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الرابع أن أعلى نسبة مشاهدة للشباب على مستوى النوع الاجتماعي والتخصص ظهر في أوقات مختلفة وليس في وقت محدد لهم، يلي ذلك الفترة المسائية حيث جاءت نسبة الذكور من الكليات الإنسانية الذين يشاهدون خلال هذه الفترة (26.7٪) مقابل (30.6٪) من الاناث لنفس التخصص وكذلك (38.2٪) من الإناث في الكليات العلمية، في حين كانت الفترة الصباحية هي الفترة التي عندها يقل نسبة مشاهدة للقنوات الفضائية الإخبارية من قبل طلبة جامعة أم القرى، باستثناء الإناث في الكليات الإنسانية.

السؤال الخامس: مع من يفضل طلبة جامعة أم القرى مشاهدة القنوات الفضائية الإخبارية؟

يعرض الجدول رقم (٦) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الخامس وفق تقسيم العينة وكما يلي:

جدول رقم (٦)
التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة على السؤال الخامس

الإجابة	الكليات الانسانية		الكليات العلمية		لكلا التخصصين	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
بمفردهم	10.0	22.2	14.3	23.5	12.3	22.9
مع العائلات	23.3	33.3	37.1	38.2	30.8	35.7
مع الزملاء والأصدقاء	13.3	-	8.6	-	10.8	–
حسب الظروف	66.7	52.8	54.3	50.0	60.0	51.4

من النتائج بالجدول رقم (٦) بشأن إجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الخامس يتضح أن أعلى نسبة من طلبة جامعة أم القرى سواء على مستوى النوع الاجتماعي أو التخصص أجابت بأنها تفضل مشاهدة القنوات الفضائية بحسب ظروفها أولاً أو مع عوائلهم ثانياً بينما أجابت نسبة أقل من الشباب الجامعي بأنها تفضل مشاهدتها لتلك القنوات مع الأصدقاء، كما ظهرت النتائج بأن الإناث لا يفضلن مشاهدة القنوات الإخبارية مع صديقاتهن مطلقا، وهذا يعني بأن معظم طلبة جامعة أم القرى لا يتابعون القنوات الإخبارية مع أصدقائهم وبالتالي يبقى تداول المعلومات محتكرة وغير خاضعة للنقاش بين أوساط الشباب مما يجعلهم يفتقرون الى الكثير من المعطيات عن الأحداث والقضايا السياسية، وبالتالي تجعله غير قادر على متابعة وتحليل الأحداث بدقة وعمق أكبر.

السؤال السادس: ما القنوات الإخبارية التي يفضل مشاهدتها طلبة جامعة أم القرى؟

يعرض الجدول رقم (٧) المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال السادس وفق تقسيم العينة ونتائج اختبار Z test لتحليل الفروق بين الاجابات وكما يلي:

جدول رقم (٧)

المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال السادس وكذا نتائج اختبار Z test لتحليل الفروق بين الاجابات

الإجابة	الكليات الإنسانية			الكليات العلمية			نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عينتى التخصص فى الجامعة		نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عينتى النوع الاجتماعى فى الجامعة	
	ذكور	إناث	مستوى الدلالة	ذكور	إناث	مستوى الدلالة	قيم اختبار Z المحتسبة	مستوى الدلالة	قيم اختبار Z المحتسبة	مستوى الدلالة
قناة الاخبارية	2.57	2.36	.989	1.89	1.88	1.000	1.834	.002	.433	.992
قناة الجزيرة	3.03	2.33	.033	3.20	1.91	.000	.904	.388	2.238	.000
قناة العربية	2.87	3.22	.286	2.77	2.62	.782	1.190	.118	.857	.455
قناة DW العربية	1.57	1.22	.067	1.26	1.15	.968	1.158	.137	1.200	.112
قناة النيل للأخبار	1.43	1.31	.996	1.20	1.21	.973	.557	.915	.604	.858
قناة الجزيرة مباشر	2.17	1.75	.193	2.00	1.47	.324	1.023	.246	1.380	.044
قناة العربية الحدث	1.97	2.56	.002	2.17	2.26	.635	1.434	.033	1.841	.002
قناة الميادين	1.60	1.40	.793	1.43	1.09	.133	.710	.695	1.199	.113
قناة BBC العربية	2.10	2.03	.713	1.97	1.62	.162	.828	.500	1.254	.086
قناةSKY NEWS عربية	2.00	1.67	.553	1.69	1.53	.984	.985	.287	.830	.496
قناة CNN العربية	1.97	1.75	.765	1.66	1.53	.976	1.109	.171	.677	.750
قناة France 24 العربية	1.43	1.39	.977	1.46	1.12	.482	.817	.517	.875	.428
قناة العالم	1.50	1.14	.193	1.34	1.18	1.000	.189	1.000	.965	.309
قناة الحرة	1.47	1.25	.606	1.23	1.15	1.000	.795	.552	.595	.870
قناة روسيا اليوم	1.67	1.22	.168	1.69	1.06	.022	.319	1.000	1.832	.002
قناة EURO NEWS العربية	1.57	1.19	.502	1.06	1.06	1.000	1.142	.147	.523	.947
نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عينتي النوع الاجتماعي في الجامعة: قيم اختبار Z المحتسبة	1.137			1.214			1.713		1.235	
نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عينتي النوع الاجتماعي في الجامعة: مستوى الدلالة	.151			.105			.006		.095	

المتوسط الحسابي ≥3= بدرجة كبيرة، 2.5≤3≥=بدرجة متوسطة، ≤2.5=بدرجة قليلة.

يتبين لنا من نتائج الجدول رقم (٧) حول القنوات الفضائية الإخبارية التي يفضل الشباب الجامعي مشاهدتها أن أعلى نسبة مشاهدة للقنوات الاخبارية كانت لقناة العربية، يليها قناة الجزيرة، ثم العربية الحدث، والجزيرة مباشر، بينما أقل قنوات حظيت بالمشاهدة هي قناة النيل، وقناة الحرة. ويتضح لنا من النتائج أنه لا توجد فروق معنوية في درجة التفضيل بين الذكور والإناث في إطار التخصص في مشاهدتهم للقنوات الفضائية الإخبارية، على مستوى جميع القنوات المذكورة في الجدول ويدلل ذلك بأن مستوى دلالة اختبار Z كانت أكبر من مستوى الثقة (.05) حيث بلغت (.151)، (.105) على التوالي بينما ظهر الفرق جوهريا بشأن درجة التفضيل في المشاهدة للقنوات الفضائية الإخبارية بين التخصصين الإنساني والعلمي، حيث بينت النتائج بأن الشباب الجامعي ذا التخصص الإنساني يفضل بدرجة متوسطة مشاهدة القنوات الإخبارية مقارنة بالشباب ذي التخصص العلمي الذي ظهر تفضيلهم لها بالدرجة الضعيفة عند مستوى دلالة اختبار أقل من مستوى الثقة حيث بلغت (.006)، وعلى مستوى نوع القناة يتضح من الجدول بوجود فروق معنوية بدرجة عالية بين الذكور والإناث في مشاهدتهم لقناة الجزيرة الإخبارية، حيث أن درجة تفضيل الذكور على مستوى الكليتين لهذه القناة ظهر بالدرجة المتوسطة بينما ظهرت درجة التفضيل عند الإناث لنفس هذه القناة بالدرجة الضعيفة، وكذلك الحال بالنسبة لقناة روسيا اليوم، بينما العكس من ذلك لقناة العربية الحدث حيث ظهر درجة التفضيل في مشاهدة هذه القناة عند الإناث بالدرجة المتوسطة بينما ظهر درجة التفضيل لها عند الذكور بالدرجة الضعيفة.وظهر بعدم وجود فرق معنوي في درجة تفضيل مشاهدة بقية القنوات بين الذكور والإناث حيث يلاحظ بأن مستوى دلالة الاختبار أكبر من مستوى الثقة عند (.05).

السؤال السابع: ما البرامج الاخبارية التي يفضلها طلبة جامعة أم القرى وفي أي القنوات؟

يعرض الجدول رقم (٨) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال السابع وفق تقسيم العينة وكما يلي:

جدول رقم (٨) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال السابع

الإجابة	الكليات الإنسانية		الكليات العلمية		لكلا التخصصين	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
الاتجاه المعاكس (قناة الجزيرة)	13.3	18.3	9.5	6.5	11.4	12.4
السلطة الرابعة (قناة العربية)	8.0	5.3	0	1.1	4.0	3.2
المشهد (قناة العربية)	3.3	2.8	0	9	1.65	5.9
صباح العربية (قناة العربية)	6.7	16.7	7.3	12.7	7.0	14.7
حدث اليوم (BBC)	6.7	2.2	7.5	10.8	7.1	6.5
مع زينة يازجي لقاء (SKY NEWS)	3.3	2.2	8.1	3	5.7	2.6
شاهد على العصر (قناة الجزيرة)	3.3	4.4	5.3	0.4	4.3	2.4

حيث يتضح من النتائج بالجدول رقم (٨) بشأن السؤال السابع والمتعلق بتحديد البرامج الإخبارية التي يفضل طلبة جامعة أم القرى متابعتها في القنوات الفضائية الإخبارية أن الغالبية العظمى منهم ليس لديه برنامج محدد يفضل متابعته، في حين أظهرت النتائج أن نسبة ضئيلة من الشباب الجامعي لديه برامج محددة يتابعها في القنوات الفضائية الإخبارية، وأبرز هذه البرامج هي الاتجاه المعاكس في قناة الجزيرة، صباح العربية، السلطة الرابعة في قناة العربية.

السؤال الثامن: ما المواد التلفزيونية التي يفضل متابعتها طلبة جامعة أم القرى في القنوات الإخبارية؟

يعرض الجدول رقم (٩) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الثامن وفق تقسيم العينة وكما يلي:

جدول رقم (٩)

التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الثامن

الإجابة	الكليات الإنسانية		الكليات العلمية		لكلا التخصصين	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
النشرات الإخبارية	53.3	75.0	74.3	41.2	64.6	51.4
التحقيقات التلفزيونية	23.3	58.3	31.4	29.4	27.7	44.3
البرامج الحوارية الجماهيرية	30.0	58.3	40.0	38.2	35.4	42.9
النشرات والبرامج ذات الطابع الاقتصادي	13.3	2.8	11.4	5.9	12.3	4.3
البرامج السياسية	36.7	16.7	40.0	14.7	38.5	15.7
الأفلام التسجيلية ذات الطابع الإخباري	36.7	22.2	37.1	26.5	36.9	24.3
النشرات الرياضية	63.3	22.2	65.7	20.6	64.6	21.4
النشرة الجوية وأخبار الطقس	23.3	44.4	34.3	29.4	29.2	37.1
المقابلات الشخصية	43.3	44.4	40.0	41.2	41.5	42.9

ومن النتائج بالجدول رقم (٩) بشأن إجابات افراد عينة الدراسة عن السؤال الثامن يتضح أن النسبة الأعلى من طلبة جامعة أم القرى بمختلف خصائصهم الشخصية والعلمية يفضلون بدرجة مرتفعة متابعة النشرات الإخبارية بينما أقل درجة من التفضيل يتعلق بالمادة ذات الطابع الاقتصادي، وأظهرت النتائج أن

الشباب الجامعي من الذكور يفضل بدرجة مرتفعة متابعة النشرات الرياضية مقارنة بالإناث التي يفضلن متابعة التحقيقات التلفزيونية والمقابلات الشخصية بدرجة مرتفعة ولكلا التخصصين، كما أظهرت النتائج بأن الاناث ذوات التخصص الإنساني يفضلن بدرجة مرتفعة متابعة كل من التحقيقات التلفزيونية والبرامج الحوارية الجماهيرية مقارنة مع الذكور في الكليتين معا من جهة ومع الإناث في الكليات العلمية.

السؤال التاسع: ما أهم مصادر المعلومات التي يعتمد عليها طلبة جامعة أم القرى في متابعتهم للأحداث والقضايا السياسية؟

يعرض الجدول رقم (١٠) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال التاسع وفق تقسيم العينة وكما يلي:

جدول رقم (١٠): التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال التاسع

الإجابة	الكليات الإنسانية		الكليات العلمية		لكلا التخصصين	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
الصحف السعودية	73.3	41.7	37.1	32.4	53.8	37.1
الصحف والمجلات العربية	10.0	27.8	11.4	11.8	10.8	20.0
الإذاعات السعودية	40.0	25.0	22.9	38.2	30.8	31.4
الإذاعات العربية	20.0	27.8	14.3	26.5	16.9	27.1
القنوات الفضائية العامة	23.3	38.9	25.7	32.4	24.6	35.7
المواقع الالكترونية	26.7	61.1	68.6	47.1	49.2	54.3
شبكات التواصل الاجتماعي	66.7	66.7	80.0	52.9	73.8	60.0

القنوات الفضائية الإخبارية الناطقة بالعربية	23.3	16.7	40.0	11.8	32.3	14.3
الأصدقاء والزملاء	46.7	27.8	54.3	32.4	50.8	30.0
الدوريات والكتب السياسية	16.7	2.8	5.7	8.8	10.8	5.7

أظهرت النتائج بالجدول رقم (١٠) بشأن إجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال التاسع أن النسبة الأعلى من طلبة جامعة أم القرى بمختلف خصائصهم الشخصية والعلمية يعتمدون في متابعتهم للأحداث والقضايا السياسية على مصدر شبكات التواصل الاجتماعي بالدرجة الأساس، يليها مصدر المواقع الإلكترونية، وأظهرت النتائج أن الشباب الجامعي ذا التخصص الانساني من الذكور يعتمد أيضا على مصدر الصحف السعودية في متابعتهم الأحداث والقضايا السياسية، مقارنة بالإناث لنفس التخصص، والجنسين معـًا ذوي التخصص العلمي. بينما يعتمد الشباب الجامعي ذوو التخصص العلمي، والإناث ذوات التخصص الإنساني أيضا على المواقع الالكترونية كمصدر في الحصول على معلوماتهم بشأن الأحداث والقضايا السياسية.

السؤال العاشر: ما مدى اعتماد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الفضائية الإخبارية في متابعتهم للأحداث والقضايا السياسية؟

ويعرض الجدول رقم (١١) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال العاشر وفق تقسيم العينة ونتائج اختبار Z test لتحليل الفروق بين الإجابات وكما يلي:

جدول رقم (١١)

التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال العاشر وكذا نتائج اختبار Z test لتحليل الفروق بين الإجابات

الاجابة		الكليات الإنسانية		الكليات العلمية		نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عينتى التخصص فى الجامعة	
		ذكور	إناث	ذكور	إناث	قيم اختبار Z المحتسبة	مستوى الدلالة
اعتمد عليها بشكل كبير		13.3	19.4	25.7	11.8	.942	.338
اعتمد عليها إلى حد ما		43.3	50.0	22.9	44.1		
اعتمد عليها قليلا		43.3	30.6	51.4	44.1		
نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عينتي النوع الاجتماعي فى الجامعة	قيم اختبار Z المحتسبة	.731		.819		.866	
	مستوى الدلالة	.659		.513		.441	

يتبين لنا من نتائج الجدول رقم (١١) أن (٧٥٪) من الشباب الجامعي يعتمد بدرجة متوسطة على القنوات الإخبارية الناطقة بالعربية في متابعتهم للأحداث والقضايا السياسية، وأن (٢٥٪) فقط يعتمد بدرجة مرتفعة على هذه القنوات. ويتضح من نتائج الجدول (١١) بعدم وجود فروق معنوية ذات دلالة إحصائية في درجة الاعتماد على القنوات الإخبارية بين الذكور والإناث داخل الكلية الواحدة، أو للكليتين معا الإنسانية والعلمية، كما يتضح عدم وجود فروق معنوية بين الشباب الجامعي وفقا لنوع التخصص، ويدلل ذلك أن مستوى دلالة اختبار Z كانت أكبر من مستوى الثقة (.05) حيث بلغت (.441).

السؤال الحادي عشر: ما أسباب اعتماد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الإخبارية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية؟

يعرض الجدول رقم (١٢) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الحادي عشر وفق تقسيم العينة وكما يلي:

جدول رقم (١٢)
التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الحادي عشر

الإجابة	الكليات الإنسانية		الكليات العلمية		لكلا التخصصين	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
بسبب الثقة في المعلومات التى تقدمها	43.3	44.4	11.4	17.6	26.2	31.4
بسبب سهولة الحصول على الأخبار والمعلومات	60.0	52.8	68.6	52.9	64.6	52.9
بسبب المتابعة المستمرة للأحداث والتحليلات السياسية	26.7	41.7	28.6	17.6	27.7	30.
بسبب سرعة التغطية والفورية في نقل الأحداث	30.0	55.6	57.1	44.1	44.6	50.0
بسبب عرض مختلف الآراء السياسية	23.3	19.4	37.1	26.5	30.8	22.9
لتمتعها بقدر كبير من الحرية والاستقلالية	13.3	13.9	11.4	2.9	12.3	8.6
بسبب عمق المعالجة والتفصيل	20.0	16.7	14.3	-	16.9	8.6
لاستضافتها شخصيات مهمة	23.3	30.	14.3	20.6	26.2	25.7

ويتضح من النتائج بالجدول رقم (١٢) بشأن إجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الحادي عشر أن النسبة الأعلى من طلبة جامعة أم القرى بمختلف خصائصهم الشخصية والعلمية يرجعون سبب اعتمادهم على القنوات الإخبارية إلى سهولة الحصول على الأخبار والمعلومات بنسبة موافقة تتراوح بين (52.8)، (68.6)، ويرى أيضا أفراد العينة من الإناث للتخصص الإنساني، والذكور للتخصص العلمي إلى سهولة الحصول على الأخبار والمعلومات، يليه سرعة التغطية والفورية في نقل الأحداث بنسبة (55.6)، (57.1) على التوالي.

السؤال الثاني عشر: ما أهم الأحداث والقضايا السياسية التي تتناولها القنوات الإخبارية الناطقة بالعربية من وجهة نظر طلبة جامعة أم القرى؟

يعرض الجدول رقم (١٣) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الثاني عشر وفق تقسيم العينة وكما يلي:

جدول رقم (١٣)

التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الثاني عشر

الإجابة	الكليات الإنسانية		الكليات العلمية		لكلا التخصصين	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
قضايا الحرب على الإرهاب الدولي	70.0	47.2	57.1	55.9	63.1	51.4
الأحداث في ليبيا	20.0	2.8	22.9	14.7	21.5	8.6
القضية الفلسطينية	36.7	27.8	57.1	41.2	47.7	34.3
التحالف الدولي للحرب على داعش	73.3	50.0	60.0	55.9	66.2	52.9
الأحداث في اليمن	23.3	11.1	37.1	41.2	30.8	25.7

الأحداث في مصر	23.3	36.1	37.1	38.2	47.7	37.1
الأحداث في سوريا	36.7	50.0	37.1	55.9	49.2	52.9
الأحداث في العراق	16.7	13.9	42.9	29.4	30.8	21.4
المفاوضات بين الدول الغربية وايران بشأن ملفها النووي	16.7	22.2	42.9	35.3	30.8	28.6
الأحداث في لبنان	10.0	13.9	20.0	11.8	15.4	12.9

بينت النتائج بالجدول رقم (١٣) بشأن إجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال المتعلق بأهم الأحداث والقضايا السياسية التي تتناولها القنوات الإخبارية من وجهة نظر طلبة جامعة أم القرى، أن النسبة منهم بمختلف خصائصهم الشخصية والعلمية يرون أن قضية التحالف الدولي للحرب على داعش، وقضايا الحرب على الإرهاب، والأحداث في سوريا، هي أكثر القضايا حضوراً وتغطية في القنوات الإخبارية، بينما يرون أن متابعة القنوات لبقية الأحداث قليلة من ضمنها الأحداث في ليبيا واليمن ولبنان.

السؤال الثالث عشر: ما الأهداف التي تحققت لدى طلبة جامعة أم القرى جراء اعتمادهم على القنوات الإخبارية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية؟

يعرض الجدول رقم (١٤) المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الثالث عشر وفق تقسيم العينة وكما يلي:

جدول رقم (١٤)

المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الثالث عشر

الإجابة		الكليات الإنسانية			الكليات العلمية			نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عيتي التخصص في الجامعة		نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عيتي النوع الاجتماعي في الجامعة	
		ذكور	إناث	مستوى الدلالة	ذكور	إناث	مستوى الدلالة	قيم اختبار Z المحتسبة	مستوى الدلالة	قيم اختبار Z المحتسبة	مستوى الدلالة
الفهم		2.17	2.10	.999	1.85	1.92	1.000	3.867	.000	.517	.605
التوجيه		2.25	2.21	.977	1.90	1.96	.984	3.726	.000	.531	.596
التسلية		1.62	1.52	.553	1.50	1.35	.337	2.205	.027	1.600	.110
نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عيتي التوع الاجتماعي في الجامعة	قيم اختبار Z المحتسبة	.826			.824			2.581		.523	
	مستوى الدلالة	.502			.505			.000		.523	

المتوسط الحسابي ≥2= دائما، 2≥1.5≥=أحيانا، 1.5≥=نادرا

يتبين لنا من نتائج الجدول رقم (١٤) للسؤال المتعلق بالأهداف التي تحققت لدى طلبة جامعة أم القرى، جراء اعتمادهم على القنوات الإخبارية الناطقة بالعربية، أنه لا توجد فروق معنوية بين الذكور والإناث داخل الكلية الواحدة بشأن الأهداف المتحققة جراء اعتمادهم على القنوات الإخبارية في حين كان الفرق معنويا بدرجة عالية بين التخصصين الإنساني والعلمي، حيث إن الشباب الجامعي ذا التخصص الإنساني تحقق له بدرجة مرتفعة في اعتماده على القنوات الإخبارية الهدفان المتعلقان بالفهم والتوجيه، بينما الشباب ذو التخصص العلمي ظهرت درجة تحقيق هذين الهدفين عنده بدرجة متوسطة، وبالنسبة للهدف الثالث فكان درجة تحقيقه بين الذكور والإناث، أو بين التخصصين بنفس المستوى وبدرجة متوسطة.

السؤال الرابع عشر: الى أي درجة يعتمد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الإخبارية في الحصول على معلومات حول الأحداث والقضايا السياسية السعودية؟

يعرض الجدول رقم (١٥) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الرابع عشر وفق تقسيم العينة وكما يلي:

جدول رقم (١٥)
التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الرابع عشر

الاجابة		الكليات الإنسانية		الكليات العلمية		نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عينتى التخصص فى الجامعة	
		ذكور	إناث	ذكور	إناث	قيم اختبار Z المحتسبة	مستوى الدلالة
بدرجة كبيرة		26.7	27.8	17.1	17.6	2.338	.000
بدرجة متوسطة		66.7	55.6	34.3	50.0		
بدرجة قليلة		6.7	16.7	48.6	32.4		
نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عينتي النوع الاجتماعي في الجامعة	قيم اختبار Z المحتسبة	.572		.953		.406	
	مستوى الدلالة	.899		.324		.997	

يتبين لنا من نتائج الجدول رقم (١٥) أن معظم طلبة جامعة أم القرى يعتمدون على القنوات الإخبارية في الحصول على معلومات حول الأحداث والقضايا السعودية بدرجة متوسطة، وبنسبة تتراوح بين (50.0)، و(73.3). وأظهرت النتائج بوجود فرق معنوي بدرجة عالية بشأن درجة اعتماد الشباب الجامعي على القنوات الإخبارية في حصولهم على المعلومات المتعلقة بالأحداث

والقضايا السعودية حيث أظهرت أن الشباب الجامعي في الكليات الإنسانية يعتمدون بدرجة متوسطة مقارنة بالشباب الجامعي في الكليات العلمية الذي يعتمد بدرجة أقل عند مستوى دلالة (.000).

السؤال الخامس عشر: إلى أي درجة يعتمد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الإخبارية في الحصول على معلومات حول الأحداث والقضايا العربية والدولية؟

يعرض الجدول رقم (١٦) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الخامس عشر وفق تقسيم العينة وكما يلي:

جدول رقم (١٦)

التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال الخامس عشر

الاجابة		الكليات الإنسانية		الكليات العلمية		نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عينتى التخصص في الجامعة	
		ذكور	إناث	ذكور	إناث	قيم اختبار Z المحتسبة	مستوى الدلالة
بدرجة كبيرة		20.0	30.6	25.7	20.6	.904	.388
بدرجة متوسطة		70.0	52.8	48.6	55.9		
بدرجة قليلة		10.0	16.7	25.7	23.5		
نتائج اختبار Z لتحليل الفروق بين عينتي النوع الاجتماعي في الجامعة	قيم اختبار Z المحتسبة	.604		.301		.217	
	مستوى الدلالة	.859		1.000		1.000	

يتبين لنا من نتائج الجدول رقم (١٦) أن معظم طلبة جامعة أم القرى يعتمدون على القنوات الإخبارية في الحصول على معلومات حول الأحداث

والقضايا العربية والدولية، بدرجة متوسطة، كما أظهرت النتائج عدم وجود فرق معنوي بين التخصص العلمي للشباب الجامعي عند مستوى دلالة أكبر من مستوى الثقة (.05).

السؤال السادس عشر: ما الآثار الناتجة عن اعتماد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الإخبارية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية؟

يعرض الجدول رقم (١٧) التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال السادس عشر وفق تقسيم العينة وكما يلي:

جدول رقم (١٧)
التوزيع التكراري لإجابات أفراد عينة الدراسة عن السؤال السادس عشر

الإجابة	الكليات الإنسانية		الكليات العلمية		لكلا التخصصين	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
آثار معرفية	66.7	68.1	52.9	54.4	59.8	61.3
آثار وجدانية	21.7	38.9	38.7	41.2	30.2	40.1
آثار سلوكية	41.7	50.0	37.2	35.3	39.5	42.7

يتضح من النتائج بالجدول رقم (١٧) بشأن الآثار الناتجة عن اعتماد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الإخبارية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية، ظهرت آثار معرفية بدرجة مرتفعة لدى الذكور والإناث على مستوى التخصصين الإنساني والعلمي، وبنسبة تتراوح بين (66.7)، و(52.9). وظهرت آثار سلوكية بدرجة مرتفعة عند الإناث ذوات التخصص الانساني بنسبة (50.0)، بينما ظهرت ضعيفة عند الذكور ذوي التخصص الإنساني، وكذلك عند الذكور والإناث ذوي التخصص العلمي. وبشأن الآثار الوجدانية فظهرت بالضعيفة عند الشباب الجامعي على مستوى الجنس أو التخصص.

النتائج النهائية

من خلال تحليل متغيرات الدراسة تم التوصل للنتائج التالية:

- أظهرت النتائج أن (٢٥٪) من طلبة جامعة أم القرى يعتمدون بدرجة مرتفعة على القنوات الفضائية الإخبارية، وأن (٧٥٪) من طلبة جامعة أم القرى يعتمدون بدرجة متوسطة على القنوات الفضائية الناطقة بالعربية في متابعتهم للأحداث والقضايا السياسية.
- توصلت الدراسة أن نسبة المشاهدة للقنوات الفضائية الإخبارية من قبل طلبة جامعة أم القرى ظهرت صغيرة مقارنة بنسبة مشاهدتهم لبقية القنوات الفضائية غير الإخبارية.
- وتوصلت الدراسة أن النسبة الأعلى من طلبة جامعة أم القرى بمختلف توجهاتهم الشخصية يقضون أقل من ساعة من أوقاتهم لمشاهدة القنوات الإخبارية.
- أن أعلى نسبة من طلبة جامعة أم القرى سواء على مستوى النوع الاجتماعي أو التخصص أجابت بأنها تفضل مشاهدة القنوات الفضائية بحسب ظروفها اولاً، او مع عوائلهم ثانيـًا، بينما أجابت نسبة أقل من طلبة الجامعة بأنها تفضل مشاهدتها لتلك القنوات مع الاصدقاء.
- أن أعلى نسبة مشاهدة للقنوات الإخبارية من قبل طلبة جامعة أم القرى كانت لقناة العربية، يليها قناة الجزيرة، ثم العربية الحدث، والجزيرة مباشر، بينما أقل قنوات حظيت بالمشاهدة هي قناة النيل وقناة الحرة،

وتؤكد الدراسة على وجود فروق معنوية بدرجة عالية بين التخصصين الإنساني والعلمي لطلبة جامعة أم القرى بشأن درجة تفضيلهم في مشاهدة القنوات الفضائية الإخبارية حيث بينت الدراسة بأن طلبة جامعة أم القرى ذوي التخصص الإنساني يفضلون بدرجة متوسطة مشاهدة القناة الإخبارية مقارنة بالشباب ذوي

التخصص العلمي الذي ظهر تفضيلهم لها بالدرجة الضعيفة، وتؤكد الدراسة على عدم وجود فروق معنوية بين الذكور والإناث على مستوى التخصص الواحد أو لجميع التخصصات مشتملة في درجة التفضيل بمشاهدتهم للقنوات الفضائية الإخبارية على مستوى جميع القنوات الفضائية الإخبارية الناطقة بالعربية.

♦ وتؤكد الدراسة بوجود فروق معنوية بدرجة عالية بين الذكور والإناث في درجة التفضيل لنوع القنوات التي يشاهدونها، حيث إن درجة تفضيل الذكور على مستوى الكليتين في مشاهدتهم لقناة الجزيرة الإخبارية ظهر بالدرجة المتوسطة، بينما ظهرت درجة التفضيل عند الإناث لنفس هذه القناة بالدرجة الضعيفة، وكذلك الحال بالنسبة لقناة روسيا اليوم، بينما العكس من ذلك لقناة العربية الحدث حيث ظهر درجة التفضيل في مشاهدة هذه القناة عند الإناث بالدرجة المتوسطة، بينما ظهر درجة التفضيل لها عند الذكور بالدرجة الضعيفة.

كما تؤكد الدراسة بعدم وجود فرق معنوي في درجة تفضيل مشاهدة بقية القنوات الفضائية الإخبارية غير الجزيرة والعربية وروسيا اليوم بين الذكور والإناث وكان درجة تفضيلهم لمشاهدة بقية تلك القنوات بالدرجة الضعيفة.

♦ أثبتت النتائج أن الفرق كان معنويا بدرجة عالية بين طلبة التخصص الإنساني، والتخصص العلمي، في تحقق أهداف جراء متابعتهم للقنوات الإخبارية، حيث إن ذوي التخصص الإنساني تحقق لديهم بدرجة مرتفعة الهدفان المتعلقان بالفهم، التوجيه. بينما الطلبة ذوو التخصص العلمي تحقق لديهم الهدفان (الفهم والتوجيه) بدرجة متوسطة، وبالنسبة للهدف الثالث (التسلية) فكان درجة تحقيقه بين الذكور والإناث أو بين التخصصين بنفس المستوى وبدرجة متوسطة.

♦ أن معظم طلبة جامعة أم القرى يعتمدون على القنوات الإخبارية في الحصول على معلومات حول الأحداث والقضايا السعودية بدرجة متوسطة،

وبنسبة تتراوح بين (50.0)، و(73.3)، وأثبتت الدراسة بوجود فرق معنوي بدرجة عالية بشأن درجة اعتماد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الإخبارية في حصولهم على المعلومات المتعلقة بالأحداث والقضايا السعودية.

- أظهرت الدراسة أن النسبة الأعلى من طلبة جامعة أم القرى بمختلف خصائصهم الشخصية والعلمية يفضلون بدرجة مرتفعة متابعة النشرات الإخبارية، بينما أقل درجة من التفضيل يتعلق بالمادة ذات الطابع الاقتصادي، وأظهرت النتائج بأن طلبة الجامعة من الذكور يفضلون بدرجة مرتفعة متابعة النشرات الرياضية، مقارنة بالإناث التي ظهرت درجة تفضيلهن في متابعة هذه المادة بالدرجة الضعيفة ولكلا التخصصين.

كما أظهرت الدراسة أن الإناث ذوات التخصص الإنساني يفضلن بدرجة مرتفعه متابعة كل من التحقيقات التليفزيونية والبرامج الحوارية الجماهيرية، مقارنة مع الذكور في الكليتين معا من جهة، ومع الإناث في الكليات العلمية.

- أن أعلى نسبة من طلبة جامعة أم القرى بمختلف خصائصهم الشخصية والعلمية، يعتمدون في متابعتهم للأحداث والقضايا السياسية، على مصدر شبكات التواصل الاجتماعي بالدرجة الأساس، ويعتمد الطلبة ذوو التخصص الإنساني من الذكور على مصدر الصحف السعودية في متابعتهم للقضايا السياسية مقارنة بالإناث لنفس التخصص، والجنسين معا ذوي التخصص العلمي. بينما يعتمد الطلبة ذوو التخصص العلمي، والإناث ذوات التخصص الإنساني على المواقع الالكترونية كمصدر في الحصول على معلوماتهم، بشأن القضايا والأحداث السياسية.

- بينت الدراسة بأن الآثار الناتجة عن اعتماد طلبة جامعة أم القرى على القنوات الإخبارية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية، ظهرت آثار معرفية بدرجة مرتفعة، لدى كل من الذكور والإناث على مستوى التخصصين الإنساني والعلمي،

وظهرت آثار سلوكية بدرجة مرتفعة عند الاناث ذوات التخصص الإنساني، بينما ظهرت ضعيفة عند الذكور ذوي التخصص الإنساني، والذكور والإناث ذوي التخصص العلمي، وبشأن الآثار الوجدانية فظهرت ضعيفة عند الشباب الجامعي على مستوى النوع أو التخصص.

- **التوصيات:**

١- على القائم بالاتصال بالقنوات الفضائية الإخبارية الناطقة بالعربية توجيه برامج سياسية تخاطب الشباب على قدر مستوى واهتماماتهم، وفهمهم، لتحقيق أهدافهم من التعرض للقنوات الإخبارية وإشباع احتياجاتهم السياسية.

٢- على القنوات الإخبارية الناطقة بالعربية أن توازن في عرض الموضوعات الإخبارية من حيث التغطية والتحليل، بحيث لا يغلب موضوع معين أو موجه على الموضوعات الأخرى.

٣- زيادة مساحة مشاركة الشباب في برامج القنوات الإخبارية الحوارية والسياسية، وإفساح المجال لهم في التعبير عن رأيهم حول مختلف الأحداث والقضايا السياسية.

٤- على قناة الإخبارية السعودية أن تطور من أدائها الإخباري في ضوء نتائج هذه الدراسة التي اوضحت ضعف التعرض لها من قبل طلبة جامعة أم القرى، وقلة الاعتماد عليها في متابعة الأحداث والقضايا السياسية.

٥-إجراء دراسات مستقبلية لمعرفة مدى استخدام طلبة جامعة أم القرى للقنوات الإخبارية الناطقة بالعربية في كليات الفروع خارج مدينة مكة المكرمة.

٦- إجراء دراسات مستقبلية لمعرفة مدى استخدام طلبة جامعة أم القرى لشبكات التواصل الاجتماعي واعتمادهم عليها كمصدر أول للمعلومات في ضوء نتائج هذه الدراسة.

مراجع البحث

١- إمام شكري ابراهيم القطان، دور القنوات الفضائية الإخبارية العربية في تنمية الوعي السياسي لدى طلاب الجامعة: دراسة التطبيقية، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، معهد الدراسات العليا للطفولة، قسم الإعلام وثقافة الطفل، ٢٠٠٨م.

٢- حسن عماد مكاوي، وليلى حسن السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨م.

٣- صفا محمود عثمان، دور قناة النيل الإخبارية في ترتيب أولويات القضايا السياسية لدى عينة من طلبة الجامعات، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاعلام، ٢٠٠٢م.

٤- ليلى حسين محمد السيد، دور وسائل الاعلام في إمداد طلاب الجامعات المصرية بالمعلومات عن الأحداث الجارية في إطار نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام، في كتاب المؤتمر العلمي الرابع لكلية الإعلام، جامعة القاهرة، ٢٥ مايو ١٩٩٨م.

٥- محمد عبد الوهاب الفقيه، العلاقة بين الاعتماد على القنوات التلفزيونية الفضائية ومستويات المعرفة بالموضوعات الإخبارية في المجتمع اليمني، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، ٢٠٠٢م.

٦- محمد علي غريب، اعتماد الجمهور المصري على القنوات الإخبارية باللغة العربية في الحصول على المعلومات حول الأحداث الجارية، القاهرة، المجلة العربية لبحوث الرأي العام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، أكتوبر ٢٠١١م.

٧- محمود أحمد مزيد، اعتماد المراهقين على القنوات الإخبارية في متابعة الأحداث والقضايا السياسية، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، العدد الثاني يونيو-ديسمبر ٢٠٠٥م.

٨- ملفين ل.ديفلير وساندرابول- روكيتش، نظريات وسائل الإعلام، ترجمة كمال عبد الرؤوف، القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.

٩- مها محمد كامل الطرابيشي، وعبد العزيز السيد عبد العزيز، تأثير التعرض للقنوات الفضائية العربية الإخبارية على الثقافة السياسية للجمهور المصري، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، المجلد الخامس، يونيو-ديسمبر٢٠٠٤م.

١٠- هبه شاهين، اعتماد الشباب الجامعي على المواقع الإذاعية والتلفزيونية الالكترونية للحصول على المعلومات السياسية، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١١- وديع العزعزي، دور وسائل الإعلام في تشكيل الوعي السياسي للشباب الجامعي اليمني، صنعاء، مجلة شؤون العصر، مركز الدراسات الاستراتيجية، المجلد١٢، العدد ٣١، ٢٠٠٨ م.

١٢- وليد فتح الله بركات، اعتماد الشباب الجامعي الكويتي على وسائل الإعلام في المعرفة بالقضايا العربية والدولية، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، العدد ١٨ يناير-مارس٢٠٠٣م.

13- Steven & Kasleen."The role of mass communication to develop political information for adolescence" .Dissertaion Abstract international, Vol.34, No.7, Sep. 1997.

14- Mechel Javis,"The effects of mass communication of Political behavior to adolescence. Journalism Quarterly, Vol.,45, No.(5-6), Summer,1999.

15- Jone Metchn."The relationship between the use of

local mass media and adolescents, social Sociolization and policy", Ph.D.University of California Los Angles, Description Abstract International,Vol.57,NO.(59),Mar,2001.

16- Werner J.Servin & James Wthankrd Jr. "Communications Theories Origins, Methods and Uses in the Mass Media",3rd ed,(New York London: Longman, 1992).

17- Melvin L.Defleur & Sandra Ball, Rokeach." Theories of mass communication",op.cit,p.262-264.

Abstract

This quantitative descriptive study aims to recognize reliance of students in Umm Al-Qura University on Arabic-speaking news channels to follow political issues. A random sample group composed of 300 members was selected from the university (2014/2015). The study concluded the following.

- 75% of university young people moderately rely on Arabic-speaking news channels to follow political issues and events,
- Al-Arabia recorded the highest percentage among university students.

Key words:

Adoption of Umm Al-Qura University Students. Arabic-speaking news channels. Follow-up events and political issues.

Editorial Board

Professor Ali Bin Abdullah Al-Qarni	Editor
Professor Sami Bin Ali Al-Qaliti	Member
Professor Ahmad Bin Muhammad Al-Qurashi	Member
Professor Hussein Bin Abdul-Raof Al-Azami	Member
Professor Sa'id Bin Muhammad Yahya Bakhdash	Member
Professor Abdul-Hafidh Muhammad Sa'id Al-Saqa	Member
Professor Asma' Bint Abu Bakr Ahmad	Member
Dr Mush'an Bin Sahu Al-Utaibi	Member
Dr Hind Bint Mustafa Sharifi	Member

- All footnotes should be sequentially numbered.
- The research paper should provide a separate list of alphabetically arranged references placed at the end of the research using the surname of the author first together with full details of each reference.
- The published research in this Journal expresses the author's point of view and does not, in any way, reflect the Journal's opinion.
- The research paper will not be returned to the author whether it is published or not.
- The author receives one copy of the Journal and twenty reprints of his/her published research paper.
- The hard copy of the research paper should be sent to the following postal address:

  Editor of the Journal of Taibah University
  Arts and Humanities
  P.O. Box: 344 Madinah, Kingdom of Saudi Arabia
- The soft copy of the research paper should be sent to the following e-mail address:

  ff99ff9@hotmail.com

Journal of Taibah University

Arts and Humanities

○ This is a refereed quarterly Journal issued by the Board of the College of Arts and Humanities of the University of Taibah.

○ The Journal publishes in Arabic and English original research, synopsis of MA and PhD theses, book reviews, and the recommended conference and symposium papers.

○ Research submitted for publication to this Journal should not have been either previously published or previously submitted for publication to this Journal. If the submitted research has been accepted for publication, the submitted paper is not allowed to be published in any other language without the written consent of the Editor of this Journal.

○ The researcher submits his/her research paper with a letter requesting the publication of his/her research and including his/her correspondence address, CV, and a guarantee not to publish his/her research in any other journal.

○ The research paper submitted to the Journal is subject to refereeing and evaluation by academic specialists appointed by the Journal.

○ The research paper should be submitted in three hard copies using one side only as well as an electronic copy on a disk (CD) using MS Word, Lotus Linotype font, font size 14, margin 11, and using the on-line Uthmanic font of Al-Madinah Al-Munawwarah codex.

○ The word limit of each paper should not exceed 8000 words including the references, the Arabic and English abstracts, and the key words.

○ The research paper should include a 300-word abstract in both Arabic and English.

○ The text and the quotations of the research paper should observe a well-established research method.

○ Footnotes should be placed at the bottom of the page with a separate number for each footnote.

Journal of Taibah University

Arts & Humanities

Issue 8
5th Year
1437 - 2016

بسم الله الرحمن الرحيم